يطبع لأول مرة محققاً

إتحاف السادة المتقين

للسيد الإمام

محمد بن محمد بن محمد المرتضى الحسيني الزبيدي

بشرح

إحياء علوم الدين

لحجة الإسلام الإمام

محمد بن محمد بن محمد الطوسي الغزالي

تحقيق

أشرف محمد أحمد

راجعه ودققه

عثمان أيوب البوريني

محمد سميح الشيخ حسين

2024

المجلد العاشر وفيه كتابا آداب تلاوة القرآن والأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب تلاوة القرآن

وفيه أربعة أبواب:

❀ الباب الأول:

فضل القرآن وأهله، وذم المقصرين في تلاوته

❀ الباب الثاني:

ظاهر آداب التلاوة

❀ الباب الثالث:

ذكر أعمال الباطن في تلاوة القرآن

❀ الباب الرابع:

فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

٨ - كتاب آداب تلاوة القرآن(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّمْ تسليمًا، الله ناصر كل صابر، الحمد لله الذي وفَّق قلوب الأحباب لموافقة مراسم السنَّة وأحكام الكتاب، وفتح بصائر أبصارهم فأبصروا مواقع الصواب؛ إذ رفع لهم عن مشاهدة عين الحقائق الحجابَ، وألهمهم سلوك المَحَجَّة البيضاء، وناداهم بلسان المحبة من جناب جنات الاقتراب، فكحَّلوا نواظرهم بالسُّهاد، وجَفَوا مضاجعهم طِيب الرقاد، وقاموا بتلاوة الكتاب، وجدُّوا في أثر الأطلاب مع الطلاَّب، جعلوا نهارهم ليلاً، وأفراحهم ميلاً، وتذلَّلوا علىٰ الأعتاب، فأقامهم علىٰ حاضره وباديه، وأسمعهم أوامرَه ونواهيه، وهداهم إلىٰ الباب، وأذاقهم لذيذَ الخطاب: يا عبادي أنا التوَّاب، وروَّق لهم شراب الاتصال في دار الوصال، فناهيك به من شَراب، وناهيك بهم من شُرَّاب. أحمده حمدًا أستوجب به أثواب الثواب، وأشكره شكرًا أستزيد به زيادات أولي الألباب. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنزِّهه عن الحلول والاتحاد والظهور والبطون والابتداء والانتهاء والاستتار والاحتجاب، وتقدِّس ذاته المقدَّسة عن مقالات أولي الجهالات من الكم والكيف والأين والمكان والزمان والإياب والذهاب، وتمجِّده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان لا عن التفكُّر والتدبُّر

---

(١) انظر الكلام عن القرآن وتفسيره وآداب تلاوته في: قوت القلوب ١/ ١٣٧ - ١٨٨.

والمعاوَنة والمشاورة والراحة والنَّصَب والانتصاب، وتعظَّمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتركيب والارتكاب. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، أشرف محبوب، وأعظم مشرَّف، وأكرم مرسَل، وأطهر منسل، وأخص الأحباب، أرسله بفضل الكتاب وفصل الخطاب، وأيَّده بأفضل كتاب وأجمل خطاب، أخجل فصحاءَ الأعراب بالإعراب والإيجاز والإسهاب، وأعجزَ بلغاء الأحزاب ببدائع النهي والإيجاب، وأضربهم عمَّا يعبدونه ممَّا ينحتونه ما أتىٰ به من الأضراب، فأنقذ الأحباب من مهاوي الارتياب ومغاوي الإغراب، وأعقبَ الأعراب بالعقاب علىٰ الأعقاب، وكشف عن وجه نور الإسلام مكفِّرات ظلمات الإشراك والضباب. صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله الأنجاب وأصحابه الأحباب، وعلىٰ الخلفاء الراشدين الأئمَّة المهديين الأقطاب أبي بكر الصِّدِّيق وأبي حفص عمر بن الخطاب وأبي عمرو ذي النورين جامع القرآن والأخشىٰ في ذات الله أبي تراب، وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا كثيرًا، ورضي عنهم وأرضاهم عنا وعن التابعين لهم بإحسان إلىٰ ما بعد يوم الحساب.

وبعد، فهذا شرح كتاب آداب تلاوة القرآن، وهو الثامن من الربع الأول من كتاب إحياء العلوم للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، روَّح الله روحَه، ومنحنا فتوحه، حللتُ منه عقدة الألفاظ، وحللتُ بوضعه ذروة الحُفَّاظ، معوِّلاً ثاقب الفكر علىٰ إيضاح ما خفي من الإشارات والرموز، معتنيًا بفكِّ ما أغفله الأكثرون ممَّا فيه من الذخائر والكنوز، مع الكشف عن مَظانِّ الروايات، وتطبيق العبارات بالعبارات، وعزو الأقوال إلىٰ أربابها، وردِّ الوجوه لأصحابها، معترفًا بغاية العجز الوفير، متلففًا برداء الزمانة والتقصير، سائلاً من المولىٰ اللطيف الخبير، متوسِّلاً بهذا الإمام إليه في تفريج كروبي، وتيسير كل عسير، إنه علىٰ ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، لا إله غيره، ولا خير إلا خيره. فأقول:

استفتح المصنِّف رحمه الله تعالىٰ كتابه بقوله: **(بسم الله الرحمن الرحيم)**

لما(١) أن نسبتها من متلوِّ الكتب [الماضية] نسبة أم القرآن من القرآن، فحسُنت مراعاة اقترانها بالأقوال والأفعال في سائر الأحيان، وكما أنها أفادت نسبة الأمور كلِّها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده، وذلك هو إجمال تفصيل ما في الكتاب، وبها يتم سرُّ أسرار الخطاب، ولمَّا كان اسم الجلالة عَلَمًا وكان جامعًا لمعاني الأسماء الحسنىٰ أعقبه بـ «الرحمن» من حيث إنه كالعَلَم في أنه لا يوصَف به غيره، ومن حيث إنه أبلغ من «الرحيم»، فأولىٰ الأبلغ [الأبلغ] وذلك موافق لترتيب الوجود: الايجاد، ثم النعم العامة، ثم النعم الخاصة [بالعبادة] وفي ذِكر الوصفين ترغيبٌ، وطُويت النقمة في إفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بلا إشارة إلىٰ الترهيب، والمراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتِّصاف بهما لذاته، وفيهما الدلالة علىٰ سائر الصفات الحسنىٰ؛ لأن مَن عمَّت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص، ولمَّا كانت البسملة نوعًا من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أفراده فقال: (**الحمد لله**) وهو المستحقُّ للمحامد كلِّها لا غيره (**الذي امتنَّ**) يقال: مَنَّ عليه وامتنَّ وامتنَّه أيضًا بمعنًىٰ واحد (**علىٰ عباده**) المضافينَ إليه بالعبوديَّة المحضة (**بنبيِّه المرسَل**) أي بإرسال هذا النبي الكريم، وقد أشار بذلك إلىٰ أنه تعالىٰ جمع له بين مقامَي النبوَّة والرسالة. والنبوة(٢): سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عِلَلهم في معاشهم ومعادهم، والنبي سُمِّي به لكونه منبئًا بما تسكن إليه العقول الزكيَّة، ويصح كونه فعيلاً بمعنىٰ فاعل وكونه بمعنىٰ مفعول. والرسالة(٣) من الرِّسْل وهو الانبعاث علىٰ تؤدة، وقد أرسله الله، فهو رسول ومرسَل، سُمِّي به لتتابع الوحي عليه، وهو باعتبار الملائكة أعَمُّ من النبي؛ إذ قد يكون من الملائكة، وباعتبار البشر أخص منه؛ إذ الرسول رجل بعثه الله لتبليغ الأحكام (**وكتابه المنزَّل**) وهو القرآن (**الذي لا يأتيه**

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٢٥ - ٢٧.

(٢) المفردات للراغب ص ٤٨٢.

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٧٧.

الباطل) ضد[1] الحق، وهو ما لا ثباتَ له من المقال والفعال عند الفحص عنه **(من بين يديه ولا من خلفه)** أي هو محفوظ من إتيان الباطل إليه من سائر جهاته **(تنزيل من حكيم)** هو المُحكِم للأشياء وموجِدها علىٰ غاية الإحكام **(حميد)** هو المحمود الفِعال، فالتنزيل إذا كان من عند مَن هذه صفاته كيف يأتيه الباطل؟! وفيه الاقتباس من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الآية [فصلت: ٤١ - ٤٢] والكلام في الفرق بين الإنزال والتنزيل مشهور لا نطيل به[2] **(حتىٰ اتَّسعت علىٰ أهل الافتكار)** الصحيح **(طريقُ الاعتبار)** وهي[3] الحالة التي يُتوصَّل بها من معرفة الشاهد إلىٰ غيره، وقيل: هو التدبُّر وقياس ما غاب علىٰ ما ظهر **(بما فيه من القصص والأخبار)** من سوالف الأعصار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةً لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝١٣﴾ [آل عمران: ١٣، النور: ٤٤] في آي كثيرة تلوح إلىٰ ذلك **(واتَّضح به سلوك المنهج)** هو الطريق الواضح **(القويم)** المعتدل الذي لا اعوجاج فيه **(و)** هدىٰ به **(الصراطَ المستقيم)** وهو الطريق الحق الواضح المعتدل **(بما فصَّل فيه من الأحكام)** الإلهيَّة **(وفرَّق به بين الحلال والحرام)** فيه تخصيص بعد تعميم **(فهو الضياء والنور)** هما مترادفان، وقيل: الضياء أخص من النور. وتقدَّم ذلك في أوائل كتاب العلم. وقال بعضهم: النور هو الضوء المنتشر الذي يعين علىٰ الإبصار.

وهنا قاعدة نذكرها، وهي أنهم قالوا[4]: إن نفي العام يدل علىٰ نفي الخاص، وثبوته لا يدل علىٰ ثبوته، وثبوت الخاص يدل علىٰ ثبوت العام، ونفيه لا يدل علىٰ نفيه، ولا شكَّ أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذَ به، فلذلك كان نفيُ العام

---

(١) السابق ص ٧٠.

(٢) قال الراغب في المفردات ص ٤٨٩: «الفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة أن التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقـًا ومرة بعد أخرىٰ، والإنزال عام».

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٥٥.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/ ٤٠٢ - ٤٠٣ (ط - دار التراث بالقاهرة). الإتقان في علوم القرآن ص ٥٧٤ - ٥٧٥.

أحسن من نفي الخاص، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام. فالأول كقوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] ولم يقل: بضوئهم، بعد قوله «أضاءت»؛ لأن النور أعَمُّ من الضوء؛ إذ يقال على القليل والكثير، وإنما يقال الضوء على الكثير من النور، ولذلك قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] ففي الضوء دلالة على النور[١]، فهو أخصُّ منه، فعدمه لا يوجب عدمَ الضوء، بخلاف العكس، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً، ولذا قال عقبه: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾ والثاني كقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ولم يقل: طولها؛ لأن العرض أخَصُّ؛ إذ كل ما له عرض له طول، ولا عكس. والله أعلم.

(**وبه النجاة من الغرور**) وهو[٢] كل ما يغُرُّ الإنسانَ من مال وجاه [وشهوة] وشيطان. وفُسِّر أيضًا بالدنيا لأنها تغُرُّ وتمر وتضر. وأصل[٣] الغرور: سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبعُ (**وفيه شفاء لِما في الصدور**) من سائر أمراضها وعِلَلها الخفيَّة من الوساوس والأوهام والخطرات والشكوك (**مَن خالفه**) أي أحكامه بأن لم يعمل بموجِبها (**من الجبابرة**) جمع جبَّار، قال[٤] الخطابي: [الجبَّار: الذي] جبر خَلْقَه على ما أراد من أمره ونهيه، يقال: جبره وأجبره، بمعنًى (**قصمه الله**) أي كسر ظهره؛ إذ القصم يُستعمَل في كسر الشيء طولاً[٥] (**ومَن ابتغى العلمَ**) أي طلبه (**في غيره**) ظنًّا منه بأنه ليس فيه (**أضلَّه الله**) أي أطَمَّه في هُوَّة الضلال والخسران (**وهو حبل الله المتين**) أي القوي، فمَن تعلَّق به وصل، وبالحق اتَّصل

---

(١) في البرهان: على الزيادة.

(٢) المفردات للراغب ص ٣٥٩.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٣.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٨٩. زاد المسير لابن الجوزي ص ١٤٢١. المصباح المنير ١/ ٥٨.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٧٢.

(ونوره المبين) أي الظاهر الواضح (والعُرْوة) بالضم: ما[١] تُشَدُّ به الثياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولاً لا ينفصم بعضه من بعض إلا بفصم طرفه، فإذا انفصمت منه عروة انفصم جميعُه (الوُثْقَىٰ) فُعْلَىٰ للمبالغة من الوثوق بشدة ما شأنه أن يُخاف وَهَنُه، سمَّاه بها علىٰ التشبيه بالعُرْوة التي يُستمسك بها ويُستوثَق، ومنه الحديث: «وذلك أوثق عُرَىٰ الإيمان» (والمتعصَم) علىٰ صيغة اسم المفعول: الموضع الذي يُعتصَم ويُلتجأ إليه (الأوقَىٰ) أفعل من الوقاية وهي الحفظ، وروىٰ البيهقي[٢] عن رجل من الصحابة لم يُسَمَّ رفعه: «القرآن هو النور المبين، والذِّكر الحكيم، والصراط المستقيم» (وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير) لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [الأنعام: ٥٩] (لا تنقضي) علىٰ مرِّ الدهور (عجائبُه) لكثرتها (ولا تتناهَىٰ) ما كَرَّت العصورُ (غرائبُه) أي نوادره الغريبة التي لا يعرفها إلا من يمارسها ويغوص في تيَّارها (لا يحيط بفوائده) جمع فائدة وهي[٣] ما استفدت من طريفة مال، هذا هو الأصل، ثم استُعيرَ منه في فائدة العلم والأدب (عند أهل الفهم) وفي نسخة: العلم (تحديد، ولا يخلقه) أي لا يبليه (عند أهل التلاوة) له (كثرةُ الترديد) بل يزداد جِدَةً كلَّما رُدِّد فيه (فهو الذي أرشد) وفي نسخة: أعيا (الأولين والآخِرين) أي أرشدهم إلىٰ الصواب، وسَلِموا من طرق الضلال والعناد. وعلىٰ النسخة المذكورة، معناه: أعياهم فهمُ معانيه الخفيَّة (ولمَّا سمعه) أي[٤] القرآن نفرٌ من (الجن) من وفد نصيبين[٥]، قيل:

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٢ - ٤٣.

(٢) شعب الإيمان ٣/ ٣٣٦.

(٣) المصباح المنير ٢/ ٨٤.

(٤) معالم التنزيل للبغوي ٧/ ٢٦٩.

(٥) نصيبين: بلدة تتبع محافظة ماردين بجنوب شرق تركيا، بين نهري دجلة والفرات، وتعد الآن نقطة عبور بين الحدود السورية التركية، ويمر بها نهر جغجغ أحد روافد نهر الخابور. وقد دخلها الإسلام سنة ١٨ علىٰ أيدي عياض بن غنم وحبيب بن مسلمة الفهري، وظلت مزدهرة علمياً وتجارياً حتىٰ اكتسحها التتار ودمروها في القرن السابع الهجري.

كانوا سبعة، ورُوي ذلك عن ابن عباس، وقيل: تسعة، رواه عاصم عن زر بن حُبَيش **(لم يلبثوا أن وَلَّوا إلىٰ قومهم)** انصرفوا **(منذرين)** مخوِّفين، داعينَ بأمر رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: جعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلىٰ قومهم. وهو قوله تعالىٰ في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١] وقال في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا﴾ أي[1] كتابًا ﴿عَجَبًا﴾ أي بديعًا مباينًا لكلام الناس في حُسن نظمه ودقَّة معناه، وهو مصدر وُصف به للمبالغة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي الحق والصواب ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ - ٢] علىٰ ما نطقت به الدلائل القاطعة علىٰ التوحيد.

وروىٰ البخاري في صحيحه فقال[2]: حدثنا مسدَّد، حدثنا أبو عَوانة، عن أبي بِشْر، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلىٰ سوق عُكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، فأُرسِلت عليهم الشُّهُب، فرجعت الشياطين إلىٰ قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: قد حِيلَ بيننا وبين خبر السماء وأُرسِلت علينا الشُّهُب. فقالوا: ما حالَ بينكم وبينها إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء. فانصرف أولئك الذين توجَّهوا نحو تِهامة إلىٰ النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلىٰ سوق عُكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلمَّا سمعوا القرآن استمَعوا له فقالوا: هذا واللهِ الذي حالَ بينكم وبين خبر السماء.

---

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ٥/ ٢٥١.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٥٠ - ٢٥١.

فهنالك حين رجعوا إلىٰ قومهم وقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ فأنزل الله علىٰ نبيِّه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ وإنما أوحي إليه قول الجن.

وقال مسلم في صحيحه[1]: حدثنا محمد بن المثنَّىٰ، حدثنا عبد الأعلىٰ، حدثنا داود بن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة: هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابنَ مسعود: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجن؟ فقال: لا، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ [ذات ليلة] ففقدناه، فالتمسناه في الأدوية والشِّعاب، فقلنا: استُطيرَ أو اغتِيلَ. قال: فبِتْنا بشرِّ ليلة بات بها قومٌ، فلمَّا أصبحنا إذا هو جاءٍ من قِبَل حِراء. قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبِتْنا بشرِّ ليلة بات بها قومٌ. قال: «أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت [عليهم] القرآن». فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم... الحديث. ورواه كذلك عن علي بن حُجْر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد. قال الشعبي: وسألوه الزاد، وكانوا من جن الجزيرة.

وروىٰ[2] محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد [عن محمد] بن كعب القُرَظي أن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعًا إلىٰ مكة حين يئس من خير ثقيف، حتىٰ إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي، فمرَّ به نفر من جن أهل نصيبين، فاستمَعوا له، فلمَّا فرغ من صلاته ولَّوا إلىٰ قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لمَّا سمعوا، فقصَّ الله خبرهم عليه فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية.

قال البغوي في تفسيره[3]: ورُوي أنهم لمَّا رُجموا بالشُّهُب بعث إبليس سراياه

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٦٩ - ٧٠. دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٦٣ - ٣٦٤. تاريخ الأمم والملوك للطبري ٢/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

(٣) معالم التنزيل ٧/ ٢٦٧.

ليعرف الخبر، فكان أول بعثٍ بعثَ رَكْبًا من أهل نصيبين، وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلىٰ تهامة. وقال أبو حمزة الثمالي: بلغنا أنهم من بني الشيصبان، وهم أكثر الجن عددًا، وهم عامَّة جنود إبليس، فلمَّا رجعوا قالوا: إنَّا سمعنا قرآنًا عَجَبًا.

(فكل مَن آمن به فقد وُفِّق) في أحواله **(ومن قال به فقد صدق)** في أقواله **(ومَن تمسَّك به فقد هُدِيَ)** إلىٰ الاستقامة **(ومَن عمل به فقد فاز)** فوزًا أبديًّا إلىٰ يوم القيامة.

ثم إن هذا السياق الذي أورده المصنِّف بعد سياق جملة الحمد من غير أن يُتبِعها بالصلاة والسلام علىٰ نبيِّه ﷺ كما جرت به عادته وعادات المصنِّفين إما نسيانًا منه أو اكتفاءً بما صلىٰ به وسلَّم في نفسه منتزَع من حديث عليٍّ رضي الله عنه، وهو ما أورده صاحب القوت من حديث عليٍّ رضي الله عنه، علىٰ ما سيأتي للمصنِّف في أواخر الباب الثالث من هذا الكتاب.

(قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾**)** بنون العَظَمة في الموضعين مع ضمير المتكلم مع الغير إشارة إلىٰ فخامة أمره وعِظَم شأنه، والمراد بالذِّكر: القرآن، وقد سمَّىٰ الله إيَّاه بالذِّكر في عدَّة مواضع، منها هذا، ومنها قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] **(**﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾**)** [الحجر: ٩] أي من التغيير والتبديل وتحريف المبطلين. وقال[(١)] مجاهد: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ أي عندنا. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير[(٢)] وابن المنذر وابن أبي حاتم. وقال قتادة: أي من إبليس، فلا يستطيع أن يزيد فيه باطلًا ولا ينقص منه حقًّا، حفظه الله

---

(١) الدر المنثور ٨/ ٥٩٤.

(٢) جامع البيان ١٤/ ١٨.

من ذلك. رواه عبد الرزاق[١] وابن جرير[٢] وابن المنذر وابن أبي حاتم (ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته) أي قراءته (والمواظبة علىٰ دراسته) أي مدارسته مع غيره بالمناوبة كما كان يفعله النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام (مع القيام بآدابه) المعلومة (وشروطه) التي لا بدَّ منها (والمحافظة علىٰ ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة، وذلك لا بدَّ من بيانه وتفصيله) والكشف عن مَظانِّه (وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب، الباب الأول) منها: (في) بيان (فضل القرآن وأهله) أي حَمَلته وما فيه وفيهم من الأحاديث والآثار عن السلف (الباب الثاني: في آداب التلاوة في الظاهر) وما فيه من آثار السلف (الباب الثالث: في الأعمال الباطنة عند التلاوة) التي هي كالروح لها (الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره) وما فيه من اختلاف الأقوال عند العلماء.

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ٣٤٥.

(٢) جامع البيان ١٤/ ١٩.

الباب الأول:

في فضل القرآن وأهله وذم المقصِّرين في تلاوته

(فضيلة القرآن)

(قال) رسول الله (ﷺ: **مَن قرأ القرآن ثم رأىٰ أن أحدًا أوتي أفضل ممَّا أوتي فقد استصغر ما عظَّمه الله تعالىٰ**) قال العراقي[1]: رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف.

قلت: رواه في الكبير[2]، ورواه كذلك محمد بن نصر في كتاب «قيام الليل»[3] وأبو بكر بن أبي شيبة، لكنه موقوف علىٰ ابن عمرو، ولفظهم جميعًا: «مَن قرأ القرآن فرأىٰ أن أحدًا أُعطي أفضل ممَّا أُعطي فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصغَّرَ ما عظَّم اللهُ ...» الحديث. ورواه الخطيب[4] كذلك عن ابن عمر.

(وقال ﷺ: ما من شفيع أفضل منزلةً عند الله) يوم القيامة **(من القرآن، لا نبي ولا مَلَك ولا غيره)** قال العراقي[5]: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد ابن سليم

---

(١) المغني ١/ ٢٢١.

(٢) المعجم الكبير ١٣/ ٦٤٩.

(٣) مختصر قيام الليل ص ١٧٥.

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٤٢.

(٥) المغني ١/ ٢٢١.

مرسَلاً[١]، وللطبراني[٢] من حديث ابن مسعود: «القرآن شافع ومشفَّع». ولمسلم[٣] من حديث أبي أُمامة: «اقرءوا القرآن؛ فإنه يجيء يوم القيامة شفيعًا لصاحبه».

(وقال ﷺ: **لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار**) قال[٤] التوربشتي: إنما ضُرب المثل بالإهاب - وهو جلد لم يُدبَغ - لأن الفساد إليه أسرع، ولفح النار فيه أنفذُ ليبسه وجفافه، بخلاف المدبوغ للينه، والمعنىٰ: لو قُدِّر أن يكون في إهاب ما مسَّته النار ببركة مجاورته للقرآن، فكيف بمؤمن تولَّىٰ حفظه والمواظبة عليه، والمراد [بالنار] نار الله الموقدة المميِّزة بين الحق والباطل. وقال الطيبي: تحريره أن التمثيل وارد علىٰ المبالغة والفرض، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا﴾ [الكهف: ١٠٩] أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يؤبَه به ويُلقَىٰ في النار ما مسَّته. وقال المناوي: تحريره: لو جاز حلولُ القرآن في محل ثم حل الإهاب لم تمسَّ الإهابَ النارُ، وفائدة الخبر حفظ مواضع الشكوك من الناس عند احتراق مصحف أو ما كُتب فيه قرآن فيستعظمون إحراقه ويدخلهم الشكُّ. والله أعلم.

قال العراقي[٥]: رواه الطبراني[٦] وابن حبَّان في الضعفاء[٧] من حديث سهل ابن سعد، ولأحمد[٨] والدارمي[٩] والطبراني[١٠] نحوه من حديث عُقْبة بن عامر،

---

(١) وذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ص ١١١ بلا إسناد.

(٢) المعجم الكبير ١٠/ ٢٤٤.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٦١.

(٤) فيض القدير للمناوي ٥/ ٣٢٤. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٥/ ١٦٦٢.

(٥) المغني ١/ ٢٢١.

(٦) المعجم الكبير ٦/ ١٧٢.

(٧) المجروحون من المحدثين ٢/ ١٣٢.

(٨) مسند أحمد ٢٨/ ٥٩٥، ٦٢٧، ٢٨/ ٦٣٦.

(٩) سنن الدارمي ٢/ ٥٢٢.

(١٠) المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٨.

وفيه ابن لهيعة. ورواه ابن عدي[١] والطبراني[٢] والبيهقي في الشُّعَب[٣] من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف.

قلت: لكن لفظ الطبراني من حديث عقبة وعصمة: «ما أكلته النار». وفي رواية: «ما أحرقته النار». وعند البيهقي عن عصمة بن مالك بلفظ: «لو جُمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار».

والإهاب بالكسر: الجلد قبل أن يُدبَغ، وبعضهم يقول: الإهاب: الجلد، وهذا الإطلاق محمول على ما قيَّده الأكثر؛ فإنَّ قوله ﷺ: «أيُّما إهابٍ دُبغ» يدل عليه. كما في المصباح[٤].

(**وقال ﷺ: أفضل عبادة أمَّتي قراءة القرآن**) لأنه أصل العلوم وأُسُّها وأهمها، فالاشتغال به أفضل من غيره من سائر الأذكار إلا ما ورد فيه نصٌّ خاص في وقت مخصوص.

قال العراقي[٥]: رواه أبو نُعَيم في «فضائل القرآن» من حديث النعمان بن بشير وأنس بإسناد ضعيف.

قلت: رواه البيهقي[٦] كذلك، ورواه ابن قانع[٧] عن أُسَير بن جابر التميمي، والسجزي في الإبانة[٨] عن أنس بلفظ: «أفضل العبادات قراءة القرآن».

---

(١) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٤١.

(٢) المعجم الكبير ١٧/ ١٨٦.

(٣) شعب الإيمان ٤/ ٢٣٢.

(٤) المصباح المنير ١/ ٢٠.

(٥) المغني ١/ ٢٢١.

(٦) شعب الإيمان ٣/ ٣٩٦.

(٧) معجم الصحابة ١/ ٥٦.

(٨) وكذلك الديلمي في الفردوس ١/ ٣٥٣.

(وقال ﷺ أيضًا: إن الله عَزَّوَجَلَّ قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخَلْق بألف عام، فلمَّا سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبَىٰ لأمَّة ينزل عليهم هذا، وطوبىٰ لأجواف تحمل هذا، وطوبىٰ لألسنة تنطق بهذا) قال العراقي[١]: رواه الدارمي[٢] من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

قلت: وأخرجه كذلك ابن خزيمة في التوحيد[٣] والعقيلي في الضعفاء[٤] والطبراني في الأوسط[٥] وابن عدي في الكامل[٦] وابن مردويه والبيهقي في الشُّعَب[٧] بلفظ: «قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام»، وتتكلم بدل: تنطق، والباقي سواء.

(وقال ﷺ: خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه) قال العراقي[٨]: رواه البخاري[٩] من حديث عثمان بن عفَّان.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي[١٠] وأحمد[١١] وأبو داود[١٢] والترمذي[١٣] -

---

(١) المغني ١/ ٢٢٢.

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٥٤٨.

(٣) التوحيد ص ٤٠٣.

(٤) الضعفاء الكبير ١/ ٧٩، ولم يسقه بتمامه.

(٥) المعجم الأوسط ٥/ ١٣٣.

(٦) الكامل في الضعفاء ١/ ٢١٨.

(٧) شعب الإيمان ٤/ ٨٩.

(٨) المغني ١/ ٢٢٢.

(٩) صحيح البخاري ٣/ ٣٤٦ - ٣٤٧.

(١٠) مسند الطيالسي ١/ ٧٣.

(١١) مسند أحمد ١/ ٤٦٦، ٤٧٢، ٥٣٠.

(١٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٦٧.

(١٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٠ - ٣٢.

وقال: حسن صحيح - وابن ماجه[١] وابن حبَّان[٢]، كلُّهم من حديث عثمان. ورواه البخاري[٣] والترمذي[٤] عن علي بن أبي طالب. والخطيب[٥] عن عبد الله بن عمرو. وابن مردويه في كتاب «أولاد المحدِّثين» وابن النجار عن ابن مسعود. ورواه ابن الضريس[٦] والبيهقي[٧] عن عثمان بزيادة: «وفضل القرآن علىٰ سائر الكلام كفضل الله علىٰ خلقه، وذلك لأنه منه». وعند الطبراني[٨] عن ابن مسعود: «خيركم مَن قرأ القرآن وأقرأه». ورواه البيهقي[٩] عن أبي أُمامة بزيادة: «إن لحامل القرآن دعوة مستجابة، يدعو بها فيُستجاب له».

(وقال ﷺ: **يقول الله تبارك وتعالىٰ: مَن شغلته قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيتُه أفضل ثواب الشاكرين**) قال العراقي[١٠]: رواه الترمذي[١١] من حديث أبي سعيد: «مَن شغله القرآن عن ذِكري ومسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين» وقال: حسن غريب. ورواه ابن شاهين بلفظ المصنِّف.

---

(١) سنن ابن ماجه ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) صحيح ابن حبان ١/ ٣٢٥.

(٣) لم أقف عليه في صحيح البخاري من حديث علي. ولعل المراد الطحاوي، فقد رواه في شرح مشكل الآثار ١٣/ ١١٦.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٢.

(٥) تاريخ بغداد ٥/ ٣٢.

(٦) فضائل القرآن لابن الضريس ص ٧٨.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٥٠٢، وفيه أن تلك الزيادة من قول أبي عبد الرحمن السلمي راوي الحديث عن عثمان رضي الله عنه. وكذا رواه عنه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص ٥٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٢/ ٣٣٨ - ٣٣٩، ولكن ليس عندهما (وذلك لأنه منه).

(٨) المعجم الكبير ١٠/ ٢٠٠.

(٩) شعب الإيمان ٣/ ٥٠٤.

(١٠) المغني ١/ ٢٢٢.

(١١) سنن الترمذي ٥/ ٤٥.

قلت: رواه الترمذي عن محمد بن إسماعيل، عن شهاب بن عَبَّاد، عن محمد ابن الحسن بن أبي يزيد الهَمْداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد. قال الترمذي: غريب. وفي بعض النسخ: حسن غريب.

وقال الدارمي في سننه[١]: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجمان، حدثنا محمد ابن الحسن بن أبي يزيد ... فساقه مثل سياق الترمذي.

وقال أبو نعيم[٢]: حدثنا محمد بن حميد، ثنا حامد بن شعيب، حدثنا الحسن ابن حماد، ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد ... فساقه أيضًا كسياق الترمذي والدارمي.

وقال الطبراني في الدعاء[٣]: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الله الحضرمي قالا: حدثنا الحسن بن حماد، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد ... فساقه بلفظ: «من شغله [قراءة] القرآن وذِكري عن مسألتي» والباقي سواء.

وقال البزار: حدثنا محمد بن عمر الكردي. وقال العقيلي في الضعفاء[٤]: حدثنا بِشْر بن موسىٰ قال: ثنا الحسين بن عبد الأول عن محمد بن الحسن. وقال الدارقطني: تفرَّد به محمد بن الحسن عن عمرو بن قيس[٥]. وكذا قاله البزار أيضا. قال الحافظ ابن حجر: هو وعطية ضعيفان، إلا أنهم لا يُخرِجون لهما إلا في المتابعات، قال ابن عدي[٦] في محمد بن الحسن: مع ضعفِه يُكتَب حديثه.

هذا ما يتعلَّق بحديث الترمذي.

---

(١) سنن الدارمي ٢/ ٥٣٣.

(٢) حلية الأولياء ٥/ ١٠٦.

(٣) الدعاء ص ١٦٢٨.

(٤) الضعفاء الكبير ٤/ ١٢١٥.

(٥) أطراف الغرائب والأفراد ٢/ ٢٢٣.

(٦) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢١٨١.

وقال الطبراني في الدعاء[١]: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا عثمان بن [عبد العزيز، ثنا عثمان بن] زُفَر ويحيىٰ هو ابن عبد الحميد الحِمَّاني. وقال الطبراني أيضًا: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد، قالوا: ثنا صفوان بن أبي الصهباء التيمي، عن بكير بن عتيق، عن سالم، عن ابن عمر، عن عمر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷿: إذا شغل عبدي ذِكري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين».

ورواه البخاري هكذا في كتاب «خلق أفعال العباد»[٢] فقال: حدثنا ضرار ابن صرد. وقال في التاريخ[٣]: قال لي ضرار بن صرد ... فذكره. ورواه البزار[٤] عن الفضل بن سهل عن عثمان بن زُفَر. ورواه العسكري في «فضائل القرآن» عن يوسف بن يعقوب الواسطي، ورواه ابن شاهين في الترغيب[٥] عن البَغَوي، كِلاهما عن يحيىٰ الحِمَّاني. ووقع في رواية ابن شاهين وحده بلفظ المصنِّف. والله أعلم.

(وقال ﷺ: **ثلاثة يوم القيامة علىٰ كثيب من مسك أسود، لا يهولهم فزعٌ ولا ينالهم حساب حتىٰ يُفرَغ ممَّا بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاءَ وجه الله تعالىٰ، ورجل أمَّ به قومًا هم به راضون ... الحديث**) أي إلىٰ آخر الحديث، وقد تقدَّم الكلام عليه في باب الإمامة من كتاب الصلاة.

(وقال ﷺ: **أهل القرآن**) هم (**أهل الله وخاصَّته**) والمراد[٦] بأهل القرآن: حَفَظَتُه الملازِمون له بالتلاوة، العاملون بما فيه، أي إن هؤلاء هم أولياء الله

---

(١) الدعاء ص ١٦٢٨.
(٢) خلق أفعال العباد ص ٢٨٠ - ٢٨١.
(٣) التاريخ الكبير ٢/ ١١٥.
(٤) مسند البزار ١/ ٢٤٧.
(٥) الترغيب في فضائل الأعمال ص ٥٦.
(٦) فيض القدير ٣/ ٦٧.

وخاصَّته، أي المختصُّون به اختصاص أهل الإنسان به، سُمُّوا بذلك تعظيمًا لهم، كما يقال: بيت الله.

قال العراقي[(١)]: رواه النسائي في الكبرىٰ[(٢)] وابن ماجه[(٣)] والحاكم[(٤)] من حديث أنس بإسناد حسن.

قلت: وكذا أحمد[(٥)]. وأخرجه أبو القاسم ابن حيدر في مشيخته[(٦)] عن علي ابن أبي طالب.

(**وقال ﷺ: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. فقيل: يا رسول الله، ما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذِكر الموت**) قال العراقي[(٧)]: رواه البيهقي في الشُّعَب[(٨)] من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

قلت: وفي المعجم الصغير[(٩)] للطبراني: وجلاؤها الاستغفار.

(**وقال ﷺ: لله أشد أَذَنًا**) بالتحريك[(١٠)] أي استماعًا وإصغاءً، وذلك عبارة عن الإكرام والإنعام (**إلىٰ قارئ القرآن من صاحب القينة إلىٰ قينته**) هي أمته المغنية.

---

(١) المغني ١/ ٢٢٢.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٦٣.

(٣) سنن ابن ماجه ١/ ٢٠٧.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٥٥.

(٥) مسند أحمد ١٩/ ٢٩٦، ٣٠٥، ٢١/ ١٧٥.

(٦) وكذلك الرافعي في التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٧) المغني ١/ ٢٢٢.

(٨) شعب الإيمان ٣/ ٣٩٢.

(٩) المعجم الصغير ١/ ٣٠٨ من حديث أنس.

(١٠) فيض القدير ٥/ ٢٥٣.

قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] وابن حبَّان[٣] والحاكم[٤] وصحَّحه من حديث فضالة بن عبيد.

قلت: رواه من طريق الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن فضالة بن عبيد، وقال الحاكم: علىٰ شرطهما. وردَّه الذهبي فقال: بل منقطع. ورواه البيهقي[٥] كذلك بلفظ: «للهُ أشد أَذَنًا للرجل الحَسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلىٰ قينته».

وفيه حِلُّ سماع الغناء من قينته ونحوها؛ لأن سماع الله لا يجوز أن يُقاس علىٰ محرَّم، وخرج بقينته قينةُ غيره، فلا ينبغي سماعُها، بل يحرُم إن خاف فتنة.

(الآثار) الواردة في ذلك (**قال أبو أُمامة**) صُدَيُّ بن عجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه: (**اقرءوا القرآن**) أي ما تيسَّر منه علىٰ الوجه الذي يسهُل عليكم (**ولا تغرَّنَّكم هذه المصاحف المعلَّقة؛ فإنَّ الله لا يعذِّب قلبًا وعَىٰ القرآنَ**) أي[٦] حفظه وتدبَّره وعمل بما فيه، فمَن حفظ ألفاظه وضيَّع حدوده فهو غير واعٍ له.

ثم إن هذا الأثر مشتمل علىٰ ثلاثة جُمَل:

الأولىٰ: «اقرءوا القرآن» رواه أحمد[٧] ومسلم[٨] من حديث أبي أُمامة مرفوعًا بزيادة: «فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه».

---

(١) المغني ١/ ٢٢٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٢.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٣١.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٧٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٨٩. وليس عنده (يجهر به).

(٦) فيض القدير ٢/ ٦٦.

(٧) مسند أحمد ٣٦/ ٥٣١.

(٨) صحيح مسلم ١/ ٣٦١.

الثانية: قوله: ولا تغرَّنَّكم ... إلىٰ آخر الحديث، رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[(١)] من حديثه مرفوعًا بلفظ: «لا تغرَّنَّكم هذه المصاحف الملَّعقة، إن الله لا يعذِّب قلبًا وعَىٰ القرآنَ».

الثالثة: فإنَّ الله لا يعذِّب ... الخ، رواه تمام الرازي في فوائده[(٢)] من حديثه مرفوعًا بلفظ: «اقرءوا القرآن؛ فإنَّ الله تعالىٰ لا يعذِّب قلبًا وَعَىٰ القرآنَ».

وإذا علمتَ ذلك ظهر لك أن هذا الأثر ليس بموقوف عليه، بل هو مرفوع إلىٰ النبي ﷺ.

(**وقال**) عبد الله (**بن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا أردتم العلمَ**) أي الفهم فيه (**فانثروا القرآن**) أي ابحثوا فيه (**فإنَّ فيه علم الأوَّلين والآخِرين**) ولفظ القوت: مَن أراد علم الأوَّلين والآخِرين فليثوِّر القرآنَ.

قلت: وسيأتي ذلك للمصنِّف في الباب الرابع. وقد رُوي بهذا اللفظ من حديث أنس مرفوعًا، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس[(٣)].

(**وقال**) ابن مسعود (**أيضًا: اقرءوا القرآن**) أي لازِموا علىٰ قراءته (**فإنكم تؤجَرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات، أما إني لا أقول الم حرف، ولكن أقول: الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف**) رواه البخاري في تاريخه[(٤)] والترمذي[(٥)] - وقال: حسن صحيح غريب - وابن الضريس[(٦)] والحاكم[(٧)] والبيهقي[(٨)] عن ابن

---

(١) نوادر الأصول ص ١٠٣٩.

(٢) فوائد تمام ٤/ ٩٩.

(٣) كنز العمال ١/ ٥٤٨.

(٤) التاريخ الكبير ١/ ٢١٦ حتىٰ قوله: فله حسنة.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٣٣.

(٦) فضائل القرآن ص ٤٦ موقوفا.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٥٣ - ٧٥٤.

(٨) شعب الإيمان ٣/ ٣٧١ - ٣٧٣.

مسعود مرفوعًا بلفظ: «مَن قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنةٌ، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». ورواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[١] والطبرانىٰ في الكبير[٢] عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعًا بلفظ: «مَن قرأ حرفًا من القرآن كُتبت له حسنة، لا أقول الم ذلك الكتاب، ولكن الألف واللام والميم والذال واللام والكاف». ورواه البيهقي[٣] عنه بلفظ: «لا أقول بسم الله ولكن باء وسين وميم، ولا أقول الم ولكن الألف واللام والميم». وروىٰ[٤] الديلمي عن أنس: «مَن قرأ القرآن كتب الله له بكل حرف منه عشر حسنات، ومن سمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنةً وحُشر في جملة من يقرأ ويرقىٰ».

(وقال أيضًا: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله) كذا في القوت، وقد فسَّره سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ فقال[٥]: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي حب السنَّة[٦]، وعلامة حبِّها حب الآخرة، وعلامة حبِّها بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البُلغة.

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه: **(كل آية في القرآن درجة في الجنة)** فيقال[٧]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٠.

(٢) المعجم الكبير ١٨/ ٧٦.

(٣) شعب الإيمان ٣/ ٣٧١.

(٤) كنز العمال ١/ ٥٣٥.

(٥) فيض القدير ٢/ ٦٦.

(٦) في القوت: «ومن علامة حب النبي ﷺ اتباعه، ومن علامة اتباعه الزهد في الدنيا». ولم يذكر ما بعده.

(٧) من هنا إلىٰ قوله (منتهىٰ القراءة) ذكره الخطابي في معالم السنن ١/ ٢٨٩ - ٢٩٠، قال: «جاء في الأثر: أن عدد آي القرآن علىٰ قدر درج الجنة، يقال للقارئ ...» الخ.

للقارئ: ارقَ في درجها علىٰ قَدْر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمَن استوفَىٰ قراءة جميعه استوىٰ علىٰ أقصىٰ درج الجنة، ومَن قرأ جزءًا منها فرُقيُّه في الدرج بقَدْر ذلك، فيكون منتهىٰ الثواب عند منتهىٰ القراءة **(ومصباح في بيوتكم)** من[١] كثرة الملائكة المفيضين للرحمة والمستمعين لتلاوته. ثم إن هذا القول قد أخرجه أبو نعيم في الحلية[٢] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وفي إسناده رشدين بن سعد، وهو ضعيف. وروىٰ البيهقي[٣] عنه مرفوعًا بلفظ: «مَن قرأ آية من القرآن كانت له درجة في الجنة ومصباح من نور».

(وقال أيضًا: مَن قرأ القرآن فقد أُدرِجت النبوَّة بين جنبَيْه، إلا أنه لا يوحَىٰ إليه) هكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] موقوفًا علىٰ عبد الله بن عمرو بلفظ: فكأنَّما استُدرِجت النبوَّةُ بين جنبَيْه، غير أنه لا يوحَىٰ إليه. ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة[٥] والطبراني في الكبير[٦] عنه مرفوعًا.

وأخرج ابن الأنباري في المصاحف والبيهقي[٧] وابن عساكر[٨] عن أبي أُمامة مرفوعًا والخطيب[٩] عن ابن عمر كذلك بلفظ: «مَن قرأ ثلث القرآن فقد أُعطيَ ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن أُعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثَيْه أُعطيَ ثلثَي النبوة، ومن قرأ القرآن كلَّه فقد أُعطيَ النبوَّة كلها، غير أنه لا يوحَىٰ إليه ...» الحديث.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٩.

(٢) لم أقف عليه في الحلية، وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٤١ موقوفًا.

(٣) شعب الإيمان ٣/ ٣٨١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ١٤.

(٥) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر ص ١٧٥.

(٦) المعجم الكبير ١٣/ ٦٤٩.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٣٧٨، ٤/ ١٧٧.

(٨) تاريخ دمشق ٥٦/ ١٠٠.

(٩) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥٥.

وأخرج الحاكم[١] والبيهقي[٢] عن عبد الله بن عمرو رفعه: «مَن قرأ القرآن فقد استدرج النبوَّة بين جنبيه، غير أنه لا يوحَىٰ إليه».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**إن البيت الذي يُتلَىٰ فيه القرآن اتَّسع بأهله وكثُر خيرُه**) أي بورِكَ فيه (**وحضرته الملائكة**) أي لاستماعه، فيضيء لهم البيت، ويحضرون بالرحمة والخير والبركة والسكينة (**وخرجت منه الشياطين**) فإنهم لا يطيقون سماع القرآن (**وإن البيت الذي لا يُتلَىٰ فيه القرآن ضاق بأهله، وقلَّ خيرُه، وخرجت منه الملائكة، وحضرته الشياطين**)[٣] وقد روىٰ أبو نعيم في المعرفة[٤] من حديث سابط بن أبي حُمَيضة الجُمَحي رفعه: «إن البيت الذي يُذكَر الله فيه ليضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض».

(**وقال أحمد بن حنبل**) الإمام رحمه الله تعالىٰ: (**رأيت الله عز وجل في المنام، فقلت: يا رب، ما أفضل ما تقرَّب به المتقرِّبون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد. قال: قلت: يا رب، بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم**) هكذا نقله ابن الجوزي في مناقب الإمام[٥]. والمراد بفهمه: فهمُ معانيه ومعرفة أحكامه فيحل حلاله ويحرِّم حرامَه.

(**وقال محمد بن كعب القُرَظي**) تابعي[٦] حُجَّة ثقة، روىٰ عن أبي ذرٍّ وغيره مرسَلاً وعن أبي هريرة وعائشة وزيد بن أرقم، وعنه يزيد بن الهاد وأبو معشر السِّنْدي وعبد الرحمن بن أبي المَوال. قال أبو داود: سمع من علي وابن مسعود.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٥٠.

(٢) شعب الإيمان ٤/ ١٧٨.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٤٢، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٢٧.

(٤) معرفة الصحابة ص ١٤٤٠.

(٥) مناقب الإمام أحمد ص ٥٨٣ (ط - دار هجر).

(٦) الكاشف للذهبي ٢/ ٢١٣.

توفي سنة ثمان ومائة[١]. روىٰ له الجماعة (**إذا سمع الناس القرآن من الله يوم القيامة فكأنَّهم لم يسمعوه قط**) قلت: وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث بُرَيدة عند الحكيم الترمذي[٢]، ولفظه: «إن أهل الجنة يدخلون علىٰ الجبَّار كل يوم مرتين، فيقرأ عليهم القرآن، فإذا سمعوه منه كأنَّهم لم يسمعوه قبل». وفي رواية: «لم يسمعوا شيئًا أعظم منه ولا أحسن منه ...» الحديث.

(**وقال الفُضَيل بن عياض**) رحمه الله تعالىٰ، تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم: (**ينبغي لحامل القرآن**) أي حافظه والعامل به (**أن لا يكون له إلىٰ أحد حاجة**) أي لا يُظهِر ذُلَّه إلىٰ أحد في قضاء حاجة لنفسه (**ولا إلىٰ الخلفاء**) والملوك ومَن في معناهم (**فمَن دونهم**) من الأمراء ورؤساء العشائر (**وينبغي أن تكون حوائج الخَلْق**) كلِّهم (**إليه**)[٣] تعظيمًا لِما حمله واحترامًا له؛ فإنه نعمة جسيمة، ومتىٰ احتاج حاملُه إلىٰ أهل الدنيا فقد استصغر ما عظَّمه الله ولحقه الوعيدُ السابق.

(**وقال أيضًا: حامل القرآن حامل راية الإسلام**) فيه[٤] استعارة؛ فإنه لمَّا كان حاملاً للحُجَّة المُظهِرة للإسلام وقمع الكفَّار كان كحامل الراية في حربهم (**فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحقِّ القرآن**) واشتغالاً برفع راية الإيمان. هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية[٥] في

---

(١) بعده في الكاشف: «وقيل سنة ١١٦».

(٢) نوادر الأصول ص ٤٩٣، ولفظه: «قال ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾: إن أهل الجنة يدخلون علىٰ الجبار كل يوم مرتين، فيقرأ عليهم القرآن، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي يجلسه علىٰ منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالأعمال، فلا تقر أعينهم قط كما تقر بذلك، ولم يسمعوا شيئًا أعظم منه ولا أحسن منه، ثم ينصرفون إلىٰ رحالهم قريرة أعينهم، ناعمين إلىٰ مثلها من الغد».

(٣) هذا الأثر والذي بعده رواهما الآجري في كتاب أخلاق أهل القرآن ص ١٠٣ (ط - دار الكتب العلمية).

(٤) فيض القدير ٣/ ٣٦٨.

(٥) حلية الأولياء ٨/ ٩٢.

ترجمة الفضيل.

وروىٰ الديلمي في مسند الفردوس[١] من حديث أبي أُمامة بسند ضعيف: «حامل القرآن حامل راية الإسلام، مَن أكرمه فقد أكرم الله، ومن أهانه فعليه لعنة الله».

وأخرج محمد بن نصر في الصلاة[٢] والطبراني في الكبير[٣] عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رفعه: «ليس ينبغي لحامل القرآن أن يَسْفَه فيمن يسفه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتدَّ فيمن يحتدُّ، لكن يعفو ويصفح لفضل القرآن». ورواه ابن أبي شيبة[٤] موقوفًا عليه. ورواه البيهقي[٥] والحاكم[٦] بلفظ: «لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحدَّ مع من يحدُّ ولا يجهل مع مَن يجهل وفي جوفه كلام الله». ورواه الخطيب[٧] عن ابن عمر رفعه: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يجد فيمن يجد، ولا يجهل فيمن يجهل، ولكنه يعفو ويصفح لعزِّ القرآن».

(**وقال سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالىٰ: (**إذا قرأ الرجل القرآن**) أي ابتغاءً لمرضاة الله تعالىٰ، وقصدًا للتقرُّب إليه به (**قبَّل المَلَكُ بين عينيه**)[٨] تعظيمًا لِما قرأه، واحترامًا لقارئه، والملائكة أكثر الخلق حُبًّا في استماع القرآن من بني آدم.

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ١٣٥.

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٧٥.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٦٥٠.

(٤) لم أقف عليه في مصنف ابن أبي شيبة.

(٥) شعب الإيمان ٤/ ١٧٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٥٠.

(٧) تاريخ بغداد ١١/ ٤٣.

(٨) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٥٩، ٨/ ٧١. وفيه: إذا ختم، بدل: إذا قرأ.

(**وقال عمر بن ميمون**) الرَّمَّاح[١]، قاضي بَلْخ، روىٰ عن الضحَّاك وغيره، وعنه ابنه عبد الله قاضي نيسابور ويحيىٰ بن يحيىٰ وداود بن عمرو وآخَرون، وثَّقوه، وروىٰ له الترمذي، ومات سنة إحدىٰ وسبعين ومائة (**مَن نشر مصحفًا حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عَزَّوَجَلَّ له مثل عمل جميع أهل الدنيا**) والمراد من قوله «نشر مصحفًا» أي يقرأه نظرًا فيه، وقد ورد في فضله عن أنس عند ابن النجار، وعن حذيفة عند الرافعي، وفي قراءة مائة آية ورد عن تميم الداري عند ابن السني في عمل يوم وليلة[٢]، وعن أنس عند الرافعي[٣]، وعن أبي الدرداء عند البيهقي[٤].

(**ويروىٰ أن خالد بن عُقْبة**) بن أبي مُعَيط (**جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليَّ القرآن**) أي شيئًا منه ممَّا أُنزل إليك (**فقرأ عليه**) هذه الآية (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩] **فقال له: أعِدْ. فأعاد، فقال: واللهِ إن له لَحلاوة، وإن عليه لَطُلاوة**) بالضم، والفتح لغة فيه، أي بهجة (**وإن أسفله لَمغدقٌ**) أي كثير الغدَق (**وإن أعلاه لَمثمرٌ**) أي ذو ثمر (**وما يقول هذا بشر**) قال العراقي[٥]: ذكره ابن

---

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٧٠.

(٢) عمل اليوم والليلة ص ٢٦٣، ولفظه: «من قرأ مائة آية في اليوم كتب له قنوت ليلته».

(٣) التدوين في أخبار قزوين ١/ ٤٦٦، ولفظه: «من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين».

(٤) لم أقف عليه عند البيهقي من حديث أبي الدرداء، وإنما رواه في الشعب ٤٩٢ - ٤٩٧ من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن عباس وأنس بن مالك. فلفظ حديث أبي هريرة: «من صلىٰ في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين». وفي رواية: «من قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين». وفي رواية موقوفة: «من قرأ مائة آية لم يكتب من الغافلين». ولفظ حديث عبد الله بن عمرو: «من قام بمائة آية كتب من القانتين». ولفظ حديث ابن عباس: «من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين». ولفظ حديث أنس: «من قرأ مائة آية كتب من القانتين». أما حديث أبي الدرداء فرواه الدارمي في سننه ٢/ ٥٥٦، وعبد بن حميد في مسنده ١/ ١٩٥، ولفظه: «من قرأ في ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين».

(٥) المغني ١/ ٢٢٣.

عبد البر في «الاستيعاب»[١] بغير إسناد، ورواه البيهقي في الشُّعَب[٢] من حديث ابن عباس بسند جيد، إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة، بدل: خالد بن عُقْبة، وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة[٣] بنحوه.

قلت: وهذه[٤] الآية فيها الإيجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ علىٰ معانٍ متعدِّدة، فالعدل هو الصراط المستقيم المتوسِّط بين طرفَي الإفراط والتفريط المومأ به إلىٰ جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية. والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبوديَّة؛ لتفسيره في الحديث: «أن تعبد الله كأنَّك تراه» أي تعبده مخلصًا في نيَّتك، واقفًا في الخضوع، آخِذًا أُهْبة الحذر ... إلىٰ ما لا يُحصَىٰ وإيتاء ذي القربىٰ هو الزيادة علىٰ الواجب من النوافل، هذا في الأوامر، وأمَّا النواهي فبالفحشاء الإشارة إلىٰ القوة الشهوانية، وبالمنكَر إلىٰ الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرَّم شرعًا، وبالبغي إلىٰ الاستعلاء الفائض عن الوهميَّة، ولهذا قال ابن مسعود: ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية. أخرجه الحاكم في المستدرك[٥]. وروىٰ البيهقي في الشُّعَب[٦] عن الحسن أنه قرأها يومًا، ثم وقف فقال: إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئًا إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكَر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**والله، ما دون القرآن من غِنًىٰ**) أي

---

(١) الاستيعاب ١/ ٢٥٩.

(٢) شعب الإيمان ١/ ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ص ٥٣٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٢١.

(٦) شعب الإيمان ١/ ٢٩٥.

مَن حازه حاز غِنًىٰ ما بعده غِنًىٰ مثله (وما بعده من فاقة)[١] أي ليس بعد فقدِه من فاقة أشد منها ولو ملك أموالاً.

(وقال الفُضَيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (مَن قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه خُتم له بطابع الشهداء، ومَن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته خُتم له بطابع الشهداء)[٢] وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث أبي أُمامة بلفظ: «من قرأ خواتم الحشر في ليل أو نهار فقُبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة». هكذا رواه ابن عدي[٣] وابن مردويه والبيهقي[٤] والخطيب[٥]، وبلفظ: «من قرأ آخر سورة الحشر[٦] فمات من ليلته مات شهيدًا». هكذا رواه أبو الشيخ[٧].

(وقال القاسم بن عبد الرحمن) أبو[٨] عبد الرحمن [الدمشقي] مولىٰ بني أميَّة، أرسل عن علي وسلمان والكبار، وروىٰ عن معاوية وعمرو بن عَبَسة، وقيل: لم يسمع من صحابي سوىٰ أبي أمامة، وعنه ثابت بن عجلان وثور بن يزيد ومعاوية بن صالح[٩]، مات سنة ثلاث عشرة ومائة[١٠] (قلت لبعض النُّسَّاك) أي

---

(١) رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ١٦٩.

(٢) رواه الدارمي في سننه ٢/ ٥٥٠ من قول الحسن البصري، وأوله: من قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ... الخ.

(٣) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١٦٤.

(٤) شعب الإيمان ٤/ ١٢١.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٤٥٢.

(٦) من قوله تعالىٰ: (لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل).

(٧) كنز العمال ١/ ٥٩٣.

(٨) الكاشف للذهبي ٢/ ١٢٩.

(٩) بعده في الكاشف: «صدوق، قال يحيىٰ الذماري عنه: لقيت مائة صحابي».

(١٠) في الكاشف: سنة ١١٢. وكذا نقله المزي في تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٩١ عن ابن سعد وخليفة بن خياط وأبي عبيد وغير واحد، ثم قال: «ويقال: مات سنة ثماني عشرة ومائة».

العُبَّاد: (ما هنا أحد يُستأنَس به. فمدَّ يده إلىٰ المصحف ووضعه في حجره وقال: هذا)[١] أي وأشار إلىٰ المصحف؛ فإنه نِعم الأنيس.

(وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاث يَزِدْنَ في الحفظ ويُذهِبن البلغم: السواك، والصوم، وقراءة القرآن)[٢] وما يُذهِب البلغمَ يزيد في الحفظ؛ لأن البلغم رطوبات لَزِجة تُضعِف قوة الحافظة، فالسواك يقطع رطوبة الدماغ، والصوم ينشِّف العروق، وقراءة القرآن تذيب البدن. وقد تقدَّمَ ذلك في كتاب الصلاة في فضيلة السواك.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزلة والانفراد ص ٧٦ عن سهل بن عاصم قال: قيل لرجل بطرطوس ... الخ. وذكره القشيري في رسالته ص ٢٠٠ قال: وقيل لبعضهم ... الخ.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس ٢/ ١٩٧ عنه بلفظ: «خمس يذهبن بالنسيان ويزدن في الحفظ ويذهبن البلغم: السواك، والصيام، وقراءة القرآن، والعسل، واللبان».

(ما قيل في ذِكر تلاوة الغافلين)

(قال أنس بن مالك) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه)** سيأتي معناه قريبًا عند قوله: وقال بعض العلماء.

(وقال ميسرة) الأشجعي[(١)]، روىٰ عن أبي حازم وابن المسيَّب، وعنه سفيان وزائدة: **(الغريب هو القرآن في جوف الفاجر)** أي لكونه يحمله استظهارًا ولا يعمل بما فيه، فهو كالغريب عنده. وقد رُوي معناه من حديث أبي هريرة رفعه عند الديلمي[(٢)] بلفظ: «الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوفِ ظالمٍ ...» فساقه.

(وقال أبو سليمان الداراني) تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم: **(الزبانية أسرعُ إلىٰ حَمَلة القرآن الذين يعصون الله منهم إلىٰ عَبَدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن)** وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث أنس عند الطبراني في الكبير[(٣)] وأبي نعيم في الحلية[(٤)] بلفظ: «الزَّبانية أسرع إلىٰ فَسَقة حَمَلة القرآن منهم إلىٰ عَبَدة الأوثان [فتقول: يُبدأ بنا قبل عبدة الأوثان]؟! فيقال لهم: ليس من يعلم كمَن لا يعلم». وقد تقدَّمَ في كتاب العلم.

(وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ ناداه الله عَزَّ وَجَلَّ**: ما لك ولكلامي)**؟ ولفظ القوت: يقال إن العبد إذا تلا القرآن واستقام نظر اللهُ

---

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٣١٠.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ١٠٨، وتمامه: «الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادي قوم لا يصلون فيه، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء».

(٣) لم أقف عليه في المعجم الكبير، ولكن رواه ابن مردويه في جزء انتقاه علىٰ الطبراني ص ٣٣٢ (ط - أضواء السلف).

(٤) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٦.

إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عَزَّوَجَلَّ: ما لك ولكلامي وأنت مُعرِض عني؟ دَعْ عنك كلامي إن لم تَتُبْ إليَّ.

(**وقال ابن الرَّمَّاح**) هو عمر بن ميمون قاضي بَلْخ، وقد تقدَّم ذِكرُه قريبًا (**ندمت علىٰ استظهاري القرآن**) أي حفظي له علىٰ ظهر الغيب (**لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يُسئلون عمَّا يُسئل عنه الأنبياء يوم القيامة**) أي لأن حامل القرآن في مقام النبوَّة إلا أنه لا يوحَىٰ إليه، كما تقدَّم قريبًا.

(**وعن ابن مسعود**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه صاحب الحلية فقال[1]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا مالك بن مغول، حدثنا أبو يعفور، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قال: (**ينبغي لحامل القرآن أن يُعرَف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون**) كذا في النسخ، وفي الحلية: يخلطون (**وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون**) باكيًا، محزونًا، حكيمًا، حليمًا (**سِكِّيتًا**) بكسر فتشديد الكاف، أي كثير السكوت (**ليِّنًا**) وليست هذه في الحلية (**ولا ينبغي**) لحامل القرآن (**أن يكون جافيًا**) أي غليظ الخُلُق (**ولا مماريًا**) أي مخاصمًا وفي الحلية بعد قوله «جافيًا»: ولا غافلاً (**ولا صيَّاحًا**) كثير الصياح (**ولا صخَّابًا**) شديد الصوت في الأسواق (**ولا حديدًا**) أي صاحب حِدَّة في الخُلُق بأن يغضب سريعًا. وقد تقدَّم شيء من ذلك من حديث ابن عمرو قريبًا.

(**وقال** ﷺ: **أكثرُ منافقي هذه الأمَّة قُرَّاؤها**) قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] من حديث عُقْبة بن عامر وعبد الله بن عمرو، وفيهما ابن لهيعة.

---

(١) حلية الأولياء ١/ ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) المغني ١/ ٢٢٣.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢٨/ ٥٩٧، ٦٢٨.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير[١] مثل رواية أحمد، ورواه كذلك البيهقي في السنن وفي الشُّعَب[٢] عن ابن عمرو، ورواه كذلك ابن عدي[٣] في ترجمة الفضل ابن مختار والحاكم في «تاريخ نيسابور» في ترجمة عبد الله بن خالد التميمي عن عصمة بن مالك. قال الهيثمي[٤]: أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف. ولفظهم كلهم: «أكثر منافقي أمَّتي». وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف قال[٥]: حدثنا زيد بن الحُباب قال: حدثني عبد الرحمن بن شُرَيح، حدثنا شراحيل بن يزيد المعافري قال: سمعت محمد بن هدية الصدفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول ... فساقه.

قال الزمخشري[٦]: أراد بالنفاق: الرياء؛ لأن كليهما إراءة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن.

وقال غيره[٧]: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد؛ لأن المنافق أظهر الإيمان بالله وأضمر عصمة دمه وماله، والمرائي أظهر بعمله الآخرةَ وأضمر ثناء الناس وعَرَض الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرىٰ نفسه أهلاً له، وينظر إلىٰ عمله بعين الإجلال، فأشبه المنافقَ، واستويا في مخالفة الباطن الظاهر.

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٢٥، ١٧/ ٣٠٥.

(٢) شعب الإيمان ٩/ ٢١٧. ولم أقف عليه في السنن.

(٣) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٠٤١.

(٤) مجمع الزوائد ٦/ ٣٤٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٠.

(٦) الفائق في غريب الحديث ٤/ ١١.

(٧) هو أبو بكر الكلاباذي في كتابه بحر الفوائد [أو معاني الأخبار] ص ٥٥ (ط - دار الكتب العلمية).

وقال صاحب القوت: هذا نفاق الوقوف مع سوىٰ الله تعالىٰ والنظر إلىٰ غيره، لا نفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل، فهو لا ينتقل من التوحيد، ولكنه لا ينتقل إلىٰ مقام المزيد.

(وقال ﷺ: **اقرأ القرآن ما نهاك**) عن[١] المعصية وأمرك بالطاعة، أي ما دمتَ مؤتمِرًا بأمره، منتهيًا بنهيه وزجره (**فإن لم يَنْهَكَ فلست تقرؤه**) وفي رواية: فلست بقارئ، أي لإعراضك عن متابعته لم تظفر بفوائده وعوائده، فيعود حُجَّةً عليك وخصما غدًا، فقراءته بدون ذلك لقلقة لسان، بل جارَّة إلىٰ النيران؛ إذ مَن لم ينتهِ بنهيه فقد جعله وراء ظهره، ومَن جعله خلفه ساقه إلىٰ النيران، فلا بدَّ لقارئه من الاهتمام بامتثال أوامره ونواهيه.

قال العراقي[٢]: رواه الطبراني[٣] من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف.

قلت: وكذا أبو نعيم[٤]، ومن طريقهما أخرجه الديلمي[٥]، وفيه إسماعيل بن عَيَّاش، قال الذهبي في الضعفاء[٦]: ليس بقوي. وقال ابن عدي: لا يُحتَجُّ به[٧].

وممَّا يؤيِّد معنىٰ ما ذكرتُه في تفسير الحديث المذكور ما رواه الطبراني في الأوسط[٨] من حديث أنس رفعه: «مَن قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يُحِل حلالَه ويحرِّم حرامه حرَّم الله لحمه ودمه علىٰ النار، وجعله رفيق السَّفَرة الكرام

(١) فيض القدير ٢/ ٦١.

(٢) المغني ١/ ٢٢٣.

(٣) المعجم الكبير ١٣/ ٦٢٢.

(٤) رواه في حلية الأولياء ٥/ ١٧٧ من قول مكحول الدمشقي.

(٥) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٣٣ من حديث أبي سعيد الخدري.

(٦) الذي في ديوان الضعفاء للذهبي ص ٣٦: «ضعيف في غير الشاميين».

(٧) عبارة ابن عدي في الكامل ١/ ٢٩٦: «هو ممن يكتب حديثه ويحتج به في حديث الشاميين خاصة».

(٨) لم أقف عليه في المعجم الأوسط، وهو في المعجم الصغير ٢/ ٢٥٤.

[البَرَرة] حتىٰ إذا كان يوم القيامة كان القرآن حُجَّة له». ورواه نحو ذلك البيهقي[١] من حديث أبي هريرة.

(**وقال ﷺ: ما آمن بالقرآن مَن استحلَّ مَحارمه**) قال الطيبي[٢]: من استحلَّ ما حرَّم الله [في القرآن] فقد كفر مطلقًا، وإنما خصَّ القرآن لعظمته وجلالته.

قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] من حديث صُهَيب وقال: ليس إسناده بالقوي.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير[٥] والبغوي[٦] والبيهقي[٧]، وقال البغوي: حديث ضعيف. ورواه عبد بن حميد[٨] عن أبي سعيد.

(**وقال بعض السلف: إن العبد لَيفتتحُ سورة**) من القرآن (**فتصلي عليه الملائكة حتىٰ يفرغ منها**) أي من قراءتها (**وإن العبد لَيفتتحُ سورة**) من القرآن (**فتلعنه حتىٰ يفرغ منها**) قراءةً (**فقيل له: كيف ذلك؟ قال: إذا أحلَّ حلالها وحرَّم حرامَها**) أي إذا ائتمر بأمرها وانتهىٰ عن زجرها (**صلَّت عليه وإلا لعنته**) نقله صاحب القوت هكذا.

---

(١) شعب الإيمان ٣/ ٣٧٥، وتمامه بعد قوله (البررة): «وإذا كان يوم القيامة كان القرآن له حجيجًا فقال: يا رب، كل عامل يعمل في الدنيا يأخذ بعمله من الدنيا إلا فلان كان يقوم في آناء الليل وآناء النهار فيحل حلالي ويحرم حرامي، فيقول: يا رب فأعطه، فيتوجه الله تاج الملك، ويكسوه من حلل الكرامة، ثم يقول: هل رضيت؟ فيقول: يا رب، أرغب له في أفضل من هذا. فيعطيه الله عَزَّوَجَلَّ الملك بيمينه، والخلد بشماله، ثم يقال له: هل رضيت؟ فيقول: نعم يا رب. ومن أخذه بعدما يدخل في السن فأخذه وهو ينفلت منه أعطاه الله أجره مرتين».

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٥/ ١٦٨٩.

(٣) المغني ١/ ٢٢٣.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٩.

(٥) المعجم الكبير ٨/ ٣٦.

(٦) معجم الصحابة ٣/ ٣٤٧.

(٧) شعب الإيمان ١/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ١٢٧.

(وقال بعض العلماء: إن العبد لَيتلو القرآن فيلعن نفسَه وهو لا يعلم) بذلك (**يقرأ** ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨] **وهو ظالم نفسه**) أو غيره (﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آل عمران: ٦١] **وهو منهم**) أي من المتَّصفين بالكذب. نقله صاحب القوت هكذا.

وفي هذين القولين تفسير لقول أنس السابق: رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله مخاطبًا للقُرَّاء: (**إنكم اتَّخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملًا، فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن مَن كان قبلكم رأوه رسائل**) أتتهم (**من ربِّهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل وينفِّذونها بالنهار**) نقله صاحب القوت هكذا. ومعنىٰ «ينفِّذونها بالنهار» أي يُمضُون العمل بما فيها إذا أصبحوا.

(**وقال ابن مسعود**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من قبله: (**أُنزِل القرآن عليهم ليعملوا به، فاتَّخذوا دراسته عملاً، إن أحدهم لَيقرأُ القرآن من فاتحته إلىٰ خاتمته ما يُسقِط منه حرفًا وقد أسقط العملَ به**) نقله صاحب القوت هكذا.

(**وفي حديث**) عبد الله (**بن عمر**) بن الخطاب (**وحديث**) أبي ذرٍّ (**جُندب**) بن جُنادة الغِفاري (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) قالا: (**لقد عشنا دهرًا طويلاً**) وفي القوت: برهة من دهرنا (**وأحدنا يؤتَىٰ الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة**) من القرآن (**علىٰ محمد** ﷺ **فنتعلَّم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن نقف عنده منها**) كما تتعلَّمون أنتم القرآن (**ثم لقد رأيت رجالاً يؤتَىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلىٰ خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدَّقَل**) هكذا نقله صاحب القوت. أخرجه النحَّاس في كتابه[1] فقال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري حدثنا [هلال بن العلاء قال: حدثنا أبي و] عبد الله بن

---

(١) القطع والائتناف لأبي جعفر النحاس ص ١٢ (ط - دار عالم الكتب بالرياض).

جعفر [قالا] حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أُنَيسة، عن القاسم بن عوف البكري قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لقد عشنا بُرْهة من دهرنا ... فساقه، ثم قال: فهذا الحديث يدل علىٰ أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف[1] كما يتعلَّمون القرآن، وقوله: لقد عشنا ... الخ، يدل علىٰ أن ذلك إجماع من الصحابة.

قال السيوطي[2]: هذا الأثر أخرجه البيهقي في سننه عن علي في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤][3].

وقد تقدَّم شيء من ذلك في كتاب العلم مفصَّلاً.

ثم قال صاحب القوت بعد إيراده الكلام السابق ما نصه: وهذا كما قال؛ لأن المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لأوامره والانتهاء عن زواجره؛ إذ حفظُ حدوده مفترَض، ومسؤول عنه العبد، ومعاقَب عليه، وليس حفظ حروفه فريضة، ولا عقاب علىٰ العبد إذا لم يحفظ ما وسعه منه.

(وقد ورد في التوراة: يا عبدي) ولفظ القوت: وقرأت في سورة الحنين من التوراة: **(أما تستحي مني؟ يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبَّره حرفًا حرفًا حتىٰ لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلتُه إليك، انظر كم فصَّلت لك فيه من القول وكم كرَّرت عليك فيه لتتأمَّل طوله وعرضه، ثم أنت مُعرِض عنه، أفكنتُ أهون عليك)** عزَّ ربِّي وجَلَّ **(من بعض إخوانك. يا عبدي، يقعد إليك بعض إخوانك فتُقبِل عليه بكل وجهك، وتصغي إلىٰ حديثه بكل قلبك، فإن تكلم)** إليك **(متكلم أو شغلك شاغل عن**

---

(١) في القطع والائتناف: التمام.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ص ١٧٧.

(٣) في كلام الشارح خلط، ونص السيوطي بعد أن نقل كلام النحاس السابق: «أخرج هذا الأثر البيهقي في سننه [٣/ ١٧١]. وعن علي في قوله تعالىٰ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف».

حديثه أومأتَ إليه أنْ كُفَّ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدِّث لك، وأنت مُعرِض بقلبك عنىٰ، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك) عز ربي و جل. أو كما قال.

هكذا نقله صاحب القوت بتمامه.

(الباب الثاني: في ظاهر آداب التلاوة)

(وهي عشرة:

الأول: في حال القارئ، وهو أن يكون على) أكمل حالات الطهارة، فيغتسل لقراءة القرآن إن أمكنه، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيَّب و يتبخَّر بأطيب ما يجد عنده إن أمكنه ذلك، وإلا اقتصر علىٰ (**الوضوء**) والتيمُّم ينوب عنه. ويُسَنُّ[١] أن يستاك تعظيمًا وتطهيرًا، فقد روىٰ ابن ماجه[٢] والبزار[٣] عن علي مرفوعًا بسند جيِّد: «إن أفواهكم طرق للقرآن، فطيِّبوها بالسواك». ولو قطع القراءة وعاد عن قرب فمقتضىٰ استحباب التعوُّذ إعادة السواك أيضًا (**واقفًا علىٰ**) أحسن (**هيئة الأدب والسكون**) في نفسه، وتسكين الأطراف علىٰ أيِّ حال كان (**إمَّا قائمًا**) علىٰ قدميه (**وإمَّا جالسًا**) حالةَ كونه (**مستقبِل القِبلة**) إذ أشرف المجالس ما استُقبِل به القبلة (**مطرقًا رأسه**) فإن كان متطيلسًا فهو الأحسن؛ إذ هو الخَلْوة الصغرىٰ (**غير متربِّع**) علىٰ قُرفصائه (**ولا متَّكئ**) علىٰ وسادة أو جدار أو شَبههما (**ولا جالسًا علىٰ هيئة التكبُّر**) بأن يجعل إحدىٰ رِجليه علىٰ الأخرىٰ، أو غير ذلك (**ويكون جلوسه وحده**) لكونه يختلي بربِّه (**كجلوسه بين يدي أستاذه**) علىٰ غاية المَهابة (**وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائمًا**) سواء كانت فرضًا أو نفلاً (**وأن يكون في المسجد، فذلك من أفضل الأعمال**) لشرف المكان. وكره[٤] قوم القراءةَ في الحمَّام والطريق، قال

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ص ٢٢٣.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ٢٦٢ موقوفًا.

(٣) مسند البزار ٢/ ٢١٤، ولفظه: «إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فتسمَّع لقراءته فيدنو منه حتىٰ يضع فاه علىٰ فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهروا أفواهكم للقرآن».

(٤) الإتقان ص ٢٢٣.

النووي[١]: ومذهبنا لا تُكرَه فيهما. قال: وكرهها الشعبي في الحُشِّ وبيت الرحا وهي تدور. قال: وهو مقتضىٰ مذهبنا (**فإن قرأ علىٰ غير وضوء وكان مضطجعًا في الفراش**) وهو في البيت، كل ذلك مع عدم قيام المانع (**فله أيضًا فضلٌ، ولكنه دون ذلك**) وذلك لأنه (**قال الله تعالىٰ**) في مدح الذاكرين الله، وهو يشمل التالينَ: (﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ﴾) أي في سائر أحوالهم ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ أي مضطجعين عليها ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] **فأثنىٰ علىٰ الكل**) في معرض واحد (**ولكن قدَّمَ القيامَ في الذِّكر**) فعُرف منه أنه أفضل (**ثم القعود**) فيه (**ثم الذِّكر مضطجعا**) ففضل تلك الحالات علىٰ هذا الترتيب. قال[٢] إمام الحرمين[٣]: لا تُكرَه القراءة للمحدِث؛ لأنه صحَّ أن النبي ﷺ كان يقرأ مع الحدث. وفي شرح المهذَّب[٤]: وإذا كان يقرأ فعرضت له ريحٌ أمسك عن القراءة حتىٰ يستتمَّ خروجها. وأمَّا[٥] الجُنُب والحائض فتحرُم عليهما القراءة. نعم، يجوز لهما النظر في المصحف وإمراره علىٰ القلب. وأمَّا المتنجِّس الفم فتُكرَه له القراءة، وقيل: تحرُم كمسِّ المصحف باليد النجسة.

(**قال علي**) ابن أبي طالب (رضي الله عنه: **مَن قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة وهو علىٰ وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه علىٰ غير وضوء فعشر حسنات**) وهذا قد أخرجه[٦] الديلمي من حديث أنس[٧]

---

(١) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الإتقان ص ٢٢٢.

(٣) انظر: نهاية المطلب ١/ ٩٧ - ٩٩.

(٤) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٦٤.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي ص ٧٣ - ٧٤.

(٦) كنز العمال ١/ ٥٤١.

(٧) وأخرجه تمام الرازي في فوائده ٤/ ١٠٠ من حديث البراء بن عازب.

مرفوعًا، وفيه: «ومَن قرأه قاعدًا كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلىٰ كتاب الله كان له بكل حرف حسنة».

(وما كان من القيام بالليل فهو أفضل؛ لأنه أفرغُ للقلب) من الأشغال، وممَّا يدلُّ علىٰ أن القراءة بالليل أفضل منها بالنهار ما أخرجه مسلم[١] والأربعة[٢] وابن حبَّان[٣] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه: «مَن نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنَّما قرأه من الليل». وقد جاء ذلك صريحًا لكنه مقيَّد بآخر الليل فيما أخرجه مسلم[٤] من حديث جابر رضي الله عنه رفعه قال: «أيُّكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتِرْ ثم ليرقد، ومَن وَثِقَ بالقيام من الليل فليوتر من آخر الليل؛ فإنَّ قراءة آخر الليل محضورة، وذلك أفضل».

(**قال أبو ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل**) هكذا نقله صاحب القوت. وقد ورد في كلٍّ من كثرة السجود وطول القيام أخبار حِسان، تقدَّمَ ذِكرُ بعضها في كتاب الصلاة.

(**الثاني: في مقدار القراءة[٥]، وللقرَّاء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار**) في تمكُّنهم من الحفظ وسرعة اللسان وبطئه (**فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة**) وكان الشافعي يفعل كذلك في سائر سَنَته غير شهر رمضان، وأخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق مالك أن عمر بن حسين كان يختم القرآن في كل

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٣٨.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٠٢. سنن الترمذي ١/ ٥٧٩. سنن النسائي ص ٢٩٠. سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٤.
(٣) صحيح ابن حبان ٦/ ٣٧٠.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٤١.
(٥) انظر: نتائج الأفكار لابن حجر ٣/ ١٤٣ - ١٦٨. طرح التثريب للعراقي ٣/ ١٠٢ - ١٠٤.

يوم وليلة. وروىٰ ابن أبي شيبة[١] ذلك عن علي الأزدي وعلقمة **(وبعضهم مرَّتين)** كان الشافعي إذا دخل شهر رمضان ختم في اليوم والليلة مرَّتين، وكذلك كان يفعله الأسود وصالح بن كيسان وأبو شيخ الهُنائي. قال ابن عبد البر[٢]: كان سعيد بن جُبَير وجماعة يختمون القرآن مرتين وأكثر في ليلة **(وانتهىٰ بعضهم إلىٰ ثلاث)** ختمات، أي في اليوم والليلة، ورُوي ذلك عن سليم بن عِتْر، وهو تابعي كبير، شهد فتح مصر في عهد عمر، ثم ولاَّه معاوية القصص، ثم ضمَّ إليه القضاء، مات بدمياط سنة خمس وسبعين. أخرجه أبو عبيد[٣] عن سعيد ابن عُفَير عن بكر بن مُضَر عنه أنه كان يختم في الليلة ثلاث ختمات، ويجامع ثلاث مرات، فلمَّا مات قالت امرأته: يرحمك الله، إنْ كنتَ لَترضي ربَّك وترضي أهلك. وأخرجه ابن أبي داود من رواية ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عنه بنحوه مختصرًا.

قال النووي في الأذكار[٤]: وأكثر ما بلغنا في ذلك عن ابن الكاتب أنه كان يقرأ في اليوم والليلة ثماني ختمات.

قال الحافظ في نتائجه: ابن الكاتب هذا حسين بن أحمد، يكنىٰ أبا علي، ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة[٥]، وأرَّخ وفاته بعد الأربعين وثلاثمائة. وأخرج أثره هذا أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية»[٦] عن أبي عثمان المغربي - واسمه سعيد - قال: كان ابن الكاتب ... فذكره.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥١١.

(٢) الاستذكار ٨/ ٢٠.

(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٤) الأذكار ص ٨٥ - ٨٦، وعبارته: «وختم بعضهم في اليوم والليلة ثماني ختمات، أربعًا في الليل وأربعًا في النهار، وممن ختم أربعًا في الليل وأربعًا في النهار السيد الجليل ابن الكاتب الصوفي، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة».

(٥) الرسالة القشيرية ص ١١١ - ١١٢.

(٦) لم أقف علىٰ ذلك في طبقات الصوفية.

وقال أبو نعيم[١]: حدثنا أبو حامد ابن جَبَلة[٢]، حدثنا أحمد بن الحسين الحَذَّاء، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني محمد بن عُيَينة، حدثني مَخْلَد ابن الحسين، سمعت هشام بن حسَّان يقول: كنت أصلي إلىٰ جنب منصور بن زاذان، فكان إذا جاء شهر رمضان ختم فيما بين المغرب والعشاء ختمتين، ثم قرأ إلىٰ الطواسين قبل أن تُقام الصلاة، وكانوا إذ ذاك يؤخِّرون العشاء في رمضان إلىٰ أن يذهب ربع الليل، وكان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء [في غير شهر رمضان].

وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا أبو حامد ابن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا محمد بن زكريا بن إسماعيل، سمعت مَخْلَد بن الحسين يحدِّث عن هشام ابن حسَّان قال: صلَّيت إلىٰ جنب منصور بن زاذان يوم الجمعة في مسجد واسط، فختم القرآن مرتين، وقرأ الثالثة إلىٰ الطواسين. قال مخلد: ولو غير هشام حدثني بهذا لم أصدِّقه.

وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا عباس - هو الدُّوري - حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير، حدثنا شعبة، عن هشام بن حسان قال: صلَّيت إلىٰ جنب منصور بن زاذان، فقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء، وبلغ في الثانية إلىٰ النحل.

وأخرجه محمد بن نصر في قيام الليل[٣] عن الدُّوري عن يحيىٰ بن أبي بُكَير، وسنده صحيح.

(**ومنهم من يختم في الشهر مرة**) وقد ورد الأمر به مصرَّحًا في حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص عند الترمذي والنسائي، وأصله في الصحيحين، كما سيأتي

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) كذا هنا وفي نتائج الأفكار، وفي الحلية: أبو محمد ابن حيان.

(٣) مختصر قيام الليل ص ١٥٨.

قريبًا. وأكثر العلماء علىٰ أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة.

(وأَولىٰ ما يُرجَع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه) قال العراقي[١]: رواه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو، وصحَّحه الترمذي.

قلت: رواه الترمذي[٢] والنسائي[٣] من رواية سعيد بن أبي عروبة[٤] عن قتادة عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو رفعه بلفظ: «لم يفقه مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث». ورواه أحمد[٥] عن عفَّان بن مسلم ويزيد ابن هارون كِلاهما عن همَّام بن يحيىٰ عن قتادة. ورواه أبو داود[٦] والدارمي[٧] عن محمد بن المِنْهال عن يزيد بن زُرَيع عن سعيد بن أبي عروبة. ورواه أبو داود الطيالسي[٨] عن همَّام بن يحيىٰ.

وقد جاء في كراهية قراءته في أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة، منهم معاذ بن جبل. قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٩]: حدثنا يزيد - هو ابن هارون - حدثنا هشام بن حسَّان، عن حفصة بنت سيرين، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يكره أن يُقرأ القرآن في أقل من ثلاث[١٠]. وأخرجه ابن أبي داود من

---

(١) المغني ١/ ٢٢٥.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٦٤.

(٣) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٧٧.

(٤) كذا هنا، وهو خطأ، وكذا ما سيذكره الشارح بعد هذا من رواية الدارمي. فالحديث من رواية شعبة عن قتادة.

(٥) مسند أحمد ١١/ ٩٢، ١٠٤، ٣٨٩، ٤١٣، ٤٣١.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ٢٣٩.

(٧) سنن الدارمي ١/ ٤١٨.

(٨) مسند الطيالسي ٤/ ٣٣.

(٩) فضائل القرآن ص ١٧٩.

(١٠) بعده في نتائج الأفكار: «رواته ثقات، لكنه منقطع بين أبي العالية ومعاذ».

رواية سفيان الثوري وخالد بن عبد الله كِلاهما عن هشام بن حسان.

ومنهم عبد الله بن مسعود، أخرج سعيد بن منصور وابن أبي داود من طريق أبي الأحوص عنه قال: لا تقرؤوا القرآن في أقل من ثلاث. وأخرجه ابن أبي داود أيضًا من طرق عنه من قوله ومن فعله.

وقال أبو عبيد[١]: حدثنا حجاج هو ابن محمد ويزيد هو ابن هارون، الأول عن شعبة، والثاني عن سفيان الثوري، كِلاهما عن علي بن بَذِيمة، عن أبي عبيدة وهو ابن عبد الله بن مسعود، عن ابن مسعود قال: مَن قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز. وأخرجه ابن أبي داود من رواية شعبة وسفيان ومن طرق أخرىٰ عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة.

ورویٰ سعيد بن منصور[٢] من طرق جماعة من التابعين أنهم كانوا يقرأون في ثلاث، منهم إبراهيم النَّخَعي وأبو إسحاق السبيعي والمسيب بن رافع وطلحة ابن مصرف وحبيب بن أبي ثابت.

وقد جاء ذلك في حديث مرفوع، قال الدارمي[٣]: حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا عُقْبة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، حدثني عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن لا أقرأ القرآن في أقل من ثلاث.

عبد الرحمن بن زياد فيه مقالٌ، ولكن يتقوَّىٰ حديثه بشواهد.

(**وذلك لأن الزيادة علىٰ ذلك تمنع الترتيلَ**) وجعل ابن حزم الظاهري قراءته في أقل من ثلاث حرامًا، فقال[٤]: يُستحَب أن يختم القرآن مرة في الشهر، ويُكرَه أن يختم في أقل من خمسة أيام، فإن فعل ففي ثلاثة أيام، لا يجوز أن يختم القرآن في

(١) فضائل القرآن ص ١٨٠.

(٢) الذي في نتائج الأفكار أن ابن أبي داود هو الذي رویٰ ذلك عن هؤلاء التابعين.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٥٦٢.

(٤) المحلىٰ ٣/ ٥٣.

أقل من ذلك، ولا يجوز لأحد أن يقرأ أكثر من ثلث القرآن في يوم وليلة.

ثم استدلَّ علىٰ ذلك بالحديث المتقدِّم.

قال الوليُّ العراقي: ولا حُجَّة في ذلك علىٰ تحريمه، ولا يقال: كل من لم يتفقَّه في القرآن فقد ارتكب محرَّمًا، ومراد الحديث أنه لا يمكن مع قراءته في أقل من ثلاث التفقُّه فيه والتدبُّر لمعانيه، ولا يتَّسع الزمان لذلك، وقد رُوي عن جماعة من السلف قراءة القرآن كلِّه في ركعة واحدة، منهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير.

(**فقد قالت عائشة ﵂ لمَّا سمعت رجلاً يهذر القرآن هذرًا: إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت**) أخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن محمد بن بشَّار ويزيد بن محمد بن المغيرة، كِلاهما عن وَهْب بن جرير، عن أبيه، سمعت يحيىٰ بن أيوب يحدِّث عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن زياد بن ربيعة بن نعيم الحضرمي، عن مسلم بن مِخْراق قال: قلت لعائشة ﵂: إن رجلاً يقرأ حزبه القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثًا. فقالت: قرأه ولم يقرأه ... الحديث[١].

(**وأمر النبي ﷺ عبد الله بن عمرو**) بن العاص (﵄ **أن يختم القرآن في كل سبع**) قال العراقي[٢]: متفق عليه من حديثه.

قلت: رواه البخاري[٣] عن إسحاق بن منصور، ومسلم[٤] عن القاسم بن

(١) نص الحديث في نتائج الأفكار: «قلت لعائشة: إن رجالًا يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثًا. فقالت: قرأوا ولم يقرأوا، كنت أقوم مع رسول الله ﷺ ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا ورغب، ولا بآية فيها تخويف إلا دعا واستعاذ». قال ابن حجر: هذا حديث حسن. والحديث أخرجه أيضا: أحمد في مسنده ٤١/ ١٥٥، ٣٦٩. وأبو يعلىٰ في مسنده ٨/ ٢٥٧. وابن المبارك في الزهد ص ٣٤١. وابن الضريس في فضائل القرآن ص ٢٨.

(٢) المغني ١/ ٢٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ٣٥٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٥١٥.

زكريا، كِلاهما عن عُبَيد الله بن موسىٰ، عن شيبان بن عبد الرحمن، ثنا يحيىٰ بن أبي كثير، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن -قال، أعني يحيىٰ: وأحسبني سمعتُه من أبي سلمة - عن عبد الله بن عمرو ﵄ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر». قلت: إني أجد قوة. قال: «اقرأه في عشر»[1]. قلت: إني أجد قوة. قال: «اقرأه في سبع[2]، ولا تَزِدْ علىٰ ذلك».

وله شاهد من حديث غريب، قال الحافظ أبو عبد الله ابن منده: أخبرنا أحمد ابن محمد بن إبراهيم، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان، عن أبيه، عن قيس بن أبي صعصعة ﵁ أنه قال: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «في خمس عشرة». قال: إني أجدني أقوىٰ من ذلك. قال: «اقرأه في جمعة».

وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن»[3] عن يحيىٰ بن بكير عن ابن لهيعة. وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب «قيام الليل»، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب الشريعة، جميعًا عن محمد بن يحيىٰ عن سعيد بن أبي مريم. وأخرجه أبو علي ابن السكن في كتاب الصحابة عن إبراهيم بن حمدويه عن أبي حاتم الرازي. قال ابن السكن وابن أبي داود: ليس لقيس غيره. زاد الأخير: وهو أنصاري شهد بدرًا. وزاد ابن السكن: لم يروِه غير ابن لهيعة.

(وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة) مرة **(كعثمان)** بن عفَّان **(وزيد بن ثابت و)** عبد الله **(بن مسعود وأُبَي بن كعب ﵃)** هكذا نقله عنهم صاحب القوت، فنقل عن عثمان ﵁ كما سيأتي بيانه في وجه القسمة في الأدب الثالث، ثم قال: وكذلك زيد بن ثابت وأُبَي بن كعب كانا يختمان

---

(١) في صحيح مسلم: في عشرين ليلة.

(٢) في رواية البخاري: «قلت: إني أجد قوة، حتىٰ قال: فاقرأه في سبع ...» الخ.

(٣) فضائل القرآن ص ١٧٧.

القرآن في كل سبع، وروينا عن ابن مسعود أنه سبَّعَ القرآن في سبع ليالٍ.

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[١] عن الصحابة الذين كانوا يختمون في سبع ومَن بعدهم من التابعين، فذكر فيهم تميمًا الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: وأمر به ابنُ مسعود. وذكر عبد الرحمن بن يزيد وإبراهيم النَّخَعي وعروة بن الزبير وأبا مِجْلَز، واستحسنه مسروق، وذكر أُبَيًّا فيمن كان يختمه في ثلاث[٢]، وتقدَّمَ عن ابن مسعود أيضًا أنه كان يختمه في ثلاث.

وقال أبو عبيد في «فضائل القرآن»[٣]: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا شعبة، عن محمد بن ذكوان - من أهل الكوفة - قال: سمعت عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يقول: كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير[٤] رمضان من الجمعة إلىٰ الجمعة.

وأخرجه ابن أبي داود في الشريعة من رواية أبي عامر العقدي ومن رواية يحيىٰ بن سعيد القَطَّان عن شعبة بلفظ: في كل أسبوع.

وأخرج أيضًا من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود أنه كان يقول: اقرؤوا القرآن في سبع. وسنده صحيح.

وهذا هو مراد ابن أبي شيبة حيث قال: وأمر به ابنُ مسعود.

وقال أبو عبيد أيضًا[٥]: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن أبي قِلابة قال: كان أُبَي بن كعب يختم في كل ثمان، وكان تميم الداري يختم في كل سبع.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥٠٨ - ٥١٠.
(٢) الذي في المصنف عن أبي بن كعب أنه كان يختم القرآن في ثمان. وسيذكر الشارح ذلك قريبًا.
(٣) فضائل القرآن ص ١٧٧.
(٤) في المطبوعة ونتائج الأفكار: في شهر. والتصويب من فضائل القرآن.
(٥) فضائل القرآن ص ١٧٨.

وأخرج ابن أبي داود الختم في السبع بأسانيد صحيحة عن عثمان وابن مسعود وتميم الداري، وأخرج أيضًا عن أبي العالية في أصحابه نحو ذلك، ومن طريق أبي مِجْلَز عن أئمَّة الحل، وعن عبد الرحمن بن يزيد وعلقمة بن قيس ومسروق ابن الأجدع، وهؤلاء من كبار التابعين من أصحاب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرج عن جماعة ممَّن دونهم نحو ذلك. ومن طريق الهيثم بن حميد عن رجل عن مكحول قال: كان أقوياء من أصحاب رسول الله ﷺ يقرؤون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك.

قال الحافظ: وهذا أثر ضعيف من أجل الرجل الذي لم يُسَمَّ.

قلت: ولكن ذكر الحافظ الذهبي في الكاشف في ترجمة الهيثم بن حميد أنه راوية مكحول، كما سيأتي.

تنبيه:

وممَّن كان يختم في كل عشر: الحسن البصري، رواه ابن أبي داود بسند ليِّن.

ومنهم أبو رجاء العُطاردي واسمه عمران بن ملحان، رواه ابن أبي داود أيضا[1] عن أبي الأشهب العُطاردي عنه، لكن قيَّده بشهر رمضان.

وأمَّا مَن كان يختم في ثمان، فأخرج ابن أبي داود[2] من طريق أبي قِلابة عن أبي المهلَّب عن أُبَي بن كعب قال: اقرأوا القرآن في كل ثمان.

وأخرج سعيد بن منصور من وجه آخَر عن أبي قلابة أن أُبَي بن كعب كان يختم القرآن في كل ثمان.

وأمَّا في كل ستٍّ، فقال أبو عبيد[3]: حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم

(١) وكذلك ابن سعد في الطبقات الكبرى ٩/ ١٣٩.

(٢) وأخرجه أيضـاً جعفر الفريابي في فضائل القرآن ص ٢٢١ - ٢٢٢ (ط - مكتبة الرشد).

(٣) فضائل القرآن ص ١٧٨.

قال: كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في كل ستٍّ.

وأمَّا في كل خمس، فرواه أبو عبيد بهذا السند إلىٰ إبراهيم قال: كان علقمة بن قيس يختم في خمس.

ومن طريق[1] شعبة عن منصور عن إبراهيم قال: كان علقمة يكره أن يختم في أقل من خمس.

وأمَّا في كل أربع، فأخرج ابن أبي داود من طريق مغيث بن سُمَيٍّ قال: كان أبو الدرداء يختم القرآن في كل أربع. والله أعلم.

(ففي الختم أربع درجات: في يوم وليلة، وقد كرهه جماعة) من أهل العلم لِما تقدَّم، منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ **(والختم في كل شهر، كل يوم جزء من ثلاثين جزءًا)** بستين حزبًا، كل حزب نصف الجزء **(وكأنَّه مبالغة في الاقتصار، كما أن الأول مبالغة في الاستكثار)** غير أنه رُوي[2] عن الإمام أحمد أنه قال: أكثر ما سمعتُ أنه يُختَم القرآن في أربعين. وكره أصحابُه تأخيره أكثر من ذلك؛ لأنه يفضي إلىٰ التهاون به والنسيان له، قالوا: وهذا إذا لم يكن له عذرٌ، فأمَّا مع العذر فواسع له.

وقال أبو الليث السَّمَرْقَندي من أصحابنا في كتابه البستان[3]: ينبغي للقارئ أن يختم القرآن في السنة مرَّتين إن لم يقدر علىٰ الزيادة، وقد روىٰ الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: قراءة القرآن في كل سنة مرتين إعطاءٌ لحقِّه؛ لأن النبي ﷺ عرضه علىٰ جبريل عليه السلام في السنة التي قُبض فيها مرتين.

(وبينهما درجتان معتدلتان، إحداهما: في الأسبوع مرة) وعليه أكثر السلف،

---

(١) يعني: رواه ابن أبي داود من طريق شعبة ... الخ.

(٢) المغني لابن قدامة ٢/ ٦١١ - ٦١٢.

(٣) بستان العارفين ص ٢٧ - ٢٨ (ط - المطبعة اليوسفية بمصر).

كما أورده النووي في الأذكار[١] والتبيان[٢] **(والثاني: في الأسبوع مرتين تقريبًا من الثلاث. والأَحَبُّ)** للمريد **(أن يختم)** في كل أسبوع مرتين: **(ختمة بالنهار، وختمة بالليل)** قال ابن المبارك: إن كان الصيف فيكون بالنهار، وإن كان الشتاء فيكون بالليل **(ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتَي الفجر أو بعدهما، ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتَي المغرب أو بعدهما؛ ليستقبل بختمتَيْه أول النهار وأول الليل؛ فإنَّ الملائكة تصلي عليه إن كان ختمُه ليلاً حتىٰ يصبح، و)** تصلي عليه **(إن كان)** ختمه **(نهارًا حتىٰ يمسي)** فهذا الوقتان يستوفيان كليةَ الليل والنهار. كذا في القوت **(فتشمل بركتُهما جميعَ الليل والنهار)** فروىٰ ابن أبي داود من طريق أبي مكين نوح بن ربيعة عن عمرو بن مُرَّة قال: كانوا يحبُّون أن يُختَم القرآن في أول الليل أو في أول النهار.

وقال الدارمي في سننه[٣]: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد بن عبد الرحمن، عن طلحة بن مصرف وعبد الرحمن بن الأسود قالا: مَن قرأ القرآن ليلاً أو نهارًا صلَّت عليه الملائكة إلىٰ الليل أو إلىٰ النهار. وقال أحدهما: غُفر له.

وأخرجه ابن أبي داود من رواية عبدة بن أبي لُبابة عن مجاهد بلفظ: إن ختمه نهارًا صلَّت عليه الملائكة حتىٰ يمسي، وإن ختمه ليلاً صلَّت عليه الملائكة حتىٰ يصبح.

وقال الدارمي: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لُبابة ... فذكر معناه.

---

(١) الأذكار ص ٨٥.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن ص ٦١.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٥٦٠. وليس فيه (أو إلىٰ النهار).

وقال الدارمي أيضًا[١]: حدثنا محمد بن حميد، ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة بن سعيد، عن الليث، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد بن أبي وَقَّاص، عن أبيه قال: مَن وافق ختم القرآن أول الليل صلَّت عليه الملائكة حتىٰ يصبح، وإن وافق ختمه آخر الليل صلَّت عليه حتىٰ يمسي[٢].

(**والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريقَ العمل**) لا شغل له سواه (**فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع**) علىٰ الوجه الذي ذُكر (**وإن كان من السالكين بأعمال القلب**) بأن كان اشتغاله حفظ الأنفاس والذِّكر القلبي (**وضروب الفِكر**) بأن كان من أهل المراقبة (**أو**) كان (**من المشتغلين**) بطلب العلم من أهله مطالعة وحفظًا ومدارسة ونسخًا، أو كان من الكاملين الراسخين المهتمِّين (**بنشر العلم**) تدريسًا وإلقاءً، أو من أهل الكَدِّ علىٰ تحصيل القوت لعياله (**فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع علىٰ مرة**) واحدة (**وإن كان نافذ الفكر**) ثاقبه (**في معاني القرآن**) ويغوص في استنباط جواهره ودُرَره (**فقد يكتفي في الشهر بمرة**) واحدة (**لكثرة حاجته إلىٰ كثرة الترديد والتأمُّل**) وهذا يستدعي عدمَ فراغ الوقت للتلاوة المجرَّدة.

وقال النووي في الأذكار[٣]: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمَن كان يظهر له بعد كمال فهم ما يقرأ النشاط فله ما يقرأ، ومَن كان مشغولاً بنشر

---

(١) السابق ٢/ ٥٦١.

(٢) زاد الدارمي: «فربما بقي علىٰ أحدنا الشيء فيؤخره حتىٰ يمسي أو يصبح». ثم قال: «هذا حسن عن سعد».

(٣) الأذكار ص ٨٦، ونصه: «والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر علىٰ قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو فصل الحكومات بين المسلمين أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين فليقتصر علىٰ قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلىٰ حدّ الملل أو الهذرمة في القراءة».

العلم والمصالح العامَّة فليقتصر علىٰ قَدْر لا يحصل به إخلال ما هو مُرصَد له ولا فوات كماله، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلىٰ حدِّ الملل أو الهذرمة في القراءة.

(الثالث: في وجه القسمة. **أمَّا مَن ختم في الأسبوع مرةً**) كما عليه أكثرُ السلف (**فيقسِّم القرآن سبعة أحزاب، فقد حزَّبَ الصحابةُ** رضوان الله عليهم **القرآن أحزابًا**) وأصل[1] الحزب: الوِرْد يعتاده الإنسان من صلاة وقراءة ونحو ذلك.

قال صاحب القوت: وليقرأ القرآن أحزابًا، في كل يوم وليلةٍ حزبٌ، فذلك أشد لمواطأة القلب، وأقوم للترتيل، وأدنىٰ إلىٰ الفهم. وإن أَحَبَّ قرأ في كل ركعة ثلث عُشر القرآن أو نصف ذلك، يكون [الجزء] من الأجزاء الثلاثين في كل ركعة أو ركعتين، وإن قرأ في كل وِرْد حزبًا أو حزبين أو دون ذلك فحَسنٌ.

(**فرُوي أن عثمان** رضي الله عنه **كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلىٰ المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلىٰ هود، وليلة الأحد بيوسف إلىٰ مريم، وليلة الاثنين بطه إلىٰ طسم موسىٰ وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلىٰ ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلىٰ الرحمن، ويختم ليلة الخميس**) قال صاحب القوت: روينا عن يحيىٰ بن الحارث الذِّماري عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه يفتتح ... فساقه.

قلت: وأخرجه[2] أيضًا ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق القاسم هذا بسند ليِّن.

وثبت أن عثمان رضي الله عنه كان يختم القرآن في ركعة، كما تقدَّمت إليه الإشارة.

قال أبو عبيد[3]: حدثنا هُشَيم، حدثنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت

(١) المصباح المنير ١/ ٨٤.

(٢) نتائج الأفكار ٣/ ١٦٥.

(٣) فضائل القرآن ص ١٨١، وفيه: «قالت نائلة بنت الفرافصة الكلبية».

امرأة عثمان حين دخلوا عليه ليقتلوه: إن تقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يحيي الليلَ في ركعة يجمع فيها القرآن.

وأخرجه الطبراني[١] من وجه آخَر عن ابن سيرين بنحوه.

وهذا يدلُّ علىٰ أنه كانت له أحوال مختلفة في ختم القرآن.

ثم قال صاحب القوت[٢]: (و) روينا عن (ابن مسعود) أنه (**كان يقسِّمه سبعة أقسام**) في سبع ليالٍ، ولكنه (**لا علىٰ هذا الترتيب**) لأن تأليفه علىٰ غير ترتيب مصحفنا هذا، فلم يُذكَر هنا؛ لأن الاعتبار لا يتبيَّن به.

وقد ذكر ترتيب مصحفه القسطلانيُّ في شرح البخاري[٣].

ثم قال صاحب القوت: (**وقيل: أحزاب القرآن سبعة، فالحزب الأول ثلاث سور، والحزب الثاني خمس سور، والحزب الثالث سبع سور، والرابع تسع سور، والخامس إحدىٰ عشرة سورة، والسادس ثلاث عشرة سورة، والسابع المفصَّل من ق إلىٰ آخره**) وهو الذي يعبِّر عنه بعض القرَّاء بـ «فمي بشوق» من الفاتحة إلىٰ المائدة، ومنها إلىٰ يونس، ثم منها إلىٰ بني إسرائيل، ثم منها إلىٰ الشعراء، ثم منها إلىٰ والصافَّات، ثم منها إلىٰ ق إلىٰ آخر القرآن (**فهكذا**) كانت أحزاب القرآن، وكذلك (**حزبه الصحابةُ ﷺ، وكانوا يقرؤونه كذلك، وفيه خبر**) وارد (**عن النبي ﷺ**) وكأنَّه حُزب علىٰ عدد الآي؛ إذ عددها ستة آلاف ومائتا آية وست وثلاثون آية. قال صاحب القوت: وقد اعتبرتُ ذلك في كل حزب فرأيتُه يتقارب (**وهذا قبل أن تُعمَل الأخماس والعواشر والأجزاء، فما سوىٰ هذا مُحدَث**) وأمَّا الخبر

(١) المعجم الكبير ١/ ٨٧.

(٢) قوت القلوب ١/ ١٣٨.

(٣) إرشاد الساري ٢/ ٩٧، ٧/ ٤٥٤.

المذكور في التحزيب فقال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] من حديث أوس بن حُذَيفة في حديث فيه أنه طرأ عليه حزبه من القرآن، قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ: كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدىٰ عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصَّل. وفي رواية للطبراني: فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ: كيف كان رسول الله ﷺ يحزِّب القرآن؟ فقالوا: كان يحزِّبه ثلاثًا ... فذكره مرفوعًا، وإسناده حسن.

قلت: رواه أبو داود عن مسدَّد عن قُرَّان عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جدِّه أوس بن حذيفة. ورواه الطبراني[٤] من وجهين[٥]، الأول عن معاذ بن المثنَّىٰ عن مسدَّد، والثاني عن فضيل بن محمد الملطي عن أبي نعيم عن الطائفي. ولفظ الطبراني: قال أوس: قَدِمنا علىٰ رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، فأبطأ علينا ذات ليلة، فقال: «إنه طرأ عليَّ حزبين من القرآن، فكرهت أن أخرج حتىٰ أقضيه ...» الحديث.

تنبيه:

قال الحافظ في تخريج الأذكار[٦]: لم يقع في أكثر الروايات في حديث أوس نسبة تحزيب القرآن للنبي ﷺ صريحًا، والذي وقع فيها بلفظ: كيف تحزِّبون القرآن؟ ولم يقع أيضًا في أكثرها تعيين أول المفصَّل، وقد ذكره عبد الرحمن بن مهدي في

---

(١) المغني ١/ ٢٢٥.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٧.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٢٢٠.

(٥) بل من ثلاثة أوجه، والوجه الثالث: عن الحسين بن إسحاق التستري عن عثمان بن أبي شيبة عن وكيع.

(٦) نتائج الأفكار ٣/ ١٦٧.

روايته فقال: من «ق» إلىٰ أن يختم. ومقتضاه أنه ابتدأ في العدِّ بالبقرة، وكأنَّه لم يذكر الفاتحة لأنه يُبتدأ بها في أول ركعة، وغالب تلاوتهم كان في الصلاة. ا.هـ.

فقول المصنِّف تبعًا لصاحب القوت «وفيه خبرٌ عن النبي ﷺ» محل تأمُّلٍ.

(**الرابع: في الكِتابة**) بالكسر، أي هيئة كتابة المصاحف (**يُستحَبُّ تحسين كتابة القرآن وتبيينه**) أمَّا تحسينها فتجويد الحروف علىٰ القاعدة العربية المعتبَرة ممَّا ذكرها شعبان الآثاري في ألفيته[1]، وأمَّا التبيين فأنْ يميِّز الحروف بعضها عن بعض إفرادًا وتركيبًا، ولا يغوِّر الميم والقاف والفاء والعين والغين وكل ما له جوف، ولا يُطِل المرسَل ولا يرسل المطوَّل (**ولا بأس بالنقط والعلامات**) كل منها (**بالحمرة وغيرها**) من الألوان (**فإنَّ ذلك تزيين وتبيين**) له وتمييز (**وصدٌّ عن اللحن والخطأ لمن يقرؤه**) والمراد بالعلامات هي التي توضع علىٰ رؤوس الآي والوقوفات بأنواعها ووصل الهمزة وقطعها، فأمَّا النقط فقد اتفقوا علىٰ إعجام بعض الحروف دون بعض، فالمهملة منها: الألف والحاء والدال والراء والسين والصاد والعين والكاف واللام والميم والواو والهاء، وما عدا ذلك معجمة، فمنها بواحدة وهي الباء والجيم والخاء والذال والزاي والضاد والغين والفاء والنون، ومنها باثنتين وهي التاء والقاف والياء، وعلىٰ هذا رأيُ المشارقة، وعلىٰ رأي المغاربة الفاء معجمة بنقطة من أسفل، والقاف بعكسه، وهذا حسن؛ لحصول التمييز والاقتصار علىٰ ما لا بدَّ منه. ومنها بثلاث وهي الثاء والشين. ومن القواعد المقرَّرة أن النون والياء والقاف والفاء إذا تطرَّفت في آخر الكلمة فإنها لا تنقط؛ لحصول التمييز بهيئتها، فاكتُفي بها، وأن كل ما جاء علىٰ «فعائل» أو «فواعل» أو «مَفاعِل» من الجموع وعينها ياء فإن كانت الياء أصلية في مجرَّد الكلمة فتنقط وإلا فبالهمز، وفي تنقيط ياء «معايش» اختلاف عند القرَّاء، وهو مبنيٌّ علىٰ اختلاف أئمَّة

---

(١) المسماة: كفاية الغلام في إعراب الكلام، وهي في قواعد النحو، لزين الدين شعبان بن محمد بن داود القرشي الآثاري الموصلي الأصل والمولد المصري الدار والوفاة، المتوفىٰ سنة ٨٢٨.

اللغة هل جمع معيشة أو عيش؟ وهل ميم «معيشة» أصليَّة أو زائدة، كما هو مقرَّر في محلِّه[١]. ومن ذلك قولهم: نقطُ «الكبائر» من الكبائر، وهذا من باب المبالغة. ثم إن النقط أعَمُّ من أن يكون علىٰ التدوير كهيئة الكرة، وهكذا وُجد في خطوط أهل الكوفة القديمة، أو علىٰ التربيع كما وُجد في خطوط أخرىٰ لهم لاصقة، أو بينهما مع الصغر في الجرم، كما اصطلح عليه المتأخِّرون، وهو حسن.

(**وقد كان الحسن**) البصري (**وابن سيرين**) محمد (**ينكران**) هذه (**الأخماس والعواشر والأجزاء**) نقله صاحب القوت. والأخماس جمع خُمُس بضمَّتين وبضم فسكون، وهو جزء من خمسة أجزاء. والعواشر جمع عَشِير، ككريم، لغة في العُشر بالضم: جزء من عشرة أجزاء، وهي الأعشار. والأجزاء جمع جزء بالضم وهو[٢] الطائفة من الشيء، وقد جزَّأه تجزيئًا: جعله أجزاء متميِّزة، فتجزَّأ تجزئةً. وتجزئة القرآن ثلاثون جزءًا، يُكتَب علىٰ رأس الآية المبدوءة منها: الجزء الأول والجزء الثاني والثالث ... وهكذا إلىٰ آخره، ومنهم مَن يكتفي علىٰ رأس كل جزء بالعدد الهندي، وهو حسن؛ لحصول العلم والتمييز بذلك، وقد وقع الاختلاف في رؤوس بعض الأجزاء بحسب اختلافهم في عدِّ الكلمات والحروف والآي، فمن المختلف في الأجزاء الجزء الرابع عشر، فقيل: أوله من أول السورة، وقيل: أوله من قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ [الحجر: ٢] والجزء التاسع عشر، فقيل: أوله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾ [الفرقان: ٢١] وقيل: أوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ﴾ [الفرقان: ٢٣] والجزء العشرون، فقيل: أوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ [النمل: ٥٦] وقيل: أوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [النمل: ٦٠] والجزء الواحد والعشرون، فقيل: أوله: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقيل: أوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٦] والجزء الثالث والعشرون، فقيل: أوله: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ﴾ [يس: ٢٢] وقيل:

---

(١) انظر تاج العروس ١٧/ ٢٨٣. وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٢٧١.

(٢) المصباح المنير ١/ ٦٤.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [يس: ٢٨] والجزء السادس والعشرون، فقيل: أوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ [الزمر: ٤٨] وقيل: من أول سورة الأحقاف. ثم اختلفوا في تقسيم كل جزء من الثلاثين، فمنهم مَن قسَّمه علىٰ الأعشار، فتارةً يكتب العين بالأحمر إشارةً له بإزاء الآية علىٰ الهامش، وتارةً يكتب عشر، ومنهم مَن قسَّمه علىٰ الأخماس فيكتب خاء معجمة أو خمس، ومنهم مَن قسَّمه علىٰ الأثلاث فيكتب علىٰ رأس كل ثلث حزب أو ثلث، ومنهم مَن قسَّمه علىٰ الأرباع فيكتب علىٰ رأس كل ربع ربع؛ ليميَّز عن العشر، ويكتب علىٰ تمام الربعينِ نصف. وللمغاربة ترتيب آخر يُرجَع إلىٰ مصاحفهم. وممَّا أحدثوا كتابة أسماء السور بالقلم الأحمر قبل البسملة مع عدد كلماتها وحروفها وهل هي مكية أو مدنية، ومنهم مَن أحدثَ ختم الصفحة علىٰ الآية، وهو حسن إن لم يُتكلَّف في ذلك.

(ورُوي عن) عامر بن شراحيل **(الشعبي وإبراهيم)** النخعي **(كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجر علىٰ ذلك، وكانوا يقولون: جَرِّدوا القرآن)** كذا في القوت. ومعنىٰ تجريده: أن لا يُضاف إليه شيء زائد **(والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفًا من أن يؤدِّي إلىٰ إحداث زيادات، وحسمًا للباب)** وسدًّا للذريعة **(وشوقًا إلىٰ حراسة القرآن)** وصيانته **(عمَّا يطرق إليه)** أي يدخل عليه **(تغييرًا)** وإحداثا **(وإذا لم يؤدِّ إلىٰ محذور واستقرَّ الأمر)** وفي بعض النسخ: أمر الأمَّة **(فيه علىٰ ما يحصل به مزيدُ معرفة)** وتمييز **(فلا بأس به، ولا يمنع من ذلك كونُه مُحدَثًا)** لم يكن ذلك في عصر الأوَّلين **(فكم من مُحدَث حَسن، كما قيل في)** استعمال السبحة، وفي **(إقامة الجماعات في التراويح أنها من مُحدَثات عمر ﷺ)** كما تقدَّم تحقيقه في كتاب الصلاة **(وأنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تصادم)** أي تعارض **(السنَّةَ القديمة أو يكاد يفضي إلىٰ تغييرها)** وقد قالوا[1]: إن البدعة المباحة هو ما شهد لجنسه أصلٌ في الشرع أو اقتضته مصلحةٌ تندفع بها مفسدة. وفيما نحن

(١) المصباح المنير ١/ ٢٦. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٧٢.

فيه حصول مزيد المعرفة والتبيين مصلحة شرعيَّة، فلا يكون النقط والعلامات من البِدَع المذمومة.

(**وبعضهم كان يقول: أقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي**.

وقال الأوزاعي) تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم (**عن يحيىٰ بن أبي كثير**) أبي نصر اليَمامي[١]، مولىٰ طَيِّئ، أحد الأعلام العُبَّاد، روىٰ عن أبي أُمامة وأنس وجابر مرسَلاً وعن أبي سَلَمة، وعنه هشام الدستوائي وهمَّام، مات سنة ١٢٩ (**كان القرآن مجرَّدًا في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط علىٰ الباء والتاء وقالوا: لا بأس به فإنه نور له. ثم أحدثوا بعده نقطًا كبارًا عند منتهىٰ الآي فقالوا: لا بأس به، يُعرَف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح**) هكذا نقله صاحب القوت.

(**وقال أبو بكر الهُذَلي**) اسمه سُلْمَىٰ، وقيل: روح، روىٰ عن الحسن والشعبي ومعاذة، وعنه أبو نعيم ومسلم بن إبراهيم، توفي سنة ١٦٧ [٢] (**سألت الحسن**) البصري (**عن تنقيط المصاحف بالأحمر، فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية. قال: أمَّا إعراب القرآن فلا بأس به**) وروىٰ البيهقي في الشعب[٣] والصابوني في المائتين عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه قال: «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومَن أعرب بعضَه ولحن في بعض كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومَن لم يعرب منه شيئًا كان له بكل حرفٍ عشرُ حسنات».

وروىٰ البيهقي عن ابن عمر: «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب كان له بكل حرفٍ عشرُ حسنات».

(**وقال خالد**) بن مِهْران (**الحَذَّاء**) الحافظ، أبو المُنازِل، روىٰ عن أبي عثمان

---

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٢) السابق ٢/ ٤١٤.

(٣) شعب الإيمان ٣/ ٥٤٩.

النَّهْدي ويزيد بن الشِّخِّير، وعنه شعبة وابن عُلَيَّة، ثقة، إمام، توفي سنة ١٤١[١] **(دخلت على ابن سيرين)** محمد **(فرأيته يقرأ في مصحف منقوط[٢]. وقد كان يكره النقطَ.**

وقيل: إن الحجاج) بن يوسف الثقفي **(هو الذي أحدث ذلك وأحضر القرَّاء)** من البصرة والكوفة، منهم عاصم الجحدري ومطر الوَرَّاق وشهاب بن شريفة فأمرهم **(حتى عدُّوا كلمات القرآن)** وآياته **(وحروفه، وسوَّوا أجزاءه، وقسَّموه إلى ثلاثين جزءًا وإلى أقسام أُخَر)** من أخماس وأعشار.

قال السيوطي في الإتقان[٣]: قال أبو عبد الله الموصلي: اختلف في عدِّ الآي أهلُ المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة[٤]، وعدد أهل مكة يُروَىٰ عن ابن كثير [عن مجاهد] عن ابن عباس عن أُبَيِّ بن كعب. وأما عدد أهل الشام فيُروَىٰ عن هارون بن موسىٰ الأخفش عن ابن ذَكْوان عن أيوب بن تميم عن يحيىٰ بن الحارث الذِّماري عن عبد الله بن عامر اليحصبي عن أبي الدرداء[٥]. وأمَّا عدد أهل البصرة فمَداره علىٰ عاصم الجحدري. وأمَّا عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلىٰ حمزة بن حبيب الزيَّات وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام، قال حمزة:

---

(١) الكاشف ١/ ٣٦٩.

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره ٢/ ٣١٣، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ٢/ ٥٢٧ (ط – دار البشائر الإسلامية).

(٣) الإتقان في علوم القرآن ص ١٤٧، وفيه: «قال أبو عبد الله الموصلي في شرح قصيدته ذات الرشد في العدد».

(٤) بعده في الإتقان: «ولأهل المدينة عددان، عدد أول وهو عدد أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، وعدد آخر وهو عدد إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري».

(٥) في الإتقان: «وأما عدد أهل الشام فرواه هارون بن موسىٰ الأخفش وغيره عن عبد الله بن ذكوان وأحمد بن يزيد الحُلواني وغيره عن هشام بن عمار، ورواه ابن ذكوان وهشام عن أيوب بن تميم القارئ عن يحيىٰ بن الحارث الذماري قال: هذا العدد الذي نعده عدد أهل الشام مما رواه المشيخة لنا عن الصحابة، ورواه عبد الله بن عامر اليحصبي لنا وغيره عن أبي الدرداء».

أخبرنا بهذا العدد [ابن أبي ليلىٰ] عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي عن علي بن أبي طالب.

وعدَّ(١) قومٌ كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعة وثلاثين كلمة(٢)، وقيل غير ذلك. وأمَّا الحروف فقد عدَّها ابن الجوزي(٣) وكذا الأنصاف والأثلاث إلىٰ الأعشار، وأوسع القولَ في ذلك، فراجعْه فيه. وقال بعضهم: نصف القرآن باعتبار الحروف النون من ﴿نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ [الكهف: ٧٤] في الكهف، وقيل: الفاء من قوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩] وبالكلمات الدالُ من قوله: ﴿وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: ٢٠] في الحج، وبالآيات ﴿يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشعراء: ٤٥] من الشعراء، وبالسور آخر الحديد. والله أعلم.

(**الخامس: الترتيل**) قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ٤] وهو التمهُّل في القراءة وعدم الإعجال، وذلك (**هو المستحَبُّ في هيئة القرآن**) بل الأفضل؛ لجمعِه الأمر والندب (**لأنَّا سنبيِّن**) فيما بعد (**أن المقصود من القراءة التفكُّر**) في معاني ما يُقرأ والتدبُّر (**والترتيل معين**) له (**عليه**) وقد رُوي عن عليّ رضي الله عنه قال: لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبُّر فيها (**وبذلك نعتت أمُّ سَلَمة** رضي الله عنها **قراءة رسول الله** ﷺ) لمَّا سُئلت عنها (**فإذا**) للمفاجأة(٤)، أفاد بها أنها أجابت بذلك علىٰ الفور، وأن ذلك يدلُّ علىٰ قوة ضبطها واستحضارها لصفة قراءته ﷺ (**هي تنعت**) أي تَصِفُ (**قراءته مفسَّرة حرفًا حرفًا**) أي مبيَّنة واضحة مفصولة الحروف، من التفسير وهو البيان، ووصفُها لذلك إمَّا بأن تقول: كانت قراءته كذا، أو بالفعل بأن تقرأ كقراءته ﷺ، قيل: وظاهر السياق يدل علىٰ الثاني.

---

(١) الإتقان ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٢) بعده في الإتقان: «وقيل: وأربعمائة وسبع وثلاثون، وقيل: ومائتان وسبع وسبعون».

(٣) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي ص ٢٣٣ - ٣٣٠ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٤) أشرف الوسائل إلىٰ شرح الشمائل ص ٤٤٤.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] والترمذي[٤] وقال: حسن صحيح.

قلت: وأخرج أحمد[٥] وأبو داود[٦] والترمذي[٧] وابن خزيمة[٨] والحاكم[٩] والدارقطني[١٠] وغيرهم عن أم سَلَمة أن النبي ﷺ كان يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين ...» إلىٰ آخرها قطَّعها آيةً آيةً ... الحديث.

والمعنىٰ أن قراءته ﷺ كانت ترتيلاً، لا هذًّا ولا عجلة، بل مفسَّرة الحروف، مستوفية ما تستحقُّه من مدٍّ وغيره؛ لأنه كان يقطِّعها آيةً آية.

(**وقال ابن عباس ﷺ: لأنْ أقرأ البقرة وآل عمران أرتِّلهما وأتدبَّرهما أحَبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كلَّه هذرمةً**) نقله صاحب القوت.

(**وقال أيضًا: لأنْ أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبَّرهما أحَبُّ إليَّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرًا**) نقله أيضًا صاحب القوت.

وفي مصنَّف ابن أبي شيبة[١١] عن زيد بن ثابت: لأنْ أقرأ القرآن في شهر أحَبُّ إليَّ من أن أقرأه في خمس عشرة، ولأنْ أقرأه في خمس عشرة أحَبُّ إليَّ من أن أقرأه

---

(١) المغني ١/ ٢٢٥.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٤.

(٣) سنن النسائي ص ١٦٧، ٢٦٩.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٣.

(٥) مسند أحمد ٤٤/ ٢٠٦.

(٦) سنن أبي داود ٤/ ٣٧٩.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٤٧.

(٨) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٤٨.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٢٧٧ - ٢٧٨.

(١٠) سنن الدارقطني ٢/ ٧٦.

(١١) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٥١٠.

في عشر، ولأن أقرأه في عشر أحَبُّ إليَّ من أن أقرأه في سبع أقف وأدعو.

(وسُئل مجاهد) بن جبر التابعي الجليل **(عن رجلين دخلا في صلاة، فكان قيامهما واحدًا، إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط، والآخَر القرآنَ كلَّه، فقال: هما في الأجر سواء)** لأن قيامهما كان واحدًا. وأفضل الترتيل والتدبُّر ما كان في صلاة، ويقال: إن التفكُّر في الصلاة أفضل منه في غيرها؛ لأنهما عملانِ. هكذا أورده صاحب القوت.

وفي النشر[١]: اختُلف هل الأفضل الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها؟ أجاب بعض أئمَّتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجَلُّ قَدْرًا، وثواب الكثرة أكثر عددًا؛ لأن بكل حرف عشر حسنات.

وقال في شرح المهذَّب[٢]: واتفقوا علىٰ كراهة الإفراط في الإسراع، وقالوا: قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزءين في قَدْر ذلك الزمان بلا ترتيل.

(واعلمْ أن الترتيل مستحَبٌّ لا لمجرَّد التدبُّر؛ فإنَّ العجمي الذي لا يفهم معني القرآن يُستحَبُّ له في القراءة أيضًا الترتيل والتؤدة؛ لأن ذلك أقرب إلىٰ التوقير والاحترام وأشد تأثيرًا في القلب من الهذرمة والاستعجال) وهذا قد أورده النووي في شرح المهذَّب عن الأئمَّة قالوا: استحباب الترتيل للتدبُّر، ولأنه أقرب إلىٰ الإجلال والتوقير، وأشد تأثيرًا في القلب، ولهذا يُستحَبُّ للأعجمي الذي لا يفهم معناه.

(السادس: البكاء) فهو **(مستحَبٌّ مع القراءة)** والتباكي لمَن لا يقدر عليه والحزن والخشوع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩] وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود علىٰ النبي ﷺ، وفيه: إذا عيناه تذرفان **(وقال رسول الله ﷺ: اتلوا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكُوا)** قال العراقي[٣]: رواة ابن

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١/ ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٢) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٦٥.

(٣) المغني ١/ ٢٢٦.

ماجه[١] من حديث سعد بن أبي وَقَّاص بإسناد جيِّد.

قلت: رواه[٢] عن عبد الله بن أحمد [بن بشير] عن الوليد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن رافع، حدثني ابن أبي مُلَيكة، عن عبد الرحمن بن السائب قال: قَدِم علينا سعد بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما كُفَّ بصره، فأتيتُه مسلِّمًا، فانتسبت له، فقال: مرحبًا يا ابن أخي، بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكُوا، وتغنُّوا به، فمَن لم يتغنَّ به فليس منا». ورواه أبو يعلَىٰ الموصلي[٣] عن عمرو الناقد عن الوليد بن مسلم. ورواه محمد بن نصر في قيام الليل[٤] عن [محمد بن يحييٰ عن] الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم. وإسماعيل بن رافع ضعيف، وقد تابعه عبدُ الرحمن المليكي - وهو مثله في الضعف - عن ابن أبي مُلَيكة، ولكن خالف في اسم ابن السائب، أخرجه أبو عَوانة[٥] ومحمد بن نصر وابن أبي داود من طريق المليكي، فقال الأوَّلان: عن عبد الله بن السائب عن سعد، وقال ابن أبي داود في روايته: عن عبيد الله بن عبد الله بن السائب بن نهيك، وبعض رُواته قال: عبيد الله بن أبي نهيك[٦]، والاضطراب فيه في اسم التابعي ونسبه، واختُلف عليه أيضًا في اسم شيخه، فالأكثر أنه سعد بن مالك وهو ابن أبي وَقَّاص، وقيل: عن سعيد، بدل: سعد، وقيل: عن أبي لُبابة، وقيل: عن عائشة. والراجح قول من قال: عن سعد. وله شاهد عند الطبراني قال[٧]: حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العُتْبي، حدثنا حبَّان بن نافع بن صخر، حدثنا

---

(١) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٠، ٥/ ٦٠٨.

(٢) نتائج الأفكار ٣/ ٢٠١ - ٢٠٣.

(٣) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٥٠.

(٤) مختصر قيام الليل ص ١٣٩.

(٥) المستخرج علىٰ صحيح مسلم لأبي عوانة ٢/ ٤٧٣.

(٦) في نتائج الأفكار: «وقد روىٰ هارون بن دينار والليث بن سعد جميعاً عن ابن أبي مليكة بعض هذا الحديث فقالا في روايتهما: عن عبيد الله بن أبي نهيك عن سعد. أخرجه أحمد وأبو داود».

(٧) المعجم الكبير ٢/ ٣٤٨.

سعيد بن سالم القَدَّاح، حدثنا مَعْمَر ابن الحسن، حدثنا بكر بن خُنَيس، حدثنا أبو شيبة، عن عبد الملك بن عُمَير، عن جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ[١]: «إني قارئ عليكم [آيات] من آخر سورة الزمر، فمَن بكىٰ منكم وجبت له الجنةُ». فقرأ من عند قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] الخ [السورة] فمنَّا مَن بكىٰ، ومنا مَن لم يبكِ، فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نبكِ. فقال: «إني سأقرؤها عليكم، فمَن لم يبكِ فليتباكَ». أبو شيبة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وقد روىٰ بعضَ هذا المتن هشيمٌ عن أبي شيبة، وهو أوثق من بكر بن خُنَيس فأرسله، قال أبو عبيد[٢]: حدثنا هُشَيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الملك بن عمير[٣] قال: قال رسول الله ﷺ: «إني قارئ عليكم سورة، فمَن بكىٰ فله الجنة». فقرأ، فلم يبكوا حتىٰ أعاد الثانية[٤]، فقال: «ابكوا، فإن لم تبكوا فتباكُوا».

(وقال ﷺ: ليس منا مَن لم يَتَغَنَّ بالقرآن) قال العراقي[٥]: رواه البخاري[٦] من حديث أبي هريرة.

---

(١) زاد في المعجم الكبير: لنفر من أصحابه.

(٢) فضائل القرآن ص ١٣٥.

(٣) يوجد ههنا اختلاف عما في نتائج الأفكار، فنص النتائج بعد إيراد الحديث: «هذا حديث غريب، أخرجه الدارقطني في الأفراد من هذا الوجه وقال: تفرد به بكر بن خنيس عن أبي شيبة. قلت: وهما ضعيفان. وأبو شيبة اسمه إبراهيم بن عثمان الواسطي. وقد روىٰ بعض هذا المتن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الملك بن عمير ...» الخ. فقول الشارح «أبو شيبة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق» خطأ، والصواب في اسمه ما ذكره ابن حجر. وأبو شيبة هو جد الحافظ الكبير أبي بكر بن أبي شيبة صاحب المصنف.

(٤) زاد أبو عبيد: ثم الثالثة.

(٥) المغني ١/ ٢٢٦.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٤١١.

قلت: وأخرجه أحمد[١] وأبو داود[٢] وابن حبان[٣] والحاكم[٤] من رواية عمرو ابن دينار والليث بن سعد كِلاهما عن ابن أبي مُلَيكة عن عبيد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وَقَّاص. وأخرجه أبو داود[٥] أيضًا عن أبي لُبابة بن عبد المنذر، والحاكم[٦] أيضًا عن ابن عباس وعائشة. وقد ذُكر الاختلاف فيه قريبًا في الحديث الذي قبله؛ إذ هذا الحديث عند بعضهم بعض الحديث المتقدِّم، وسيأتي تحقيق معناه في الأدب العاشر قريبًا.

(وقال صالح المُرِّي) من زُهَّاد البصرة، تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم: **(قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام، فقال لي: يا صالح، هذه القراءة، فأين البكاء)**؟ ولفظ القوت: وقال ثابت البُناني: رأيت في النوم كأني أقرأ على رسول الله ﷺ القرآن، فلمَّا فرغت قال: هذه القراءة، فأين البكاء[٧]؟

(وقال ابن عباس ﷺ: **إذا قرأتم سجدة «سبحان» فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبكِ عين أحدكم فليبكِ قلبُه**) نقله صاحب القوت وزاد: فبكاء القلب حزنه وخشيته، أي فإن لم تبكوا بكاءَ العلماء عن الفهم فلتحزن قلوبكم على فقدِ البكاء، وليخْشَ كيف لم يوجد فيكم وصفُ أهل العلم، وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾

---

(١) مسند أحمد ٣/ ٧٥، ٩٩، ١٢٥.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٥.

(٣) صحيح ابن حبان ١/ ٣٢٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٧٢.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٦.

(٦) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٧٣.

(٧) وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٥/ ٨٣ - ٨٤ عن يزيد بن أبان الرقاشي قال: رأيت في نومي كأني قرأت على النبي ﷺ سورة، فلما فرغت قال لي: هذه القراءة فأين البكاء؟

وذكر القرطبي في تفسيره ١١/ ٦٤ هذا الأثر عن يزيد، وسمى السورة: هود.

قال: هي العين الكثيرة البكاء ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ قال: هي العين القليلة البكاء ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] قال: هو بكاء القلب من غير دموع عينٍ (**وإنما طريق تكلُّف البكاء أن يحضر قلبه الحزن، فمن الحزن ينشأ البكاء، قال النبي ﷺ: إن القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فتحازنوا**) قال العراقي[١]: رواه أبو يعلىٰ وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

قلت: تقدَّم قريبًا أن أبا يعلَىٰ رواه من حديث سعد بن مالك بلفظ: «إن هذا القرآن نزل بحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكُوا». وتقدَّم الاختلاف فيه.

وقال أبو بكر الآجُرِّي في فوائده: حدثنا جعفر الفِرْيابي، حدثنا إسماعيل بن سيف بن عطاء الرياحي، حدثنا عُوَين بن عمرو، حدثنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفعه: «اقرؤوا القرآن بالحزن؛ فإنه نزل بالحزن»[٢].

وأخرجه أبو يعلىٰ[٣] عن إسماعيل بن سيف علىٰ الموافقة.

وعند الطبراني في الكبير[٤] عن ابن عباس رفعه: «أحسنُ الناس قراءةً من إذا قرأ القرآن يتحزَّن به».

(**ووجه إحضار الحزن أن يتأمَّل ما فيه من التهديد والوعيد**) والزجر (**والوثائق والعهود، ثم يتأمَّل**) القارئ (**تقصيرَه في أوامره وزواجره، فيحزن**) لذلك (**لا محالة ويبكي، فإن لم يحضره حزنٌ وبكاء كما يحضر أربابَ القلوب الصافية**) من الأكدار (**فليبكِ علىٰ فقدِ الحزن والبكاء؛ فإنَّ ذلك أعظم المصائب**) وتقدَّم هذا عن صاحب القوت. وقال النووي في شرح المهذَّب[٥] مثل ذلك، قال: وطريقه في

(١) المغني ١/ ٢٢٦.

(٢) ورواه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ١٩٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٩٦.

(٣) معجم شيوخ أبي يعلىٰ ص ١٥٧.

(٤) المعجم الكبير ١١/ ٧.

(٥) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٦٥.

تحصيل البكاء أن يتأمَّل ما يقرأه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يفكِّر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبْكِ علىٰ فقدِ ذلك؛ فإنه من المصائب.

(**السابع: أن يراعي حقَّ الآيات، فإذا مرَّ بآية سجود سجد**) أي في أثناء قراءته، سواءٌ كان في صلاته أمْ لا (**وكذلك إذا سمع من غيره سجدةً**) وهو يتلوها (**سجد إذا سجد التالي**) لها. قال الرافعي[1]: يُسَنُّ السجود للقارئ والمستمع له، سواء كان القارئ في الصلاة أمْ لا، وفي وجه شاذٍّ[2]: لا يسجد المستمع لقراءة مَن في الصلاة. ويُسَنُّ للمستمع إلىٰ قراءة المُحدِث والصبي والكافر علىٰ الأصح، وسواء سجد القارئ أو لم يسجد يُسَنُّ للمستمع السجود، لكنه إذا سجد كان أوكد، هذا هو الصحيح الذي قطع به الجمهور، وقال الصيدلاني: لا يُسَنُّ له السجود إذا لم يسجد القارئ. واختاره إمام الحرمين. أمَّا الذي لا يستمع بل يسمع من غير قصد فالصحيح المنصوص أنه يُستحَبُّ له، ولا يتأكَّد في حقِّه تأكُّده في حق المستمع. ولو أصغَىٰ المنفردُ بالصلاة لقراءة قارئ في الصلاة أو غيرها لم يسجد؛ لأنه ممنوع من الإصغاء، فإن سجد بطلت صلاتُه، والمصلي إمامًا كالمنفرد في جميع ما ذكرنا (**ولا يسجد إلا إذا كان علىٰ طهارة**) فلا يسجد إذا كان مُحدِثًا، ولا الجُنُب والحائض.

(**وفي القرآن أربع عشرة سجدة**) علىٰ الجديد الصحيح، وقال في القديم: إحدىٰ عشرة، أسقط سجدات المفصَّل الثلاث. وهي في الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم (**وفي الحج سجدتان**) والفرقان، والنمل، والم تنزيل، وفُصِّلت، والنجم، وإذا السماء انشقَّت (**وليس في ص سجدة**) أي ليست سجدة ص من عزائم السجود، أي متأكَّداته، وإنما هي مستحبَّة، وزاد بعضهم آخر الختم؛

---

(١) انظر الكلام عن سجود التلاوة في: فتح العزيز ٢/ ١٠٣ - ١١٣. روضة الطالبين ١/ ٣١٨ - ٣٢٤. نهاية المطلب ٢/ ٢٢٨ - ٢٣٥.

(٢) هذا الوجه حكاه العمراني في البيان ٢/ ٢٨٨.

نقله ابن غلام الفَرَس في أحكامه. قال الرافعي: ولنا وجه: أن السجدات خمس عشرة، ضم إليها سجدة ص، وهذا قول ابن سُرَيج. والصحيح المنصوص أنها ليست من عزائم السجود، وإنما هي سجدة شكر، فإن سجد فيها خارج الصلاة فحسن ولو سجد في ص في الصلاة جاهلاً أو ناسيًا لم تبطل صلاته، وإن كان عالمًا بطلت على الأصح. ولو سجد إمامه في ص لكونه يعتقدها لم يتابعه، بل يفارقه أو ينتظره قائمًا، فإذا انتظره قائمًا فهل يسجد للسهو؟ وجهان. قال النووي: الأصح لا يسجد، وحكىٰ صاحب البحر[1] وجهًا: أنه يتابع الإمام في سجود ص. والله أعلم.

اعلم[2] أن سجود التلاوة سنَّة عند الشافعي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة وصاحباه: واجب. وهو في الأعراف، والرعد، والنحل، وبني إسرائيل، ومريم، والحج، والفرقان، والنمل، والم تنزيل، وص، وحم فُصِّلت، والنجم، والانشقاق، والعلق. كذا كُتب في مصحف عثمان، وهو المعتمَد. ولا سجود عند مالك في المفصَّل، أي السبع الأواخر، وهو من الحجرات إلىٰ آخره، وعند الشافعي وأحمد: في الحج سجدتان، كما ذكره المصنِّف؛ لِما رُوي أنه ﷺ قال: «فُضِّلت سورة الحج بسجدتين». وحمله أصحابنا علىٰ أن الأولىٰ سجدة التلاوة، والثانية سجدة الصلاة، بدلالة اقترانها بالركوع. وموضع السجدة في حم فُصِّلت عند قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] وعند الشافعي عند قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧] وهو واجب عندنا علىٰ التالي والسامع ولو غير قاصد، ويجب علىٰ التراخي، وسواءٌ كان التالي كافرًا أو حائضًا [أو نفساء] أو جُنُبًا أو مُحدِثا أو صبيًّا عاقلاً أو سكران؛ لأن النص لم يفصِّل، ولا يجب علىٰ مَن لا تجب عليه الصلاة كالحائض والنفساء والصبي والمجنون والكافر، لا بقراءتهم ولا بسماعهم؛ لأنهم ليسوا من أهل الصلاة،

(١) بحر المذهب للروياني ٢/ ٢٧١.

(٢) انظر: فتح القدير (وبهامشه العناية) ٢/ ١١ وما بعدها. الاختيار لتعليل المختار ١/ ٧٥. درر الحكام بحاشية الشرنبلالي ١/ ١٥٥ - ١٥٦.

لا أداءً ولا قضاءً. وفي «التتمَّة»: روىٰ الحسن بن زياد عن أبي حنيفة في السكران إذا قرأ آية السجدة لزمته، وكذا في المجنون إذا تلا تلزمه السجدةُ إذا أفاق، قال الفقيه أبو جعفر: هذا إذا لم يكن مطبقًا.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار(١): قد تواترت الآثار عن رسول الله ﷺ بالسجود في المفصَّل من طرق كثيرة عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر، وبها نقول، وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد. وأمَّا النظر في ذلك فعلىٰ غير هذا المعنىٰ، وذلك أنَّا رأينا [السجود] المتفق عليه منهن عشر سجدات، منها في الأعراف، وموضع السجود فيها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] ومنها الرعد، وموضع السجود منها عند قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] ومنها النحل، وموضع السجود منها عند قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿يُؤۡمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠] ومنها سورة بني إسرائيل، وموضع السجود منها عند قوله تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا﴾ [الإسراء: ١٠٩] ومنها سورة مريم، وموضع السجود منها عند قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾ [مريم: ٥٨] ومنها سورة الحج، فيها سجدة في أولها عند قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلىٰ آخر الآية [الحج: ١٨] ومنها سورة الفرقان، وموضع السجود منها عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ إلىٰ آخر الآية [الفرقان: ٦٠] ومنها سورة النمل، فيها سجدة عند قوله تعالىٰ: ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ۝٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ إلىٰ آخر الآية [٢٤ - ٢٥] ومنها الم تنزيل [السجدة] فيها سجدة عند قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾ إلىٰ آخر الآية [السجدة: ١٥] ومنها حم تنزيل من الرحمن الرحيم، وموضع السجود منها فيه اختلاف، فقال

(١) شرح معاني الآثار ١/ ٣٥٩ - ٣٦٢.

بعضهم: موضعه ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ وقال بعضهم: عند قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ وكان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد يذهبون إلىٰ المذهب الأخير، وقد اختلف المتقدِّمون في ذلك، فرُوي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يسجد في الآخرة من حم تنزيل. ورُوي مثل ذلك عن أبي وائل وابن سيرين وقتادة. ورُوي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كانا يسجدان في الآية الأولىٰ من حم. فهذه السجدة ممَّا اتُّفِق عليها، وإنما اختلفوا في موضعها، وما ذُكر قبلها من السجود في السور الأُخَر فقد اتفقوا عليها وعلىٰ مواضعها المذكورة، وكان موضع كل سجدة منها فهو موضع إخبار وليس بموضع أمرٍ وقد رأينا السجود [مذكورًا] في مواضع أمرٍ، كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي﴾ [آل عمران: ٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الحجر: ٩٨] فكلٌّ قد اتفق أن لا سجود فيها، فالنظر علىٰ ذلك أن يكون كل موضع ممَّا اختُلف فيه هل فيه سجود أمْ لا يُنظَر فيه، فإن كان موضع أمرٍ فإنما هو تعليم، فلا سجود فيه، وكل موضع فيه خبر عن السجود فهو موضع سجود التلاوة، فكان الموضع الذي قد اختُلف فيه من سورة النجم، فقال بعضهم: هو [موضع] سجدة تلاوة، وقال الآخَرون: لا، هو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ﴾ [النجم: ٦٢] فذلك أمر وليس بخبر، فكان النظر - علىٰ ما ذكرنا - أن لا يكون موضع سجود التلاوة. وكان الموضع الذي اختُلف فيه أيضًا من سورة العلق هو قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فذلك أمرٌ وليس بخبر، فالنظر - علىٰ ما ذكرنا - أن لا يكون موضع سجود تلاوة. وكان الموضع الذي اختُلف فيه من إذا السماء انشقَّت قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١] فذلك موضع إخبار لا موضع أمر، فالنظر - علىٰ ما ذكرنا - أن يكون موضع سجود التلاوة، فيكون كل شيء من السجود يُرَدُّ إلىٰ ما ذكرنا، وكان يجيء علىٰ ذلك أن يكون موضع السجود من حم هو الموضع الذي ذهب إليه ابن عباس؛ لأنه عند خبر وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ لا كما ذهب إليه مَن خالف؛ لأن أولئك جعلوا السجدة عند أمر وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن

كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ فكان ذلك موضع أمرٍ [وكان الموضع الآخَر موضع خبر] وقد ذكرنا أن النظر يوجب أن يكون السجود في مواضع الخبر لا في مواضع الأمر، وكان يجيء علىٰ ذلك أن لا يكون في سورة الحج غير سجدة واحدة؛ لأن الثانية المختلَف فيها إنما موضعها في قول من يجعلها سجدة موضع أمر وهو قوله تعالىٰ: ﴿ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ٧٧] فلو خُلِّينا والنظر لكان القول في سجود التلاوة أن ننظر، فما كان منه موضع أمر لم نجعل فيه سجودًا، وما كان منه موضع خبر جعلنا فيه سجودًا، ولكن اتِّباع ما قد ثبت عن رسول الله ﷺ أولىٰ. وقد اختُلف في سورة ص، فقال قوم: فيها سجدة، وقال آخَرون: ليس فيها سجدة. فكان النظر عندنا في ذلك أن يكون فيها سجدة؛ لأن موضعها خبر لا موضع أمر وهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] فذلك خبر، فالنظر فيه أن يُرَدَّ حكمُه إلىٰ حكم أشكاله من الأخبار، فتكون فيه سجدة، وقد رُوي ذلك عن رسول الله ﷺ من طريق أبي سعيد أنه سجد في ص. وعن ابن عباس نحوه. فبهذا نأخذ اتِّباعًا لِما قد رُوي فيها ثم لِما قد أوجبه النظرُ، ونرىٰ أن السجود في المفصَّل في النجم وإذا السماء انشقَّت واقرأ باسم ربِّك لِما قد ثبتت به الرواية في السجود في ذلك عن رسول الله ﷺ، ونرىٰ أن لا سجود في آخر الحج؛ لِما قد نفاه ما ذكرنا من النظر، ولأنه موضع تعليم لا موضع خبر، ومواضع التعليم لا سجود فيها للتلاوة، وقد اختلف في ذلك المتقدِّمون، فرُوي من طريق عبد الله بن ثعلبة قال: صلىٰ بنا عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصبح، فقرأ بالحج، وسجد فيها سجدتين. وكذلك رُوي عن أبي موسىٰ الأشعري وابن عمر وأبي الدرداء مثله. ورُوي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: في سجود الحج الأول عزيمة، والآخر تعليم. قال: فبقول ابن عباس نأخذ، وجميع ما ذهبنا إليه في هذا الباب هو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالىٰ.

(**وأقل السجود أن يسجد فيضع جبهته علىٰ الأرض**) من غير تكبير ولا دعاء

(وأكمله أن يكبِّر فيسجد، ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها، مثل أن يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] **فيقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، المسبِّحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو علىٰ أوليائك)** فهذه المعاني هي اللائقة بالآية المذكورة، وفيها تضمين لِما ذُكر فيها **(وإذا قرأ قوله تعالىٰ:** ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] **فيقول: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين لك. و)** يفعل **(كذلك في كل سجدة)** يستخرج الدعاء من معاني تلك الآيات وما يناسب للسياق والحال.

وقال أصحابنا: أقل الدعاء أن يقول: سبحان ربِّي الأعلىٰ ثلاثا، وأكملُه أن يقول: سجدت للرحمن فاغفر لي يا رحمن.

فصل:

قد عقد الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[١] فصلاً في سجدات القرآن وما لكل منها من الأدعية الخاصة، فلا بأس أن نتمَّ بذِكر كلامه تكثيرًا للفوائد، فأقول: أخبرني بكتاب «نوادر الأصول» شيخي أبو عبد الله محمد بن الطيِّب الفاسي إجازةً عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي مهدي عيسىٰ بن محمد الجعفري سماعًا وقراءةً، أخبرنا علي بن محمد الأجهوري سماعًا وإجازةً، عن الجمال يوسف بن زكريا، عن أبيه، عن الحافظ أبي الفضل العسقلاني بإجازته مشافَهةً، عن ابن أبي المجد الخطيب، عن سليمان بن حمزة، عن عيسىٰ بن عبد العزيز، عن أبي سعد السمعاني، عن أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر، أخبرنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن محمد البرقي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو نصر أحمد بن أحيد البيكندي، أخبرنا الحكيم محمد بن علي الترمذي قال:

---

(١) نوادر الأصول ص ١٢٠٨ - ١٢١٥.

فصل ما يُقرأ به في السجود. قد رُوي عن رسول الله ﷺ من حديث ابن مسعود وعائشة ﭫ أدعية بروايات مختلفة وألفاظ متنوِّعة، فممَّا رُوي عن ابن مسعود رفعه أنه كان إذا سجد يقول: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، أبوء بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، هذا ما جنيتُ علىٰ نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت». وعن عائشة رفعته أنه كان يقول في سجود القرآن بالليل مِرارًا: «سجد وجهي للذي خلقه وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوَّته». وعنها أيضًا أنه كان يقول في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، جلَّ وجهُك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ [علىٰ نفسك] يا عظيم». وعنها[1] أيضًا: كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دقَّه وجله، أوله وآخره، سره وعلانيته».

قال الشيخ: فهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ، ولا نعلم أنه وقَّت شيئًا في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرتها كلمات نطق بها يريد أن يخرج بها إلىٰ ربه من الأحداث، فكان ينطق بما يتراءىٰ له في وقته، وبذلك يناجي ربَّه، ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم. وأمَّا ما تراءىٰ لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا ههنا:

* **سجدة الأعراف**: طابت لهم منازل القُربة عندك، فتطهَّروا عن الاستكبار، وأذعنوا لك خضوعًا بما عاينوا من عظيم كبريائك وعزيز جبروتك في الملكوت، فتلقَّوا عَظَمتَك [بالتسبيح] واستكانوا بالسجود لك خشوعًا، هؤلاء بديع كلماتك، ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمَّة حبيبك الممدوحون في التوراة والموصوفون في الإنجيل بما منحتنا من مِنَنك وفضلك، وأهديت إلىٰ المجتبين منا هداياك وكراماتك رأفةً [وتَحَنُّنًا] سجدنا لك بحظِّنا من رأفتك ورحمتك، وألقينا بأيدينا سلمًا نرجو مددك وسَيْبك ومعروفك، يا معروفًا بالعطايا الجزيلة، ومحمودًا علىٰ صنائعك الجميلة.

---

(١) هذا الحديث رواه الحكيم الترمذي عن ابن عمر، وليس عن عائشة.

* **سجدة الرعد**: سجدت لك الأحبابُ طوعًا، والأعداءُ كرهًا، سجد لك شخص الأحبابُ وظلال الأعداء، أدركت رحمتُك شخصَ الأحباب فنالت [السجود] وانزوت عن الأعداء فحُرمته، سجدت لك ظلالهم بالغُدوِّ والآصال، تميل مع ميل الأظلَّة والأفياء، طهرت تلك الأجرام والأشباح بطهارة قلوبهم بنور التوحيد فأهَّلتهم للسجود لك، ونُزِّهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجُست برجاسة الشرك وتمكُّن العدوِّ منها، فلك الحمد علىٰ ما اصطنعتَ إليَّ، وإليك الرغبة يا إلهي في دوامها عليَّ، فكما جعلتَني أسجد لك سجودَ الأحباب طوعًا وسلمًا فاجعلني في جميع متقلَّباتي من محياي لك طوعًا وسلمًا.

* **سجدة النحل**: لك سجدت الملائكة، وخافوك من فوقهم، وفعلوا ما أمرتَهم، ذلك بأنك عريتهم من الشهوات، وطهَّرتهم من الآفات، ومكَّنت لهم الزلفات، فخافوك من فوقهم، وفعلوا ما أمرتهم، ولم يسبقوك بقول، وهم من خشيتك مشفقون، فهم عِبادك المكرَمون، ونحن عبيدك المرحومون المحفوفون بالرأفة ابتدأتنا، ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعفٍ خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللحاجات(١) عرَّضتنا، وبالوعد والوعيد في الوحي أدَّبتنا، وبجودك ونعمتك هديتنا، وبعظيم حظِّنا منك وسَّعت علينا، وأشرعت إليك السبيلَ لنا، وجعلت منا أولياء وأحبابا بمنازل القُربة لديك، فخوفُنا لك مع الشهوات، وأفعالنا مع الوساوس والخطرات والآفات، فارحمنا؛ فإنك أعلمتَنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد، يا خير مَن أشفق علينا ورحمنا.

* **سجدة سبحان**: لك خرَّت العلماءُ سُجَّدًا، وحق لهم ذلك؛ فإنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعاينوا بنور علم القُرْبة ما هيَّأت لأحبابك هناك في مراتبهم من البِر والوداد، فخرُّوا لأذقانهم سُجَّدًا مع البكاء والعويل، وسبَّحوا لربوبيَّتك، وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكاؤهم لك خشوعًا، فخشعت لك

(١) في النوادر: وللآفات.

جوارحهم؛ لأن الخشعة ميراث بكاء الخشية، ذلك بأنك جعلت للباكين من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحهم في الدنيا نورًا، وفي الآخرة ضحكًا، فيا حنَّان تحنَّنْ علينا بعطفك، وزِدْنا علمًا بقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبَّلها منا كما تقبَّلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

* **سجدة مريم**: يا خير المنعمين، أنعمت علىٰ النبيِّين والمقرَّبين والمهديين والمجتبين بالنبوَّة والهداية والخباتة إليك، فصاروا إلىٰ محبوبك من الأعمال، وخرُّوا لتلاوة آيات الرحمن لك سُجَّدًا وبُكِّيًا، تلك خشعة الأحباب وأهل الوداد، سجدوا مع البكاء شوقًا إليك وقلقًا لطول الحبس عنك في سجون الدنيا، يا ودود، فليس مَن لقيك في السجن عبدًا قنًّا في العبودية كمَن لقيك في دارك دار السلام حرًّا ملكًا محبورًا مسرورًا يراك جهرًا، قد كشفت الغطاء، وتجلَّيت لأهل الوداد عن حُجُب الكبرياء والجلال فأنبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحيًا وتنزيلاً، فحررنا علىٰ ذلك من فعلهم، هذا سجودهم قد علمته، فليت شِعري من أين بكاؤهم؟ وما الذي أبكاهم؟ وأين أصول ذلك المنبع وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك؟ [إلهي] فسهِّلْ لنا السبيلَ إلىٰ ذلك من فعلهم ظهرًا وبطنًا، ووفِّر حظَّنا من ذلك برحمتك علينا.

* **سجدة الحج**: سجد لك الخلق والخليقة علوًّا وسفلاً، وبرًّا وبحرًا، والحجر والمَدَر والدواب والشجر وكثير من الآدميين، وكثير حقَّ عليه العذابُ، ثم قلتَ: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك ولم تجعلنا ممَّن أهنته [فإنَّ مَن أهنته] فما له من مكرم، ثم قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ فلك الحمد علىٰ ما بدا من مشيئتك فينا، وعلىٰ الرحمة التي جرت لنا بمشيئتك فينا وبإكرامك إيَّانا، إلهي فلا تُهِنَّا بعد ما أكرمتنا علىٰ تفريطنا وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا، ولا تسلبنا خيرَ ما أَوْلَيْتنا، يا عظيم [الرجاء] يا حسن البلاء، يا كثير النعماء، يا جزيل العطاء، يا جليل الثناء.

* **الثانية من الحج**: بك آمنا، ولك ركعنا، ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا، وإيَّاك عبدنا، وإليك أنبنا ربنا، وفعل الخير قصدنا، والفلاح رجونا وأمَّلنا، والنجاح لديك طلبنا، فأعِنَّا، ولا تقطع مددك وعنايتك عنا، وخذ إليك بنواصينا، واجعل فيما لديك رغبتَنا، نَوِّرْ قلوبنا، واشرح لنا صدورنا، وحَسِّنْ أخلاقنا، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملَّتنا.

* **سجدة الفرقان**: للرحمن سجدنا، وإيَّاه وحَّدنا، وما عنده أمَّلنا، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا، فالرحمن مولانا، والرحمن خالقنا [ومليكنا] والرحمن هادينا وناصرنا، والرحمن منَّ علينا باسمه «الرحمن»، ووفر منه حظنا، وبالرحمة العظمىٰ نِلْنا من الرحمن حظَّنا، فالله وليُّنا ومولانا، والرحمن أحيانا، والرحيم أعاشنا[١]، والقيُّوم آوانا، فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك، تمِّمْ علينا معروفَك وما ابتدأتَ من الإحسان، وتَوَلَّ منا ما تولَّيت من أهل [رأفتك و] رحمتك، وتعطَّفْ علينا بجودك وكرمك، تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكرام، علَّمتَ القرآن، وخلقت الإنسان وعلَّمته البيان، فلك [الحمد و] الآلاء والنعماء، يا ذا المُلْك والملكوت، يا عزيز الجبروت، إليك الرغبات، ومنك الرهبات، هديتنا لاسمك الرحمن، ووفرت منه حظَّنا، فأحييت به قلوبنا، ونوَّرت به أفئدتنا، فالفرح الدائم لمَن وصل اليوم إلىٰ الرحمن قلبًا، والسرور والبهجة وقرَّة العين لمَن وصل إليه غدًا [بدنًا] غمرتني رحمتُك العظمىٰ، فزادني اسمُك سرورًا، وزاد أعداءك نفورًا، وإنما نفرهم من اسمك الرحمن حرمان حظِّهم من الرحمن، فلم تنلْهم رحمتك، فجهلوا اسمك ونفروا من ذِكره، وهو الاسم الذي حييت به القلوب وتمكَّنوا به في دارك دار السلام.

* **سجدة النمل**: سجدتُ لمَن يُخرِج الخَبْء في السموات والأرض، عالِم الخفيَّات، محصِّل ما في الصدور، ومُبْلِي السرائر، ولم تَخْفَ عليه حركاتُ جوارحنا

---

(١) في النوادر: والرحمن أغنانا.

ومكنون ضمائرنا وخواطر قلوبنا وهم نفوسنا ونوازع الأهجاس منا، سجدتُ لله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، يا ذا الأمثال العلىٰ والأسماء الحسنىٰ، وأنت رب العرش العظيم، واستويت عليه، وأنت عالٍ علىٰ العرش(١)، وكيف لا يعظُم وهو مقامك للربوبيَّة، يا حي، يا قيُّوم، فمَن دونه إلىٰ ما تحت الثَّرَىٰ في جوف العرش العظيم، علوتَ العرش العظيم واستويت عليه، وأنت عالٍ علىٰ العرش، يا شاهد كل نجوىٰ، ومن حبل الوريد لنا أقرب وأدنىٰ، هَبْ لنا ما أحصيته علينا ممَّا أسرفنا علىٰ أنفسنا، وتفضَّل علينا بعفوك، يا ذا الجود والإفضال.

* **سجدة السجدة**: آمنا بآياتك، وخررنا لك سُجَّدًا، فسبحانك اللهم وبحمدك، تعاليتَ، ولك الكبرياء في السموات والأرض، وأنت العزيز الحكيم، نبرأ إليك من أن نتكبَّر علىٰ عَظَمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك أو أن نسبقك بقول أو نخالف عن أمرك أو نلجأ إلىٰ أحد سواك أو نركن إلىٰ مخلوق أو نعلِّق قلوبنا بمن دونك، لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلَّت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت أنفي، ولعَظَمتك خرَّت ناصيتي(٢) ساجدةً، ولربوبيَّتك أسلم شخصي عبوديَّةً ورِقًّا، فاجعل مولاي حركاتي وشغلي وهمِّي لك خالصًا، وعلىٰ حقوقك عَكُوفًا، وبالعبودية لك قائمًا قانتًا، وبقلبي إليك هائمًا، لا أؤثر علىٰ حبِّك أحدًا، ولا علىٰ أمرك أمرًا.

* **سجدة ص**: لك خررت راكعًا وساجدًا، مفتونًا وغير مفتون، مستغفرًا تائبًا منيبًا، وأنت الذي مننت علىٰ عبدك داود في وقت حلول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلىٰ التوبة والاستغفار حتىٰ خرَّ راكعًا وأناب، فغفرت له ذلك، وأعلمت العِباد أن

---

(١) في النوادر: «سجدت لله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، يا من علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، جعلت العرش العظيم منظرًا، ولقلوب الأحباب عند ظمإ الشوق موئلاً، وفي النوائب والشدائد مفزعـًا، يا ذا الأمثال العلىٰ والأسماء الحسنىٰ، فأنت رب العرش العظيم، وكيف لا يعظم ...» الخ.

(٢) في النوادر: قامتي.

له مع المغفرة عندك لَزُلْفَىٰ وحُسن مآب، وهذا من كرمك وفضلك علىٰ أحبابك [موجود] يا جواد وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخير من صنيعك به إلا أنك رجَّيت عبيدك وأمَّلتهم ما أوليتَه من معروفك؛ لئلاً يقنط المفتونون، ولا يتحيَّر الخَطَّاءون، ولا ييأس المذنبون.

* **سجدة فُصِّلت**: سبَّح لك من عبدك فلم تلحقهم سآمةٌ ولا فتور، ذلك بأنك قوَّيت مقامهم، وعريتهم من أشغال النفوس، وأنقذتهم من الوساوس والآفات، وخلقتنا بموضع رحمة مع الشهوات والآفات، تعتورنا أسبابُ البلاء وأزِمَّة القضاء، فنعوذ بك أن نتكبَّر عن عبادتك أو نرفع بأنفسنا عن السجود لك والإلقاء بين يديك سلمًا، فمَن رامَ عزًّا فإنما ناله بالتذلُّل لك، وكيف لا يعزٌّ مَن انتصب لك خادمًا وألقىٰ نفسَه بين يديك عبوديةً وتسليمًا. إلهي، لو كانت لي نفوس غير واحدة لَحَقٌّ لها أن ألقيها بين يديك وأجود بها كلِّها، وكيف وإنها واحدة، وكيف لا أجود بها عليك وإنما نلتُها من عندك، وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها [وتغذوها] برأفتك؛ لتصلُح لجوارك غدًا والمصير إلىٰ ضيافتك في فردوس الجِنان يوم الزيادة، فبك أعوذ من جماحات نفسي وحرنها عن حقوقك، يا أكرم داعٍ، يا أحق[1] مُجاب.

* **سجدة النجم**: لك سجدنا، وإيَّاك عبدنا، وبأمرك ائتمرنا، وحقٌّ أن نسجد لإلهنا ومولانا. خلقتنا من تراب، ثم من نُطْفة، ثم من عَلَقة، في ظلمات ثلاث في بطون الأمَّهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا إلىٰ محل الابتلاء والامتحان ودار السباق والمضمار، وعرَّضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الأخطار وفتن دار الغرور وكيد العدوِّ وأمور الغيب في مشيئتك. يا ذا القدرة والعلوِّ والرفعة، دعوتنا إلىٰ دار السلام [وأنذرتنا] بسجون الأعداء، ومننت علينا منَّة الأحباب، وأبهمت العواقب

---

(١) في النوادر: ويا خير.

علينا من أمورنا، فمَن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، ومن ذا يكشف عنا ضرَّنا إن لم تكشف، يا خير مدعوٍّ وأكرم مسئول، يا راحم المذنبين، تفضَّل علينا بعفوك.

* **سجدة الانشقاق**: الحين والشغل أحاط بهم مولاي فاستكبروا عن توحيدك، وفوتُ الحظ منك نالهم إلهي فتعظَّموا عن الإيمان بك، وجعلوا معك إلهًا مغترِّين بقول العدو، فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قُرئ عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك، ينادَوْن من مكان بعيد، إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك والممنون عليه بذلك، قرَّبتهم، ووفرتَ حظَّهم منك، ونوَّرت قلوبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك[1]، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلهم بحبلك، فكلَّما تلوا آياتك فذكروك ذكر الصفاء رموا بأنفسهم إليك، وخرُّوا لوجوههم، واستروحوا إلىٰ ذلك، وتنسَّموا روح القُرْبة، وسكنوا بلطائف مقالتك نار الشوق إليك منهم، وتلقَّوا أمرك بإلقائهم بين يديك مترضِّين لك، فاجعلني ممَّن يترضَّىٰ لك فترضىٰ عنه، يا خير المقصودين.

* **سجدة العلق**: لك سجدنا، وبأسباب وسائلك تعلَّقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا قصدًا للاقتراب منك مولانا، فقد أنزلت في وحيك علينا أن ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] ثم قلت لنبيِّك: ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩] فجعلتَ له بالسجود إلىٰ القُرْبة سبيلاً، فمن ذا يستحق القربة منك يا مولاي إلا مَن رحمتَه فقرَّبتَه، فقد اقتربت بفعلي وإلقاء نفسي بين يديك تأميلاً لفضلك، وطمعًا في رحيب عفوك. ا.هـ.

وإنما سُقْتُ عبارته بتمامها لِما فيها من الغرابة تكثيرًا للفوائد.

---

(١) في النوادر: لعظيم الآيات.

فصل في اعتبار سجدات القرآن:

قال الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة(١): لمَّا قال الله تعالىٰ «قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي» ولم يذكر في القسمة إلا حال التلاوة ولم يتعرَّض للهيئات من الركوع وغيره وذكر التلاوة، علمنا أن الصلاة المطلوبة للحق ما فيها من التلاوة، فسمَّينا التالي مصليًا، أي مناجيًا لله بما يخص الله من الصفات وبما يخص العبدَ منها وبما يقع فيه الاشتراك، فجاء في الذي يتلوه من كلام الله مواضع ينبغي السجود فيها، فعيَّن لنا الشارعُ ما نسجد فيه ممَّا لا نسجد فيه، فنسجد فيما سجد فيه رسول الله ﷺ، ونترك فيما ترك، وإن كان اللفظ بالأمر يقتضي السجودَ ولكن لا نسجد؛ لكون الشارع ما شرع السجود إلا في مواضع مخصوصة لا تُتعدَّىٰ، والسجود المشروع في غير التلاوة مذكور، كسجود الإنسان عند رؤية الآيات، وكسجود الشكر، وغير ذلك [فلنذكر] عدد عزائم سجود القرآن، ونجمع المختلَف فيه إلىٰ المُجمَع عليه، وهي من إحدىٰ عشرة إلىٰ خمس عشرة سجدة، فمنها ما ورد بصيغة الخبر، ومنها ما ورد بصيغة الأمر. فمنها في الأعراف في خاتمتها، فأمَّا الأعراف فسور باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبَله العذاب، وعليه رجال تساوت حسناتهم وسيِّئاتهم، ولم تثقُل موازينُهم ولا خفَّت، وخاتمة هذه السورة قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وهذه الآية نزلت في القراءة في الصلاة، والسجود ركن من أركان الصلاة، وختم هذه السورة بذكر الملائكة فوصفهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وهم المقرَّبون من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ يقول: يذلُّون ويخضعون له ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ أي ينزِّهونه عن الصفات التي تقرَّبوا بها إليه من الذلة والخضوع ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] فوصفهم بالسجود له سبحانه مع هذه الأحوال المذكورة. وقال في آية ذكر النبيِّين لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] فأيُّ هداية أعظم ممَّا هدىٰ الله به

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٥٣٥ - ٥٣٩.

الملائكة؟! فسجد هذا التالي في هذا الموضع اقتداءً بالملأ الأعلىٰ وبهديهم، ورأىٰ أصحاب الأعراف أن موطن القيامة قد سجد فيه رسول الله ﷺ عند طلبه من ربِّه فتح باب الشفاعة، وسمعوا الله يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ [القلم: ٤٢] فعلموا أنه موطن سجود، فيسجد أهل الأعراف في ذلك الموطن، فيرجح ميزانُهم بتلك السجدة؛ لأنها سجدة تكليف مشروعة عن أمر إلهي، فيدخلون الجنة. فهذه سجدة الأعراف.

والسجدة الثانية سجدة في سورة الرعد عند قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥] وظلال الأرواح أجسادها، فأخبر الله تعالىٰ أنه يسجد له من في السموات ومن في الأرض، فهو خبر، فتعيَّن علىٰ العبد أن يصدِّق الله تعالىٰ في خبره بسجوده عنده، فيسجد طائعًا؛ فإنه يسجد في نفس الأمر علىٰ كره وإن لم يشعر بذلك، فيوقعها عبادةً؛ ليكون أنجَىٰ له، وذكر الغدو والآصال وهي الأوقات المنهيُّ عنها، فأخرج حكم السجود من حكم النافلة، وجعل حكمه حكم الفرائض في الأداء، فتعيَّن علىٰ التالي في هذه الآية السجودُ، فيجازَىٰ من باب مَن صدَّق ربَّه في خبره، فالأولىٰ سجدة اقتداء، والثانية سجدة تصديق.

والسجدة الثالثة في النحل عند قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠] فذكر الملائكة والظلال بالسجود، وسجدوا في الأعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلالُ الله، وهنا أثنىٰ الله عليهم [بأنهم يفعلون ما يؤمَرون، فسجدوا شكرًا لله لما أثنىٰ عليهم] بما وفَّقهم إليه من امتثال أمره، فسجدها العبد رغبةً في أن يكون ممَّن أثنىٰ الله عليه بما أثنىٰ به علىٰ ملائكته، فهي للعبد سجود ذلة وخضوع؛ فإنه يقول: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل: ٤٨] الضمير في «ظلاله» يعود علىٰ الشيء المخلوق، وقد قلنا إن الأجسام ظلال الأرواح، ولا تتحرَّك إلا بتحريك الأرواح إيَّاها، ثم قال: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ۝٤٨﴾ أي أذلاء، فهو سجود ذلة وخضوع.

والسجدة الرابعة في بني إسرائيل عند قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] فهذه سجدة الزيادة في الخشوع، والخشوع لا يكون إلا عن تَجَلٍّ إلهي، فزيادة الخشوع دليل علىٰ زيادة التجلِّي، فهي سجدة التجلِّي.

والسجدة الخامسة في مريم عند قوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨] فهذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضا؛ فإن الله قرن هذا السجود بآيات الرحمن، والرحمة لا تقتضي القهرَ والعظمة، وإنما تقتضي اللطف والعطف الإلهي، فدمعت عيونهم فرحًا بما بشَّرهم الله به من هذه الآيات، فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع، والدموع دموع فرح لا دموع كمد وحزن؛ لأن مقام الاسم «الرحمن» لا يقتضيه.

والسجدة السادسة في الحج عند قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨] وذكر سجود كل شيء في هذه الآية، ولم يبعِّض إلا الناس؛ فإنه قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ وجعل ذلك من مشيئته، فيبادر العبد بالسجود في هذه الآية؛ ليكون من الكثير الذي يسجد لله، لا من الكثير الذي حقَّ عليه العذابُ، فإذا رأىٰ هذا العبد أن الله تعالىٰ قد وفَّقه للسجود ولم يَحُلْ بينه وبين السجود علم أنه من أهل العناية الذين التحقوا بمن لم يبعَّض سجودهم ممَّن في السموات ومَن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.

والسجدة السابعة في سورة الحج في آخرها عند قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة، فكان فعل الخير بمبادرته بالسجود عندما يسمع هذه الآية تُتلَىٰ سببًا لإيمانه؛ إذ كان الله رؤوفًا بالمؤمنين في هذه الآية، وأمرهم بالركوع والسجود له، فالتحقوا بالملائكة في كونهم يفعلون ما يؤمَرون، فسجد العبد فأفلح، وهي سجدة خلاف.

والسجدة الثامنة في الفرقان عند قوله: ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠] لمَّا قيل لهم: اسجدوا للرحمن، فسجدها المؤمن عندما يتلو؛ ليمتاز بها عن الكافر المنكِر لاسمه «الرحمن»، فهذه تسمَّىٰ: سجدة الامتياز، والله يقول: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾ [يس: ٥٩] فيقع الامتياز بين المنكرين للاسم «الرحمن» وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذي كان منهم عند هذه التلاوة، وزادهم هذا الاسمُ نفورًا لجهلهم به، ولهذا قالوا: وما الرحمن؟ علىٰ طريق الاستفهام، فهذا سجود إنعام لا سجود قهر؛ فإنَّ الكفار أخطأوا حيث رأوا أن الرحمن يناقض التكليفَ، ورأوا أن الأمر بالسجود تكليف، فلا ينبغي أن يكون السجود لمَن له هذا الاسم «الرحمن»؛ لِما فيه من المبالغة في الرحمة، فلو ذكره بالاسم الذي يقتضي القهرَ ربما سارع الكافر إلىٰ السجود خوفًا، فما زادهم نفورًا إلا اقتران التكليف بالاسم «الرحمن»؛ فإنَّ الرحمن مَن عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلف ابتداءً، ولو علم هذا الجاهل أن أمره تعالىٰ بالسجود للرحمن لا يناقض التكليفَ وإنما يناقض المؤاخذةَ ويزيد في الجزاء بالحسنىٰ لبادر إلىٰ ذلك كما بادر المؤمن.

والسجدة التاسعة في النمل، وموضع السجود منها مختلَف فيه، فقيل: عند قوله: ﴿تُعْلِنُونَ ۝١٩﴾ [النمل: ٢٥] وقيل: عند قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [النمل: ٢٦] فهذا هو سجود توحيد العظمة إن سجد في «العظيم»، وإن سجد في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥﴾ يقول: إن الشمس التي يسجدون لها وإن اعتقدوا أنها تعلم ما يعلنون فالسجود لمَن يعلم ما يخفون وما يعلنون أَولىٰ، ثم إنهم يسجدون للشمس لكونها تُخرِج لهم بحرارتها ما خبأت الأرض من النبات، فقال الله لهم: ينبغي لكم أن تسجدوا للذي يُخرِج الخبء في السموات، وهو إخراجه ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها ثم يُظهِرها طالعةً من ذلك الخبء، وفي الأرض ما يخرجه من نباتها، فالشمس ليس لها ذلك، بل بظهورها يكون خبأ ما في السموات من الكواكب، فالله

أَولىٰ بأن يُسجَد له من سجودكم للشمس؛ فإنَّ حكمها عند الله حكم الكواكب في الأفول والطلوع، فطلوعها من الخبء الذي يخرجه الله في السماء مثل سائر الكواكب، فهذا سجود الرجحان؛ فإنَّ الدليل هنا في خبء الله أرجح منه في الدلالة علىٰ ألوهيَّة الشمس حين اتَّخذتموها إلهًا؛ لِما ذكرناه.

والسجدة العاشرة في السجدة عند قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] فهذا سجود الغافلين؛ لأنه سجود عن تذكُّرٍ، فلمَّا ذُكِّروا أيقظتهم الذكرىٰ عن غفلتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥] فيسجدون ويسبِّحون في سجودهم بحمد ربِّهم، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يعني عند الذكرىٰ لا يتكبَّرون عن قبول ما ذُكِّروا به من آيات ربهم.

والسجدة الحادية عشر في ص عند قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] فهذا سجود الإنابة، وهي سجدة شكر، وفي السجود فيها خلافٌ؛ فإنَّ داود سجدها إنابةً، ونحن نسجدها شكرًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢٥].

والسجدة الثانية عشر في حم السجدة، وفي موضعها خلافٌ، فقيل: عند قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧] [وقيل: عند قوله: ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] فمَن سجد عند قوله: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾] فهي عنده سجود عبادة، ومَن سجد عند قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ كانت عنده سجدة نشاط ومحبة.

وأمَّا السجدة الثالثة عشر فسجدة النجم؛ فإنها أُمِرَ بها أهل الغناء واللهو وهم السامدون، أي: وإن كنتم أهل غناء فتغنَّوا بالقرآن واسجدوا لله فيه واعبدوه، وهي لغة حميرية، يقال: اسمد لنا، أي غَنِّ لنا، وكانت العرب إذا سمعت القرآن غنَّت

حتىٰ لا تسمع القرآن، فأنكر عليهم من كونهم يغنُّون ويضحكون ولا يبكون، فإذا كنتم بهذه المثابة فاسجدوا لله، أي من أجل الله واعبدوا؛ فإنَّ الذلة والافتقار تمنع من الضحك، فهو أنفعُ لكم؛ فإنَّ الله قد مدح قومًا خرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا؛ فإنَّ موطن الدنيا موطن حذر وإشفاق، ما هو موطن أمان، والحكيم العالِم هو الذي يعامل كلَّ موطن بما تقتضيه الحكمةُ، وهذه سجدة خلاف.

وأمَّا السجدة الرابعة عشر فهي سجدة الانشقاق عند قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق: ٢١] فهذا سجود الجمع؛ لأنه سجود عند القرآن، والجمع يؤذِن بالكثرة؛ فإنَّ الأَحَديَّة لله تعالىٰ، فكأنَّه يقول: وإذا سُمع القرآن الذي هو مجموع صفات جلال الله من التنزيه كيف لا يتذكَّر السامع جمعيَّته فيسجد لمَن له جميع صفات التنزيه، فيكون السجود لمقام جمعٍ من حال جمعٍ.

وأمَّا السجدة الخامسة عشر فسجدة اقرأ عند قوله: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] وهذا يسمَّىٰ: سجود القُربة، وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله «كلاَّ» لما جاء به مَن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، يقول: واقترب إليَّ منه تعتصم باقترابك مني ممَّا دعاك إليه فتأمن غائلةَ ذلك. والله أعلم.

ثم قال المصنِّف رحمه الله تعالىٰ: (**ويُشترَط في هذا السجود شروط الصلاة**) المذكورة في محلِّها؛ لأنها جزء من أجزائها (**من ستر العورة، واستقبال القِبلة، وطهارة الحدث والخبث من الثوب والبدن**) بلا خلاف إلا في المحاذاة وفي القهقهة فإنه يعيدها دون الوضوء عند أصحابنا[1] (**ومن لم يكن علىٰ طهارة عند السماع**) للسجدة (**فإذا تطهَّر سجد**) وبه قال الأئمَّة الثلاثة. قال الرافعي: هذا إذا كان الفصل قصيرًا، وإن طال فاتت، وهل تُقضَىٰ؟ قولان حكاهما صاحب التقريب، أظهرُهما وبه قطع الصيدلاني [وآخرون]: لا تُقضَىٰ. ا.هـ.

---

(١) انظر: تحفة الفقهاء للسمرقندي ١/ ٢٣٧.

وقيل[١]: يسجد وإن لم يكن طاهرًا، نُقل ذلك من فعلِ ابن عمر، واختاره الشيخ الأكبر قُدِّس سره، والاعتبار فيه أن طهارة القلب شرط في صحة السجود لله من كونه ساجدًا، وطهارة الجوارح في وقت السجود معقولة؛ فإنها منصرفة في عبادة لم يُشترَط في فعلها استعمال ماء ولا تراب، وإن كان على طهارة من ماء أو تراب فهو أَولىٰ. وأمَّا استقبال القِبلة فالمتفَق عليه بين الأئمَّة ما ذُكر، ومنهم من قال: يسجد للتلاوة لأيِّ جهة كان وجهه، والأَولىٰ استقبال القبلة، والاعتبار في ذلك: الله قبلة القلوب بلا خلاف، فإذا سجد لله فقد سجد للقبلة؛ فإنَّ الله بكل شيء محيط، لا تقيِّده الجهات، ولا تحصره الأينيَّات، فإن جمع الساجد بين القبلتين فهو أكملُ حسًّا وعقلاً، فيقيد من يقبل التقييدَ، ويطلق من يقبل الإطلاقَ، فيعطي كل ذي حقٍّ حقه.

(**وقد قيل في كمالها**) إذا كانت في غير الصلاة (**أنه**) يقوم وينوي و(**يكبِّر رافعًا يديه**) حذو منكبيه (**للإحرام**) أي كما يفعل به في افتتاح الصلاة (**ثم يكبِّر**) أخرىٰ (**للهويِّ للسجود**) من غير رفع اليد، ثم يسجد (**ثم يكبِّر للارتفاع**) كما يفعل عند رفع الرأس من سجود الصلاة، وفي تكبيرة الافتتاح أوجُهٌ، أصحُّها: أنها شرط، والثاني: مستحبَّة، والثالث: لا تُشرَع أصلاً، قاله أبو جعفر الترمذي، وهو شاذٌّ منكَر. والمستحَب أن يقوم وينوي قائمًا ويكبِّر ثم يهوي للسجود من قيام، قاله الشيخ أبو محمد والقاضي الحسين وصاحب التهذيب[٢] والتتمَّة، وأنكره إمام الحرمين[٣] وغيره، قال الإمام: لم أرَ لهذا ذِكرًا ولا أصلاً، وهذا الذي قاله الإمام هو الأصوب، فلم يذكر جمهور الأصحاب هذا القيامَ، ولا ثبت فيه شيءٌ ممَّا يُحتَجُّ به، فالاختيار تركُه. كذا في الروضة (**ثم يسلِّم**) يمينًا وشِمالاً، وهل يُشترَط السلام؟ فيه قولان، أظهرُهما: نعم (**وزاد زائدون التشهدَ، ولا أصل لهذا**

(١) الفتوحات المكية ١/ ٥٤٠.

(٢) التهذيب للبغوي ٢/ ١٧٩، ونصه: «وإن كان خارج الصلاة يستحب أن يكبر للافتتاح ويرفع يديه حذو منكبيه، ويستحب أن يقوم فيكبر ثم يكبر فيسجد ثم يكبر فيرفع ولا يتشهد».

(٣) نهاية المطلب ٢/ ٢٣٢.

إلا القياس علىٰ سجود الصلاة، وهو) قياس **(بعيد)** عن المعقول **(فإنه ورد الأمر بالسجود)** فقط **(فليُتَّبع فيه الأمر)** ويُقتصَر عليه. وعدم اشتراط التشهد هو أصح الوجهين في المذهب، ومن الأصحاب من يقول: في اشتراط السلام والتشهد ثلاثة أوجُه، أصحُّها: يُشترَط السلام دون التشهد. وإذا قلنا: التشهد ليس بشرط، فهل يُستحَبُّ؟ وجهان حكاهما في النهاية. قال النووي: الأصح: لا يُستحَبُّ **(وتكبيرة الهوي أقرب للبداية)** وهي مستحبَّة وليست بشرط **(وما عدا ذلك)** أي ما ذُكر **(ففيه بعدٌ)** عن قواعد المذهب.

وإذا كانت سجدة التلاوة في الصلاة فلا يكبِّر للافتتاح، لكن يُستحَب التكبير للهويِّ إلىٰ السجود من غير رفع اليدين، وكذا يكبِّر عند رفع الرأس كما يفعل في سجدات الصلاة. وفي وجه شاذٍّ: أنه لا يكبِّر للهويِّ ولا للرفع؛ قاله ابن أبي هريرة. وإذا رفع رأسه قام، ولا يجلس للاستراحة. ويُستحَب أن يقرأ شيئًا ثم يركع، ولا بدَّ من انتصابه قائمًا ثم يركع؛ فإنَّ الهويَّ من القيام واجب. كذا في الروضة.

وقال أصحابنا[1]: إذا أراد أن يسجد للتلاوة فإنه يكبِّر لها، ولا يرفع يديه، ويسجد، ثم يرفع رأسه ويكبِّر اعتبارًا بالصلاة، وهو المرويُّ عن ابن مسعود رضي الله عنه، وليس فيها تشهدٌ ولا سلام؛ لأنه للتحليل، ولا تحريم هناك.

وروىٰ الحسن عن أبي حنيفة: أنه لا يكبِّر إذا انحطَّ للسجود، ويكبِّر إذا رفع رأسه. وفي «التنبيه»: ذكر الصدر الشهيد في الواقعات: يكبِّر فيها عند الابتداء والانتهاء، وهو المختار، كما في المكتوبة.

(ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام) فلو لم يفعل بطلت صلاته، وإذا لم يسجد الإمام لا يسجد المأموم، ولو فعل بطلت صلاتُه، ويحسُن القضاءُ إذا فرغ ولا يتأكَّد، ولو سجد الإمام ولم يعلم المأموم حتىٰ رفع الإمام رأسه من

---

(١) البناية شرح الهداية ٢/ ٦٧٦ - ٦٧٧.

السجود لم يسجد، وإن علم وهو في السجود سجد، وإن كان المأموم في الهويِّ ورفع الإمام رأسه رفع معه ولم يسجد، وكذا الضعيف الذي هوىٰ مع الإمام لسجود التلاوة فرفع الإمام رأسه قبل انتهائه إلىٰ الأرض لبطء حركته يرفع معه ولا يسجد (**ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأمومًا**) بل يُكرَه له قراءة السجدة. ولا يسجد لقراءة غير الإمام، بل يُكرَه له الإصغاء إليها، ولو سجد لقراءة نفسه أو قراءة غير إمامه بطلت صلاتُه. كذا في الروضة.

مسائل منثورة تتعلق بالباب:

منها: أن المصلِّي إذا كان منفردًا يسجد لقراءة نفسه، فلو لم يسجد فركع ثم بدا له أن يسجد لم يَجُزْ، فلو كان قبل بلوغه حدَّ الراكعين جاز، ولو هوىٰ لسجود التلاوة ثم بدا له فرجع جاز، كما لو قرأ بعض التشهد الأول ولم يتمَّه فإنه يجوز.

ومنها: إذا قرأ آيات السجدات في مكان واحد سجد لكل واحدة، فلو كرَّر الآية الواحدة في المجلس الواحد نُظر إن لم يسجد للمرة الأولىٰ كفاه سجودٌ واحدٌ، وإن سجد للأولىٰ فثلاثة أوجهٍ، الأصح: يسجد مرة أخرىٰ؛ لتجدُّد السبب. والثاني: تكفيه الأولىٰ. والثالث: إن طال الفصلُ سجد أخرىٰ، وإلا فتكفيه الأولىٰ. ولو كرَّر الآية الواحدة في الصلاة فإن كان في ركعة فكالمجلس الواحد، وإن كان في ركعتين فكالمجلسين. ولو قرأ مرةً في الصلاة ومرة خارجها في المجلس الواحد وسجد [للأولىٰ] فقال الرافعي: لم أرَ فيه نصًّا للأصحاب، وإطلاقهم يقتضي طرد الخلاف فيه.

ومنها: لو كان يصلي فقرأ قارئ آيةَ السجدة فإذا فرغ من صلاته هل يقضي سجود التلاوة. المذهب أنه لا يقضيه، وبه قطع الشاشي وغيره، واختاره إمام الحرمين؛ لأن قراءة غير إمامه لا تقتضي سجودَه، وإذا لم نُجِزْ ما يقتضي السجود أداءً فالقضاء بعيد. وقال صاحب التهذيب: يحسُن أن يقضي ولا يتأكَّد، كما يجيب

المؤذِّن إذا فرغ من الصلاة[١].

ومنها: إذا قرأ السجدة في الصلاة قبل الفاتحة سجد، بخلاف ما لو قرأها في الركوع أو السجود فإنه لا يسجد، ولو قرأ السجدة فهوىٰ ليسجد فشكَّ هل قرأ الفاتحة فإنه يسجد للتلاوة ثم يعود إلىٰ القيام فيقرأ الفاتحة، ولو قرأ خارج الصلاة السجدة بالفارسية لا يسجد، وإذا سجد المستمع مع القارئ لا يرتبط به، ولا ينوي الاقتداءَ به، وله الرفع من السجود قبله.

ومنها: لو قرأ آية سجدة في الصلاة فلم يسجد وسلَّم يُستحَب له أن يسجد ما لم يَطُل الفصلُ، فإن طال ففيه الخلاف المتقدِّم.

ومنها: لو سجد للتلاوة قبل بلوغ السجدة ولو بحرف لم يصحَّ سجوده، ولو قرأ بعد السجدة آيات ثم سجد جاز ما لم يَطُل الفصلُ.

ومنها: لو قرأ سجدة فسجد فقرأ في سجوده سجدة أخرىٰ لا يسجد ثانيًا علىٰ الصحيح المعروف، وفيه وجه شاذٌّ حكاه في البحر: أنه يسجد. قال صاحب البحر[٢]: إذا قرأ الإمام السجدة في صلاة سرية استُحِبَّ تأخير السجود إلىٰ فراغه من الصلاة. قال: وقد استحبَّ أصحابنا للخطيب إذا قرأ سجدة أن يترك السجود؛ لِما فيه من كُلْفة النزول عن المنبر والصعود. قال: ولو قرأ السجدة في صلاة الجنازة لم يسجد فيها، وهل يسجد بعد الفراغ؟ وجهان، أصحُّهما: لا يسجد.

فصل في مسائل منثورة لأصحابنا تتعلق بالباب:

إن تلا الإمام السجدة سجد هو والمأموم معه وإن لم يسمعها؛ لالتزامه متابعته[٣]، وإن تلاها المأموم لم يسجداها، لا في الصلاة ولا بعد الفراغ عند أبي

---

(١) نص البغوي في التهذيب ٢/ ١٨٠: «ولا يجوز للمصلي أن يسجد للتلاوة غير إمامه، فلو فعل بطلت صلاته، فإذا فرغ فحسن أن يسجد، كما يجيب المؤذن بعد الفراغ من الصلاة».

(٢) بحر المذهب للروياني ٢/ ٢٧٧.

(٣) انظر: البناية شرح الهداية ٢/ ٦٦٤ - ٦٧٦. النهر الفائق ١/ ٣٣٨ - ٣٤٣. الاختيار لتعليل المختار ١/ ٧٥ - ٧٦. الفتاوىٰ الهندية ١/ ١٣٢ - ١٣٣.

حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد: يسجدونها إذا فرغوا من الصلاة؛ لأن السبب قد تقرَّر، ولا مانع بعد الفراغ، وإن سمعها من هو من أهل الخطاب ممَّن ليس هو من أهله لزمه أن يسجد لها وإن لم تكن واجبة علىٰ مَن تلاها، ولو سمع آية السجدة من النائم أو من الطير فقال بعضهم: تجب عليه، وقال آخرون: لا، وهل تجب علىٰ النائم؟ فعلىٰ هذا الاختلاف. وإن تلاها بالفارسية فهو كما إذا تلاها بالعربية عند أبي حنيفة، حتىٰ تجب علىٰ كل مَن سمعها أن يسجدها، سواءٌ فهمها أو لم يفهمها بعد أن أُخبِر بذلك، وقالا: تجب عليه وعلىٰ كل مَن فهم التلاوة، ولا تجب علىٰ مَن لا يفهمها، وإن تلاها بالهجاء لا تجب عليه؛ لأنه لا يقال: قرأ القرآن. فإن سمعها من ليس في الصلاة سجدها علىٰ الصحيح، وإن سمعها المصلِّي ممَّن ليس معه في الصلاة سجدها بعد الصلاة؛ لأنها ليست من أفعال الصلاة، وقد تحقَّق سببها وهو السماع، ولو سجدها في الصلاة أعادها خارج الصلاة؛ لأنها ناقصة لمكان النهي، فلا يتأدَّىٰ به الكامل، ولا يعيد الصلاة. وفي النوادر: تفسد صلاتُه؛ لأنه زاد فيها ما ليس منها، وقيل: هو قول محمد، ومَن تلاها في الصلاة فلم يسجدها فيها سقطت، ولو تلاها في الصلاة إن شاء ركع بها، وإن شاء سجدها ثم قام وقرأ، وهو أفضلُ، يُروَىٰ ذلك عن أبي حنيفة. وفي الينابيع: تالي آية السجدة في الصلاة لا يخلو من ثلاثة أوجُه: إمَّا أن تكون السجدة في وسط السورة أو في آخرها أو في خاتمتها وبعدها آيتان أو ثلاث آيات، ففي الأولىٰ الأفضلُ أن يسجد ثم يقوم ويختم السورة [ويركع] ولو لم يسجد وركع ونوىٰ [السجدة] يجزئه قياسًا، ولو لم يسجد ولم يركع حتىٰ أتمَّ السورةَ ثم ركع ونوىٰ السجدةَ لا يجزئه، ولا تسقط عنه بالركوع، وعليه قضاؤها بالسجود مادام في الصلاة. وفي الثاني الأفضلُ أن يركع بها، فلو سجد ولم يركع فلا بدَّ أن يقرأ [شيئًا] من سورة أخرىٰ بعد رفع الرأس من السجود، وإن رفع رأسه ولم يقرأ شيئًا وركع وسجد للصلاة جازت صلاته، ولو لم يركع ولم يسجد وجاوز إلىٰ سورة أخرىٰ فليس له أن يركع بها، وعليه أن يسجدها ما دام في الصلاة. وفي الثالث هو بالخيار إن شاء ركع بها، وإن شاء سجد، فإذا أراد

أن يركع بها جاز أن يختم السورة ويركع بها، ولو سجدها ثم قام فإنه يختم السورة ويركع للصلاة، ويسجد لها، فإن وصل إليها شيئًا آخر من سورة أخرىٰ فهو أفضل. ولو قرأ آية السجدة في الصلاة وأراد أن يركع بها يحتاج إلىٰ النية عند الركوع وإلا لم يجزئه عن السجود، ولو نوىٰ في ركوعه فقيل: يجزئ، وقيل: لا. ا.هـ. ملخَّصًا.

فصل في اعتبار من يتوجَّه عليه حكمُ السجود:

اعلم[١] أنه يجب السجود علىٰ القلب، وهو سجود لا رفع بعده، اتفق لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ في أول دخوله إلىٰ هذا الطريق أنه رأىٰ قلبه قد سجد في الساجدين، فأراد أن يسأل شيوخ الطريق عن واقعته، فلم يجد أحدًا يعرف ما يقول، فقيل له: إن في عبادان شيخًا معتبَرًا. فرحل إليه من أجل هذه الواقعة، فلمَّا دخل عليه قال له: يا شيخ، أيسجد القلب؟ فقال له الشيخ: إلىٰ الأبد. فوجد شفاءه، ولزم خدمته. ومدار هذه الطريقة علىٰ هذه السجدة، إذا حصلت للإنسان فقد كملت معرفتُه وعصمته فلم يكن للشيطان عليه سبيل، ويسمَّىٰ هذا في حق الوليِّ حفظًا أدبًا مع الأنبياء؛ ليتحقَّقوا[٢] باسم العصمة، فإن لم يسجد القلب فليس بمحفوظ، وهذه مسألة دقيقة عظيمة في الطريق ما تحصل إلا لأفراد يعزُّ وجودُهم وهم الذين هم علىٰ بيِّنة من ربِّهم، والبيِّنة تجلِّيه، ويتلو تلك البينةَ شاهدٌ من العبد وهو سجود القلب، فإذا اجتمعت البينة والشاهد عُصم القلب وحُفظ، كما قرَّرناه، وعلىٰ هذا المقام من طريق القوم أسباب حارَ فيها القومُ، مثل قول أبي يزيد: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨] حين سُئل: أيعصي العارف؟ فأجاب بالأدب، ولم يقل نعم ولا لا؛ لمعرفته بما ثَم. والله أعلم.

(**الثامن: أن يقول في مبتدأ قراءته: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**) هذه[٣]

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٥٣٩.

(٢) في الفتوحات: ليختصوا.

(٣) الإتقان ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

صفته المختارة؛ قاله النووي(١). والأصل في سُنِّية التعوذ قبل القراءة قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] أي أردتَ قراءته. وذهب قوم إلىٰ أنه يتعوَّذ بعدها لظاهر الآية، وقومٌ إلىٰ وجوبها لظاهر الآية. قال النووي: وكان جماعة من السلف يقولون في التعوذ: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

ونقل السيوطي في الإتقان عن حمزة: أستعيذ ونستعيذ واستعذتُ. واختاره صاحب «الهداية»(٢) من الحنفية؛ لمطابقته لفظ القرآن. وعن حميد بن قيس: أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر. وعن ابن السماك: أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي. وعن قوم: أعوذ بالله [العظيم من الشيطان الرجيم. وعن آخَرين: أعوذ بالله] من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم. وفيها ألفاظ أُخَر.

وقال الحُلْواني في جامعه: ليس للاستعاذة حدٌّ يُنتهَىٰ إليه، من شاء زاد، ومن شاء نقص.

وفي النشر(٣) لابن الجزري: المختار عند أئمَّة القراءة الجهر بالتعوُّذ إظهارًا لشعائر القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد، ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها، لا يفوته منها شيءٌ، وإذا أخفَىٰ التعوذَ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته شيء من المقروء، وهذا المعنىٰ هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها، واختلف المتأخِّرون في المراد بإخفائه، فالجمهور علىٰ أن المراد به الإسرار، فلا بدَّ من التلفُّظ وإسماع نفسه، وقيل: الكتمان بأن يذكره بقلبه بلا تلفُّظٍ. قال: وهل

---

(١) التبيان ص ٨٠ - ٨١.

(٢) البناية شرح الهداية ٢/ ١٨٨ - ١٩٠، ونصه: «ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ معناه: إذا أردت قراءة القرآن، والأولىٰ أن يقول: أستعيذ بالله؛ ليوافق القرآن، ويقرب منه: أعوذ بالله».

(٣) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٥٣ - ٢٥٩.

الاستعاذة سنَّة كفاية أو عين؟ حتىٰ لو قرأ جماعةٌ جملةً فهل تكفي استعاذةُ واحد منهم كالتسمية علىٰ الأكل أو لا؟ لم أرَ فيه نصًّا، والظاهر الثاني؛ لأن المقصود اعتصام القارئ والتجاؤه بالله من شر الشيطان، فلا يكون تعوُّذُ واحدٍ كافيًا عن آخر. ا.هـ.

ولا بدَّ من المحافظة علىٰ البسملة بعد الاستعاذة أول كل سورة غير براءة، وتتأكَّد عند قراءة نحو ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] لِما في ذِكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلىٰ الشيطان. كذا في الإتقان.

واستحسن بعض السلف أن يقول بعد التعوُّذ المذكور: (**رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. وليقرأ: قل أعوذ برب الناس**) إلىٰ آخر السورة؛ فإنها من أحسن ما يُتحصَّن به من وسواس الشياطين (**وسورة الحمد**) فإنها الجامعة المانعة (**وليقل عند فراغه من كل سورة: صدق الله**) العظيم، وبلَّغ رسولُه النبي الكريم، ونحن علىٰ ذلك من الشاهدين. أو يقول: صدق الله (**وبلَّغ رسولُ الله ﷺ**) وليدْعُ بما أحب، والأحسن أن يقول: (**اللهم انفعنا به، وبارِكْ لنا فيه**) ثم يقول عقيبه: (**والحمد لله رب العالمين، وأستغفرُ الله الحي القيُّوم**) أو: أستغفر الله العظيم. كل ذلك نقله صاحب القوت.

(و) من الآداب (**في أثناء القراءة: إذا مرَّ بآية تسبيح سبَّح وكبَّر، وإن مرَّ بآية دعاء واستغفار دعا**) بما يليق بمقام الآية (**واستغفر، وإن مرَّ بآية تضرُّع وسؤال**) تملَّق و(**تضرَّع وسأل، وإن مرَّ بآية تخويف استعاذ، ويفعل ذلك بلسانه أو بقلبه**) أو بهما وهو الأفضل (**فيقول**) في محل التسبيح: (**سبحان الله**) وفي موضع التكبير: الله أكبر، وفي محل التعوذ: (**أعوذ بالله**) وفي محل الدعاء: (**اللهم ارزقنا، اللهم ارحمنا**) اللهم اغفر لنا، اللهم استرنا، اللهم أجِرْنا، ونحو ذلك.

(قال حذيفة) بن اليمان العَبَسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**صلَّيت مع رسول الله ﷺ**) ذات ليلة (**فابتدأ بسورة البقرة**) فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ مترسِّلاً (**فكان لا يمرُّ بآية عذاب إلا استعاذ، ولا بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية تنزيه إلا سبَّح**) هكذا رواه مسلم في صحيحه[١] مع اختلاف لفظ، ولفظه: كان إذا مر بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوُّذ تعوَّذ.

وروىٰ أبو داود[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قمت مع النبي ﷺ ليلةً، فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا بآية عذاب إلا وقف وتعوَّذ.

وروىٰ أحمد[٥] وأبو داود[٦] عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قرأ «سبح اسم ربك الأعلىٰ» قال: سبحان ربِّي الأعلىٰ.

وعند أبي داود[٧] والترمذي[٨] في حديث: «مَن قرأ والتين والزيتون فانتهىٰ إلىٰ آخرها ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨] فليقل: بلىٰ وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهىٰ إلىٰ آخرها ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠] فليقل: بلىٰ، ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل: آمنا بالله».

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٣٥١.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٨.
(٣) الشمائل المحمدية ص ١٤٧.
(٤) سنن النسائي ص ١٨٤.
(٥) مسند أحمد ٣/ ٤٩٥.
(٦) سنن أبي داود ٢/ ١١.
(٧) السابق ٢/ ١٣ من حديث أبي هريرة.
(٨) سنن الترمذي ٥/ ٣٧٠ حتىٰ قوله (من الشاهدين) ولم يذكر ما بعده.

وروىٰ الترمذي[١] والحاكم[٢] عن جابر قال: خرج رسول الله ﷺ علىٰ أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلىٰ آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتُها ليلة الجن علىٰ الجن فكانوا أحسن مردودًا منكم، كنت كلَّما أتيت علىٰ قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ قالوا: ولا بشيء من نعمتك ربَّنا نكذِّب، فلك الحمدُ».

وروىٰ[٣] ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن إبراهيم النَّخَعي عن علقمة قال: صلَّيت إلىٰ جنب عبد الله، فافتتح سورة طه، فلمَّا بلغ ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] قال: رب زدني علمًا، رب زدني علمًا.

وروىٰ ابن مردويه والديلمي[٤] وابن أبي الدنيا[٥] بسند ضعيف عن جابر أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] فقال: «اللهم أمرتَ بالدعاء وتكفَّلت بالإجابة، لبيك اللهم لبيك، لبَّيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلك، لا شريك لك، أشهد أنك فرد أحد صمد، لم يلد ولم يولَد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن وعدك حق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة آتية لا ريبَ فيها، وأنك تبعث مَن في القبور».

وروىٰ أبو داود[٦] وغيره عن وائل بن حُجْر سمعت النبي ﷺ قرأ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقال: آمين، يمدُّ بها صوته.

ورواه الطبراني[٧] بلفظ: قال «آمين» ثلاث مرات.

---

(١) السابق ٥/ ٣٢١.
(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٥٨.
(٣) نتائج الأفكار ٣/ ١٩٣.
(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٤٠.
(٥) الشكر لابن أبي الدنيا ص ٦١.
(٦) سنن أبي داود ٢/ ٣٤.
(٧) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٢.

ورواه البيهقي[١] بلفظ: قال: رب اغفر لي آمين.

ويُروَىٰ[٢] عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال: آمين.

وعن أبي ميسرة أن جبريل لقَّن رسولَ الله ﷺ عند خاتمة البقرة: آمين.

(**فإذا فرغ**) من قراءته (**قال ما كان يقوله ﷺ عند ختم القرآن: اللهم ارحمني بالقرآن**) العظيم (**واجعله لي إمامًا ونورًا وهدىً ورحمة، اللهم ذكِّرْني منه ما نسيت، وعلِّمْني منه ما جهلتُ، وارزقني تلاوته آناء الليل وآناء النهار، واجعله حُجَّة لي يا رب العالمين**) قال العراقي[٣]: رواه أبو منصور المظفَّر بن الحسين الأرَّجاني في «فضائل القرآن» وأبو بكر ابن الضحَّاك في الشمائل، كِلاهما من طريق أبي ذر الهَرَوي من رواية داود بن قيس معضَلاً.

تنبيه:

ويُستحَب الدعاء عند ختم القرآن. روىٰ الطبراني[٤] عن أنس أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله [وولده] ودعا [لهم].

وروىٰ ابن أبي داود عن الحكم بن عُتَيبة قال: أرسل إليَّ مجاهد وعبدة بن أبي لُبابة وناس يعرضون المصاحف، فقال: إنَّا أرسلنا إليك لأنَّا أردنا أن نختم القرآن، والدعاء يُستجاب عند ختم القرآن[٥].

---

(١) السنن الكبرىٰ ٢/ ٨٤.

(٢) هذا الأثر والذي بعده رواهما أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٣) المغني ١/ ٢٢٦.

(٤) المعجم الكبير ١/ ٢٤٢.

(٥) هذان طريقان أدمجهما الشارح في سياق واحد، وقد رواهما منفصلين ابن الضريس في فضائل القرآن ص ٤٤، ٥٣. ولفظ الأول: بعث إلي مجاهد وعبدة بن أبي لبابة فقالوا: إنا نريد أن نختم القرآن، وأنه كان يقال: إن الدعاء مستجاب عند ختم القرآن. ورواه الدارمي في سننه ٢/ ٥٦١ بنحوه. ولفظ الثاني: كان مجاهد وعبدة بن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف، فلما كان اليوم الذي أرادوا =

وعن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقولون: عنده تنزل الرحمة[١].

وروىٰ الطبراني في المعجم الكبير[٢] عن العِرْباض بن سارية رفعه: «مَن ختم القرآن فله دعوة مستجابة».

وروىٰ ابن الضريس[٣] عن ابن مسعود قال: مَن ختم القرآن فله دعوة مستجابة. وكان عبد الله إذا ختم [القرآن] جمع أهله فدعا وأمَّنوا علىٰ دعائه.

وروىٰ الدارمي[٤] من طريق صالح المري عن قتادة قال: كان رجل يقرأ القرآن في مسجد المدينة، وكان ابن عباس قد وضع [عليه] الرصد، فإذا كان يوم ختمِه قام فتحوَّل إليه.

ويُستحَبُّ[٥] التكبير من الضحىٰ إلىٰ آخر القرآن، وهي قراءة المكِّيين. روىٰ البيهقي في الشعب[٦] وابن خُزَيمة من طريق ابن أبي بَزَّة، سمعت عكرمة بن سليمان قال: قرأت علىٰ إسماعيل بن عبد الله المكي، فلمَّا بلغتُ الضحىٰ قال: كبِّرْ حتىٰ تختم؛ فإني قرأت علىٰ عبد الله بن كثير فأمرني بذلك وقال: قرأت علىٰ مجاهد فأمرني بذلك، وأخبر مجاهدٌ أنه قرأ علىٰ ابن عباس فأمره بذلك، وأخبر ابنُ عباس

= أن يختموا فيه أرسلوا إليَّ وإلىٰ سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف، فأردنا أن نختم، فأحببنا أن تشهدوا، إنه كان يقال: إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته. ورواه الفريابي في فضائل القرآن ص ١٨٩ - ١٩٠، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص١٠٧.

(١) رواه محمد بن نصر في مختصر قيام الليل ص ٢٦١.

(٢) المعجم الكبير ١٨/ ٢٥٩.

(٣) فضائل القرآن ص ٥١.

(٤) سنن الدارمي ٢/ ٥٥٩.

(٥) الإتقان ص ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٦) شعب الإيمان ٣/ ٤٢٦ - ٤٢٨.

أنه قرأ علىٰ أُبَيِّ بن كعب فأمره بذلك. كذا أخرجاه موقوفًا، ثم أخرجه البيهقي من وجه آخَر عن ابن أبي بزة مرفوعًا[١]. وأخرجه من هذا الوجه - أعني المرفوع - الحاكم في مستدركه[٢] وصحَّحه، وله طرق كثيرة عن البَزِّي.

وقد أخرجت هذا الحديث في جزء سمَّيتُه «التحبير في المسلسل بالتكبير» استوفيت فيه تلك الطرقَ.

وفي النشر[٣]: اختلف القرَّاء في ابتدائه هل هو من أول الضحىٰ أو من آخرها، [وفي انتهائه هل هو أول سورة الناس أو آخرها]، وفي وصله بأولها أو آخرها وقطعه، والخلاف فيه مشهور، وكذا في لفظه فقيل: الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر. وسواء في التكبير في الصلاة وخارجها؛ صرح به السخاوي وأبو شامة.

وقال أبو العلاء الهَمْداني[٤]: وصفته أن يقف بعد كل سورة وقفةً ويقول: الله أكبر.

وقال سليم الرازي: يكبِّر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يَصِل آخرَ السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة، ومَن لا يكبِّر من القرَّاء حجتُهم أن في ذلك ذريعة إلىٰ الزيادة في القرآن بان يداوَم عليه فيُتوهَّم أنه منه.

---

(١) قال البيهقي بعد أن رواه: «قال ابن خزيمة: أنا خائف أن يكون أسقط ابن أبي بزة أو عكرمة بن سليمان من هذا الإسناد شبل بن عباد بين إسماعيل وابن كثير».

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٣٧٣، وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: البزي قد تُكلم فيه.

(٣) انظر الكلام عن التكبير في النشر لابن الجزري ٢/ ٤٠٥ - ٤٢٨.

(٤) كذا نسب الشارح هذا الكلام لأبي العلاء، وإنما هو كلام الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٢٣٤، ونصه: «وصفة التكبير في أواخر هذه السورة - يعني الضحىٰ - أنه كلما ختم سورة وقف وتقدم وقال: الله أكبر، ووقف وقفة ثم ابتدأ السورة التي تليها إلىٰ آخر القرآن ثم كبر كما كبر من قبل».

ويُسَنُّ إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرىٰ عقيب الختم؛ لحديث الترمذي[١] وغيره عن ابن عباس: «أَحَبُّ الأعمال إلىٰ الله تعالىٰ الحالُّ المرتحِل الذي يضرب من أول القرآن إلىٰ آخره، كلَّما حلَّ ارتحل». ورویٰ الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أُبَيٍّ بن كعب رفعه: كان إذا قرأ «قل أعوذ برب الناس» افتتح من «الحمد لله» ثم قرأ من البقرة إلىٰ «المفلحون»، ثم دعا بدعاء الختمة، ثم قام.

تنبيه:

قال السيوطي في الإتقان: منع الإمام أحمد تكرير سورة الإخلاص عند الختم، لكن عمل الناس علىٰ خلافه، قال بعضهم: والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن، فتحصل بذلك ختمةٌ، [فإن قيل: فكان ينبغي أن يقرأ أربعًا لتحصل له ختمتان. قلنا: المقصود أن يكون علىٰ يقين من حصول ختمة] إمَّا التي قرأها وإمَّا التي حصَّل ثوابَها بتكرير السورة. وحاصل ذلك يرجع إلىٰ جبر ما لعلَّه حصل في القراءة من خلل، وكما قاس الحليميُّ التكبيرَ عند الختم علىٰ التكبير عند إكمال رمضان فينبغي أن يُقاس تكرير سورة الإخلاص علىٰ إتْباع رمضان بستٍّ من شوال. والله أعلم.

(**التاسع: في الجهر بالقراءة**) والإسرار بها، وما الحكم فيهما (**ولا شكَّ في أنه لا بدَّ أن يجهر بها**) في صلاته (**إلىٰ حدٍّ يُسمِع نفسَه؛ إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف**) ووصل الكلمات بعضها بعض (**ولا بدَّ من صوت**) هو الهواء المنضغط عن ذلك التقطيع فينتقش بصورة خاصة (**وأقلُّه ما يُسمِع نفسَه، فإن لم يُسمِع نفسَه لم تصحَّ صلاتُه**) وفي تهجيته حروف القراءة في الصلاة عند أصحابنا خلاف، فالذي في «الينابيع» أنها تفسد الصلاة، ومقتضَىٰ سياق «الواقعات» أنها لا تفسد؛ لأنه من الحروف التي في القرآن (**فأمَّا الجهر بحيث يُسمِع غيرَه فهو محبوب علىٰ وجه، مكروه علىٰ وجه آخَر**، ويدل علىٰ **استحباب الإسرار ما رُوي**

(١) سنن الترمذي ٥/ ٦٣.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: **فضل قراءة السر علىٰ قراءة العلانية كفضل صدقة السر علىٰ صدقة العلانية**) كذا في القوت، ولم يَرِدْ بهذا اللفظ، ولكن معناه في الحديث الذي يليه وهو قوله: (**وفي لفظ آخَر: الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمُسِرُّ به كالمُسِرِّ بالصدقة**) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] والترمذي[٤] وحسَّنه من حديث عُقْبة بن عامر.

قلت: وفي السند إسماعيل بن عيَّاش، ضعَّفه قومٌ ووثَّقه آخَرون. ورواه أيضًا الحاكم[٥] عن معاذ بن جبل.

ووجه الشبه أن الإسرار أبعد من الرياء، فهو أفضل لخائفه. وبه تظهر صحة معنىٰ الحديث الأول. وروىٰ الطبراني في الكبير[٦] وأبو نعيم في الحلية[٧] من حديث ابن مسعود: «فضل صلاة الليل علىٰ صلاة النهار كفضل صدقة السر علىٰ صدقة العلانية». ورواه ابن المبارك في الزهد[٨] مثله.

(**وفي الخبر العام: يفضل عملُ السر علىٰ عمل العلانية بسبعين ضِعْفًا**) هكذا في القوت.

قال العراقي[٩]: رواه البيهقي في الشُّعَب[١٠] من حديث عائشة.

---

(١) المغني ١/ ٢٢٧.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢١٠.
(٣) سنن النسائي ص ٣٩٩.
(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٠.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٥٣.
(٦) المعجم الكبير ٩/ ٢٣٢، ١٠/ ٢٢١.
(٧) حلية الأولياء ٤/ ١٦٧، ٥/ ٣٦.
(٨) الزهد والرقائق ص ٥٥.
(٩) المغني ١/ ٢٢٧.
(١٠) شعب الإيمان ٢/ ٨٤ - ٨٥.

قلت: وضعَّفه البيهقيُّ، ولفظه في الشُّعَب: «يفضل الذِّكر الخفي الذي لا تسمعه الحَفَظة علىٰ الذي تسمعه بسبعين ضِعْفًا».

وقد رواه ابن أبي الدنيا كذلك في كتاب الدعاء.

(وكذلك) أي في العموم **(قوله ﷺ: خير الرزق ما يكفي، وخير الذِّكرِ الخفيُّ)** كذا في القوت.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] وابن حبَّان[٣] من حديث سعد بن أبي وقَّاص.

قلت: وكذا رواه البيهقي[٤] أيضًا ونعيم بن حمَّاد في الفتن[٥] والعسكري في الأمثال وعبد بن حميد[٦] وأبو عَوانة، كلُّهم من طريق محمد بن عبد الرحمن ابن أبي لبيبة عن سعد، غير أنه بتقديم الجملة الثانية علىٰ الأولىٰ. ومحمد[٧] ابن عبد الرحمن هذا وثَّقه ابن حبان[٨]، وضعَّفه ابن معين[٩]، وبقية رجاله عند أحمد وابن حبَّان[١٠] رجال الصحيح. وهذا الحديث قد عُدَّ من الحِكَم والأمثال.

وأخرج الخطيب[١١] عن المحاسبي في تفسير قوله «خير الرزق ما يكفي» أنه

---

(١) المغني ١/ ٢٢٧.

(٢) مسند أحمد ٣/ ٧٦، ١٣١، ١٦٨.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٩١.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٨٢.

(٥) الفتن ص ١٥٧ - ١٥٨ (ط - مكتبة التوحيد بالقاهرة).

(٦) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٥٨.

(٧) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/ ٨٦.

(٨) الثقات ٥/ ٣٦٢.

(٩) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/ ٣١٩ عن ابن معين: «ابن أبي لبيبة الذي يحدث عنه وكيع ليس حديثه بشيء».

(١٠) هذا سهو من الشارح، وعبارة الهيثمي في المجمع «وبقية رجالهما» يعني أحمد وأبا يعلىٰ. والحديث في مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٨٢.

(١١) تاريخ بغداد ٢/ ٦٨.

قوت يوم بيوم، ولا يهتم لرزق غدٍ.

وبهذا الحديث استدلَّ أصحابُنا علىٰ ندب الإسرار لتكبير العيد[١].

(وفي الخبر: **لا يجهر بعضكم علىٰ بعض**) فإنَّ ذلك يؤذي المصلِّي. رواه الخطيب[٢] عن جابر. قاله (**في القراءة بين المغرب والعشاء**) وهذه عبارة القوت، وليست الجملة من أصل الحديث، وظنها العراقيُّ كذلك فقال[٣]: رواه أبو داود[٤] من حديث البياضي دون قوله «بين المغرب والعشاء»، والبيهقي في الشُّعَب[٥] من حديث عليٍّ: قبل العشاء وبعدها. وفيه الحارث الأعور، وفيه ضعفٌ.

قلت: وروىٰ أبو داود[٦] عن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف السِّتْر وقال: «ألا إنَّ كلَّكم مُناجٍ ربَّه، فلا يؤذي بعضُكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم علىٰ بعض في القراءة».

(**وسمع سعيد بن المسيب**) ابن حَزْن القرشي التابعي (**ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمرَ بن عبد العزيز**) الأموي الخليفة (**يجهر بالقراءة في صلاته، وكان حَسن الصوت، فقال**) سعيد (**لغلامه**[٧]: **اذهب إلىٰ هذا المصلِّي فمُرْه أن يخفض من صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا**) خاصةً (**وللرجل فيه نصيبٌ. فرفع**

---

(١) انظر: تبيين الحقائق ١/ ٢٢٤. البناية شرح الهداية ٣/ ١٣. إمداد الفتاح ص ٥٤٣. الجوهرة النيرة ١/ ١١٢. وهذا عند أبي حنيفة، أما عند محمد وأبي يوسف فيجهر بالتكبير.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٢٠.

(٣) المغني ١/ ٢٢٧.

(٤) لم أقف عليه في سنن أبي داود. وقد رواه مالك في الموطأ ١/ ٨٠، والنسائي في السنن الكبرىٰ ٣/ ٣٨٦ - ٣٨٨، وأحمد في مسنده ٣١/ ٣٦٣، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ١٧.

(٥) شعب الإيمان ٤/ ٢١٢، ولفظه: نهىٰ رسول الله ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقرآن قبل العشاء وبعدها، يغلط أصحابه في الصلاة.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ٢٠٩.

(٧) في القوت: «لغلامه بُرْد».

سعيد صوته وقال: يا أيُّها المصلِّي، إن كنتَ تريد الله) أي وجهه **(بصلاتك فاخفض)** أي فأخِفَّ **(صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا)** قال: **(فسكت عمر، وخفَّف ركعتَه، فلمَّا سلَّم أخذ نعلَيْه وانصرف، وهو يومئذٍ أمير المدينة)** هكذا أورده صاحب القوت. وهو معدود في مناقب عمر بن عبد العزيز، ولعل بالمسجد كان بعض من يصلي، فلذا منعه، ولم يحابِ كونه أميرًا يومئذٍ.

(ويدلُّ علىٰ استحباب الجهر ما رُوي عن رسول الله ﷺ أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون) بالقراءة **(في صلاة الليل، فصوَّبَ ذلك)** أي رآه صوابًا، إمَّا بسكوته أو باستحسانه. وهذه العبارة انتزعها المصنِّف من كتاب القوت، ونصه: وعلىٰ ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل، فيصوِّب ذلك لهم ويسمع إليهم.

وقال العراقي[١]: في الصحيحين من حديث عائشة أن رجلاً قام من الليل، فقرأ فرفع صوته بالقرآن، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله فلانًا ...»[٢] الحديث. ومن حديث أبي موسىٰ: قال لي رسول الله ﷺ: «لو رأيتَني وأنا أسمع قراءتك البارحة ...»[٣] الحديث. ومن حديثه أيضًا[٤]: «إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن ...» الحديث.

---

(١) المغني ١/ ٢٢٨.

(٢) لم أقف عليه هكذا في الصحيحين، ففي البخاري ٢/ ٢٥٢، ٣/ ٣٤٨ - ٣٤٩، ٤/ ١٦٠ ومسلم ١/ ٣٥٥ عن عائشة أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: «رحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا». زاد البخاري: وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة قالت: تهجد النبي ﷺ في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة، أصوت عباد هذا»؟ قلت: نعم. قال: «اللهم ارحم عبادًا».

(٣) هذا اللفظ في رواية مسلم ١/ ٣٥٧ وحده.

(٤) صحيح البخاري ٣/ ١٤١. صحيح مسلم ٢/ ١١٦٧.

قلت: وهذه الأخبار قد يذكرها المصنِّف فيما بعد، ويأتي الكلام عليها.

(وقد قال) ولفظ القوت: وقد أمر بالجهر فيما رُوي عنه (ﷺ: **إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته؛ فإنَّ الملائكة وعُمَّار الدار يستمعون إلىٰ قراءته ويصلُّون بصلاته**) كذا في القوت.

قال العراقي[(١)]: رواه بنحوه بزيادة: أبو بكر البزار[(٢)] ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل، وهو منكَر ومنقطع[(٣)].

(ومرَّ رسول الله ﷺ علىٰ ثلاثة من أصحابه[(٤)] مختلفي الأحوال) أي منهم من يخافت، ومنهم من يجهر، ومنهم من يخلط الآيةَ بالآية **(فمرَّ علىٰ أبي بكر** رضي الله عنه **وهو يخافت)** في قراءته **(فسأله عن ذلك، فقال: إن الذي أناجيه هو يسمعني)** أي قريب مني **(ومرَّ علىٰ عمر** رضي الله عنه **وهو يجهر)** في قراءته **(فسأله عن ذلك، فقال: أوقظ الوَسْنان)** أي أنبِّه النائمَ **(وأزجر الشيطان)** أي أطرده **(ومرَّ علىٰ بلال)** بن رباح رضي الله عنه **(وهو يقرأ آيًا من هذه السورة وآيًا من هذه السورة، فسأله عن ذلك، فقال: أخلطُ الطيِّب بالطيب. فقال ﷺ: كلُّكم قد أحسن وأصاب)** هكذا أورده، وقد تقدَّم في كتاب الصلاة أنه ﷺ سمع بلالاً يقرأ من ههنا ومن ههنا، فسأله عن ذلك، فقال: أخلطُ الطيِّب بالطيب. فقال: «أحسنتَ». وقد رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح نحوه، وقد تقدَّم الكلام عليه. وهذا[(٥)] يدلُّ علىٰ جواز قراءة آية آية من كل سورة، وقد نقل القاضي أبو بكر ابن العربي الإجماعَ علىٰ عدم جواز ذلك. قال البيهقي[(٦)]: وأحسنُ

---

(١) المغني ١/ ٢٢٨.

(٢) مسند البزار ٧/ ٩٧.

(٣) لأن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ.

(٤) زاد صاحب القوت: في الليل.

(٥) الإتقان ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٦) شعب الإيمان ٤/ ٨، ١٠.

ما يُحتجُّ به هنا أن [يقال إنَّ] هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل، فالأَولىٰ بالقارئ أن يقرأه علىٰ التأليف المنقول، وقد قال ابن سيرين: تأليف الله خيرٌ من تأليفكم. وعدَّ الحليميُّ(١) خلط السورة بالسورة من ترك الأدب، واحتجَّ بما أخرجه أبو عبيد(٢) عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ مرَّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة، فسأله، فقال: أخلطُ الطيب بالطيِّب. فقال: «اقرأ السورة علىٰ وجهها - أو قال: علىٰ نحوها». وهو مرسل صحيح. ووصله أبو داود عن أبي هريرة بدون آخره. وأخرجه أبو عبيد من وجه آخَر عن عمر مولىٰ غُفْرة - وهي أخت بلال - أن النبي ﷺ قال لبلال: «إذا قرأتَ السورة فأنفذْها». ثم قال أبو عبيد: الأمر عندنا علىٰ كراهة قراءة الآيات المختلفة كما أنكر رسولُ الله ﷺ علىٰ بلال.

فتأملْ ذلك مع سياق المصنِّف.

(**فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث**) المختلفة (**أن الإسرار**) بالقراءة (**أبعدُ عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك**) أي الرياء (**علىٰ نفسه**) ولفظ القوت: المخافَتة بالقراءة أفضل إذا لم تكن للعبد نيةٌ في الجهر أو كان ذاهبًا عن الهمَّة والمعاملة بذلك؛ لأنه أقرب إلىٰ السلامة وأبعد من دخول الآفة (**فإن لم يَخَفْ**) ذلك (**ولم يكن في الجهر ما يشوِّش الوقتَ علىٰ مصلٍّ آخَر فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلَّق بغيره، والخير المتعدِّي أفضل من اللازم**) ولفظ القوت: وأن الجهر أفضل لمن كانت له نيَّة في الجهر ومعاملة مولاه به؛ لأنه قد قام بسنَّة قراءة الليل، ولأن المخافتة نفعها لنفسه، والجهر نفعه له ولغيره، وخير الناس من نفع الناس، والنفع بكلام الله عَزَّوَجَلَّ من أفضل المنافع، ولأنه قد أدخل عملاً ثانيًا يرجو به قربةً ثانية علىٰ عمله الأول، فكان في ذلك أفضل

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٢٣٨.

(٢) فضائل القرآن ص ١٨٨ - ١٩٠.

(**ولأن الجهر يوقظ قلبَ القارئ**) أي ينبِّهه عن سِنَة الغفلة (**ويجمع همَّه إلىٰ الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه**) ولا يوجد ذلك كلُّه في الإسرار (**ولأنه يطرد النوم برفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة، ويقلِّل من كسله**) وتثبُّطه (**ولأنه يرجو بجهره تيقُّظ نائم، فيكون هو سبب إحيائه**) من غفلته (**ولأنه قد يراه بَطَّال**) عن العمل (**غافل**) عن الذِّكر (**فينشط**) في نفسه (**بسبب نشاطه، ويشتاق إلىٰ الخدمة**) والعمل. فهذه سبعة وجوه في أفضليَّة الجهر. ولفظ القوت: وفي الجهر سبع نيات، منها: الترتيل الذي أُمِرَ به. ومنها: تحسين الصوت بالقرآن الذي نُدب إليه. ومنها: أن يُسمِع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبَّر الكلام ويتفهَّم المعاني، ولا يكون كل ذلك إلا في الجهر. ومنها: أن يطرد الشيطان والنوم عنه برفع صوته. ومنها: أن يرجو بجهره يقظةَ نائم فيذكر الله تعالىٰ، فيكون هو سبب إحيائه. ومنها: أن يراه بطَّال غافل فينشط للقيام ويشتاق للخدمة، فيكون هو معاونًا له علىٰ البِر والتقوىٰ. ومنها: أن تكثُر بجهره تلاوتُه، ويدوم قيامه علىٰ حسب عادته للجهر، ففي ذلك يكثر عمله.

(**فمهما حضره شيءٌ من هذه النيات فالجهر أفضل، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجرُ، وبكثرة النيات يزكو عمل الأبرار فتتضاعف أجورُهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيَّات كان فيه عشرة أجور**) ولفظ القوت: فإذا كان العبد معتقدًا لهذه النيَّات، طالبًا لها، ومتقرِّبًا إلىٰ الله سبحانه بها، عالمًا بنفسه، مصحِّحًا لقصده، ناظرًا إلىٰ مولاه الذي استعمله فيما يرضاه، فجهرُه أفضل؛ لأن له فيه أعمالاً، وإنما يفضل العملُ بكثرة النيات فيه، وارتفع العلماء وفضُلت أعمالُهم بحُسن معرفتهم بنيَّات العمل واعتقادهم لها، فقد يكون في العمل الواحد عشر نيَّات، يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيُعطَون عشر أجور، فأفضل الناس في العمل أكثرهم نيَّة وأحسنهم قصدًا وأدبًا.

قلت: وإلىٰ هذا الجمع جنح النووي، حيث قال[1]: الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذَّىٰ مصلُّون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك؛ لأن العمل

---

(١) المجموع شرح المهذب ٢/ ١٦٦. التبيان ص ١٠٥. الأذكار ص ٩١.

فيه أكثر، ولأن فائدته تتعدَّىٰ إلىٰ السامعين، ولأنه يوقظ قلبَ القارئ، ويجمع همَّه إلىٰ الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط.

وقال بعضهم: يُستحَبُّ الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها؛ لأن المُسِرَّ قد يملُّ فيأنس بالجهر، والجاهر قد يكلُّ فيستريح بالإسرار[١].

ثم قال صاحب القوت: وفي بعض التفاسير: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحىٰ: ١١] قال: قراءة القرآن[٢].

(**ولهذا نقول: قراءة القرآن في المصحف أفضل؛ إذ يزيد عمل البصر وتأمُّل المصحف وحمله، فيزيد الأجر بسبب ذلك**) قال النووي[٣]: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضًا، ولم أرَ فيه خلافًا. قال: ولو قيل إنه مختلف باختلاف الأشخاص فتُختار القراءة فيه لمن استوىٰ خشوعه وتدبُّره [في حالتَي القراءة فيه والحفظ، وتُختار القراءة من الحفظ لمن يكمل بذلك خشوعه ويزيد علىٰ خشوعه وتدبُّره] لو قرأ من المصحف، لكان هذا قولاً حسنًا.

قال السيوطي[٤]: وحكىٰ الزركشي في «البرهان»[٥] ما بحثه النووي قولاً،

---

(١) نقله البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٤٥٤ عن بعض أهل العلم، ثم قال: «إلا أن من قرأ بالليل جهر بالأكثر، ومن قرأ بالنهار أسر بالأكثر، إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغو فيه ولا صخب ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن».

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ١٥/ ٤٩٠: «أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نصر السجزي في الإبانة عن مجاهد: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ قال: بالقرآن».

(٣) التبيان ص ١٠٠.

(٤) الإتقان ص ٢٢٩.

(٥) البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٦٣، ونصه: «والقول الثاني: أن القراءة عن ظهر القلب أفضل، واختاره أبو محمد ابن عبد السلام فقال في أماليه: قيل: القراءة في المصحف أفضل؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين وهما اللسان والعين، والأجر علىٰ قدر المشقة». قال الزركشي: «وهذا باطل؛ لأن المقصود من القراءة التدبر، والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود، فكان مرجوحًا».

وحكىٰ معه قولاً ثالثًا: أن القراءة من الحفظ أفضل مطلقًا، وأن ابن عبد السلام اختاره؛ لأن فيه من التدبُّر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف.

(وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع؛ لأن النظر في المصحف أيضًا عبادة) مطلوبة. ومن أدلَّة القراءة في المصحف ما رواه الطبراني فقال: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا دحيم، ثنا مروان بن معاوية، عن أبي سعيد بن عوذ المكي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جدِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل [القرآن] في غير المصحف ألف درجة، وقراءته في المصحف تضاعف [علىٰ ذلك إلىٰ] ألفَي درجة». ورواه ابن عدي في «الكامل»[1] عن عبد الله بن محمد بن سلم عن دحيم. وأبو سعيد مختلَف في توثيقه.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن[2]: حدثنا نعيم بن حمَّاد، حدثنا بقيَّة، عن معاوية بن يحيىٰ، عن سليمان بن مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظرًا علىٰ من يقرؤه ظاهرًا كفضل الفريضة علىٰ النافلة». معاوية وسليمان ضعيفان، وبقية مدلِّس وقد عنعن.

وقال أبو نعيم[3]: حدثنا محمد بن المظفَّر، حدثنا [عمر بن] الحسن بن جبير الواسطي، حدثنا إبراهيم بن جابر، حدثنا الحر بن مالك، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن سرَّه أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف». قال: لم يروِه عن شعبة إلا الحر، تفرَّد به إبراهيم بن جابر[4].

(١) الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٧٥٤.

(٢) فضائل القرآن ص ١٠٤.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٠٩.

(٤) عبارة أبي نعيم: «غريب، تفرد به الحر بن مالك».

وروى[١] ابن النجار في تاريخه عن أنس رفعه: «مَن قرأ القرآن نظرًا مُتِّع ببصره».

وقد ورد الأمر بإدامة النظر في المصحف، قال أبو الحسين ابن بشران في فوائده: أخبرنا أبو جعفر الرزَّاز، حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان هو الثوري، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «أديموا النظر في المصحف». وأخرجه أبو عبيد[٢] عن زيد بن الحُباب عن إسحاق الأزرق.

وقد روينا في النظر في المصحف حديثًا مسلسلاً بقول كل راوٍ: اشتكت عيني فقال لي انظر في المصحف، وهو في مسلسلات إبراهيم بن سليمان[٣].

---

(١) كنز العمال ١/ ٥٣٦.

(٢) فضائل القرآن ص ١٠٤ موقوفا على ابن مسعود، رواه عن زيد بن الحباب عن سفيان، وليس في السند إسحاق الأزرق.

(٣) ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/ ٤١ - ٤٢ قال: «اشتكت عيني، فشكوت إلى أبي الحسن علي ابن المسلم الفقيه، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي محمد عبد العزيز ابن أحمد فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي محمد عبد الرحمن بن عثمان، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي بكر أحمد بن علي المؤدب الواصلي الحلبي، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي بكر أحمد بن عبد الله بن الفرج القرشي يعرف بابن البرامي، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي القاسم عيسى بن موسى بن الوليد الطائي، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى أبي بكر محمد بن علي السلمي، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى يوسف بن موسى القطان، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى جرير بن عبد الحميد، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى مغيرة، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى إبراهيم، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى علقمة، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى عبد الله بن مسعود، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى رسول الله ﷺ، فقال: انظر في المصحف؛ فإن عيني اشتكت، فشكوت إلى جبريل ﷺ، فقال: انظر في المصحف».

(وخرق عثمان رضي الله عنه **مصحفين لكثرة قراءته فيهما)** نقله صاحب القوت. وثبت أنه رضي الله عنه لمَّا قُتل كان يقرأ في المصحف حتىٰ سقط الدم علىٰ قوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة: ١٣٧].

(وكان كثير من الصحابة) رضي الله عنهم **(يقرؤون في المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف)** فمنهم عثمان رضي الله عنه، وقد تقدَّم. ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال أبو عبيد[١]: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حمَّاد بن سَلَمة، حدثنا علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مِهْران، عن ابن عباس، عن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه.

وقد رُوي ذلك عمَّن بعدهم أيضًا، قال الدارمي[٢]: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا همَّام، حدثنا ثابت هو البُناني قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ إذا صلىٰ الصبح قرأ في المصحف حتىٰ تطلع الشمس. وكان ثابت يفعله. [وثابت] وعبد الرحمن تابعيَّان، وهذا الأثر صحيح.

(ودخل بعض فقهاء مصر علىٰ) الإمام محمد بن إدريس **(الشافعي** رضي الله عنه **في السَّحَر وبين يديه المصحف)** وهو يقرأ فيه **(فقال له الشافعي: شغلكم الفقهُ عن القرآن، إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يديَّ، فما أطبقه حتىٰ الصبح)**[٣] وقد تقدَّم قريبًا أنه رضي الله عنه كان يختم في كل يوم وليلة ختمةً، فإذا جاء رمضان ختم في كل يوم وليلة ختمتين.

(العاشر: تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغيِّر النَّظْم، فذلك هو السنَّة) اعلم[٤] أن كيفيَّات القراءة ثلاثة:

---

(١) فضائل القرآن ص ١٠٥.

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٥٣٢.

(٣) رواه البيهقي في مناقب الشافعي ١/ ٢٨١.

(٤) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٠٥ - ٢٠٨. الإتقان ص ٢١٢.

أحدها: التحقيق، وهو إعطاء كل حرف حقَّه من إشباع المد، وتحقيق الهمزة، وإتمام الحركات، واعتماد الإظهار والتشديدات، وبيان الحروف [وتفكيكها] وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسُّل والتُّؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرَّك ولا إدغامه [وهو يكون لرياضة الألسُن وتقويم الألفاظ، ويُستحَبُّ الأخذ به علىٰ المتعلِّمين] من غير أن يُتجاوز فيه إلىٰ حدِّ الإفراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة في الغُنَّات، كما قال حمزة لبعض مَن سمعه يبالغ في ذلك: أما علمتَ أن ما فوق البياض بَرَصٌ، وما فوق الجعودة قَطَطٌ، وما فوق القراءة ليس بقراءة؟

الثانية: الحَدْر، بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين، وهو إدراج القراءة [وسرعتها] وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك ممَّا صحَّت به الرواية، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد واختلاس أكثر الحركات وذهاب صوت [الغنة والتفريط] إلىٰ غاية لا تصحُّ بها القراءةُ ولا توصَف بها التلاوة.

الثالثة: التدوير، وهو التوسُّط بين المقامين: التحقيق والحَدْر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمَّة ممَّن مدَّ المنفصلَ ولم يبلغ فيه الإشباعَ وهو المنفصل(١)، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء.

والفرق بين التحقيق والترتيل أن التحقيق يكون للرياضة والتعليم والتمرين، والترتيل يكون للتدبُّر والتفكُّر والاستنباط، فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقًا.

---

(١) كذا في المطبوعة، وفي النشر: وهو مذهب سائر القراء وصح عن جميع الأئمة.

وفي «جمال القرَّاء»(١): قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصوات [الغناء] ويقال: أول ما غُنِّي به من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ [الكهف: ٧٩] نقلوا ذلك من تغنِّيهم بقول الشاعر(٢):

أمَّـا القَطـاة فـإني سـوف أنعتهـا ... نعتًـا يوافـق عنـدي بعـضَ مـا فيهـا

وقد قال ﷺ في هؤلاء: «مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنَهم». وممَّا ابتدعوه شيء [سمَّوه: الترعيد، وهو أن يرعِّد صوتَه كالذي يرعد من برد أو ألم(٣). وآخَر] سمَّوه: الترقيص، وهو أن يروم السكت علىٰ الساكن ثم ينفر مع الحركة كأنَّه في عَدْو أو هرولة. وآخَر يسمَّىٰ: التطريب، وهو أن يترنَّم بالقرآن ويتنغَّم به فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد علىٰ ما ينبغي. وآخَر يسمىٰ: التحزين، وهو أن يأتي علي وجه حزين يكاد يُبكِي مع خشوع وخضوع(٤).

(**قال ﷺ: زَيِّنوا القرآنَ بأصواتكم**) ففيه(٥) حثٌّ علىٰ ترتيله ورعاية إعرابه وتحسين الصوت به، وتنبيه علىٰ التحرُّز من اللحن والتصحيف؛ فإنه إذا قُرِئ

---

(١) جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ص ٦٤١ (ط - دار المأمون للتراث).

(٢) قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني ٨/ ١٨٤ (ط - دار صادر): «هذا الشعر مختلف في قائله، ينسب إلىٰ أوس بن غلفاء الهجيمي، وإلىٰ مزاحم العقيلي، وإلىٰ العباس بن يزيد بن الأسود الكندي، وإلىٰ العجير السلولي، وإلىٰ عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمي وهو أصح الأقوال، رواه ثعلب عن أبي نصر عن الأصمعي». ثم نقل عن ابن الكلبي أن العجير وأوس ومزاحما والعباس بن يزيد وحميد بن ثور اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا، وادعىٰ كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه، فمر بهم سرب قطا، فقال أحدهم: تعالوا حتىٰ نصف القطا ثم نتحاكم إلىٰ من نتراضىٰ به، فأينا كان أحسن وصفا لها غلب أصحابه، فتراهنوا علىٰ ذلك، فقال أوس بن غلفاء الأبيات المذكورة وهي: أما القطاة ... الخ.

(٣) بعده في جمال القراء: «وقد يخلطه بشيء من ألحان الغناء».

(٤) في جمال القراء: «ونوع آخر يسمىٰ التحزين، وهو أن يترك طباعه وعادته في التلاوة فيأتي بالتلاوة علىٰ وجه آخر كأنه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع».

(٥) فيض القدير ٤/ ٦٨. الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١٦٨٧.

كذلك كان أوقع في القلوب وأشد تأثيرًا وأرق لسامعيه، وسمَّاه تزيينًا لأنه تزيين للفظ وللمعنىٰ، وقيل: هو علىٰ القلب، والمراد: زيِّنوا أصواتَكم بالقرآن، أي الهجوا بقراءته، واشغلوا أصواتكم به، واتَّخِذوه شعارًا وزينة لأصواتكم. وقد رواه الحاكم[١] عن البراء رضي الله عنه هكذا: «زيِّنوا أصواتَكم بالقرآن؛ فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآنَ حُسنًا». وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعثٌ للقلوب علىٰ استماعه وتدبُّره والإصغاء إليه. قال التوربشتي: هذا إذا لم يخرجه التغنِّي عن التجويد ولم يصرفه عن مراعاة النَّظْم في الكلمات والحروف، فإن انتهىٰ إلىٰ ذلك عاد الاستحباب كراهةً.

وأمَّا الحديث المذكور، فقال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥] وابن حبَّان[٦] والحاكم وصحَّحه من حديث البراء بن عازب.

قلت: قال أبو داود الطيالسي في مسنده[٧]: حدثنا شعبة، عن طلحة بن مصرِّف، عن عبد الرحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «زيِّنوا القرآن بأصواتكم». وهو حديث حسن صحيح، أخرجه أحمد[٨] عن محمد بن جعفر ويحيىٰ بن سعيد، كِلاهما عن شعبة مطوَّلاً. وأخرجه البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد»[٩] عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي.

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٧٤ - ٧٨٢.
(٢) المغني ١/ ٢٢٨.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٥.
(٤) سنن النسائي ص ١٦٦ - ١٦٧.
(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٣.
(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٥.
(٧) مسند الطيالسي ٢/ ١٠٣.
(٨) مسند أحمد ٣٠/ ٦٣٢.
(٩) خلق أفعال العباد ص ١٤١.

وأخرجه أبو داود والنسائي من رواية الأعمش، وأحمد[١] أيضًا والنسائي من رواية منصور، كِلاهما عن طلحة بن مصرِّف، وأخرجه النسائي أيضًا وابن ماجه من رواية يحيىٰ بن سعيد.

وله[٢] طريق أخرىٰ عن البراء بلفظ: «حسِّنوا القرآن بأصواتكم؛ فإنَّ الصوت الحسن يزيد القرآنَ حسنًا». رواه ابن أبي داود عن إسحاق بن إبراهيم بن زيد عن محمد بن بكير. وقد رُوي هذا الحديث أيضًا عن أبي هريرة بلفظ المصنِّف، قال جعفر بن محمد: حدثنا أبو بكر بن أبي عَتَّاب، حدثنا يحيىٰ بن بُكَير، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عنه. ذكره البخاري في أواخر كتاب التوحيد من صحيحه[٣] معلَّقًا، وقال في كتاب «خلق أفعال العباد»[٤]: روىٰ سُهَيل بن أبي صالح ... فذكره. وأخرجه ابن أبي داود عن البخاري عن يحيي بن بُكَير، وأخرجه ابن حبان في صحيحه[٥] عن عمر بن محمد البُجَيري عن البخاري. وقد رُوي هذا الحديث أيضًا عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس، كِلاهما عند البزار[٦]، وسند كلٍّ منهما ضعيف، وعن ابن عباس عند الطبراني[٧]، وفي سنده انقطاع، وعند الدارقطني في الأفراد[٨]، وسنده حسن.

---

(١) مسند أحمد ٣٠/ ٥٨٠.

(٢) نتائج الأفكار ٣/ ٢١٥ - ٢١٨.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٤١٥.

(٤) خلق أفعال العباد ص ١٤١.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٧.

(٦) روىٰ البزار ٣/ ٢٤٦ حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ: «زينوا القرآن بأصواتكم». أما حديث أنس فرواه ١٣/ ٤٧٨ بلفظ: «لكل شيء حلية، وحلية القرآن الصوت الحسن».

(٧) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٨٢ بلفظ: «زينوا أصواتكم بالقرآن». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٣٥٣: «فيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان وقال: ربما أخطأ، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح». ورواه ١٢/ ١١٨ من طريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس بلفظ: «أحسنوا الأصوات بالقرآن». والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٨) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٥٠١.

(**وقال ﷺ: ما أذن الله تعالىٰ**) أي ما استمع (**لشيء أَذَنه**) بالتحريك، أي استماعه (**لحسن الصوت بالقرآن**) قال الأزهري[١]: أخبرنا عبد الملك[٢] عن الربيع عن الشافعي أن معناه: تحزين القراءة وترقيقها. وتحقيق ذلك في الحديث الآخَر: «زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم». وهكذا فسَّره أبو عبيد[٣].

قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث أبي هريرة: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ يتغنَّىٰ بالقرآن». زاد مسلم: لنبيٍّ حَسن الصوت بالقرآن. وفي رواية له: كإذنه لنبيٍّ يتغنَّىٰ بالقرآن.

قلت: قال أبو نعيم في مستخرجه علىٰ صحيح مسلم[٦]: حدثنا عبد الله بن أحمد بن إسحاق[٧]، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن داود الرشديني، حدثنا عبد الله بن وَهْب، حدثني عمر بن مالك وحيوة بن شُرَيح، كِلاهما عن ابن الهاد وهو يزيد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي، عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيٍّ حَسن الصوت يتغنَّىٰ بالقرآن». وهو حديث صحيح، رواه مسلم عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمِّه عبد الله بن وهب، وأخرجه أيضًا عن بِشْر بن الحَكَم عن عبد العزيز بن محمد الدراوَرْدي عن يزيد بن الهاد. وأخرجه البخاري من وجه آخَر عن ابن الهاد. وأخرجه أبو داود[٨] عن الرشديني

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ٢٠١.

(٢) عبد الملك بن قريب الأصمعي.

(٣) غريب الحديث لأبي عبيد ١/ ٣٤٧.

(٤) المغني ١/ ٢٢٩.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٤٦، ٤/ ٤٠١، ٤١٥. صحيح مسلم ١/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٦) المسند المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٣٨٣.

(٧) هو والد أبي نعيم.

(٨) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٦.

عن عبد الله بن وهب. وأخرج الشيخان أصل هذا الحديث من طريق آخَر عن أبي سلمة دون قوله: حسن الصوت. وفي بعضها: يجهر به.

(وقال ﷺ: ليس منا مَن لم يتغَنَّ بالقرآن) تقدَّم تخريجُ هذا الحديث قريبًا **(قيل: أراد به الاستغناء)** قال الأزهري في التهذيب[١]: قال سفيان بن عُيينة: معناه: ليس منا مَن لم يستغنِ بالقرآن، ولم يذهب إلىٰ معنىٰ الصوت. وقال أبو عبيد[٢]: وهو فاشٍ في كلام العرب، يقولون: تغنَّيت تغنيًا وتغانيت تغانيًا بمعنىٰ استغنيت **(وقيل: أراد به الترنُّم وترديد الألحان به، وهو أقرب عند أهل اللغة)** ولفظ القوت: وهو أحد الوجهين ووأحبهما إلىٰ أهل اللغة.

قلت: والذي نقله الأزهري عن أبي عبيد يخالف ذلك، لكن يقوِّي هذا الوجهَ حديثُ فضالة بن عبيد الذي تقدَّم ذِكرُه للمصنِّف مرفوعًا: «للهُ أشد أَذَنًا إلىٰ الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلىٰ قينته». رواه النسائي[٣] وابن ماجه وابن حبان وأبو عبيد[٤] وأبو مسلم الكَجِّي في السنن والحاكم في المستدرك.

(ورُوي أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة ﷺ، فأبطأت عليه، فقال لها رسول الله ﷺ: ما حبسكِ؟ فقالت: يا رسول الله، كنت أستمع قراءة رجل ما سمعتُ أحسن صوتًا منه. فقام ﷺ حتىٰ استمع إليه طويلاً، ثم رجع فقال: هذا سالم مولىٰ أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمَّتي مثله) هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي[٥]: رواه ابن ماجه[٦] من حديث عائشة، ورجال إسناده ثقات.

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ٢٠١.

(٢) غريب الحديث ١/ ٣٨٦.

(٣) لم أقف عليه في سنن النسائي الكبرىٰ ولا الصغرىٰ.

(٤) فضائل القرآن ص ١٦٢.

(٥) المغني ١/ ٢٢٩.

(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧١.

قلت: قال[١] ابن ماجه: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط يحدِّث عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ قالت: أبطأتُ علىٰ رسول الله ﷺ [ليلة] بعد العشاء - تعني في المسجد - ثم جئتُ، فقال: «أين كنتِ»؟ قلت: كنت أستمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمتُ معه حتىٰ استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «هذا سالم مولي أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمَّتي مثل هذا». هذا حديث حسن، أخرجه محمد بن نصر في «قيام الليل»[٢] عن داود بن رُشَيد عن الوليد بن مسلم، ورجاله رجال الصحيحين، لكن عبد الرحمن بن سابط كثير الإرسال، وقد أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد[٣] عن حنظلة شيخ الوليد فأرسله قال: عن ابن سابط أن عائشة سمعت سالمًا. وابن المبارك أتقن من الوليد بن مسلم. قال الحافظ: وقد صحَّحه الحاكم[٤] وخفيت عليه علَّته، لكن وجدتُ له طريقًا أخرىٰ أخرجها البزار[٥] من رواية الوليد بن صالح عن أبي أسامة عن ابن جُرَيج عن ابن أبي مُلَيكة عن عائشة ... فذكر الحديث دون القصة، وقال: تفرَّد به أبو أسامة. قال الحافظ: وإذا انضمَّ إلىٰ السند الذي قبله تقوَّىٰ به وعُرف أن له أصلا فلا يبعُد تصحيحُه. وسالم المذكور من المهاجرين الأوَّلين، وكان مولىٰ امرأة من الأنصار أعتقته قبل الإسلام، فحالف أبا حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة فتبنَّاه، فلمَّا نزلت ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] قيل له: مولىٰ أبي حذيفة، وهو أحد الأربعة الذين أمر ﷺ بأخذ القرآن عنهم، وهو في الصحيحين[٦] من حديث

(١) نتائج الأفكار ٣/ ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٣٨.

(٣) الجهاد ص ١٢٤ (ط - دار المطبوعات الحديثة بجدة).

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٥) مسند البزار ١٨/ ٢١٥.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٣٤١. صحيح مسلم ٢/ ١١٥١. ولفظه: ذُكر عبد الله بن مسعود يوما عند عبد الله بن عمرو، فقال: لقد ذكرتم رجلًا لا أزال أحبه بعد شيء سمعته =

عبد الله بن عمرو، واستشهد سالم وأبو حذيفة معًا باليمامة في خلافة الصِّدِّيق ﷺ أجمعين.

(واستمع ﷺ أيضًا ذات ليلة إلىٰ عبد الله بن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يقرأ **(ومعه أبو بكر وعمر ﷺ، فوقفوا طويلاً، ثم قال: من أراد أن يقرأ القرآن غضًّا طريًّا كما أُنزِل فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبدٍ)** كذا في القوت.

قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] والنسائي في الكبرىٰ[3] من حديث عمر. وللترمذي وابن ماجه[4] من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشَّراه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أحبَّ أن يقرأ القرآن ...» الحديث، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: لفظ المصنِّف ساقه الطبراني في الكبير[5] عن عبد الله بن عمرو. وبلفظ «مَن أحَبَّ» أخرجه أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير[6] والحاكم[7] عن أبي بكر وعمر. ورواه أبو يعلىٰ[8] والطبراني في الكبير[9] عن ابن مسعود. ورواه أحمد أيضًا وابن مَنْده عن عمرو بن المصطلق. ورواه أبو نصر السِّجْزي في الإبانة

= من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن ...
به - ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولىٰ أبي حذيفة»

(١) المغني ١/ ٢٢٩.

(٢) رواه أحمد في مسنده ١/ ٢١١، ٣٧٢، ٧/ ٢٨٧ ...
الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وأبي

(٣) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٥٢.

(٤) سنن ابن ماجه ١/ ١٤٨.

(٥) المعجم الكبير ١٣/ ٤٣٥.

(٦) السابق ٩/ ٦٢، ٦٥، ٦٧.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٢٧٢، ٣/ ٣٩٠.

(٨) مسند أبي يعلىٰ ٨/ ٤٧١ - ٤٧٢.

(٩) المعجم الكبير ٩/ ٦١ - ٦٧، ٨١.

والخطيب[(١)] وابن عساكر[(٢)] عن ابن عمر. ورواه الطبراني أيضًا في الكبير[(٣)] عن عمَّار بن ياسر. ورواه أبو يعلىٰ[(٤)] أيضًا والعقيلي[(٥)] عن أبي هريرة. ورواه ابن عساكر[(٦)] من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جدِّه بلفظ: «مَن أحَبَّ أن يسمع القرآن جديدًا غضًّا كما أُنزِل فليسمعه من ابن مسعود».

(وقال ﷺ) ذات يوم **(لابن مسعود: اقرأ عليَّ. فقال: يا رسول الله، أقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟! فقال: إني أحِبُّ أن أسمعه من غيري. فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان)** أي تسيلان بالدموع. كذا في القوت، وذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] وسيأتي للمصنِّف إعادة ذلك قريبًا.

قال العراقي[(٧)]: متفق عليه[(٨)] من حديث ابن مسعود.

قلت: وزاد صاحب القوت هنا ما نصُّه: وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ بين يديه ويقول له: رتِّل فداك أبي وأمي. وكان حسن الصوت بالقرآن.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥٣٤، وقال: «كذا كان في أصل ابن مهدي (يعني شيخه أبا عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي): عن ابن عمر، وهو خطأ، فقد أخبرناه أبو بكر البرقاني قال: أخبرنا عبيد الله بن أحمد بن علي المقرئ قال: حدثنا محمد بن مخلد ... فذكره بإسناده مثله، إلا أنه قال: عن علقمة عن عمر. وهو الصواب».

' تاريخ دمشق ٣٣/ ١٠٢، ونقل كلام الخطيب الذي أوردناه في الحاشية السابقة.

، رواه أيضًا في المعجم الأوسط ٣/ ٣٣٧.

ـ أبي يعلىٰ ١٠/ ٤٩٢.

فاء الكبير ١/ ٢١٤.

ـشق ٣٣/ ١٠٣.

٢٦

/ ٢١٧، ٣٥١، ٣٥٢. صحيح مسلم ١/ ٣٦٠.

قلت: قال[١] أبو نعيم في المستخرج[٢]: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا أبو ربيعة واسمه زيد بن عوفٍ، حدثنا سعيد بن زربي، حدثنا حمَّاد بن أبي سليمان، عن إبراهيم - يعني النَّخَعي - عن علقمة قال: كنت رجلاً حسن الصوت [بالقرآن] فكان عبد الله بن مسعود يرسل إليَّ فآتيه فأقرأ، فيقول: رتِّل فداك أبي وأمي؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حُسنُ الصوت زينة القرآن». وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن أسيد بن عاصم عن زيد بن عوف، وأخرجه أيضًا عن أبيه. وأخرجه البزار[٣] عن محمد بن يحيىٰ، كِلاهما عن مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن زربي، قال البزار: تفرَّد به سعيد، وليس بقويٍّ. قال الحافظ: وأبو ربيعة فيه مقال، لكنه توبع، وقد أخرجه الطبراني[٤] وابن عدي[٥] وغيرهما من طرق عن سعيد. ووقع في رواية الطبراني من الزيادة: قال علقمة: فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زِدْنا من هذا؛ فإني سمعت ... فذكره.

(واستمع ﷺ إلىٰ قراءة أبي موسي) عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه **(فقال: لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود. فبلغ ذلك أبا موسىٰ فقال: يا رسول الله، لو علمتُ أنك تسمع لحبَّرتُه لك تحبيرًا)** قال العراقي[٦]: متفق عليه[٧] من حديث أبي موسىٰ.

قلت: ورواه النسائي[٨] من حديث عروة عن عائشة أن النبي ﷺ سمع صوت

---

(١) نتائج الأفكار ٣/ ٢١٨ - ٢١٩.
(٢) ورواه أيضا في حلية الأولياء ٤/ ٢٣٥ - ٢٣٦.
(٣) مسند البزار ٤/ ٣٥٣.
(٤) المعجم الكبير ١٠/ ١٠١.
(٥) الكامل في الضعفاء ٣/ ١٢٠٢.
(٦) المغني ١/ ٢٣٠.
(٧) صحيح البخاري ٣/ ٣٥١. صحيح مسلم ١/ ٣٥٧.
(٨) سنن النسائي ص ١٦٧.

أبي موسىٰ الأشعري وهو يقرأ، فقال: «لقد أوتي أبو موسىٰ من مزامير آل داود».

وقال أبو نعيم في المستخرج[١]: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن ابن سفيان، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحيىٰ بن سعيد الأموي، حدثنا طلحة بن يحيىٰ، عن خاله أبي بُرْدة، عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ ذات يوم: «لو رأيتَني وأنا أستمع قراءتك البارحة، لقد أُعطيتَ مزمارًا من مزامير آل داود». قلت: يا رسول الله، لو علمتُ أنك تسمع لقراءتي لحبَّرتُه لك تحبيرًا». أخرجه [مسلم] عن داود بن رُشَيد عن يحيىٰ بن سعيد.

وقال أبو نعيم أيضًا: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق.

وقال الدارمي[٢]: حدثنا عثمان بن عمر قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوتي الأشعري – أو أبو موسىٰ – مزمارًا من مزامير آل داود». أخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نُمَير عن أبيه عن مالك بن مِغْوَل.

وقال أبو يعلَىٰ أحمد بن علي بن المثنَّىٰ الموصلي في مسنده[٣]: حدثنا سُرَيج ابن يونس، حدثنا خالد بن نافع، عن سعيد بن أبي بُرْدة، عن أبي بُرْدة، عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ وعائشة مرَّا بأبي موسىٰ وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، فلمَّا أصبح لقي أبو موسىٰ رسولَ الله ﷺ، فذكر له، فقال: «أما إني يا رسول الله لو علمتُ لحبَّرت لك تحبيرًا». أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة خالد بن نافع[٤]، وهو مختلَف فيه.

(١) المسند المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٣٨٤.
(٢) سنن الدارمي ٢/ ٥٦٥.
(٣) مسند أبي يعلىٰ ١٣/ ٢٦٦.
(٤) لم أقف عليه في الكامل.

وقال محمد بن أبي عمر العَدَني في مسنده: حدثنا بِشْر بن السري، حدثنا حمَّاد بن سَلَمة، عن ثابت، عن أنس رَضِوَلِيَّهُعَنهُ أن أبا موسىٰ كان يقرأ ذات ليلة، فجعل أزواج النبي ﷺ يستمعنَ لقراءته، فلمَّا أصبح أُخبر بذلك، فقال: «لو علمتُ لحبَّرته تحبيرًا ولشوَّقتكنَّ تشويقًا». أخرجه أحمد بن منيع في مسنده[١] ومحمد ابن سعد في الطبقات[٢] جميعًا عن يزيد بن هارون، زاد ابن سعد: وعفَّان كِلاهما عن حمَّاد بن سلمة، وزاد فيه: وكان حلو الصوت.

والمراد[٣] بالمزمار في الحديث: الصوت الحَسن، وأصله الآلة التي يزمَّر بها، شبَّه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار. وآل داود هنا داود نفسه، ولفظ الآل مقحَم، وقيل: معناه هنا الشخص، وداود هذا هو النبي ﷺ، وقد كان إليه المنتهَىٰ في حُسن الصوت بالقراءة.

وقال أبو نعيم[٤]: حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا عبد الله بن محمد البَغَوي، حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثنا صفوان بن عيسىٰ، حدثنا سليمان التَّيْمي، عن أبي عثمان النَّهْدي قال: صلىٰ بنا أبو موسىٰ الأشعري صلاة الصبح، فما سمعتُ صوت صنج ولا بربط كان أحسن صوتًا منه.

هذا موقوف صحيح، أخرجه أبو عبيد في الفضائل[٥] ومحمد بن سعد في الطبقات[٦]، كِلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا سليمان التَّيْمي.

قال الوليُّ العراقي في شرح التقريب[٧]: استُدِلَّ بهذا الحديث علىٰ أنه لا

---

(١) انظر: إتحاف الخيرة المهرة للبوصيري ٨/ ٢٥٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٢/ ٢٩٨، ٤/ ١٠١.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢/ ٣١٢.

(٤) حلية الأولياء ١/ ٢٥٨.

(٥) فضائل القرآن ص ١٦٣.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٤/ ١٠١.

(٧) طرح التثريب ٣/ ١٠٥ - ١٠٦.

بأس بالقراءة بالألحان، وبه قال أبو حنيفة وجماعة من السلف، وقال بكراهتها مالكٌ وأحمد والجمهور، ونقل المُزَني والربيع المُرادي عن الشافعي أنه لا بأس بها(١)، ونقل عنه الربيع الجيزي أنها مكروهة، قال بعض الأصحاب: وليس في هذا اختلاف [قول] ولكن موضع الكراهة أن يُفرِط في المدِّ وفي إشباع الحركات حتىٰ يتولَّد من الفتحة ألف، ومن الضمَّة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينتهِ إلىٰ هذا الحد فلا كراهة. وكذا حمل الحنابلة نصَّ إمامهم علىٰ الكراهة علىٰ هذه الصورة وهي كراهة تنزيه(٢).

وقال النووي في الروضة(٣): الصحيح أنه إذا أفرط علىٰ الوجه المذكور فهو حرام، صرَّح به صاحب «الحاوي» فقال(٤): هو حرام يفسُق به القارئُ ويأثم المستمع؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم، وهذا مراد الشافعي بالكراهة.

وذكر الإسنوي في المهمَّات(٥) أن تصحيح النووي في هذه المسألة ضعيف، مخالف لكلام الشافعي والأصحاب، فلا معول عليه. قال: ثم إن القول بالتفسيق بتقدير التحريم مشكل لا دليل عليه، بل الصواب علىٰ هذا التقدير أن يكون صغيرة.

وقال أبو العباس القرطبي بعد ذِكره الخلاف في ذلك(٦): ولا شكَّ أن موضع

---

(١) الأم ٧/ ٥٢١. مختصر المزني ص ٤٠٨.

(٢) قال ابن قدامة في المغني ٢/ ٦١٣: «كره أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد - القراءة بالألحان وقال: هي بدعة، وذلك لما روي عن النبي ﷺ أنه ذكر في أشراط الساعة أن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا أفضلهم إلا ليغنيهم غناء. ولأن القرآن معجز في لفظه ونظمه، والألحان تغيره، وكلام أحمد في هذا محمول علىٰ الإفراط في ذلك بحيث يجعل الحركات حروفا ويمد في غير موضعه، فأما تحسين القراءة والترجيع فغير مكروه».

(٣) روضة الطالبين ١١/ ٢٢٧.

(٤) الحاوي الكبير للماوردي ١٧/ ١٩٨.

(٥) المهمات ٩/ ٣٢٩.

(٦) المفهم ٢/ ٤٢١.

الخلاف في هذه المسألة إنما هو إذا لم يغير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان أو يبهم معناه بترديد الأصوات فلا يُفهَم معنىٰ القرآن فإنَّ هذا ممَّا لا شكَّ في تحريمه، فأمَّا إن سَلِمَ من ذلك وحذا به حَذْو أساليب الغناء والتطريب والتحزين فقط فقال مالك: ينبغي أن تنزَّه أذكار الله وقراءة القرآن عن التشبُّه بأحوال المجون والباطل؛ فإنها حق وجد وصدق، والغناء هزل ولهو ولعب. وهذا الذي قاله مالك وجمهور العلماء هو الصحيح. ا.هـ.

وفي الحديث منقبة لأبي موسىٰ الأشعري. وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يُخْشَ من ذلك مَفْسدة بحصول العُجْب للممدوح. والله أعلم.

(**ورأىٰ الهيثم القارئ**) هو[1] الهيثم بن حُمَيد الغَسَّاني، عن يحيىٰ بن الحارث الذِّماري وزيد بن واقد، وعنه هشام بن عمَّار وعلي بن حُجْر. قال دُحَيم: كان أعلم الناس بقول مكحول. وقال أبو داود: ثقة [قَدَري] (**النبيَّ ﷺ في المنام، قال: فقال لي: أنت الهيثم الذي تزيِّنَ القرآنُ بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيرًا**)[2] وهذا يقوِّي ما ذكرناه في حديث «زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم» أنه لا قلب فيه.

(**وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن**) نقله صاحب القوت.

(**وقد كان عمر**) بن الخطاب (**يقول لأبي موسىٰ**)[3] الأشعري (ﷺ: **ذكِّرْنا ربَّنا. فيقرأ عنده حتىٰ يكاد وقت الصلاة أن يتوسَّط**) أي يصير وقتًا بين الوقتين (**فيقال: يا أمير المؤمنين، الصلاة الصلاة. فيقول: أوَ لسنا في صلاة**)؟ هكذا أورده صاحب القوت (**إشارةً إلىٰ قوله تعالىٰ**) ولفظ القوت: كأنَّه يتأوَّل قوله تعالىٰ: (﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٣٤٤.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات ص ١٠٧ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية).

(٣) في القوت: لأبي مسعود.

أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] زاد صاحب القوت هنا: وقال بعض عُبَّاد البصرة لمَّا وضع بعضُ البغداديين كتابًا في معاني الرياء وخفيِّ آفات النفوس قال: لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات المتهجِّدين كأنَّها أصوات الميازيب، فكان في ذلك أُنس وحثٌّ على الصلاة والتلاوة حتى جاء البغداديون بدقائق الرياء وخفايا الآفات فسكت المتهجِّدون، فلم يَزَلْ ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع [وتُرك] إلى اليوم.

(وقال ﷺ: مَن استمع إلى آية) أي أصغَى إلى قراءة آية (من كتاب الله) وعدَّى الاستماع بـ «إلى» لتضمُّنه معنى الإصغاء (**كانت له نورًا يوم القيامة. وفي الخبر: كُتب له عشر حسنات**) هذا لفظ القوت وسياقه.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] من حديث أبي هريرة: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعَفة، ومَن تلاها كانت له نورًا إلى يوم القيامة». وفيه ضعفٌ وانقطاع.

قلت: قال الهيثمي[٣]: فيه عَبَّاد بن ميسرة، ضعَّفه أحمد وغيره[٤].

وقد رواه ابن مردويه أيضًا من هذا الطريق، إلا أنه قال: نورًا يوم القيامة.

وروى أبو نعيم في الحلية[٥] عن ابن عباس: «مَن استمع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كان له بكل حرف حسنة».

وعند ابن عدي[٦] والبيهقي[٧] من حديثه: «مَن استمع حرفًا من كتاب الله

---

(١) المغني ١/ ٢٣٠.

(٢) مسند أحمد ١٤/ ١٩١.

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ٣٣٨.

(٤) بعده في المجمع: «وضعفه ابن معين في رواية ووثقه في أخرى، ووثقه ابن حبان».

(٥) لم أقف عليه في الحلية.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢/ ٧٩٥.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٤٣٣.

ظاهرًا كُتب له عشر حسنات، ومُحيت عنه عشر سيِّئات، ورُفعت له عشر درجات ...» الحديث.

وروى(١) الديلمي عن أنس: «مَن استمع إلىٰ كتاب الله كان له بكل حرفٍ حسنةٌ».

(ومهما عظُم أجرُ الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكًا في الأجر، إلا أن يكون قصدُه الرياء والتصنُّع) ولفظ القوت: والتالي شريك المستمع في الأجر؛ لأنه أكسبه ذلك. وقال بعضهم: للقارئ أجر وللمستمع أجران. وقال آخَر: وللمستمع تسعة أجور وكِلاهما صحيح؛ لأن كل واحد منهما علىٰ قَدْر إنصاته ونيَّته، فإذا كان التالي مُكسِبًا لغيره هذه الأجور فإنَّ له بكل أجر أكسبه إيَّاه أجرًا يكتسبه؛ لقوله ﷺ: «الدالُّ علىٰ الخير كفاعله» سيَّما إن كان عالمًا بالقرآن فقيهًا فيه، فيكون مقروءه ووقوفه حجَّة وعلمًا لسامعه.

وقال في موضع آخر: فإن لم يكن للتالي نيَّة في شيء ممَّا ذكرنا وكان ساهيًا غافلاً عن ذلك أو كان واقفًا مع شيء من الآفات أو تشبَّح في قلبه شخصٌ أو ساكن ذِكر هوىٰ فقد اعتلَّ، فعليه أن يحتمي بالجهر، فإن جهر علىٰ ذلك ثقُل قلبُه وفسد عملُه لاستكنان الداء فيه، وكان إلىٰ النقصان أقرب، ومن الإخلاص أبعد، فعليه حينئذٍ بالإخفاء، فهو دواؤه يعالج به حاله، فهو أصلح لقلبه، وأسلم لعمله، وأحمد في عاقبته. وقد يكون العبد واجدًا لحلاوة الهوىٰ في الصلاة والتلاوة وهو يظن أن ذلك حلاوة الإخلاص، وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفيَّة ولطيف الانتقاص، وقد يلتبس ذلك علىٰ الضعفاء، ولا يفطن له إلا العلماء، وإنما يجد حلاوةَ الإخلاص الزاهدون في الدنيا، وفي مدح الناس لهم به ويتلذَّذون بنصح المعاملة

---

(١) كنز العمال ١/ ٥٤١ - ٥٤٢.

وصدق الخدمة المحبُّون لله تعالىٰ العلماء به[1]، واعتبار فقدِ ذلك بأحد شيئين: سقوط النفْس باستواء المدح والذم وهذا حال في مقام الزهد، أو خروج الخلق من القلب بشهادة اليقين وهذا في مقام المعرفة. وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية[2]. والله أعلم.

(١) في القوت: الخائفون منه.

(٢) بعده في القوت: «وقد تكون العلانية أفضل لأئمة التقوىٰ والعدل».

الباب الثالث:

في أعمال الباطن في تلاوة القرآن

وهي التي لا اطِّلاع عليها لأهل الظاهر، وإنما يدركها المخلصون، الزاهدون في الدنيا، المبرَّؤون من رعونات النفوس الأمَّارة **(وهي عشرة)** الأول: **(فهم أصل الكلام، ثم التعظيم)** له **(ثم حضور القلب)** فيه **(ثم التدبُّر)** لمعانيه **(ثم التفهُّم)** لها بما قُدِّر له فيه **(ثم التخلِّي عن موانع الفهم)** أي الأحوال التي تمنعه عن أصل الفهم **(ثم التخصص، ثم التأثُّر، ثم الترقِّي، ثم التبرِّي)** فهذه عشرة أعمال علىٰ سبيل الإجمال لا بدَّ من مراعاتها لأهل التلاوة من أرباب الأحوال.

(فالأول: فهمُ عَظَمة الكلام) الذي يتلوه وجلالة قَدْره **(وعلوِّه، و)** ملاحظة **(فضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلىٰ درجة أفهام خلقه)** اعلم أن الناس في التلاوة علىٰ ثلاثة مقامات، أعلاهم من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه، كما سيأتي ذلك للمصنِّف في عمل الترقِّي وهو التاسع من هذه الأعمال، فالخصوص يشاهدون في تلاوتهم معاني ما يتلونه، ويتحقَّقون بها في مشاهدتهم بمدد من سيدهم حتىٰ يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم، فإن قصرت مشاهدة التالي عن هذا المقام **(فلينظر كيف لطفه بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلىٰ أفهام خَلْقه)** وأنه يناجيه به ويتملَّقه بمناجاته **(و)** يشهد **(كيف تجلَّت لهم تلك الصفة في طيِّ حروف وأصوات هي صفات البشر)** كما تقدَّم توضيحه في كتاب قواعد العقائد، وليعلم أن الله تعالىٰ إنما خاطبه بلسانه وكلَّمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمةً منه ورحمةً **(إذ يعجز البشر عن الوصول إلىٰ فهم**

صفات الله تعالىٰ إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كُنْه جلالة كلامه بكسوة الحروف لَما ثبت لسماع الكلام عرشٌ ولا ثرىٰ، و) لو تكلم الجبَّار جلَّ جلاله بوصفه الذي يدركه سمعُه (لتلاشىٰ ما بينهما من عَظَمة سلطانه) وقهر جلاله (وسبحات نوره) وتقدَّم تحقيق سبحات الأنوار في قواعد العقائد (ولولا تثبيت الله تعالىٰ لموسىٰ ﷺ لَما أطاق سماعَ كلامه كما لم يُطِق الجبلُ) أي الطور (مبادي تجلِّيه حيث صار دكًّا) أي مدكوكًا مساويًا للأرض، فحجب ذلك في غيب علمه عن العقول، وستره بصنيع قدرته عن القلوب، وأظهر للقلوب علومَ عقولها، وأشهد للعقول عُرْفَ معقولها بلطفه وحنانه ورحمته وإحسانه (ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة) بيِّنة (علىٰ حدِّ فهم الخلق) باختلاف عقولهم (ولهذا عبَّر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله ﷻ في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف) وهو المحيط بالدنيا (وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت علىٰ الحرف الواحد أن يقلُّوه) أي يحملوه (ما أطاقوه) أي ما قدروا عليه (حتىٰ يأتي إسرافيل ﷺ وهو مَلَك اللوح) المحفوظ والموكَّل بالصور أيضًا (فيرفعه فيقلُّه) أي يطيق علىٰ حمله (بإذن الله تعالىٰ ورحمته، لا بقوَّته وطاقته، ولكن الله تعالىٰ طوَّقه) إطاقةَ (ذلك واستعمله به) وفي بعض النسخ: طوَّقه ذلك لمَّا استعمله به (ولقد تأنَّق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علوِّ درجته إلىٰ فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته، وضرب له مثلاً لم يقصِّر فيه، وذلك أنه) أي ذلك البعض من الحكماء (دعا بعضَ الملوك حكيمٌ) ولفظ القوت: وبلغنا في الأخبار السالفة أن وليًّا من أولياء الله ﷻ من الصِّدِّيقين ابتعثه في الفترة إلىٰ ملك من الجبابرة يدعوه إلىٰ التوحيد و(إلىٰ شريعة الأنبياء، فسأله الملك عن أمور) ولفظ القوت: عن أشياء من معاني التوحيد (فأجاب بما يحتمله فهمُه) ولفظ القوت: فجعل الصِّدِّيق يجيبه عنها بما يقرُب من فهمه ويدركه عقلُه من ضرب الأمثال بما يستعمله الناس بينهم ويتعارفونه عندهم (فقال المَلك: أرأيت) ولفظ القوت: إلىٰ أن قال له الملك: أفرأيت (ما يأتي به الأنبياء إذا ادَّعيت أنه ليس بكلام

الناس) ولا رأيهم (وأنه كلام الله) ولفظ القوت: أمن كلامِ الله هو؟ قال الحكيم: نعم. قال الملك: (فكيف يطيق الناس حمله؟ فقال الحكيم: إنَّا رأينا الناس لمَّا أرادوا أن يُفهِموا بعضَ الدوابِّ والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا) أن (الدوابَّ يقصُر تمييزُها عن فهم كلامهم الصادر عن أنواع عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه، فنزلوا إلىٰ درجة تمييز البهائم، وأوصلوا) بذلك (مقاصدهم إلىٰ بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بها) أي بالبهائم (من النقر والتصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي تطيق حملها) ولفظ القوت: فوضعوا لها من النقر والتصفير والزجر ما عرفوا أنها تطيق حمله (وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عَزَّوَجَلَّ بكُنْهه وكمال صفاته، فصاروا بما يتراجعون به بينهم من الأصوات التي يسمعون بها الحكمة) الإلهية (كصوت النقر والصفير الذي به سمعت الدوابُّ من الناس، ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة) أي المخفيَّة (في تلك الصفات من أن شرف الكلام - أي الأصوات - لشرفها وعظم لتعظيمها) هكذا هو في القوت، ويوجد في بعض نسخ الكتاب: من أن يشرف الكلام فشرفت الأصوات لشرفها وعظمت لتعظيمها (فكان الصوت للحكمة جسدًا ومسكنًا) أي بمنزلة الجسد والمسكن (والحكمة للصوت نفْسًا وروحًا) أي بمنزلة النفس والروح (فكما أن أجساد البشر تكرم وتعزُّ لمكان الروح) التي فيها (فكذلك أصوات الكلام تشرف) وتكرم (للحكمة التي فيها، والكلام علىٰ المنزلة رفيع الدرجة، قاهر السلطان، نافذ الحكم في الحق والباطل، وهو القاضي العدل) الذي لا يجور في حكمه (والشاهد المرتضَىٰ، يأمر وينهىٰ، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدَّام كلام الحكمة، كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدَّام شعاع الشمس، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غَوْر الحكمة) أي غايتها وباطنها (كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس) وفي القوت: من شعاع الشمس (ما تحيا به أبصارُهم، ويستدلُّون به علىٰ حوائجهم فقط، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره، وكالشمس العزيزة

الظاهرة مكنون عنصرها) كذا في القوت، وفي بعض النسخ: وعنصرها مكنون **(وكالنجوم الزاهرة)** أي المضيئة **(التي قد يهتدي بها من لا يقف)** وفي القوت: من لا يقع **(علىٰ سيرها)** وفي القوت: علىٰ سرِّها، فالكلام أعظم وأشرف من ذلك **(فهو مفتاح الخزائن النفيسة)** وباب المنازل العالية، ومراقي الدرجات الشريفة **(وشراب الحياة الذي مَن شرب منه)** شربةً **(لم يَمُتْ، ودواء الأسقام الذي مَن سُقي منه)** جرعةً **(لم يسقم)** أي لم يمرض. زاد صاحب القوت: إذا لبسه من لم يتسلَّح به أبدىٰ عورته، وإذا تسلَّح به غير أهله لم يخرج إلا منهم. ثم قال: نقلت هذا نقلاً من كلام الصِّدِّيق الحكيم الذي خاطب به الملكَ فاستجاب له بإذن الله عز و جل **(فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنىٰ الكلام، والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يُقتصَر عليه)** ولفظ القوت: فهذا وصف كلام الله عَزَّوَجَلَّ الذي جعله الله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة، فانظر إلىٰ الحكيم كيف جعل عقول البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير إلىٰ عقول البشر، وجعل النقر والصفير والإفهام من الناس للأنعام مثلاً لِما أفهم الله به الأنامَ من معاني كلامه الجليل بما ألهمهم فيه من الكلام ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝﴾ [يوسف: ١٠٠] فهذه قدرة لطيفة من قدرته التي لا تتناهَىٰ، وحكمة محكمة من حِكَمه التي لا تُضاهَىٰ، إنه حكيم عليم.

(الثاني: التعظيم للمتكلِّم، فالقارئ عند البداية) أي الابتداء **(بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عَظَمة المتكلم)** وجلالته وهيبته **(ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن في تلاوته كلام الله عَزَّوَجَلَّ غاية الخطر)** وأن له في تلاوته حسبما له من تعظيمه والفهم له والمشاهَدة منه والمعاملة به؛ لأنه من أكبر شعائر الله تعالىٰ في خلقه، وأعظم آياته في أرضه الدالَّة عليه، وللعبد من التعظيم له بقَدْر تقواه، وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام علىٰ نحو ما أُعطي من معرفة المتكلم وهيبته وإجلاله، فإذا عظُم المتكلمُ في قلبه وكبُر في همِّه أنعم تدبُّر كلامه، وأطال الفكرة

في خطابه، وأكثر تردادَه وتكريرَه علىٰ نفسه، وأسرع تذكُّره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقىٰ وحذر، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣، الأعراف: ١٧١] ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧] لأن كل كلام موقوف علىٰ قائله، يعظُم بتعظيمه، ويقع في القلب بعلوِّ مكانه، أو يهون بسهولة شأنه، فالله تعالىٰ ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان، وليس ككلامه كلام في الإحكام والبيان (**فإنه تعالىٰ قال: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾**) [الواقعة: ٧٩] وهو إخبار في معنىٰ الإنشاء، والتطهير أعم من تطهير الظاهر والباطن (**وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس**) له (**إلا إن كان متطهِّرًا**) من الحدث والخبث (**فباطن معناه أيضًا بحكم عزِّه وجلاله محجوب عن باطن القلب**) أي قلب التالي (**إلا إذا كان متطهِّرًا عن كل رجس**) معنوي (**مستنيرًا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلُح للمس جلد المصحف كل يد فلا يصلُح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه**) علىٰ سبيل الاستعاذة (**كل قلب، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل**) المخزومي[(١)] القرشي، أسلم بعد الفتح، وقُتل يوم اليرموك، وقد روىٰ له الترمذي، ورواية مصعب بن سعد عنه مرسَلة (**إذا نشر المصحف**) بين يديه ليتلو فيه (**غُشي عليه**) وبكىٰ (**ويقول: هو كلام ربي، هو كلام ربي**) مرَّتين (**فيعظُم الكلام بتعظيم المتكلم**) وهيبته وجلاله (**ولن تحضره عظمةُ المتكلم**) في نفسه (**ما لم يتفكَّر في صفاته**) العُلَىٰ (**وجلاله وأفعاله**) الجميلة ومعاملاته مع غيره وحُسن بلائه لهم (**فإذا حضر بباله**) من عظيم خليقته (**العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدوابِّ والأشجار**) وغيرها من مصنوعاته البديعة (**وعلم**) وتحقَّق بشهادة اليقين (**أن الخالق لجميعها**) بأنواعها وأصنافها (**والقادر عليها**) إيجادًا وإعدامًا (**والرازق لها**) والمفيض عليها بأنواع النعم اللائقة بكلٍّ منها (**واحد**) أحد لا شريكَ له (**وأن**

---

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٣٢.

الكل في قبضة قدرته) وأسرة قهره **(متردِّدون بين فضله ورحمته)** لمن شاء **(وبين نقمته وسطوته)** لمن شاء **(إن أنعم فبفضله)** سبحانه **(وإن عاقب فبعدله)** لا معقِّب لحكمه **(وإنه الذي يقول: هؤلاء)** يعني أهل اليمين **(في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء)** يعني أهل الشِّمال **(في النار ولا أبالي)** كذا ورد ذلك في الخبر الصحيح **(وهذا غاية العظمة و)** نهاية **(التعالي)** دقَّت دونه الأعناق **(فبالتفكُّر في أمثال هذا يحضر)** أي يكون سببًا باعثًا لحضور **(تعظيم المتكلم)** في القلب **(ثم)** ينشأ منه **(تعظيم الكلام.**

الثالث: حضور القلب) وهو عبارة عن حصول الجمعيَّة بحفظ الأنفاس **(وتركُ حديث النفس)** أجَلُّ باعث عليه **(قيل في تفسير)** قوله تعالىٰ: **(﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾** [مريم: ١٢] **أي بجدٍّ واجتهاد)** ومثله ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣، البقرة: ٩٣، الأعراف: ١٧١] قيل: بعمل به **(وأخذُه بالجد)** هو **(أن يكون متجرِّدًا له عند قراءته، منصرف الهمَّة إليه عن غيره)** فلا يخطر له في تلك الحالة سوىٰ ما يتعلَّق به **(و)** من هنا **(قيل لبعضهم)** من العارفين: **(إذا قرأتَ القرآن تحدِّث نفسَك بشيء)**؟ أي يخطر في بالك حديث نفس؟ **(فقال: أوَ شيء أحب إليَّ من القرآن حتىٰ أحدِّث به نفسي)** نقله صاحب القوت **(وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها)** أي لم يحصل له حضورُ القلب عند تلاوتها **(أعادها ثانيةً)** ليكون قلبه بوصف كل كلمة، يتلو مشاهدًا لمعناها. نقله صاحب القوت **(وهذه الصفة تتولَّد عمَّا قبلها من التعظيم)** للمتكلم **(فإنَّ المعظِّم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس به، ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب)** وينشرح له الصدر **(إن كان التالي أهلاً لذلك)** أهلية حقيقية **(فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزَّه ومتفرَّج)** والمتنزَّه علىٰ صيغة اسم المفعول: البساتين والمواضع البعيدة عن المساكن، والمتفرَّج علىٰ وزنه أعَمُّ من ذلك **(والذي يتفرَّج في المتنزَّهات لا يتفكَّر في غيرها)** فإنه إليها نهاية الأطماع **(فقد قيل: إنَّ في القرآن ميادين)** جمع ميدان بالكسر، وهو الموضع المتَّسع **(وبساتين)** جمع[1] بُستان بالضم: الجنة، قال

---

(١) المصباح المنير ١/ ٣٢.

الفرَّاء[١]: عربي، وقال غيره: رومي معرَّب[٢] (ومقاصير) جمع مقصورة وهي العِلِّية في الدار، أو جمع قصر علىٰ غير قياس (وعرائس) جمع[٣] عروس، وصفٌ يستوي فيه الذكر والأنثىٰ ما داما في أعراسهما، وجمع الرجل: عُرُس بضمتين، وجمع المرأة: عرائس (ودبابيج) بباءين موحدتين، جمع[٤] ديباج بالكسر، والأصل: دِبَّاج، بالتضعيف، فأُبدِل من أحد المضعَّفين حرف العلة، ولهذا يُرَدُّ في الجمع إلىٰ أصله، وقيل: الياء أصليَّة، فعلىٰ هذا جمعُه بياءين تحتيتين، وهو ثوب سُداه ولُحمته إبريسم، ويقال: هو معرَّب (ورياضًا) جمع روضة (وخانات) جمع خان، وهي التي ينزلها المسافرون (فالميمات ميادين القرآن) كأنَّه لمناسبة ميم «الميدان»، أو لأن الميم من الحروف الجوفية، وهو علىٰ بادئ نظر الناظرين وإن كان يُرَىٰ ضيِّقًا فهو أوسع من الميدان (والراءات بساتين القرآن) كأنَّه لمناسبة راء «الراحة»؛ فإنَّ الإنسان يرتاح إلىٰ البساتين. وفي ذِكر الراء بعد الميم إشارة إلىٰ الخروج من الضيق إلىٰ الفضاء (والحامدات مقاصيره) والحمد منها السور المبدوءة بـ «الحمد لله» أو الآيات التي فيها ذِكر الحمد (والمسبحات عرائس القرآن) وهي السور المبدوءة بالتسبيح، وإنما شُبِّهت بالعرائس لِما لها من العزِّ بين قومها، ومن هنا قالوا: كاد العروس أن يكون ملكًا (والحواميم) وفي نسخة: وآل حم، وفي أخرىٰ: والحاميمات (دبابيج القرآن) شُبِّهت بها لِما في ظاهرها وباطنها من لُباب الحِكَم، كما أن الديباج سُداه ولُحْمته إبريسم (والمفصَّل رياضه) لِما فُصِّل فيه من أنواع الأحكام والقصص والأمثال، فهي كالرياض فيها أنواع الفواكه والثمار (والخانات ما سوىٰ ذلك) ينزل فيها السالكون في طريق الله بفهم أسرارها واستنباط معانيها من باب الاعتبار، ولا يقفون عندها طلبًا للترقِّي، كما أن الخان ينزله المسافر لكي

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣١.

(٢) تاج العروس ٤/ ٤٤٣.

(٣) المصباح المنير ٢/ ٣١.

(٤) السابق ١/ ١١٧.

يستريح ليلته، فإذا أصبح سافر (**فإذا دخل القارئ**) ولفظ القوت: فإذا جال المريد في (**الميادين**) بأنْ تحرَّك بهمَّته في قطع مفاوزها (**وقطف من البساتين**) أنواع ثمارها (**ودخل المقاصير**) والعلالي المشرفة فيها (**وشهد العرائس**) وجلوتها (**ولبس الديابيج**) أي حُلَلها علىٰ أكتافه (**وتنزَّه في الرياض**) وتفرَّج فيها (**وسكن غُرَف الخانات استغرقه ذلك، وشغله عمَّا سواه فلم يعزب**) أي لم يَغِبْ (**قلبه، ولم يتفرَّق فِكرُه**) ولفظ القوت: اقتطعه وأوقفه ما يراه وشغله الشاهد به عمَّا سواه.

(**الرابع: التدبُّر**) معناه[1] النظر في دبر الأمور، أي عواقبها، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتدبر تصرُّفه بالنظر في العواقب (**وهو وراء حضور القلب؛ فإنه قد**) يتفق أنه (**لا يتفكَّر في غير القرآن، ولكنه يقتصر علىٰ سماع القرآن من نفسه**) حالَ تلاوته (**وهو لا يتدبَّره، والمقصود من القرآن التدبُّر**) في معانيه (**ولذلك سُنَّ فيه الترتيل**) وهو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف، أو هو حفظ الصوت والتحزُّن بالقراءة، علىٰ ما سبق بيانه (**لأن الترتيل في الظاهر**) إنما سُنَّ (**ليتمكَّن من التدبُّر في الباطن. قال علي**) بن أبي طالب (رضي الله عنه: **لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبُّر فيها**) كذا أورده صاحب القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية[2]: حدثنا أبي، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا شجاع بن الوليد، عن زياد بن خيثمة، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة عن علي قال: لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها.

وقال ابن عبد البر في جامع العلم[3]: حدثنا عبد الرحمن بن يحيىٰ، حدثنا

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٥٦. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ٩٣.

(٢) حلية الأولياء ١/ ٧٧.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٨١١.

أحمد بن سعيد، حدثنا محمد بن زَبَّان، حدثنا الحارث بن مسكين، حدثنا ابن وهب، أخبرني عقبة بن نافع، عن إسحاق بن أسيد، عن أبي مالك وأبي إسحاق، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبِّئكم بالفقيه كل الفقيه»؟ قالوا: بلىٰ ... الحديث، وفيه: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقُّه، ولا علم ليس فيه تفهُّم، ولا قراءة ليس فيها تدبُّر».

قال ابن عبد البر: لا يأتي هذا الحديث مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وأكثرهم يوقفونه علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(**وإذا لم يتمكَّن من التدبر**) في الآية (**إلا بترديد فليردِّد**) فإنه مطلوب (**إلا أن يكون خلف إمام فإنه**) يُمنَع من ذلك حينئذٍ؛ إذ (**لو بقي**) المأموم (**في تدبر آية**) تلاها الإمام (**وقد اشتغل الإمام بآية أخرىٰ**) انتقل إليها (**كان مسيئًا**) في تردُّده فيها، ومثله (**مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممَّن يناجيه عن فهم بقيه كلامه**) وهذا يدل علىٰ قصوره في عمله (**وكذلك إذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكِّر في آية قرأها إمامه**) أو هو بنفسه (**فهو وسواس**) يحترز منه؛ لأنه مأمور إذ ذاك بإتيان ما يناسب فيه من الأذكار والتسبيح (**فقد رُوي عن عامر بن عبد قيس**) الزاهد، روىٰ عنه أبو مِجْلَز، أخرج له النسائي (**أنه قال**) يومًا لأصحابه: (**الوسواس يعتريني في الصلاة. فقيل: في أمر الدنيا؟ فقال: لأنْ تختلف في الأسنَّة**) جمع سِنان، وهو من الرمح معروف (**أَحَبُّ إليَّ من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي يبن يدي ربي عَزَّ وَجَلَّ وأني كيف أنصرف**) أي من المقبولين من أهل اليمين أو خلاف ذلك (**فعَدَّ ذلك وسواسًا**) مع أنه تفكُّرٌ في أمر ديني (**وهو كذلك**) أي كما قاله (**فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه**) من أمر الصلاة (**والشيطان لا يقدر علىٰ مثله إلا بأن يشغله بمهم دينيٍّ لكي يمنعه بذلك من الأفضل**) وهي دسيسة خفيَّة من الشيطان يدسُّ بها علىٰ أكثر السالكين (**ولمَّا ذُكر ذلك**) أي قول عامر ابن عبد قيس (**للحسن**) البصري

رحمه الله (قال: إن كنتم صادقين عنه) في نقله (فما اصطنع الله ذلك عندنا)[١].

ورُوي أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فردَّدها عشرين مرة) كذا في القوت.

قال العراقي[٢]: رواه أبو ذر الهَرَوي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. انتهىٰ.

قلت: كأنَّه يشير إلىٰ أنه أخرجه من طريق أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه «أخلاق النبي ﷺ»[٣] من طريق روح بن مسافر، عن محمد بن المُلائي، عن أبيه، عن أبي هريرة، وعن محمد عن أبي هريرة قال: صحبت النبي ﷺ في سفر في ليلة، فقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم»، فبكىٰ حتىٰ سقط، فقرأها عشرين مرة، كل ذلك يبكي حتىٰ يسقط، ثم قال في آخر ذلك: «لقد خاب من لم يرحمه الرحمن الرحيم». روح أبو بِشْر كنَّاه البخاريُّ[٤] وغيره، وكنَّاه لُوَين أبا المعطل، وهو أحد المتروكين، تركه ابن المبارك وأحمد وابن معين[٥]، قال ابن حبَّان[٦]: لا تحلُّ الروايةُ عنه.

(وإنما ردَّدها لتدبُّره ﷺ في معانيها) فإنها تتضمَّن جميع أسرار القرآن. وفي القوت: وكان له في كل ردَّة فهمٌ، ومن كل كلمة علمٌ.

---

(١) أثر عامر بن عبد قيس وقول الحسن في: التعرف لمذاهب أهل التصوف للكلاباذي ص ١٤٤، شعب الإيمان ٤/ ٥١١، المعرفة والتاريخ ٢/ ٧٠، تاريخ دمشق ٢٦/ ٢٣، الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٢٥٦. وروىٰ أبو نعيم في الحلية ٢/ ٩٢ وأحمد في الزهد ص ١٨١ أثر عامر دون قول الحسن.

(٢) المغني ١/ ٢٣١.

(٣) أخلاق النبي وآدابه ص ١٨١ (ط - دار المسلم).

(٤) التاريخ الكبير للبخاري ٣/ ٣١٠.

(٥) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ٤٩٦.

(٦) المجروحون من المحدثين ١/ ٣٦٩.

(وعن أبي ذر) الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **(قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلةً، فقام بآية يردِّدها وهي** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾**)** [المائدة: ١١٨] قال العراقي(١): رواه النسائي(٢) وابن ماجه(٣) بسند صحيح.

قلت: قال(٤) الضياء المقدسي صاحب المختارة: أخبرنا أبو زُرْعة اللفتواني، أخبرنا الحسين بن عبد الملك، أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن، أخبرنا جعفر بن عبد الله، حدثنا محمد بن هارون، حدثنا محمد بن بشَّار وعمرو بن علي قالا: حدثنا يحيىٰ بن سعيد. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي(٥)، حدثنا مروان بن معاوية ويحيىٰ بن سعيد قالا: حدثنا قُدامة بن عبد الله. وقال أبو عبيد في فضائل القرآن(٦): حدثنا مروان بن معاوية الفَزاري، عن قُدامة العامري، عن جَسْرة بنت دجاجة العامرية قالت: حدثنا أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ ليلةً من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كلَّه حتىٰ أصبح، يقوم بها ثم يركع ويسجد. فقال القوم لأبي ذر: أيَّة آية؟ فقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

هذا لفظ أبي عبيد، وساقه الإمام أحمد مختصرًا [جدًّا] وأعاده مطوَّلاً جدًّا، وأخرجه(٧) أيضًا عن وكيع عن قُدامة نحو رواية أبي عبيد، وأخرجه ابن خزيمة(٨) وابن ماجه جميعًا عن يحيىٰ بن حكيم [والنسائي عن نوح بن حبيب] عن يحيىٰ بن

---

(١) المغني ١/ ٢٣١.

(٢) سنن النسائي ص ١٦٦.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٨٠.

(٤) نتائج الأفكار ٣/ ١٩٢ - ١٩٧.

(٥) مسند أحمد ٣٥/ ٣٩٠ - ٣٩١.

(٦) فضائل القرآن ص ١٤٤.

(٧) مسند أحمد ٣٥/ ٣٠٩ - ٣١٠.

(٨) ذكره في صحيحه ١/ ٢٧١ معلقا بلا إسناد.

سعيد نحو رواية أبي عبيد. وله شاهد أخرجه أحمد[1] أيضًا من حديث أبي سعيد مختصرًا، وأخرجه سعيد بن منصور من مرسَل أبي المتوكِّل الناجي، ورُواته ثقات.

(**وقام تميم**) بن أوس (**الداري**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**ليلةً بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية**) [الجاثية: ٢١] رواه أبو عبيد في الفضائل[2]، وابن أبي داود في الشريعة، ومحمد بن نصر في قيام الليل[3]، والطبراني في الدعاء[4].

أمَّا أبو عبيد فقال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيتُه بات ليلةً حتىٰ أصبح أو قرُب أن يصبح يتلو آية ويركع ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾. ورواه أيضًا عن هُشَيم عن حُصَين ابن عبد الرحمن عن أبي الضحىٰ ... فذكر نحوه.

وأمَّا ابن أبي داود فرواه عن سهل بن صالح عن يزيد بن هارون نحوه. ورواه أيضًا عن إسحاق بن شاهين عن هُشَيم.

وأمَّا محمد بن نصر فرواه عن بُنْدار عن غُنْدر حدثنا شعبة.

وأمَّا الطبراني فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر ... فساقه.

وهو أثر صحيح، لولا الرجل المكي الذي لم يُسَمَّ لكان علىٰ شرط الصحيح.

---

(١) مسند أحمد ١٨/ ١٣٧.

(٢) فضائل القرآن ص ١٤٥.

(٣) مختصر قيام الليل ص ١٤٩.

(٤) لم أقف عليه في كتاب الدعاء، وهو في المعجم الكبير ٢/ ٥٠.

(وقام سعيد بن جبير ليلة بهذه الآية يردِّدها: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾) [يس: ٥٩] كذا في القوت. والذي في كتاب الفضائل[1] لأبي عبيد: حدثنا أبو الأسود هو النَّضْر بن عبد الجبار، عن ضِمام بن إسماعيل، عن العلاء، عن رجل قال: كنت بمكة، فلمَّا صلَّيت العشاء فإذا رجل أمامي أحرم بنافلة، فاستفتح «إذا السماء انفطرت»، فلم يزل فيها حتىٰ نادىٰ منادي السَّحَر، فسألت عنه فإذا هو سعيد بن جبير.

قلت: وقد جاء نحو ذلك من ترديد الآيات في الصلاة عن عبد الله بن مسعود وعن عائشة وأسماء ابنتَي أبي بكر الصِّدِّيق ﷺ.

أمَّا ابن مسعود، فأخرج أبو عبيد[2] عن معاذ بن معاذ العنبري، عن عبد الله بن عون، حدثني رجل من أهل الكوفة قال: صلىٰ عبد الله بن مسعود ليلة، فذكروا ذلك، فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم، بات هذه الليلة يردِّد هذه الآية حتىٰ أصبح. قال ابن عون: بلغني أنها ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾.

وأخرجه ابن أبي داود بسند صحيح عن إبراهيم عن علقمة قال: صلَّيت إلىٰ جنب عبد الله، فافتتح سورة طه، فلمَّا بلغ ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ قال: رب زدني علمًا، رب زدني علمًا.

وأمَّا أثر أسماء، فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نُمَير، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخلت علىٰ أسماء بنت أبي بكر وهي تصلي تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧﴾ [الطور: ٢٧] فقمت، فلمَّا طال عليَّ ذهبت إلىٰ السوق، ثم رجعت وهي مكانها تكرِّرها وهي في الصلاة.

وهو موقوف رجاله ثقات من رُواة الصحيحين، لكن اختُلف فيه علىٰ

---

(١) فضائل القرآن ص ١٤٨.

(٢) السابق ص ١٤٦.

هشام، فأخرجه أبو عبيد[١] ومحمد بن نصر[٢] وابن أبي داود[٣] جميعًا من طريق أبي معاوية عن هشام فقال: عن عبد الوهاب بن يحيىٰ بن حمزة عن أبيه عن جدِّه عن أسماء ... فذكر نحوه. ويحتمل أن يكون لهشام فيه طريقان.

وأمَّا أثر عائشة ، فأخرجه ابن أبي داود[٤] من طريق شيبة بن نِصاح، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: غدوت يومًا علىٰ عائشة وهي تصلي الضحىٰ، فإذا هي تقرأ هذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧﴾ وهي تبكي وتردِّدها، فقمت حتىٰ مللت، فذهبت إلىٰ السوق ثم رجعت فإذا هي تردِّدها وتبكي.

وممَّا جاء في ذلك عن التابعين، قال عبد الله بن أحمد في زيادات المسند[٥]: حدثنا زياد بن أيوب، عن علي بن يزيد الصُّدائي، حدثنا عبد الرحمن بن عجلان، حدثنا نُسَير بن ذُعْلُوق قال: بات الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلِّي، فمرَّ بهذه الآية: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾ فجعل يردِّدها حتىٰ أصبح.

وقال أبو عبيد[٦]: حدثنا قُدامة أبو محمد عن امرأة من آل عامر بن عبد قيس

---

(١) السابق ص ١٤٧.

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٤٩.

(٣) في المطبوعة: (فأخرجه أبو عبيد ومحمد بن أبي عمر العوفي وأبو داود). والتصويب من نتائج الأفكار.

(٤) وأخرجه أيضا الثعلبي في الكشف والبيان ٩/ ١٣٠.

(٥) ورواه في الزهد ص ٢٦٧ من هذا الطريق، ولفظه: بت عند الربيع ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾ فمكث ليلته حتىٰ أصبح ما يجوز هذه الآية إلىٰ غيرها ببكاء شديد.

(٦) فضائل القرآن ص ١٤٧.

أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة المؤمن، فلمَّا انتهىٰ إلىٰ هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨] فكظم، فلم يزل يردِّدها حتىٰ أصبح.

وأخرج محمد بن نصر في قيام الليل[١] من طريق هارون بن رِئاب أنه قرأ هذه الآية: ﴿فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] فجعل يبكي ويردِّدها حتىٰ أسحر.

وأخرج ابن أبي داود عن جماعة من التابعين أشياء نحو ذلك.

(**وقال بعضهم: إني لأفتتح السورة فيوقفني بعضُ ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتىٰ يطلع الصبح**) وما قضيت منها وطري. كذا في القوت.

(**وكان بعضهم يقول: كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدُّ لها ثوابًا**) كذا في القوت. وكان بعضهم إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانيةً. وقد ذكره المصنِّف قريبًا.

(**وحُكي عن أبي سليمان الداراني**) رحمه الله (**أنه قال: إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالٍ أو خمس ليالٍ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتُها إلىٰ غيرها**) نقله صاحب القوت.

(**و**) روينا (**عن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكرِّرها ولا يفرغ من التدبر فيها**) كذا في القوت.

(**وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة، وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعدُ**) يعني ختمة التفهم والمشاهدة. نقله صاحب القوت (**وذلك بحسب درجات تدبُّره وتفتيشه**) أي بحثه

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥١.

واستنباطه للمعاني (**وكان هذا**) أي قائل القول الذي سبق (**يقول أيضًا: أقمت نفسي**) في العبوديَّة (**مقام الأُجَراء**) جمع أجير وهو من يستعمل نفسَه بالأجرة (**فأنا أعمل مياومة**) وهي معاملة يوم بيوم. وفي بعض النسخ: موايمة، وهي لغة العامَّة (**ومشاهرة**) وهي معاملة الشهر إلىٰ الشهر (**ومجامعة**) وهي معاملة الجمعة إلىٰ الجمعة، ولم يُسمَع استعماله عن العرب (**ومسانهة**) وهي معاملة السنة إلىٰ السنة، ويقال فيه أيضًا: المسانهة والمعاومة، ولم يُسمَع المحاولة. والسنة محذوفة اللام، وفيها لغات، إحداها: جعلُ اللام هاء، وتُبنَىٰ عليها تصاريف الكلمة، والأصل: سنهة، كسجدة وعامله مسانهة من ذلك.

(**الخامس: التفهُّم، وهو**) وصول المعنىٰ إلىٰ فهم التالي بواسطة اللفظ، والمراد منه (**أن يستوضح**) ويستكشف (**من**) معنىٰ (**كل آية**) ممَّا يتلوه (**ما يليق بها**) علىٰ حسب قوَّته في معرفته (**إذ القرآن يشتمل علىٰ ذِكر صفات الله عَزَّوَجَلَّ، وذكر أفعاله، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وذكر أحوال المكذِّبين لهم**) من المحجوبين (**وأنهم كيف أُهلِكوا**) بتكذيبهم للرسل (**و**) علىٰ (**ذِكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار**).

أمَّا صفات الله تعالىٰ فكقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ: ١١] وكقوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ﴾ [الحشر: ٢٣] اعلمْ أن المصنِّف قُدِّس سره قد ذكر في آخر كتابه «المقصد الأسنىٰ»[١] أن الأسماء الحسنىٰ والصفات العُلَىٰ المذكورة في القرآن يرجع جميعها إلىٰ سبع صفات هي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر والكلام، ومجموعها يرجع إلىٰ ما يدل منها علىٰ الذات، أو علىٰ الذات مع سلب، أو علىٰ الذات مع إضافة، أو علىٰ الذات مع سلب وإضافة، أو علىٰ واحد من الصفات السبع، أو علىٰ صفة وسلب وإضافة، أو علىٰ صفة مع زيادة إضافة،

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ١٧٢ - ١٧٣.

أو علىٰ صفة وإضافة وسلب[١]، أو علىٰ صفة سلب وإضافة، أو علىٰ صفة فعل، أو علىٰ صفة فعل وإضافة أو سلب. فهذه عشرة أقسام، فلا تخرج هذه الأسماء عن مجموع هذه الأقسام. فإذا علمتَ ذلك، فالذي ذكره المصنِّف هنا من الصفات: السميع والبصير، وهما من القسم الخامس وهو ما يرجع إلىٰ صفة. والملك والعزيز من القسم الرابع وهو ما يرجع إلىٰ الذات مع سلب وإضافة. والقدُّوس والسلام من القسم الثاني وهو ما يدل علىٰ الذات مع سلب. والمؤمن والمهيمن والجبار والمتكبِّر من القسم السابع وهو ما يرجع إلىٰ القدرة مع زيادة إضافة (**فليتأمَّل معاني هذه الأسماء والصفات؛ لتنكشف له أسرارها، فتحتها معانٍ مدفونة لا تنكشف إلا للموفَّقين**) أي[٢] الذين وفَّقهم الله تعالىٰ لفهمها فكان له حظٌّ وافر من معانيها، وأمَّا من تلاها لفظًا أو سمعها وفهم في اللغة تفسيرها ووضعها واعتقد بالقلب [وجود] معناها لله تعالىٰ فهو مبخوس الحظ، نازل الدرجة، ليس له أن يتبجَّح بما ناله؛ فإنَّ سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تُدرَك الأصوات، وهذه رتبة تشاركه فيها البهائم، وأمَّا فهمُ وضعه في اللغة فلا يستدعي إلا معرفة العربية، وهذه رتبة يشاركه فيها الأديب اللغوي بل الغبي البدوي، وأمَّا [اعتقاد] ثبوت معناه لله تعالىٰ من غير كشف فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها، وهذه رتبة يشاركه فيها العامِّي بل الصبي؛ فإنه بعد فهمِ الكلام إذا أُلقي إليه هذه المعاني تلقَّاها وتلقَّنها واعتقدها بقلبه وصمَّم عليها. وهذه درجات أكثر العلماء فضلاً عن غيرهم، ولا يُنكَر فضل هؤلاء بالإضافة إلىٰ من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث، ولكنه نقص ظاهر بالإضافة إلىٰ ذروة الكمال؛ فإنَّ حسنات الأبرار سيِّئات المقرَّبين، بل حظوظ المقرَّبين الموفَّقين من معاني هذه الأسماء والصفات ثلاثة:

الحظ الأول: معرفة هذه [المعاني] علىٰ سبيل المكاشفة والمشاهدة حتىٰ

---

(١) كذا في المطبوعة، وهو مكرر، وعدُّه لا يوافق ما ذكره الشارح من أن الأقسام عشرة.

(٢) المقصد الأسنىٰ ص ٤٢ - ٤٤.

تتَّضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتِّصاف الله تعالىٰ بها انكشافًا يجري في الوضوح والبيان مجرىٰ اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنه لا بإحساس ظاهره.

الحظ الثاني من حظوظهم: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال علىٰ وجه ينبعث من الاستعظام تشوُّفُهم إلىٰ الاتِّصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربًا بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتِّصاف بها شَبَهًا بالملائكة المقرَّبين عند الله تعالىٰ، ولن يُتصوَّر أن يمتلئ القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوقٌ إلىٰ تلك الصفة، وعشقٌ لذلك الكمال والجلال، وحرصٌ علىٰ التحلِّي بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنًا للمتعظِّم بكماله، فإن لم يكن بكماله فينبعث الشوق إلىٰ القَدْر الممكن منه لا محالة، ولا يخلو عن هذا الشوق أحد إلا لأحد أمرين: إمَّا لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإمَّا لكون القلب ممتلئًا بشوق آخر مستغرقًا به، والتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم انبعث شوقه إلىٰ التشبُّه والاقتداء به، إلا إذا كان ممنوعًا بالجوع مثلاً؛ فإنَّ الاستغراق[1] بشوق القوت ربما يمنع انبعاثَ شوق العلم، ولهذا ينبغي أن يكون الناظر في صفات الله تعالىٰ خاليًا بقلبه عن إرادة ما سوىٰ الله تعالىٰ؛ فإنَّ المعرفة بذر الشوق، ولكن مهما صادف قلبًا خاليًا عن حسيكة الشهوات، فإن لم يكن خاليًا لم يكن البذر منجحًا.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلُّق بها والتحلِّي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربَّانيًّا رفيقًا للملأ الأعلىٰ من الملائكة؛ فإنهم علىٰ بساط القُرب، فمَن ضرب إلىٰ شبه من صفاتهم نال شيئًا من قُربهم بقَدْر ما نال من أوصافهم المقرِّبة لهم إلىٰ الحق تعالىٰ.

---

(١) في المقصد الأسنىٰ: استغراق باطنه.

(وإلىٰ ذلك أشار علي) بن أبي طالب (رضي الله عنه **في قوله: ما أَسَرَّ إليَّ رسولُ الله ﷺ شيئًا كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله تعالىٰ عبدًا فهمًا في كتابه)** قال العراقي[١]: رواه النسائي[٢] من رواية أبي جُحَيفة قال: سألنا عليًّا رضي الله عنه فقلنا: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوىٰ القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبَّة وبرأ النَّسَمة، إلا أن يعطي الله عز وجل عبدًا فهمًا في كتابه ... الحديث. وهو عند البخاري[٣] بلفظ: هل عندكم شيء[٤] ما ليس في القرآن. وقال مرة: ما ليس عند الناس. ولأبي داود والنسائي[٥]: فقلنا: هل عهد عندك رسولُ الله ﷺ شيئًا لم يعهده إلىٰ الناس؟ فقال: لا، إلا ما في كتابي ... الحديث، ولم يذكر الفهم في القرآن.

(فليكن حريصًا علىٰ طلب ذلك الفهم.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **مَن أراد علم الأوَّلين والآخرين فليثور القرآن)**[٦] كذا في القوت، والتثوير: التحريف. وفي بعض الروايات: فليُثِر القرآن، من الإثارة، وهو بمعناه. وتقدَّم أن قول ابن مسعود هذا قد رواه الديلمي عن أنس بن مالك مرفوعًا.

(وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته؛ إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أمورًا لائقة بأفهامهم) فمنهم من اكتفىٰ بسردها وتلاوتها وفهم معناها اللغوي وإثبات ذلك لله تعالىٰ، ومنهم من ترقَّىٰ عن ذلك، وكل ذلك حوَّم حواليها من غير كشف إلهيّ، وهو قصور، كما سبقت الإشارة إليه قريبًا **(ولم يعثروا)** أي لم

---

(١) المغني ١/ ٢٣١.

(٢) سنن النسائي ص ٧٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٢٧٤.

(٤) بعده في المغني: (من رسول الله ﷺ) وليست هذه الجملة عند البخاري.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ١٥٠. سنن النسائي ص ٧٢٣ من طريق الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: انطلقت أنا والأشتر إلىٰ علي] فقلنا: هل عهد ... الخ.

(٦) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ١٣٥، والبيهقي في الشعب ٣/ ٣٤٧، وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٦٥: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح.

يطَّلعوا (**علىٰ أغوارها**) أي علىٰ حقائقها الجليَّة ودقائقها المخفيَّة.

(**وأمَّا أفعاله تعالىٰ فكذِكره خلق السموات والأرض وغيرها**) كالجبال والبحار (**فليفهم التالي من ذلك صفات الله تعالىٰ وجلاله**) وعظمته وكمال قدرته (**إذ الفعل يدل علىٰ الفاعل**) وهو الذي صدر منه الفعلُ (**فتدل عظمتُه علىٰ عظمته**) وجلاله علىٰ جلاله (**فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعلَ دون الفعل، فمَن عرف الحق رآه في كل شيء؛ إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله**) اعلمْ أن معرفة[1] الله سبحانه بطريق الأسماء والصفات والأفعال بالكمال في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالىٰ؛ لأنا إذا علمنا ذاتًا عالمة فقد علمنا شيئًا مبهمًا لا ندري حقيقته، لكن ندري أن له صفة العلم، فإن كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقةً كان علمُنا بأنه عالم أيضًا علمًا تامًّا بحقيقة هذه الصفة، وإلا فلا، ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالىٰ إلا مَن له مثل علمه، وليس ذلك إلا له، فلا يعرفه سواه تعالىٰ، وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه، وعلم الله تعالىٰ لا يشبه علم الخلق البتة، فلا تكون معرفة الخلق به معرفة تامة حقيقية أصلاً بل إيهامية تشبيهية، وكذلك الحاصل عندنا من قدرة الله تعالىٰ أنها وصفٌ ثمرته وأثره وجود الأشياء، وينطلق عليه اسم القدرة؛ لأنه يناسب قدرتنا مناسبة لذَّة الجماع لذة السكر، وهذا كله بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم، كلَّما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حظُّه من معرفة صفة القدرة أوفر؛ لأن الثمرة تدل علىٰ المثمر، فهذا معنىٰ قول المصنف «إذ الفعل يدل علىٰ الفاعل»، وإلىٰ هذا يرجع تفاوت العارفين في معرفة الله تعالىٰ، فمن قال: لا أعرف إلا الله، فقد صدق، ومن قال: لا يعرف الله [إلا الله] فقد صدق؛ فإنه ليس في الوجود إلا الله تعالىٰ وأفعاله، فإذا نظر إلىٰ أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث إنها سماء وأرض وشجر بل من حيث إنها صنعه، فلم تجاوز معرفتُه حضرة الربوبية،

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٥٦ - ٥٩.

فيمكنه أن يقول: ما أعرف إلا الله ولا أرىٰ إلا الله، وهذا معنىٰ قول المصنف: فمَن عرف الحق رآه في كل شيء ... الخ. ولو تُصُوِّر شخص لا يرىٰ إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح منه أن يقول: ما أرىٰ إلا الشمس؛ فإنَّ النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجًا عنها وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية وأثر من آثارها، وكما أن الشمس ينبوع النور الفائض علىٰ كل مستنير، فكذلك المعنىٰ الذي قصرت العبارةُ عنه فعُبِّرَ عنه بالقدرة الأزلية للضرورة، وهو ينبوع الوجود الفائض علىٰ كل موجود، فليس في الوجود إلا الله **(فهو الكل علىٰ التحقيق)** ومنه قول بعض العارفين: كل شيء فيه كل شيء **(ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنَّه ما عرفه)** فصاحب هذا المقام هو الذي يقول: لا أعرف إلا الله، وهو صادق، كما أن قائل القول الأول[1] صادق أيضًا، ولكن هذا بوجه وذلك بوجه، فلا تناقُضَ **(ومَن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه)** اعلمْ[2] أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم؛ لأنه مظلم، وسُمِّي مظلمًا لأنه ليس يظهر للأبصار؛ إذ ليس كل موجود يصير موجودًا للبصر مع أنه موجود في نفسه، فالذي ليس موجودًا لا بنفسه ولا بغيره كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظُّلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور؛ فإنَّ الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره، والوجود بنفسه أيضًا ينقسم إلىٰ ما الوجود له من ذاته وإلىٰ ما الوجود له من غيره، وما له الوجود من غيره فوجوده مستعار، لا قوام له بنفسه، بل إذا اعتُبرت ذاته [من حيث ذاته] فهو عدم محض، وإنما هو موجود من حيث نسبته إلىٰ غيره، وذلك ليس بوجود حقيقي، ومن هنا ترقَّىٰ العارفون من حضيض المجاز إلىٰ قلاع[3] التحقيق، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أنْ ليس في الوجود إلا الله، وأن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا وجهه **(لا أنه سيبطل)**

(١) أي: لا يعرف الله إلا الله.

(٢) مشكاة الأنوار للغزالي ص ٥٧ - ٦٤.

(٣) في المشكاة: يفاع. وأشار محققه إلىٰ أنه في نسخة أخرىٰ: ذروة.

ويهلك **(في حال ثانٍ)** أي في وقت من الأوقات **(بل هو الآن باطل)** وهالك أزلاً وأبدًا، لا يُتصوَّر إلا كذلك؛ فإنَّ كل شيء [سواه] **(إن اعتُبر ذاته من حيث هو)** أي من حيث ذاته فهو عدم محض **(إلا أن يُعتبَر وجوده من حيث إنه موجود بالله** عَزَّوَجَلَّ **وقدرته)** أي من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول [الحق] **(فيكون له بطريق التبعيَّة ثبات)** أي يُرَىٰ موجودًا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجِده، فيكون الموجود أصالةً وجه الله فقط **(وبطريق الاستقلال)** والأصالة **(بطلان محض)** ولكل شيء وجهان: وجه إلىٰ نفسه، ووجه إلىٰ ربه. فهو باعتبار وجه نفسه عدمٌ، وباعتبار وجه الله موجود، فإذًا لا موجود إلا الله ووجهه، فإذًا كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبدًا. ولم يفتقر هؤلاء إلىٰ قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري: لمَن المُلك اليوم؟ لله الواحد القهَّار. بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبدًا **(وهذا)** الذي ذُكر **(مبدأ من مبادئ علم المكاشفة)** ووراء ذلك أسرار يطول الخوض فيها، فوجه كل ذي وجه إليه ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١١٥] فإذًا لا إله إلا هو، فلا هو إلا هو؛ لأن «هو» عبارة عمَّا إليه إشارة، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه، بل كل ما أشرتَ إليه فهو بالحقيقة إشارة إليه وإن كنت لا تعرفه أنت لغفلتك، فكل ما في الوجود فنسبته إليه في ظاهر المثال كنسبة النور إلىٰ الشمس، فإذًا «لا إله إلا الله» توحيد العوامِّ، و«لا هو إلا هو» توحيد الخواصِّ؛ لأن هذا أدخل بصاحبه[1] في الفَرْدانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهىٰ معراج الخلائق مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مَرْقَىٰ؛ إذ المَرْقَىٰ لا يُتصوَّر إلا بكثرة؛ فإنه نوع إضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما إليه الارتقاء، وإذا ارتفعت الكثرة حقَّت الوحدة، وبطلت الإضافة، وطاحت الإشارة، فلم يبقَ علو ولا سفل، ولا نازل ولا مرتفع، فاستحال الترقِّي واستحال العروج، فليس وراء الأعلىٰ علو، ولا مع الوحدة كثرة، ولا مع انتفاء الكثرة عروج، فإن كان من تغيُّر حال فبالنزول إلىٰ السماء الدنيا، أعني بالإشراف

---

(١) في المشكاة: لأن هذا أتم وأخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل بصاحبه ... الخ.

من علو إلىٰ سفل؛ لأن الأعلىٰ له أسفل وليس له أعلىٰ. فهذه هي غاية الغايات ومنتهَىٰ الطلبات، يعلمه من يعلمه، وينكره من يجهله، وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون.

وأرىٰ الآن قبض عنان البيان، فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار.

(ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقعة: ٦٣] ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة: ٦٨] ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقعة: ٧١] **فلا يقصر نظرَه علىٰ الماء والحرث والنار والمنيِّ، بل يتأمَّل في)** كل من هؤلاء ما يوصله إليه فهمُه من عجائب صنع الله فيه، مثل أن يتأمَّل في **(المني وهو نطفة متشابهة)** وفي نسخة: متناسبة **(الأجزاء، ثم)** ينتقل و**(ينظر)** نظر تأمُّلٍ **(في كيفيَّة انقسامها إلىٰ)** كلٍّ من **(اللحم والعظم والعروق والعصب، و)** يتأمَّل في **(كَيفيَّة تشكُّل الأعضاء)** بها **(بالأشكال المختلفة)** الأنواع **(من الرأس واليد والرِّجل والكبد والقلب وغيرها)** وهذا علىٰ طريق الإجمال **(ثم)** يتأمل وينظر **(إلىٰ ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها)** كالنطق، والمعرفة، والإدراك، والحياء، والسخاء، والحِلم، وغير ذلك **(ثم)** ينظر **(إلىٰ ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب، والشهوة، والكِبر)** والعُجْب **(والجهل، والتكذيب، والمجادلة)** وغيرها **(كما قال تعالىٰ:** ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾**)** [يس: ٧٧] إلىٰ آخر السورة. روىٰ[١] ابن أبي حاتم عن السُّدِّي أن هذه الآيات نزلت في أُبَيِّ بن خلف، وكذا رواه عبد بن حُمَيد[٢] عن عكرمة، وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير[٣] عن قتادة، وسعيد بن

(١) الدر المنثور للسيوطي ١٢/ ٣٧٧ - ٣٨١.

(٢) عزاه في الدر إلىٰ ابن أبي حاتم فقط. وأشار محققه إلىٰ ذكر عبد بن حميد في إحدىٰ النسخ.

(٣) جامع البيان ١٩/ ٤٨٦.

منصور عن أبي مالك، وابن مردويه عن ابن عباس. وقيل: في العاص بن وائل، رواه الحاكم[١] والإسماعيلي والبيهقي في البعث عن ابن عباس. وقيل: في أبي جهل، رواه ابن مردويه عن ابن عباس (**فليتأمَّل هذه العجائب؛ ليترقَّىٰ منها إلىٰ أعجب العجائب وهو الصنعة**) المحكمة (**التي صدرت منها هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلىٰ الصنعه ويرىٰ الصانع**) جل وعز، فلا[٢] يرىٰ في الوجود إلا الواحد الحق، ثم منهم من تكون له هذه الرؤية عرفانًا علميًّا، ومنهم من تصير له ذوقًا وحالاً، وحينئذٍ يحصل لهم الاستغراق بالفردانية المحضة، وتنتفي عنهم الكثرة بالكلِّية، ولا يبقىٰ فيهم متَّسَع لِذِكر غير الصانع ولا لذكر أنفسهم أيضًا، فاعرف ذلك.

(**وأمّا أحوال الأنبياء عليهم السلام فإذا سمع منها أنهم كيف كُذِّبوا**) فيما بلَّغوه من رسالات ربِّهم إليهم (و) كيف (**ضُربوا**) وأوذوا (**وقُتل بعضهم**) كيحيىٰ بن زكريا عليه السلام وغيره (**فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسَل إليهم**) إذ الغني[٣] هو الذي لا تعلُّق له بغيره، لا في ذاته، ولا في صفاته، بل يكون منزَّهًا عن العلاقة مع الأغيار، فمن تتعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يتوقَّف عليه وجودُه أو كماله فليس بغني. وقد ثبت غِناه عن كل شيء، فلا افتقار له إلىٰ الرسل ولا إلىٰ المرسَل إليهم أولئك الرسل (**وأنه لو أهلك جميعَهم لم يؤثر**) ذلك (**في ملكه**) خللاً؛ لكمال غِنىٰ ذاته وغنىٰ صفاته (**وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر**) وعصمتهم من أعدائهم (**فليفهم قدرة الله تعالىٰ**) الباهرة (**وإرادته لنصرة الحق**) حيث كان، وأنه إنما نصرهم الله تعالىٰ لكونهم قائمين بأداء الحق ونصرته، فليفهم السالك من هذا أنه إذا ثبت علىٰ الحق فلن يعدم من ناصر له عليه.

(**وأمّا أحوال المكذِّبين**) لرسل الله عليهم السلام (**كعاد وثمود**) وفرعون

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥٠٥.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٥٩.

(٣) المقصد الأسنىٰ ص ١٥٥.

وأضرابهم (**وما جرىٰ عليهم**) من ضروب نِقَم الله تعالىٰ بأنواع الهلاك (**فليكن فهمُه من ذلك استشعار الخوف من سطوة الله تعالىٰ**) وقهره (**ونقمته**) من جنس ما أُهلِكوا به (**وليكن حظُّه منه الاعتبار في نفسه**) خاصةً (**وأنه إن غفل**) عن طاعة الله تعالىٰ (**وأساء الأدب**) لمخالفته لأوامر الله تعالىٰ (**واغترَّ بما أُمهِل**) في دنياه، ممتَّعًا بحواسِّه وحشمه وخدمه، مُفاضًا عليه الخيور (**فربما تدركه**) صاعقة (**النقمة**) القهرية (**وتنفذ فيه القضية**) وتحقُّ فيه كلمةُ الله فلا يجد عن ذلك محيدًا، ولا لأحواله شفيعًا (**وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار**) وما أعدَّ الله فيهما من أنواع الثواب وأجناس العقاب (**و**) كذلك (**سائر ما في القرآن**) من وعد، ووعيد، ورجاء، وخوف، وتضرُّع، وتبرِّي، وإبعاد، وتقريب، وتوبيخ، وعتاب، وتأمين، وإمهال، فليكن حظُّ التالي من كل ذلك ما يهديه إليه فهمُه من المعاني المناسبة للمقام (**فلا يمكن استقصاء ما يُفهَم منها؛ لأنه لا نهاية له**) وحُسنُه لا تنقضي عجائبه (**وإنما لكل عبد منه بقَدْر ما رُزق**) فيه من الفهم الصحيح (**فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**) وفيه علم الأوَّلين والآخِرين.

قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره في كتاب الشريعة[1]: البرودة أصل فاعليٌّ، والحرارة أصل فاعليٌّ، والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان، فتبعت الرطوبةُ البرودةَ لكونها منفعلة عنها، فلهذا تكوَّنت الفضة علىٰ النصف من زمان تكوين الذهب؛ لأن المدة لحصول كمال الوَرِق ثمان عشرة ألف سنة، وهو نصف زمان كمال الذهب وهو ستة وثلاثون ألف سنة. ولمَّا كان المنفعل يدل علىٰ الفاعل ويطلبه بذاته لهذا استُغني بِذِكر المنفعل عن ذِكر ما انفعل عنه لتضمُّنه إيَّاه، فقال: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] ولم يذكر: ولا حار ولا بارد، وهذا من فصاحة القرآن وإعجازه، حيث عُلم أن الذي أتىٰ به وهو محمد ﷺ لم يكن ممَّن اشتغل بالعلوم الطبيعية فيعرف هذا القَدْر، فعُلم قطعًا أن ذلك

(١) الفتوحات المكية ص ٦٢١.

ليس من جهته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، وأن القائل بهذا عالِم وهو الله تعالىٰ، فعلمُ النبي ﷺ كل شيء بتعليم الله إيَّاه وإعلامه، لا بفكره ونظره وبحثه، فلا يعرف مقدار النبوَّة إلا مَن أطلعه الله علىٰ مثل هذه الأمور.

(﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾) [الكهف: ١٠٩] روىٰ[1] ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: ﴿لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ يقول: علم ربِّي. وروىٰ ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ يقول: ينفد ماء البحر قبل أن ينفد كلامه وحِكَمه.

(**ولذلك قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو شئتُ لأوقرت سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب**) نقله صاحب القوت وابن أبي جمرة في شرحه علىٰ المختصر، قال[2]: وبيان ذلك أنه إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ يحتاج إلىٰ تبيين معنىٰ الحمد وما يتعلَّق بالاسم الجليل الذي هو «الله»، وما يليق بالاسم الجليل من التنزيه، ثم يحتاج إلىٰ بيان العالَم وكيفيَّته علىٰ جميع أنواعه وأعداده، وهي ألف عالَم: أربعمائة في البر، وستمائة في البحر، فيحتاج إلىٰ بيان ذلك كلِّه. فإذا قال ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ يحتاج إلىٰ بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما في معناهما، ثم يحتاج إلىٰ بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلىٰ بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما. فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يحتاج إلىٰ بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال وكيفيَّة مستقرِّه. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يحتاج إلىٰ بيان المعبود وجلاله، والعبادة وكيفيَّتها وصفتها وآدابها. فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ إلىٰ آخر السورة يحتاج إلىٰ بيان الهداية ما هي، والصراط المستقيم

---

(١) الدر المنثور ٩/ ٦٩٥.

(٢) بهجة النفوس في شرح مختصر صحيح البخاري لابن أبي جمرة الأندلسي ٣/ ٢٠٣ (ط - مطبعة الصدق الخيرية بمصر).

وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم والضالِّين وصفاتهم، وتبيين المَرْضيِّ عنهم وصفاتهم وطريقتهم. فعلىٰ هذه الوجوه يكون ما قاله عليٌّ من هذا القبيل.

(فالغرض ممَّا ذكرناه التنبيه علىٰ طريق التفهيم؛ لينفتح بابه) للسالكين **(فأمَّا الاستقصاء)** والإشراف علىٰ الأغوار **(فلا مَطْمَع فيه)** لأحد **(ومن لم يكن له فهمُ ما في القران)** من المعاني والأسرار **(ولو في أدنىٰ الدرجات دخل في)** حكم **(قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾)** ومثله مثل من سمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضرُّه عمَّا ينفعه، حتىٰ إذا خرج عن الكلام سأل مَن حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضرًا بجسمه [حجة عليه] **(أولئك الذين طبع الله علىٰ قلوبهم)** أي عن فقه الخطاب، فلم تسمعه القلوب ولم تَعِه ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٦] يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة **(والطابع هو الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم)** بعد هذا **(وقد قيل: لا يكون المريد مريدًا حتىٰ يجد في القرآن كلَّ ما يريد، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولىٰ عن العبيد)** نقله صاحب القوت عن بعض العارفين.

(السادس: التخلِّي عن موانع الفهم) أي الإعراض عن الأمور التي هي أسباب للمنع عن الفهم في القرآن **(فإنَّ أكثر الناس)** إنما **(مُنعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب)** عرضت **(وحُجُب)** طبعت وأغطية **(أسدلها الشيطان علىٰ قلوبهم)** فصارت حائلة بينها وبين الفهم **(فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن)** فلم يدركوها **(قال ﷺ: لولا أن الشياطين يحومون علىٰ قلوب بني آدم لنظروا إلىٰ الملكوت)** تقدَّم تخريجُه في كتاب الصوم. وقد ثبت بالحديث حومان الشياطين علىٰ قلوب الآدميين، والحجب كناية عن ذلك **(ومعاني القرآن من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواسِّ)** الظاهرة **(ولم يُدرَك إلا بنور البصيرة)** الباطنة **(فهو من الملكوت)** فهو عالَم الغيب المختص، وسيأتي تحقيق ذلك في العمل العاشر

(**وحجب الفهم أربعة**) أمور:

(**أولها: أن يكون الهم منصرفًا إلىٰ تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها**) بأن يُرَدَّ كل حرف إلىٰ أصله، مع معرفة كيفيَّة الوقف والإمالة والإدغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم (**وهذا يتولَّىٰ حفظه شيطان وُكِّل بالقرَّاء؛ ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يزال يحملهم علىٰ ترديد الحروف**) وممارستها ورياضة الألسُن بها (**ويخيِّل إليهم أن الحروف لم تخرج من مخارجها**) بعد، ويوهم عليهم أنهم[1] كما تُعُبِّدوا بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبَّدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه المتلقَّاة من أئمَّة القراءة. ويزيد عليهم شيئًا آخر أجلَىٰ ممَّا سبق بأن يُخطِر علىٰ بالهم بأن القراءة بغير تجويد لحن، ولولا أنكم تجوِّدون الألفاظ لا تصلون إلىٰ فهم المعاني منها. ولعَمْري هذا الذي يخيِّل إليهم به حق وصدق، لكنه يريد بإلقاء مثل ذلك إليهم تثبيطهم عن المهم (**فهذا**) الذي شغله ترديدُ الحروف (**يكون تأمُّله مقصورًا علىٰ مخارج الحروف**) فقط (**فمتىٰ**) وفي نسخة: فأنَّىٰ (**تنكشف له المعاني**) فمثله مثل من اشتغل بالوسائل وأعرض عن المقاصد، ونرىٰ هذه الحالة في قرَّاء الزمن بل وقبل هذا الزمن كثيرًا (**وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعًا لمثل هذا التلبيس**) فالواقف مع قراءته والمهتمُّ بتجويد حروفه واختياره محجوب بعقله، مردود إلىٰ ما تقرَّر في علمه، موقوف مع ما تقرَّر في قلبه، مزيده علىٰ مقدار علمه وغريزة عقله، فهو مشرك بعقله [وعلمه] داخل في الشرك الخفيِّ الذي هو أخفَىٰ من دبيب النمل [علىٰ الصفا] في الليلة الظلماء، وقد ورد: «أكثر منافقي أمَّتي قرَّاؤها». فهذا نفاق الوقوف مع سوىٰ الله تعالىٰ والنظر إلىٰ غيره، لا نفاق الشك[2] والإنكار لقدرة الله عَزَّوَجَلَّ، فهو لا ينتقل عن التوحيد، ولكنه لا ينتقل إلىٰ [مقام] المزيد، فإذا كان العبد ملقيًا السمع بين

---

(١) من هنا حتىٰ قوله (أئمة القراءة) مأخوذ عن كتاب النشر لابن الجزري ١/ ٢١٠.

(٢) في القوت: الشرك.

يدي سميعه، مصغيًا إلىٰ سبر كلامه، شهيد القلب لمعاني صفات شهيده، ناظرًا إلىٰ قدرته، تاركًا لمعقوله ومعهود علمه، متبرئًا من حوله وقوَّته، معظِّمًا للمتكلم، واقفًا علىٰ حضوره، مفتقرًا إلىٰ الفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين، سمع فصل الخطاب، وشهد علم غيب الجواب.

(**ثانيها: أن يكون مقلِّدًا لمذهبٍ سمعه بالتقليد وجمد عليه**) من غير تحريك باعث علىٰ تحقيق ما يقلِّده. وفي بعض النسخ: لمذهبٍ سمعه وجمد عليه بالتقليد (**ويثبُت في نفسه التعصُّبُ له بمجرَّد الاتِّباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة**) نيِّرة (**ومشاهدة**) ساطعة (**فهذا شخص قيَّده معتقَدُه**) أي ما يعتقده تقليدًا لا عن تحقيق (**عن أن يجاوزه، فلا يمكنه أن يخطر بباله غيرُ معتقده، فصار نظرُه موقوفًا علىٰ مسموعه**) وهذا كذلك محجوب بعقله، مردود إلىٰ ما ركز في ذهنه (**فإن**) اتفق أنه (**لمع برقٌ**) من شرف (**علىٰ بُعْد و**) ثُنِّي بوَدْق بأنْ (**بدا له معنىٰ من المعاني**) الشريفة العزيزة (**التي تباين مسموعَه**) ومتلقَّاه من أفواه مشايخه (**حمل عليه شيطانُ التقليد حملة**) منكَرة، وجلب عليه بخيله ورجله (**وقال: كيف يخطر هذا ببالك**) أو تعير له أذنك (**وهو خلاف معتقد آبائك**) أي شيوخك الذين درجوا (**فيرىٰ أن ذلك**) أي الذي فتح له فهم في ذلك المعنىٰ الذي بدا له (**غرور من الشيطان**) ويعدُّه من تلبيساته (**فيتباعد عنه**) بمرَّة (**ويحترز عن**) الوقوع في (**مثله. ولمثل هذا قالت الصوفية**) قدَّس الله أسرارهم: (**إن العلم حجاب**) أي بين العبد والوصول إلىٰ الله. وأصل[1] الحجاب: جسم حائل بين جسدين، ثم استُعمل في المعاني، فقيل: العجز حجاب بين الرجل ومراده، والمعصية حجاب بين العبد وربِّه. وعلىٰ هذا يُحمَل قولهم «العلم حجاب»؛ لأنه ساتر يمنع من الوصول إلىٰ الله، وربما يزيدون فيقولون: حجاب الله الأكبر (**وأرادوا بالعلم: العقائد التي استمرَّ عليها أكثر الناس بمجرَّد التقليد أو بمجرَّد كلمات جَدَلية حرَّرها المتعصبِّون للمذاهب وألقوها**

---

(١) من هنا إلىٰ قوله (بين العبد وربه) عن كتاب التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي ص ١٣٦.

إليهم، فأمّا العلم الحقيقي الذي هو) عبارة عن (الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابًا وهو منتهىٰ الطلب) وغاية المرغب؟! ونقل الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة[1] في باب الصوم أن الحق سبحانه لمّا كان من أسمائه «الدهر»، كما ورد في الصحيح: «لا تسبُّوا الدهر؛ فإنَّ الله هو الدهر»، فأمر بتنزيه الزمان من حيث ما سُمِّي دهرًا؛ لكون الدهر اسمًا من أسماء الله تعالىٰ، كما نزِّه الحروف - أعني حروف الهجاء - من حيث إنها كُتِب بها كلام الله تعالىٰ وعظَّمناها، فقال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وما سمع [السامع] إلا أصواتًا وحروفًا، فلمَّا جعلها كلامه أوجب علينا تعظيمها وتقديسها وتنزيهها.

ثم ساق عبارة طويلة، ثم قال ما نصُّه: ولا يحجبنَّك عن هذا العلم الغريب الذي بيَّناه لك الرؤيا الشيطانية التي رؤيت في حق أبي حامد الغزالي فحكاها أصحاب علوم الرسوم، وذهلوا عن أمر الله سبحانه لنبيِّه في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤] لم يقلْ عملاً ولا حالاً ولا شيئًا سوىٰ العلم، أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال؟! فحكىٰ أصحاب الرسوم عن شخص سمَّوه أنه رأىٰ أبا حامد الغزالي في النوم، فقال له أو سأله عن حاله، فقال له: لولا هذا العلم الغريب لكنا علىٰ خير كثير. فتأوَّلها علماء الرسوم علىٰ ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق، وقصد إبليس بهذا التأويل الذي زيَّن لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيُحرَموا هذه الدرجات، هذا إذا لم يكن لإبليس مدخل في الرؤيا وكانت الرؤيا مَلَكية، فإذا كانت الرؤيا من الله والرائي في غير موطن الحس والمرئيُّ ميت فهو عند الحق لا في موطن الحس، والعلم الذي كان يحرِّض عليه أبو حامد وأمثاله في أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذي الإنسان فيه بعد الموت، بل تلك حضرته، وذلك محلُّه، فلم يبقَ [العلم] الغريب عن ذلك الموطن إلا العلم الذي كان يشتغل به في الدنيا من

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٦٧٢ - ٦٧٤.

علم الطلاق والنكاح والبيع والشراء والمزارعة، وعلوم الأحكام التي تتعلَّق بالدنيا ليس لها إلىٰ الآخرة تعلُّقٌ البتة؛ لأنه بالموت يفارقها، فهذه علوم غريبة عن موطن الآخرة، وكالهندسة [والهيئة] وأمثال هذه العلوم التي لا منفعة لها إلا في الدنيا، وإن كان له الأجر فيها من حيث قصده ونيَّته [فالخير الذي يرجع إليه من ذلك قصده ونيته] لا عين العلم؛ فإنَّ العلم يتبع معلومه، ومعلومه هذا كان حكمه في الدنيا لا في الآخرة، فكأنَّه يقول له في رؤياه: لو اشتغلنا زمان شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذي يليق به ويطلبه هذا الموضع لكنا علىٰ خير كثير، ففاتنا من خير هذا الموطن علىٰ قَدْر اشتغالنا بالعلم الذي كان تعلُّقه بالدار الدنيا. فهذا تأويل رؤيا هذا الرائي لا ما ذكروه، ولو عقلوا لتفطَّنوا في قوله «العلم الغريب»، فلو كان علمُه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروي لم يكن غريبًا؛ لأن ذلك موطنه، والغربة إنما هي بفراق الوطن، فثبت ما ذكرناه، فإيَّاك أن تُحجَب عن طلب هذه العلوم الإلهية والأخروية، وخذ من علوم الشريعة علىٰ قدر ما تمس الحاجة إليه ما يتفرض عليك طلبُه وقل: ربِّ زدني علمًا علىٰ الدوام دنيا وآخرة. ا.هـ.

وقد تحصَّل من هذا التقرير أن العلم الذي يكون حجابًا بين العبد وربِّه هو علم المعاملات الدنيوية نظرًا إلىٰ معلوماتها، وهذا هو الذي كنت أسمع من مشايخنا، وما ذكره المصنِّف هو أيضًا صحيح؛ فإنَّ العقائد الزائغة المؤسَّسة علىٰ مجادلات ومناقضات أقربها أن تكون حجابًا مانعًا عن الوصول إلىٰ فهم أسرار القرآن.

وقال الشيخ شمس الدين ابن سودكين في الأسئلة التي تلقَّىٰ جوابها من لسان الشيخ الأكبر قُدِّس سره ما نصُّه: وسمعته ﷺ يقول: الأشياء لا تحجب عن الله تعالىٰ، بل كلها طرق موصِّلة إليه سبحانه، دالَّة عليه، إنما يحجب للوقوف مع الأشياء، كمن يقول: العلم حجاب، والعلم ليس بحجاب، وهو يردُّ علىٰ هذا القائل قولَه ويقول له: إنما تعلَّقت في حقِّك بمعلوم ما، فوقفت أنت مع ذلك

المعلوم، فكان وقوفك معه حجابًا، فلا تقف مع شيء سوىٰ الحق تأمن الحجاب، وكذلك العلم بنفسه هو أشرف الأشياء بعد الحق سبحانه إن وقفت معه حجبك عن العلم، لكن استعملْه في كل موطن بما يليق، ولا تستند إليه دون الحق سبحانه الذي علَّمك العلم وجعله من بعض نِعَمه عليك، فإذا استعملت العلم علىٰ ما تقتضيه حقيقة العلم فقد أتيت كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، والسلام.

(**وهذا التقليد**) في ذلك المعتقَد (**قد يكون باطلاً**) في نفسه (**فيكون مانعًا**) عن وصول الفهم (**كمن يعتقد في الاستواء علىٰ العرش التمكُّن والاستقرار**) الذي هو من شأن الحوادث (**فإن خطر له مثلاً في**) اسمه (**القدُّوس أنه**) هو (**المقدَّس**) أي المنزَّه (**عن كل ما يجوز علىٰ خلقه**) من[1] أوصاف الكمال الذي يظنُّه [أكثر] الخلق كمالاً في حقِّهم، وإنما قلنا ذلك لأن الخلق أولاً نظروا إلىٰ أنفسهم، وعرفوا صفاتهم، وأدركوا انقسامها إلىٰ ما هو كمال ولكن في حقِّهم مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وإرادتهم واختيارهم، ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني، وقالوا: إن هذه هي أسماء الكمال، ونظروا أيضًا إلىٰ ما هو نقص في حقِّهم مثل جهلهم وعجزهم وعَماهم وصممهم وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظَ، ثم كانت غايتهم في الثناء علىٰ الله تعالىٰ وصفه بما هو أوصاف كمالهم، وهو منزَّه عن أوصاف كمالهم، كما أنه منزَّه عن أوصاف نقصهم، بل كل صفة تُتصوَّر للخلق فهو منزَّه مقدَّس عنها وعمَّا يشبهها ويماثلها، ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها لم يَجُزْ إطلاقُ أكثرها. فإذا خطر هذا الذي ذكرناه للمقلِّد عقيدة القائلين بالاستواء بمعناه الحقيقي (**لم يمكنه تقليده من أن يستقرَّ ذلك في نفسه**) علىٰ ما ينبغي (**ولو استقرَّ في نفسه لانجرَّ إلىٰ كشفٍ ثانٍ وثالث**) ورابع وخامس (**ولتواصل**) به إلىٰ الحق الصريح (**ولكن يتسارع إلىٰ دفع ذلك عن خاطره؛ لمناقضته تقليده الباطل**) فلا تنجع فيه إقامة البراهين (**وقد يكون**)

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٧٢.

ما اعتقده (حقًّا) في ذاته (ويكون أيضًا مانعًا من الفهم) في معاني القرآن (والكشف) الحقيقي فيها (لأن الحق الذي كُلِّف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات، وله مبدأ ظاهر) هو بمنزلة القشر (وغور باطن) هو بمنزلة اللُّب (وجمود الطبع علىٰ الظاهر) الذي يبدو له (يمنع من الوصول إلىٰ الغور الباطن) فهذا هو الحجاب (كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد) فراجعْه هنالك تظفر بالمراد. والله أعلم.

(ثالثها: أن يكون مصرًّا علىٰ ذنب) أو أدنىٰ بدعة (أو متَّصفًا بكِبر) وعُجْب (أو مبتلىٰ في الجملة بهوىٰ في الدنيا مطاع) يُطاع فيما تميل إليه نفسه وتهواه (فإنَّ ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه، وهو كالخَبَث) الذي يَعرِض (علىٰ المرآة فيمنع جليَّة الحق من أن يتجلَّىٰ فيه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حُجب الأكثرون) وهم علىٰ أقسام، فمنهم من كان سبب ظلمة قلبه الإصرار علىٰ الذنب وعدم مساعدة التوفيق الإلهي للتنصُّل عنه، ومنهم من كان بسبب ارتكابه البدعة ولو أدناها، ومنهم من كان بسبب الكِبر الذي قام به والعُجْب في شأنه، ومنهم من كان بسبب إطاعة نفسه لهواها قد استكن في قلبه، ومنهم من يجتمع فيه الأمران والثلاثة، وكلها ظلمات بعضها فوق بعض تحجب عن معرفة معاني نور شمس القرآن؛ فإنَّ من خواصِّ الظلمات الحَجْب (وكلَّما كانت الشهوات أشد تراكمًا) وأكثر توارُدًا (كانت معاني الكلام أشد احتجابًا) وأكثر استتارًا (وكلَّما خفَّت عن القلب أثقال الدنيا) وكُشطت عنه أشغالها (قرُب تجلِّي المعنىٰ فيه) لِما فيه من القابلية لتلقِّيه (فالقلب مثل المرآة) المجلوَّة (والشهوات) عليه (مثل الصدأ) علىٰ المرآة (ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءىٰ في المرآة) فما دام صدأ الشهوات عليها لا تتجلَّىٰ الصور علىٰ حقيقتها (والرياضة للقلب بإماطة الشهوات) وإماتتها وإزالتها (مثل تصقيل الجلاء للمرآة) والجلاء هو الذي يجلو المرآة ويصقلها.

واعلم أن معاني القرآن - كما سبق - من عالَم الملكوت، واللوح المحفوظ

الذي نزل منه القرآن من ذلك العالَم، وقلب[١] التالي مثل المرآة، واللوح المحفوظ أيضًا مثل المرآة؛ لأن صورة كل موجود فيه، فإذا قابلت المرآةُ المرآةَ الأخرىٰ ظهرت[٢] صور ما في إحداهما في الأخرىٰ، وكذلك تظهر صور معاني القرآن في القلب عند مقابلة مرآته بمرآة اللوح المحفوظ إذا كان فارغًا عن شهوات الدنيا، فإن كان مشغولاً بها كان عالَم الملكوت محجوبًا عنه. والله أعلم.

(ولذلك قال ﷺ: **إذا عظَّمت أمَّتي الدينار والدرهم**) بالتهافت[٣] علىٰ تحصيلهما وادِّخارهما ومنع الإنفاق منهما في وجوه القُرَب (نُزِعَ) بالبناء للمفعول، أي نزع الله (**منها هيبة الإسلام**) لأن من شروط الإسلام تسليم النفس لله عبوديةً، فمَن عظَّم الدينار والدرهم أخذا بقلبه فسَبَياه فصار عبدًا لهما فلم يقدر علىٰ بذل النفس لله؛ لأنه عبد الدينار والدرهم، فلا يملك نفسه فيبذلها في سبيل الخير، وإذا فسد الباطنُ ذهبت الهيبة والبهاء؛ لأن الهيبة إنما هي لمَن هاب اللهَ، ولا يجتمع تعظيمهما مع تعظيم الحق في قلب [واحد] أبدًا (**وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكَر حُرموا بركة الوحي**) وسيأتي تفسيره من كلام الفضيل.

قال العراقي[٤]: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأمر بالمعروف»[٥] معضلاً من حديث الفضيل بن عياض قال: ذُكر عن نبي الله ﷺ.

قلت: ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[٦] عن أبي هريرة بلفظ: «إذا عظَّمت أمَّتي الدنيا نُزعت منها هيبة الإسلام، وإذا تركت الأمر بالمعروف

(١) كيمياء السعادة [ضمن رسائل الغزالي] ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
(٢) في كيمياء السعادة: حلت.
(٣) فيض القدير ١/ ٤٠٤ - ٤٠٥.
(٤) المغني ١/ ٢٣٢.
(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١٠٧.
(٦) نوادر الأصول ص ٦٧٩.

والنهي عن المنكَر حُرمت بركة الوحي، وإذا تسابَّت أمَّتي سقطت من عين الله».

(**قال الفضيل**) بن عياض رحمه الله في تفسير قوله «حُرموا بركة الوحي»: (**يعني حُرموا فهم القرآن**) وبيانه: أن في ترك الأمر بالمعروف مع القدرة عليه وغلبة ظن سلامة العاقبة خذلانًا للحق وجفوة للدين، وفي خذلان الحق ذهاب البصيرة، وفي جفاء الدين فقدُ النور، فيُحجَب القلب فيُحرَم بركته، وحرمان بركته أن يقرأه فلا يفهم أسراره، ولا يذوق حلاوته، وهو من أعلم الناس بعلوم العربية، وأبصرهم بتفسيره، وقد عمي عن زواجره وقوارع وعيده وأمثاله.

وفي هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال سفيان بن عُيينة: يقول: أنزع عنهم فهم القرآن. أخرجه ابن أبي حاتم[1].

(**وقد شرط اللهُ الإنابة في الفهم والتذكير**) ولفظ القوت: وقد اشترط الله تعالىٰ الإنابة للتبصرة، وحضور القلب للتذكرة (**فقال تعالىٰ**: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق: ٨] **وقال تعالىٰ**: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [غافر: ١٣] **وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝٢٠﴾) [الرعد: ١٩ - ٢٠] فالاستقامة علىٰ التوبة من الوفاء بالعهد، وتعدِّي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق، والإنابة هي التوبة بالإقبال علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والألباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة (**والذي آثر غرورَ الدنيا علىٰ نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب**) بل علىٰ قلبه من ظلمات حب الدنيا سحاب (**فلذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب**) ولا يُفتَح له في فهمها باب.

(**رابعها**): الوقوف عند النظر إلىٰ قول مفسِّر، ساكن إلىٰ علمه الظاهر، وهو

---

(١) وأخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/ ٤٤٣ وأبو الشيخ في العظمة ص ٣١٥، وزادا: فأصرفهم عن آياتي.

(أن يكون قد قرأ تفسيرًا ظاهرًا فاعتقد أنه لا معنىٰ لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما) من أئمَّة التابعين، وإنما خصَّهما بالذِّكر لشهرتهما في هذا العلم **(وأن ما وراء ذلك)** لا مجال فيه للعبد لأنه **(تفسير بالرأي)** وبيان بالحَدَس **(وأن مَن فسَّر القرآن برأيه فقد تبوَّأ مقعده من النار)** سيأتي الكلام عليه قريبًا. فلا طريق للإقدام عليه إلا بما نُقل عن هؤلاء الأئمَّة **(فهذا أيضًا من الحُجُب العظيمة)** المانعة عن فهم القلب للمعاني **(وسنبيِّن معنىٰ التفسير بالرأي في الباب الرابع، وأن ذلك يناقض قولَ علي ﷺ)** الذي تقدَّم ذِكره من حديث أبي جُحَيفة لمَّا قال له: هل عندكم شيء ما ليس في القرآن، وفيه: **(إلا أن يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن. وأنه لو كان المعنىٰ هو الظاهر المنقول)** عن أئمَّة التفسير **(لَما اختلف الناس فيه.**

السابع: التخصيص، وهو أن يقدِّر) التالي في نفسه ويشهد **(أنه)** هو **(المقصود بكل خطاب)** جاء **(في القرآن)** من فاتحته إلىٰ خاتمته، وهو المراد المعنيُّ به **(فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدَّر أنه المنهيُّ والمأمور)** وأن الخطاب بكلٍّ منهما متوجِّه إليه **(وإن سمع وعدًا)** بالثواب **(أو وعيدًا)** بالعقاب **(فكمثل ذلك)** في التقدير والشهود **(وإن سمع قصص الأوَّلين)** من السالفين **(والأنبياء)** عليهم السلام **(علم)** وتحقَّق **(أن السَّمَر)** بحكاياتهم فقط **(غير مقصود)** لذاته **(وإنما المقصود)** الأعظم من ذلك **(ليعتبر به، وليأخذ من تضاعيفه)** من الأحوال التي يعتبر بها **(ما يحتاج إليه)** في اتِّخاذه عبرة وتذكرة **(فما من قصة)** سيقت **(في القرآن إلا وسياقها لفائدة)** متجدِّدة **(في حق النبي ﷺ و)** في حق **(أمَّته)** ولو تكرَّرت القصة، ولذا جاء سياقها علىٰ أنحاء مختلفة، ففي التكرار تثبيت لليقين في القلوب **(ولذلك قال تعالىٰ)** مخاطبًا لحبيبه ﷺ: (﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾)[هود: ١٢٠] وثبات الفؤاد إنما يكون بمزيد اليقين فيه **(فليقدِّر العبد)** التالي **(أن الله تعالىٰ ثبَّت فؤاده بما يقصُّه عليه من أحوال الأنبياء)** عليهم السلام **(وصبرهم علىٰ الأذىٰ)** من المحجوبين عن

نور اليقين (**وثباتهم في**) نصرة الحق وإعلاء كلمة (**الدين لانتظار نصر الله تعالىٰ**) إيَّاهم بموجِب وعده جل وعز: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] (**وكيف لا يقدِّر هذا والقرآن ما أُنزِلَ علىٰ رسول الله ﷺ لرسول الله ﷺ**) وحده (**خاصةً، بل هو شفاء**) لجهل أمراض القلوب (**وهدىٰ**) يهتدي به السائرون (**ورحمة**) عامة أُفيضت علىٰ المقتبسين من أنواره (**ونور**) ظاهر (**للعالمين**).

قال المصنف في «مشكاة الأنوار»(١): اعلمْ أن أعظم الحِكَم كلام الله تعالىٰ، ومن جملة كلامه القرآن خاصة، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة؛ إذ به يتم الإبصارُ، فبالحريِّ أن يسمَّىٰ القرآن نورًا كما يسمَّىٰ نور الشمس نورًا، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يُفهَم معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨] وقوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤] (**ولذلك أمر الله تعالىٰ الكافَّة بشكر نعمة الكتاب**) وأردفه بالحكمة، لمَّا كانت المبصرات منها ما لا يقارن العقلَ في كل حال إذا عُرِض عليه، بل كان محتاجًا إلىٰ أن يهز أعطافه ويستوري زِناده وينبِّه عليه بالتنبيه [كالنظريات] وإنما ينبِّهه كلامُ الحكمة، فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصرًا بالفعل بعد أن كان مبصرًا بالقوة (**فقال تعالىٰ**: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [البقرة: ١٣٢] فهذا معنىٰ إردافه الحكمة (**وقال تعالىٰ**: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠﴾ [الأنبياء: ١٠] **وقال تعالىٰ**: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤] **وقال تعالىٰ**: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] **وقال تعالىٰ**: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠] **وقال تعالىٰ**: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾) [آل عمران: ١٣٨] وقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾ [محمد: ٣]

(١) مشكاة الأنوار ص ٥١.

يعني صفاتهم، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ٣٤] كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [البقرة: ٩٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ [يونس: ١٠٩] وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] فهذه الآيات كلُّها فيها جميع ما ذكره وأوصافه (**وإذا قُصد بالخطاب جميع الناس فقد قُصد الآحاد**) لأن الله سبحانه وتعالىٰ لمَّا تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو أحدهم، وكان حاضرًا معهم، وقد سوَّىٰ الله تعالىٰ بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم وبين النبي ﷺ بمعنًىٰ من المعاني (**فهذا القارئ الواحد مقصود فيما له ولسائر الناس**) غير أنه سبحانه وتعالىٰ عمَّ الجملة بالبصائر والبيان، وخصَّ بالهدىٰ والرحمة أولىٰ التقوىٰ والإيمان (**فليقدِّر أنه المقصود، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾**) [الأنعام: ١٩] فالموقنون هم المتَّقون، والمهديُّون هم الموحِّدون(١).

(**قال محمد بن كعب القُرَظي**) التابعي، تقدَّمت ترجمته: (**مَن بلغه القرآن فكأنَّما كلَّمه الله عَزَّوَجَلَّ**)(٢) أي فينبغي للتالي أن يشهد في تلاوته أن مولاه يخاطبه بكلامه (**وإذا قدَّر ذلك لم يتَّخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمَّله ويعمل بمقتضاه**) لا أن يشتغل عنه إلىٰ غيره (**ولذا قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبَل ربِّنا عَزَّوَجَلَّ بعهوده**) ومواثيقه (**نتدبَّرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفِّذها في الطاعات والسنن المتَّبعات**) وقد تقدَّم عن الحسن البصري ما نصُّه: وإنَّ مَن كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربِّهم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل وينفِّذونها بالنهار.

(**وكان مالك بن دينار**) رحمه الله (**يقول: ما زُرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن، إن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض**) قال أبو نعيم في

---

(١) في القوت: المرحومون.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ٩/ ١٨٢ بلفظ: من بلغه القرآن فكأنما رأىٰ النبي ﷺ.

الحلية[١]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سيَّار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكًا يقول: يا حَمَلة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإنَّ القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل[٢] الغيث من السماء إلىٰ الأرض فينبت الحشيش فتكون فيه الحبة، فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حَمَلة القرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟

(وقال) أبو الخطَّاب **(قتادة)** بن دِعامة السدوسي الحافظ: **(لم يجالس أحد هذا القرآنَ إلا قام بزيادة أو نقصان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾)**[٣] [الإسراء: ٨٢] أي فإن كان من الموصوفين بالإيمان فيكون شفاء لأمراضهم، وأمَّا المقعدون عن الحدود فلا يزيدهم القرآن إلا نقصًا في أعمالهم.

(الثامن: التأثُّر، وهو أن يتأثَّر قلبه) عند تلاوته **(بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حالٌ ووجدٌ يتَّصف به قلبه من الحزن)** والبكاء **(والخوف والرجاء وغيره، ومهما تمَّت معرفته)** في معاني ما يتلو **(كانت الخشية أغلب الأحوال علىٰ قلبه)** والرهبة ألزم الأوصاف به **(فإنَّ التضييق غالب علىٰ آيات القرآن، فلا ترىٰ ذِكر الرحمة والمغفرة)** في آية **(إلا مقرونًا بشروط يقصر القارئُ عن نيلها)** وأنَّىٰ له ذلك مع عدم تلك الشروط؟ **(كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾)** أتاه بصيغة الكثرة إشعارًا بعموم مغفرته، وهو يدعو إلىٰ فتح باب الرجاء **(ثم أتبع ذلك بأربعة شروط)** فقال: **(﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾)** [طه: ٨٢]

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٥٨.

(٢) في الحلية: فإن الله ينزل.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٢٤١، وزاد بعد قوله (أو نقصان): وقضاء الله الذي قضىٰ.

فعلّق تمام المغفرة بالتوبة والإيمان والعمل الصالح والاهتداء إلىٰ سبيل الحق، ولمَّا كان الاهتداء كذلك متوقِّفًا علىٰ ما قبله ذكره بكلمة «ثم» إشارة إلىٰ بُعد منزلته ورفعة رتبته (**وقوله تعالىٰ**: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾) [العصر: ١ - ٣] فهذه السورة (**ذُكر**) فيها (**أربعة شروط**) لنفي الخسارة عن الإنسان، فإذا لم توجد فيه فهو خاسر في تجارته: الإيمان، والعمل الصالح، والمواصاة بالحق، والمواصاة بالصبر (**وحيث اقتصر**) علىٰ شرط واحد (**ذكر شرطًا جامعًا**) لغالب الشروط المذكورة (**فقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾) [الأعراف: ٥٦] ولم يقل: من المؤمنين، ولا من العاملين، ولا غير ذلك (**فالإحسان يجمع الكلَّ**) من الشروط، بل هو إشارة إلىٰ كمال كل شرط مذكور (**وهكذا من يتصفَّح القرآن من أوله إلىٰ آخره**) آية آية يجد ما ذُكر (**ومَن فهم ذلك**) في تلاوته (**فجدير**) أي حقيق (**بأن يكون حاله الخشية**) والرهبة (**والحزن**) والوجد والبكاء وتغير اللون والصعق وغير ذلك (**ولذلك قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالىٰ: (**واللهِ، ما أصبح اليوم عبد يتلو**) هذا (**القرآن يؤمن به إلا كثُر حزنُه وقلَّ فرحُه، وكثُر بكاؤه وقلَّ ضحكه، وكثُر نَصَبُه**) أي تعبه (**وشغله وقلَّت راحته وبطالته**) كذا نقله صاحب القوت.

(**وقال وُهَيب بن الورد**) المكِّي رحمه الله تعالىٰ: (**نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئًا أرق للقلوب ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهُّمه وتدبُّره**) قال أبو نعيم في الحلية(١): أخبرنا علي بن يعقوب بن أبي العقب في كتابه وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو علي صاحب القاضي، عن عبد الله بن المبارك، عن وهيب بن الورد قال: نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئًا أرق لهذه القلوب ولا أشد استجلابًا للحق من قراءة القرآن لمن تدبَّره.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ١٤٢.

(فتأثُّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوَّة، فعند) ذِكر (الوعيد) والزجر والتهديد (وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل) أيْ يحتقر ويتصاغر (من خيفته كأنَّه يكاد يموت) ويغلب عليه الحزن والكآبة (وعند التوسُّع ووعد المغفرة يستبشر) ويفرح (كأنَّه يطير من الفرح) والاستبشار بما أعدَّ الله له من النعيم (وعند ذِكر الله تعالىٰ وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعًا) وتذلُّلاً (لجلاله) وهيبته (واستشعارًا لعظمته) وكبريائه (وعند ذِكر الكفار ما يستحيل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، كذكرهم لله عَزَّوَجَلَّ ولدًا وصاحبة يغضُّ صوته) قليلاً عن عادته المستمرة (وينكسر في باطنه حياءً من قبح مقالتهم) ونسبتهم إليه عَزَّوَجَلَّ ما لا يليق بذاته المقدَّسة، كل ذلك تأدُّبًا في المقام، وإجلالاً للملك العلاَّم (وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقًا لها) وإلىٰ ما أعدَّ الله فيها لأهلها من النعيم المقيم (وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا منها) وهيبة ممَّا فيها من العذاب المقيم لأهلها (ولمَّا قال رسول الله ﷺ لابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (اقرأ عليَّ) قال: أقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» (قال: فافتتحت سورة النساء، فلمَّا بلغت) قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان) أي تفيضان (بالدمع، فقال لي: حسبك الآن) أي أمسِكْ عن القراءة. تقدَّم تخريج الحديث في الباب الذي قبله (وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة) الحاصلة في الموقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ قد (استغرقت قلبَه بالكلِّيَّة) فصارت كأنَّها حاضرة عنده (ولقد كان في الخائفين مَن خرَّ مغشيًّا عليه عند آيات الوعيد) منهم[1] الربيع ابن خثيم، وقد تقدَّمت قصته في كتاب الصلاة. قال عبد الله بن أحمد في زوائد المسند[2]: حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش، حدثنا عيسىٰ بن سليم، عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبد الله - يعني ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(١) نتائج الأفكار ٣/ ١٩٧ - ٢٠٠.

(٢) بل في زوائد الزهد ص ٢٦٩.

ومعنا الربيع بن خثيم، فمررنا علىٰ حدَّاد، فقام عبد الله ينظر إلىٰ حديده في النار، فنظر إليها الربيع فتمايل ليسقط، فمضىٰ عبد الله حتىٰ أتينا علىٰ أتون بشاطئ الفرات، فلمَّا رآه عبد الله والنار تلتهب فيه قرأ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُبُورًا ۝١٣﴾ [الفرقان: ١٢] فصعق الربيع، فاحتملناه [فجئنا به] إلىٰ أهله، فرابطه عبدُ الله إلىٰ الظهر فلم يفقْ، ثم رابطه إلىٰ العصر فلم يفق، ثم رابطه إلىٰ المغرب فلم يفق، ثم أفاق، فتوجَّه عبد الله إلىٰ أهله.

ومنهم أبو أسيد، كان يصعق إذا سمع آية شديدة، وكان مستجاب الدعوة، وكان يقال إنه من الأبدال، وهو تابعي صغير، أخرج قصته ابن أبي داود في كتاب الشريعة. وقد جاء في حديث مرفوع بسند معضل، قال أبو عبيد(١): حدثنا وكيع، حدثنا حمزة الزيَّات، عن حمران بن أعيُن قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣] فصعق.

(ومنهم من مات عند سماع) بعض (الآيات) تقدَّم ذِكرُ جماعة منهم في كتاب الصلاة، وأورد أبو إسحاق الثعلبي المفسِّر في كتابه «قتلىٰ القرآن» منهم عددًا كثيرًا، ومن المشهورين بذلك: زُرارة بن أوفىٰ، من ثقات التابعين، وكان قاضي البصرة. أخرج الترمذي في أواخر كتاب الصلاة من جامعه من طريق بَهْز بن حكيم قال: صلىٰ بنا زرارة بن أوفىٰ صلاة الفجر، فلمَّا بلغ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾ [المدثر: ٨] شهق شهقة فمات(٢).

---

(١) فضائل القرآن ص ١٣٦.

(٢) هذا ليس لفظ الترمذي، وإنما لفظه ١/ ٤٦٣ - ٤٦٤: «حدثنا عباس بن عبد العظيم العنبري قال: حدثنا عتاب بن المثنىٰ، عن بهز بن حكيم قال: كان زرارة بن أوفىٰ قاضي البصرة، فكان يؤم في بني قشير، فقرأ يومـًا في صلاة الصبح ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩﴾ فخر ميتا، وكنت فيمن احتمله إلىٰ داره».

وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصلاة بأبسط ممَّا هنا.

(فمثل هذه الأحوال تخرجه عن أن يكون حاكيًا في كلامه) غير متحقِّق بمضمونه **(وإذا قال:** ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥، يونس: ١٥، الزمر: ١٣] **ولم يكن خائفًا)** من عذاب الله **(كان حاكيًا)** للعبارة **(وإذا قال:** ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة: ٤] **ولم يكن حاله التوكُّل والإنابة)** والتفويض إلىٰ الله في سائر أموره **(كان حاكيًا)** لفظ التلاوة **(وإذا قال:** ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾ [إبراهيم: ١٢] **فليكن حاله)** حالة **(الصبر)** علىٰ أذىٰ المخالفين **(أو العزيمة عليه حتىٰ يجد حلاوة التلاوة)** فيما يتلوه **(فإن لم يكن بهذه الصفات)** متَّصفًا **(ولم يتردَّد قلبه بين هذه الحالات)** من الخوف والتوكل والإنابة **(كان حظُّه من التلاوة حركة اللسان)** فقط وهو غير مُجْدٍ منها **(مع صريح اللعن علىٰ نفسه في قوله:** ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾**)** [هود: ١٨] وهو ظالم لنفسه أو علىٰ غيره **(وفي قوله تعالىٰ:** ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾**)** [الصف: ٣] وهو يقول ما لا يفعل فيمقت بذلك عند الله، والمَقْت: أشد الغضب **(وفي قوله تعالىٰ:** ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾**)** [الأنبياء: ١] وهذه الغفلة عن ذِكر الله والإعراض عنه بما سواه **(وفي قوله تعالىٰ:** ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩﴾**)** [النجم: ٢٩] وعنده التولِّي عن ذِكر الله وحب المال والجاه **(وفي قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾**)** [الحجرات: ١١] وهو لا يتوب، وليست له عزيمة عليه **(إلىٰ غير ذلك من الآيات)** الواردة في ذلك، فلولا أنه يكون هو الخائف لليوم العظيم وهو المتوكِّل المنيب وهو الصابر علىٰ الأذىٰ والمتوكِّل علىٰ المولىٰ وإلا كان مخبرًا عن قائل قاله، فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه، فإذا كان كذلك وجد حلاوة التلاوة، وتحقَّق بحُسن الولاية. وإذا تلا الآي المذموم أهلها الممقوت فاعلها من التولِّي والظلم وحب الدنيا فما أقبح أن يعيب ذلك وهو من أهله، وما أعظم أن يذمَّ أهلَ ذلك وهو بوصفه، فهذا من حجج القرآن

عليه، فلا يجد مع ذلك حلاوةَ المُناجاة، ولا يسمع خطاب المناجي؛ لأن وصفه المذموم قد حجبه، وهواه المُرْدي عن حقيقة الفهم قد حرمه، ولأن قسوة قلبه عن الفهم صرفته، وكذبه في حاله عن البيان أخرسه، فإذا كان هو المتيقِّظ المقبل وهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب ونظر إلىٰ الداعي وله استجاب، والتالي إذا خالف هذا الوصفَ الذي شرحناه أو كان علىٰ ضد ذلك من السهو والغفلة والعماء والحيرة، محادثًا لنفسه، مصغيًا إلىٰ هواه ووسوسة عدوِّه، ومتوهِّمًا للظنون، عاكفًا علىٰ الأمانيٰ (**كان داخلاً في معنىٰ قوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [**يعني التلاوة المجرَّدة**) لا غير ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة: ٧٨] فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين، كما أخبر عن الظانِّين في قولهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٣٢] (و) في معنىٰ (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يوسف: ١٠٥] **لأن القرآن**) من أجلِّ آيات الله و(**هو المبيِّن لتلك الآيات في السموات والأرض**) الدالَّة علىٰ فاطرهما ومنزِّله (**ومهما تجاوزها ولم يتأثَّر بها كان معرضًا عنها**) وأيضًا كان داخلًا بوصف من تهدَّده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز، متهاونًا به، مناجيًا لغيره؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] وبوصف من أخبر عنه؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩] هذا وصفُهم الظن الكاذب والرجاء المخلف اللذان لم يفترقا إلىٰ خوف وإشفاق وخالفوه عاجلاً[١]، وتمنَّوا عليه المغفرة [آجلاً] جهلاً منهم بحكمته تعالىٰ، وأعرضوا عن أحكامه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة فقال تعالىٰ: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي قرؤوا ما فيه وعَلِموه ولم يعملوا به،

(١) في القوت: عصوا خالقهم عاجلا.

فلم ينتفعوا بشيء منه، فكان هذا توبيخًا لهم وتقريعًا، كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾ [البقرة: ٩٣] **(ولذلك قيل: إن لم يكن متَّصفًا بأخلاق القرآن)** منصبغًا بمعانيه **(فإذا قرأ القرآن ناداه الله عَزَّوَجَلَّ: ما لك ولكلامي وأنت مُعرِض عني؟ دَعْ عنك كلامي إن لم تُبْ إليَّ)** وهذا المعنىٰ قد تقدَّم للمصنِّف بلفظ: إن العبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله تعالىٰ: ما لك ولكلامي وأنت مُعرِض عني؟ دَعْ عنك كلامي إن لم تَتُبْ إليَّ **(ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرَّره مثال من يكرِّر كتاب الملك في كل يوم مرَّات وقد كتب إليه في عمارة مملكته)** بالعدل والإصلاح **(وهو مشغول بتخريبها)** بالظلم والإفساد **(ومقتصر علىٰ دراسة كتابه، فلعلَّه لو ترك الدراسة عند المخالفة)** المتحققة لأوامره ونواهيه **(لكان أبعد عن الاستهزاء)** بكلام الملك **(واستحقاق المَقْت)** منه **(ولذلك قال يوسف بن أسباط)** الشيباني: **(إني لأهِمُّ بقراءة القرآن)** أي أعزم عليها **(فإذا ذكرتُ ما فيه)** أي في القرآن **(خشيت المَقْت)** من الله علىٰ نفسي **(فأعدل إلىٰ التسبيح والاستغفار)** كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية[1]: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، سمعت المؤمل بن الشمَّاخ المصِّيصي يقول: سمعت يوسف بن أسباط يقول: إني لأهِمُّ بقراءة السورة، فإذا كان ليس يُعمَل بما فيها لم تزل السورة تلعنه من أولها إلىٰ آخرها، وما أحب أن يلعنني القرآن.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحيىٰ بن مَنْده، حدثنا أبو عمران الطرسوسي، سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: كتب حذيفة المرعشي إلىٰ يوسف بن أسباط أو يوسف إلىٰ حذيفة: أمَّا بعد، فإنه من قرأ القرآن ثم آثر الدنيا فهو ممَّن اتَّخذ آيات الله هزوًا، ومن كان طلبُ الفضائل أهم إليه من تركِ الذنوب فهو مخدوع، وقد خشيت أن يكون خير أعمالنا أضَرَّ علينا من ذنوبنا.

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٤٣.

(**والمُعرِض عن العمل به**) أي بالقرآن (**أزيد إثمًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧﴾**) [آل عمران: ١٨٧] وفي قوله تعالىٰ السابق ذِكره: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ وجه غريب ذكر صاحب القوت وهو أن معناه: محوه بترك العمل به والفهم له، من قولك: درست الريحُ الآثارَ: إذا محتها، وخط دارس ورَبْع دارس: إذا مُحي وعفا أثرُه. وهذا المعنىٰ مواطئ لقوله تعالىٰ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية، وهي التي ذكرها المصنف، ومواطئ لقوله تعالىٰ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠١ - ١٠٢] أي ما تتبع وتهوىٰ، وكل آية في التهديد والوعيد فللخائفين منها وعظ وتخويف، وللغافلين منها وصف وتعريف، علمه مَن علمه [وجهله من جهله] (**ولذلك قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا القرآن ما ائتلفت**) أي اجتمعت (**عليه قلوبكم ولانت له جلودكم، فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه. وفي بعضها**) أي الروايات: (**فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه**) هكذا أورده في القوت بالروايتين.

قال العراقي[(١)]: متفق عليه[(٢)] من حديث جُندب بن عبد الله البَجَلي باللفظ الثاني دون قوله: ولانت جلودكم.

قلت: وكذلك رواه أحمد[(٣)] والنسائي[(٤)]، ورواه مسلم أيضًا والطبراني عن أبي بكر، ورواه النسائي أيضًا عن معاذ بن جبل.

ومعنىٰ[(٥)] الحديث: داوِموا علىٰ قراءته ما دامت قلوبكم تألف القراءةَ بنشاط

(١) المغني ١/ ٢٣٢.
(٢) صحيح البخاري ٣/ ٣٥٣، ٤/ ٣٧٥. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٠.
(٣) مسند أحمد ٣١/ ١١٢.
(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٩٠ - ٢٩١، ١٠/ ٣٩٩.
(٥) فيض القدير ٢/ ٦٣.

وخواطركم مجموعة، فإذا صارت قلوبكم في فكرة شيء سوىٰ قراءتكم وحصلت القراءة بألسنتكم مع غيبة قلوبكم فلا تفهمون ما تقرؤون فاتركوه إلىٰ وقت تعودون في محبَّة قراءته إلىٰ الحالة الأولىٰ فإنه أعظم من قراءته بغير حضور قلب؛ فإن الاختلاف في القرآن يؤدِّي إلىٰ الجدال، والجدال إلىٰ الجحد وتلبيس الحق بالباطل.

وقوله «ولانت جلودكم» ليس عند الجماعة، وهو مواطئ لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] وهو كناية عن الخشية والإذعان لقبول ما يَرِدُ عليه من آثار الفهم، فإذا صفا القلب بنور اليقين وأُيِّد العقل بالتوفيق والتمكين وتجرَّد الهمُّ من تعلُّق بخلق وتألَّه السر بالعكوف علىٰ الخالق وخَلَت النفس من الهوىٰ سَرَت الروح فجالت في الملكوت الأعلىٰ كُشف للقلب بنور اليقين الثاقب ملكوت العرش عن معاني صفات موصوف وأحكام خلاَّق مألوف وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤوف فشهد عن الكشف أوصاف ما عرف، فقام حينئذٍ بشهادة ما عرف، فكان ممَّن (قال الله تعالىٰ): ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُولَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] وممَّن قال الله تعالىٰ: (﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢] ﴿ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤، ٧٤] لأنه إذا أعطاه حقيقة من الإيمان أعطاه [مثلها] من معناه [ومعدنها] حقيقة من مشاهدة، وكانت تلاوته عن شهادة، وكان مزيده عن معنىٰ تلاوته، وكان ذلك علىٰ معيار حقيقة من إيمانه، فيكون العبد بوصف مَن نُعت بالحضور والإنذار وخُصَّ بالمزيد والاستبشار في قوله: ﴿ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩] وفي قوله تعالىٰ: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤] ويكون بنعت مَن مدحه بالعلم وأثنىٰ عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالىٰ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر: ٩] ثم إن أعلم

الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات، وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق وغامضات الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجه الحروف ومعاني باطن الكلام، وأحقُّهم بذلك أخشاهم له، وأخشاهم له أقربهم منه، وأقربهم منه مَن خصَّه بأثرته وشمله بعنايته.

(و) قد (**قال ﷺ: إن أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتَه يقرأ رأيت أنه يخشىٰ الله تعالىٰ**) ولا يخشاه حتىٰ يعرفه، ولا يعرفه حتىٰ يعامله، ولا يعامله حتىٰ يقربه، ولا يقربه حتىٰ يعني به وينظر إليه، فعندها عرف سر الخطاب، واطلع علىٰ باطن [أصل المراد وفهم] الكتاب.

قال العراقي[١]: رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث جابر.

قلت: ورواه[٢] محمد بن نصر في كتاب الصلاة والبيهقي في الشعب[٣] والخطيب في التاريخ عن ابن عباس[٤]، ورواه السجزي في الإبانة والخطيب أيضًا عن ابن عمر، ورواه الديلمي عن عائشة، كلُّهم بلفظ: «أحسن الناس قراءةً الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشىٰ الله».

أمَّا[٥] حديث جابر الذي أشار إليه العراقي فرواه ابن ماجه[٦] عن بِشْر بن معاذ، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبي الزبير، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن الناس صوتًا بالقرآن

(١) المغني ١/ ٢٣٢.

(٢) كنز العمال ١/ ٦٠٢ - ٦٠٣.

(٣) شعب الإيمان ٣/ ٤٦٦.

(٤) لم يسق الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٣٤١ لفظ رواية ابن عباس، وإنما قال بعد حديث ابن عمر: «تفرد بروايته ابن خوار عن مسعر، وخالفه إسماعيل بن عمرو البجلي فرواه عن مسعر عن عبد الكريم عن طاووس عن ابن عباس عن النبي ﷺ».

(٥) نتائج الأفكار ٣/ ٢١٩ - ٢٢٣.

(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٧٢.

الذي إذا سمعت قراءته حسبتَ أنه يخشىٰ الله». ورواه الآجري في فوائده(١) عن عمر بن أيوب السقطي، حدثنا القواريري، حدثنا عبد الله بن جعفر ... فذكر مثله. وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر وهو المديني والد عليٍّ، وفيه وفي شيخه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعفٌ، وهذا معنىٰ قول العراقي: بسند ضعيف.

وأمَّا حديث ابن عمر فرُوي من طرق، منها مرسل رواه سفيان الثوري عن ابن جُرَيج عن ابن طاووس عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم عن طاووس قال: سُئل رسول الله ﷺ: مَن أحسن الناس صوتًا بالقرآن؟ قال: «الذي إذا سمعتَه رأيت أنه يخشىٰ الله»(٢). وقال الدارمي(٣): حدثنا جعفر، حدثنا مسعر، عن عبد الكريم، عن طاووس بنحوه. وهكذا أخرجه محمد بن نصر من رواية وكيع عن مسعر، وهو مرسَل حسن السند. وجاء من وجه آخَر عن طاووس موصولاً، قال عبد بن حميد(٤): حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا مرزوق أبو بكر، عن سليمان الأحول، عن طاووس، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سُئل: أيُّ الناس أحسن قراءة؟ قال: «الذي إذا سمعتَ قراءته رأيت أنه يخشىٰ الله ﷻ»(٥). أخرجه محمد ابن نصر(٦) عن محمد بن يحيىٰ عن عمر بن أبي عمر عن مرزوق، وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن عبد الله بن محمد عن أبي نعيم عن مرزوق مولىٰ طلحة الباهلي [ومرزوق] وثَّقه أبو زُرعة الرازي(٧). ومنها قال الطبراني(٨): حدثنا أحمد بن زهير،

---

(١) أخلاق أهل القرآن للآجري ص ١٦١.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٦٥.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٥٦٣.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٣٨.

(٥) بعده في نتائج الأفكار: هذا حديث حسن.

(٦) مختصر قيام الليل ص ١٣٨.

(٧) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٤.

(٨) المعجم الأوسط ٢/ ٣١١.

حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حميد بن حمَّاد، عن مسعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قيل للنبي ﷺ: مَن أحسن الناس صوتًا بالقرآن؟ ... فذكر مثله. وأخرجه البزار[١] عن محمد بن معمر. وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخَر عن حميد بن حمَّاد. قال البزار: لم يتابَع حميد عليه، وإنما رواه مسعر عن عبد الكريم. يعني كما تقدَّم مرسَلاً. ولحديث طاووس شاهدٌ من مرسَل الزهري، قال عبد الله بن المبارك[٢]: حدثني يونس بن يزيد، عن الزهري [قال]: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «أحسنُ الناس صوتًا بالقرآن الذي إذا سمعتَه [يقرأ] رأيتَ أنه يخشىٰ الله».

(**وقال ﷺ: لا يُسمَع القرآن من أحد أشهىٰ منه ممَّن يخشىٰ الله عز وجل**) قال العراقي[٣]: رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقي في كتاب «فضائل القرآن».

قلت: ولم يذكر صحابيه، وقد رواه ابن المبارك[٤] عن طاووس مرسَلاً، ورواه السجزي في الإبانة عن طاووس عن أبي هريرة.

(**فالقرآن يُراد لاستجلاب هذه الأحوال إلىٰ القلب والعمل به**) والاهتداء بأنواره (**وإلا فالمؤنة في تحريك اللسان بالحروف خفيفة، ولذلك قال بعض القرَّاء: قرأت القرآن**) ولفظ القوت: وحدثني شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال: قرأت القرآن (**علىٰ شيخ لي، ثم**) لمَّا ختمتُه عليه (**رجعت**) إليه (**لأقرأ ثانيًا، فانتهرني وقال: جعلتَ القرآن عليَّ عملاً، اذهب فاقرأ علىٰ الله تعالىٰ فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك**) وماذا يُفهِمك.

(**ولقد كان شغل الصحابة ﷺ في الأحوال والأعمال**) لا في الأقوال (فمات

(١) مسند البزار ١٢/ ٣٠٠.

(٢) الزهد والرقائق ص ٧٦.

(٣) المغني ١/ ٢٣٣.

(٤) الزهد والرقائق ص ٧٦.

ﷺ **عن عشرين ألفًا من الصحابة)** قال العراقي[1]: لعله أراد بالمدينة، وإلا فقد روينا عن أبي زُرعة الرازي أنه قال: قُبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا من الصحابة ممَّن روىٰ عنه وسمع منه. ا.هـ. قلت: تقدَّم قول أبي زُرعة، وهكذا ذكره غيرُه، وقد أسلفناه مفصَّلاً في كتاب العلم، فراجعْه **(لم يحفظ القرآن)** كلَّه **(منهم إلا ستة)** أنفُس **(اختُلف منهم في اثنين)** ففي الصحيحين[2] من حديث أنس قال: جمع القرآنَ علىٰ عهد رسول الله ﷺ أربعة كلُّهم من الأنصار: أُبَيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد. قلت[3]: مَن أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي.

وزاد ابن أبي شيبة في المصنَّف[4] من رواية الشعبي مرسَلاً: وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد.

وفي الصحيحين[5] من حديث عبد الله بن عمرو: استقرِئوا القرآنَ من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبَي بن كعب».

وقال صاحب القوت عن بعضهم: ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد. وختم ابن عباس علىٰ أُبَيٍّ، وقرأ عبد الرحمن بن عوف علىٰ ابن عباس، وقرأ عثمان بن عفَّان علىٰ زيد بن ثابت، وقرأ أهل الصُّفَّة علىٰ أبي هريرة **(وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين)** رواه ابن الأنباري في المصاحف بسنده إلىٰ عمر رضي الله عنه قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمَّة مَن يحفظ من القرآن السورة أو نحوها ... الحديث، وسنده ضعيف.

(وكان الذي يحفظ) الحزب منه وهو السبع أو **(البقرة والأنعام)** يُعَدُّ **(من**

---

(١) المغني ١/ ٢٣٣ - ٢٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٤٥، ٣٤١. صحيح مسلم ٢/ ١١٥١.

(٣) القائل هو قتادة يسأل أنسا.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٤.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٣٣، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٣٤١. صحيح مسلم ٢/ ١١٥١.

علمائهم) روىٰ الترمذي[١] وحسَّنه من حديث أبي هريرة قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثًا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم، فاستقرأ كلَّ رجل ما معه من القرآن، فأتىٰ علىٰ رجل من أحدثهم سنًّا فقال: «ما معك يا فلان»؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أمعك سورة البقرة»؟ قال: نعم. قال: «اذهب فأنت أميرهم ... الحديث.

وروىٰ أحمد في مسنده[٢] من حديث أنس قال: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلَّ في أعيننا[٣].

وأقام ابن عمر علىٰ حفظ البقرة ثماني سنين. رواه مالك في الموطأ[٤].

(ولمَّا جاء رجل) إلىٰ رسول الله ﷺ **(ليتعلَّم العلم فلمَّا كان عند باب المسجد سمع النبيَّ** ﷺ **وهو يقرأ:** ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] **فقال: يكفيني هذا. فانصرف، فقال النبي** ﷺ**: انصرف الرجل وهو فقيه)** قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] والنسائي في الكبرىٰ[٧] وابن حبَّان[٨] والحاكم[٩] وصحَّحه من حديث عبد الله بن عمرو قال: أتىٰ رجل رسولَ الله ﷺ فقال: أقرِئني يا رسول الله ... الحديث، وفيه: فأقرأه رسول الله ﷺ «إذا زلزلت الأرض» حتىٰ فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدًا. ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح الرُّوَيْجِل، أفلح الرويجل».

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٦.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٢٤٧.

(٣) في المسند: جد فينا.

(٤) الموطأ ١/ ٢٠٥ بلفظ: مكث عبد الله بن عمر علىٰ سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها.

(٥) المغني ١/ ٢٣٤.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ٢٤١.

(٧) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٦٢، ٩/ ٢٦٤.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ٥٠.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٦٢٥ - ٦٢٦.

ولأحمد[١] والنسائي في الكبرىٰ[٢] من حديث صعصعة عمِّ الفرزدق أنه صاحب القصة، وقال: حسبي لا أبالىٰ أن لا أسمع غيرها.

(وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي يمنُّ الله بها علىٰ قلب العبد عقيب فهم الآية، فأمَّا مجرَّد حركة اللسان) وشقشقته (فقليل الجدوىٰ) ناقص الفائدة (بل التالي باللسان المُعرِض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾) أي[٣] عن الهدىٰ الذاكر لي والداعي إلىٰ عبادتي (﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾) أي ضيقًا، مصدر وُصف به، وذلك لأن مَجامع همِّه ومطامح نظره تكون إلىٰ أعراض الدنيا، متهالكًا علىٰ ازديادها، خائفًا علىٰ انتقاصها (﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾) أعمىٰ البصر أو القلب، ويؤيِّد الأول قولُه: (﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾) الواضحة (﴿فَنَسِيتَهَا﴾) أي عميت عنها (﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾)[طه: ١٢٤ - ١٢٦] أي تُترك في العمىٰ والعذاب. قيل: معنىٰ «فنسيتها» (أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها) أي لم تحتفل بشأنها (فإنَّ المقصِّر في الأمر يقال إنه نسي الأمر) أي تركه وقصَّر فيه، وهذا شائع عند أهل اللغة، ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٧] وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢] وفي بعض الأخبار: «مَن نسي الصلاة عليَّ أخطأ طريقَ الجنة» وإنما أراد بالنسيان الترك (و) المراد من (تلاوة القرآن) في قوله تعالىٰ: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] (هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف) وتجويدها (بالترتيل) المسنون (وحظ العقل تفسير المعاني) المتحصلة من تلك الألفاظ (وحظ القلب

---

(١) مسند أحمد ٣٤/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٤٣.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ٤/ ٣٩.

الاتّعاظ والتأثُّر والانزجار) عن النواهي **(والائتمار)** بالأوامر **(فاللسان واعظ)** ناصح **(والعقل ترجمان)** يترجم ما يفهمه من ذلك الواعظ **(والقلب متَّعظ)** يقبله أو يردُّه.

(التاسع: الترقّي، وهو) يكون من حضيض إلىٰ أوْج، والمراد منه **(أن يترقّىٰ)** في تلاوته **(إلىٰ أن يسمع الكلام)** الذي يتلوه **(من الله عَزَّوَجَلَّ لا من نفسه، فدرجات القراءة ثلاث، أدناها: أن يقدِّر العبد)** في نفسه **(كأنَّه يقرأ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ)** ويناجيه بكلامه **(واقفًا بين يديه)** بالإجلال والتعظيم **(وهو ناظر إليه)** بعين رحمته وألطافه **(ومستمع منه)** ما يتلوه **(فيكون حاله عند هذا التقدير)** ومقامه **(السؤال والتملُّق والتضرع والابتهال)** والطلب والتعلُّق، فالسؤال والتملُّق مقامه، والطلب والتعلّق حاله **(الثانية: أن يشهد بقلبه كأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتعظيم، و)** حاله **(الإصغاء والفهم)** لِما يتلوه **(الثالثة: أن يرىٰ في الكلام المتكلمَ، وفي الكلمات الصفات)** أي يشهد أوصافَ المتكلِّم في كلامه، ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه **(فلا ينظر إلىٰ نفسه، ولا إلىٰ قراءته، ولا إلىٰ تعلُّق الإنعام به من حيث إنه منعم عليه)** بإحسانه **(بل يكون مقصور الهم علىٰ المتكلم، موقوف الفكر عليه، كأنَّه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره)** بل لا يخطر السوىٰ بباله **(وهذه درجة)** العارفين **(المقرَّبين)** ومقامهم، وهي أعلاها **(وما قبله درجة)** الأبرار من **(أصحاب اليمين)** كما أن ما قبله درجة المتعرِّفين والمريدين **(وما خرج عن هذا فهي درجات الغافلين)** فإذا كان التالي من أصحاب اليمين فينبغي له أن يشهد في التلاوة أن مولاه يخاطبه بالكلام؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ متكلم بكلام نفسه، وليس للعبد في كلامه كلام، وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه، وتيسير الذِّكر بلسانه بحكم ربِّه تعالىٰ حدًّا للعبد ومكانًا له كما كانت الشجرة وجهة لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكلَّمه ربُّه منها **(وعن الدرجة العليا)** من الدرجات الثلاث **(أخبر)** الإمام أبو محمد **(جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين **(الصادق**

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: واللهِ، لقد تجلَّىٰ الله لخَلْقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون) نقله صاحب القوت. أي لا يدركونه لحَجْب بصيرتهم عن ذلك.

(وقال أيضًا وقد سألوه عن حالة لحقته) ولفظ القوت: عن شيء لحقه (في الصلاة حتىٰ خرَّ مغشيًّا عليه، فلمَّا سُرِّي عنه) أي كُشف عنه وأفاق (قيل له في ذلك، فقال: ما زلت أردِّد الآية علىٰ قلبي حتىٰ سمعتُها من المتكلم بها، فلم يثبُت جسمي لمعاينة قدرته) تعالىٰ، فكذلك الخصوص يردِّدون الآية [بقلوبهم] علىٰ قلوبهم، ويتحقَّقون بها في مشاهدتهم بمَدَد من سيِّدهم حتىٰ يستغرقهم الفهمُ فيغرقون في بحر العلم.

(ففي مثل هذه الدرجة تعظُم الحلاوةُ) في التلاوة (و) تكثُر (لذَّة المناجاة) وينتج الاستغراق (ولذلك قال بعض الحكماء) وفي القوت: وقال بعض العلماء: (كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة، حتىٰ تلوتُه كأنِّي أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه علىٰ أصحابه) أي قدَّرت في نفسي ذلك (ثم رُفعت إلىٰ مقامٍ فوقه فكنت أتلوه كأنِّي أسمعه من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يلقيه إلىٰ رسول الله ﷺ، ثم جاء الله تعالىٰ بمنزلة أخرىٰ، فأنا الآن أسمعه من المتكلم به عَزَّ وَجَلَّ، فعندها وجدت لذَّة ونعيمًا لا أصبر عنه) هكذا ساقه في القوت.

(وقال عثمان) بن عفَّان (وحذيفة) بن اليمان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لو طهرت القلوب) أي عن دنس الأغطية (لم تشبع من قراءة القرآن) كذا نقله صاحب القوت.

(وإنما قالا ذلك لأنها بالطهارة) القلبية (ترقىٰ إلىٰ مشاهدة المتكلم في الكلام) ومعاينة أخلاقه في صفاته (ولذلك قال ثابت البُناني: كابدت القرآن عشرين سنة) أي جاهدت نفسي في تحصيله علىٰ أعلىٰ الدرجات (وتنعَّمت به عشرين سنة) نقله صاحب القوت.

وفي الحلية[١] لأبي نعيم: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثني محمد بن مالك، حدثنا عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: قال ثابت: كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعَّمت بها عشرين سنة.

(وبمشاهدة المتكلم) في كلامه **(دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾) [الذاريات: ٥٠] أي من الخلق. اعلم أن التالي إذا كان من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع من الله تعالىٰ والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره، وأبصر ما عمي عنه سواه، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٣٩] وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢﴾ [الحشر: ٢] معناه في الفهم: اعبروا إليَّ فقد أبصرتم. فلمَّا أعطاهم الأيدي والأبصار عبروا بقواهم إلىٰ ما أبصروا، ففِرُّوا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الخَلْق حين ذكروه بما خلق، فخرجوا علىٰ معيار حُسن الابتلاء، ولم يُنقِصهم البلاء شيئًا، فكانوا كما أخبر، والذي أمر في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ **(ولقوله تعالىٰ:** ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الذاريات: ٤٩ - ٥١] فكانوا هم الموحِّدين المخلصين له، وكان هو المنفرد المستخلِص لهم، ثم جاوزوا التذكرة بالأشياء إليه فذكروه عنده به، فحينئذٍ هربوا إليه منه حين هلَّلوه به، فلم يتألَّهوا إلىٰ سواه، كما لم يعبدوا إلا إيَّاه. قال صاحب القوت: وكذلك رأيتُها في مصحف عبد الله: «ففرُّوا إلىٰ الله منه إني لكم منه نذير مبين» **(فمَن لم يرَه في كل شيء فقد رأىٰ غيرَه، وكل ما التفت إليه العبد سوىٰ الله تعالىٰ تضمَّن التفاتُه شيئًا من الشرك الخفي)** الذي هو أخفَىٰ من دبيب النمل علىٰ الصفا في الليلة الظلماء **(بل التوحيد الخالص أن لا يرىٰ في كل شيء إلا الله** عَزَّوَجَلَّ**)** وهذا هو المعبَّر عنه بحقيقة الحقائق، وأصحاب[٢] هذا المقام بعد اتفاقهم علىٰ ذلك منهم من كان له هذا الحال عرفانًا علميًّا، ومنهم من صار

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٢٠ - ٣٢١.

(٢) مشكاة الأنوار ص ٥٩ - ٦٠.

له ذلك حالاً ذوقيًّا وانتفت عنهم الكثرة [بالكلِّية] واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبقَ فيهم متَّسَع لا لذكر غير الله، ولا لذكر أنفُسهم أيضًا، فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا وقع دون سلطان عقولهم فشطوا، وكلام العُشَّاق في حال السكْر يُطوَىٰ ولا يُحكَىٰ، فلمَّا خفَّ عنهم سكرُهم ورُدُّوا إلىٰ سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد، وهذه الحالة إذا غلبت سُمِّيت بالإضافة إلىٰ صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء؛ لأنه فني عن نفسه، وفني عن فنائه؛ فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال، ولا بعدم شعوره بنفسه، ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان قد شعر بنفسه، وتسمَّىٰ هذه الحالة بالإضافة إلىٰ المستغرق به بلسان المجاز اتحادًا، وبلسان الحقيقة توحيدًا. والله أعلم.

(**العاشر: التبرِّي، وأعني به أن يتبرَّأ**) أي يُظهِر البراءةَ (**من حوله وقوَّته والالتفات إلىٰ نفسه بعين الرضا والتزكية**) ولا يتحقَّق التولِّي لمولاه إلا بهذا التبرِّي؛ فإنه ما دام يُثبِت لنفسه حولاً أو يضيف إليها قوة أو ينظر إليها بعين استحسان فهو قاصر الدرجة عن مقام محبَّة الحق، ولا يجتمع الحُبَّان في قلب (**فإذا**) كان التالي خائفًا، ناصحًا لنفسه وللخلق، سليم القلب و(**تلا آيات الوعد والمدح**) ومحاسن الوصف (**للصالحين**) ومقامات المقرَّبين (**فلا يشهد نفسه**) هناك، ولا يراها مكانًا لذلك (**عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصِّدِّيقين فيها**) وينظر إليهم منها سلامةَ للقلب ونصحًا للخَلْق (**ويتشوَّف أن يُلحِقه الله تعالىٰ بهم**) ويرقِّيه إلىٰ مقاماتهم (**وإذا تلا آيات المَقْت وذمِّ العصاة والمقصِّرين**) أي الآي الممقوت أهلها، المتهدَّد عليها، المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين (**شهد نفسه هناك، وقدَّر أنه**) هو (**المخاطَب**) المقصود بذلك (**خوفًا**) منه (**وإشفاقًا**) فبهذه المشاهدة يرجو للخَلْق ويخاف علىٰ نفسه، ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه (**ولذلك كان عمر**) بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **يقول**) في دعائه: (**اللهم إني أستغفرك**

لظلمي وكفري. فقيل له): يا أمير المؤمنين (هذا الظلم، فما بال الكفر؟ فتلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤] نقله صاحب القوت.

(وقيل ليوسف بن أسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو؟! أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ من تقصيري سبعين مرة) نقله صاحب القوت(١)، ولم أرَه في الحلية في ترجمته. وتعيين العدد بالسبعين مرة اتِّباعًا لِما ورد في الخبر: «إنه لَيُغان علىٰ قلبي، وإني أستغفر الله كل يوم سبعين مرة» (فإذا رأىٰ نفسه بصورة التقصير في القراءة كانت رؤيته سبب قُربه) ومشاهدته علىٰ قَدْر مقامه في رؤيته (فإنَّ مَن شهد البعد في القُرب لُطِف به في الخوف) وفي نسخة: لُطِف له بالخوف (حتىٰ يسوقه الخوف إلىٰ درجة أخرىٰ في القُرب وراءها، ومَن شهد القُرب في البعد مُكِر به بالأمر الذي يفضي به إلىٰ درجة أخرىٰ في البعد أسفل ممَّا هو فيه، ومهما كان مشاهدًا نفسه بعين الرضا صار محجوبًا بنفسه) أي إن قُلِب هذان المعنيان علىٰ عبد حتىٰ يشهد نفسه في المدح والوصف ويشهد غيره في الذم والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين، وتنكَّب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك، فهذا هو المحجوب بنفسه، وهلاكه متحقق وإهلاكه لغيره؛ لأنه يرىٰ أنه وصل وما شمَّ رائحةَ الوصول (فإذا جاوز حدَّ الالتفات إلىٰ نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالىٰ في قراءته كُشف له سر المَلَكوت) وفي نسخة: انكشف له الملكوت.

قال المصنِّف في مشكاة الأنوار(٢): العين عينان: ظاهرة وباطنة، الظاهرة من عالَم الحس والمشاهدة، والباطنة من عالَم الملكوت، ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الإبصار، إحداهما ظاهرة، والأخرىٰ باطنة، والظاهرة من عالَم الشهادة وهي الشمس المحسوسة، والباطنة من عالَم الملكوت وهو القرآن

---

(١) لفظ القوت: «وقال يوسف بن أسباط وقد قيل له: إذا ختمت القرآن بأي شيء تدعو؟ فقال: بأي شيء أدعو؟! أستغفر الله عَزَّوَجَلَّ مائة مرة من تلاوتي».

(٢) مشكاة الأنوار ص ٥١ - ٥٣.

وكتب الله المنزَّلة. ومهما انكشف لك هذا انكشافًا تامًّا فقد انفتح لك أول باب من أبواب الملكوت، وفي هذا العالَم عجائب يُستحقَر بالإضافة إليها عالم الشهادة، ومَن لم يسافر إلىٰ هذا العالم وقعد به القصورُ في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعدُ، محروم عن خاصِّية الإنسانية، بل أضل من البهيمة؛ إذ لم تُعْطَ البهيمة أجنحة الطيران إلىٰ هذا العالم.

ثم قال: فأمَّا العبد فلا تُفتَح له أبواب الملكوت ولا يصير مَلَكوتيًّا إلا وتُبدَّل في حقِّه الأرض غير الأرض والسموات، ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتها السموات، وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه، وهذا هو المعراج الأول لكل سالك ابتدأ سفره إلىٰ قرب الحضرة الربوبية، والأنبياء إذا بلغ معراجهم إلىٰ عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الأقصىٰ، وأشرفوا علىٰ جملة من علوم الغيب، ومَن اطَّلع علىٰ كُنْه حقيقته انكشفت له حقائق أمثله القرآن علىٰ يسر. والله أعلم.

(وقال سليمان بن أبي سليمان الداراني) رحمه الله تعالىٰ: **(وعد ابن ثوبان)** بالثاء المثلَّثة والموحَّدة، هكذا هو في نسخ الكتاب، ولعلَّه: ابن بُويان، بضمِّ الموحدة والياء التحتية، وهو أبو الحسين أحمد بن عثمان بن بويان القارئ راوية خلف بن هشام البزِّي أحد القرَّاء المشهورين **(أخًا له أن يفطر عنده، فأبطأ عليه حتىٰ طلع الفجر، فلقيه أخوه من الغد، فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي)** أمس **(فأخلفتَ)** الموعد **(فقال: لولا ميعادي معك)** وفي نسخة: لولا ميعادك **(ما أخبرتك بالذي حبسني عنك، إني لمَّا صلَّيت العَتَمة)** أي العشاء الأخيرة **(قلت: أوتِرُ قبل أن أجيئك؛ لأني ما آمنُ)** علىٰ نفسي **(ما يحدث من الموت، فلمَّا كنتُ في الدعاء من الوتر رُفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة، فما زلت أنظر إليها حتىٰ أصبحتُ)** هكذا نقله صاحب القوت.

(وهذه المكاشفات لا تكون) ولا تتحقَّق **(إلا بعد التبرِّي عن)** مَذَمَّات

(النفس وعدم الالتفات إليها وإلىٰ ثوابها) وفي نسخة: وإلىٰ هواها (ثم تُخَصَّص هذه المكاشَفات بحسب أحوال المكاشَف) علىٰ صيغة اسم المفعول (فحيث يتلو آيات الرجاء) كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣] وما أشبهَ ذلك (ويغلب علىٰ حاله الاستبشارُ) والفرح (تنكشف له صورة الجنة) وتمثَّل بين يديه (فيشاهدها كأنَّه يراها عيانًا) أي معاينةً في عالَم الشهادة (وإن غلب عليه الخوف) عند تلاوة آيات العذاب (كوشِفَ بالنار) فتمثَّل بين يديه (حتىٰ يرىٰ أنواع عذابها) من شعل النار واللهيب والأفاعي (وذلك لأن كلام الله عَزَّوَجَلَّ يشتمل علىٰ السهل اللطيف) الظاهر المعنىٰ (والشديد العسوف) بما فيه من سَوْق القهر والتهديد (والمرجوِّ والمخوف، وذلك بحسب أوصافه؛ إذ منها الرحمة واللطف، والانتقام والبطش) وبمعاني كلامه تُعرَف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه، ومعانىٰ كلامه عين معاني أوصافه وأخلاقه (فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلَّب القلب في اختلاف الحالات) ما بين رجاء وخوف (وبحسب كل حالة منها يستعدُّ للمكاشَفة بأمر يناسب تلك الحالةَ ويقاربها) ومَن وُجد عنده الاستعداد ولم يَطِرْ إلىٰ مشاهدة عالَم الملكوت فهو أخس حالاً من البهيمة، كما تقدَّم (إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدًا والمسموع مختلفًا؛ إذ فيه كلامُ راضٍ وكلام غضبان، وكلام منعم وكلام منتقم، وكلام جبَّار متكبِّر لا يبالي) أحدًا (وكلام حنَّان متعطِّف) يمهل و(لا يهمل) وبالجملة، فمَن لم يصلُح أن يعرفه كعلمه بنفسه لم يصلُح أن يعرف كُنْه كلامه، فأعلمُ الخَلْق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات، وأعرف العباد بمعاني الأوصاف والأخلاق أعرفهم بسرائر الخطاب.

الباب الرابع:

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

(لعلَّك تقول: عظَّمتَ الأمرَ فيما سبق في فهم أسرار القرآن) وعجائبه (وما ينكشف لأرباب القلوب الزكيَّة) المطهَّرة عن دنس الأوهام (من معانيه) الغريبة (فكيف يُستحَب ذلك) أي كيف يُختار علىٰ الاستحباب (وقد قال ﷺ: مَن فسَّر القرآنَ برأيه فليتبوَّأ مقعده من النار) رواه الترمذي[١] من حديث ابن عباس وحسَّنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد، وعند النسائي في الكبرىٰ[٢]. وقد تقدَّم ذلك في الباب الثالث من كتاب العلم.

وروىٰ النقَّاش في مقدِّمة تفسيره عن أبي عصمة عن زيد العمِّي عن سعيد بن جُبَير عن ابن عمر رفعه: «مَن فسَّر القرآن برأيه فأصاب تُكتَب عليه خطيئة لو قُسِّمت بين العباد لوسعتهم، فإن أخطأ فليتبوَّأ مقعده من النار». وروىٰ عن الحسن عن أبي هريرة: «مَن فسَّر القرآن علىٰ رأيه فإن أصاب لم يؤجَر، وإن أخطأ مُحي النور من قلبه». ومن حديث جندب بن عبد الله رفعه: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

وليس في الكتب الستة إلا حديث ابن عباس، وهو الذي ذكرناه قبلُ، وحديث جندب بمعنىٰ ما هنا، وحديث جندب رواه الترمذي[٣] وقال: غريب، ورواه

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٦٥ - ٦٦.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٦٦.

النسائي[١] وابن جرير[٢] والبغوي[٣] وابن الأنباري في المصاحف والطبراني[٤] وابن حبان[٥].

ويُروَىٰ عن ابن عباس أيضًا مرفوعًا: «مَن قال في القرآن بغير علمٍ فليتبوَّأ مقعده من النار». رواه الترمذي وصحَّحه وابن الأنباري والطبراني[٦] والبيهقي[٧].

وروىٰ الديلمي[٨] من حديث أبي هريرة: «مَن فسَّر القرآن برأيه وهو علىٰ وضوء فليُعِدْ وضوءه».

(**ومن هذا شنَّع أهلُ العلم بظاهر التفسير**) الواقفين علىٰ حدود الظاهر (**علىٰ أهل التصوف**) في معاني الألفاظ (**من المفسِّرين المنسوبين إلىٰ التصوف**) كأبي عبد الرحمن السُّلَمي في «حقائق التفسير» والقاشاني وغيرهما (**في تأويل كلمات في القرآن علىٰ خلاف ما نُقل عن**) ترجمان القرآن (**ابن عباس وسائر المفسِّرين**) ممَّن بعده (**وذهبوا إلىٰ أنه**) أي التأويل (**كفر**) إذ هو إزالة الألفاظ عن معانيها الأصلية ومخالفة النقل الصريح (**فإن صحَّ ما قاله أهل التفسير**) الظاهر (**فما معنىٰ فهم القرآن سوىٰ حفظ تفسيره**) الذي أوردوه (**وإن لم يصحَّ ذلك فما معنىٰ قوله ﷺ: مَن فسَّر القرآن برأيه ... الحديث**) ولا بدَّ من رفع النقاب عن وجه البيان في هذه المسألة (**فاعلمْ أن مَن زعم أنْ لا معنىٰ للقرآن إلا ما ترجمه**) وبيَّنه (**ظاهرُ التفسير فهو مخبر عن حدِّ نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه**) إذ هو لم يدرك إلا هذا القَدْر،

---

(١) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٨٦.

(٢) جامع البيان ١/ ٧٣.

(٣) معالم التنزيل ١/ ٤٥.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ١٦٣.

(٥) لم أقف عليه عند ابن حبان.

(٦) المعجم الكبير ١٢/ ٣٥.

(٧) شعب الإيمان ٣/ ٥٣٩.

(٨) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٥٢٠.

ولم يتطَّلع إلىٰ ورائه (**ولكنه مخطئ في الحكم بردِّ الخَلْق كافَّةً إلىٰ درجته التي هي حدُّه ومَحَطُّه**) ومبلغ علمه. وفي نسخة: ومُتخطَّاه، بدل: ومحطُّه (**بل الأخبار والآثار تدلُّ علىٰ أن في معاني القرآن متَّسعًا لأرباب الفهم**) والرياضات، منها ما (**قال عليٌّ** رضي الله عنه: **إلا أن يؤتي الله عبدًا فهمًا في القرآن**) وقد تقدَّم في الباب الذي قبله (**فإن لم يكن سوىٰ الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم**) الذي يؤتاه العبد وما معناه؟ (**و**) منها ما (**قال** ﷺ: **إن للقرآن ظهرًا وبطنًا وحدًّا ومطلعًا**) رواه ابن حبَّان في صحيحه من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وتقدَّم ذلك في قواعد العقائد بلفظ: ظاهرًا وباطنًا (**ويُروَىٰ أيضًا**) ذلك (**عن ابن مسعود موقوفًا عليه**) أي من قوله ولم يرفعه، ذكره صاحب القوت (**وهو**) أي ابن مسعود (**من علماء التفسير**) وقد شاهد التنزيلَ (**فما معنىٰ الظهر والبطن والحد والمطلع**)؟ وقال الفريابي[(١)]: حدثنا سفيان، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكل حدٍّ مطلعٌ»[(٢)].

وعند الديلمي[(٣)] من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا: «القرآن تحت العرش، له بطن وظهر يحاجُّ العبادَ».

وعند الطبراني[(٤)] وأبي يعلىٰ والبزَّار عن ابن مسعود موقوفًا بلفظ: «إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حدٌّ، ولكل حدٍّ مطلعٌ».

واختلفوا في معاني هذه الألفاظ علىٰ أوجُهٍ، فقيل: ظاهرها: لفظها، وباطنها: تأويلها. وقيل: ظاهرها الإخبار بهلاك الأوَّلين، وباطنها وعظ الآخِرين. ورجَّحه أبو

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ص ٧٧٧ - ٧٧٨.

(٢) ورواه هكذا مرسلاً: أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٩٧، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢٦٢.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٢٢٨.

(٤) المعجم الكبير ٩/ ١٤٦.

عبيد[١]. وقيل: ظهرها: ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمَّنته من الأسرار التي أطلع اللهُ عليها أربابَ الحقائق؛ ذكره ابن النقيب. وقيل: الظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدُّ: أحكام الحلال والحرام، والمطلع: الإشراف علىٰ الوعد والوعيد. وقيل: الحدُّ: منتهَىٰ ما أراد الله من معناه، وقيل: المقدار[٢] من الثواب والعقاب، وقوله «مطلع» أي يُتوصَّل به إلىٰ معرفته ويوقَف علىٰ المراد منه. وقيل: كل ما يستحقُّه من الثواب والعقاب يطَّلع عليه في الآخرة عند المجازاة.

(**وقال عليٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيرًا من تفسير فاتحة الكتاب**) كما تقدَّم قريبًا (**فما معنىٰ ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار**) يأتي في أوراق معدودة.

(**وقال أبو الدرداء**) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**لا يفقه الرجل حتي يجعل للقرآن وجوهًا**) قال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل ابن عُلَيَّة، حدثنا أيوب السختياني، عن أبي قِلابة قال: قال أبو الدرداء: إنك لا تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا، وإنك لا تفقه كل الفقه حتىٰ تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلىٰ نفسك فتكون لها أشد مقتًا منك للناس.

---

(١) غريب الحديث ٢/ ٢٤ - ٢٤١، ونصه: «أشبه الأقاويل بالصواب عندي أن الله تبارك وتعالىٰ قد قص عليك من نبأ عاد وثمود وغيرهما من القرون الظالمة لأنفسها، فأخبر بذنوبهم وما عاقبهم بها، فهذا هو الظهر، إنما هو حديث حدثك به عن قوم، فهو في الظاهر خبر. وأما الباطن منه فإنه صيَّر ذلك الخبر عظة لك وتنبيهاً وتحذيرًا أن تفعل فعلهم فيحل بك ما حل بهم من عقوبته، ألا ترىٰ أنه لما أخبرك عن قوم لوط وفعلهم وما أنزل بهم أن في ذلك ما يبين لك أن من صنع ذلك عوقب بمثل عقوبتهم، وهذا كرجل قال لك: إن السلطان أُتي بقوم قتلوا فقتلهم، وآخرين شربوا الخمر فجلدهم، وآخرين سرقوا فقطعهم. فهذا في الظاهر إنما هو حديث حدثك به، وفي الباطن أنه قد وعظك بذلك، وأخبرك أنه يفعل ذلك بمن أذنب تلك الذنوب، فهذا هو البطن علىٰ ما يقال».

(٢) في الإتقان: لكل حكم مقدار.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٢١١.

قلت: وروىٰ[١] ابن لال من حديث جابر رفعه: «لا يفقه العبد كلَّ الفقه حتىٰ يبغض الناس في ذات الله، ثم يرجع إلىٰ نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين». وروىٰ نحوه الخطيب في «المتفق والمفترق»[٢] وابن عبد البر من حديث شدَّاد بن أوس، قال ابن عبد البر في جامع العلم[٣]: حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا سعيد بن أحمد الفِهْري، حدثنا عبد الله بن أبي مريم، حدثنا عمرو ابن أبي سَلَمة التِّنِّيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي بكر، عن أبان بن أبي عَيَّاش، عن أبي قِلابة، عن شدَّاد بن أوس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «لا يفقه العبد كل الفقه حتىٰ يمقت الناس في ذات الله، ولا يفقه العبد كل الفقه حتىٰ يرىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة».

قال ابن عبد البر: صدقة ضعيف مجمع علىٰ ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعًا، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.

ثم ساق من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء من قوله مثل سياق الحلية.

وقال أبو داود[٤]: حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الدرداء قال: [إنك] لن تفقه كل الفقه حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة.

قال أبو داود: حدثنا محمد بن عبيد عن حمَّاد بن زيد قال: قلت لأيوب: أرأيت قوله «حتىٰ ترىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة». فسكت يتفكَّر، قلت: أهو أن يرىٰ له وجوهًا فيهاب الإقدام عليه؟ فقال: هذا هو، هذا هو.

---

(١) كنز العمال ١٠/ ١٨٢.

(٢) المتفق والمفترق ٢/ ١٠٥٣.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٨١٢ - ٨١٣.

(٤) الزهد لأبي داود السجستاني ص ٢١٢ - ٢١٣ (ط - دار المشكاة).

وأخرجه ابن عساكر[١] كذلك.

وأخرج ابن سعد[٢] من طريق عكرمة: قال ابن عباس إن علي بن أبي طالب أرسله إلي الخوارج فقال: اذهب إليهم فخاصمْهم، ولا تحاجِّهم بالقرآن؛ فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنَّة. فحاجَّهم بالسنن، فلم تبقَ بأيديهم حُجَّةٌ.

واختلفوا[٣] في معرفة الوجوه، فقيل: المراد به أن يرىٰ اللفظ الواحد يحتمل معاني متعدِّدة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادَّة، ولا يقتصر به علىٰ معنىٰ واحد. وقيل: المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار علىٰ التفسير الظاهر.

وسيأتي الكلام في الفرق بين الوجوه والنظائر في آخر الباب.

(وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهمٍ، وما بقي من فهمها أكثر) نقله صاحب القوت وقال: قال بعض علمائنا. يعني به أبا محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله، وأورده أيضًا ابن سبع في «شفاء الصدور» **(وقال بعضهم أيضًا: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم؛ إذ لكل كلمة علمٌ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف؛ إذ لكل كلمةٍ ظاهرٌ وباطن وحدٌّ ومَطلع)** ولفظ القوت: وأقل ما

(١) تاريخ دمشق ٤٧/ ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) الطبقات الكبرىٰ ٦/ ٣٣٩. وقوله: فحاجهم ... الخ من طريق آخر غير طريق عكرمة، وهذا نص ابن سعد: «أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس يحدث عبد الله بن صفوان عن الخوارج الذين أنكروا الحكومة فاعتزلوا علي بن أبي طالب، فاعتزل منهم اثنا عشر ألفا، فدعاني علي فقال: اذهب إليهم فخاصمهم، وادعهم إلىٰ الكتاب والسنة، ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة. أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني عبد الله بن جعفر، عن عمران بن مناح قال: قال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل. فقال علي: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجهم بالسنن؛ فإنهم لن يجدوا عنها محيصا. فخرج ابن عباس إليهم وعليه حلة حبرة، فحاجهم بالسنن، فلم تبق بأيديهم حجة».

(٣) الإتقان ص ٣٠١.

قيل في علوم القرآن التي يحويها من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألفا وثمانمائة علم؛ إذ لكل آية علوم أربعة [ظاهر وباطن وحدٌّ ومَطلع] وقد قيل: إنه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم؛ لأن كل كلمة علم، وكل علم وصفٌ، فكل كلمة تقتضي صفةً، وكل صفة موجِبة أفعالاً حسنة وغيرها على معانيها.

وقال أبو بكر ابن العربي في قانون التأويل[١]: علوم القرآن خمسون علمًا وأربعمائة علم وسبعة آلاف [علم وسبعون ألف] علم على عدد كَلِم القرآن مضروبة في أربعة؛ إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحدٌّ ومطلع، وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا ممَّا لا يحصَىٰ ولا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

(وترديد رسول الله ﷺ «بسم الله الرحمن الرحيم» عشرين مرة لا يكون إلا لتدبُّر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر) في بادئ الرأي **(ولا يحتاج مثله ﷺ إلىٰ تكرير)** وتقدَّم تخريجه قريبًا.

(وقال ابن مسعود ﵁: مَن أراد علم الأوَّلين والآخِرين فليتدبَّر القرآن) وهذا أيضًا قد تقدَّم قريبًا **(وذلك لا يحصل بمجرَّد تفسيره الظاهر)** وأعظم[٢] دليل على كثرة علوم القرآن المستنبَطة منه قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وروىٰ سعيد بن منصور[٣] عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن؛ فإنَّ فيه خبر الأوَّلين والآخِرين.

قال البيهقي: يعني أصول العلم.

---

(١) قانون التأويل ص ٥٤٠ (ط - دار القبلة بجدة).

(٢) الإتقان ص ٦٦١.

(٣) تفسير سعيد بن منصور ١/ ٧.

وأخرج البيهقي[١] عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان.

وقال الشافعي رحمه الله تعالىٰ: جميع ما تقوله الأمَّة شرح للسنَّة، وجميع السنَّة شرح للقرآن.

وقال أيضًا: جميع ما حكم به النبيُّ ﷺ فهو ممَّا فهمه من القرآن.

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديثٌ عن رسول الله ﷺ علىٰ وجهه إلا وجدتُ مصداقه في كتاب الله. أخرجه ابن أبي حاتم[٢].

وقال ابن مسعود: إذا حدَّثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله ﷻ. أخرجه ابن أبي حاتم أيضًا.

وقال الشافعي أيضًا[٣]: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليلُ علىٰ سبيل الهدىٰ فيها.

(وبالجملة، فالعلوم كلُّها داخلة في أفعال الله تعالىٰ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارات إلىٰ مجامعها) قال[٤] ابن أبي الفضل المرسي: جمع القرآنُ علومَ الأوَّلين والآخِرين بحيث لم يُحِطْ بها علمًا حقيقةً إلا المتكلِّم بها ثم رسول الله ﷺ، خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك ساداتُ الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن

---

(١) شعب الإيمان ٤/ ٤٤، ولفظه: «أنزل الله ﷻ مائة وأربعة كتب من السماء، أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور القرآن، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة».

(٢) وأخرجه أيضا: الطبري في جامع البيان ١٢/ ٣٦٣، والهروي في ذم الكلام ٢/ ١٦٤.

(٣) الرسالة للإمام الشافعي ص ٢٠.

(٤) الإتقان ص ٦٦٢ – ٦٦٧.

مسعود وابن عباس، حتىٰ قال: لو ضاع لي عِقال بعير لوجدتُه في كتاب الله، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهِمَمُ، وفترت العزائم، وتضاءل أهلُ العلم، وضعُفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه، فنوَّعوا علومه، وقامت كل طائفة بفنٍّ من فنونه، منهم القرَّاء والمُعرِبون والمفسِّرون والأصوليُّون والكلاميُّون والفقهاء والفَرْضيون والصوفية والوُعَّاظ والخطباء والمؤرِّخون والمعبِّرون والبيانيون والمؤقِّتون، وغير هؤلاء علىٰ تبايُنهم، وغير ذلك من الفنون التي أخذتها [الملَّة] الإسلامية منه، وقد احتوىٰ علىٰ علوم أخرىٰ من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك، وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التي التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة والحِدادة والنجارة والغزل والحراثة والغوص والصياغة والزجاجة والتجارة والملاحة والكتابة والخبازة والقصارة والجزارة والبيع والشراء والصباغة والنحت والكيالة والرمي، وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات [وجميع ما وقع ويقع في الكائنات] ما يحقِّق معنىٰ قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ا.هـ. كلام المرسي ملخَّصًا.

وقال أبو بكر ابن العربي في قانون التأويل[١]: وأمَّا العلوم القرآنية فثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام؛ فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن، والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمَضارِّ والأمر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الإخلاص ثلثه؛ لاشتمالها علىٰ أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال ابن جرير: القرآن يشتمل علىٰ ثلاثة أشياء: التوحيد والأخبار والديانات، ولهذا كانت سورة الإخلاص ثلثه؛ لأنها تشمل التوحيد كلَّه.

---

(١) قانون التأويل ص ٥٤١ - ٥٤٣ باختصار.

وقال شيذلة: وعلىٰ [التحقيق] أن تلك الثلاثة تشمل سائر الأشياء التي تُذكَر فيه، بل أضعافها؛ فإن القرآن لا يُستدرَك، ولا تُحصَىٰ عجائبه.

(والمقامات في التعمُّق في تفصيله راجع إلىٰ فهم القرآن، ومجرَّد ظاهر التفسير لا يشير إلىٰ ذلك، بل كل ما أشكل فيه علىٰ النُّظَّار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز) جليَّة وخفيَّة **(ودلالات عليه يختصُّ أهلُ الفهم بدركها، فكيف يَفِي بذلك ترجمةُ ظاهره وتفسيره)** ومن[١] أعظم علوم النظر: الجدل، فقد حوت آياته من البراهين والمقدِّمات والنتائج والقول بالموجِب والمعارضة وغير ذلك شيئًا كثيرًا، ومناظرة إبراهيم عليه السلام نمروذ ومُحاجَّته قومه أصل في ذلك عظيمٌ **(ولذلك قال رسول الله ﷺ: اقرؤوا القرآن، والتمِسوا غرائبه)** هكذا هو في القوت، والمعنىٰ: دوموا علىٰ قراءته، والتمِسوا معانيه الغريبة بالاستنباط والفهم.

قال العراقي[٢]: رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٣] وأبو يعلىٰ الموصلي[٤] والبيهقي في الشُّعَب[٥] من حديث أبي هريرة بلفظ: أعرِبوا، وسنده ضعيف.

قلت: ورواه الحاكم[٦] كذلك وقال: صحيح عند جماعة. وقد ردَّ عليه الذهبي في التخليص فقال: مجمع علىٰ ضعفه.

وقال الهيثمي[٧]: فيه متروك.

---

(١) الإتقان ص ٦٦٥.

(٢) المغني ١/ ٢٣٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٠/ ٧.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٤٣٦.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٥٤٧ - ٥٤٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٥١٧.

(٧) مجمع الزوائد ٧/ ٣٤٠، ونصه: «رواه أبو يعلىٰ، وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، وهو متروك».

وقال[١] الصدر المناوي: فيه ضعيفان.

وأورده السيوطي في الإتقان[٢] وقال: ليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحنَ؛ لأن القراءة مع فقدِه ليست قراءة، ولا ثواب فيها، وعلىٰ الخائض في ذلك التثبُّت والرجوع إلىٰ كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن، وقد أفرد بالتصنيف في غريبه جماعة، كأبي عبيدة وأبي عمر الزاهد وابن دُرَيد، ومن أشهرها كتاب «العُزَيزي» فقد أقام في تأليفه[٣] خمسة عشر سنة يحرِّره هو وشيخه أبو بكر ابن الأنباري، ومن أحسنها المفردات للراغب.

(**وقال ﷺ في حديث عليٍّ رضي الله عنه: والذي نفسي بيده**) ولفظ القوت: والذي بعثني بالحق نبيًّا (**لتفترقنَّ أمَّتي عن أصل دينها وجماعتها علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، كلُّها ضالَّة مضلَّة يدعون إلىٰ النار، فإن كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالىٰ؛ فإنَّ فيه نبأ ما كان قبلكم، وبيان**) وفي القوت: نبأ (**ما يأتي بعدكم، وحكم ما بينكم، مَن خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالىٰ، ومن ابتغىٰ**) أي طلب (**العلم في غيره أضلَّه الله تعالىٰ، هو حبل الله المتين**) أي القوي (**ونوره المبين**) أي الظاهر (**وشفاؤه النافع**) من سائر الأمراض (**وعصمة لمن تمسَّك به، ونجاة لمن اتَّبعه، لا يعوجُّ**) أي لا يقبل العوجَ (**فيُقام**) أي فيُحتاج إلىٰ إقامته (**ولا يزيغ**) أي لا يميل (**فيستقيم، ولا تنقضي عجائبُه، ولا يخلقه كثرةُ الترديد**) إلىٰ آخر (**الحديث**) أورده صاحب القوت بتمامه فقال: «هو الذي سمعته الجن فما تناهَىٰ أنْ ولَّوا[٤] إلىٰ قومهم منذرين فقالوا: يا

(١) فيض القدير ١/ ٥٥٨.

(٢) الإتقان ص ٢٣٩.

(٣) يعني مؤلفه أبا بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفىٰ سنة ٣٣٠. انظر: كشف الظنون ٢/ ١١٤٠.
قال الزركلي في هامش ترجمته من الأعلام ٦/ ٢٦٩: «في فهرس علوم القرآن في الظاهرية ٤٠٨ أنه محمد بن عمر بن أحمد بن عزيز. وفي اللباب أنه منسوب إلىٰ أبيه: عزير، بالراء، ومن قاله بزاءين فقد أخطأ». انظر: لباب الأنساب لابن الأثير ٢/ ٣٣٨.

(٤) في القوت: فلما قضي ولوا.

قومنا إنَّا سمعنا قرآنًا عَجبًا يهدي إلىٰ الرشد، من قال به صدق، ومَن عمل به أُجِرَ، ومن تمسَّك به هُدِيَ إلىٰ صراط مستقيم». إلىٰ هنا آخر الحديث، وقد بنىٰ المصنِّف علىٰ هذا خطبتَه من أولها إلىٰ آخرها تضمينًا له إيَّاها، كما أشرنا إليه هناك، ووعدنا بذكر هذا الحديث.

قال العراقي[1]: هو عند الترمذي[2] دون ذِكر افتراق الأمَّة بلفظ: «ألا إنها ستكون فتنة». فقلت: ما المَخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم ...» فذكره مع اختلاف، وقال: غريب وإسناده مجهول.

قلت: هو من حديث الحارث الأعور، قال الذهبي[3]: حديثه في فضائل القرآن منكَر. وأورده السيوطي في النوع الخامس والستين من الإتقان[4] بلفظ: «ستكون فتن». قيل: وما المَخرج منها؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم». وقال: أخرجه الترمذي وغيره.

قال صاحب القوت: (و) قد روينا معناه (في حديث حذيفة) بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (**لمَّا أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفُرقة بعده، قال: قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركتُ ذلك؟ قال: تعلَّمْ كتاب الله واعمل بما فيه، فهو المَخرج من ذلك. قال: فأعدتُ عليه ذلك ثلاثًا، فقال ﷺ: تعلَّمْ كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة**) ثلاثًا. قال العراقي[5]: رواه أبو داود[6] والنسائي في الكبرىٰ[7]، وفيه: تعلَّمْ كتاب الله

(١) المغني ١/ ٢٣٦.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٢٩ - ٣٠.
(٣) ذكر ذلك في ميزان الاعتدال ٤/ ٥٧١ في ترجمة أبي المختار الطائي الكوفي، وهو راوي الحديث عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث.
(٤) الإتقان ص ٦٦١.
(٥) المغني ١/ ٢٣٦.
(٦) سنن أبي داود ٥/ ١٠.
(٧) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٦٤ - ٢٦٥.

واتَّبِعْ ما فيه، ثلاثًا.

(وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَن فهم القرآن فسَّر به جُمَل العلم)[1] نقله صاحب القوت **(أشار به)** عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(إلىٰ أن القرآن يشير إلىٰ مجامع العلوم كلِّها.**

وقال ابن عباس رضي الله عنهما **في)** تفسير **(قوله تعالىٰ:** ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] **يعني الفهم في القرآن)** كذا في القوت.

وروىٰ[2] ابن أبي حاتم[3] من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدَّمه ومؤخَّره، وحلاله وحرامه، وأمثاله.

وروىٰ ابن مردويه من طريق الضحَّاك عن ابن عباس مرفوعًا ﴿يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: «القرآن». يعني تفسيره. قال ابن عباس: فإنه قد قرأه البَر والفاجر.

وروىٰ ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء: ﴿يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: قراءة القرآن والفكرة فيه.

وروىٰ ابن جرير مثله عن قتادة ومجاهد وأبي العالية.

(وقال تعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] **فسمَّىٰ ما آتاهما حكمًا وعلمًا، وخصَّص ما انفرد به سليمان)** عَلَيْهِ السَّلَامُ **(بالتفطُّن له باسم الفهم وجعله مقدَّمًا علىٰ الحكم والعلم)** ولفظ القوت: فرفع الفهم [مقامًا] علىٰ الحكم والعلم وأضافه إليه للتخصيص، وجعله مقامًا عامًّا فيهما **(فهذه**

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٧٤ ضمن حديث طويل يشتمل علىٰ حكم ومواعظ، وفيه: «للعدل أربع شعب، غوص الفهم، وزهرة العلم، وشرائع الحكم، وروضة الحلم، فمن غاص الفهم فسر جمل العلم ...» الخ.

(٢) الدر المنثور ٣/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) وكذلك الطبري في جامع البيان ٥/ ٩.

الأمور) وأشباهها **(تدل علىٰ أن في فهم معاني القرآن)** لأربابه **(مجالاً رحبًا ومتسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهىٰ الإدراك فيه)** بل الأمر وراء ذلك لمن أُعطِي المزيد فيه وكان له الحظ الوافر في الفهم **(فأمّا قوله ﷺ: مَن فسّر القرآن برأيه ...)** الحديث **(ونهيه ﷺ عنه)** أي عن التفسير بالرأي **(وقول أبي بكر ﵁)** حين سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] فقال: **(أيُّ أرض تقلُّني)** أي تحملني **(وأيُّ سماء تظلُّني إذا قلتُ في القرآن برأيي)** رواه أبو عبيد في فضائل القرآن[١] من طريق إبراهيم التَّيْمي عنه بلفظ: إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وروىٰ عن أنس أن عمر بن الخطاب ﵁ قرأ علىٰ المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلىٰ نفسه فقال: إن هذا لهو التكلُّف يا عمر[٢].

فهؤلاء[٣] الصحابة وهم العرب العَرْباء وأصحاب اللغة الفصحىٰ ومَن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقّفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا [فيها] شيئًا.

(إلىٰ غير ذلك ممّا ورد في الأخبار والآثار) الواردة **(في النهي عن التفسير**

---

(١) فضائل القرآن ص ٣٧٥.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥٤١ باللفظ الذي ذكره الغزالي.

(٢) ورواه أيضا: الحاكم في المستدرك ٢/ ٦٠٥، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/ ٥٤١ - ٥٤٢، والطبراني في مسند الشاميين ٤/ ١٥٦، وابن أبي شيبة في المصنف ١٠/ ٤٣. قال القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٨٦: «الأب: ما تأكله البهائم من العشب. قال ابن عباس والحسن: الأب: كل ما أنبتت الأرض مما لا يأكله الناس. وقيل: إنما سمي أبا لأنه يؤَب، أي يُؤَم ويُنتجَع. وقال الضحاك: الأب: كل شيء ينبت علىٰ وجه الأرض، وكذا قال أبو رزين: هو النبات، يدل عليه قول ابن عباس: الأب: ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعام. وعن ابن عباس أيضا وابن أبي طلحة: الأب: الثمار الرطبة. وقال الضحاك: هو التين خاصة. وهو محكي عن ابن عباس أيضا. وقال الكلبي: هو كل نبات سوىٰ الفاكهة. وقيل: الفاكهة: رطب الثمار، والأب يابسها».

(٣) الإتقان ص ٢٣٩.

بالرأي) ممَّا سُقْنا بعضها قريبًا (فلا يخلو) من أحد أمرين: (إمَّا أن يكون المراد به الاقتصار علىٰ النقل والمسموع) بأن لا يتعدَّاهما (وترك الاستنباط) للمعاني والأحكام (و) ترك (الاستقلال بالفهم، أو) يكون (المراد به أمرًا آخر) غير ما ذُكر (وباطل قطعًا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه) ويتلقَّاه (لوجوه:

أحدها: أنه يُشترَط أن يكون ذلك مسموعًا من) فم (رسول الله ﷺ ومسنَدًا إليه) من طرق معروفة (وذلك ممَّا لا يصادف إلا في بعض القرآن) وهو[١] قليل، وأصل المرفوع منه في غاية القلة، كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد سرد السيوطي في آخر الإتقان[٢] جملةَ ما ورد فيه علىٰ ترتيب السور، وسأُلحِقها في آخر الباب[٣] (فأمَّا ما يقوله ابن عباس وابن مسعود) وغيرهما من أصحاب التفسير من طبقتهما (من أنفسهم) وفي بعض النسخ: من نفسَيْهما (فينبغي أن لا يُقبَل) منهم ذلك (ويقال: هو تفسير بالرأي؛ لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ) وإنما فسَّروه بحسب ما ظهر لهم في الآية (وكذا غيرهم من الصحابة ﷺ) إذا قالوا في تفسير لفظ من ألفاظ القرآن ولم يسندوه إلىٰ النبي ﷺ فيكون ذلك تفسيرًا بالرأي. وقال[٤] الحاكم في مستدركه[٥]: تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع إلىٰ

(١) السابق ص ٧٦٨.

(٢) الإتقان ص ٧٨٩ - ٨١٩.

(٣) لم يذكر الزبيدي شيئًا من ذلك في آخر الباب ولا في أي موضع آخر من الكتاب، وكأنه نسي ما وعد به.

(٤) السابق ص ٧٦٨.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٥ وعبارته: «اتفق الشيخان علىٰ أن تفسير الصحابي حديث مسند». وقال في موضع آخر ٢/ ٣١٠: «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند».

النبي ﷺ. وقال أبو الخطاب من الحنابلة: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا إن قوله ليس بحجة. قال ابن تيمية[١]: والصواب ما قاله الحاكم؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي. قال السيوطي في الإتقان: ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح[٢] وغيره من المتأخِّرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه ممَّا لا مدخل للرأي فيه، ثم رأيت الحاكم نفسه صرَّح به في علوم الحديث[٣] فقال: [ومن] الموقوفات تفسير الصحابة، وأمَّا من يقول إن تفسير الصحابة مسند فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول. فقد خصَّص هنا، وعمَّم في المستدرك، فاعتمدوا الأول. انتهىٰ.

(والثاني: أن الصحابة) ﷺ (والمفسِّرين) من بعدهم قد (اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها) إلا بتكلُّفات (وسماعُ جميعها) مع اختلافها (من رسول الله ﷺ مُحالٌ) لكونه ﷺ لا يختلف كلامه (ولو كان) القول (الواحد) منها (مسموعًا) منه ﷺ (لتُرِك الباقي) منها ورُدَّ (فتبيَّنَ علىٰ القطع أن كل مفسِّر قال في المعنىٰ) للفظ القرآن (بما ظهر له باستنباطه) وبحثه واجتهاده فيه (حتىٰ قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها) والحروف التي افتُتِحت بها أوائل السور يجمعها قولُك «نص حكيم له سر قاطع»، وكذا قولك «صراط علىٰ حكمه قسط». وهي أربعة عشر

(١) هذا ليس كلام ابن تيمية، وإنما هو كلام الزركشي في البرهان ٢/ ١٥٧.

(٢) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ٥٠، ونصه: «ما قيل من أن تفسير الصحابي حديث مسند فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي أو نحو ذلك، كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول من أتىٰ امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية. فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل علىٰ إضافة شيء إلىٰ رسول الله ﷺ فمعدودة في الموقوفات».

(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٤٨ - ١٤٩، ونصه: «فأما من يقول إن تفسير الصحابي مسند فإنما يقوله في غير هذا النوع». ثم ذكر حديث جابر، ثم قال: «هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند».

حرفًا، وهي من الأحرُف التسعة والعشرين. روىٰ[١] ابن جرير[٢] وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه [وليس منها حرف إلا وهو في آلائه وبلائه] وليس منها حرف إلا وهو في مدَّة أقوام وآجالهم.

ثم إن أوائل السور من المتشابه، والمختار فيها أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالىٰ.

روىٰ ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سُئل عن فواتح السور، فقال: إن لكل كتاب سرًّا، وإن سر هذا القرآن فواتح السور[٣].

وخاض في معناه قوم آخرون فذكروا فيه أكثر من عشرين قولاً:

الأول: أنها حروف مقطَّعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالىٰ، والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية، قال الشاعر:

قلتُ لها قِفي فقالت قافْ[٤]

أي وقفتُ. وهذا القول اختاره الزجَّاج[٥].

---

(١) الإتقان ص ٤٣٦ - ٤٤٣.

(٢) جامع البيان ١/ ٢٠٩ عن الربيع بن أنس، وليس عن أبي العالية.

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل ١/ ٥٨ والواحدي في التفسير الوسيط ١/ ٧٥، وفيهما أن السائل هو داود بن أبي هند. وزادا في آخره: فدعها وسل عما سوىٰ ذلك.

(٤) قال الرضي الأستراباذي في شرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٢٧١ (ط - دار الكتب العلمية): «هذا أول رجز للوليد بن عقبة بن أبي معيط، أورد بقيته أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني في ترجمته قال: لما شُهد علىٰ الوليد بن عقبة عن عثمان بن عفان بشرب الخمر وكتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يوما يسوق بهم فقال يرتجز:

قلت لها قفي فقالت قاف ... لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف

والنشوات من معتق صاف ... وعزف قينات علينا عْزَّاف

فقال له عدي: إلىٰ أين تذهب بنا؟ أقم». والخبر في الأغاني ٥/ ٨٧.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٦٢، ونصه: «والذي أختاره من الأقوال التي قيلت في قوله عَزَّوَجَلَّ (الم) =

الثاني: أنها الاسم الأعظم؛ نقله ابن عطية[١]. وقد رواه ابن جرير[٢] بسند صحيح عن ابن مسعود. وروىٰ ابن أبي حاتم عن السُّدِّي قال: بلغني عن ابن عباس قال: «الم» اسم من أسماء الله الأعظم.

الثالث: أنها أقسام أقسم الله بها، وهذا القول قد رواه ابن جرير[٣] من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. ويصلُح أن يكون هذا القول من [القول] الأول؛ لأن القَسَم لا يكون إلا بأسماء الله، فهي برُمَّتها أسماء لله تعالىٰ، وعليه مشىٰ ابن عطية، أو من القول الثاني.

الرابع: أنها أسماء للقرآن كالفُرقان والذِّكر، وهذا قد رواه عبد الرزاق[٤] عن قتادة. ورواه ابن أبي حاتم[٥] بلفظ: كل هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أنها أسماء للسور؛ نقله الماوردي[٦] عن زيد بن أسلم، وعزاه صاحب الكشَّاف[٧] إلىٰ الأكثر.

السادس: أنها فواتح السور افتتح الله بها القرآن. رواه ابن جرير[٨] من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد. ورواه أبو الشيخ من طريق ابن جُرَيج عنه.

= بعض ما يروىٰ عن ابن عباس وهو أن المعنىٰ: أنا الله أعلم، وأن كل حرف منها لها تفسيره، والدليل علىٰ ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به علىٰ الكلمة التي هو منها».

(١) في المحرر الوجيز ص ٤٩ عن علي وابن عباس.

(٢) جامع البيان ١/ ٢٠٦. وروىٰ أيضا أثر السدي الذي بعده عن شعبة قال: سألت السدي عن «حم» و«طسم» و«الم» فقال: قال ابن عباس: هي اسم الله الأعظم.

(٣) السابق ١/ ٢٠٧، وزاد: وهو من أسماء الله.

(٤) ذكر عبد الرزاق ذلك في تفسيره عن قتادة في أول كل سورة بها حروف مقطعة.

(٥) وكذلك الطبري في جامع البيان ١٩/ ٣٩٩.

(٦) النكت والعيون ١/ ٦٣. ورواه عنه أيضا الطبري في جامع البيان ١/ ٢٠٦.

(٧) الكشاف للزمخشري ١/ ١٢٩.

(٨) جامع البيان ١/ ٢٠٥.

السابع: أنها حساب «أبي جاد»؛ لتدلَّ على مدة هذه الأمَّة، قال الخويي: وقد استخرج بعض الأئمَّة من قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ [الروم: ١ - ٢] أن البيت المقدَّس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ووقع كما قال.

وقال السهيلي[1]: لعلَّ عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرَّر للإشارة إلىٰ مدَّة بقاء هذه الأمَّة.

قال الحافظ ابن حجر[2]: وهذا باطل لا يُعتمَد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عدِّ «أبي جاد»، والإشارة إلىٰ أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصل له في الشريعة.

فهذه سبعة أقاويل، وقد زِيدَ علىٰ ذلك، فقال بعضهم: هي تنبيهات كـ «يا» في النداء، عدَّه ابن عطية[3] مغايرًا للقول بأنها فواتح.

قال السيوطي: والظاهر أنه بمعناه.

وقال الخويي: القول بأنها تنبيهات جيد؛ لأن القرآن كلام عزيز، وفوائده عزيزة، فينبغي أن يَرِد علىٰ سمع متنبِّه، فكان من الجائز أن يكون الله قد علم في بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالَم البشر مشغولًا، فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله «الم» و«حم»؛ ليسمع النبي ﷺ صوت جبريل فيُقبِل عليه ويصغي إليه. قال: وإنما لم تُستعمَل الكلمات المشهورة في التنبيه كـ «ألا» و«أما» لأنها من الألفاظ التي تعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلامَ، فناسب أن يؤتَىٰ فيه بألفاظ تنبيه لم تُعهَد؛ لتكون أبلغ في قرع سمعه. ا.هـ.

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي ٤/ ٤١٨ - ٤٢٢.

(٢) فتح الباري ١١/ ٣٥٩.

(٣) المحرر الوجيز ص ٥٠.

وقيل[١]: إن العرب [كانوا] إذا سمعوا القرآن لَغَوا فيه، فأنزل الله تعالىٰ هذا النظم البديع ليعجبوا منه، ويكون تعجُّبهم منه سببًا لاستماعهم له، واستماعهم له سببًا لاستماع ما بعده، فترقُّ القلوب وتلين الأفئدة. وقد عدَّ جماعة هذا قولاً مستقلاًّ، والظاهر خلافه، وإنما هذا مناسبته لبعض الأقوال لا قولًا في معناها؛ إذ ليس فيه بيان معنىٰ.

وقيل: إن هذه الحروف ذُكرت لتدلَّ علىٰ أن القرآن مؤلَّف من الحروف التي هي «أ ب ت ث»، فجاء بعضها مقطوعًا، وجاء تمامها مؤلَّفًا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها، فيكون ذلك تقريعًا لهم ودلالة علىٰ عجزهم أن يأتوا بمثله بعد أن عَلِموا أنه منزَّل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها.

وقيل: إن المقصود بها الإعلام بالحروف التي يتركَّب منها الكلام، فذكر منها أربعة عشر حرفًا، وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه، فمن حروف الحلق: الحاء والعين والهاء، ومن التي فوقها: القاف والكاف، ومن الحرفين الشفهيين: الميم، ومن المهموسة: السين والحاء والكاف والصاد والهاء، ومن الشديدة: الهمزة والطاء والقاف والكاف، ومن المطبقة: الطاء والصاد، ومن المجهورة: الهمزة واللام والميم والعين والراء والطاء والياء والقاف والنون، ومن المنفتحة: الهمزة والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية: القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة: الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن القلقلة: القاف والطاء. ثم إنه تعالىٰ ذكر حروفًا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة؛ لأن تراكيب الكلام علىٰ هذا النمط، ولا زيادة علىٰ الخمسة.

---

(١) هذا القول والذي بعده ذكرهما ابن فارس في كتاب الصاحبي في فقه اللغة ص ٨٥ (ط - دار الكتب العلمية).

وقيل[١]: أمارة جعلها الله تعالىٰ لأهل الكتاب أنه سينزل علىٰ محمد ﷺ كتابًا في أول سور منه حروف مقطَّعة.

هذا ما وقفتُ عليه من الأقوال في أوائل السور من حيث الجملة، وفي بعضها أقوال [أُخَر] (فقيل: إن الر) من الرحمن، رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب القُرَظي. وروىٰ ابن أبي حاتم[٢] من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: «الر» و«حم» و«ن» (**هي حروف من الرحمن**) مفرَّقة (**وقيل: إن الألف الله، واللام لطيف، والراء رحيم**) فكأنَّه يقول: أنا الله اللطيف الرحيم (**وقيل: غير ذلك**) منها ما رواه ابن أبي حاتم[٣] من طريق أبي الضحىٰ عن ابن عباس قال: قوله «الر» معناه: أنا الله أرىٰ.

وهذه الأقوال كلُّها راجعة إلي قولٍ واحدٍ تقدَّم ذِكرُه وهو أن فواتح السور حروف مقطَّعة، كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالىٰ.

(**والجمع بين الكل**) من هذه الأقوال (**غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعًا؟!**

والثالث: أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس وقال: اللهم فقِّهْه في الدين وعلِّمْه التأويل) رواه الطبراني[٤] عن ابن عباس ولفظه أنه كان في بيت خالته ميمونة ﵂، فوضع للنبي ﷺ طهورًا، فقال النبي ﷺ: «مَن وضعه»؟ قيل: ابن عباس[٥]. قال: فضرب علىٰ منكبي وقال ... فذكره. وقد تقدَّم في الباب الثالث من كتاب العلم، وقال له أيضًا: «اللهم آتِهِ الحكمةَ». وفي رواية: «اللهم علِّمْه الحكمة».

---

(١) هذا القول ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ص ٥٠، وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ١٥٧.

(٢) وكذلك الطبري في جامع البيان ١٢/ ١٠٤.

(٣) وكذلك الطبري في جامع البيان ١٢/ ١٠٣، والبيهقي في الأسماء والصفات ١/ ٢٣٢.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٣٢٠.

(٥) في المعجم الكبير: «قال ابن عباس: أنا». وما هنا موافق لما في المعجم الأوسط ٤/ ٢٧٢ والمعجم الصغير ١/ ٣٢٨. وفي مسند أحمد ٥/ ١٥٩، ٢١٥ أن ميمونة هي التي أخبرت النبي ﷺ بذلك.

وأخرج أبو نعيم في الحلية[١] عن ابن عمر قال: دعا رسول الله ﷺ لابن عباس فقال: «اللهم بارِكْ فيه وانشر منه».

(فإن كان التأويل مسموعًا كالتنزيل ومحفوظًا مثله فما معنىٰ تخصيصه بذلك)؟ والتأويل هو حمل الظاهر علىٰ المحتمل المرجوح، فإن حُمل لدليل فصحيح أو لِما يُظَنُّ دليلاً ففاسد، أو لا لشيء فلعب لا تأويل. كذا في جمع الجوامع[٢]. وفيه أقوال أُخَر تُذكَر مع التفسير قد تقدَّمت الإشارة إليها في كتاب العلم وفي قواعد العقائد.

(والرابع: أن الله عَزَّوَجَلَّ قال) في كتابه العزيز: (﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾) [النساء: ٨٣] قال البيضاوي[٣]: أي يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم، وقيل: المعنىٰ: لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر، أي يستخرجون علمه من جهتهم، وأصل الاستنباط: إخراج النبط وهو الماء يجتمع في البئر[٤] أول ما يُحفَر **(فأثبت لأهل العلم استنباطًا)** وأنهم يستخرجون من القضايا أمورًا **(ومعلوم أن الاستنباط)** أمر **(وراء السماع)** وإنما هو راجع إلىٰ علمه وفهمه **(وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيالَ)** الذي توهَّموه في عقولهم، وسمَّىٰ صورة ما تصوَّروه خيالاً مجازًا **(فبطل أن يُشترَط السماع في التأويل، وجاز لكل واحد)** ممَّن مكَّنه الله تعالىٰ في علوم القرآن **(أن يستنبط من القرآن)** معاني وأحكامًا **(بقَدْر فهمه)** الذي رُزقه **(وحدِّ عقله)** الذي استكمله بنور البصيرة والإتقان. وقال أبو الحسن الماوردي[٥]: وقد حمل بعضَ المتورِّعة

---

(١) حلية الأولياء ١/ ٣١٥.

(٢) جمع الجوامع للسبكي ص ٥٤.

(٣) أنوار التنزيل ٢/ ٨٧.

(٤) في الأنوار: يخرج من البئر.

(٥) النكت والعيون ١/ ٣٤ - ٣٥، والنقل هنا عن الإتقان ص ٧٦٩.

حديثَ النهي عن تفسير القرآن بالرأي على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهدُ ولم يعارض شواهدَها نصٌّ صريح، وهذا عدول عمَّا تُعُبِّدنا بمعرفته من التفكُّر في القرآن واستنباط الأحكام منه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ ولو صحَّ ما ذهب إليه لم يُعلَم شيء بالاستنباط ولَما فهم [الأكثرون] من كتاب الله شيئًا (**وأمَّا النهي**) عن التفسير (**فإنه**) مع الغرابة في الحديث الوارد فيه (**ينزَّل علىٰ أحد وجهين، أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي**) وفي نسخة: غرض (**وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوَّل القرآن علىٰ وفق رأيه وهواه؛ ليحتجَّ**) به (**علىٰ تصحيح غرضه**) الذي مال إليه هواه (**ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوىٰ لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنىٰ، وهذا تارةً يكون مع العلم**) بقواعد الشرع أصلاً وفرعًا (**كالذي يحتجُّ ببعض آيات القرآن علىٰ تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس ذلك هو المراد بالآية، ولكنه يلبِّس بذلك علىٰ خصمه**) وهذا صنيع الزمخشري في «الكشَّاف»[1]؛ فإنَّ له فيه دسائس اعتزالية نبَّه عليها علماء السنة كابن المنيِّر والتقي السبكي وأبي حيَّان والعَلَم العراقي وغيرهم، فمن ذلك قوله في تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقال[2]: وأيُّ فوز أعظم من هذا؟ أراد به تصحيح بدعته من إنكاره الرؤية، وكقوله في تفسير قول الله تعالىٰ في قصة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] أن[3] «لن» للجحد المؤكَّد. وإنما أراد به نفي الرؤية. وحمل

---

(١) انظر الكلام عن تفسير الكشاف وما أُلِّف حوله في كشف الظنون ٢/ ١٤٧٥ - ١٤٨٤.

(٢) الكشاف ١/ ٦٧٠، ونصه: «فقد فاز: فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يُفاز به، ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد».

(٣) السابق ٢/ ٥٠٤، ونصه: «فإن قلت: ما معنىٰ (لن)؟ قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه (لا)، وذلك أن (لا) تنفي المستقبل، تقول: لا أفعل غدا. فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غدا، والمعنىٰ أن فعله ينافي حاله، فقوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ نفي للرؤية فيما يستقبل، و(لن تراني) تأكيد وبيان؛ لأن المنفي مناف لصفاته».

«ناظرة» في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٣] فقال[١]: أي منتظرة. وغير ذلك من فضائحه التي أدرجها في تضاعيف تفسيره، ولذا منع العلماءُ من تعاطي كتابه، وحذَّروا من مطالعته، حتىٰ صنَّف التقي السبكي في ذلك «الانكفاف عن مطالعة الكشَّاف». وقد جمع السيوطي رحمه الله تعالىٰ مواضع من تفسيره نحو أربعة وعشرين موضعًا في كتاب سماه «الإتحاف»، ونقل كل قول من أقواله وردَّ عليه. وجاء في عصرنا رجل من فضلاء الروم فأجاب عن هذا التأليف، وساعد الزمخشري بعض مساعدة، وقرَّظ عليه بعض علماء العصر، ومنهم من كتب عليه في مواضع كالمساعد له، ولمَّا سِيقَ إليَّ بواسطة حاكم مصر إذ ذاك وأمرني أن أكتب عليه لم يسعني السكوت والمداهنة في دين الله، فكتبت عليه ردًّا علىٰ طريق المحاكمة في كرَّاسين أو ثلاثة وسمَّيته: الإنصاف في المحاكمة بين السيوطي وصاحب الكشَّاف[٢] **(وتارةً يكون مع الجهل)** بأصول الشريعة والعقائد المختلفة

---

(١) السابق ٦/ ٢٧٠، ونصه: «إلىٰ ربها ناظرة: تنظر إلىٰ ربها خاصة، لا تنظر إلىٰ غيره، وهذا معنىٰ تقديم المفعول، ألا ترىٰ إلىٰ قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝﴾ ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝﴾ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝﴾ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝﴾ كيف دل فيها التقديم علىٰ معنىٰ الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلىٰ أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورًا إليه محال، فوجب حمله علىٰ معنىٰ يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلىٰ فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنىٰ التوقع والرجاء. ومنه قول القائل:

وإذا نظـرت إليـك مـن ملـك ... والبحـر دونـك زدتنـي نعمـا

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلىٰ مقائلهم تقول: عيينتي نويظرة إلىٰ الله وإليكم. والمعنىٰ: أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه».

(٢) قال الزبيدي في مقدمة هذا الكتاب: «فقد سرحت بنظري في كتاب الإسعاف الذي صنفه أبو اللطف محمد أفندي وجيه خواجه زاده الذي علقه من الإتحاف، فميز ما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف تأليف الحافظ السيوطي، وهو ما التقطه من كتاب الانتصاف لابن المنير وحواشي=

(ولكن إذا كانت الآية محتملة) وجهين أو أكثر (فيميل) فهمه (إلىٰ الوجه الذي يوافق غرضَه، ويرجِّح ذلك الجانبَ برأيه وهواه، فيكون) حينئذٍ ممَّن (قد فسَّر) القرآن (برأيه) وهواه (أي رأيه هو الذي حمله علىٰ ذلك التفسير، ولولا رأيه) وهواه (لَما كان يترجَّح عنده ذلك الوجه) الذي وافق غرضَه دون الوجوه الأُخَر (وتارةً قد يكون له غرض صحيح) يحسُن الإقدامُ عليه لترتُّب فائدة (فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدل عليه بما يعلم) ويتحقَّق (أنه ما أُريدَ به ذلك، كمن يدعو) الناس (إلىٰ الاستغفار بالأسحار) ويعظِّم أمرَه (فيستدل بقول النبي ﷺ: تسحَّروا؛ فإنَّ في السحور بركة) رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس، ورواه النسائي أيضًا عن أبي هريرة وابن مسعود. وقد تقدَّم في الباب الثالث من كتاب العلم (ويزعم أن المراد به التسحُّر بالذِّكر) أي الذي يذكر الله بالأسحار وينزِّل عليه قولَه تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٧] (وهو يعلم أن المراد به الأكل) في السَّحر، مع ما ورد من تسميته غَداءً في حديث آخر من رواية أبي الدرداء عند الطبراني[١]، وما ورد من حديث أنس عند أبي يعلىٰ[٢]: «تسحَّروا ولو بجرعة من ماء» (وكالذي يدعو إلىٰ مجاهدة القلب القاسي) بالرياضات والمخالفات (فيقول: قال الله تعالىٰ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤، النازعات: ١٧] ويشير إلىٰ قلبه) لأنه تَعْرِض عليه الخطرات والوساوس، والمراد به النفس الأمَّارة (ويومئ إلىٰ أنه) هو (المراد بفرعون) بجامع الطغيان (وهذا الجنس قد يستعمله

= الطيبي والسعد والبحر لأبي حيان والدر المصون لتلميذه السمين الحلبي وغيرها، وذلك بإشارة مخدومه سيدنا حضرة الوزير المعظم المشير المفخم صاحب الجود والكرم ولي النعم أبي النور ملك محمد أمين باشا والي مصر حالًا ...» الخ. ثم قال بعد المقدمة: «وقد سميته: الإنصاف في المحاكمة بين الإسعاف والإتحاف». والحاكم المذكور تولىٰ حكم مصر في الفترة من سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م وحتىٰ سنة ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م في عهد السلطان العثماني محمود الأول.

(١) المعجم الكبير ١٧/ ١٣١ من حديث أبي الدرداء وعتبة بن عبد قالا: قال رسول الله ﷺ: «تسحروا من آخر الليل». وكان يقول: «هو الغداء المبارك».

(٢) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ٨٧.

بعض الوُعَّاظ) والقُصَّاص **(في المقاصد الصحيحة تحسينًا للكلام)** وتزيينًا له **(وترغيبًا للمستمَع)** علىٰ صيغة اسم المفعول، وهو لا ينكر موسىٰ عليه السلام ولا فرعون، ولا أن هذا الخطاب إلىٰ موسىٰ عليه السلام وقد أُمِرَ بذهابه إلىٰ إرشاد فرعون، وقد بالغ بعضُهم فقال: حيث ذُكر فرعون في القرآن فالمراد به النفس الأمَّارة. وقد نُسب هذا القول إلىٰ الشيخ الأكبر قُدِّس سره، وأسلفنا تحقيق ذلك في كتاب العلم وفي قواعد العقائد، فراجعْه. وكقول بعضهم في ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]: ما علىٰ العباد أضر من ربِّهم. ونسبه الذهبي في الميزان[١] إلي صاحب القوت في ترجمته، والظن به جميل إن صحَّ عنه (وهو ممنوع) ومن هذا الجنس قول بعضهم في قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: أي مَن ذل ذي يشفع، أي مَن أذلَّ نفسَه نال مقام الشفاعة، ومنهم من زاد فقال: يشف ع، جعله مركَّبًا من جملتين. وقد سُئل عن ذلك السراج البُلْقيني فأفتىٰ بأن قائله ملحد، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠] قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام في غير موضعه. رواه ابن أبي حاتم[٢]. ولعلَّه يدخل في هذا الجنس ما تقدَّم للمصنِّف في تفسير قوله ﷺ: «اللهم أصلِح الراعي والرعيَّة»: أي القلب والأعضاء. وهذا المعنىٰ وإن كان صحيحًا في نفسه لكنه لم يَرِدْ بذلك تصريحٌ من الشارع، فليُجتنَب **(وقد تستعمله الباطنيَّة في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس)** أي إيقاعهم في الغرور **(ودعوتهم إلىٰ مذهبهم الباطل، فيُنزِلون القرآن علىٰ**

---

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٦٥٥، حيث نقل عن الخطيب البغدادي قوله: «قال لي أبو طاهر العلاف: وعظ أبو طالب المكي ببغداد، وخلط في كلامه، وحُفظ عنه أنه قال: ليس علىٰ المخلوقين أضر من الخالق. فبدعوه وهجروه، فبطل الوعظ». ونص الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ١٥١: «وقال لي أبو طاهر محمد بن علي ابن العلاف: كان أبو طالب المكي من أهل الجبل، ونشأ بمكة، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن ابن سالم، فانتمىٰ إلىٰ مقالته، وقدم بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحُفظ عنه أنه قال: ليس علىٰ المخلوقين أضر من الخالق. فبدعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام علىٰ الناس بعد ذلك».

(٢) ورواه أيضا الطبري في جامع البيان ٢٠/ ٤٤١.

وفق رأيهم) الفاسد **(ومذهبهم)** الباطل **(علىٰ أمور يعلمون قطعًا أنها غير مرادة به)** قال ابن الصلاح في فتاويه(١): وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسِّر أنه قال: صنَّف أبو عبد الرحمن السلمي «حقائق التفسير»، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر. ثم قال: وأنا أقول: إن الظن بمن يوثَق به منهم أنه إذا قال شيئًا من ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة؛ فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن؛ فإنَّ ذلك النظير يُذكَر بالنظير، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك؛ لِما فيه من الإيهام والالتباس.

وقال النسفي في عقائده(٢): النصوص علىٰ ظواهرها، والعدول عنها إلىٰ معانٍ يدَّعيها أهل الباطن إلحاد.

قال السعد في شرحه: سُمِّيت الملاحدة باطنية لادِّعائهم أن النصوص ليست علىٰ ظواهرها، بل لها معانٍ باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدُهم بذلك نفيُ الشريعة بالكلِّية. قال: وأمَّا ما يذهب إليه بعض المحقِّقين من أن النصوص علىٰ ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفيَّة إلىٰ دقائق تُكشَف علىٰ أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان.

وسيأتي لذلك تحقيق في آخر الباب.

(فهذه الفنون أحد وجهَي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوىٰ دون الاجتهاد الصحيح، والرأي يتناول الصحيح والفاسد، والموافق للهوىٰ قد يخصَّص باسم الرأي) وأصل الرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة ظن(٣). فإن كان عن اجتهاد صحيح مطابق لأصول السنَّة

---

(١) فتاوىٰ ابن الصلاح ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص ١٨٩ (ط - مكتبة المثنىٰ ببغداد).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ١٧٣.

فصحيح وإلا ففاسد، فالمذموم المهجور المعيب المنهيُّ عنه في تفسير القرآن هو هذا القِسم دون الصحيح المطابق، وقد أشار إلىٰ ذلك ابنُ عبد البر في آخر كتاب جامع العلم[١].

(والوجه الثاني) من وجهَي النهي: (**أن يسارع إلىٰ تفسير القرآن بظاهر العربية**) بالنظر إلىٰ قواعدها (**من غير استظهار بالسماع والنقل**) المرفوعينِ (**فيما يتعلَّق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة**) والمجملة (**والمبدَلة، وما فيه من**) الإيجاز و(**الاختصار**) والإطناب (**والحذف والإضمار والتقديم والتأخير**) وغير ذلك ممَّا يأتي بيانه (**فمن لم يُحكِم ظاهرَ التفسير**) المعبَّر عنه بترجمة الألفاظ علىٰ قواعد لغة العرب (**وبادر إلىٰ استنباط المعاني بمجرَّد فهمِ العربية**) أي قواعدها (**كثُر غلطُه**) وبان سقطُه (**ودخل في زُمرة من يفسِّر بالرأي**) وهوىٰ النفس (**فالنقل والسماع**) المرفوعان (**لا بدَّ منه في ظاهر التفسير أولاً ليتَّقي به مواضع الغلط**) ويأمن به غوائلَ المخالَفة (**ثم بعد ذلك يتَّسع الفهم**) بقوة نور الإيمان وضعفه (**و**) يهتدي بذلك إلىٰ (**الاستنباط**) في المعاني والأحكام (**والغرائب**) القرآنية (**التي لا تُفهَم إلا بالسماع**) من حضرة النبوَّة (**فنون**) أي أنواع (**كثيرة، ونحن نرمز**) أي نشير (**إلىٰ جُمَل منها يُستدَل بها علىٰ أمثالها**) ونظائرها، فيُحمَل النظير منها علىٰ النظير (**ويُعلَم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر**) منها (**أولاً و**) من القطع أنه (**لا مَطمع في الوصول إلىٰ**) العلم (**الباطن قبل إحكام**) العلم (**الظاهر، ومَن ادَّعىٰ فهم أسرار القرآن**) ومعانيه وجواهره ودُرَره (**ولم يُحكِم التفسيرَ الظاهر**) منه (**فهو كمَن يدَّعي البلوغَ إلىٰ صدر البيت**) وهو الموضع المرتفع منه (**قبل مجاوزة الباب، أو**) مثل من (**يدَّعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم**) مقاصد (**لغة الترك**) وأصولها التي بُنيت عليها (**فإنَّ ظاهر التفسير يجري مَجرىٰ تعلُّم اللغة التي لا بدَّ منها للفهم**) ولنَسُقْ هنا من كلام الأئمَّة في هذا المبحث بابًا جامعًا يحتوي علىٰ

(١) جامع بيان العلم وفضله ١١٩٩ - ١٢٠٤.

كلامهم، ويقع إيضاحًا لِما ساقه المصنِّف، وتفصيلاً لِما أفهمه، مع ذِكر مناسبات ونظائر لِما أورده، فمن ذلك الكلام علىٰ تفسيره وتأويله، والحاجة إليه، وشرفه، ومعرفة شروط المفسِّر وآدابه، وبيان العلوم التي يحتاج إليها المفسِّر في تفسيره، وذِكر غرائب التفسير، كل ذلك بتلخيص واختصار.

أمَّا[1] التفسير فهو [تفعيل] من الفَسْر وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السفْر، أو هو من التفسِرة: اسم لِما يعرف به الطبيبُ المرضَ. هكذا قالوا، والأشبه أن يكون الأمر بعكس ذلك فتكون التفسرة مأخوذة من الفَسْر. وأمَّا التأويل فمن الأَوْل وهو الرجوع، فكأنَّه صرف الآية إلىٰ ما تحتمله من المعاني، وقيل: من الإيالة وهي السياسة، كأنَّ المؤوِّل للكلام ساسَ الكلامَ ووضع المعنىٰ فيه موضعه[2].

واختُلف في التفسير والتأويل، فقال أبو عبيد وطائفة: هما بمعنًىٰ. وقد أنكر ذلك قومٌ، حتىٰ بالَغَ ابنُ حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسِّرون لو سُئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه.

وقال الراغب[3]: التفسير أعَمُّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجُمَل، وأكثر ما يُستعمَل في الكتب الإلهيَّة، والتفسير يُستعمَل فيها وفي غيرها.

وقال غيره: التفسير: بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا، والتوجيه: بيان لفظ[4] متوجِّه إلىٰ معانٍ مختلفة إلىٰ واحد منها بما ظهر من الأدلَّة.

---

(١) الإتقان ص ٧٥٨ - ٧٧٦.

(٢) انظر: الكشف والبيان للثعلبي ١/ ٨٦ - ٨٧.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١١ (ط - كلية الآداب بجامعة طنطا).

(٤) كذا هنا، وفي الإتقان: والتأويل توجيه لفظ.

وقال أبو منصور الماتريدي[١]: التفسير: القطع علىٰ أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة علىٰ الله أنه عنىٰ بهذا اللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح وإلا فتفسير بالرأي، وهو المنهيُّ عنه. والتأويل: ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة علىٰ الله.

وقال التغلبي: التفسير: بيان وضع اللفظ إمَّا حقيقةً أو مجازًا، كتفسير الصراط بالطريق، والصيِّب بالمطر. والتأويل: تفسير باطن اللفظ، فهو إخبار عن حقيقة المراد، والتفسير إخبار عن دليل المراد، مثاله قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٤] تفسيره أنه من الرصد وهو الرقب، والمِرْصاد مِفْعال منه، وتأويله: التحذير من التهاون بأمر الله تعالىٰ والغفلة عن الأُهبة والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلَّة تقتضي بيانَ المراد منه علىٰ خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الأصبهاني[٢]: التفسير إمَّا أن يُستعمَل في غريب الألفاظ نحو «البحيرة» و«السائبة» و«الوصيلة»، أو في وجيز يُتبيَّن بشرح، نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟

---

(١) تأويلات أهل السنة ١/ ٣٤٩، ونصه: «الفرق بين التأويل والتفسير هو ما قيل: التفسير للصحابة، والتأويل للفقهاء، ومعنىٰ ذلك أن الصحابة شهدوا المشاهد وعلموا الأمر الذي نزل فيه القرآن، فتفسير الآية أهم لما عاينوا وشهدوا؛ إذ هو حقيقة المراد، وهو كالمشاهدة لا تسمح إلا لمن علم، ومنه قيل: من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. لأنه فيما يفسر يشهد علىٰ الله به. وأما التأويل فهو بيان منتهىٰ الأمر، مأخوذ من آل يؤول، أي يرجع، ومعناه كما قال أبو زيد: لو كان هذا كلام غيره يوجه إلىٰ كذا وكذا من الوجوه، فهو توجيه الكلام إلىٰ ما يتوجه إليه، ولا يقع التشديد في هذا مثل ما يقع في التفسير؛ إذ ليس فيه الشهادة علىٰ الله؛ لأنه لا يخبر عن المراد ولا يقول: أراد الله به كذا أو عني، ولكن يقول: يتوجه هذا إلىٰ كذا وكذا من الوجوه، هذا ما تكلم به البشر والله أعلم ما صحته من الحكمة، ومثاله أن أهل التفسير اختلفوا في قوله تعالىٰ: (الحمد لله) قال بعضهم: إن الله تعالىٰ حمد نفسه، وقال بعضهم: أمر أن يُحمد. فمن قال: عني هذا دون هذا، فهو المفسر له. وأما التأويل فهو أن يقول: يتوجه الحمد إلىٰ الثناء والمدح له وإلىٰ الأمر بالشكر لله عز وجل، والله أعلم بما أراد. فالتفسير ذو وجه واحد، والتأويل ذو وجوه».

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ١١.

ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وإمَّا في كلام متضمِّن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها، كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة: ٣٧] والتأويل يُستعمَل مرَّةً عامًّا ومرَّةً خاصًّا، نحو «الكفر» المستعمَل تارةً في الجحود المطلق وتارةً في جحود الباري خاصةً، والإيمان المستعمَل في التصديق المطلق تارةً وفي تصديق الحق[١] أخرىٰ. وإمَّا في لفظ مشترك بين معانٍ مختلفة، نحو لفظ «وجد» المستعمَل في الجِدَة والوَجْد والوجود.

وقال غيره: التفسير يتعلَّق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدراية.

وقال أبو نصر القُشَيري: التفسير مقصور علىٰ الاتِّباع والسماع، والاستنباط ممَّا يتعلق بالتأويل.

وقال غيره: ما وقع مبيَّنًا في كتاب الله ومعيَّنًا في صحيح السنَّة سُمِّي تفسيرًا؛ لأن معناه قد ظهر ووضح، وليس لأحد أن يتعرَّض إليه باجتهاد ولا غيره، بل يحمله علىٰ المعنىٰ الذي ورد لا يتعدَّاه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالِمون بمعاني الخطاب، الماهرون في آلات العلوم.

وقال أبو حيان[٢]: التفسير: علم يُبحَث فيه عن كيفيَّة النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمَل عليها حالةَ التركيب وتتمَّات لذلك. قال: فقولنا «علم» جنس. وقولنا «يُبحَث فيه عن كيفيَّة النطق بألفاظ القرآن» هو علم القراءة. وقولنا «ومدلولاتها» أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا «وأحكامها الإفرادية والتركيبية» هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع. وقولنا «ومعانيها التي تُحمَل عليها حالةَ التركيب» يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز؛ فإنَّ التركيب قد

(١) في تفسير الراغب: دين الحق.

(٢) البحر المحيط ١/ ١٢١.

يقتضي بظاهره شيئًا ويصدُّ عن الحمل عليه[١] صادٌّ فيُحمَل علىٰ غيره وهو المجاز. وقولنا «وتتمّات لذلك» هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضِّح بعض ما أُبهم في القرآن ونحو ذلك.

وقال الزركشي[٢]: التفسير علمٌ يُفهَم به كتاب الله المنزَّل علىٰ نبيِّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فصل: وأمَّا وجه الحاجة إليه، فاعلمْ أن[٣] القرآن إنما نزل بلسان عربيٍّ في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، وأمَّا دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ، ونحن محتاجون إلىٰ ما كانوا محتاجين إليه وزيادة علىٰ ذلك [ممَّا لم يحتاجوا إليه] من أحكام الظواهر؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلُّم، فنحن أشدُّ الناس احتياجًا إليه، ومعلوم أن تفسير بعضه يكون من قِبَل بسطِ الألفاظ الوجيزة وكشفِ معانيها، وبعضه من قِبَل ترجيح بعض الاحتمالات علىٰ بعض.

وقال الخويي: علم التفسير عسير يسير، أمَّا عُسره فظاهر من وجوه، أظهرُها: أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلىٰ مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها فإنَّ الإنسان يمكن علمُه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممَّن سمع منه، وأمَّا القرآن فتفسيره علىٰ وجه القطع لا يُعلَم إلا بأنْ يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذِّر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يُستنبَط بأمارات ودلائل، والحكمة فيه أن الله تعالىٰ أراد أن يتفكَّر عباده في كتابه، فلم يأمر نبيَّه

(١) يعني علىٰ الظاهر.

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٣ - ١٤.

(٣) هذا تتمة كلام الزركشي في البرهان.

بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

فصل: وأمَّا شرفه فقد تقدَّم بعض الكلام عليه عند قول المصنِّف في تفسير قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٦٩] عن ابن عباس وغيره أنه الفهم في القرآن، وقيل: قراءة القرآن وتدبُّره وقيل: تفسيره، وقيل: المعرفة به.

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مُرَّة قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني؛ لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وأخرج أبو ذرٍّ الهَرَوي في «فضائل القرآن» من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يُحسِن تفسيره كالأعرابي يهذ الشِّعر هذًّا.

وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفاية وأجَلُّ العلوم الثلاثة الشرعية؛ فإنَّ[1] شرف كل علم إمَّا بشرف موضوعه أو بشرف غرضه أو لشدَّة الحاجة إليه، فموضوعه كلام الله تعالى، فأيُّ شرف أشرف منه؟! وأمَّا من جهة الغرض فإنَّ الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأمَّا شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجليٍّ أو آجليٍّ متوقِّف على العلم بكتاب الله تعالى.

فصل في معرفة شروط المفسِّر: قالوا[2]: من أراد تفسير القرآن طلبه أولاً منه، فما أُجمِل منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر، فإن أعياه ذلك طلبه من السنَّة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضِّحة له، فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرَى بذلك؛ لِما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولِما اختُصُّوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

---

(١) من هنا إلى قوله (التي لا تفنى) عن تفسير الراغب الأصفهاني ١/ ٣٦ باختصار.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٩٣ - ٩٥ (تحقيق: عدنان زرزور).

وقال الطبري[١] في أوائل تفسيره: من شرط المفسِّر صحة الاعتقاد أولاً ولزوم السنَّة، فإن كان مغموصًا عليه في دينه فلا يؤتمَن علىٰ إخباره عن أسرار الله تعالىٰ؛ ولأنه لا يؤمَن إن كان متَّهَمًا بالإلحاد أن يبغي الفتنةَ ويغرَّ الناس بخداعه، كدأب الباطنية وغُلاة الرافضة، وإن كان متَّهَمًا بهوًىٰ لم يؤمَن أن يحمله الهوىٰ علىٰ ما يوافق بدعته، كدأب القَدَرية؛ فإنَّ أحدهم يصنِّف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الإيضاع خلال المساكين؛ ليصدَّهم عن اتِّباع السلف ولزوم طريق الهدىٰ. ويجب أن يكون اعتماده علىٰ النقل عن النبي ﷺ وعن أصحابه ومَن عاصرهم، وإن تعارضت أقوالهم وأمكن الجمعُ بينها فعل، نحو أن يتكلم علىٰ «الصراط المستقيم» وأقوالهم فيه ترجع إلىٰ شيء واحد، فيأخذ منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السنَّة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأيُّ هذه الأقوال أفرده كان محسنًا. وإن تعارضت الأدلَّة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه، فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجَّم علىٰ تعيينه، ثم إنه ينزله منزلة المُجمَل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه، وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئًا من عدَّة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام؛ فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إمَّا حقيقةً أو مجازًا فتأويله تعطيله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب ألَّفه في هذا النوع[٢]: يجب أن يُعلَم أن النبي ﷺ بيَّن لأصحابه معاني القرآن كما بيَّن لهم ألفاظه، فقوله تعالىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وكانوا إذا تعلَّموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يعلموا ما فيها من العلم والعمل، رُوي ذلك عن عثمان وابن مسعود ﷺ، قالوا: فتعلَّمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا. ولهذا [كانوا] يبقون مدةً في حفظ السورة، وذلك لأن الله تعالىٰ قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ

---

(١) في الإتقان: أبو طالب الطبري. وهو غير ابن جرير الطبري الإمام المشهور.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥ - ٩٣.

لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء: ٨٢، محمد: ٢٤] وتدبُّر الكلام بدون فهمِ معانيه لا يمكن، ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جدًّا، وبين التابعين كذلك بالنسبة إلىٰ مَن بعدهم، ومن التابعين مَن تلقَّىٰ جميعَ التفسير عن الصحابة، وربما تكلَّموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصحُّ عنهم من الخلاف يرجع إلىٰ اختلاف تنوُّعٍ لا اختلاف تضادٍّ، وذلك صنفان، أحدهما: أن يعبِّر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدلُّ علىٰ معنىٰ في المسمَّىٰ غير المعنىٰ الآخَر مع اتحاد المسمَّىٰ، كتفسيرهم «الصراط المستقيم» باتِّباع القرآن أو بدين الإسلام، فالقولان متَّفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتِّباع القرآن، ولكن كل منهما إنما نبَّهَ علىٰ وصف غير الوصف الآخر، وكذلك قول من قال: هو السنَّة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبوديَّة، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله، وأمثال ذلك، فهؤلاء كلُّهم أشاروا إلىٰ ذات واحدة لكن وصفها كلٌّ [منهم] بصفة من صفاتها. الثاني: أن يذكر كلٌّ منهم من الاسم العامِّ بعضَ أنواعه علىٰ سبيل التمثيل وتنبيه المستمع علىٰ النوع لا علىٰ سبيل الحدِّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه، ومثاله ما نُقل في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢] فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيِّع للواجبات والمنتهك للحرمات، والمقتصد يتناول فاعلَ الواجبات وتارك المحرَّمات، والسابق يدخل فيه مَن سبق فتقرَّب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون هم أصحاب اليمين، والسابقون السابقون أولئك المقرَّبون. ثم إن كلاًّ منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه هو الذي يؤخِّر العصر إلىٰ الاصفرار. أو يقول: السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدِّي الزكاة المفروضة فقط، والظالم مانع الزكاة. وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوُّع التفسير تارةً لتنوُّع الأسماء والصفات، وتارةً لِذكر بعض أنواع المسمَّىٰ، هذا هو الغالب في تفسير سلف الأمَّة

الذي يُظَن أنه مختلف. ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين، إمَّا لكونه مشتركًا في اللغة كلفظ «القسورة» الذي يُراد به الرامي ويراد به الأسد، ولفظ «عسعس» الذي يراد به إقبال الليل وإدباره. وإمَّا لكونه متواطئًا في الأصل لكنَّ المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين، كالضمائر في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝﴾ الآية [النجم:٨] ولفظ الفجر والشفع والوتر وليالٍ عشر، وأشباه ذلك، فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول إمَّا لكون الآية نزلت مرَّتين فأريدَ بها هذا تارةً وهذا تارةً، وإمَّا لكون اللفظ المشترَك يجوز أن يُراد به معنياه، وإمَّا لكون اللفظ متواطئًا فيكون عامًّا إذا لم يكن لتخصيصه موجِب، فهذا النوع إذا صحَّ فيه القولان كان من الصنف الثاني. ومن الأقوال الموجودة عنهم - ويجعلها بعض الناس اختلافًا - أن يعبِّروا عن المعاني بألفاظ متقاربة، كما إذا فسَّر بعضُهم «تُبسَل» بـ: تُحبَس، وبعضُهم بـ: تُرتَهَن؛ لأن كلاً منهما قريب من الآخر. ثم قال: والاختلاف في التفسير علىٰ نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يُعلَم بغير ذلك. والمنقول إمَّا عن المعصوم أو غيره. ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك، وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من سقيمه عامَّته ممَّا لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلىٰ معرفته، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وفي اسمه، وفي البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، وفي قَدْر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحًا عن النبي ﷺ قُبِلَ، وما لا بأنْ نُقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وُقِفَ عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نُقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتىٰ اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حُجَّة علىٰ بعض، وما نُقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحًا فالنفس إليه أسكنُ ممَّا نُقل عن التابعين؛ لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض مَن سمعه منه أقوىٰ، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقلُّ من نقل التابعين، ومع جزم الصحابي بما يقوله

كيف يقال إنه أخذه عن أهل الكتاب وقد نُهوا عن تصديقهم؟! وأمَّا القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثيرًا، ولله الحمد. وأمَّا ما يُعلَم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان؛ فإنَّ التفاسير التي يُذكَر فيها كلام هؤلاء صِرْفًا لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبد الرزاق والفِرْيابي ووكيع وعبد ابن حميد وإسحاق بن راهويه وأمثالهم، أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، والثاني: [قوم] فسَّروا القرآن بمجرَّد ما يسوغ أن يريده مَن كان من الناطقين بلغة العرب [بكلامه] من غير نظر إلىٰ المتكلم بالقرآن والمنزَّل عليه والمخاطَب به، فالأوَّلون راعوا المعنىٰ الذي رأوه من غير نظر إلىٰ ما تستحقُّه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرَّد اللفظ لذلك المعنىٰ في اللغة من غير نظر[1] إلىٰ ما يصلُح للمتكلم وسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيرًا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنىٰ في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأوَّلين كثيرًا ما يغلطون في صحة المعنىٰ الذي فسَّروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظرُ الأوَّلين إلىٰ المعنىٰ أسبق [ونظر الآخرين إلىٰ اللفظ أسبق] والأوَّلون صنفان: تارةً يسلبون لفظ القرآن ما دلَّ عليه وأريدَ به، وتارةً يحملونه علىٰ ما لم يدلَّ عليه ولم يُرَدْ به وفي كلا الامرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنىٰ باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقًّا فيكون خطؤهم فيه في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البِدَع اعتقدوا مذاهب باطلة، وعمدوا إلىٰ القرآن فتأوَّلوه علىٰ رأيهم، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وقد صنَّفوا تفاسير علىٰ أصول مذاهبهم، مثل تفسير عبد الرحمن بن كَيْسان الأصم والجُبَّائي وعبد الجبار والزمخشري وأمثالهم، ومن هؤلاء مَن يكون حَسن العبارة يدسُّ البِدَعَ في كلامه،

---

(١) في الإتقان ومقدمة ابن تيمية: راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر ... الخ.

وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب «الكشَّاف» ونحوه، حتىٰ إنه يروج علىٰ خَلْق كثير من أهل السنَّة كثيرٌ من تفاسيرهم الباطلة. وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبعُ للسنَّة وأسلم من البدعة، ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم علىٰ وجهه لكان أحسن؛ فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجَلِّ التفاسير وأعظمها قَدْرًا، ثم إنه يَدَعُ ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحقِّقين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرَّروا أصولهم بطرق من جنس ما قرَّرت به المعتزلةُ أصولَهم، وإن كانوا أقرب إلىٰ السنَّة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يُعطَىٰ كل ذي حقٍّ حقه؛ فإنَّ الصحابة والتابعين والأئمَّة إذا كان لهم في الآية تفسير[١] وجاء قوم فسَّروا الآية بقولٍ آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركًا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة، مَن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلىٰ ما يخالف ذلك كان مخطئًا في ذلك، بل مبتدعًا؛ لأنهم كانوا أعلم به وبتفسيره وبمعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسولَه ﷺ. وأمَّا الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول فمثل كثير من الصوفية والوُعَّاظ والفقهاء يفسِّرون القرآن بمعانٍ صحيحة في نفسها لكن القرآن لا يدل عليها، مثل كثير ممَّا ذكره السُّلَمي في الحقائق، فإن كان فيما ذكروه معانٍ باطلة دخل في القسم الأول. والله أعلم. ا.هـ. كلام ابن تيمية ملخَّصًا، وهو نفيس جدًّا.

فصل: وقال الزركشي في البرهان[٢]: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمَّهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم[٣]، لكن يجب الحذر

---

(١) في مقدمة ابن تيمية: إذا كان لهم في تفسير الآية قول.
(٢) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٥٦ - ١٦٢.
(٣) في البرهان: الأول.

من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاث [كتب] لا أصل لها: المغازي والملاحم والتفسير. قال المحقِّقون من أصحابه: مراده أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متَّصلة وإلا فقد صحَّ من ذلك بعضه وهو قليل(١).

الثاني: الأخذ بقول الصحابي؛ فإنَّ تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع، كما قاله الحاكم في مستدركه(٢). وفي الرجوع إلىٰ قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل من أصحابه(٣) المنع، وحكوه عن شعبة، لكنَّ عمل المفسرين علىٰ خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالَهم؛ لأن غالبها تلقَّوها عن الصحابة، وربما تُحكَىٰ عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن مَن لا فهم عنده أن ذلك اختلاف محقَّق فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك، بل يكون كل واحد [منهم] ذكر معنىٰ [ظهر] من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره والآخَر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلىٰ معنًىٰ واحد غالبًا، فإن لم يمكن الجمع فالمتأخِّر من القولين عن الشخص [الواحد] يقدَّم إن استويا في الصحة عنه، وإلا فالصحيح المقدَّم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة؛ فإنَّ القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة، ونصَّ عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سُئل عن القرآن يمثِّل له الرجل ببيت من الشِّعر، فقال: ما يعجبني. فقيل: ظاهره المنع،

---

(١) في البرهان: وإلا فقد صح من ذلك كثير. وعقب السيوطي علىٰ ذلك بقوله: «الذي صح من ذلك قليل جدًا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلة».

(٢) تقدم كلام الحاكم في ذلك وأنه ينقل ذلك عن البخاري ومسلم.

(٣) (من أصحابه) زيادة من الزبيدي للتوضيح وليست في البرهان ولا الإتقان. وقد وقع محقق كتاب البرهان في خطأ عجيب؛ فإنه علق علىٰ قول الزركشي (واختار ابن عقيل) بقوله: هو عبد الله بن محمد بن عقيل، ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة. وإنما المقصود هنا الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة بالعراق في عصره، المتوفىٰ سنة ٥١٣.

ولهذا قال بعضهم: في جواز تفسير القرآن بمقتضىٰ اللغة روايتان عن أحمد، وقيل: الكراهة تُحمَل علىٰ مَن صرف الآية عن ظاهرها إلىٰ معانٍ خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا توجد غالبًا إلا في الشِّعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها. وروىٰ البيهقي في الشُّعَب[1] عن مالك قال: لا أوتَىٰ برجل غير عالِم بلغة العرب يفسر كلام الله[2] إلا جعلتُه نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضَىٰ من معنىٰ الكلام[3]، وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس فقال: «اللهم فقِّهْه في الدين وعلِّمْه التأويل»، والذي عناه عليٌّ بقوله: إلا فهمًا يؤتاه الرجل في القرآن. ومن هنا اختلف الصحابة في معنىٰ الآية، فأخذ كل [واحد] برأيه علىٰ مقتضَىٰ نظره[4]، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرَّد الرأي والاجتهاد من غير أصل، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٩] وقال ﷺ: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». رواه أبو داود والترمذي والنسائي. قال البيهقي[5]: هذا الحديث إن صحَّ - والله أعلم - فالمراد به الرأي الذي يغلُب من غير دليل، وأمَّا الذي يشدُّه[6] برهان فالقول به[7] جائز. وقال في المدخل: في هذا الحديث نظرٌ، وإن صحَّ فإنما أراد به - والله أعلم -: فقد أخطأ الطريق، فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلىٰ أهل اللغة، وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلىٰ بيانه إلىٰ أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدَّوا إلينا من

---

(١) شعب الإيمان ٣/ ٥٤٣.

(٢) في البرهان والإتقان: كتاب الله. وفي الشعب: يفسر ذلك.

(٣) بعده في البرهان والإتقان: والمقتضب من قوة الشرع.

(٤) في الإتقان: منتهىٰ نظره. وفي البرهان: علىٰ مقتضىٰ نظره في المقتضىٰ.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ٥٤٠.

(٦) في البرهان والإتقان: يسنده.

(٧) في البرهان والشعب: فالحكم به في النوازل.

السنن ما يكون بيانًا لكتاب الله، فما ورد بيانُه عن صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة مَن بعده، وما لم يَرِدْ عنه بيانُه ففيه حينئذٍ فكرة أهل العلم بعده؛ ليستدلُّوا بما ورد بيانُه علىٰ ما لم يَرِدْ. قال: وقد يكون المراد به: من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه، فتكون موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة. ا.هـ. كلام الزركشي.

وقال الماوَرْدي[1] : الحديث إن صحَّ فتأويله أن مَن تكلم في القرآن بمجرَّد رأيه ولم يعرِّج علىٰ سوىٰ لفظه وأصاب الحقَّ فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق؛ إذ الفرض أنه مجرَّد رأي لا شاهد له، وفي الحديث: «القرآن ذَلُول ذو وجوه، فاحمِلوه علىٰ أحسن وجوهه». أخرجه أبو نعيم وغيره[2] من حديث ابن عباس. فقوله «ذلول» يحتمل وجهين، أحدهما: أنه مطيع لحامليه، تنطق به ألسنتهم. والثاني: أنه موضِّح لمعانيه حتىٰ لا تقصُر عنه أفهام المجتهدين. وقوله «ذو وجوه» يحتمل معنيين، أحدهما: أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهًا من التأويل. والثاني: أنه قد جمع وجوهًا من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم. وقوله «فاحملوه علىٰ أحسن وجوهه» يحتمل معنيين، أحدهما: الحمل علىٰ أحسن معانيه، والثاني: أحسن ما فيه من العزائم دون الرُّخَص، والعفو دون الانتقام. وفيه دلالة ظاهرة علىٰ جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله.

وقال أبو الليث[3]: النهي إنما انصرف إلىٰ المتشابه منه لا إلىٰ جميعه، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٧] لأن القرآن إنما نزل حُجَّة علىٰ الخَلْق، فلو لم يَجُز التفسيرُ لم تكن الحُجَّة بالغةً، فإذا كان كذلك جاز لمَن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره، وأما مَن لم يعرف

---

(١) النكت والعيون ١/ ٣٥ - ٣٦.

(٢) أخرجه الدارقطني في سننه ٥/ ٢٥٥.

(٣) بستان العارفين ص ٥٠ (ط - المطبعة اليوسفية بمصر).

وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع، ويكون ذلك علىٰ وجه الحكاية لا علىٰ وجه التفسير، ولو أنه يعلم التفسير فأراد أن يستخرج من الآية حكمًا أو دليلاً للحكم فلا بأس به، ولو قال: المراد [من الآية] كذا، من غير أن يسمع فيه شيئًا فلا يحل، وهو الذي نُهي عنه.

وقال ابن الأنباري[1] في الحديث الأول: حمله بعض أهل العلم علىٰ أن الرأي معنيٌّ به الهوىٰ، فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمَّة الدين وأصاب فقد أخطأ؛ لحكمه علىٰ القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف علىٰ مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.

وقال في الحديث الثاني وهو الذي أورده المصنِّف: له معنيان، أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرِّض لسخط الله. والثاني، وهو الصحيح: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوَّأ مقعده من النار.

وقال البَغَوي[2] والكواشي وغيرهما: التأويل: صرفُ الآية إلىٰ معنًىٰ يوافق ما قبلها وما بعدها تحتمله الآي، غير مخالف للكتاب والسنَّة من طريق الاستنباط غير محظور علىٰ العلماء بالتفسير، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] قيل: شبابًا وشيوخًا، وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: عُزَّابًا ومتأهِّلين، وقيل: نشاطًا وغير نشاط، وقيل: أصحَّاء ومرضىٰ. وكل ذلك سائغ، والآية تحتمله. وأمَّا التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور؛ لأنه تأويل الجاهلين، مثل تأويل الروافض ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: ١٩] أنهما علي وفاطمة ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن: ٢٢] يعني الحسن والحسين.

(١) في كتاب الرد علىٰ من خالف مصحف عثمان. كما ذكره القرطبي في تفسيره ١/ ٥٧.

(٢) معالم التنزيل ١/ ٤٦، ٤/ ٥٣ - ٥٤.

فصل في بيان العلوم التي يحتاج المفسر إليها في تفسيره: وهي خمسة عشر علمًا:

أحدها: اللغة؛ لأن بها يُعرَف شرح مفردات الألفاظ [ومدلولاتها] بحسب الوضع. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب. ولا يكفي في حقِّه معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر.

الثاني: النحو؛ لأن المعنىٰ يتغيَّر ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بدَّ من اعتباره. روىٰ أبو عبيد(١) عن الحسن أنه سُئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حُسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال: حَسن تعلُّمها؛ فإنَّ الرجل يقرأ الآية فيبغي توجيهها(٢) فيهلك فيها.

الثالث: التصريف؛ لأن به تُعرَف الأبنية والصِّيَغ. قال ابن فارس(٣): ومَن فاته علمُه فاته المُعظَم. وقال الزمخشري(٤): من بِدَع التفاسير قول من قال إن الإمام في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] جمع أم، وأن الناس يُدعَون يوم القيامة بأمَّهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلطٌ أوجبه جهلُه بالتصريف؛ فإنَّ أُمًّا لا تُجمَع علىٰ إمام(٥).

الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادَّتين مختلفين اختلف

---

(١) فضائل القرآن ص ٣٥٠.

(٢) في الإتقان والفضائل: فيعيا بوجهها.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة ص ١٤٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٥٣٧.

(٥) الذي في الكشاف بعد قوله (بأمهاتهم): «وأن الحكمة في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسىٰ عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين، وألا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظة أم بهاء حكمته»؟!

المعنىٰ باختلافهما، كالمسيح هل هو من السياحة أو من المسح.

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع؛ لأنه يُعرَف بالأول [خواص] تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنىٰ، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام. وهذه العلوم الثلاثة من علوم البلاغة، وهي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه لا بدَّ له من مراعاة ما يقتضيه الإعجازُ، وإنما يُدرَك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات؛ لأن به تُعرَف كيفيَّة النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجَّح بعض الوجوه المحتمَلة علىٰ بعض.

التاسع: أصول الدين؛ لِما في القرآن من الآيات الدالَّة بظاهرها علىٰ ما لا يجوز علىٰ الله، فالأصولي يؤوِّل ذلك ويستدل علىٰ ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يُعرَف وجه الاستدلال علىٰ الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: علم أسباب النزول والقصص؛ إذ بسبب النزول يُعرَف معنىٰ الآية المنزَّلة فيه بحسب ما أُنزِلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ؛ ليُعلَم المُحكَم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمَل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة، وهو علم يورثه الله لمَن عمل بما علم، وإليه الإشارة في حديث «مَن عمل بما علم ورَّثه الله علم ما لم يعلم».

قال ابن أبي الدنيا: علوم القرآن وما يُستنبَط منه بحر لا ساحل له. قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها، فمَن فسَّر بدونها كان

مفسرًا بالرأي المنهيِّ عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرًا بالرأي المنهيِّ عنه، وأمَّا الصحابة والتابعون فكان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، وأنهم استفادوا العلوم الأخرىٰ من النبي ﷺ.

قال السيوطي: ولعلَّك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان تحصيله، وليس كما ظننتَ من الإشكال، والطريقُ في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجِبة له من العمل والزهد.

فصل: قال ابن النقيب: جملة ما تحصَّل في معنىٰ حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير [المقرِّر] للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعًا له فيردُّ إليه بأيِّ طريق أمكن وإن كان ضعيفًا.

الرابع: التفسير أن مراد الله كذا علىٰ القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوىٰ.

وقال الزركشي[1]: القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل، وقسم لم يَرِدْ. والأول إمَّا أن يَرِدَ عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رؤوس التابعين، فالأول يُبحَث فيه عن صحة السند، والثاني يُنظَر في تفسير الصحابي، فإن فسَّره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده، أو بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، فحينئذٍ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذَّر قُدِّم ابن عباس؛ لأن النبي ﷺ دعا له فيه، وأمَّا ما ورد عن التابعين فكذلك وإلا

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٧٢.

وجب الاجتهاد، وأمَّا ما لم يَرِد فيه نقلٌ فقليل، وطريق التوصل إلىٰ فهمه النظر إلىٰ المفردات من تلك الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق.

فصل(١) في غرائب التفسير التي لا يحلُّ الاعتماد عليها ولا تُذكَر إلا للتحذير منها: من ذلك قول من قال في ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورىٰ: ١ - ٢] إن الحاء حرب علىٰ معاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدوة مهدي. وحكاه أبو مسلم(٢). ومن ذلك قول من قال: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] أنه قصص القرآن، واستدلَّ بقراءة أبي الجوزاء بضم القاف(٣)، وهو بعيد. ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] أن إبراهيم عليه السلام كان له صديق وصفه بأنه قلبه، أي ليسكن هذا الصديق إلىٰ هذه المشاهدة إذا رآها عيانًا. وهذا بعيد أيضًا. ومن ذلك قول من قال في قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أنه الحب والعشق، وقد حكاه الكواشي في تفسيره. ومن ذلك قول من قال: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾ [الفلق: ٣] أنه الذَّكَر إذا قام. وقد ذكره صاحب القاموس(٤). ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ يعني إبراهيم ﴿نَارًا﴾ أي نورًا وهو محمد ﷺ ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٨٠] أي تقتبسون [الدين] ومن ذلك ما سبق من قول الرافضة في قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أنهما علي وفاطمة، واللؤلؤ والمَرْجان هما الحسن

---

(١) الإتقان ص ٧٨٢. وهذه الغرائب نقلها السيوطي عن كتاب غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة الكرماني ١/ ١١٢، ١٩٦، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢/ ٩٦٧، ١٠٤٧، ١٤١٣.

(٢) أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني، من مفسري المعتزلة، توفي سنة ٣٢٢، له كتاب كبير في التفسير سماه «جامع التأويل». الأعلام للزركلي ٦/ ٥٠.

(٣) الذي في الإتقان: «واستدل بقراءة أبي الجوزاء: ولكم في القَصَص». أي بفتح القاف وحذف الألف. وانظر: البحر المحيط لأبي حيان ٢/ ١٨.

(٤) وعزاه للغزالي وغيره عن ابن عباس. تاج العروس ٤/ ٣٥٦، ٢٦/ ٢٥١.

والحسين. وما أشبهَ ذلك من التفاسير المنكَرة التي لا يحلُّ الاعتمادُ عليها.

ولنرجع إلىٰ شرح كلام المصنف رحمه الله تعالىٰ: (**وما لا بدَّ فيه من السماع فنون كثيرة، منها الإيجاز**) وهو[١] من أعظم أنواع البلاغة، حتىٰ نقل صاحب «سر الفصاحة»[٢] عن بعضهم أنه قال: البلاغة هي الإيجاز والإطناب. ثم إن الإيجاز والاختصار بمعنًىٰ واحد كما يؤخذ من المفتاح[٣]، وصرَّح به الطيبي. وقال بعضهم: الاختصار خاصٌّ بحذف الجمل فقط، بخلاف الإيجاز. وردَّه صاحب «عروس الأفراح»[٤]. والإيجاز قسمان: إيجاز قصر وإيجاز حذف. وإلىٰ الثاني أشار المصنِّف بقوله: (**بالحذف والإضمار**) والأول هو الوجيز بلفظه، الطويل بمعناه. وقال بعضهم[٥]: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلىٰ المعنىٰ أقل من القَدْر المعهود عادةً، وسبب حُسنه أنه يدل علىٰ التمكُّن في الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم». وقال الطيبي في التبيان[٦]: الإيجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام:

أحدها: إيجاز القصر وهو أن يقصر اللفظ علىٰ معناه، مثاله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ [النمل: ٣٠ - ٣١] جمع في أحرُف العنوان والكتابة والحاجة.

---

(١) الإتقان ص ٥٢٨ - ٥٤٨.

(٢) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ص ٥٩ (ط - دار الكتب العلمية) وفيه: «وبهذا أيضا يفسد قول من ادعىٰ أن حدها الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل».

(٣) مفتاح العلوم للسكاكي ص ٤٩٣ - ٤٩٥ (ط - دار الرسالة ببغداد).

(٤) عروس الأفراح بشرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي ٣/ ١٦٩ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «ولا فرق عند السكاكي بين الإيجاز والاختصار كما صرح به الطيبي في شرح المفتاح، وهو صريح لفظ المفتاح، وأما قول بعضهم: أن مراده أن الاختصار في حذف الجمل فقط بخلاف الإيجاز، فليس بشيء».

(٥) هو الزركشي في البرهان ٣/ ٢٢١.

(٦) التبيان في البيان ص ٧٤ - ٧٥.

الثاني: إيجاز التقدير، وهو أن يقدِّر معنًىٰ زائدًا علىٰ المنطوق. وسمَّاه ابن مالك في المصباح[(١)] بالتضييق؛ لأنه نقص من الكلام ما صار لفظُه أضيق من قَدْر معناه، ومثاله قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة: ٢] أي للضالِّين الصائرين بعد الضلال إلىٰ التقوىٰ.

الثالث: الإيجاز الجامع، وهو أن يحتوي اللفظ علىٰ معانٍ متعدِّدة، ومثاله قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ الآية [النحل: ٩٠] وقد تقدَّم ذِكرُها في الباب الأول من هذا الكتاب.

ومن بديع الإيجاز سورة الإخلاص؛ فإنها قد تضمَّنت الردَّ علىٰ نحو أربعين فرقة، وقد أُفردت بالتأليف. وقوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ الآية [هود: ٤٤] أمر فيها ونهىٰ وأخبر ونادىٰ ونعت وسمَّىٰ وأهلك وأبقىٰ وأسعد وأشقىٰ، وقصَّ من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفَّت الأقلام، وقد أُفردت[(٢)] أيضًا بالتأليف[(٣)]. وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ الآية [النمل: ١٨] جمع في هذه الآية أحد عشر جنسًا من الكلام: نادت، وكَنَّتْ، ونبَّهت، وسمَّت، وأمرت، وقصَّت، وحذَّرت، وخصَّت، وعمَّت، وأشارت، وعذرت. فأدَّت خمسة حقوق: حق الله، وحق سليمان، وحقها، وحق رعيتها، وحق جنود سليمان. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٧٩] فإنَّ معناه كثير واللفظ يسير؛ لأن معناه أن الإنسان إذا علم أنه متىٰ قَتل قُتل كان ذلك داعيًا إلىٰ أن لا يقدم علىٰ القتل، فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثيرٌ من قتل الناس بعضهم بعضًا، وكان ارتفاع القتل حياةً لهم. وقد فُضِّلت هذه الجملة علىٰ أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنىٰ وهو قولهم «القتل

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين ابن مالك ص ٧٣ (ط - المطبعة النموذجية).

(٢) يعني بلاغة هذه الآية.

(٣) ذكر منها حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ١٠٩ رسالة لقوام الدين يوسف بن حسن.

أنفَىٰ للقتل» بعشرين وجهًا أو أكثر، وأنكر ابن الأثير هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق[١]. وأمثال ذلك من الآيات الجامعة في القرآن كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.

تنبيهات:

الأول: ذكر قدامة[٢] من أنواع البديع: الإشارة، وفسَّرها بالإتيان بكلام قليل ذي معانٍ جَمَّة. وهذا هو إيجاز القصر بعينه، لكن فرَّق بينهما ابن أبي الأصبع بأن الإيجاز دلالته مطابقة، ودلالة الإشارة إمَّا تضمُّن أو التزام.

الثاني: من[٣] الإيجاز نوع يسمَّىٰ: التضمين، وهو حصول معنىٰ في لفظ من غير ذِكر له باسم [أو صفة] هو عبارة عنه، وهو نوعان، أحدهما: ما يُفهَم من البنية، كقوله «معلوم»؛ فإنه يوجب أنه لا بدَّ من عالِم. والثاني: في معنىٰ العبارة، كالبسملة؛

---

(١) قال ضياء الدين ابن الأثير في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ١٢٥ (ط - عيسىٰ البابي الحلبي): «الإيجاز بالقصر هو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرىٰ مثلها وفي عدتها، وهو أعلىٰ طبقات الإيجاز مكانا، وأعوزها إمكانا، وإذا وُجد في كلام بعض البلغاء فإنما يوجد شاذا نادرا. فمن ذلك ما ورد في القرآن الكريم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ فإن قوله تعالىٰ (القصاص حياة) لا يمكن التعبير عنه إلا بألفاظ كثيرة، لأن معناه أنه إذا قُتل القاتل امتنع غيره عن القتل، فأوجب ذلك حياة للناس، ولا يُلتفَت إلىٰ ما ورد عن العرب من قولهم: القتل أنفىٰ للقتل؛ فإن من لا يعلم يظن أن هذا علىٰ وزن الآية، وليس كذلك، بل بينهما فرق من ثلاثة أوجه، الأول: أن (القصاص حياة) لفظتان، و«القتل أنفىٰ للقتل» ثلاثة ألفاظ. الوجه الثاني: أن في قولهم «القتل أنفىٰ للقتل» تكريرا ليس في الآية. الثالث: أنه ليس كل قتل نافيا للقتل، إلا إذا كان علىٰ حكم القصاص».

(٢) نقد الشعر لقدامة بن جعفر ص ٥٥ (ط - مطبعة الجوائب بالقسطنطينية) ونصه: «ومن أنواع ائتلاف اللفظ والمعنىٰ: الإشارة، وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملا علىٰ معان كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدل عليها، كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة: هي لمحة دالة».

(٣) إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ص ٢٧٣ (ط - دار المعارف).

فإنها تضمَّنت تعليم[1] الاستفتاح في الأمور باسمه علىٰ جهة التعظيم لله والتبرُّك باسمه.

الثالث: ممَّا يصلُح أن يُعَدَّ من أنواع الإيجاز: الاتساع، من أنواع البديع، وهو أن يؤتَىٰ بكلام يتَّسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، كفواتح السور؛ ذكره ابن أبي الأصبع[2].

الرابع: ذكر غير واحد[3] أن من أنواع إيجاز القصر: باب الحصر، سواء كان بـ «إلا» أو «إنما» أو غيرهما من أدواته؛ لأن الجملة فيها نابت مَناب جملتين. وباب العطف؛ لأن حرفه وُضع للإغناء عن إعادة العامل. وباب النائب عن الفاعل؛ لأنه دلَّ علىٰ الفاعل بإعطائه حكمه، وعلىٰ المفعول بوضعه. وباب الضمير؛ لأنه وُضع للاستغناء به عن الظاهر اختصارًا، ولذا لا يُعدَل إلىٰ المنفصل مع إمكان المتصل. وباب «علمتُ أنك قائم»؛ لانه محتمل لاسم واحد سدَّ مَسَدَّ المفعولين من غير حذف. ومنها: طرحُ المفعول اقتصارًا علىٰ جعلِ المتعدِّي كاللازم. ومنها: الألفاظ الملازمة للعموم كـ «أحد». ومنها: لفظ التثنية والجمع؛ فإنه يغني عن تكرير المفرد، وأقيمَ الحرف فيهما مقامه اختصارًا[4].

القسم الثاني من قسمَي الإيجاز: إيجاز الحذف، وهو علىٰ أنواع:

---

(١) في المطبوعة: معنىٰ. والمثبت من الإتقان وإعجاز القرآن.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع ص ٤٥٤ - ٤٥٥ (ط - المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بمصر) ونصه: «الاتساع هو أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل علىٰ قدر قوىٰ الناظر فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه». ثم قال: «وجميع فواتح السور المعجمة من هذا الباب؛ فإن العلماء اتسعوا في تأويلها اتساعا كبيرا».

(٣) كالسبكي في عروس الأفراح ٣/ ١٨٩ - ١٩٠.

(٤) ذكر السيوطي في الإتقان نوعين آخرين: ١ - باب التنازع إذا لم نقدِّر، علىٰ رأي الفراء. ٢ - جميع أدوات الاستفهام والشرط، فإن قولك: كم مالك؟ يغني عن قولك: أهو عشرون أم ثلاثون ... وهكذا إلىٰ ما لا يتناهىٰ.

أحدها: ما يسمَّىٰ بالاقتطاع، وهو حذف بعض حروف الكلمة، وأنكر ابن الأثير ورودَ هذا النوع في القرآن. ورُدَّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور، على القول بأن كل حرف منها اسم من أسماء الله تعالىٰ، كما تقدَّم. وادَّعىٰ بعضُهم أن الباء في ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] أول كلمة «بعض» ثم حُذف الباقي. ومنه قراءة بعضهم: «ونادوا يا مال» بالترخيم[١]؛ لشدَّة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

الثاني: ما يسمَّىٰ بالاكتفاء، وهو أن يقتضي المقامُ ذِكرَ شيئين بينهما تلازُم وارتباط، فيُكتفَىٰ بأحدهما عن الآخَر لنكتة، ويختصُّ غالبًا بالارتباط العَطْفي، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد، وخُصِّص الحر بالذِّكر لأن الخطاب للعرب، وبلادهم حارَّة، والوقاية عندهم من الحر أهم. وقوله تعالىٰ: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي والشر، وإنما خُصَّ الخير بالذِّكر لأنه مطلوب [العباد] ومرغوبهم، أو لأنه أكثر وجودًا في العالَم، أو لأن إضافة الشر إليه تعالىٰ ليس من الأدب، كما في الخبر: «والشر ليس إليك». وقوله تعالىٰ: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة: ٢] أي وللكافرين؛ قاله ابن الأنباري. ويؤيِّده قولُه: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥، آل عمران: ٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾ [النساء: ١٧٦] أي ولا والد، بدليل أنه أوجب للأخت النصفَ، وإنما يكون ذلك مع فقدِ الأب؛ لأنه يُسقِطها.

الثالث: ما يسمَّىٰ بالاحتباك، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذَف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخَر عليه، مثاله قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي حتىٰ يطهرن من الدم ويتطهَّرن بالماء، فإذا طهرن وتطهَّرن فأتوهنَّ.

---

(١) هي قراءة علي بن أبي طالب وابن مسعود ويحيىٰ بن وثاب والأعمش.
انظر: البحر المحيط ٨/ ٢٧.

الرابع: الاختزال، وهو ليس واحدًا ممَّا سبق، وله أقسام؛ لأن المحذوف إمَّا كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر، ولكلٍّ منها أمثلة سيأتي ذِكرُ بعضها في السياق. وقد مثَّل المصنفُ للموجز بالحذف والإضمار فقال: (**كقوله تعالىٰ**: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] ففي هذا مضمَر ومحذوفان، فالمضمر قوله «مبصرة»، والمعنىٰ: آية مبصرة، فأضمر. ومحذوفاه قوله «فظلموا بها» أي نفوسهم بالتكذيب بها، فاختُصرت كلمتان من كلمتين للإيجاز. وهذا معنىٰ قول المصنِّف: (معناه: **آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها**) فذكر ما هو لازم التكذيب وهو القتل (**فالناظر إلىٰ ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولا يدري أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم**) والإيتاء يتعدَّىٰ إلىٰ ثلاثة مفاعيل، فحذف منها المفعول الثالث. ومثال ما حُذف منه المفعول الثاني قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢] أي إلهًا. ومثال ما إذا تعدَّىٰ إلىٰ واحد وحُذف قوله: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ أي أنفسهم. ومن ذلك أيضًا قوله: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [التكاثر: ٣] أي عاقبة أمركم. وكل هؤلاء من القسم الأول من أقسام الاختزال الذي تقدَّم ذِكرُه وهو ما كان المحذوف فيه كلمة اسم. وذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يُذكَر إلا إذا كان غريبًا أو عظيمًا [وإنما اطَّرد أو كثُر حذفُ مفعول المشيئة] دون سائر الأفعال لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المُشاء، فالمشيئة المستلزِمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في اطِّراد حذفِ مفعولها. ذكره الزملكاني والتنوخي في الأقصىٰ القريب[1]. وقد عُلم من سياقهما أن حذف المفعول في

---

(١) الأقصىٰ القريب في علم البيان لزين الدين التنوخي ص ٦٧ (ط - مطبعة السعادة) ونصه: «ومما كثر من هذا الباب حذف مفعول المشيئة والإرادة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ المحذوف هنا مفعول المشيئة وهو إيتاء كل نفس هداها، وتفسيره: لآتينا. وإنما كثر حذف مفعول المشيئة بعد (لو) وتفسيره في جوابها لأن مادة المشيئة والشيء واحدة، فكأن المشيئة جعل ما ليس بشيء شيئا، فمفعول المشيئة علىٰ هذا لا يتأخر عنها، وهو بعد (لو) منفي؛ لانتفائه في الجواب، فيكون انتفاء المشيئة لازما لانتفائه، فانتفاؤه بالوضع، وانتفاء المشيئة باللزوم، فحذف=

المشيئة والإرادة كثير، ويَرِدُ في غيرهما قليلاً. وقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَآ﴾ إن قدَّرنا فيه أي بالتكذيب بها، ففيه حذف حرف الجر ومجروره، وقد ذكر ابن جني[١] أن حذف الحرف من أصله ليس بقياس؛ لأنه إجحاف. وإذا قرَّرنا فيه كما قاله المصنف أي بقتلها فيكون المحذوف هنا المضاف، وحذفُ المضاف في القرآن كثير، وتتبَّعه ابن جني[٢] فأوصله إلىٰ زُهاء ألف موضع، وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه «المجاز»[٣]. ويجوز أن يكون قوله «مبصرة» من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه، ومثل ذلك قوله: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الصافات: ٤٨، ص: ٥٢] أي حور قاصرات، وقوله: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ: ١١] أي دروعًا سابغات.

تنبيه في حذف المفعول اختصارًا أو اقتصارًا: قال ابن هشام[٤]: جرت عادةُ النحويين أن يقولوا: يُحذَف المفعول اختصارًا [واقتصارًا، ويريدون بالاختصار الحذف] لدليل، ويريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل، ويمثِّلونه بنحو: ﴿كُلُواْ

= مفعول المشيئة لينصرف الانتفاء إلىٰ المشيئة فيكون انتفاء مفعولها انتفاء لها. ومثال حذف مفعول الإرادة قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ حذف مفعول الإرادة هنا لأن في الآية التي قبلها ما يدل علىٰ أنهم افتروا الكذب وهو بزعمهم إطفاء نور الله، فلو ذكر آنفا لكان كالمكرر فحذف وفسر بقوله: ﴿لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ وكان في الحذف تنبيه علىٰ هذا المعنىٰ الغريب. وكثر الحذف مع (شاء) و(أراد) إلا في هذا المستغرب، كقوله تعالىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾.

(١) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ١/ ٥١ (ط - المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بمصر)، ونصه: «أخبرنا أبو علي قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بقياس؛ وذلك أن الحرف نائب عن الفعل وفاعله، ألا ترىٰ أنك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت «ما» عن «أنفي»، كما نابت «إلا» عن «أستثني»، وكما نابت الهمزة و«هل» عن «أستفهم»، وكما نابت حروف العطف عن «أعطف»، ونحو ذلك. فلو ذهبتَ تحذف الحرف لكان ذلك اختصارًا، واختصار المختصر إجحاف به، إلا أنه إذا صح التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه؛ لقوة الدلالة عليه».

(٢) الخصائص لابن جني ١/ ١٩٢ (ط - المكتبة العلمية).

(٣) مجاز القرآن لعز الدين ابن عبد السلام ص ٢٦١ - ٤٧٨ (ط - مؤسسة الفرقان بلندن).

(٤) مغني اللبيب ٦/ ٣٥٥ - ٣٥٧.

وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي أوقِعوا هذين الفعلين، والتحقيق أن يقال: تارةً يتعلَّق الغرض بالإعلام بمجرَّد وقوع الفعل من غير تعيين مَن أوقعه أو من أُوقِعَ عليه، فيُجاء بمصدره مسندًا إلىٰ فعل كونٍ عامٍّ فيقال: حصل حريق أو نهب. وتارةً يتعلَّق بالإعلام بمجرَّد إيقاع الفاعل للفعل، فيُقتصَر عليهما ولا يُذكَر المفعول ولا يُنوَىٰ؛ إذ المَنْويُّ كالثابت، ولا يسمَّىٰ محذوفًا؛ لأن الفعل ينزَّل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له، ومنه: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١] إذ المعنىٰ: أوقِعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف.

(و) من المختصر المحذوف المبدَل (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٩٣] **أي حب العجل، فحذف الحب**) المضاف وأبدل المضاف إليه مكانه (و) من أمثلة حذفِ المضاف أيضًا والمبدَل والمضمَر (**قوله تعالىٰ**: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] **أي ضِعف عذاب الأحياء وضِعف عذاب الموتىٰ، فحذف العذاب**) أي أضمر ذِكرَه (**وأبدل الأحياء والموتىٰ بذكر الحياة والموت**) فأقام الوصف مقامَ الاسم، ويصلُح أيضًا أن يُترَكَ الوصف علىٰ لفظه ويُضمَر «أهل»، فيكون المعنىٰ: ضِعف عذاب أهل الحياة وضِعف عذاب أهل المَمات (**وكل ذلك جائز في فصيح اللغة**. و) من المحذوف المضمَر أيضًا (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾) [يوسف: ٨٢] أي اسأل أهل القرية و[اسأل] أهل العير (**فالأهل**) فيهما (**محذوف مضمر**).

واختُلف[١] في الحذف هل هو من المجاز؟ فقيل: نعم، وهذا هو المشهور، وأنكره قوم وقالوا: لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه، والحذف ليس كذلك.

وقال ابن عطية[٢]: حذف المضاف هو عين المَجاز ومعظمه، وليس كل حذف مجازًا.

---

(١) الإتقان ص ٥٠٣.

(٢) المحرر الوجيز ص ١٠١٣.

وذكر القرافي للحذف أربعة أقسام، الأول منها: ما تتوقَّف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد، نحو: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أي أهلها؛ إذ لا يصح إسناد السؤال إليها ... وذكر بقية الأقسام[1]، ثم قال: وليس في هذه الأقسام مجاز إلا الأول.

وقال القزويني في الإيضاح[2]: متىٰ تغيَّر إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز، نحو: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيُّر الإعراب نحو: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ [البقرة: ١٩] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فلا توصف الكلمة بالمَجاز.

ومن أمثلة المختصر المحذوف قوله تعالىٰ: ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾

---

(١) وهي: ١ - قسم يصح بدونه لكن يتوقف عليه شرعا، كقوله: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ أي: فأفطر فعدة. ٢ - قسم يتوقف عليه عادة لا شرعا، نحو: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾ أي فضربه فانفلق. ٣ - قسم يدل عليه دليل غير شرعي ولا هو عادة، نحو: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾ دل الدليل علىٰ أنه إنما قبض من أثر حافر فرس الرسول.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ٢٤١ (ط - دار الكتب العلمية) ونصه: «اعلم أن الكلمة كما توصف بالمجاز لنقلها عن معناها الأصلي توصف به أيضا لنقلها عن إعرابها الأصلي إلىٰ غيره لحذف لفظ أو زيادة لفظ؛ أما الحذف فكقوله تعالىٰ: ﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أي: أهل القرية، فإعراب القرية في الأصل هو الجر، فحُذف المضاف وأعطي المضاف إليه إعرابه، ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي: أمر ربك. وأما الزيادة فكقوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ علىٰ القول بزيادة الكاف، أي: ليس مثله شيء، فإعراب «مثله» في الأصل هو النصب، فزيدت الكاف فصار جرا. فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغيير الإعراب كما في قوله تعالىٰ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ إذ أصله: أو كمثل ذوي صيب، فحذف «ذوي» لدلالة ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ عليه، وحذف «مثل» لما دل عليه عطفه علىٰ قوله: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إذ لا يخفىٰ أن التشبيه ليس بين صفة المنافقين العجيبة الشأن وذوات ذوي صيب، وكقوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ - فلا توصف الكلمة بالمجاز. وقد بالغ الشيخ عبد القاهر في النكير علىٰ من أطلق القول بوصف الكلمة بالمجاز للحذف أو الزيادة».

[البقرة: ٢٥٩، الكهف: ٤٢] المعنىٰ: خاوية من ثمرها أو أهلها، واقعة علىٰ عروشها. ومن أمثلة حذفِ المضاف قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] أي حج أشهر، أو أشهر الحج. وكذا قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] أي نكاح أمَّهاتكم، وقوله: ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة: ١٧٧، التوبة: ٦٠] أي: وفي تحرير الرقاب، وكذا قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] فحُذف الفعل وأقيمَ الاسم مقامه، فالمعنىٰ: ولكن البرَّ برُّ مَن آمن بالله. وقد يكون من البدل فيكون المحذوف هو الاسم أُبدِل الفعل مكانه، فلمَّا كان البر وصفه أقيم مكانه.

(و) من المبدَل المضمَر: (**قوله تعالىٰ**: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧] **معناه: خفيت علىٰ أهل السموات و**) أهل (**الأرض**) فمبدله «ثقلت» أي خفيت (**فالشيء**) الفاء تعليليَّة، أي لأن الشيء (**إذا خفي**) علمُه (**ثقُل فأُبدِل اللفظ به**) بدلالة المعنىٰ المذكور عليه (و) كذلك قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ معناه علىٰ، هذا هو المضمر (**أقيمت «في» مقام «علىٰ» وأضمر الأهل وحذف**) أي أهل السموات وأهل الأرض (و) من أمثلة المحذوف المضمَر: (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: ٨٢] **أي شكر رزقكم**) فحذف المضاف. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] أي شكر نعمة الله كفرًا بها. والصحيح أن في الآية الأولىٰ حذف ثلاثة مضافات(١)، والمعنىٰ: بدل شكر رزقكم، وهو من القسم الثالث من أقسام الاختزال الذي حذف فيه أكثر من كلمة. ونحو ذلك قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ٩] المعنىٰ: فكان مقدار مسافة قُربه مثل قاب، فحذف ثلاثة من اسم «كان» وواحد من خبرها (و) من المحذوف المضمَر (**قوله تعالىٰ**: ﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] **أي علىٰ ألسنة رسلك فحذف الالسنة**) وقوله: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي علىٰ عهد مُلْك سليمان، فأضمر قوله «عهد». وهذه الآيات التي أوردها المصنِّف

---

(١) الذي في الإتقان ص ٥٤٧ أن هذه الآية مما حُذف فيه مضافان.

من الأول إلىٰ هنا كلها أمثلة لإيجاز الحذف بأقسامه علىٰ طريق الإجمال، ولا بأس أن نذكر فوائد تتعلَّق بهذا المبحث، فمن ذلك: ذِكر(١) أسباب الحذف:

منها: مجرَّد الاختصار، والاحتراز عن العَبَث لظهوره.

ومنها: التنبيه علىٰ أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلىٰ تفويت المهمِّ، وهذه هي فائدة التحذير والإغراء.

ومنها: التفخيم والإعظام لِما فيه من الإبهام.

ومنها: التخفيف؛ لكثرة دورانه في الكلام، كما في حذف حرف النداء، نحو: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ﴾ [يوسف: ٢٩] ونون ﴿لَمۡ يَكُ﴾ [الأنفال: ٥٣] وياء ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ [الفجر: ٤].

ومنها: شهرته، حتىٰ يكون ذِكره وعدمه سواء، قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطَق من لسان المقال.

ومنها: صيانته عن ذِكره تشريفًا، كقوله: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الشعراء: ٢٣ - ٢٤] الآيات، حُذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع(٢).

ومنها: صيانة اللسان عنه تحقيرًا له، نحو: ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ﴾ [البقرة: ١٨] أي هم [أو المنافقون].

ومنها: قصد العموم، نحو: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] أي علىٰ العبادة وعلىٰ الأمور كلِّها.

ومنها: رعاية الفاصلة، نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحىٰ: ٢] [أي وما قلاك].

---

(١) الإتقان ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

(٢) بعده في الإتقان: «قبل ذكر الرب، أي هو رب، والله ربكم، والله رب المشرق».

وله أسباب أُخَر غير ما ذكرنا تُستفاد من محالِّها[1].

ومن ذلك: ذكر[2] شروط الحذف، وهي سبعة:

أحدها: وجود دليل، إمَّا حاليٌّ نحو: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ﴾ [هود: ٦٩، الفرقان: ٦٣] أي سلَّمنا سلامًا، أو مقاليٌّ نحو: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: ٣٠] أي أنزل خيرًا. ومن الأدلَّة: العقل، حيث تستحيل صحة الكلام عقلاً إلا بتقدير محذوف، ثم تارةً يدلُّ علىٰ أصل الحذف من غير دلالة علىٰ تعيينه، بل يُستفاد التعيين من دليل آخر، نحو: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾ [المائدة: ٣] فإنَّ العقل يدل علىٰ أنها ليست المحرَّمة؛ لأن التحريم لا يضاف إلىٰ الأجرام، وإنما هو والحِل يضافان إلىٰ الأفعال، فعُلم بالعقل حذفُ شيء، وأمَّا تعيينه - وهو التناول - فمستفاد من الشرع وهو قوله ﷺ: «إنما حُرِّم أكلُها»؛ لأن العقل لا يدرك محلَّ الحِل والحرمة، وأمَّا قول صاحب التلخيص: إنه من باب دلالة العقل أيضًا - فتابع فيه السكاكيَّ من غير تأمل أنه مبنيٌّ علىٰ أصول المعتزلة. وتارةً يدل العقل أيضًا علىٰ التعيين، نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي أمرُه بمعنىٰ عذابه؛ إذ العقل دالٌّ علىٰ استحالة مجيء الباري؛ لأنه من سمات الحادث، وعلىٰ أن الجائي أمرُه. وتارةً يدل علىٰ التعيين العادةُ، نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾ [يوسف: ٣٢] دل العقلُ علىٰ الحذف؛ لأن يوسف لا يصح ظرفًا للوم، ثم يحتمل أن يقدَّر: لمتنني في حبِّه؛ لقوله: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ [يوسف: ٣٠] وفي مراودتها؛ لقوله: ﴿تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾ [يوسف: ٣٠] والعادة دلَّت علىٰ الثاني؛ لأن الحب المفرط لا يُلام صاحبه عليه. وتارةً يدل عليه التصريح به في موضع آخر، وهو أقواها، نحو: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي كعرض، بدليل التصريح به في آية الحديد. ومن الأدلَّة علىٰ أصل الحذف: العادةُ، بأن يكون

---

(١) لم يذكر الشارح سببين آخرين ذكرهما السيوطي وهما: ١ - كونه لا يصلح إلا له، نحو: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ و﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾. ٢ - قصد البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة.

(٢) الإتقان ص ٥٣٧ - ٥٣٩.

العقل غير مانع من إجراء اللفظ علىٰ ظاهره من غير حذف، نحو: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال، ويُعيَّرون بأن يتنوَّهوا[١] بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو نعلم حقيقة القتال، فلذلك قدَّره مجاهد[٢]: مكان قتال.

ومنها: الشروع في الفعل، نحو «بسم الله»، فيُقدَّر ما جُعلت التسمية مبدأ له، فإن كانت عند الشروع في القراءة قُدِّرت: أقرأ، أو الأكل قُدِّرت: آكل، وعلىٰ هذا أهل البيان قاطبةً، خلافًا لقول النحاة: إنه يقدَّر: ابتدأتُ أو ابتدائي كائن باسم الله[٣]. ويدل علىٰ صحة الأول التصريح به في قوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١] وفي حديث: «باسمك ربِّي وضعتُ جنبي».

ومنها: الصناعة النحويَّة، فقد توجب التقديرَ وإن كان المعنىٰ غير متوقِّف عليه، كقولهم في «لا إله إلا الله» أن الخبر محذوف، أي موجود، وقد أنكره الفخر الرازي وقال: هذا الكلام لا يحتاج إلىٰ تقدير، وتقدير النحاة فاسد؛ لأن نفي الحقيقة مطلقة أعَمُّ من نفيها مقيَّدة؛ فإنها إذا انتفت مطلقةً كان ذلك دليلاً علىٰ سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيَّدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيُها مع قيد آخر. ورُدَّ بأن تقدير «موجود» يستلزم نفي كلِّ إله غير الله قطعًا؛ فإن العدم لا كلام

(١) أي يشتهروا. وفي الإتقان: «يتفوهوا» أي ينطقوا.

(٢) رواه عنه الطبري في جامع البيان ٦/ ٢٢٣ بلفظ: «لو نعلم أنا واجدون معكم قتالًا، لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم».

(٣) قال ابن هشام في مغني اللبيب ٥/ ٢٣ - ٢٤ تحت باب ما يجب علىٰ المسؤول في المسؤول عنه أن يفصل فيه لاحتماله الاسمية والفعلية لاختلاف التقدير أو لاختلاف النحويين: «فمن ذلك: جملة البسملة، فإن قدر: ابتدائي باسم الله، فاسمية، وهو قول البصريين. أو: أبدأ باسم الله، ففعلية، وهو قول الكوفيين، وهو المشهور في التفاسير والأعاريب، ولم يذكر الزمخشري غيره، إلا أنه يقدر الفعل مؤخرا ومناسبا لما جُعلت التسمية مبدأ له، فيقدر: باسم الله أقرأ، أو: باسم الله أحل، باسم الله أرتحل. ويؤيده الحديث: باسمك ربي وضعت جنبي».

فيه، فهو في الحقيقة نفيٌ للحقيقة مطلقة لا مقيَّدة. ثم لا بدَّ من تقدير خبر؛ لاستحالة مبتدإ بلا خبر ظاهر أو مقدَّر، وإنما يقدِّر النحوي لأجل أن يعطي القواعد حقَّها وإن كان المعنىٰ مفهومًا.

والشرط الثاني: أن لا يكون المحذوف كالجزء، ومن ثَم لم يُحذَف الفاعل ولا نائبه ولا اسم «كان» وأخواتها.

الثالث: أن لا يكون مؤكَّدًا؛ لأن الحذف منافٍ للتأكيد؛ إذ الحذف مبنيٌّ علىٰ الاختصار، والتأكيد مبنيٌّ علىٰ الطول.

الرابع: أن لا يؤدِّي حذفه إلىٰ اختصار المختصَر، ومن ثَم لم يُحذَف اسم الفعل؛ لأنه اختصار للفعل.

الخامس: أن لا يكون عاملاً ضعيفًا، فلا يُحذَف الجارُّ والناصب للفعل والجازم إلا في مواضع قويت فيها الدلالةُ وكثُر فيها استعمال تلك العوامل.

السادس: أن لا يكون عوضًا عن شيء، ولذا لم يحذفوا التاء من «إقامة» و«استقامة»، وأمَّا ﴿وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ﴾ [الأنبياء: ٧٣] فلا يُقاس عليه. ولا خبر «كان»؛ لأنه عوض أو كالعوض عن مصدرها.

السابع: أن لا يؤدِّي حذفه إلىٰ تهيئة العامل القوي، ومن ثَم لم يُقَس علىٰ قراءة ﴿وَكُلٌّ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥، الحديد: ١٠].

فائدة:

اعتبر[١] الأخفش[٢] في الحذف التدريج حيث أمكن، ولهذا قال في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٣] أن الأصل: لا تجزي فيه، فحُذف حرف الجر فصار: تجزيه، ثم حُذف الضمير فصار: تجزي. وهذه

(١) الإتقان ص ٥٣٩.

(٢) معاني القرآن للأخفش ١/ ٩٢ – ٩٤ (ط – مكتبة الخانجي).

ملاطفة في الصناعة. ومذهب سيبويه[١] أنهما حُذفا معًا. قال ابن جني[٢]: وقول الأخفش أوفق في النفس وآنس من أن يُحذَف الحرفان معًا في وقت واحد.

مهمة:

قال[٣] الشيخ عز الدين[٤]: ولا يقدَّر من الحُذوف إلا أشدها موافقةً للغرض وأفصحها؛ لأن العرب لا يقدِّرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام، كما يفعلون ذلك في الملفوظ به، نحو: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] قدَّر أبو علي[٥]: جعل الله نصب الكعبة. وقدَّر غيرُه: حرمة الكعبة. وهو أَولىٰ؛ لأن تقدير الحرمة في الهَدْي والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته، وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة. قال: ومهما تردَّد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن؛ لأن الله تعالىٰ وصف كتابه بأنه أحسنُ الحديث، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات، كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات.

ثم نرجع إلىٰ شرح كلام المصنِّف، قال رحمه الله تعالىٰ: (**وقوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾) [القدر: ١] هو من المكنَّىٰ المضمَر (**أراد القرآن**) فكنَّىٰ عنه (**وما سبق له ذِكرٌ**. و) كذلك (**قوله تعالىٰ:** ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [ص: ٣٢] **أراد**) توارت (**الشمس**) بحجاب الليل، فكنَّىٰ عنها (**وما سبق لها ذِكرٌ**) واختُلف[٦] في حذف الفاعل هل يجوز أمْ لا، فمنهم من قال: لا يجوز إلا في فاعل المصدر، نحو: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [فصلت: ٤٩] أي دعائه الخير،

---

(١) كتاب سيبويه ١/ ٣٨٦.

(٢) المحتسب ٢/ ١٦٤.

(٣) الإتقان ص ٥٤٠.

(٤) مجاز القرآن لعز الدين ابن عبد السلام ص ١٠.

(٥) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/ ٢٥٨ (ط - دار المأمون للتراث) وفيه: «التقدير في الآية: جعل الله حج الكعبة البيت الحرام قياما، أو نصب الكعبة قياما لمعايش الناس ومكاسبهم».

(٦) الإتقان ص ٥٤٤ - ٥٤٥.

وجوَّزه الكسائي مطلقًا لدليل، وخرَّج عليه ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ۝٣٢﴾ أي الشمس، وقوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝٢٦﴾ [القيامة: ٢٦] أي الروح.

(و) من أمثلة المضمَر المختصر (**قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ﴾**) [الزمر: ٣] مضمره: (**أي يقولون: ما نعبدهم**) ومثله قوله: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝٦٦﴾ [الواقعة: ٦٥ - ٦٦] أي يقولون: إنَّا لمغرمون. والآيتان من أمثلة حذفِ القول، ومثلهما: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي يقولان ربنا. قال أبو علي: حذفُ القول من «حدِّثْ عن البحر ولا حرج»، أي قُلْ ولا حرج (و) علىٰ هذا [المعنىٰ] وُجِّهَ (**قوله تعالىٰ: ﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝٧٨ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾** [النساء: ٧٨ - ٧٩] **معناه: لا يفقهون حديثًا يقولون ما أصابك ...**) الآية، علىٰ معنىٰ الإخبار عنهم والذم لهم (**فإن لم يُرَدْ هذا كان مناقضًا لقوله** عَزَّوَجَلَّ) في أول الآية وهو (﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾) وبه أحكم الباري جل وعز ابتداءَ شرعه وبيانه (**ويسبق إلىٰ الفهم منه**) إن لم نقدِّر القولَ (**مذهبُ القَدَرِيَّة**) أي المعتزلة وقد هلكوا لجهلهم بعلم العربية وظنِّهم أنه ابتداء شرع وبيان من الله سبحانه. قال صاحب القوت: وقرأت في مصحف ابن مسعود: «فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا قالوا ما أصابك». وقد كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم شيءٌ من القرآن فالتمِسوه في كلام العرب؛ فإنَّ الرجل يتلو الآية فيعيا بوجهها فيكفر[(١)]. وقد رأيت في مصحف ابن مسعود: «والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم».

(**ومنها: المنقول المنقلب، كقوله تعالىٰ**): ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٨٧ والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٨٣ من طريق عكرمة أن ابن عباس سئل عن قوله عَزَّوَجَلَّ: (يوم يكشف عن ساق) فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب.

نَّفۡعِهِۦ﴾ [الحج: ١٣] اللام في «لمن» منقولة، والمعنىٰ: يدعو مَن لَضرُّه أقرب من نفعه. ومثله: (﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾) [التين: ٢] وهو ممَّا قُلب اسمه لازدواج الكَلِم (**أي طور سيناء**) وقوله تعالىٰ: (﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾) [الصافات: ١٣٠] وهو أيضًا ممَّا قُلب اسمه (**أي علىٰ إلياس**) عليه السلام (**وقيل**): المراد به (**إدريس**) عليه السلام (**لأن في حرف ابن مسعود**) أي مصحفه: (**سلام علىٰ إدراسين**) أي علىٰ إدريس. نقله صاحب القوت. ومن أمثلة المنقول المنقلب قوله: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] معناه: لَتنوءُ العصبةُ بها، أي لتثقل بحملها لثقلها عليها. وقوله تعالىٰ: ﴿جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١] أي أعضاء، كأنَّهم عضوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

(**ومنها**) الموصول (**المكرَّر**) للبيان والتوكيد (**القاطع لوصل الكلام في الظاهر، كقوله تعالىٰ**: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦] قوله «إن يتَّبعون» مردود، رُدَّ للتوكيد والإفهام، كأنَّه لمَّا طال الكلام أعيدَ ليقرُب من الفهم (**معناه: وما يتَّبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن**) أي اتِّباعهم الشركاء ظنٌّ منهم غير يقين (**و**) نحوه من المكرَّر المؤكَّد (**قوله تعالىٰ**: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ [الأعراف: ٧٥] **معناه: الذين استكبروا لمن آمن من الذين استُضعفوا**) هذا اختصاره، فلمَّا قُدِّم الذين استُضعفوا وكان المراد بعضهم كُرِّر المراد بإعادة ذِكر مَن آمن منهم للبيان. ومثله: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ [الحجر: ٥٩ - ٦٠] فأدخل الاستثناء علىٰ الاستثناء، وهو يطول في كلامهم؛ لأنه أراد بالنجاة بعضَ الآل، فلمَّا أجملهم أخرج مستثنىٰ من مستثنىٰ، وفي هذا دليل أن الأزواج من الآل؛ لأنه استثنىٰ امرأته من آله.

ومن المكرَّر للتوكيد قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ﴾ [القصص: ١٩] مختصره: فلمَّا أراد أن يبطش، وقد قيل: إن هذا من المختصر المضمَر

ممَّا أُضمرَ فيه الاسم وحُذف منه الفعل، وهو غريب، فيكون تقديره: فلمَّا أن أراد الإسرائيليُّ أن يبطش موسىٰ بالذي هو عدوٌّ لهما فلم يفعل قال: يا موسىٰ أتريد؟ فهذا حينئذٍ من أخصر الكلام وأوجزِه.

ومن المكرَّر المؤكَّد قوله تعالىٰ: ﴿فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [غافر: ٢١] مفهومه وجائزه: فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة، فوصل بـ «مَن»، ووكَّد بـ «كان»، وعدَّ لهم. قال صاحب القوت: وقرأتُها في مصحف ابن مسعود: عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة» ليس فيها «كانوا» ولا قوله «هم». وبمعناه وإن قصر قوله تعالىٰ: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا﴾ [الزخرف: ٣٣] هذا ممَّا طُوِّل للبيان، والمعنىٰ: لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن. فلمَّا قُدِّم «مَن» وهي أسماء من يكفر أعيدَ ذِكر البيوت مؤخَّرًا.

(**ومنها: المقدَّم والمؤخَّر**) لحُسن تأليف الكَلِم ومزيد البيان (**وهو مَظنَّة الغلط**) لأن[1] معناه يشكل بحسب الظاهر [فلمَّا عُرف] أنه من باب التقديم والتأخير اتَّضح، وهذا النوع قسم من أقسام المقدَّم والمؤخَّر، وهو جدير أن يُفرَد بالتصنيف، وقد تعرَّض لذلك السلفُ في آيات، منها ما أشار إليه المصنِّف فقال: (**كقوله تعالىٰ**: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: ١٢٩] أخرج ابن أبي حاتم[2] عن قتادة قال: هذا من تقاديم الكلام (**معناه: ولولا كلمة وأجل مسمىٰ لكان لزامًا**) وبه ارتفاع الأجل (**ولولاه لكان نصبًا كاللِّزام**) فأُخِّر لتحسين اللفظ.

وأخرج ابن أبي حاتم[3] أيضًا عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ

---

(١) الإتقان ص ٤٤٦.

(٢) وكذلك الطبري في جامع البيان ١٦/ ٢٠٨.

(٣) وكذلك الطبري في جامع البيان ١١/ ٥٠٠.

وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [التوبة: ٥٥] قال: هذا من تقاديم الكلام، يقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله أن يعذِّبهم بها في الآخرة.

وأخرج عن مجاهد[1] في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: هذا من المقدَّم والمؤخَّر، أي رافعك إليَّ ومتوفِّيك.

وأخرج عن عكرمة في قوله: ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦] قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يومَ الحساب عذاب شديد بما نسوا[2].

وأخرج ابن جرير[3] عن ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣] قال: هذه الآية مقدَّمة ومؤخَّرة، إنما هي: أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لم يَنْجُ قليلٌ ولا كثير.

وقال صاحب القوت: قوله «إلا قليلًا» هو متَّصل بقوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ إلا قليلاً، وأُخِّر الكلام ﴿لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾. قال: وهذا الوجه أَحَبُّ إليَّ من الأول؛ فإنَّ في استثنائه من الأول بعدًا. قال: وعلىٰ هذا المعنىٰ قرأ ابن عباس [في رواية عنه] ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾

(١) في الإتقان والدر المنثور ٣/ ٥٩٦: عن قتادة. وعزاه الواحدي في التفسير البسيط ٥/ ٣٠٤ إلىٰ ابن عباس من رواية عطاء عنه، ولفظه: «هذا مقدم ومؤخر، يريد: إني رافعك إلي ومتوفيك بعد أن أهبطك إلىٰ الأرض حتىٰ تكون فيها وتتزوج ويولد لك وتكون في أمة محمد ومعهم حتىٰ تموت». وقال الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٨١: «قال الضحاك وجماعة من أهل المعاني: إن في الكلام تقديما وتأخيرا، معناه: إني رافعك إلي، ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالك من السماء».

(٢) جامع البيان ٢٠/ ٧٨.

(٣) السابق ٧/ ٢٦٣.

[النساء: ١٤٨] جعله متَّصلاً بقوله: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] إلا مَن ظُلم، وصار آخر الكلام: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ فاصلاً.

وأخرج [ابن جرير[١]] عن ابن عباس في قوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] قال: إنهم إذا رأوا الله جهرةً فقد رأوه، إنما قالوا جهرةً: أرنا الله. قال: هو مقدَّم ومؤخَّر. قال ابن جرير: [يعني] أن سؤالهم كان جهرةً[٢].

فهذه الآيات ممَّا تكلم فيها السلف.

(و) ممَّا ذكر صاحب القوت من أمثلة هذا الباب (**قوله تعالىٰ**: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٤ - ٥] **فهذا الكلام غير متَّصل**) أي ليس هذا من صلة الكلام (**وإنما هو**) مقدَّم (**عائد علىٰ قوله السابق: قل الأنفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق. أي: فصارت أنفال الغنائم لك إذا خرجت وأنت راضٍ بخروجك**) ولفظ القوت: إذ أنت راضٍ بإخراجك (**وهم كارهون. فاعترض بين الكلام الأمرُ بالتقوىٰ وغيره**) كالإصلاح والوصف بحقيقة الإيمان والصلاح، فأشكل فهمُه (و) علىٰ هذا (**قوله تعالىٰ**: ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾) [الممتحنة: ٤] موصول بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلا قول إبراهيم ... الآية؛ لأنها نزلت في قولهم[٣]: فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك عند قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] قالوا: فهلَّا نستغفر لآبائنا المشركين؟ فنزلت هذه الآية؛ لتُستثنَىٰ القدوة بإبراهيم في هذا، ثم نزلت الآية الأخرىٰ معذرةً له لوعده إيَّاه إلىٰ أن علم موته علىٰ الكفر فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا

---

(١) جامع البيان ٧/ ٦٤٢.

(٢) عبارة الطبري: «وكان ابن عباس يتأول ذلك أن سؤالهم موسىٰ كان جهرة».

(٣) يعني بعض المؤمنين، كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٨٧.

عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ الآية [التوبة: ١١٤].

(و) مثل هذا وإن كان دونه في القُرب (قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفيٌّ) ومثله ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] أي نأتي منها بخير.

وممَّا ذكر صاحب القوت من أمثلة المقدَّم والمؤخَّر: قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦] اختصاره وموجزه: مَن كفر بالله من بعد إيمانه وشرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله إلا مَن أُكرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان. ولكن وكّد بقوله: ﴿وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ لمَّا استُثني المكرَه وقلبه مطمئنٌّ بإيمانه، ولم يُجعَل المكره آخر الكلام لئلاَّ يليه قولُه تعالىٰ: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فيُتوهَّم أنه خبره، وجُعل آخر الكلام ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وهو في المعنىٰ مقدَّم خبر للأول من قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ﴾ فأُخِّر ليليه قولُه تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] لأنه من وصفهم، فيكون هذا أحسن في تأليف الكلام وسياق المعنىٰ. وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ﴾ [الزخرف: ٨٨] هذا من المعطوف المضمَر ومن المقدَّم والمؤخَّر، فعاطفه قوله: ﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥] وضميره قوله «وقيله»، والمعنىٰ: وعنده علم الساعة وعلم قيله يا رب. علىٰ حرف مَن كسر اللام، فأمَّا مَن نصبها(١) فإنه مقدَّم أيضًا ومحمول علىٰ أن المعنىٰ: وعنده علم الساعة ويعلم قيله يا رب. وأمَّا مَن رفع اللام فتكون مستأنَفة علىٰ الخبر وجوابها الفاء في قوله ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أي

---

(١) الخفض قراءة عاصم وحمزة، والنصب قراءة نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي وأبي عمرو. وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن البصري وقتادة بالرفع. انظر: النشر لابن الجزري ٢/ ٣٧٠، البحر المحيط لأبي حيان ٨/ ٣٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٥.

قولك: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ فَٱصۡفَحۡ﴾ وقد تكون الواو في قوله «وقيله» للجمع مضمومة إلىٰ علم الساعة، والمعنىٰ: وعنده علم الساعة وعنده قيله يا رب. جمع بينهما بـ «عند»، فهذا مجاز هذه المقاري الثلاث في العربية. ومثله ممَّا حُمل علىٰ المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [ثم قال: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦] فلو لم يُحمَل علىٰ المعنىٰ لكانت «الشمس والقمر» خفضًا اتِّباعًا للفظ قوله «فالق» و«جاعل»، ولكن معناه: وجعل الشمس والقمر حسبانًا، وهي علىٰ قراءة من قرأ ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾] متبعة لجعلٍ ظاهرٍ[1]، وبمعناه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] في قراءة مَن نصب اللام محمولًا علىٰ معنىٰ الغسل من قوله: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ أيضًا، ومَن قرأ «وأرجلِكم» خفضًا علي اتِّباع الإعراب من قوله «برءوسكم» فأتبع الإعرابَ الإعراب قبله؛ لأن مذهبه الغسل لا المسح[2].

ومن المؤخَّر بعد توسُّط الكلام قوله تعالىٰ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩﴾ [الانشقاق: ١٩] في قراءة مَن وحَّد الفعلَ، وهو متَّصل بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ لَتَرْكَبَنَّ طبقًا عن طبق[3]. وكذلك هو في قراءة مَن جمع[4] فقال «لتركبُنَّ» ويكون الإنسان في معنىٰ الناس، ويكون الجمع عطفًا علىٰ المعنىٰ، وإنما وحَّد للجنس، فكأنَّه قال: يا أيُّها الناس. فأخَّر هذا الخبر لِما توسَّطه من الكلام المتَّصل بالقصة، ومعناه التقديم.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن

---

(١) قرأ الكوفيون (وجعل) بفتح العين واللام من غير ألف وبنصب (الليل)، وقرأ بقية السبعة (وجاعل) بالألف وكسر العين ورفع اللام، وخفض (الليل). النشر ٢/ ٢٦٠.

(٢) النصب قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص، وقرأ الباقون بالخفض. النشر ٢/ ٢٥٤.

(٣) بعده في القوت: «أي حالا بعد حال في البرزخ، فأخر الأحوال للقرار في الدار».

(٤) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الباء من (لتركبن)، وقرأ الباقون بضمها. النشر ٢/ ٣٩٩. تفسير القرطبي ٢٢/ ١٧١ - ١٧٢.

فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٧٣] إنما هو من صلة قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] إلا تفعلوه تكن فتنة.

ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ هذا متَّصل بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣] إلىٰ آخر المحرَّمات، ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ يعني مجاعة.

إلىٰ هنا نصُّ ما في القوت.

وذكر السيوطي في الإتقان(١) من أمثلة القسم الأول وهو ما أشكل معناه بحسب الظاهر أنه من باب التقديم والتأخير: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ﴾ [البقرة: ٧٢] قال البغوي(٢): هذا أول القصة وإن كان مؤخَّرًا في التلاوة. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] والأصل: هواه إلهه؛ لأن من اتَّخذ إلهه هواه غير مذموم. وقوله تعالىٰ: ﴿أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾ [الأعلىٰ: ٤ - ٥] والمعنىٰ: أخرجه أحوىٰ أي أخضر فجعله غُثاءً، وأُخِّر رعاية للفاصلة. وقوله تعالىٰ: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧﴾ [فاطر: ٢٧] الأصل: سود غرابيب؛ لأن الغِرْبيب: الشديد السواد. وقوله تعالىٰ: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا﴾ [هود: ٧١] أي فبشَّرناها فضحكت. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾ [يوسف: ٢٤] قيل: المعنىٰ علىٰ التقديم والتأخير: أي لو لا أن رأىٰ برهان ربِّه لَهَمَّ بها، وعلىٰ هذا فالهَمُّ منفيٌّ عنه.

وأمَّا القسم الثاني من أقسام التقديم والتأخير، فقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن الصائغ في كتابه «المقدِّمة في سر الألفاظ المقدَّمة» تفاصيل أسباب التقديم وأسراره، وقال: ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع، الأول: التبرُّك. الثاني: التعظيم.

---

(١) الإتقان ص ٤٤٦ - ٤٥١.

(٢) معالم التنزيل ١/ ١٠٨.

الثالث: التشريف. الرابع: المناسَبة لسياق الآية. الخامس: الحث عليه حذرًا من التهاون به. السادس: السبق، وهو إمَّا في الزمان باعتبار الإيجاد، أو باعتبار الإنزال، أو باعتبار الوجوب والتكليف. السابع: السببيَّة. الثامن: الكثرة. التاسع: الترقِّي من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ. العاشر: التدلِّي من الأعلىٰ إلىٰ الأدنىٰ. ثم ذكر لها أمثلة، وأطال في كل نوع منها الكلامَ. وزاد غيرُه أسبًابا أُخَر، منها: كونه أدلَّ علىٰ القدرة وأعجب. ومنها: رعاية الفواصل. ومنها: إفادة الحصر للاختصاص. وقد يقدَّم لفظ في موضع ويؤخَّر في آخر، ونكتة ذلك إمَّا لكون السياق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه، وإمَّا لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، وإمَّا لقصد التفنُّن في الفصاحة وإخراج الكلام علىٰ عدَّة أساليب. والله أعلم.

(ومنها): المكنَّىٰ (**المبهَم**) المشتبِه (**وهو**) أي المبهَم (**اللفظ المشترَك بين معانٍ**) مختلفة (**من كلمة أو حرف**) اعلم[1] أن معرفة الوجوه والنظائر في الكتاب العزيز أمر مهمٌّ، وقد صنَّف فيه غير واحد من المتقدِّمين والمتأخِّرين[2]، فالوجوه في اللفظ المشترَك الذي يُستعمَل في عدَّة معانٍ كلفظ «الأمَّة»، والنظائر كالألفاظ المتواطئة. وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني. وضُعِّف؛ لأنه لو أريدَ هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظَ الذي

(١) الإتقان ص ٣٠١.

(٢) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ٢٠٠١: «علم الوجوه والنظائر من فروع علم التفسير، وقد صنف فيه جماعة، منهم أبو الفرج ابن الجوزي؛ فإنه جمع أجود ما جمعوه في مختصر سماه: نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر، ورتبه علىٰ الحروف. قال: وقد نسب كتاب فيه إلىٰ عكرمة عن ابن عباس، وكتاب آخر إلىٰ علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وألف فيه مقاتل بن سليمان، وأبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري. وروىٰ مطروح بن محمد بن شاكر عن عبد الله بن هارون الحجازي عن أبيه كتابا فيه. وألف فيه أبو بكر محمد بن الحسن النقاش الموصلي، وأبو عبد الله الحسين ابن محمد الدامغاني، وأبو علي الحسن ابن البناء المقري الحنبلي، وأبو الحسن علي بن عبيد الله ابن الزاغوني البغدادي الحنبلي».

معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعًا لأقسام، والنظائر نوعًا آخر. وقد جعل بعضُهم ذلك من أنواع معجزات القرآن، حيث كانت الكلمة الواحدة [تنصرف] إلىٰ عشرين وجهًا وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر. وقد تقدَّم من قول أبي الدرداء رَضِّيَّتُهُ: لا يكون الرجل فقيهًا حتىٰ يرىٰ للقرآن وجوهًا كثيرة. وقد يُروَىٰ مرفوعًا، وتقدَّم ما المراد منه. وقد فسَّره بعضهم بأن المراد أن يرىٰ اللفظ الواحد يحتمل معاني متعدِّدة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادَّة، ولا يقتصر به علىٰ معنًىٰ واحدٍ. وإليه أشار المصنِّف بقوله: (**أمَّا الكلمة فكالشيء والقرين والأمَّة والروح ونظائرها**) منها الهُدَىٰ، والصلاة، والسوء، والرحمة، والفتنة، والقضاء، والذِّكر، والدعاء، والإحصان (**قال الله تعالىٰ:** ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ﴾ [النحل: ٧٥] **أراد به**) أي بالشيء هنا (**النفقة ممَّا رُزق**) ولفظ القوت: الإنفاق ممَّا رزق الله (**وقال تعالىٰ**) بعده: (﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾ [النحل: ٧٦] **أي الأمر بالعدل والاستقامة**) علىٰ الهدىٰ، فالمراد بالشيء هنا غير الذي أراده في الأول (**وقال تعالىٰ**) إخبارًا عن قول الخضر لموسىٰ عليهما السلام: (﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ﴾) [الكهف: ٧٠] [الشيء في] هذا الموضع وصف مخصوص (**أراد به من صفات الربوبيَّة**) من العلم الذي عُلِّمه الخَضِر من لدنه (**وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتىٰ يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق**) فلذلك كنَّىٰ عنه. قال صاحب القوت: وكذلك العلم علىٰ ضربين: ضرب لا يصلُح أن يُبتدأ به حتىٰ يُسئَل عنه، وهو ممَّا لا يضيق علمُه، فلذلك وَسِعَ جهلُه وحسُن كتمُه. وعلمٌ لا ينبغي أن يُسئَل عنه من معاني صفات التوحيد ونعوت الوحدانيَّة لا يوكَّل إلىٰ العقول، بل يُخَصُّ به المراد المحمول، فعلمُ الخَضِر الذي شرط علىٰ موسىٰ أن لا يسأل عنه حتىٰ يبادئه به من هذا النوع، والله غالب علىٰ أمره (و) مثله (**قوله تعالىٰ:** ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٥] يعني الله تعالىٰ (**أي**) كيف يكون خلقٌ (**من غير خالق**) ففي وجودهم دليل علىٰ إثبات الخالق سبحانه وتعالىٰ

(فربما يُتوهَّم به أنه يدلُّ علىٰ أنه لا يُخلَق شيء إلا من شيء) قال صاحب القوت: روينا ذلك عن ابن عباس وزيد بن عليٍّ قالا في هذه الآية ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي من غير رب، كيف يكون خلقٌ من غير خالق؟!

(وأمَّا القرين فكقوله تعالىٰ: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] أراد به الشيطان) المقرون به (وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق: ٢٣] أراد به المَلَك الموكَّل به) أي بعمله وإطلاق القرين علىٰ كلٍّ منهما صحيح جائز. ومثل ذلك قوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النحل: ٧١] فالبعض الأول المفضَّل هم الأحرار، والبعض الآخَر المفضول هم المماليك.

(وأمَّا الأمَّة فتُطلَق علىٰ ثمانية أوجه، الأمَّة: الجماعة) من الناس (كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾) [القصص: ٢٣] أي جماعة منهم (والأمَّة: أتباع الأنبياء) عليهم السلام (كقولك: نحن من أمَّة محمد ﷺ) أي من أتباعه، والجمع: أُمَم، كغرفة وغُرَف. وقد ورد في أسمائه ﷺ: نبي الأمَّة (والأمَّة: الرجل الجامع للخير) كلِّه (المقتدَىٰ به) في أحواله (كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [النحل: ١٢٠] سُمِّي بذلك لكونه يؤتَمُّ به (والأمة: الدِّين، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢، ٢٣] أي علىٰ دين (والأمَّة: الحين والزمان، كقوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾) [هود: ٨] أي مدَّة معلومة من الزمان (و) منه أيضًا (قوله تعالىٰ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾) [يوسف: ٤٥] أي بعد حين، وقُرئ «بعد أَمَة» بالتحريك والهاء، أي بعد نسيان[1] (والأمَّة: القامة، يقال: فلان

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ٥/ ٣١٣: «قرأ الأشهب العقيلي «بعد إمة» بكسر الهمزة، أي بعد نعمة أنعم عليه بالنجاة من القتل. وقال ابن عطية: بعد نعمة أنعم الله بها علىٰ يوسف في تقريب إطلاقه، والإمة: النعمة، قال:

ألا لا أرىٰ ذا إمـة أصبحـت بـه ... فتتركـه الأيـام وهـي كمـا هيـا

قال الأعلم: الإمة: النعمة، والحال الحسنة. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي والضحاك وقتادة وأبو رجاء وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعة بن عمرو "بعد أَمَة" بفتح الهمزة والميم مخففة وهاء، =

حَسن الأَمَّة، أي) حَسن **(القامة. وأَمَّة: رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحدٌ)** يقال: رجلٌ أُمَّةٌ: إذا كان عالِم عصره، منفردًا بعلمه **(قال ﷺ: يُبعَث زيد بن عمرو ابن نُفَيل أُمَّة وحده)** قال العراقي[1]: رواه النسائي في الكبرىٰ[2] من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبي بكر بإسنادين جيِّدين.

قلت: ورواه أحمد[3] والطبراني في الكبير[4] من حديث سعيد بن زيد، وأبو يعلىٰ[5] والبغوي[6] وابن عدي[7] وتمام[8] من حديث جابر بلفظ: سُئل النبي ﷺ عن زيد بن عمرو بن نُفَيل، فقال: «يُبعَث يوم القيامة أُمَّة وحده بيني وبين عيسىٰ».

(والأَمَّة) لغة في **(الأم، يقال: هذه أَمَّة زيد، أي أُمُّ زيد)** نقله أبو عليٍّ في «البارع».

(والروح أيضًا ورد في القرآن لمعانٍ كثيرة، فلا نطوِّل بإيرادها) فمن[9] ذلك: الأمر، كقوله تعالىٰ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] والوحي، كقوله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ [النحل: ٢] والقرآن، كقوله: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢]

= وكذلك قرأ ابن عمر ومجاهد وعكرمة واختُلف عنهم. وقرأ عكرمة ومجاهد أيضا وشبيل بن عزرة "بعد أمْه" بسكون الميم، مصدر أمه علىٰ غير قياس، وقال الزمخشري: ومن قرأ بسكون الميم فقد أخطأ. اهـ. وهذا علىٰ عادته في نسبته الخطأ إلىٰ القراء». وانظر أيضا: تفسير القرطبي ١١/ ٣٦٤ - ٣٦٥.

(١) المغني ١/ ٢٣٧.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٢٤ - ٣٢٦.

(٣) مسند أحمد ٣/ ١٨٧.

(٤) المعجم الكبير ١/ ١٥٢.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٤١.

(٦) معجم الصحابة ٢/ ٤٤٥.

(٧) الكامل في الضعفاء ١/ ٣١٣.

(٨) فوائد تمام ٤/ ٣٤١.

(٩) الإتقان ص ٣٠٢ - ٣٠٧.

والرحمة، كقوله: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] والحياة، كقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ [الواقعة: ٨٩] وجبريل عليه السلام، كقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣] ومَلَكٌ عظيم، كقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ [النبأ: ٣٨] وجنس[1] من الملائكة، كقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤] وروح البدن، كقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وأمَّا النظائر التي ذكرناها، فالهُدَىٰ يأتي علىٰ سبعة عشر وجهًا بمعنىٰ: الثبات، والدين، والبيان، والإيمان، والدعاء، وبمعنىٰ الرسل والكتب، والمعرفة، والنبي ﷺ، والقرآن [والتوراة] والاسترجاع، والحُجَّة، والتوحيد [والسنَّة] والإصلاح، والإلهام، والتوبة، والإرشاد.

ومن ذلك: الصلاة، تأتي علىٰ أوجُهٍ: الصلوات الخمس، وصلاة العصر، وصلاة الجمعة، والجنازة، والدعاء [والدين] والقراءة، والرحمة، والاستغفار، ومواضع الصلاة.

ومن ذلك: السوء، يأتي علىٰ أوجُهٍ: الشدة، والعَقْر، والزنا، والبَرَص، والعذاب، والشِّرك، والشتم [والذنب، وبمعنىٰ بئس] والضر، والقتل، والهزيمة.

ومن ذلك: الرحمة، وردت علىٰ أوجُهٍ: الإسلام، والإيمان، والجنة، والمطر، والنعمة، والنبوَّة، والقرآن، والرزق، والنصر [والفتح] والعافية [والمودَّة] والسعة، والمغفرة، والعصمة.

ومن ذلك: الفتنة، وردت علىٰ أوجُهٍ: الشرك، والإضلال، والقتل، والصد، والضلالة، والمعذرة، والقضاء، والإثم، والمرض، والعِبرة، والعقوبة، والاختبار، والعذاب، والإحراق، والجنون.

ومن ذلك: القضاء، ورد علىٰ أوجُهٍ: الفراغ، والأمر، والأجل، والفصل،

(١) في الإتقان: وجيش.

والمضيُّ، والهلاك، والوجوب، والإبرام، والإعلام، والوصية، والموت، والنزول، والخَلْق، والفعل، والعهد.

ومن ذلك: الذِّكر، ورد علىٰ أوجُهٍ: ذِكرُ اللسان، وذِكر القلب، والحفظ، والطاعة، والجزاء، والصلوات الخمس، والعَظَمة، والبيان، والحديث، والقرآن، والتوراة [والخبر] والشرف، والعيب، واللوح المحفوظ، والثناء، والوحي، والرسول، والصلاة، وصلاة الجمعة، وصلاة العصر.

ومن ذلك: الدعاء، ورد علىٰ أوجُهٍ: العبادة، والاستعانة، والسؤال، والقول، والنداء، والتسمية.

ومن ذلك: الإحصان، ورد علىٰ أوجُهٍ: العفة، والتزوُّج والحرية.

ولكل ما ذكرنا شواهد من القرآن لا نطوِّل بذكرها.

(**وكذلك قد يقع الإبهام في الحروف، مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾** [العاديات: ٤ - ٥] **فالهاء الأولىٰ كناية عن الحوافر وهي الموريات**) قدحًا، يعني الخيل تقدح بحوافرها فتوري النار (**أي أثرن بالحوافر نقعًا**) والنقع: التراب (**و**) الهاء (**الثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات صبحًا، فوسطن به**) بالإغارة (**جمعًا، أي جمع المشركين فأغاروا**) عليهم (**بجمعهم**) والمشركون غارون. كذا في القوت. ومن غرائب التفسير أن المراد بالجمع هنا مزدلفة؛ نقله الطبري في مناسكه(1).

(**و**) بهذا المعنىٰ (**قوله** ﷻ: **﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾**) [الأعراف: ٥٧] الهاء الأولىٰ عائدة علىٰ السحاب (**يعني**) أنزلنا (**بالسحاب**) الماء، وفي قوله: (**﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾**) مبدَل ومكنّىٰ، فالمكنّىٰ هو ما ذكرناه من أسماء السحاب (**يعني بالماء**) والمبدَّل أن «به» بمعنىٰ منه، كقوله:

---

(١) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٤٢٠.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] وقال في الصريح المفسَّر: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝﴾ [النبأ: ١٤] يعني السحاب [وهو قوله: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ وقوله في الهاء الثانية: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يعني بالماء] فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فأشكل (**وأمثال هذا في القرآن لا تنحصر**).

ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ۝﴾ [النحل: ١٠٠] الهاء الأولىٰ المتصلة بـ«يتولَّون» كناية عن إبليس، والهاء المتَّصلة بالباء هي اسم الله تعالىٰ، وقد قيل: إنها عائدة علىٰ إبليس أيضًا، فيكون المعنىٰ: هم به قد أشركوا في التوحيد، أي أشركوه بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ.

ومن ذلك قوله: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الأعراف: ٢٠٢] فضمير «إخوانهم» المراد به أسماء الشياطين، وضمير «يمدُّونهم» أسماء المشركين، أي الشياطين إخوان المشركين يمدُّون المشركين في الغيِّ، ولا يقصرون عنهم في الإمداد.

(**ومنها التدريج في البيان**) بالثاني والثالث للخطاب المجمل (**كقوله تعالىٰ**: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] **إذ لم يظهر منه**) إلا أن القرآن أُنزِلَ في شهر رمضان، وهذا هو البيان الأول ولم يُفهَم (**أنه ليل أو نهار**) أي نهارًا أُنزِلَ فيه أو ليلاً (**فبانَ بقوله**: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾) [الدخان: ٣] أنه أُنزِلَ ليلاً، وهذا هو البيان الثاني (**ولم يظهر منه**) إلا أنه أُنزِلَ في ليلة مباركة، ولم يُدْرَ (**أيّ ليلة**) هي (**فظهر بقوله**: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝﴾) [القدر: ١] وهذا هو البيان الثالث، وهو غاية البيان (**وربما يُظَن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات**) وليس كذلك.

وبمعناه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ﴾ [القصص: ١٤] فهذا البيان الأول زيادة علىٰ الأشُدِّ [وهو الوصف، إلا أنه] غير مفسَّر، ثم قال في البيان الثاني: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ففسَّر الأشُد

بالأربعين إذا كانت [الواو] للمدح والوصف في أحد الوجهين **(فهذا وأمثاله)** في القرآن كثير، وإنما وقع التنبيه بالقليل علىٰ الكثير ليُستدَل بما ذُكر علىٰ نحوه، ويُتطرَّق به إلىٰ غيره و**(لا يغني فيه إلا النقل والسماع)** والتلقِّي من أفواه مَن له أهليَّة تامَّة فيه **(والقرآن من أوله إلىٰ آخره غير خالٍ عن هذا الجنس؛ لأنه أُنزِلَ بلغة العرب)** الذين هم أفضل الخليقة الإنسانية، ولغتهم أشرف اللغات **(فكان مشتملاً علىٰ أصناف كلامهم)** ومعاني استعمالهم، ووجوه استحسانهم **(من إيجاز)** لفظ **(وتطويل)** لبيان **(وإضمار)** لنكتة **(وحذف)** لفائدة **(وإبدال)** لرعاية **(وتقديم)** لشرف **(وتأخير)** لتحسين، وكلُّه فصيح بليغ؛ لأن وصف البلاغة عندهم: ردُّ الكثير المنثور إلىٰ القليل المجمل، وبسطُ القليل المجمَل إلىٰ المبثوث المفسَّر **(ليكون ذلك مفحمًا)** أي مسكتًا **(لهم)** عند التحدِّي **(ومعجزًا في حقِّهم)** وحُجَّة عليهم من حيث يعقلون؛ لأنه أمرهم فيه بما يعلمون وما يستحسنون حكمةً منه ولطفًا **(فكل من اكتفَىٰ)** فيه **(بفهم ظاهر العربية)** من معرفة التجويد والإعراب ولم يترشَّح بالأدوات والآلات التي تقدَّم ذِكرُها **(وبادر إلىٰ تفسير القرآن ولم يستظهر)** مع ذلك **(بالسماع)** من أهله **(والنقل)** الصحيح من الطرق المقبولة **(في هذه الأمور)** التي ذُكرت **(فهو داخل فيمَن فسَّر القرآن برأيه)** ومثل هذا ولو أصاب فقد أخطأ **(مثل أن يفهم من)** لفظ **(«الأمَّة» المعنىٰ الأشهر منه)** وهو أتباع الأنبياء عليهم السلام **(فيميل طبعُه ورأيه إليه)** فيفسره به **(فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيُه إلىٰ ما سمعه من مشهور معناه)** الذي جُبل عليه ذهنُه **(وترك تتبُّع النقل في كثير معانيه)** بحسب مواقع الاستعمال **(فهذا يمكن أن يكون منهيًّا عنه)** مرادًا به في حديث النهي **(دون الفهم لأسرار المعاني، كما سبق)** بيانه **(فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور عُلم ظاهر التفسير، وهو)** كناية عن **(ترجمة الألفاظ)** وتأدية المعنىٰ الصحيح الحاصل من قوالب الألفاظ، مع مراعاة القواعد **(ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني)** بل الفهم فيها للخصوص يشهدون فيها بقَدْر ما قُسم لهم من العقل عنها، فهم متفاوتون في الأشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم؛

إذ في القرآن عموم وخصوص، ومحكَم ومتشابه، وظاهر وباطن؛ فعمومه لعموم الخلق، وخصوصه لخصوصهم، وظاهره لأهل الظاهر، وباطنه لأهل الباطن، والله واسع عليم ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣] (**ويُدرَك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عَزَّوَجَلَّ قال**) في كتابه العزيز: (﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾) [الأنفال: ١٧] خاطب به نبيَّه ﷺ (**فظاهر تفسيره واضح**) حيث نفىٰ الرمي عنه وأثبت الرمي له جلَّ جلالُه؛ إذ كل شيء تحت حيطة قدرته وأمرِه (**وحقيقة معناه غامض**) إذا تأمَّله المتأمِّلُ (**فإنه إثبات للرمي**) بقوله «إذ رميت» (**ونفيٌ له**) بقوله «وما رميت» (**وهما**) أي الإثبات والنفي (**متضادَّان**) أي لا يجتمعان معًا (**في الظاهر ما لم يُفهَم أنه رمىٰ من وجه، ولم يرمِ من وجه، ومن الوجه الذي لم يرمِ رمىٰ اللهُ تعالىٰ**) فينتفي التَّضادُّ حينئذٍ (**وكذلك قول الله تعالىٰ**: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] **فإذا كانوا**) أي المؤمنون (**هم المقاتلين**) أي المأمورين بقتالهم (**كيف يكون الله تعالىٰ هو المعذِّب؟! وإن كان الله تعالىٰ هو المعذِّب**) كما ثبت في ظاهر الآية، ومعنىٰ «بأيديهم» أي (**بتحريك أيديهم فما معنىٰ أمرِهم بالقتال**)؟! فعند التأمُّل فيه التناقضُ (**فحقيقة هذا يُستمَدُّ من**) التوغُّل في (**بحر عظيم من علوم المكاشَفات لا يغني عنه ظاهرُ التفسير، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال**) كلِّها أولاً (**بالقدرة الحادثة**) التي اتَّصف بها العبدُ (**ويفهم**) ثانيًا (**وجهَ ارتباط**) هذه (**القدرة**) الحادثة (**بقدرة الله عَزَّوَجَلَّ**) علىٰ ما سبق تفصيلُه في شرح كتاب قواعد العقائد (**حتىٰ ينكشف بعد إيضاح علوم كثيرة غامضة**) عن أفهام أكثر الخلق، وهي من علوم المكاشَفة (**صدق قوله عَزَّوَجَلَّ**: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾) وقد أَلَمَّ المصنِّفُ بهذا المبحث في كتابه «المقصد الأسنىٰ»، وأطال في تصوير المسألة، ونحن نختصر ذلك ونقتصر منه علىٰ القَدْر الذي يناسب سياقَ الكتاب، قال[1]: فإن قلتَ: فما

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٥٠ - ٥٩.

السبيل إلىٰ معرفة الله تعالىٰ؟ فأقول: لو قال لنا صبي أو عِنِّين: ما السبيل إلىٰ معرفة لذَّة الجماع وإدراك حقيقته؟ قلنا: ههنا سبيلان، أحدهما: نَصِفُه لك حتىٰ تعرفه، والثاني: تصبر حتىٰ تظهر فيك غريزة الشهوة ثم تباشر الجِماع حتىٰ تظهر فيك لذَّته فتعرفه، وهذا السبيل الثاني هو المحقَّق المفضي إلىٰ حقيقة المعرفة، فأمَّا الأول فلا يفضي إلا إلىٰ التوهُّم وتشبيه الشيء بما لا يشبهه؛ إذ غايتنا أن نمثِّل له لذَّة الجماع عنده بشيء من اللذَّات التي يدركها العِنِّينُ كلذَّة الطعام [والشراب] الحلو مثلاً، أفتَرىٰ أن هذا يُفهِمه حقيقةَ لذَّة الجماع كما هي حتىٰ ينزل في معرفتها منزلة مَن ذاق تلك اللذةَ وأدركها؟ هيهات هيهات! إنما غاية هذا الوصف إيهام وتشبيه [خطأ وتفهيم] ومشاركة في الاسم، لكن يُقطَع التشبيه بأن يقال: ليس كمثله شيء، فهو حيٌّ لا كالأحياء، قادر لا كالقادرين، كما يقال: الجماع لذيذ كالسكر، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتَّة، ولكن تشاركها في الاسم. وكأنَّا إذا عرفنا أن الله تعالىٰ حيٌّ قادر عالِم فلم نعرف إلا [أنفسنا، ولم نعرفه] إلا بأنفسنا. فإذا قال القائل: كيف يكون الله تعالىٰ عالمًا بالأشياء؟ فنقول: كما تعلم أنت أشياء. فإذا قال: كيف يكون قادرًا؟ فنقول: كما تقدر أنت. فلا يمكنه أن يفهم شيئًا إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولاً ما هو متَّصف به، ثم يعلم غيره بالمقايسة إليه، فهذه معرفة قاصرة يغلب عليها الإيهام والتشبيه، فينبغي أن تقترن بها المعرفة بنفي المشابهة أصلاً وبنفي أصل المناسبة مع المشاركة في الاسم.

ثم أطال في تصوير ذلك، ثم قال في تفاوت درجات العارفين في المعرفة: اعلمْ أن للمعرفة سبيلين، أحدهما: السبيل الحقيقي، وذلك مسدود إلا في حق الله تعالىٰ، فلا يهتزُّ أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردَّتْه سبحات جلاله إلىٰ الحيرة. وأمَّا السبيل الثاني وهو معرفة الصفات والأسماء، فذلك مفتوح للخلق، وفيه تتفاوت مراتبهم.

ثم أطالَ في تصوير ذلك إلىٰ أن قال: وهذه المعرفة - أعني بطريق الصفات

والأسماء - لا تكون بالكمال في الحقيقة إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فالحاصل عندنا من قدرة الله تعالىٰ أنه وصفٌ ثمرته وأثره وجود الأشياء، وينطلق عليه اسمُ القدرة؛ لأنه يناسب قدرتنا مناسبةَ لذةِ الجماع للسكر، وهو[١] بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم، كلَّما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حظُّه من [معرفة] صفة القدرة أوفر؛ لأن الثمرة تدل علىٰ المثمِر، وإلىٰ هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين، وبه تعرف أن مَن قال: لا أعرف إلا الله، فقد صدق. ومن قال: لا أعرف الله، فقد صدق؛ فإنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فإذا نظر إلىٰ أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يَرَها من حيث إنها سماء وأرض وشجر بل من حيث إنها صنعته فلم تجاوز معرفتُه حضرةَ الربوبية، فيمكنه أن يقول: ما أعرف إلا الله [وما أرىٰ إلا الله] ولو تُصُوِّر شخصٌ لا يرىٰ إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول: ما أرىٰ إلا الشمس؛ فإنَّ النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجًا منها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزليَّة وأثر من آثارها، وكما أن الشمس ينبوع النور الفائض علىٰ كل مستنير، فكذلك المعنىٰ الذي قصرت العبارةُ عنه فعُبِّر عنه بالقدرة الأزليَّة للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض علىٰ كل موجود، فليس في الوجود إلا الله تعالىٰ، فيجوز أن يقول العارف: ما أعرف إلا الله تعالىٰ، ومن العجائب أن يقول: لا أعرف إلا الله تعالىٰ، ويكون صادقًا، ويقول: لا أعرف الله، ويكون أيضًا صادقًا، ولكن ذلك بوجه، وهذا بوجه. ولو كذبت المتناقضات إذا اختلفت وجوه الاعتبارات لَما صدق قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ولكنه صادق؛ لأن للرمي اعتبارين، وهو منسوب إلىٰ العبد بأحدهما، ومنسوب إلىٰ الرب بالثاني، ولا تناقُض فيه. ولتقبض عنان الكلام، فقد خُضْنا لُجَّة بحرٍ لا ساحل له، وأمثال هذه الأسرار لا ينبغي أن تُبتذَل بإيداع الكتب. والله أعلم.

---

(١) في المقصد الأسنىٰ: وهذا كله.

(ولعل العمر لو أُنفِق) أي صُرفت مدَّته (في استكشاف أسرار هذا المعنىٰ) الذي ذُكر (وما يرتبط بمقدِّماته ولواحقه) التي منها: معرفة درجات الكمال، ثم معرفة الرغبة في طلبه كيف تكون، ومعرفة تماثُل الضدينِ، ومعرفة أن واجب الوجود هل يرجع معناه إلىٰ سلب السبب عنه أو إلىٰ إضافة الأفعال إليه، وما نهاية معرفة العارفين، وكيف تتفاوت درجاتهم، وهل معرفته بالصفات معرفة تامَّة حقيقيَّة أمْ لا، وغير ذلك من العلوم التي تتعلَّق به (لانقطع العمر قبل استيفاء جميع لواحقه) لكثرتها وصعوبتها (وما من كلمة من) كلمات (القرآن إلا وتحقيقها محوِج إلىٰ مثل ذلك) لِما سبق أن لكل كلمة من كلماته أربعة علوم (وإنما ينكشف للراسخين في العلم) الإلهي النافع، المُعرِضين عن علوم الدنيا (من أسراره) وحقائقه ومعانيه (بقَدْر غزارة علومهم) أي كثرتها (وصفاء قلوبهم) بأنوار اليقين (وتوفُّر دواعيهم علىٰ التدبُّر) في معانيه (وتجرُّدهم للطلب) أي للسلوك، وكذا تجرُّد الهمِّ من تعلُّقٍ بخلقٍ، وخلو النفس من الهوىٰ، فأولئك مشهدهم تلك المعاني علىٰ علوِّ مقامهم في مكان ما أُظهِرَ لهم من العلم به ونصيب ما قُسم لهم من العقل عنه (ويكون لكل واحد حدٌّ في الترقِّي إلىٰ درجة منه) فهم متفاوتون في الأشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم (فأمَّا الاستيفاء فلا مَطمع فيه) لأحد (ولو كان البحر مدادًا) لكتابته (والأشجار أقلامًا) تُبرَىٰ كما تُبرَىٰ الأقلام يُستمَدُّ بها علىٰ الكتابة (فأسرار كلمات الله لا نهاية لها) ومنها معلوماته ومقدوراته لا نهاية لها (فتنفد) أي تفنَىٰ (الأبحُر) الممِدَّة للكتابة (قبل أن تنفد كلمات الله عَزَّوَجَلَّ) وهذا الكلام مضمَّن قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية، وقد سبق ذلك (فمن هذا الوجه يتفاوت الخلق في الفهم) علىٰ قَدْر تفاوتهم في المعرفة (بعد الاشتراك في ظاهر التفسير، وظاهر التفسير لا يغني عنه) أي لا بدَّ من تحصيله أولاً وإلا كان عاجزًا (ومثاله فهمُ بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده) فيما رواه الستة إلا البخاري[1] من حديث عائشة ﵂ قالت: فقدتُ رسولَ الله ﷺ

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٢٣. سنن أبي داود ٢/ ١٠. سنن الترمذي ٥/ ٤٧٤. سنن النسائي ص ٣٦، ١٧٩، ١٨٣. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٣.

ليلةً من الفراش، فالتمستُه، فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه وهو بالمسجد وهما منصوبتان وهو يقول: اللهم إني (**أعوذ برضاك من سَخَطك**) أي[١] بما يرضيك عمَّا يسخطك (**وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك**) استعاذ بمعافاته بعد استعاذته برضاه؛ لأنه يحتمل أن يرضىٰ عنه من جهة حقوقه ويعاقبه علىٰ حقوق غيره (**وأعوذ بك منك**) أي برحمتك من عقوبتك؛ فإنَّ ما يُستعاذ منه [صادر] عن مشيئته وخلقه بإذنه وقضائه، فهو الذي سبَّب الأسبابَ التي يُستعاذ به منها خلقًا وكونًا، وهو الذي يعيذ منها ويدفع شرَّها خلقًا وكونًا، فمنه السبب والمسبَّب، وهو الذي حرَّك الأنفُس والأبدان وأعطاها قوىٰ التأثير، وهو الذي أوجدها [وأعدَّها] وأمدَّها، وهو الذي يمسكها إذا شاء ويحول بينها وبين قُواها وتأثيرها، فتأمَّلْ ما تحت قوله هذا من محض التوحيد، وقطع الالتفات إلىٰ غيره، وتكميل التوكل عليه، وإفراده بالاستعانة وغيرها (**لا أحصي**) أي لا أطيق (**ثناءً عليك**) في مقابلة نعمة واحدة من نِعَمك، والغرض منه الاعتراف بتقصيره عن أداء ما وجب عليه من حق الثناء عليه تعالىٰ (**أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**) وهذا اعتراف بالعجز عن التفصيل، فوكله إلىٰ الله سبحانه، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه. هذا الذي ذكرناه هو تفسير أهل الظاهر ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي[٢] وغيره من العلماء.

وأمَّا فهمُ بعض أرباب القلوب من هذا الدعاء (**أنه قيل له**) ﷺ في خطاب الله ﷻ إليه: (﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾)[العلق: ١٩] فعُلم منه أن السجود محل القُربة من الله تعالىٰ؛ لأنه تنزيه بما يستحقُّه الله تعالىٰ من العلوِّ والرفعة عن صفات المُحدَثين، وتحقيق بما عليه العبد من الذل والاستكانة (**فوجد القُربَ في السجود**) ولذا قال لمَن سأله القرب منه: «أعِنِّي بكثرة السجود» (**فنظر إلىٰ الصفات فاستعاذ**

(١) فيض القدير ٢/ ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) الذي في الفيض «ذكره القاضي». والمقصود هنا القاضي ناصر الدين البيضاوي صاحب التفسير، كما نص عليه المناوي في مقدمة الفيض.

ببعضها من بعض؛ فإنَّ الرضا والسخط وصفانِ) منبثَّان عن مشاهدة الأفعال ومصادرها منه تعالىٰ فقط، فكأنَّه لم يَرَ إلا الله فقط وأفعاله (ثم) لمَّا رأىٰ ذلك نقصًا في التوحيد (زاد قربُه، فاندرج القُربُ الأول فيه فرقىٰ) من مقام مشاهدة الصفات (إلىٰ) مقام مشاهدة (الذات فقال: أعوذ بك منك) وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة، بل رأىٰ نفسَه فارًّا منه إليه ففني عن مشاهدة نفسه (ثم زاد قربُه) فاندرج القُربُ الثاني فيه (بما استحيا به من الاستعاذة علىٰ بساط القرب فالتجأ إلىٰ الثناء فأثنىٰ بقوله: لا أحصي ثناءً عليك) فأخبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدة غيره (ثم علم أن ذلك قصور فقال: أنت كما أثنيت علىٰ نفسك) فأخبر أنه المثني والمثنَىٰ عليه، وأن الكل منه بدأ وإليه يعود، وكل شيء هالك إلا وجهه، فكان أول مقامه نهاية مقام الموحِّدين وهو أن لا يرىٰ إلا الله وأفعاله.

هذا ما فهم البعض المذكور، وفسَّرنا كلامه من جنس كلامه الموافق لذوقه الذي ذاقه، وصرَّح به المصنِّف في مواضع من مصنَّفاته بعبارات مختلفة تؤول إلىٰ هذا الذي ذكرتُه هنا، ومن ذلك قال المصنف في المقصد الأسنىٰ[1]: نهاية معرفة العارفين عجزُهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفونه، وأنه يستحيل أن يعرف اللهَ المعرفة الحقيقيَّة المحيطة بكنه صفات الربوبيَّة إلا الله تعالىٰ، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافًا برهانيًّا فقد عرفوه، أي بلغوا المنتهَىٰ الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وهو الذي عَناه رسول الله ﷺ حيث قال: «لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك»، ولم يُرِدْ به أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانُه في العبارة عنه، بل معناه: إني لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذًا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة، وأمَّا اتِّساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته (فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب) المنوَّرة والبصائر المقدَّسة (ثم لها أغوار وراء هذا) الذي ذُكر (وهو فهمُ معنىٰ القرب) الأول

---

(١) المقصد الأسنىٰ ص ٥٤.

واندراجه في الثاني، واندراج القرب الثاني في الثالث (**واختصاصه بالسجود**) دون غيره (**ومعنىٰ الاستعاذة من صفة بصفة، و**) كذا معنىٰ الاستعاذة (**منه به**) ومعنىٰ الفرار منه إليه (**وأسرار ذلك كثيرة، ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه**) وقد أشار إلىٰ شيء من ذلك الشيخ الأكبر قُدِّس سره في كتاب الشريعة[1]: أن العارف إذا تعوَّذ ينظر إلىٰ الحال الذي أوجب له التعوذَ، وينظر إلىٰ حقيقة ما يتعوَّذ به، وينظر إلىٰ ما ينبغي أن يُعاذ به فيتعوَّذ بحسب ذلك، فمَن غلب عليه في حاله أن كل شيء يُستعاذ منه بيد سيده وأنه في نفسه عبدٌ محلُّ التصريف والتقليب استعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ: «وأعوذ بك منك»، وهذه استعاذة التوحيد، يستعيذ به من الاتحاد، قال تعالىٰ: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان: ٤٩] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ۝٣٥﴾ [غافر: ٣٥] وقال: «الكبرياء رِدائي، والعَظَمة إزاري، فمَن نازعنىٰ فيهما قصمتُه». ومَن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ ممَّا لا يلائم بما يلائم، فعلاً كان أو صفةً، هذه قضية كلِّية، والحال بعين القضايا والحكم يكون بحسبها. ورد في الخبر: «أعوذ برضاك من سَخَطك»، فقد خرج العبد هنا عن حظِّ نفسه بإقامة حرمة محبوبه، فهذا لله، ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله: «بمعافاتك من عقوبتك»، فهذا في حظِّ نفسه، وأيُّ المرتبتين أعلىٰ في ذلك نظر، فمَن نظر إلىٰ ما يقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغه ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم وأن ذلك مُحال في نفس الأمر لم يَرَ إلا أن يكون في حظِّ نفسه فإنَّ ذلك عائد عليه، ومَن نظر في قوله: ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] قال: ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي، فأنا لا أعمل إلا في حق ربِّي لا في حق نفسي، فشرع الشارع الاستعاذتين لهذين الشخصين، ومَن رأىٰ أن وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود قال: أعوذ بك منك، وهي المرتبة الثالثة، وثبت في هذه المرتبة عين العبد. والله أعلم.

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٤٥٨.

(وليس هو مناقضًا لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلىٰ لُبابه) وخالصه **(عن ظاهره، فهذا ما نريده بفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهرَ. والله أعلم)** وذكر الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله في لطائف المنن[1]: اعلمْ أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت الآية له ودلَّت عليه في عُرف اللسان، وثَم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمَن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث: «لكل آية ظهر وبطن»، فلا يصدَّنَّك عن تلقِّي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنىٰ للآية إلا هذا. وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرُّون الظواهر علىٰ ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله ما أفهمَ.

خاتمة:

في بيان طبقات المفسِّرين من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم ﷺ، قصدتُ التبرُّك بذكر أسمائهم: اعلم[2] أنه اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسىٰ الأشعري، وعبد الله بن الزبير. فأمَّا الخلفاء فأكثرهم رواية رابعهم، والرواية عن الثلاثة نزرة جدًّا، وكأنَّ السبب في ذلك تقدُّم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلَّة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث. وأمَّا ابن عباس فقد سمَّاه ﷺ: ترجمان القرآن، رواه أبو نعيم في الحلية[3] والبيهقي في الدلائل[4]، وقد روىٰ عنه في التفسير جماعة من طرق مختلفة، أجودُها طريق علي بن أبي طلحة عنه، وله صحيفة كانت عند أبي

---

(١) لطائف المنن ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) الإتقان ص ٧٨٣ - ٧٨٩ باختصار.

(٣) حلية الأولياء ١/ ٣١٦ من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: دعا لي رسول الله ﷺ بخير كثير وقال: «نعم ترجمان القرآن أنت».

(٤) دلائل النبوة ٦/ ١٩٣ من قول ابن مسعود.

صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح عنه، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيرًا فيما يعلِّقه عن ابن عباس، وأخرج منها ابن جربر وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيرًا بوسائط بينهم وبين أبي صالح. ومن جيِّد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه، وهي صحيحة علىٰ شرط الشيخين، وكثيرًا ما يُخرِج منها الفريابي والحاكم في المستدرك. ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولىٰ آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه. هكذا بالترديد، وهي جيدة، وإسنادها حسن، وقد أخرج [منها] ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرًا، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء. وأوهَىٰ طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضمَّ إلىٰ ذلك رواية محمد بن مروان [السُّدِّي] الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيرًا ما يُخرِج منها الثعلبي والواحدي، وبعده[1] مقاتل بن سليمان وقد تُكُلِّم فيه. وطريق الضحَّاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإن انضمَّ إلىٰ ذلك رواية بِشْر بن عمارة عن أبي رَوْق عنه فهي ضعيفة لضعفِ بشر، وقد أخرج من هذه [النسخة] كثيرًا ابنُ جرير وابن أبي حاتم، وإن كان من رواية جويبر عن الضحَّاك فأشد ضعفًا؛ لأن جويبرًا متروك، وقد أخرج منها ابن مردويه وأبو الشيخ. وطريق عطية العَوْفي عن ابن عباس ضعيفة لضعف العوفي، لكن ربما حسَّن له الترمذيُّ.

ومن المبرزين في التفسير: مجاهد، عرض القرآن علىٰ ابن عباس ثلاثين مرة، واعتمد عليه الشافعي والبخاري وغيرهما. ومنهم سعيد بن جبير، وكان أعلمهم بالتفسير. ومنهم عكرمة ، وكان أعلمُهم بكتاب الله . ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي مسلم الخُراساني، ومحمد بن كعب القُرَظي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومُرَّة، وأبو مالك، والربيع بن أنس. فهؤلاء قدماء المفسرين.

وبعد هذه الطبقة أُلِّفت تفاسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير

---

(١) يعني الكلبي.

سفيان بن عُيَينة، ووكيع بن الجرَّاح، وشعبة بن الحجَّاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حُمَيد، وأبي بكر بن أبي شيبة، وآخَرين. وبعدهم تفسير ابن جرير الطبري، وهو أَجَلُّ التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه، ثم أبو الشيخ وابن المنذر في آخَرين، وكلُّها مسنَدة إلىٰ الصحابة والتابعين وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك، إلا ابن جرير فإنه يتعرَّض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها علىٰ بعض والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم أَلَّف في التفسير جماعةٌ، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراء، فدخل من هنا الدخيل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل مَن يسنح له قولٌ يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانًّا أن له أصلاً، غير ملتفت إلىٰ تحرير ما رُوي فيه عن السلف الصالح، حتىٰ إن بعضهم حكىٰ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارىٰ هو الوارد عن النبي ﷺ وأصحابه ومَن تبعهم[١]، حتىٰ قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافًا بين المفسرين.

ثم صنَّف بعد ذلك قومٌ برعوا في علوم، فمنهم المقتصر في تفسيره علىٰ الفن الذي يغلُب عليه، كالزَّجَّاج والواحدي في «البسيط» وأبي حَيَّان في «البحر» و«النهر» والسمين وغيرهم، اقتصروا في تفاسيرهم علىٰ الإعراب وتكثير الأوجُه المحتملة فيه، ونقلوا فيها قواعد النحو ومسائله وخلافيَّاته. وكالثعلبي، ليس له في تفسيره إلا القصص والأخبار عمَّن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة. وكالقرطبي، سرد في تفسيره الفقه من الطهارة إلىٰ أمَّهات الأولاد، وربما استطرد فيه إلىٰ إقامة [أدلَّة] الفروع الفقهية التي لا تعلُّق لها بالآية أصلاً والجواب عن حجج المخالفين. وكالفخر الرازي، ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وتتبَّعها[٢] حتىٰ خرج من

(١) انظر: الدر المنثور ١/ ٨٣ - ٨٧.

(٢) في الإتقان: وشبهها.

شيء إلىٰ شيء [حتىٰ] يقضي الناظرُ العجبَ من عدم مطابقة المُورَد للآية، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير.

وأمَّا المبتدع فليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها علىٰ مذهبه الباطل، بحيث إنه متىٰ لاحت له شاردة من بعيد اقتنصها، أو وجد موضعًا له فيه أدنىٰ مجال سارع إليه(١). ومنهم صاحب «الكشَّاف»، فقد حشا في تضاعيف تفسيره مذاهب الاعتزال وحسَّنها، وتحامَلَ علىٰ أهل السنَّة، وجعل الأحاديث المرفوعة مرقوعة تنكيتًا علىٰ أهل الحديث، فلا تسأل عن إلحاده وافترائه علىٰ الله ما لم يقلْه.

وأمَّا بعد هؤلاء فارتفع القيد أصلاً، ومالت الناس إلىٰ الاختصار، وأبطلوا الإسناد، وفسروا بوجوه المعقولات، ولم يبالوا صحَّت أو فسدت. فأحسن التفاسير علىٰ الإطلاق تفسير ابن جرير، وهو البحر الذي لا غاية بعده لطالب علم؛ إذ لم يؤلَّف في قبيله مثله.

وقد انتهىٰ بنا القول فيما أردناه من شرح كتاب أسرار تلاوة القرآن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له علىٰ توفيقه لِما فيه رضاه علىٰ أحسن الحالات، وأساله سبحانه أن يمنَّ عليَّ وعلىٰ سائر المسلمين بكشف كربي، وتفريج همِّي، وأن يشفي مرضي، ويحسن عواقب الجميع، بحرمة حبيبه محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذرِّياته والتابعين لهم بإحسان وسلم.

وقد فرغ من تحريره وتهذيبه مع تشتيت البال واختلال الأحوال صبيحة يوم الجمعة المباركة لأربع بقين من شهر ربيع الثاني من شهور سنة ١١٩٨ بمنزله بسويقة لالا مؤلفه العبد المضطر أبو الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، أصلح الله خلله، وتقبَّل عمله، وبلَّغه أمله ... آمين، حامدًا لله ومصلِّيًا ومسلِّمًا ومستغفرًا، وحسبنا الله ونِعم الوكيل.

(١) هنا آخر النقل عن الإتقان.

فهرس موضوعات كتاب أداب تلاوة القرأن

٨ - كتاب آداب تلاوة القرآن

كتـاب الأذكـار والدعوات

وفيه خمسة أبواب:

الباب الأول:

فضيلة الذكر وفائدته علىٰ الجملة

الباب الثاني:

آداء الدعاء وفضله، وفضل بعض الأدعية المأثورة، وفضيلة الاستغفار، وفضيلة الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ

الباب الثالث:

الأدعية المأثورة التي يستحب أن يدعو بها المريد صباحًا ومساءً وعقب كل صلاة

الباب الرابع:

الأدعية المأثورة عن رسول الله (ﷺ) وعن أصحابه

الباب الخامس:

الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

٩ - كتاب الأذكار والدعوات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وسلَّم، الله ناصر كل صابر. الحمد لله مستحق الحمد حتىٰ لا انقطاع، ومستوجب الشكر بأقصىٰ ما يُستطاع، الذي لا يُستفتَح بأفضل من اسمه كلامٌ، ولا يُستنجَح بأحسن من صنعه مَرام، الوهاب المَنَّان، الرحيم الرحمن، المدعوُّ بكل لسان، المرجوُّ للعفو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسئول، وأعظم مأمول، عالِم الغيوب، مفرِّج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيَّد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وتابعيه وأحزابه صلاةً تشرق إشراق البدور، وتتردَّد تردُّد أنفاس الصدور، وسلَّم وكرَّم وشرَّف وعظَّم.

أمَّا بعد، فهذا شرح كتاب الأذكار والدعوات، وهو التاسع من الربع الأول من الإحياء للإمام الهُمام حُجَّة الإسلام أبي حامد الغزالي، تغمَّده الله بالرحمة الشاملة والمغفرة الكاملة، سلكت شِعابَه، ورُضْتُ صِعابَه، فكم من مشكل قد أعربتُ عنه، وبيَّنتُ ما أُبهِم منه، وهذَّبت فوائده أحسن تهذيب، وأوضحت مرويَّاته علىٰ أجمل ترتيب، بتحرير ما ينبغي تحريره،

وتقرير ما يقتضي تقريره، إحكامًا للقواعد، وإجراءً علىٰ جميل العوائد، حتىٰ وضح سبيلُه للواردين، وراقَ زُلاله للشاربين، هذا مع ما أنا فيه من اختلاف الأحوال، وتشتيت البال، وتواتُر الأنكاد والأهوال، وكدورات تفرِّق الأوصال، وأشغال تحجب الخواطر عن الأعمال، متوسِّلاً بيُمْن جاه مؤلِّفه إلىٰ المولىٰ اللطيف أن يمنَّ علينا بالعفو والعافية والنجدة من كل مخيف

عسىٰ الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب[1]

إنه علىٰ فرجه قدير، وبما أمَّلتُه جدير. عبد عبد

قال المصنِّف رحمه الله تعالىٰ: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) إمام[2] كتابه ومقدمة خطابه، مضمَرًا فيه فعلاً من الحمد، يقول: لا يُثنَىٰ علىٰ الله إلا بأسمائه الحسنىٰ، وهىٰ هنا ثلاثة: الاسم «الله» وهو الجامع، ودلالته علىٰ الذات المجرَّدة علىٰ الإطلاق من حيث هي بنفسها من غير نسبة، ولكون الاسم «الله» غير مشتق لا يُتوهَّم في البسملة اشتقاق، ولهذا سُمِّيت بها وهو الاسم مع «الله»، و«الرحمن الرحيم» لا من حيث المرحومين، ولا من حيث تعلُّق الرحمة، بل من حيث ما هي صفة له جلَّ جلاله؛ فإنه ليس لغير الله ذِكر في البسملة، ومهما ورد اسم الإله لا يتقدَّمه كونٌ، ولا يتأخر عنه كونٌ؛ فإنَّ ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته علىٰ الذات، لا من حيث الصفة المعقولة منه، ولا من حيث ما يطلبه الكون (**الحمد لله**) أي عواقب الثناء ترجع إليه سبحانه، أي كل ثناء يُثنَىٰ به علىٰ كون من الأكوان دون الله

---

(١) البيت لهدبة بن خشرم العذري، من أبيات قالها في الحبس عندما قتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في زمن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحبسه سعيد بن العاص أمير المدينة خمس سنين. انظر: كتاب سيبويه ٣/ ١٥٨ - ١٥٩. أمالي القالي ١/ ١٠٠ - ١٠١ (ط - الهيئة المصرية العامة للكتاب). خزانة الأدب للبغدادي ٩/ ٣٢٨ - ٣٤٠. ربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ٢٤٢. العقد الفريد لابن عبد ربه ٦/ ٢٥٧.

(٢) الفتوحات المكية ١/ ٤٥٩.

تعالىٰ فعاقبته إليه[١] بطريقتين، إحداهما: أن الثناء علىٰ الكون إنما يكون بما هو عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة أو بما يكون منه، وعلىٰ أيِّ وجه كان فإن ذلك راجع إلىٰ الله تعالىٰ؛ إذ كان الله هو الموجِد لتلك الصفة ولذلك الفعل لا للكون، فعاقبة الثناء عادت إلىٰ الله تعالىٰ. والثانية: أن ينظر العارف فيرىٰ أن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عين ظهور الحق فيها، فهو متعلَّق الثناء لا الأكوان، ثم إنه ينظر في موضع اللام من قوله «لله» فيرىٰ أن الحامد عين المحمود لا غيره، فهو الحامد المحمود، وينفي الحمد عن الكون من كونه حامدًا، وينفي كون الكون محمودًا، فالكون من وجهٍ محمودٌ لا حامد، ومن وجه لا حامد ولا محمود؛ أمَّا كونه غير حامد فقد بيَّناه؛ لأن الفعل لله. وأمَّا كونه غير محمود فإنما يُحمَد المحمود بما هو له لا بما هو لغيره، والكون لا شيء له، فما هو محمود أصلاً، كما ورد في الخبر: «المتشبِّع بما لا يملك كلابس ثوبَي زور».

(الشاملة رأفته، العامة رحمته) الشمول[٢] والعموم بمعنًىٰ واحد، وهو الإكثار وإيصال الشيء إلىٰ جماعة؛ قاله أبو البقاء. وقال غيره: هو إحاطة الأفراد دَفعةً[٣].

والرأفة[٤]: عطفُ العاطف علىٰ مَن يجد عندة منه وصلة، فهي رحمة ذي الصلة بالراحم، والرحمة تعمُّ مَن لا صلة لة بالراحم، والمرءوف به تقيمه [عناية] الرأفة حتىٰ تحفظ بمسراها في سرِّه ظهور ما يستدعي العفو، وتارةً يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلَّة، وتارةً يضم إلىٰ ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب، وهذا خاصٌّ بمن له بالمنعم نوع وصلة.

---

(١) أي إلىٰ الله.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف ص ٢٤٧.

(٣) في التوقيف: «العموم لغة: إحاطة الأفراد دفعة، وعرفا: ما يقع من الاشتراك في الصفات».

(٤) التوقيف ص ١٧٣. نظم الدرر للبقاعي ٢/ ٢١٥، ١٣/ ٨٥.

والرحمة[١]: نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه، أدناه كشفُ الضر وكف الأذىٰ، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب.

وقال المصنِّف في المقصد الأسنىٰ[٢]: عموم الرحمة من حيث تشمل المستحقَّ وغيرَ المستحق، وعم الدنيا والآخرة، وتناوُل الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها.

(**الذي جازىٰ عبادَه**) أي عامَلَهم بالجزاء (**عن ذِكرهم**) له بالقلب أو باللسان (**بذكره فقال تعالىٰ**: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾) [البقرة: ١٥٢] وفي الخبر: «إن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه». فذِكرُه لنا منوط بذكرنا له (**ورغَّبهم في السؤال والدعاء**) والطلب والتضرُّع (**بأمره فقال**: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾) [غافر: ٦٠] وجاءت الأحاديث الصحيحة بالحثِّ عليه، سيأتي ذِكرُها في فضيلة الدعاء (**فأطمع المطيعَ والعاصي، والقاصي**) هو البعيد (**والداني**) هو القريب (**في الانبساط إلىٰ حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني**) جمع أمنية، وهي كل ما يتمنَّاه الإنسان (**بقوله جل وعز**: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾) [البقرة: ١٨٦] وفي الآية إشعار بالاستجابة، وفيها لطائف سيأتي ذِكرُها في فضيلة الدعاء.

(**والصلاة**) التامة الكاملة (**علىٰ محمد سيد أنبيائه**) أي رئيسهم إن خَلْقًا وإن خُلُقًا (**وعلىٰ آله وصحبه خيرة أصفيائه**) يقال: رجل خيِّر، ككيِّس: ذو خير، وقوم أخيار وخِيَرة. والأصفياء جمع صفيٍّ وهو المختار. والمعنىٰ أن آله وأصحابه هم المختارون لصحبته، وهم ذوو الخير والفضل والمجد، أو خيار المختارين الذين اصطفاهم الله تعالىٰ لصحبته وعشرته (**وسلِّم تسليمًا كثيرًا**.

---

(١) التوقيف ص ١٧٦. نظم الدرر ٢/ ٨٩.

(٢) المقصد الأسنىٰ ص ٦٥.

أمَّا بعد، فليس بعد تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ودراسته (**عبادة**) تعبَّدنا اللهُ بها (**تؤدَّىٰ باللسان**) وبالجِنان أيضًا (**أفضل من ذِكر الله تعالىٰ، و**) لا أعظم من (**رفع الحاجات**) إليه (**بالأدعية الخالصة**) وهي التي تكون بإخلاص قلب وإمحاض نيَّة (**إلىٰ الله تعالىٰ**) خاصةً؛ لِما[1] فيها من إظهار عز الربوبية وذل العبودية، وبها تحصل السعادة الأبدية والحياة السرمديَّة، وهي الوصلة إلىٰ الجِنان، والوسيلة إلىٰ النظر والرضوان، ويحصل للداعي ما لا يحصل بغيره من العبادات؛ لأن انتفاعه بفعله العبادات، ونفعُ الدعاء يقع في الحياة والممات، فيدعو الوالد لولده حيًّا وميتًا، وكذا الولد لوالده، والحبيب لحبيبه، والقريب للبعيد، والبعيد للقريب، وهو مَظَنَّة الإجابة، بديل تأمين المَلَك وقوله «ولك مثله»، مع سهولة الدعاء وعدم تقيُّده بمكان ولا زمان، والدعاء واصلٌ للمدعوِّ له بإجماع، وكذا الصدقة عن الميت، بخلاف غيره من العبادات ففي وصولها إليه خلافٌ، وفي قوله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». ولم يَرِد ذلك في غيره من العبادات.

لطيفة: وهو أنه لمَّا كان المخ من أعضاء الحيوان هو المغذِّي لها والمقوِّم لاستدامة بقائها شُبِّه الدعاء به؛ لأنه يعمل هذا العمل، ووجه تخصيصه بذلك من دون سائر العبادات اشتمالُه علىٰ حضور قلبيٍّ لا يوجد في غيره؛ فإنَّ مَن تُعُبِّد بالصلاة أو الصوم أو الحج أو غيرها يغلُب عليه فيها الغفلةُ، فإذا دعا استدعىٰ ذلك منه مزيد حضور في قلبه، ذلك الحضور هو روح العبادة، فلذا جاء التخصيص، ويؤخذ منه تفضيل الداعي علىٰ العابد، وذلك لِما فيه مع الحضور من التذلل وإظهار الفاقة وذل العبودية وعز الربوبية، فكل داعٍ عابدٌ، ولا ينعكس. والدعاء دأب الأنبياء عليهم السلام ومَفزعهم في الشدائد، علىٰ ما أخبر تعالىٰ في سورة الأنبياء وغيرها بقوله:

---

(١) الأزهية في أحكام الأدعية للزركشي ص ٢١ - ٢٤ (ط - دار الفرقان).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] فنبَّه علىٰ علة الإجابة لدعائهم وأنها ثواب لهم بطاعتهم، وتعجيلها جزاء لمسارعتهم إلىٰ ما كُلِّفوا به، وفي ذلك حثٌّ علىٰ الطاعة.

(فلا بدَّ من شرح فضيلة الذِّكر علىٰ الجملة) أي إجمالاً (ثم علىٰ التفصيل في أعيان الأذكار، وشرح فضيلة الدعاء) ومطلوبيته، وأفضليَّته (وشروطه، وآدابه، ونقل المأثور) أي المرويِّ (من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا) من جوامع الكَلِم الشريفة (والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها. ويتحرَّر المقصود من ذلك) كلِّه (بذكر أبواب خمسة:

الباب الأول: في فضيلة الذِّكر وفائدته جملةً وتفصيلاً.

الباب الثاني: في فضيلة الدعاء وآدابه) وشروطه **(وفضيلة الاستغفار و)** فضيلة **(الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ.**

الباب الثالث: في أدعية مأثورة) أي منقولة عن السلف **(ومَعْزِيَّة)** أي منسوبة **(إلىٰ أصحابها وأسبابها.**

الباب الرابع: في) ذِكر **(أدعية منتخبة)** مختارة **(محذوفة الإسناد)** وفي نسخة: الأسانيد **(من الأدعية المأثورة)** عن النبي ﷺ.

(الباب الخامس: في) ذِكر **(الأدعية المأثورة)** المرويَّة المرفوعة **(عند حدوث الحوادث)** من نوائب الدهر.

الباب الأول:

في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة

(والتفصيل من الآيات) القرآنية (والأخبار) النبوية (والآثار) السَّلفية (ويدل على فضيلة الذِّكر على الجملة) أي إجمالاً (من الآيات قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي استحضِروا جلالي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان.

(وقال ثابت) أبو محمد (البُناني) بضم الموحدة وتخفيف النون، التابعي الجليل: (إني أعلم متى يذكرني ربِّي عَزَّوَجَلَّ. ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرتُه ذكرني) أخرجة أبو نعيم في الحلية فقال[1]: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا بكير بن محمد، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت البُناني، عن رجل من العُبَّاد قال يومًا لإخوانه: إني لأعلمُ حين يذكرني ربي. قال: ففزعوا من ذلك وقالوا: تعلم حين يذكرك ربُّك عَزَّوَجَلَّ؟! قال: نعم. قالوا: ومتى؟ قال: إذا ذكرتُه ذكرني. قال: وإني أعلم حين يستجيب لي ربِّي تعالى. قال: فعجبوا من قوله، قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربُّك تعالى؟! قال: نعم. قالوا: فكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي واقشعرَّ جلدي وفاضت عيني وفُتح لي في الدعاء فثَم أعلمُ أنْ قد استُجيب لي. فسكتوا.

(وقال تعالى: ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٢٤.

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ **الآية** [البقرة: ١٩٨] **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠] ولـم[١] يقل: أبناءكم؛ لأن ذِكر الإنسان أباه إنما يكون بالتعظيم، وذِكر ابنه بالشفقة، واللائق بحضرة الله التعظيم، وفيه إشارة إلىٰ استحضار الوحدانية؛ لأن الابن لو نُسب إلىٰ غير أبيه لاستنكف (**وقال تعالىٰ**: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾) [النساء: ١٠٣] أي[٢] فداوِموا علىٰ الذِّكر في جميع الأحوال (**قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) في تفسير هذه الآية: (**أي بالليل والنهار، في البر والبحر، والسفر والحضر، والغنىٰ والفقر، والمرض والصحة، والسر والعلانية**)[٣] وهو تفسير للمداوَمة علىٰ الذِّكر في الأحوال كلِّها، وقيل: المعنىٰ: إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فصلُّوها كيفما أمكنكم قيامًا [مسايفين و] مقارعين وقعودًا مرامين وعلىٰ جنوبكم مثخنين (**وقال تعالىٰ في ذم المنافقين**: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ١٤٢﴾ [النساء: ١٤٢] **وقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥] **وقال تعالىٰ**: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] **قال ابن عباس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا) في تفسير هذه الآية: (**له وجهان، أحدهما: أن ذِكر الله تعالىٰ لكم أعظم من ذكركم إيَّاه**) فيكون التقدير: ولَذكرُ الله إياكم أكبر وأعظم (**والآخر: أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه**)[٤] فيكون التقدير: ولَذكرُ العبد الله تعالىٰ أكبر من سائر العبادات

---

(١) الأزهية في أحكام الأدعية ص ٥٣.

(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٤.

(٣) رواه الطبري في جامع البيان ٧/ ٤٤٦.

(٤) رواه الطبري في جامع البيان ١٨/ ٤١٦، ولكن فيه: «أكبر مما سواه»، بدل: أعظم من كل عبادة سواه.

(**إلىٰ غير ذلك من الآيات**) الدالات علىٰ فضيلة الذِّكر.

(**وأمَّا الأخبار**) الواردة فيها (**فقد قال رسول الله ﷺ: ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم**) قال العراقي(١): رواه أبو نعيم في الحلية(٢) والبيهقي في الشُّعَب(٣) من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقالا: في وسط الشجر ... الحديث.

قلت: المذكور هنا قطعة من الحديث، ولفظه: «ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارِّين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم،

---

(١) المغني ١/ ٢٤١.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ١٨١.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٩٠ - ٩١، ونورد سياقه بتمامه لما فيه من الفوائد، قال: «أخبرنا أبو علي الروذباري وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن برهان وأبو الحسين بن الفضل القطان وأبو محمد عبد الله بن يحيىٰ بن عبد الجبار، قالوا: أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا يحيىٰ بن سليم الطائفي قال: سمعت عمران بن مسلم وعباد بن كثير يحدثان عن عبد الله ابن دينار، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين مثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات ورقه». يعني من الضريب. قال يحيىٰ بن سليم: يعني بالضريب: البرد الشديد «وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجمي» قال: فالفصيح بنو آدم، والأعجمي البهائم «وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله مقعده في الجنة». أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو الفضل محمد بن إبراهيم، حدثنا أبو سعيد محمد بن شاذان، حدثنا محمد بن عبد العزيز بن أبي رزمة، حدثنا يحيىٰ بن سليم ... فذكره بهذا الإسناد والمتن، وذكر هذه الزيادة وقال: قد تحات من الكِبَر. أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا الفضل بن العباس، حدثنا هشام بن عبيد الله الحنظلي الرازي قال: قرأت علىٰ محمد بن مسلم الطائفي، عن العلاء بن كثير، عن محمد بن جحادة، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله مقعده ولا يعذِّب بعده، وذاكر الله في الغافلين له من الأجر بعدد كل فصيح في السوق وأعجمي، وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه الله بعدها أبدا، وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة يلقىٰ الله. قال البيهقي: هكذا وجدته مكتوبا ليس بين سلمة وبين ابن عمر أحد، وهو منقطع وإسناده غير قوي».

وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحاتَّ من الضريب، وذاكر الله في الغافلين يُغفَر له بعدد كل فصيح وعجم، وذاكر الله في الغافلين يعرِّفه الله عَزَّوَجَلَّ مقعدَه من الجنة». وقول العراقي «بسند ضعيف» أي لأن فيه عمران بن مسلم القصير، قال في الميزان[١]: قال البخاري[٢]: منكر الحديث. ثم أورد له هذا الحديث. ولكن ذكر السيوطي في الجامع الكبير[٣] أنه رواه ابن صَصْرَىٰ في أماليه وابن شاهين في الترغيب في الذِّكر[٤] وقال: حديث صحيح الإسناد، حسن المتن، غريب الألفاظ.

والهشيم: اليابس المنكسر من النبات. قال الطيبي[٥]: شبَّهَ الذاكرَ بشجرة خضراء لها منظر بين الأشجار، سُقْياها من فيض العطوف الغفار، فهي رطبة بذكره، ليِّنة بفضله، وأهلَ الغفلة بأشجار جفَّت فسقط ورقها ويبست أغصانها؛ لأن حريق الشهوة أصابهم فذهبت ثمار القلوب وهي طاعة الأركان، وذهبت طلاوة الوجوه وسَمْتها وسكون النفس وهَدْيها، فلم يبقَ ثمر ولا ورق، وما بقي من الثمر فمرٌّ أو حلو لا طعم له، كَدِر اللون، عاقبته التخمة، فهي أشجار بهذه الصفة.

(وقال ﷺ: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارِّين) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ولم يتعرَّض له العراقي، وكأنَّه لم يكن عنده. وفي نسخة أخرىٰ: كالحي بين الأموات. وهو قطعة من حديث ابن عمر عند الجماعة، وهو الذي تقدَّم قبله بلفظ: «مَثَل الذي يقاتل عن الفارِّين». وعند الطبراني في المعجم الكبير[٦] من حديث ابن

(١) ميزان الاعتدال ٣/ ٢٤٢.

(٢) التاريخ الكبير ٦/ ٤١٩. وفي الميزان والتاريخ الكبير أن الملقب بالقصير راوٍ آخر غير هذا، كنيته أبو بكر، من رجال الصحيحين.

(٣) كنز العمال ١/ ٤٣٠. وزاد عزوه لابن النجار.

(٤) ورواه أيضا في الترغيب في فضائل الأعمال ص ٦٠.

(٥) كذا نسب الشارح هذا الكلام للطيبي، ولم أقف عليه في شرح المشكاة له، وإنما هو كلام المناوي في فيض القدير ٣/ ٥٥٨ - ٥٥٩.

(٦) المعجم الكبير ١٠/ ١٩.

مسعود: «ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارِّين». وعند البيهقي في الشُّعَب من حديث ابن عمر في إحدىٰ رواياته: كالمقاتل عن الفارِّين ... الحديث.

(**وقال ﷺ: يقول الله تعالىٰ: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحرَّكت بي شفتاه**) قال العراقي[1]: رواه ابن ماجه[2] وابن حبان[3] من حديث أبي هريرة، والحاكم[4] من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وعلَّقه البخاري في صحيحه[5] عن أبي هريرة بصيغة الجزم. ورواه ابن حبان أيضًا من حديث أبي الدرداء[6]، وابن عساكر[7] عن أبي هريرة. وعند مسلم: «يقول الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني ...» الحديث بطوله.

(**وقال ﷺ: ما عمل ابن آدم**) وفي رواية: آدميٌّ (**من عمل أنجَىٰ له من عذاب الله من ذِكر الله**) رواه أحمد[8] عن معاذ بن جبل.

قال الهيثمي[9]: رجاله رجال الصحيح، إلا أن زياد بن أبي زياد راويه لم يدرك معاذًا. أي فهو منقطع.

قلت: زياد بن أبي زياد إنما رواه عن أبي بَحْرية عن معاذ، فعلىٰ هذا

---

(١) المغني ١/ ٢٤١.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣١.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٩٧.

(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٧٩.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ٤١٠.

(٦) لم أقف عليه عند ابن حبان.

(٧) تاريخ دمشق ٢٥/ ٢١٢، ٣١١، ٣٧/ ٣٥٧، ٧٠/ ٥٠، ٥٢.

(٨) مسند أحمد ٣٦/ ٣٩٦.

(٩) مجمع الزوائد ١٠/ ٦٩.

لا انقطاع، إلا أنه رواه موقوفًا[١].

ورواه[٢] مالك في الموطأ[٣] عن زياد عن معاذ موقوفًا، ولم يذكر أبا بحرية واسمه عبد الله بن قيس، شامي، ثقة تابعي. وأمَّا المرفوع فرواه عثمان بن أبي شيبة من طريق أبي الزبير عن طاووس عن معاذ. وهو منقطع أيضًا؛ لأن طاووسًا لم يلقَ معاذًا. وقد روينا في هذا الحديث زيادة وهي قوله: **(قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا أن تضرب بسيفك حتىٰ ينقطع، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع، ثم تضرب به حتىٰ ينقطع)** وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٤] والطبراني[٥] من حديث معاذ بإسناد حسن. قال الهيثمي[٦]: وقد رواه الطبراني أيضًا عن جابر مثله بسند رجاله رجال الصحيح. ورواه الفريابي كذلك في كتاب «الذِّكر» عن أبي خالد الأحمر عن يحيىٰ بن سعيد عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا مثل سياق حديث طاووس عن معاذ[٧].

ومعنىٰ[٨] كون الذكر أنجَىٰ من العذاب لأن حظ أهل الغفلة يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات حين عمروها بذكره، وسائر ما عداه هدر،

---

(١) ليس لأبي بحرية ذكر في السند، والحديث مرفوع، لكنه منقطع كما قال الهيثمي. وهذا نص أحمد في مسنده: «عن زياد بن أبي زياد مولىٰ عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل أنه قال: قال رسول الله ﷺ ...» الخ.

(٢) نتائج الأفكار ١/ ٩٨.

(٣) الموطأ ١/ ٢١١.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٨، ١٢/ ١٧٥.

(٥) المعجم الكبير ٢٠/ ١٦٧.

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٧١، ونصه: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجالهما رجال الصحيح». المعجم الأوسط ٣/ ٥. المعجم الصغير ١/ ١٣٩.

(٧) إلا أنه في حديث جابر ذُكر قوله (تضرب بسيفك حتىٰ ينقطع) مرة واحدة.

(٨) فيض القدير ٥/ ٤٥٧.

كيف ونهارهم شهوة [ونهمة] ونومهم استغراق وغفلة، فيقدمون على ربِّهم فلا يجدون عنده ما ينجيهم إلا ذكر الله تعالىٰ.

(وقال ﷺ: مَن أحَبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليُكثِر ذِكرَ الله عَزَّوَجَلَّ) رواه[١] ابن أبي شيبة في المصنَّف[٢] والطبراني في الكبير[٣] من حديث معاذ بسند ضعيف. ورواه الطبراني في الدعاء[٤] من حديث أنس، وهو عند الترمذي بلفظ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». وقد تقدَّم في الباب الثالث من كتاب العلم.

والمراد برياض الجنة: حِلَق الذكر.

(وسُئل رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: أن تموت ولسانك رطبٌ بذكر الله عَزَّوَجَلَّ) قال العراقي[٥]: رواه ابن حبان[٦] والطبراني في الدعاء[٧] والبيهقي في الشُّعَب[٨] من حديث معاذ.

قلت: قال الطبراني: حدثنا إدريس بن عبد الكريم الحدَّاد، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال أحَبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «أن تموت ولسانك

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٢٤١ - ٢٤٢.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٩.
(٣) المعجم الكبير ٢٠/ ١٥٧.
(٤) الدعاء ص ١٦٤٤.
(٥) المغني ١/ ٢٤٢.
(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ١٠٠.
(٧) الدعاء ص ١٦٢٩.
(٨) شعب الإيمان ٢/ ٥٨.

رطب من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ». ورواه الفريابي في «الذكر» عن عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي الحافظ عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن ثابت مثله.

وله شاهد موقوف على أبي الدرداء أخرجه الفريابي[١] من طريق معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جُبَير بن نُفَير عن أبيه عنه قال: إن الذين لا تزال ألسنتهم رَطْبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون.

وأخرج الترمذي[٢] والنسائي[٣] والفريابي أيضًا من طريق معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن بُسْر المازني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شرائع [الإسلام] كثُرت عليَّ. فأنبئني بأمر أتشبَّث به. فقال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله». ورواه الطبراني كذلك في الدعاء[٤].

(وقال ﷺ: أصبِحْ وأَمْسِ ولسانك رطب بذكر الله عَزَّوَجَلَّ تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة) قال العراقي[٥]: رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب[٦] من حديث أنس: «مَن أصبح وأمسَىٰ ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة». وفيه من لا يُعرَف.

(وقال ﷺ: لَذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ بالغَداة والعَشِيِّ أفضل من حَطْم السيوف في

---

(١) وكذلك ابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥١٩، ١٢/ ٨٤. وابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٣٢٦. وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٢١٩، ٥/ ١٣٣. وأحمد في الزهد ص ١١٢.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٨٨ وقال: حسن غريب.

(٣) لم أقف عليه في سنن النسائي الكبرىٰ ولا الصغرىٰ.

(٤) الدعاء ص ١٦٣٠.

(٥) المغني ١/ ٢٤٢.

(٦) الترغيب والترهيب ٢/ ١٦٧.

سبيل الله، ومن إعطاء المال سَحًّا) وحطم السيوف: كسرُها من كثرة القتال. وسَحًّا: أي فيضًا.

قال العراقي[١]: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل، وهو معروف من قول ابن عمر، كما رواه ابن عبد البر في التمهيد[٢].

قلت: رواه الديلمي[٣] عن أنس مرفوعًا إلىٰ قوله: في سبيل الله. إلا أنه قال: خير، بدل: أفضل. وبتمامه رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن ابن عمر مرفوعًا، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[٤] عنه موقوفًا.

(وقال ﷺ) فيما يرويه عن ربّه تبارك وتعالىٰ: **(قال الله عزّ وجلّ: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبتُ منه ذراعًا، وإذا تقرَّب مني ذراعًا تقرَّبت منه باعًا، وإذا مشىٰ إليَّ هرولت إليه)** قال المصنِّف: **(يعني بالهرولة: سرعة الإجابة)** رواه أحمد[٥] والشيخان[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨] وابن حبان[٩] من حديث أبي هريرة بلفظ: «يقول الله عزّ وجلّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرت في ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعًا، وإن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولةً». وفي رواية

---

(١) المغني ١/ ٢٤٢.

(٢) التمهيد ٦/ ٥٩.

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٥٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٩، ١٢/ ١٧٥.

(٥) مسند أحمد ١٢/ ٣٨٥، ١٥/ ٢٠٤، ١٦/ ١٦٧، ١٧٨.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٣٨٤. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٤ - ١٢٣٥، ١٢٣٨، ١٢٥٨.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٥٥٣.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥٠.

(٩) صحيح ابن حبان ٣/ ٩٣ - ٩٥.

لمسلم: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، واللهِ للهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالَّته بالفَلاة، ومن تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت إليه أهرول».

وروى الطيالسي[1] وأحمد[2] والبخاري[3] من حديث قتادة عن أنس رفعه: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: إذا تقرَّب مني عبدي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا، وإذا تقرَّب مني ذراعًا تقرَّبت منه باعًا، وإذا أتاني مشيًا أتيتُه هرولةً». ورواه البخاري أيضًا عن التَّيْمي عن أنس عن أبي هريرة.

وروى ابن شاهين في الترغيب في الذكر[4] من حديث ابن عباس: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ابن آدم، إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ أفضل منهم وأكرم، وإن دنوتَ مني شبرًا دنوتُ منك ذراعًا، وإن دنوت مني ذراعًا دنوت منك باعًا، وإن مشيتَ إليَّ هرولتُ إليك». في إسناده معمر بن زائدة، قال العقيلي[5]: لا يتابَع على حديثه.

وروى الحاكم والبزار من حديث أبي ذر رفعه: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ابنَ آدم، قُمْ إليَّ أمشِ إليك، وامشِ إليَّ أهرول إليك. ابن آدم، إن دنوت مني شبرًا دنوت منك ذراعًا، وإن دنوت مني ذراعًا دنوت منك باعًا ...» الحديث[6].

---

(١) مسند الطيالسي ٣/ ٤٧١.

(٢) مسند أحمد ١٩/ ٢٦٣، ٣٠١، ٣٢٨، ٣٩٧، ٢١/ ٣٥٢، ٤١٨.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٤١٤.

(٤) ورواه أيضا في الترغيب في فضائل الأعمال ص ٦٠.

(٥) الضعفاء الكبير ٤/ ١٣٥٢.

(٦) روى الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٧٦ والبزار في مسنده ٩/ ٤٠٣ النصف الثاني من الحديث فقط، مع اختلاف. أما النصف الأول فرواه أحمد في مسنده ٢٥/ ٢٧٣ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٦/ ٣١٣٨ من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(وقال ﷺ: سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله) فساق الحديث وذكر **(من جملتهم رجلاً ذكر الله خاليًا)** أي حالةَ كونه في خلوة **(ففاضت عيناه)** أي سالتا بالدموع **(من خشية الله)** متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقد تقدَّم تخريجه وتفصيله في كتاب الزكاة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: ألا أنبِّئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم)** أي مالككم عز وجل، **وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذِكرُ الله عز وجل دائمًا)** قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] وابن ماجه[(٣)] والحاكم[(٤)] وصحَّح إسناده من حديث أبي الدرداء.

قلت: رواه[(٥)] جعفر الفريابي في كتاب الذكر فقال: حدثنا أحمد بن خالد الخَلاَّل ويعقوب بن حميد، قال الأول: حدثنا مكِّي بن إبراهيم، وقال الثاني: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن، قالا: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد المخزومي، عن أبي بحرية، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ... فساقه، إلا أنه قال: من إنفاق الذهب والوَرِق ومن أن تلقَوا. ولم يقل في آخره: دائمًا. وهو حديث مختلَف في رفعه ووقفه وفي إرساله ووصله، أخرجه أحمد[(٦)] عن مكِّي بن إبراهيم، وأخرجه ابن

---

(١) المغني ١/ ٢٤٣.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٨٩.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٠.

(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٧٩.

(٥) نتائج الأفكار ١/ ٩٧ - ٩٩.

(٦) مسند أحمد ٣٦/ ٣٣.

ماجه عن يعقوب بن حميد، وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن مكّي بن إبراهيم، وأخرجه أحمد أيضًا عن يحيىٰ بن سعيد القَطَّان، والترمذي من رواية الفضل بن موسىٰ، كِلاهما عن عبد الله بن سعيد، قال الترمذي: رواه بعضهم عن عبد الله بن سعيد فأرسله. قال الحافظ: ورواه مالك في الموطأ[١] عن زياد بن أبي زياد: قال أبو الدرداء ... فذكره موقوفًا، ولم يذكر أبا بحرية في سنده. وقد وقع هذا الحديث أيضًا من وجه آخر عن أبي الدرداء موقوفًا، أخرجه الفريابي من طريق صالح بن أبي عريب عن كثير بن مُرَّة قال: سمعت أبا الدرداء يقول ... فذكر نحوه بتمامه، ورجاله ثقات.

(**وقال ﷺ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين**) قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ[٢] والبزار في المسند[٣] والبيهقي في الشُّعَب[٤] من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه صفوان بن أبي الصهباء، ذكره ابن حبان في الضعفاء[٥] وفي الثقات[٦] أيضًا.

قلت: ورواه البخاري أيضًا في خلق أفعال العباد[٧]، ورواه البيهقي أيضًا في الشعب عن عمر وعن جابر أيضًا ﷺ. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٨] عن عمرو بن مُرَّة مرسَلاً بلفظ: فوق، بدل: أفضل. وتقدَّم

---

(١) الموطأ ١/ ٢١١.

(٢) التاريخ الكبير ٢/ ١١٥.

(٣) مسند البزار ١/ ٢٤٧.

(٤) شعب الإيمان ٢/ ٩٥، ٥/ ٥٠٨.

(٥) المجروحون من المحدثين ١/ ٤٧٦، قال: «منكر الحديث، يروي عن الأثبات ما لا أصل له من حديث الثقات، لا يجوز الاحتجاج به إلا فيما وافق الثقات من الروايات». ثم ذكر هذا الحديث، ثم قال: «هذا موضوع، ما رواه إلا هذا الشيخ بهذا الإسناد وعطية عن أبي سعيد».

(٦) الثقات ٨/ ٣٢١.

(٧) خلق أفعال العباد ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٧١.

للمصنِّف في الكتاب الذي قبله بلفظ: أعطيتُه أفضل ثواب الشاكرين. وهكذا رواه ابن الأنباري في الوقف[١] وابن شاهين في «الترغيب في الذكر» وأبو نعيم في المعرفة وأبو عمرو الداني في «طبقات القرَّاء» عن أبي سعيد الخدري، ولفظه: «يقول الله تبارك وتعالىٰ: مَن شغله القرآن عن دعائي ومسألتي ...» الخ. ولفظ الدارمي[٢] والترمذي الحكيم[٣] والبيهقي[٤] من حديث أبي سعيد: «يقول الرب تبارك وتعالىٰ: مَن شغله القرآن عن ذكري ومسألتي ...» والباقي كسياق المصنِّف.

وقول العراقي: وصفوان بن أبي الصهباء ... الخ، قلت: اقتصر المِزِّي في ترجمة صفوان[٥] علىٰ توثيق ابن حبان له، وزاد الذهبي[٦] تضعيفه له أيضًا، فجمع العراقي بين القولين. واستدركه مغلطاي[٧]، وزاد أن ابن شاهين ذكره في الثقات[٨]، وأن ابن خلفون قال في الثقات: أرجو أن يكون صدوقًا، وأن ابن معين وثَّقه في رواية أبي سعيد ابن الأعرابي عن عباس الدُّوري عنه.

وقد تقدَّم تحقيق هذا الحديث في آخر كتاب الحج، فراجعْه.

(وأمَّا الآثار، فقد قال الفُضَيل بن عياض) رحمه الله تعالىٰ: **(بلغنا أن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ابنَ آدم، اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أَكْفِكَ ما بينهما)** قلت: قد رُوي ذلك مرفوعًا من حديث أبي هريرة رفعه: «قال الله:

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص ٥ (ط - مجمع اللغة العربية بدمشق).

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٥٣٣.

(٣) نوادر الأصول ص ١٠٤٥.

(٤) شعب الإيمان ٣/ ٣٩٣.

(٥) تهذيب الكمال ١٣/ ١٩٦ - ١٩٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٢/ ٣١٦.

(٧) إكمال تهذيب الكمال لمغلطاي ٦/ ٣٨٣ (ط - دار الفاروق الحديثة).

(٨) تاريخ أسماء الثقات ص ١١٨ (ط - الدار السلفية بالكويت).

ابنَ آدم، اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أَكْفِك ما بينهما». رواة أبو نعيم في الحلية[(١)].

وقال صاحب القوت[(٢)]: وروينا عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال: يا ابن آدم ... فساقه.

(وقال بعض العلماء: إن الله عزوجل يقول: أيُّما عبد اطَّلعتُ على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري تولَّيتُ سياسته، وكنت جليسه ومُحادِثه وأنيسه.

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(الذكر ذكرانِ: ذكر الله عزوجل بين نفسك وبين الله عزوجل)** وهو المعبَّر عنه بذكر القلب وذكر الروح **(ما أحسنه وأعظم أجره)**! إذ لا يطَّلع عليه سواه **(وأفضل من ذلك ذكرُ الله سبحانه عند ما حرَّم الله عزوجل.**

ويُروَىٰ أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشىٰ إلا ذاكر الله سبحانه) فإنه يخرج من الدنيا مرتويًا؛ لأن لسانه في الدنيا كان رطبًا بذكر الله.

(وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسَّر أهل الجنة علىٰ شيء إلا علىٰ ساعة مرَّت بهم لم يذكروا الله تعالىٰ فيها)[(٣)] وهو بمعناه في حديث أبي هريرة عند الترمذي، كما سيأتي قريبًا.

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢١٣.

(٢) قوت القلوب ١/ ٤٥.

(٣) وأخرجه مرفوعا من حديث معاذ: البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٥٥، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٩٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٨.

فضيلة مجالس الذكر

(قال رسول الله ﷺ: ما جلس قوم مجلسًا يذكرون الله عز وجل إلا حفَّت بهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه عن محمد بن بشَّار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي إسحاق - هو السبيعي - قال: سمعت الأغر يقول: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفَّتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده». وأخرجه أبو داود الطيالسي[٣] عن شعبة. وأخرجه أبو عَوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب عن الطيالسي. وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحسن حدثنا يوسف القاضي حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة. وأخرجه مسلم أيضًا والترمذي[٤] من رواية الثوري، والنسائي من رواية عمَّار بن زُرَيق، وابن حبان[٥] من رواية أبي الأحوص، كلُّهم عن أبي إسحاق. وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة أخرجها مسلم في أثناء حديث من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: «مَن نفَّس عن مؤمن كُرْبة ...» فذكر الحديث، وفيه: «وما اجتمع قوم في بيت

---

(١) المغني ١/ ٢٤٣.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٢.

(٣) مسند الطيالسي ٣/ ٦٧٨، ٤/ ١٤٠.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٠.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١٣٦.

من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة[١] وابن حبان أيضًا وابن شاهين في الترغيب[٢] - وقال: حسن صحيح - عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا بمثل سياق مسلم، وأوله موافق لِما أورده المصنِّف.

(وقال ﷺ: ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالىٰ لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم، فقد بدِّلت لكم سيِّئاتكم حسنات) قال العراقي[٣]: رواه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس.

قلت: هو مركَّب من حديثين، الأول: عن أنس عند أحمد[٤] وأبي يعلىٰ[٥] والطبراني في الأوسط[٦] والضياء في المختارة[٧] بلفظ: «ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفورًا لكم». والثاني: عن سهل ابن الحنظلية عند الطبراني في الكبير[٨] والبيهقي في الشعب[٩] والضياء في المختارة بلفظ: «ما جلس قوم [مجلسًا] يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ فيه فيقومون حتىٰ يقال لهم: قوموا فقد غفر الله لكم ذنوبكم وبُدِّلت سيِّئاتكم حسنات».

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٢٣.
(٢) الترغيب في فضائل الأعمال ص ٦٢.
(٣) المغني ١/ ٢٤٣.
(٤) مسند أحمد ١٩/ ٤٣٧.
(٥) مسند أبي يعلىٰ ٧/ ١٦٧.
(٦) المعجم الأوسط ٢/ ١٥٤.
(٧) الأحاديث المختارة ٧/ ٢٣٤ - ٢٣٦.
(٨) المعجم الكبير ٦/ ٢١٢.
(٩) شعب الإيمان ٢/ ١٧٧.

(وقال ﷺ: ما قعد قوم مقعدًا لم يذكروا الله تعالىٰ فيه ولم يصلُّوا عليَّ إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وحسَّنه من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا[٣] بلفظ: «ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلُّوا علىٰ نبيِّهم إلا كان عليهم تِرَةً، فإن شاء عذَّبهم، وإن شاء غفر لهم».

وعند ابن ماجه[٤] وابن شاهين من حديث أبي هريرة: «ما جلس قومٌ مجلسًا لم يذكروا فيه ربَّهم ولم يصلُّوا علىٰ نبيِّهم إلا كان تِرَةً عليهم يوم القيامة، إن شاء آخذهم الله به، وإن شاء عفا عنهم».

(وقال داود عليه السلام) في بعض مخاطباته لربِّه عز وجل: **(إلهي، إذا رأيتَني أجاوز مجالس الذكر إلىٰ مجالس الغافلين)** عن الذكر **(فاكسر رِجلي دونهم؛ فإنها نعمة تنعم بها عليَّ)** وهذا هو معنىٰ التوفيق.

(وقال النبي ﷺ: المجلس الصالح يكفِّر عن المؤمن ألفَي ألف مجلس من مجالس السوء) قال العراقي[٥]: ذكره صاحب الفردوس[٦] من حديث أسد بن وداعة، وهو مرسَل، ولم يخرجه ولدُه، وكذلك لم أجد له إسنادًا.

---

(١) المغني ١/ ٢٤٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٩١.

(٣) بل عن أبي هريرة فقط، كما قال العراقي.

(٤) لم أقف عليه عند ابن ماجه. وقد رواه أحمد في مسنده ١٦/ ١٩٣، والبيهقي في السنن الكبرىٰ ٣/ ٢٩٧.

(٥) المغني ١/ ٢٤٤.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٥٨ وزاد: «وإن الرجل ليدرك بالمجلس الصالح ما فاته ستين سنة من عمره».

(وقال أبو هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: إن أهل السماء لَيتراءون بيوت أهل الأرض التي يُذكَر فيها اسم الله تعالىٰ كما تَتراءىٰ النجوم) لأهل الأرض(١).

(وقال) أبو محمد (سفيان بن عُيَينة) الهلالي(٢) المكي الكوفي، الأعور، أحد الأعلام، روىٰ عن الزهري وعمرو بن دينار، وعنه الشافعي وأحمد و[من شيوخه] الأعمش وابن جُرَيج. ثقة، ثبت، توفي في رجب سنة ١٩٨ (إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالىٰ اعتزل الشيطان والدنيا، فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين) أي ألا تنظرين (ما يصنعون) أي من الذكر والتحلُّق (فتقول الدنيا: دَعْهم؛ فإنهم إذا تفرَّقوا أخذتُ بأعناقهم إليك) أجارنا الله من شرِّهما.

(وعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه دخل السوق) أي سوق المدينة (فقال) لأهل السوق: (أراكم ههنا وميراث محمد ﷺ يُقسَّم في المسجد؟! فذهب الناس إلىٰ المسجد وتركوا السوق، فلم يروا ميراثًا) يقسَّم، فرجعوا (فقالوا: يا أبا هريرة، ما رأينا في المسجد ميراثًا يقسَّم. قال: فما رأيتم؟ قالوا: رأينا قومًا يذكرون الله عَزَّوَجَلَّ ويقرؤون القرآن. قال: فذلك ميراث محمد ﷺ) قال العراقي(٣): رواه الطبراني في المعجم الصغير(٤) بإسناد فيه جهالة وانقطاع.

---

(١) روىٰ الفريابي في فضائل القرآن ص ١٤٥ نحوه من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «إن البيت ليتلىٰ فيه القرآن فيتراءىٰ لأهل السماء كما تتراءىٰ النجوم لأهل الأرض».

(٢) الكاشف للذهبي ١/ ٤٤٩.

(٣) المغني ١/ ٢٤٤.

(٤) لم أقف عليه في المعجم الصغير، وهو في المعجم الأوسط ٢/ ١١٤ - ١١٥ من طريق عبد الله الرومي عن أبي هريرة أنه مر بسوق المدينة، فوقف عليها فقال: يا أهل السوق، ما أعجزكم! قالوا: وما ذاك يا أبا هريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسم وأنتم ههنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه. قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد. فخرجوا سراعا إلىٰ المسجد، ووقف أبو هريرة لهم حتىٰ رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة، قد أتينا المسجد فدخلنا فلم نرَ فيه شيئا يقسم. فقال لهم أبو هريرة: أما رأيتم في المسجد أحدا؟ قالوا: بلىٰ، رأينا قوما يصلون، وقوما يقرءون =

(وروىٰ الأعمش) هو سليمان بن مِهْران الكوفي الفقيه، أحد الأعلام **(عن أبي صالح)** المدني، ويُعرَف بالسَّمَّان وبالزَّيَّات **(عن أبي هريرة أو أبي سعيد)** الخدري ﷺ. هكذا على الترديد **(عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ ملائكة سيَّاحين في الأرض)** من السياحة وهي السير في الأرض للاعتبار **(فضلاً عن كُتَّاب الناس)** أي هم غير الملائكة الموكَّلة ببني آدم **(فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالىٰ تنادَوْا)** أي [نادىٰ] بعضُهم بعضًا **(هلمُّوا)** أي تعالوا **(إلىٰ بُغْيتكم)** أي مطلوبكم **(فيجيئون)** أي **(فيحفون بهم إلىٰ السماء الدنيا، فيقول الله تبارك وتعالىٰ)** وهو أعلم بهم **(علىٰ أيِّ شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجِّدونك ويسبِّحونك. فيقول الله تعالىٰ: وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحًا وتمجيدًا وتحميدًا. فيقول لهم: من أيِّ شيء يتعوَّذون؟ فيقولون: من النار. فيقول تعالىٰ: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول عَزَّوَجَلَّ: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد هربًا منها وأشد نفورًا. فيقول عَزَّوَجَلَّ: وأيَّ شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالىٰ: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول تعالىٰ: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصًا. فيقول جلَّ جلاله: وإني أُشهِدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: كان فيهم فلان لم يُرِدْهم، وإنما جاء لحاجة. فيقول عَزَّوَجَلَّ: هم القوم لا يشقىٰ جليسُهم)** قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] من هذا الوجه، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده، وقد تقدَّم في الباب الثالث من كتاب العلم.

= القرآن، وقوما يتذاكرون الحلال والحرام. فقال لهم أبو هريرة: ويحكم! فذاك ميراث محمد ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٣٣١: إسناده حسن.

(١) المغني ١/ ٢٤٤.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٥٠.

قلت: يشير إلىٰ أن البخاري أخرجه[١] من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بتمام السياق، وأشار إلىٰ طريق سُهَيل تعليقًا. وأخرجه مسلم[٢] عن محمد بن حاتم، عن بَهْز بن أسد، عن وُهَيب بن خالد، عن سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سيَّارة يلتمسون مجالس الذكر، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بأجنحتهم ما بينهم وسماء الدنيا، فإذا تفرَّقوا عَرَجوا إلىٰ ربِّهم، فيسألهم وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبِّحونك، ويحمدونك، ويكبِّرونك، ويهلِّلونك، ويسألونك جنَّتك، ويستعيذونك من نارك. قال: وهل رأوا جنَّتي وناري؟ قالوا: لا. فقال: فكيف لو رأوهما؟ أشهدكم أني قد غفرت لهم وأعطيتُهم ما سألوا. فيقال: إن فيهم رجلاً ليس منهم، إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسُهم». ورواه الفريابي عن أميَّة بن بِسْطام عن يزيد بن زُرَيع عن روح بن القاسم عن سُهَيل. وأخرجه أبو عَوانة في الصحيح عن عباس الدُّوري عن أمية بن بسطام. وأخرجه أبو داود الطيالسي[٣] عن وُهَيب عن سُهَيل.

وروىٰ البزار[٤] عن أحمد بن مالك القُشَيري وأبو نعيم في الحلية[٥] من طريق الحسن بن سفيان عن محمد بن أبي بكر، كِلاهما عن زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النُّمَيري، عن أنس مرفوعًا: «إن لله سيَّارة من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بهم، وبعثوا رائدهم إلىٰ السماء

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٧٣.
(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٩. وقد اختصر الشارح سياقه.
(٣) مسند الطيالسي ٤/ ١٨٠.
(٤) مسند البزار ١٣/ ١١٦.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ٢٦٨.

إلىٰ رب العزة سبحانه، فيقولون وهو أعلم: [ربنا] أتينا علىٰ عباد من عبادك يعظِّمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلُّون علىٰ نبيِّك، ويسألون لآخرتهم ودنياهم. فيقول: غشوهم رحمتي [فيقولون: يا رب، إن فيهم فلانًا الخَطَّاء، إنما اعتنقهم اعتناقًا. فيقول تبارك وتعالىٰ: غشوهم رحمتي][1] هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسُهم».

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من مسند البزار ليست في الحلية.

فضيلة التهليل

(قال ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له) له المُلْك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير». تقدَّم الكلام عليه مفصَّلاً في الباب الثاني من كتاب الحج.

(وقال ﷺ: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عِدْل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيِّئة، وكانت له حِرْزًا من الشيطان يومه ذلك حتىٰ يمسي، ولم يأتِ بأفضل ممَّا جاء به إلا أحد عمل أكثرَ من ذلك) رواه مالك في الموطأ[1] عن سُمَيٍّ عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وفيه: «ولم يأتِ أحد بأفضل ممَّا جاء به إلا مَن عمل أكثرَ من ذلك». وأخرجه البخاري[2] عن عبد الله بن يوسف، ومسلم[3] عن يحيىٰ بن يحيىٰ، كِلاهما عن مالك. وأخرجه الترمذي[4] عن إسحاق بن موسىٰ عن مَعْن بن عيسىٰ، وابن ماجه[5] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحُباب، كِلاهما عن مالك.

(وقال ﷺ: ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلىٰ السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده

---

(١) الموطأ ١/ ٢٠٩.
(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٤٢.
(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٠.
(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٨.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٥.

ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيّها شاء) رواه أبو داود من حديث عُقْبة بن عامر. وقد تقدَّم مفصَّلاً في كتاب الطهارة.

(وقال ﷺ: **ليس على أهل لا إله إلا الله)** يعني[١] مَن نطق بها عن صدق وإخلاص، فمَن قدم على ربِّه وهو مصرٌّ على الذنوب فليس من أهل هذة الكلمة بل من أهل قولها، ولذلك قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] أي عن صِدق «لا إله إلا الله»، ولم يقل: عمَّا كانوا يقولون **(وحشة في قبورهم ولا في النشور)** أي يوم النشور والحشر **(كأنّي أنظر إليهم عند الصيحة)** أي نفخة إسرافيل الثانية للقيام من القبور للحشر **(ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون: الحمد لله الذي أذهبَ عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور)** قال العراقي[٢]: رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشُّعَب[٣] من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

قلت: هو في المعجم الكبير[٤] للطبراني وكذا في الأوسط[٥] بلفظ: «في الموت ولا في القبور ولا في النشور».

قال الهيثمي[٦]: رواه الطبراني من طريقين، في إحداهما - وهي المذكورة هنا - يحيى الحِمَّاني، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو، وكِلاهما ضعيف. ا.هـ.

وأورده ابن الجوزي في الواهيات[٧] وأعلَّه.

---

(١) فيض القدير ٥/ ٣٧٠.

(٢) المغني ١/ ٢٤٥.

(٣) شعب الإيمان ١/ ٢٠٣.

(٤) المعجم الكبير ١٣/ ١٧٨.

(٥) المعجم الأوسط ٩/ ١٨١، وفيه: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم».

(٦) مجمع الزوائد ١٠/ ٨٩.

(٧) العلل المتناهية ٢/ ٩١٤. ثم قال: «قال ابن حبان: هذا حديث لا يعرف إلا من حديث عبد الله بن=

(وقال ﷺ لأبي هريرة: يا أبا هريرة، إن كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها لا توضع في ميزان؛ لأنها لو وُضعت في ميزانِ مَن قالها صادقًا ووُضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهنَّ كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك) قال العراقي[1]: هذه الوصية لأبي هريرة موضوعة، وآخر الحديث رواه المستغفري في كتاب الدعوات[2]: ولو جُعلت لا إله إلا الله. وهو معروف من حديث أبي سعيد [مرفوعًا]: «لو أن السموات السبع وعامرهنَّ [غيري] والأرضين السبع في كفَّة مالت بهنَّ لا إله إلا الله». رواه النسائي في اليوم والليلة[3] وابن حبان[4] والحاكم[5] وصحَّحه.

قلت: وروىٰ[6] الديلمي عن أبي هريرة: «ولو جُعلت لا إله إلا الله في كفَّة وجُعلت السموات والأرض في كفَّة لرجحت بهنَّ لا إله إلا الله».

وروىٰ الطبراني[7] عن ابن عباس في أثناء حديث: «والذي نفسي بيده، لو جيء بالسموات والأرضين ومَن فيهنَّ وما بينهنَّ وما تحتهنَّ فوُضعت في كفَّة الميزان ووُضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرىٰ لرجحت بهنَّ».

(وقال ﷺ: لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقًا بقراب الأرض ذنوبًا

= زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر، حدثناه أبو يعلىٰ قال: نا الحماني قال: نا عبد الرحمن بن زيد. وعبد الرحمن ليس بشيء في الحديث، وبهلول يسرق الحديث، لا يجوز الاحتجاج به بحال».
وكلام ابن حبان هذا مذكور في كتابه المجروحين من المحدثين ١/ ٢٣٢.

(١) المغني ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦.
(٢) وكذلك ابن حبان في كتاب المجروحين من المحدثين ٢/ ٥٠٣.
(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٧، ٤١٩.
(٤) صحيح ابن حبان ١٤/ ١٠٢.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٨.
(٦) كنز العمال ١٥/ ٥٦٨.
(٧) المعجم الكبير ١٢/ ٢٥٤.

لغفر الله له ذلك) قال العراقي[(١)]: غريب بهذا اللفظ، وللترمذي[(٢)] في حديث لأنس: «يقول الله: يا ابن آدم، لو أتيتَني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئًا لأتيتُك بقرابها مغفرة». وقال: حسن. ولأبي الشيخ في كتاب «الثواب»[(٣)] من حديث أنس: «يا رب ما جزاء مَن هلَّل مخلصًا من قلبه؟ قال: جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمُّه من الذنوب». وفيه انقطاع.

(وقال ﷺ: **يا أبا هريرة، لقِّن الموتىٰ شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإنها تهدم الذنوب هدمًا. قلت: يا رسول الله، هذا للموتىٰ، فكيف للأحياء؟ فقال: هي أهدمُ وأهدمُ)** قال العراقي[(٤)]: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن المقري من حديث أبي هريرة، وفيه موسىٰ بن وردان، مختلَف فيه. ورواه أبو يعلىٰ[(٥)] من حديث أنس بسند ضعيف. ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين[(٦)] من حديث الحسن مرسَلاً.

قلت: ولفظ[(٧)] الديلمي في الفردوس: «لَقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله؛ فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان». قالوا: فكيف هي للأحياء؟ قال:

---

(١) المغني ١/ ٢٤٦.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٩.

(٣) وكذلك ابن عدي في الكامل ٥/ ١٧١٩، وفيه أن السائل هو إبراهيم الخليل ﷺ.

(٤) المغني ١/ ٢٤٦.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٧١ من طريق زياد النميري عن أنس أن أبا بكر دخل علىٰ النبي ﷺ وهو كئيب، فقال له النبي ﷺ: «ما لي أراك كئيبا»؟ قال: يا رسول الله، كنت عند ابن عم لي البارحة فلان، وهو يكيد بنفسه. قال: «فهلا لقنته لا إله إلا الله؟» قال: قد فعلت يا رسول الله. قال: «فقالها؟» قال: نعم. قال: «وجبت له الجنة». قال أبو بكر: يا رسول الله، كيف هي للأحياء؟ قال: «هي أهدم لذنوبهم، هي أهدم لذنوبهم».

(٦) كتاب المحتضرين ص ١٩ (ط - دار ابن حزم)، ولفظه: «من قال لا إله إلا الله عند الموت هدمت ما قبلها»؟ قالوا: وكيف هي في الحياة؟ قال: «أهدم وأهدم».

(٧) كنز العمال ١٥/ ٥٦٨.

«أهـدمُ وأهـدم».

وروىٰ الطبراني في الكبير[١] عن ابن عباس رفعه: «لقِّنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمَن قالها عند موته وجبت له الجنةُ». قالوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: «تلك أوجبُ وأوجب».

(وقال النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة) قال العراقي[٢]: رواه الطبراني[٣] من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف.

قلت: وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية[٤] والحكيم الترمذي في نوادر الأصول[٥]، زادوا في روايتهم: قيل: وما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن محارم الله». ورواه ابن النجار في تاريخه[٦] من حديث أنس بزيادة: قيل: أفلا أبشِّر الناس؟ قال: «لا، إني أخاف أن يتَّكلوا». ورواه بلفظ المصنِّف البزار[٧] والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري[٨]، والبغوي والطبراني في الكبير[٩] عن أبي شيبة الخُدْري.

(وقال ﷺ: لتدخلُنَّ الجنة كلُّكم إلا مَن أبَىٰ وشرد عن الله عَزَّوَجَلَّ شرود البعير علىٰ أهله. فقيل: يا رسول الله، ومن الذي يأبَىٰ ويشرد عن الله؟ قال:

(١) المعجم الكبير ١٢/ ٢٥٤.

(٢) المغني ١/ ٢٤٦.

(٣) المعجم الكبير ٥/ ١٩٧.

(٤) حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤.

(٥) نوادر الأصول ص ٤٤.

(٦) وكذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ١٤٣ - ١٤٤.

(٧) كشف الأستار عن زوائد البزار ١/ ١٢.

(٨) في المعجم الأوسط ٣/ ٤٦: عن أبي شيبة الخدري.

(٩) المعجم الكبير ٢٢/ ٣١٣.

من **لا يقُل لا إله إلا الله**) رواه[١] البخاري[٢] [من حديث أبي هريرة] بلفظ: «كل أمَّتي يدخلون الجنة إلا مَن أبىٰ». زاد الحاكم[٣] وصحَّحه: «وشرد [علىٰ الله] شرودَ البعير علىٰ أهله». قال البخاري: قالوا: يا رسول الله، ومن يأبَىٰ؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبَىٰ». (**فأكثِروا**) روىٰ ابن عدي[٤] وأبو يعلىٰ[٥] والطبراني في الدعاء[٦] والخطيب[٧] من حديث أبي هريرة رفعه: «أكثِروا (**من قول لا إله إلا الله قبل أن يُحال بينكم وبينها**) ولقِّنوها موتاكم». وفي طريق ابن عديٍّ موسىٰ بن وردان، مختلَف فيه. وأمَّا طريق أبي يعلىٰ فقد قال الهيثمي[٨]: رجاله رجال الصحيح غير ضِمام بن إسماعيل، وهو ثقة (**فإنها كلمة التوحيد**) رواه أبو الشيخ في «الثواب» من حديث الحَكَم بن عُمَير مرسَلاً: «إذا قلتَ لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد ...» الحديث. والحكم ضعيف (**وهي كلمة الإخلاص**) رواه الطبراني في الدعاء[٩] من حديث عبد الله بن عمرو: كلمة الإخلاص لا إله إلا الله ... الحديث. ولأبي بكر بن الضحَّاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذِّن: «اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها، دعوة الحق وكلمة الإخلاص» (**وهي كلمة**

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٢٤٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٣٥٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١١٢، ٤/ ٣٧٧ بلفظ: «لتدخلن الجنة إلا من أبىٰ وشرد علىٰ الله كشراد البعير».

(٤) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٢٤.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١١/ ٨.

(٦) الدعاء ص ١٣٣٩.

(٧) تاريخ بغداد ٤/ ٦١.

(٨) مجمع الزوائد ١٠/ ٨٧.

(٩) الدعاء ص ١٥٢٩ موقوفا، وزاد: لا يتقبل الله عَزَّوَجَلَّ من أحد عملا حتىٰ يقولها.

التقوىٰ) رواه الترمذي[(١)] من حديث البراء بن عازب: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] قال: «لا إله إلا الله». ورواه الطبراني[(٢)] من حديث سلمة بن الأكوع **(وهي الكلمة الطيبة)** رواه الطبراني في الدعاء[(٣)] عن ابن عباس ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم: ٢٤] قال: شهادة أن لا إله إلا الله **(وهي كلمة الحق)** رواه أبو بكر ابن الضحَّاك في الشمائل من حديث ابن مسعود، كما تقدَّم قريبًا. ورواه الطبراني في الدعاء[(٤)] عن ابن عباس: قوله: ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤] قال: شهادة أن لا إله إلا الله **(وهي العروة الوثقىٰ)** رواه الطبراني في الدعاء[(٥)] عن ابن عباس قال: العروة الوثقىٰ هي شهادة أن لا إله إلا الله **(وهي ثمن الجنة)** رواه ابن عدي[(٦)] والمستغفري من حديث أنس. قال العراقي: ولا يصح شيءٌ منها.

(وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝﴾ [الرحمن: ٦٠] **فقيل: الإحسان في الدنيا قول: لا إله إلا الله، و)** الإحسان **(في الآخرة الجنة)** سمَّىٰ كُلًّا منهما إحسانًا[(٧)] **(وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾**)** أحسنوا: أي قالوا: لا إله إلا الله، لهم الحسنىٰ، أي الجنة (﴿وَزِيَادَةٌ﴾) [يونس: ٢٦] هو النظر إلىٰ وجه الله الكريم، ويُروىٰ[(٨)] عن أبىٰ بكر: الحسنىٰ: الجنة، والزيادة: النظر إلىٰ وجه الله تعالىٰ. رواه أبو بكر ابن أبي شيبة والدارقطني وابن جرير[(٩)] وابن المنذر.

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٣٠٦ من حديث أبي بن كعب، وليس البراء بن عازب. وقال: حديث غريب.

(٢) الدعاء ص ١٥٣٠.

(٣) السابق ص ١٥٢٧.

(٤) السابق ص ١٥٢١.

(٥) السابق ص ١٥١٦.

(٦) الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٣٤٧.

(٧) انظر: الدر المنثور ١٤/ ١٤٩ - ١٥٢.

(٨) الدر المنثور ٧/ ٦٥٥.

(٩) جامع البيان ١٢/ ١٥٦.

(وروى البراء بن عازب) الأوسي[١] الأنصاري، شهد أُحُدًا، وتوفي بعد السبعين، رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، عشر مرَّات كانت له عِدل رقبة - أو قال: نَسَمة) قال العراقي[٢]: رواه الحاكم[٣] وقال: صحيح على شرطهما، وهو عند أحمد[٤] دون قوله: عشر مرَّات.

قلت: وكذلك رواه أبو داود الطيالسي[٥] وابن أبي شيبة[٦] والنسائي[٧] وأبو يعلى والروياني[٨] وابن حبان[٩] والطبراني في الصلاة[١٠] والضياء في المختارة بلفظ: كعِدل نَسَمة.

(وروى عمرو بن شعيب) بن[١١] محمد بن عبد الله السهمي، أقام بالطائف. قال يحيى القَطَّان: إذا روى عنه ثقة فهو حُجَّة. وقال أحمد: وربما احتججنا به. وقال البخاري: رأيت أحمد وابن المديني وإسحاق وأبا عبيد وعامَّة أصحابنا يحتجُّون به. مات بالطائف سنة ١١٨ (عن أبيه)

---

(١) كذا قال الشارح، وهو خطأ، فالبراء من الخزرج وليس من الأوس. وقد سبق هذا الخطأ للشارح في الباب السابع من كتاب العلم.

(٢) المغني ١/ ٢٤٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٨٥.

(٤) مسند أحمد ٣٠/ ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٩٦، ٦٣٣. وعنده في بعض الطرق (عشر مرات).

(٥) مسند الطيالسي ٢/ ١٠٥.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٢٥.

(٧) السنن الكبرى ٩/ ٥٤.

(٨) مسند الروياني ١/ ٢٤٥.

(٩) صحيح ابن حبان ٣/ ١٣٠.

(١٠) الدعاء للطبراني ص ١٥٧٦ - ١٥٧٩.

(١١) الكاشف للذهبي ٢/ ٧٨ - ٧٩.

هو[1] شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، روى عنه ابناه عمرو عمر وثابت البُناني (عن جدِّه) الضمير عائد إلى قوله «أبيه» لا إلى عمرو، وجدُّه المذكور هو عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وسماع عمرو عن جدِّ أبيه متيقَّن ثابت عند الأئمَّة، وقد روى شعيب أيضًا عن أبيه محمد بن عبد الله إن كان محفوظًا، ومن العلماء من لا يحتجُّ بهذا الإسناد؛ لِما فيه من اشتباه عَوْد الضمير إلى عمرو وهو الظاهر، أو إلى شعيب وهو المختلَف فيه، فتركوه لذلك، فإن جاء في رواية: عن جده عبد الله، مصرَّحًا به فهو مقبول قطعًا (أنه ﷺ قال: **من قال في يوم مائتي مرة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قديرٌ، لم يسبقه أحد كان قبله، ولا يدركه أحد كان بعده، إلا مَن عمل بأفضل من عمله**) قال العراقي[2]: رواه أحمد[3] بلفظ: مائة مرة. وكذا رواه الحاكم في المستدرك[4]، وإسناده جيد، وكذا هو في بعض نُسَخ الإحياء.

قلت: هكذا هو في رواية أحمد والحاكم، ورواه الطبراني في الكبير[5] نحوه، والذي رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة[6] والخطيب[7] عن عمرو بن شعيب بلفظ: «مائة مرة إذا أصبح ومائة إذا أمسى لم يجئ أحد بأفضل من عمله إلا مَن عمل أفضل من ذلك». ورواه ابن أبي شيبة في

---

(١) السابق ١/ ٤٨٨.

(٢) المغني ١/ ٢٤٨.

(٣) مسند أحمد ١١/ ٣٥٣، ٥٨٢. وفيه (مائتي مرة).

(٤) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٨٥.

(٥) المعجم الكبير ١٣/ ٥٣٨. وفيه بعد قوله ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: «كُتب أفضل أهل ذلك اليوم عملا إلا من قال مثل ما قال أو أكثر».

(٦) عمل اليوم والليلة ص ٦٥.

(٧) تاريخ بغداد ٤/ ٤١.

المصنَّف[١] عن أبي الدرداء موقوفًا عليه مثله. ورواه إسماعيل بن عبد الغافر في الأربعين له عن عمرو بن شعيب بلفظ: «ألف مرة جاء يوم القيامة فوق كل عمل إلا عمل نبي أو رجل زاد في التهليل»[٢].

(وقال عمر) بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **من قال)** حين يدخل **(في سوق من الأسواق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد يحيي ويميت)** وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير **(وهو علىٰ كل شيء قدير، كُتب له ألف ألف حسنة، ومُحيت عنه ألف ألف سيِّئة، وبُني له بيت في الجنة)** رواه ابن ماجه[٣] والحكيم الترمذي[٤] وابن السني[٥] من حديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جدِّه، لكنه مرفوع، وضُعِّف. زاد الحكيم في روايته: «ورُفعت له ألف ألف درجة». وهو في الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي من حديث ابن عمر بدون هذه الزيادة، ورواه ابن السني[٦] عن ابن عباس رفعه بلفظ: «كتب الله له ألفَي ألف حسنة».

(ويُروَىٰ أن العبد إذا قال: لا إله إلا الله، أتت علىٰ صحيفته، فلا تمرُّ علىٰ خطيئة إلا مُحيت، حتىٰ تجد حسنةً مثلَها فتجلس إلىٰ جانبها) قال العراقي[٧]: رواه أبو يعلىٰ[٨] من حديث أنس بسند ضعيف.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٢٥، ١٢/ ١٧٨.
(٢) ورواه بهذا اللفظ أيضا الطبراني في الدعاء ص ٩٤٩.
(٣) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٧١.
(٤) نوادر الأصول ص ٥٦٧.
(٥) عمل اليوم والليلة ص ١٢١.
(٦) السابق ص ١٢٢.
(٧) المغني ١/ ٢٤٨.
(٨) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ٢٩٤ بلفظ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله، في ساعة من ليل أو نهار إلا طمست ما في صحيفته من السيئات حتىٰ يسكن إلىٰ مثلها من الحسنات».

(وفي الصحيح عن أبي أيوب) الأنصاري رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ أنه قال: من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، عشر مرَّات كان كمَن أعتق أربعة أنفُس من ولد إسماعيل** عليه السلام) رواه البخاري[1] ومسلم[2] هكذا، وعند الترمذي[3] والطبراني في الكبير[4] والبيهقي في الشعب[5] بلفظ: «كانت له عِدْل أربع رقاب من وَلَد إسماعيل». ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[6] وعبد بن حميد[7] بلفظ: «كُنَّ له عِدل عشر رقاب». وعند ابن حبان: كان له عِدل نَسَمة[8]. ورواه ابن أبي شيبة[9] عن ابن مسعود موقوفًا. وفي رواية لأحمد[10] والطبراني[11] والضياء: «كتب الله له عشر حسنات، وحطَّ عنه عشر سيِّئات، ورفعه بها عشر درجات،

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٠.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥١٩.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ١٦٤ - ١٦٦.

(٥) شعب الإيمان ٢/ ١١٠ - ١١١. وليس فيه (من ولد إسماعيل).

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٨، ١٢/ ١٧٨.

(٧) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٠٤.

(٨) لم أقف علىٰ هذه الرواية في صحيح ابن حبان من حديث أبي أيوب، ولكن رواه ٥/ ٣٦٩ - ٣٧٠ عنه بلفظ: «من قال إذا أصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، عشر مرات كُتب له بهن عشر حسنات، ومحي بهن عنه عشر سيئات، ورُفع له بهن عشر درجات، وكن له عدل عتاقة أربع رقاب، وكن له حرسا من الشيطان حتىٰ يمسي، ومن قالهن إذا صلىٰ المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتىٰ يصبح». وفي رواية أخرىٰ: «من قال دبر صلاته إذا صلىٰ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، كُتب له بهن عشر حسنات، ومحي عنه بهن عشر سيئات، ورفع له بهن عشر درجات، وكن له عتق عشر رقاب، وكن له حرسا من الشيطان حتىٰ يمسي، ومن قالهن حين يمسي كان له مثل ذلك حتىٰ يصبح».

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٧٧.

(١٠) مسند أحمد ٣٨/ ٥٤٥.

(١١) المعجم الكبير ٤/ ١٢٨.

وكُنَّ له كعتق عشر رقاب، وكُنَّ له مَسْلَحة من أول النهار إلىٰ آخره، ولم يعمل يومئذٍ عملاً يقهرهنَّ».

(وفي الصحيح أيضًا عن عُبادة بن الصامت) أبو[1] الوليد الخزرجي، من بني عمرو بن عوف، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بدري، نقيب، أحد مَن جمع القرآن، وكان طويلاً جسيمًا [جميلاً] مات عن اثنتين وسبعين سنة بالرملة سنة ٣٤ **(عن النبي ﷺ أنه قال: مَن تعارَّ)** أي استيقظ **(من الليل فقال)** حين يستيقظ: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد)** وفي رواية هنا زيادة: يحيي ويميت بيده الخير **(وهو علىٰ كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي، غُفر له، أو دعا استُجيب له، فإن توضأ وصلىٰ قُبِلت صلاته)** رواه أحمد[2] والدارمي[3] والبخاري[4] وأبو داود[5] والترمذي[6] والنسائي[7] وابن ماجه[8] وابن حبان[9] والطبراني في الكبير.

---

(١) الكاشف للذهبي ١/ ٥٣٣.

(٢) مسند أحمد ٣٧/ ٣٤٧.

(٣) سنن الدارمي ٢/ ٣٧٧.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٣٥٨.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٧٧.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤١٦.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣١٧.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٩٠.

(٩) صحيح ابن حبان ٦/ ٣٣١.

فضيلة التحميد والتسبيح وبقية الأذكار

(**قال النبي ﷺ: مَن سبَّح دُبُر كل صلاة**) أي عقب الفراغ منها (**ثلاثًا وثلاثين**) مرة (**وحمد**) الله (**ثلاثًا وثلاثين**) مرة (**وكبَّر**) الله (**ثلاثًا وثلاثين**) مرة، فتلك تسع وتسعون (**وختم المائة بـ: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد وهو علىٰ كل شيء قدير، غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر**) رواه أحمد[١] ومسلم[٢] وابن حبان[٣] من حديث أبي هريرة بلفظ: خطاياه، بدل: ذنوبه. وعند النسائي[٤] من حديثه: «مَن سبَّح في دُبُر صلاة الغَداة مائةَ تسبيحة وهلَّل مائةَ تهليلة غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر».

(**وقال ﷺ: من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حُطَّت عنه خطاياه ولو كانت مثل زَبَد البحر**) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٥] وأحمد[٦] والبخاري[٧] ومسلم[٨] والترمذي[٩] وابن ماجه[١٠] وابن حبان[١١] من حديث أبي

(١) مسند أحمد ١٤/ ٤٢٨، ١٦/ ١٨٧.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٧٠.

(٣) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٥٥، ٣٥٩.

(٤) سنن النسائي ص ٢٢٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٠.

(٦) مسند أحمد ١٣/ ٣٨٥، ١٤/ ٤٦١، ١٦/ ٤٠٢.

(٧) صحيح البخاري ٤/ ١٧٣.

(٨) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٠.

(٩) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٧ - ٤٥٨.

(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٣.

(١١) صحيح ابن حبان ٣/ ١١١.

هريرة رضي الله عنه.

(ورُوي أن رجلاً جاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: تولَّت عني الدنيا، وقلَّت ذاتُ يدي) يعني بذلك أنه افتقر وقلَّ ما بيده من المال (فقال له ﷺ: فأين أنت من صلاة الملائكة) أي دعائهم (وتسبيح الخلائق وبها يُرزَقون؟ قال: قلت: وما هي يا رسول الله؟ فقال: قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، أستغفرُ الله، مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلىٰ أن تصلي الصبح، تأتيك الدنيا راغمة صاغرة) أي منقادة ذليلة (ويخلق الله عز وجل من كل كلمة مَلَكًا يسبِّح الله تعالىٰ إلىٰ يوم القيامة لك ثوابه) قال العراقي[1]: رواه المستغفري في «الدعوات» من حديث ابن عمر[2]، وقال: غريب من حديث مالك، ولا أعرف له أصلاً في حديث مالك. ولأحمد[3] من حديث عبد الله بن عمرو أن نوحًا قال لابنه: آمُرك بلا إله إلا الله ... الحديث، ثم قال: «وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزَق الخَلْق». وإسناده صحيح.

---

(١) المغني ١/ ٢٤٩.

(٢) ورواه أيضا ابن عدي في الكامل ١/ ٣٣٦ بلفظ: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ، فشكا إليه دينا وفقرا وحاجة، فقال: أين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها ينزل الرزق من السماء من طلوع الفجر إلىٰ صلاة الصبح: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وأستغفر الله». قال ابن عدي: وهذا حديث بهذا الإسناد باطل عن مالك. ورواه ابن حبان في كتاب المجروحين ١/ ١٤٨ - ١٤٩ بلفظ: «جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ، فشكا إليه فقرا أو دينا في حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها ينزل الله الرزق من السماء؟ قال ابن عمر: فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ فاستوىٰ رسول الله ﷺ قاعدا وكان متكئا فقال: يا ابن عمر، تقول من طلوع الفجر إلىٰ صلاة الصبح: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وأستغفر الله، مائة مرة تأتيك الدنيا راغمة ذاخرة، ويخلق الله عز وجل من كل كلمة تقولها ملكا يسبح له لك ثوابه إلىٰ يوم القيامة». قال ابن حبان: وهذا خبر موضوع لا أصل له.

(٣) مسند أحمد ١١/ ١٥٠ - ١٥١.

قلت: وروىٰ ابن السني[1] والديلمي من حديث ابن عباس: «من قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله، مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب». وقد تقدَّم ذلك في كتاب الجمعة.

(وقال ﷺ: إذا قال العبد: الحمد لله، ملأت ما بين السماء والأرض. وإذا قال: الحمد لله) المرة **(الثانية، ملأت ما بين السماء السابعة إلىٰ الأرض السفلىٰ. وإذا قال: الحمد لله)** المرَّة **(الثالثة، قال الله عَزَّوَجَلَّ: سَلْ تُعْطَه)** قال العراقي[2]: غريب بهذا اللفظ، لم أجده.

(وقال رفاعة) ابن[3] رافع بن مالك **(الزُّرَقي)** بدري، وأبوه نقيب، روىٰ له البخاري والأربعة، بقي إلىٰ إمرة معاوية[4] **(كنا يومًا نصلي وراء رسول الله ﷺ، فلمَّا رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمَن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه. فلمَّا انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: مَن المتكلِّم آنفًا؟ قال له رجل: أنا يا رسول الله. قال: لقد رأيت بضعة وثلاثين مَلَكًا يبتدرونها أيُّهم يكتبها أول)** هذا حديث صحيح، رواه مالك في الموطأ[5] عن نُعَيم المُجمِر عن علي بن يحيىٰ عن أبيه هو ابن خلاَّد بن رافع عن رفاعة بن رافع الزُّرَقي رضي الله عنه قال: كنا يومًا نصلي وراء رسول الله ﷺ، فلمَّا رفع رأسه من الركعه وقال: سمع الله لمَن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد ... فساق الحديث كما هو عند المصنِّف. وقد أخرجه البخاري[6] وأبو داود[7] عن القعنبي، وأخرجه

(١) عمل اليوم والليلة ص ٢٢٩.
(٢) المغني ١/ ٢٥٠.
(٣) الكاشف للذهبي ١/ ٣٩٧.
(٤) نقل ابن حجر في الإصابة ٣/ ٢٨٢ عن ابن قانع أنه مات سنة إحدىٰ أو اثنتين وأربعين.
(٥) الموطأ ١/ ٢١١.
(٦) صحيح البخاري ١/ ٢٥٨.
(٧) سنن أبي داود ١/ ٥٠١.

أحمد[١] عن عبد الرحمن بن مهدي، والنسائي[٢] من رواية عبد الله بن القاسم، وابن خزيمة[٣] من رواية ابن وهب، أربعتهم عن مالك. وأخرجه ابن حبان[٤] عن عمر بن سعيد بن سنان عن أبي مصعب عن مالك.

والسر في هذا العدد بالخصوص أن الكلمات التي نطق بها بضعة وثلاثون حرفًا.

وعند ابن ماجه[٥] والطبراني[٦] عن وائل بن حُجْر: «لقد فُتحت لها أبواب السماء، فما نَهْنَهَها شيءٌ دونَ العرش». يعني قوله: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه.

وعند النسائي[٧] عن وائل بن حُجْر أنه سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقول في الصلاة: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه. فقال: «لقد ابتدرها اثنا عشر مَلَكًا، فما نَهْنَهَها شيءٌ دونَ العرش».

(وقال ﷺ: الباقيات الصالحات هنَّ: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) قال العراقي[٨]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٩]

---

(١) مسند أحمد ٣١/ ٣٣٢.

(٢) سنن النسائي ص ١٧٣.

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣١١.

(٤) صحيح ابن حبان ٥/ ٢٣٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٨.

(٦) المعجم الكبير ٢٢/ ٢٦ - ٢٧.

(٧) سنن النسائي ص ١٥٤.

(٨) المغني ١/ ٢٥٠.

(٩) لم أقف عليه عند النسائي.

وابن حبَّان[١] والحاكم[٢] وصحَّحه من حديث أبي سعيد. والنسائي[٣] والحاكم[٤] من حديث أبي هريرة دونَ قوله: ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(وقال ﷺ: ما علىٰ الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا غُفرت ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر. رواه ابن عمر) هكذا في سائر النسخ، والصواب: ابن عمرو.

قال العراقي[٥]: رواه الحاكم[٦] من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. وهو عند الترمذي[٨] وحسَّنه والنسائي في اليوم والليلة[٩] مختصرًا دون قوله: سبحان الله والحمد لله.

قلت: وكذلك رواه أحمد[١٠] والطبراني في الكبير[١١] وابن شاهين في الترغيب في الذكر[١٢] مثل سياق المصنِّف، وكلُّهم رووه عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ١٢١.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٠. ولفظ الحديث: «استكثروا من الباقيات الصالحات». قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣١٣.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٤. ولفظ الحديث: «خذوا جُنَّتكم» . قالوا: يا رسول الله، من عدو قد حضر؟ قال: لا، ولكن جُنَّتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة منجيات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات».

(٥) المغني ١/ ٢٥٠.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٨.

(٨) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٣.

(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٣.

(١٠) مسند أحمد ١١/ ١٥، ٥٥٧.

(١١) المعجم الكبير ١٣/ ٥٢١.

(١٢) ورواه أيضا في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٠٦.

وروىٰ ابن السني[١] وأبو نعيم[٢] وابن حبَّان[٣] وابن جرير وابن عساكر[٤] عن أبي هريرة رفعه: «من قال حين يأوي إلىٰ فراشه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْك، وله الحمد، يحيي ويميت، بيده الخير، وهو علىٰ كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زَبَد البحر».

(**وروىٰ النعمان بن بشير**) بن[٥] سعد الخزرجي، أبو عبد الله، الأمير، ولي حمصَ ليزيد، وقُتل في أواخر سنة ٦٤، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (**عن رسول الله ﷺ أنه قال: الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتكبيره وتمجيده ينعطف من حول العرش، له دويٌّ كدوي النحل، يُذكَر بصاحبه، أوَ لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله عَزَّ وَجَلَّ ما يُذكَر به**)؟ قال العراقي[٦]: رواه ابن ماجه[٧] والحاكم[٨] وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(**وروىٰ أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النبي ﷺ قال: لأنْ أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، أحَبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشمس. وفي رواية أخرىٰ زاد: ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال: هي خيرٌ من الدنيا وما فيها**) قال العراقي[٩]: رواه مسلم[١٠] باللفظ الأول. وللمستغفري في «الدعوات» من رواية مالك بن دينار أن

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٤٣٢.
(٢) تاريخ أصفهان ١/ ٢٦٧.
(٣) صحيح ابن حبان ١٢/ ٣٣٨.
(٤) تاريخ دمشق ٥٤/ ١٢٥.
(٥) الكاشف للذهبي ٢/ ٣٢٢.
(٦) المغني ١/ ٢٥١.
(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤١.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٩.
(٩) المغني ١/ ٢٥١.
(١٠) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤١.

أبا أُمامة قال للنبي ﷺ: قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، خير من الدنيا وما فيها. قال: «أنت أغنمُ القوم». وهو مرسَل جيد الإسناد.

قلت: وباللفظ الأول أيضًا رواه أبو بكر بن أبي شيبة[١] والترمذي[٢] وابن حبان[٣]، ومسلم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وأبي كُرَيب قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. ورواه النسائي في الكبرىٰ[٤] عن أحمد بن حرب عن أبي معاوية.

(**وقال ﷺ: أَحَبُّ الكلام إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. لا يضرُّك بأيِّهنَّ بدأتَ. رواه سَمُرة بن جُندب**) الفَزاري، نزيل البصرة، وليها، توفي سنة ٥٩. وهذه الرواية أخرجها ابن حبان[٥] عن مكحول عن أحمد بن عبد الرحمن الكُزْبْراني عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبيه [عن محمد بن جُحادة عن منصور عن عُمارة بن عُمَير] عن الربيع بن عُمَيلة عن سَمُرة بن جُنْدُب. ورواه أحمد[٦] عن حسن بن موسىٰ ويحيىٰ بن آدم، ومسلم[٧] عن أحمد بن عبد الله بن يونس، وأبو داود[٨] عن أبي جعفر النُّفَيلي، أربعتهم عن زُهَير بن معاوية عن منصور عن هلال بن يَساف عن الربيع بن عُمَيلة عن سَمُرة بلفظ:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٠٩.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٨.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١١٦.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٨.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١١٦، ١٢٠ من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن عميلة عن سمرة. ومن طريق محمد بن كثير عن سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن هلال بن يساف عن سمرة. وليس فيه الطريق التي ذكرها الزبيدي.

(٦) مسند أحمد ٣٣/ ٢٩٨، ٣٨٦.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٠٢٥.

(٨) لم أقف عليه في سنن أبي داود.

«[أَحَبُّ الكلام إلىٰ الله أربعٌ]: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله. لا يضرُّك بأيهنَّ بدأتَ». وأخرجه مسلم أيضًا من رواية روح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد كِلاهما عن منصور بن المعتمر، وقد صحَّح ابن حبَّان الروايتين.

(وروىٰ أبو مالك الأشعري) رضي الله عنه، صحابي[1] اختُلف في اسمه علىٰ أقوال[2]، روىٰ عنه عبد الرحمن بن غنم وأبو سلاَّم الأسود **(أن رسول الله ﷺ كان يقول: الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبِقها)** هذا حديث صحيح، أخرجه أحمد[3] عن يحيىٰ بن إسحاق وعفَّان كِلاهما عن أبان بن يزيد عن يحيىٰ بن أبي كثير عن زيد بن سلاَّم عن جده أبي سلاَّم عن أبي مالك. وأخرجه مسلم[4] والترمذي[5] جميعًا عن إسحاق بن منصور عن حَبَّان بن هلال. وأخرجه النسائي[6] عن عمرو بن علي عن عبد الرحمن بن مهدي، كِلاهما عن أبان بن يزيد.

وقد تقدَّم ذلك الحديث في كتاب الطهارة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ: كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم)** هذا حديث صحيح[7]، ختم به البخاري الصحيح، وذكره أيضًا في الدعوات وفي

---

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٤٥٦.

(٢) في الكاشف: «قيل: الحارث، وقيل: عبيد، وقيل: عمرو، وقيل: كعب».

(٣) مسند أحمد ٣٧/ ٥٣٦، ٥٤٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٢١.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤٩٢.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٤ مختصرا.

(٧) الحديث في: صحيح البخاري ٤/ ١٧٣، ٢٢٥، ٤١٩. وصحيح مسلم ٢/ ١٢٤١.

الأيمان والنذور، وأخرجه هو ومسلم جميعًا عن أبي خيثمة زُهَير بن حرب، وأخرجه البخاري أيضًا عن قُتَيبة وأحمد بن إشكاب، ومسلم أيضًا عن محمد بن عبد الله بن نُمَير وأبي كُرَيب ومحمد بن طريف، والترمذي[١] عن يوسف بن عيسىٰ، والنسائي[٢] عن محمد بن آدم وأحمد بن حرب، وابن ماجه[٣] عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد، عَشرتهم عن محمد بن فُضَيل عن عُمارة بن القعقاع عن أبي زُرْعة عن أبي هريرة. ورواه أحمد[٤] عن محمد بن فضيل بسنده.

(**وقال أبو ذر**) جُندب بن جُنادة الغِفاري (رضي الله عنه): **قلت لرسول الله ﷺ: أيُّ الكلام أحَبُّ إلىٰ الله عز وجل؟ قال: ما اصطفىٰ الله عز وجل لملائكته: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**) هذا حديث صحيح، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٥] قال: حدثنا يحيىٰ بن أبي بُكَير، حدثنا شعبة، عن الجُرَيري، عن أبي عبد الله الجَسْري عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبِرْني أيُّ الكلام أحَبُّ إلىٰ الله بأبي أنت وأمي. قال: «ما اصطفىٰ الله لملائكته: سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي العظيم». ورواه أبو نعيم في المستخرج عن أبي بكر الطَّلْحي عن عبيد بن غنَّام عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده نحوه، ولفظه: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلىٰ الله تعالىٰ»؟ قلت: بلىٰ. قال: «إن أحب الكلام إلىٰ الله تعالىٰ: سبحان الله وبحمده». وأخرجه الترمذي[٦] عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن إسماعيل بن إبراهيم عن الجُرَيري. وأخرجه الحاكم[٧] من رواية يحيىٰ بن

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٨.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٦.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٠.

(٤) مسند أحمد ١٢/ ٨٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٠، ١٢/ ١٧٤. واللفظ الذي ساقه الشارح ليس لفظ ابن أبي شيبة، وإنما لفظه ما أورده الشارح بعده من رواية أبي نعيم عنه.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٦.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٦.

محمد بن يحيىٰ عن عبد الله بن عبد الوهاب الحَجَبي عن إسماعيل بن إبراهيم، ووهم في استدراكه؛ فإنَّ مسلمًا أخرجه[١]، ولعلَّه قصد الزيادة التي فيه. وأخرجه النسائي من طرق في اليوم والليلة[٢]، وفيه اختلاف علىٰ الجُرَيري وغيره. وأخرجه الطبراني في الدعاء[٣] عن أبي مسلم الكَشِّي عن الحَجَبي. وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن فاروق الخَطَّابي عن أبي مسلم الكشي.

(**وقال أبو هريرة**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (**قال رسول الله ﷺ: إن الله عَزَّ وَجَلَّ اصطفَىٰ من الكلام**) أربعًا وهي قول: (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**) فهي مختار الله من جميع كلام الآدميِّين. وفي رواية: إن الله اصطفَىٰ لملائكته من الكلام أربعًا ... الخ (**فإذا قال العبد**) وفي رواية: فمَن قال (**سبحان الله، كُتبت له عشرون حسنة وحُطَّت عنه عشرون سيِّئة**) وفي رواية: خطيئة (**وإذا قال**) وفي رواية: ومَن قال (**الله أكبر، فمثل ذلك ... وذكر إلىٰ آخر الكلمات**) أي: إذا قال: لا إله إلا الله، مثل ذلك، وإذا قال: الحمد لله رب العالمين، من قِبَل نفسه كُتبت له ثلاثون حسنة، وحُطَّت عنه ثلاثون خطيئة.

قال العراقي[٤]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٥] والحاكم[٦] وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد، إلا أنهما قالا في ثواب الحمد لله: كُتبت له ثلاثون حسنة، وحُطَّت عنه ثلاثون سيِّئة.

قلت: وكذا رواه أحمد[٧] والضياء في المختارة.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٤.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٤.

(٣) الدعاء ص ١٥٥٨ - ١٥٥٩.

(٤) المغني ١/ ٢٥٢.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٩.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٩.

(٧) مسند أحمد ١٣/ ٣٨٧، ٤٥٧، ١٧/ ٤٠٥، ٤٢٨.

قال الهيثمي[١]: ورجال أحمد رجال الصحيح.

وأقرَّ الذهبيُّ في التلخيص قولَ الحاكم: إنه على شرط مسلم.

تنبيه: قال[٢] بعضهم[٣]: إن الحمد أفضل من التسبيح؛ لأن في التحميد إثبات سائر صفات الكمال، والتسبيح تنزيه عن سمات النقص، والإثبات أكمل من السلب. وادَّعى بعضهم أن الحمد أكثر ثوابًا من التهليل. ورُدَّ بأن في خبر البطاقة المشهور ما يفيد أن «لا إله إلا الله» لا يعدلها شيء.

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: من قال: سبحان الله وبحمده، غُرست لهِ نخلة في الجنة)** قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة[٦]، وابن حبان[٧]، والحاكم[٨] وقال: صحيح على شرط مسلم.

قلت: رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن روح بن عُبادة عن حجَّاج بن أبي عثمان عن أبي الزبير عن جابر، وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير. وأخرجه هو والنسائي من وجه آخر عن حجاج، ورجاله ثقات، إلا أن فيه عنعنة أبي الزبير. ورواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٩] وابن منيع وأبو يعلى[١٠]

---

(١) مجمع الزوائد ١٠/ ٩٩.

(٢) فيض القدير ٢/ ٢١١.

(٣) هو ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ١٧ - ١٨ (ط - مؤسسة الرسالة).

(٤) المغني ١/ ٢٥٢.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٦) السنن الكبرى ٩/ ٣٠٥.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ١٠٩.

(٨) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٨٦، ٧٠٠.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٠.

(١٠) مسند أبي يعلى ٤/ ١٦٥.

والطبراني في الصغير[١] وأبو نعيم[٢] والضياء في المختارة، كلُّهم عن جابر بلفظ: سبحان الله العظيم وبحمده.

ورواه ابن أبي شيبة[٣] أيضًا عن ابن عمرو موقوفًا.

وروىٰ الحاكم في تاريخ نيسابور والديلمي[٤] من حديث أنس: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة، أصلها من ذهب، وفروعها دُرٌّ، وطَلْعها كثدي الأبكار، ألين من الزبد، وأحلىٰ من الشهد، كلَّما أُخِذ منها شيء عاد كما كان».

وروىٰ أحمد[٥] والطبراني في الكبير[٦] من حديث معاذ بن أنس: «من قال: سبحان الله العظيم، نبت له غرسٌ في الجنة ...» الحديث.

(وعن أبي ذر رضي الله عنه **أنه قال: قال الفقراء لرسول الله** ﷺ**: ذهب أهل الدثور)** أي أهل الأموال **(بالأجور، يصلُّون كما نصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول أموالهم)** أي بما فضل من أموالهم من الحوائج الأصلية **(فقال** ﷺ**: أوَ ليس قد جعل الله تعالىٰ لكم ما تَصَدَّقون به؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة، وتحميدة صدقة، وتهليلة صدقة، وتكبيرة صدقة، وأمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن منكَر صدقة، ويضع أحدكم اللقمة في في)** أي فم **(أهله)** أي زوجته **(فهي له صدقة، وفي بُضْع أحدكم صدقةٌ. قالوا: يا رسول الله، يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! فقال** ﷺ**: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزرٌ؟ قالوا: نعم. قال: كذلك**

(١) المعجم الصغير ١/ ١٨١.
(٢) معرفة الصحابة ٢/ ٥٣٣.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٤، ٥١٧.
(٤) وكذلك ابن عدي في الكامل ٢/ ٥٧٣، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٨٣٣.
(٥) مسند أحمد ٢٤/ ٤٠٢.
(٦) المعجم الكبير ٢٠/ ١٩٨.

إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر) رواه مسلم في صحيحه[١] بهذا اللفظ، وله[٢] وأبي داود[٣] والنسائي[٤] وابن خزيمة[٥] وأبي عَوانة[٦] وابن حبان[٧] من طريق أبي الأسود الدُّؤَلي عن أبي ذر مرفوعًا: «يصبح على كل سُلامَىٰ من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة [وكل تحميدة صدقةٌ، وكل تهليلة صدقة] وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكَر صدقةٌ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحىٰ».

(**وقال أبو ذر** رضي الله عنه: **قلت لرسول الله** ﷺ: **سبق أهلُ الأموال بالأجر، يقولون كما نقول، وينفقون**) من فضول أموالهم (**ولا ننفق. فقال** ﷺ: **أفلا أدلُّك على عمل إذا أنت فعلتَه أدركتَ مَن قبلك وفُقْتَ مَن بعدك؟ ألا مَن قال مثل قولك تسبِّح بعد كل صلاة**) أي من المكتوبات (**ثلاثًا وثلاثين**) مرة (**وتحمد ثلاثًا وثلاثين**) مرة (**وتكبِّر أربعًا وثلاثين**) مرة. قال العراقي[٨]: رواه ابن ماجه[٩]، إلا أنه قال: قال سفيان: لا أدري أيَّتُهنَّ أربع. ولأحمد[١٠] في هذا الحديث: وتحمد أربعًا وثلاثين. وإسنادهما جيد. ولأبي الشيخ في «الثواب» من حديث أبي الدرداء: وتكبِّر أربعًا وثلاثين. كما ذكره المصنِّف.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٤٤٨.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٢٦.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ١٨٨.
(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٠٤.
(٥) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٢٩.
(٦) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٩.
(٧) لم أقف عليه بهذا اللفظ في صحيح ابن حبان، وإنما رواه ٣/ ١١٩، ٩/ ٤٧٥ باللفظ الأول فقط.
(٨) المغني ١/ ٢٥٢.
(٩) سنن ابن ماجه ٢/ ١٨٥.
(١٠) مسند أحمد ٣٥/ ٣٢٣، وفيه: وتحمد ثلاثا وثلاثين.

قلت: حديث أبي الدرداء هذا أخرجه النسائي في اليوم والليلة[١] بلفظ المصنِّف، وعنده[٢] مثله عن كعب بن عُجْرة.

(وروت **يُسَيرة**) بضم[٣] الياء التحتية وفتح السين المهملة، مصغَّرة، ويقال إنها بالهمز بدل الياء، ذكروها في الصحابة، وكنوها: أم ياسر، وقال بعضهم: يسيرة بنت ياسر، والأكثر لم يذكروا اسم أبيها، وذكر بعضهم أنها أنصارية، والصحيح أنها من المهاجرات (**عن النبي ﷺ أنه قال: عليكنَّ بالتسبيح والتهليل والتقديس، فلا تغفُلنَّ**) بضم الفاء وسكون اللام، وهي لغة القرآن (**واعقدنَ بالأنامل فإنها مستنطقات**) رواه عبد بن حميد[٤] عن محمد بن بِشْر عن هانئ بن عثمان عن حُمَيضة بنت ياسر عن يسيرة - وكانت من المهاجرات - قالت: قال رسول الله ﷺ: «عليكنَّ بالتسبيح والتهليل والتقديس، ولا تغفلن فتنسين الرحمة، واعقدنَ بالأنامل؛ فإنهنَّ مسئولات مستنطَقات». وأخرجه أحمد[٥] وابن سعد في الطبقات[٦] عن محمد بن بشر. وأخرجه الترمذي[٧] عن عبد بن حُمَيد بهذا الإسناد، وقال: حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث هانئ بن عثمان. وأخرجه ابن حبَّان في صحيحه[٨] عن أبي يعلىٰ عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر. وذكر حميضة في ثقات التابعين[٩]، ولا نعرف عنها راويًا إلا ابنها هانئ بن عثمان، وهو كوفي، روىٰ عنه

---

(١) السنن الكبرىٰ ٩/ ٦٤ - ٦٦.

(٢) السابق ٢/ ١٠٠، ٩/ ٦٨.

(٣) نتائج الأفكار ١/ ٨٨ - ٨٩.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ٢/ ٤١٠.

(٥) مسند أحمد ٤٥/ ٣٥.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ١٠/ ٢٩٣.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٠.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ١٢٢.

(٩) الثقات ٤/ ١٩٦.

جماعة. وأخرج أبو داود[١] عن مسدَّد عن عبد الله بن داود الخريبي حدثنا هانئ بن عثمان الجُهَني عن أمِّه حُمَيضة بنت ياسر عن جدَّتها يسيرة ﷺ أنها حدَّثتها أن النبي ﷺ أمرهنَّ أن يراعينَ التسبيح والتهليل والتقديس، وأن يعقدنَ الأنامل؛ فإنهنَّ مسؤولات ومستنطَقات. وأخرجه أبو عبد الله ابن مَنْده عن خيثمة بن سليمان عن إسحاق بن سيَّار عن الخريبي. ورواه الحاكم[٢] من وجه آخر عن الخريبي.

قال المصنِّف في تفسير قوله «مستنطقات»: (**يعني بالشهادة في القيامة**) يعني يُستنطَقنَ ويُستشهَدنَ في يوم القيامة.

(**وقال ابن عمر**) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ويعني به عبد الله بن عمر بن الخطاب (**رأيتُه ﷺ يعقد التسبيح**) قال العراقي[٣]: إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص، كما رواه أبو داود[٤] والنسائي[٥] والترمذي[٦] وحسَّنه والحاكم[٧].

قلت: رواه أبو داود عن عبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن قُدامة في آخرين قالوا: حدثنا عَثَّام بن علي، حدثنا الأعمش، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيحَ. وقال في آخره: زاد محمد بن قُدامة: بيمنه. وأخرجه الترمذي والنسائي في الكبرىٰ[٨] جميعًا عن محمد بن عبد الأعلىٰ، زاد النسائي: والحسين بن محمد الذارع، كِلاهما عن عَثَّام بن علي. وأخرجه الحاكم من طريق عَثَّام ومن طريق شعبه عن الأعمش عن

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤١ - ٧٤٢.

(٣) المغني ١/ ٢٥٣.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٧.

(٥) سنن النسائي ص ٢٢٢.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤١٤، ٤٧٠.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤١.

(٨) السنن الكبرىٰ ٢/ ١٠٣ - ١٠٤.

عطاء بن السائب. وأخرجه الطبراني في الدعاء[١] عن عمرو بن أبي الطاهر عن يوسف بن عدي عن عَثَّام بن علي بسنده.

قال الحافظ[٢]: ومعنىٰ العقد المذكور في الحديث: إحصاء العدد، وهو اصطلاح للعرب بوضع بعض الأنامل علىٰ بعض عُقَد الأنملة الأخرىٰ، فالآحاد والعشرات باليمين، والمئون والآلاف باليسار.

(وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخُدْري) رضي الله عنهما **أنه ﷺ قال: (إذا قال العبد: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله عز وجل: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر. وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله تعالىٰ: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله سبحانه: صدق عبدي، لا حول ولا قوة إلا بي. ومَن قالهنَّ عند الموت لا تمسُّه النارُ)** قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة[٥]، وابن ماجه[٦]، والحاكم[٧] وصحَّحه. انتهىٰ.

قلت: لفظ الترمذي: «من قال: لا إله إلا الله والله أكبر، صدَّقه ربُّه وقال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده، يقول الله: لا إله إلا أنا وحدي. وإذا قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي. وإذا قال: لا إله إلا الله له المُلْك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا لي المُلك

---

(١) الدعاء ص ١٥٩٧.

(٢) نتائج الأفكار ١/ ٩٠.

(٣) المغني ١/ ٢٥٣.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٢٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٩، ١٣٧.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٢.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٤.

ولي الحمد. وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي». وكان يقول: «من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار».

(وروىٰ مصعب بن سعد) أبو[١] زُرارة المدني، نزل الكوفة، توفي سنة ١٠٣ (عن أبيه) سعد[٢] بن أبي وَقَّاص مالك بن أُهَيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كِلاب، أحد العشرة، فارس الإسلام، أسلم سابع سبعة، وله مناقب جَمَّة، روىٰ عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشه، توفي سنة ٥٥ (عن النبي ﷺ أنه قال: أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل له: كيف ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: يسبِّح الله تعالىٰ مائة تسبيحة فتُكتَب له ألف حسنة وتُحَطُّ عنه ألف سيِّئة) قال العراقي[٣]: رواه مسلم[٤]، إلا أنه قال: أو تُحَط، وقال الترمذي[٥]: وتُحَط، كما قال المصنِّف، وقال: حسن صحيح.

قلت: رواه عبد بن حميد[٦] عن جعفر بن عون عن موسىٰ الجُهَني عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة»؟ قالوا: وكيف يكسب أحدنا ألفَ حسنة؟ قال: «يسبِّح مائة تسبيحة فيُكتَب له ألف حسنة، ويُحَط عنه ألف خطيئة». وهكذا أخرجه أحمد[٧] عن عبد الله بن نُمَير ويعلَىٰ بن عُبَيد ويحيىٰ القَطَّان. وأخرجه مسلم من رواية مروان بن معاوية ومن رواية علي بن مُسْهِر وابن نُمَير. وأخرجه الترمذي

(١) الكاشف للذهبي ٢/ ٢٦٧.
(٢) السابق ١/ ٤٣٠.
(٣) المغني ١/ ٢٥٣.
(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤١ - ١٢٤٢.
(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٦.
(٦) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٥٧.
(٧) مسند أحمد ٣/ ١٣٣، ١٦٢، ١٦٣.

والنسائي[١] من رواية يحيىٰ القَطَّان، خمستهم عن موسىٰ الجُهَني. وأخرجه أبو عَوانة عن محمد بن إسحاق الصغاني، وأبو نعيم[٢] من رواية محمد بن أحمد ابن أبي المثنَّىٰ، كِلاهما عن جعفر بن عون عن موسىٰ الجُهَني.

وقد[٣] حكىٰ النووي[٤] قول الحميدي[٥] أنه في مسلم من جميع الروايات بلفظ: أو تُحَط. وأن البرقاني ذكر أن شعبة وغيره رووه عن موسىٰ الجُهَني بلفظ: وتُحَط. قال الحافظ: ورواية شعبة عند أحمد والنسائي بالواو كما قال، وهو عند أحمد عن الثلاثة المذكورين في موضعين، أحدهما بلفظ: وتُمحَىٰ عنه ألف سيِّئة. والثاني باللفظ الذي ذكره مسلم. والله أعلم.

(**وقال رسول الله ﷺ: يا عبد الله بن قيس**) وهو اسم أبي موسىٰ الأشعري (**أو** قال: (**يا أبا موسىٰ**) أي ناداه بكنيته؛ لأنه كان مشهورًا بها، وهو شكٌّ من الراوي (**أوَ لا أدلُّك علىٰ كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلىٰ. قال: قلْ: لا حول ولا قوة إلا بالله. وفي رواية أخرىٰ: ألا أعلِّمك كلمة من كنز تحت العرش؟ لا حول ولا قوة إلا بالله**) هذا حديث صحيح متفق عليه، أخرجه الأئمَّة الستة[٦] من طرق متعدِّدة إلىٰ أبي

(١) السنن الكبرىٰ ٩/ ٦٧، ولكن من طريق شعبة عن موسىٰ الجهني.

(٢) تاريخ أصفهان ١/ ٨٣. معرفة الصحابة ١/ ١٣٩.

(٣) نتائج الأفكار ١/ ٧٢.

(٤) شرح صحيح مسلم ١٧/ ٣٣، ونصه: «هكذا هو في عامة نسخ صحيح مسلم: أو يحط، بـ «أو»، وفي بعضها: ويحط، بالواو. وقال الحميدي في الجمع بين الصحيحين: كذا هو في كتاب مسلم: أو يحط، بـ «أو». وقال البرقاني: ورواه شعبة وأبو عوانة ويحيىٰ القطان عن موسىٰ الذي رواه مسلم من جهته فقالوا: ويحط، بالواو».

(٥) الجمع بين الصحيحين للحميدي ١/ ١٩٩.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٦، ٣/ ١٣٧، ٤/ ١٦٨، ١٧٤، ٢١١، ٣٨١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٤. سنن أبي داود ٢/ ٢٩٨. سنن الترمذي ٥/ ٤٥٤. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ١٣٢، ٨/ ١١٥، ١١٦، ٩/ ١٤٠، ١٩٨، ١٩٩، ١٠/ ٢٢٨. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥١.

عثمان النَّهْدي واسمه عبد الرحمن بن مل، منها للبخاري عن موسىٰ بن إسماعيل عن عبد الواحد بن زياد عن عاصم الأحول. ومنها لمسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية ومحمد بن فُضَيل كِلاهما عن عاصم الأحول عن أبي عثمان عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيُّها الناس، اربعوا علىٰ أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم». فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «يا عبد الله بن قيس، ألا أدلُّك علىٰ كنز من كنوز الجنة»؟ قال: قلت: بلىٰ يا رسول الله. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». ورواه المحاملي[1] عن يعقوب بن إبراهيم عن أبي معاوية. وقال أحمد[2]: حدثنا أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول ... فذكره. وقال أبو بكر الشافعي[3]: حدثنا [معاذ بن المثنىٰ، حدثنا] مسدَّد، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا سليمان التَّيْمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فرقينا عقبة أو ثنيَّة، وكان الرجل منا إذا علاها قال: لا إله إلا الله والله أكبر ... فذكر الحديث بنحوه. وأخرجه البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي وخالد الحَذَّاء فَرَّقهما كِلاهما عن أبي عثمان النهدي. وأخرجه مسلم عن أبي كامل الجحدري عن يزيد بن زُرَيع. وأخرجه أبو داود عن مسدَّد، وأبو عَوانة عن إسحاق بن يسار عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن سليمان التيمي. وقال المحاملي في الدعاء[4]: حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، حدثنا خالد الحَذَّاء، عن أبي عثمان، عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله بن قيس، ألا أعلِّمك كلمة من كنز الجنة»؟ قلت: بلىٰ. قال: «لا حول ولا قوة

---

(١) أمالي المحاملي ص ١٤٧.

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ٥٢٢.

(٣) الغيلانيات ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) أمالي المحاملي ص ١٤٦.

إلا بالله». وأخرجه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم، والنسائي في الكبرىٰ عن عمرو بن علي، كِلاهما عن الثقفي. وقال المحاملي[١] أيضًا: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز العَطَّار، حدثنا أبو نعامة السعدي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسىٰ الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في غَزاة، فقال: يا عبد الله بن قيس ... فذكر مثله. وأخرجه الترمذي والنسائي في الكبرىٰ جميعًا عن محمد بن بشَّار عن مرحوم. ومن طرقه ما أخرجه أحمد[٢] وأبو داود من رواية حمَّاد بن سلمة عن ثابت البُناني وعلي بن زيد والجُرَيري، وما أخرجه الشيخان من رواية حمَّاد بن زيد عن أيوب السختياني، وما أخرجه مسلم والنسائي من رواية عثمان بن غياث، خمستهم عن أبي عثمان، منهم مَن طوَّله، ومنهم من اختصره. والله أعلم.

(وقال أبو هريرة) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **(قال رسول الله ﷺ: ألا أدلُّك علىٰ عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش؟ قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، يقول الله تعالىٰ: أسلم عبدي واستسلم)** قال العراقي[٣]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٤]. وللحاكم[٥]: «من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: أسلم عبدي واستسلم». وإسناده صحيح.

(وقال ﷺ: من قال حين يصبح: رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً، كان حقًّا علىٰ الله أن يرضيه يوم القيامة) قال العراقي[٦]: رواه أبو داود[٧]

---

(١) السابق ص ١٤٧.

(٢) مسند أحمد ٣٢/ ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) المغني ١/ ٢٥٤.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٧.

(٦) المغني ١/ ٢٥٤.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٤.

والنسائي في اليوم والليلة[١] والحاكم[٢] وقال: صحيح الإسناد، من حديث خادم النبي ﷺ، ورواه الترمذي[٣] من حديث ثوبان وقال: حسن، وفيه نظرٌ، ففيه سعيد بن المَرْزُبان ضعيف جدًّا.

قلت: رواه عبد الرزاق وأحمد[٤] وابن ماجه[٥] وابن سعد والروياني[٦] والبغوي[٧] وأبو نعيم[٨] عن أبي سلام عن رجل خدم النبيَّ ﷺ. ورواه ابن قانع[٩] عن أبي سلام عن سابق خادم النبي ﷺ. ورواه الطبراني في الكبير[١٠] وابن أبي شيبة في المصنَّف[١١] عن أبي سلام خادم النبي ﷺ، كلُّهم بلفظ: «من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرَّات: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، كان حقًّا على الله أن يرضيه يوم القيامة».

وأمَّا حديث ثوبان عند الترمذي فكما ساقه المصنِّف، إلا أنه قال: من قال حين يمسي، بدل: حين يصبح. ورواه ابن النحام عن ثوبان بمثل سياق المصنِّف، إلا أنه زاد بعد قوله «نبيًّا»: وبالقرآن إمامًا. والباقي سواء.

(**وفي رواية: من قال ذلك** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) وروى الطبراني[١٢] عن المنيذر: «من قال إذا

(١) السنن الكبرى ٩/ ٦، ٢٠٩.
(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٠٦.
(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٧.
(٤) مسند أحمد ٣١/ ٣٠٢ - ٣٠٤، ٣٨/ ١٩٥ - ١٩٦.
(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٤.
(٦) مسند الروياني ١/ ٤٨١.
(٧) شرح السنة ٥/ ١١١.
(٨) معرفة الصحابة ٥/ ٢٩١٧.
(٩) معجم الصحابة ١/ ٣٢٦.
(١٠) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٦٧.
(١١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٧٣.
(١٢) المعجم الكبير ٢٢/ ٣٥٥.

أصبح: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا، فأنا الزعيم ولآخذنَّ بيده حتىٰ أُدخِله الجنة».

وروىٰ ابن أبي شيبة في المصنَّف[١] عن عطاء بن يسار مرسَلاً: «من قال حين يمسي: رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً، فقد أصاب حقيقةَ الإيمان».

(وقال مجاهد) بن جبر التابعي مرسَلاً: **(إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، قال المَلَك: هُديتَ. فإذا قال: توكَّلتُ علىٰ الله، قال المَلَك: كُفيتَ. وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال المَلَك: وُقيتَ. فتَفَرَّقُ عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هُدي وكُفِي ووُقي، لا سبيل لكم إليه)** قلت: المشهور أن هذا من مرسَل عون بن عبد الله بن عُتبة[٢] أن النبي ﷺ قال: «إذا خرج الرجل من بيته[٣] فقال: بسم الله حسبي الله توكَّلت علىٰ الله، قال المَلَك: كُفيتَ وهُديتَ ووُقيتَ». إسناده قويٌّ. علىٰ أنه قد رُوي ذلك مرفوعًا من حديث أنس، قال الطبراني في الدعاء[٤]: نا الحسين بن إسحاق التستري، حدثنا سعيد بن يحيىٰ ابن سعيد الأموي قال: حدثنا أبي قال: حدثنا ابن جُرَيح، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: بسم الله توكَّلتُ علىٰ الله لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنه يقال له حينئذٍ: هُديتَ ووُقيتَ وكُفيتَ، وتنحَّىٰ عنه الشيطان». ورواه أيضًا من طريق حجاج بن محمد عن ابن جُرَيح نحوه، لكن زاد[٥] في أوله: «إذا خرج من بيته». وقال في آخره: «ويلقَىٰ الشيطانَ شيطانٌ آخر فيقول:

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٧٤.

(٢) رواه عنه المحاملي في الدعاء ص ٨١.

(٣) زاد المحاملي: أو أراد سفرا.

(٤) الدعاء ص ٩٨٥.

(٥) لم أقف علىٰ هذه الزيادة عند الطبراني.

كيف لك برجل هُديَ ووُقي وكُفي». وهو حديث حسن، أخرجه الترمذي[١] عن سعيد بن يحيىٰ. وأخرجه ابن السني[٢] عن المسيَّب بن واضح عن الحجاج بن محمد. وأخرجه أبو داود[٣] عن إبراهيم ابن الحسن الخثعمي، والنسائي[٤] عن عبد الله بن محمد بن تميم، كِلاهما عن حجاج بن محمد. وأخرجه ابن حبَّان[٥] عن محمد بن المنذر بن سعيد عن [يوسف بن] سعيد بن مسلم. وقال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ[٦]: رجاله رجال الصحيح، ولذلك صحَّحه ابن حبان، لكن خفيت عليه علَّتُه، قال البخاري[٧]: لا أعرف لابن جريج عن إسحاق إلا هذا، ولا أعرف له منه سماعًا. وقال الدارقطني[٨]: رواه عبد المجيد بن عبد العزيز عن ابن جريج قال: حُدِّثت عن إسحاق. قال: وعبد المجيد أثبتُ الناس في ابن جريج. والله أعلم.

(**فإن قلتَ: فما بال ذِكر الله سبحانه مع خفَّته علىٰ اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات**) البدنية والمالية (**مع كثرة المشقَّات فيها**) كما هو ظاهر (**فاعلمْ أن تحقيق هذا**) البحث (**لا يليق إلا بعلم المكاشفة**) لخفاء أمره علىٰ عقول أهل المعاملة (**والقَدْر الذي**) يليق و(**يُسمَح بذكره منه في علم المعاملة**) هو أن تعلم (**أن المؤثِّر النافع**) للذاكر (**هو الذكر علىٰ الدوام**) بحفظ ما

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٢٦.

(٢) عمل اليوم والليلة ص ١١٨.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٥.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١٠٤.

(٦) نتائج الأفكار ١/ ١٦٤ - ١٦٥.

(٧) العلل الكبير للترمذي ص ٣٦٢.

(٨) العلل ١٢/ ١٣.

يقتنيه من المعرفة استحضارًا وإحرازًا (**مع حضور القلب**) الصنوبري (**فأمّا الذكر باللسان**) فقط (**والقلبُ لاهٍ**) غير حاضر (**فهو قليل الجدوَىٰ**) غير مؤثِّر في الذاكر (**وفي الأخبار**) المرويَّة (**ما يدل علىٰ ذلك أيضًا**) فمن ذلك في حديث أبي هريرة: «واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب [غافل] لاهٍ». رواه الترمذي[1] وقال: حسن، والحاكم[2] وقال: حديث مستقيم الإسناد. والمراد بالدعاء هنا: الذكر (**وحضور القلب في لحظة مع الذكر**) وفي نسخة: بالذكر (**والذهول عن الله عَزَّوَجَلَّ مع الاشتغال بالدنيا**) أي بأعراضها المتعلقة بها (**أيضًا قليل الجدوىٰ، بل حضور القلب مع الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الدوام**) في سائر أوقاته (**أو في أكثر الأوقات هو المقدَّم علىٰ العبادات**) كلِّها، وحينئذٍ يكون حضوره مع الحق ومع الخلق بالنسبة إليه سواء (**بل به تشرُف سائر العبادات**) لكونه نتيجتها وروحها، وإليه أشار بقوله: (**و**) ذلك (**هو غاية ثمرة العبادات العملية**) بدنيةً كانت أو ماليةً أو مركَّبة منهما (**وللذكر أول وآخِر، فأوله يوجب الأنسَ**) بالمذكور (**والحبَّ**) فيه ولو تكلُّفًا (**وآخره يوجب الأنس والحب**) تخلُّقًا وانصباغًا (**ويصدر عنه**) أي عن مجموع الأنس والحب. وفي نسخة: عنهما (**والمطلوب**) الأعظم عند السالكين من الذكر هو (**ذلك الحب والأنس**) لا غير، وهذا الحب والأنس يكونان وسيلتين إلىٰ ذكر الروح وهو غلبة حضور الحق علىٰ الحضور مع الخلق بل إلىٰ ذكر السر وهو أن لا يكون له حضور مع غير الحق، ولا يكون له خبر عن الكون (**فإنَّ المريد في بداية الأمر**) وأول وضعِ قدمه في السلوك (**قد يكون متكلِّفًا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس**) النفسي والخاطر الشيطاني (**إلىٰ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، فإن وُفِّقَ للمداومة**) علىٰ هذا التكلُّف (**أَنِسَ به، وانغرس في قلبه حبُّ المذكور**) وذهب ذلك التكلُّفُ عنه بالكلِّية، ولكن[3] هذا المقام لا يحصل

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٦٥ وقال: غريب.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٦، وقال: هذا حديث مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري، وهو أحد زهاد أهل البصرة. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح متروك.

(٣) مفتاح المعية في دستور الطريقة النقشبندية لعبد الغني بن إسماعيل النابلسي ص ٧٧ - ٨١ (ط - الدار الجودية بالقاهرة).

إلا بالمداومة علىٰ ما أشار له مربيه بأن لا يتركه في سائر شؤونه، وممَّا يَعْرِض له في أثناء ذلك كيفيَّة متخيَّلة فليفرضها كالخط المستقيم، فإن تخيَّل هذا المعنىٰ وشغل الخيال بأمر واحد ممد للجمعية. وقال بعض الأكابر: إذا تغيَّرت شعرة من بدنك بواسطة الحال وتأثَّرتَ ينبغي لك أن تتَّبع تلك الشعرةَ حتىٰ يحصل لك التعطل، كما قال بعضهم: الشغل هو عدم الشغل، وعدم الشغل هو الشغل[1]. وسأل الشيخ عبد الكبير اليمني حضرةَ المولىٰ سعد الدين الكاشغري: ما الذكر؟ قال: قلت: لا إله إلا الله. فقال: ما هذا ذكر، هذا عبادة. قال: فقلت له: أفِدْ أنت. فقال: الذكر أن تعلم أنك لا تقدر علىٰ وجدانه. ولذا قال الجُنَيد رحمه الله تعالىٰ: التصوف هو أن لا تجلس ساعة متعطِّلاً عن ملاحظة كل شيء. ثم إن مقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق في الذكر كأنك تراه، ومَلَكة الحضور يسمُّونها: مشاهدة، وتكون بالقلب **(ولا ينبغي أن يُتعجَّب من هذا؛ فإنَّ من المشاهَد)** المحسوس **(في العادات)** الظاهرة **(أن يُذكَر غائب)** عن العين **(غير مشاهَد)** بالبصر **(بين يدَي شخص ويكرر ذِكر خصاله)** الحميدة التي تبعث الذاكرَ علىٰ محبَّته **(عنده فيحبه)** أي يميل قلبه بالحب إليه **(وقد يُعشَق)** الشيء ويُحَب **(بالوصف)** المتكرِّر **(وكثرة الذكر)** ومن هنا قالوا:

أذني لبعض صفات الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانًا[2]

(ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلَّف أولاً) وهواه ومال إليه **(صار مضطرًّا إلىٰ كثرة الذكر آخرًا)** من غير اختياره **(بحيث لا يصبر عنه)** لحظةً؛ لارتسامه في لوح القلب **(فإنَّ مَن أحَبَّ شيئًا أكثرَ من ذِكره)** رواه[3] بهذا اللفظ أبو نعيم ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة مرفوعًا. وقد تقدَّم ذلك **(ومَن أكثرَ ذِكر شيء وإن كان تكلُّفًا)** في الأول وتصنُّعًا **(أحَبَّه)** لا محالة،

---

(١) في مفتاح المعية: الشغل هو عدم التفاته إلىٰ أنه شغل.

(٢) البيت لبشار بن برد في ديوانه ٤/ ١٩٤، ٢٠٦ (ط - لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة).

(٣) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

ولا دَوْرَ فيه كما يُظَن؛ فإنَّ الحب الأول تكلُّفيٌّ، والثاني حقيقي، فتفارقا (**فكذلك أول الذكر**) للذاكر (**تكلُّفٌ**) فيما يجده من نفسه، فإذا داوَمَ انتقل إلىٰ مقام وسط يغلبه التكلُّفُ تارةً ويغيب عنه أخرىٰ (**إلىٰ أن**) يترقَّىٰ بهمَّة مربِّيه إلىٰ مقام الفناء الأول و(**يثمر**) له (**الأنسَ**) والألفة (**بالمذكور والحب له**) وفيه (**ثم يمتنع الصبر عنه آخِرًا فيصير الموجِب**) بكسر الجيم (**موجَبًا**) بفتحها (**و**) يصير (**الثمر مثمرًا**) للغايات (**وهذا معنىٰ قول بعضهم**) من العارفين: (**كابدتُ القرآن عشرين سنة، ثم تنعَّمت به عشرين سنة**) تقدَّم ذلك للمصنِّف، ونقله صاحب القوت عن ثابت البُناني وعن عتبة الغلام، ورأيته في الحلية في ترجمة ثابت: كابدت الليل[1]، بدل: القرآن (**ولا يصدر التنعُّمُ**) بشيء (**إلا من الأنس والحب**) الحاصلينِ منه (**ولا يصدر الأنس**) والحب (**إلا من المداومة علىٰ المكابدة**) والمجاهدة ورياضة النفس وتدريبها (**والتكلُّف**) من ذلك (**مدة طويلة**) بحسب همَّة السالك وقوَّته ومعرفته (**حتىٰ يصير التكلُّف طبعًا**) مناسبًا له لا ينفكُّ عنه، ويصير حكمه حكم المزاج الذي لا محيد له عنه. والسالكون في قطع هذه المَفازة علىٰ مراتب، فمنهم من يقطع ذلك في ستين، ومنهم في أربعين، وهذا هو الحدُّ الكامل عند السادة الخلوتية، ومنهم في عشرين كما وقع لعتبة الغلام وثابت البُناني، ومنهم في عشر، ومنهم في أقل من ذلك، وقد قلنا إن الصحيح أن ذلك مربوط بهمَّة السالك وقوة مربيه، فقد تقع المصلحة في لمحة، وتحصل الملاحظة في لحظة، وإليه الإشاره بقولهم: ما سَلِمَ حتىٰ ودَّع، أي ما دخل في أول قدمه حتىٰ ترك ما سوىٰ الله. وغالب البطر للسالكين إنما يحصل من أمرين، أحدهما: الوقوف مع الموطن الذي أقيمَ فيه، فيكون حاجبًا له عن الوصول إلىٰ الترقِّيات، أوَ لا ترىٰ أن العلم أشرف شيء بعد الله تعالىٰ، فمَن وقف معه حجبه عن الله ورجع إلىٰ كونه نعمة أنعم الله بها عليه، ولا صعودَ في حقِّه ما لم ينزع نفسه عن الوقوف في ذلك الموطن. والثاني: الإيغال في تحرير أدلة التوحيد علىٰ طريقة

---

(١) الذي في الحلية ٢/ ٣٢١: كابدت الصلاة. وهكذا نقله الزبيدي نفسه في كتاب أسرار القرآن.

المتكلِّمين، فكلَّما قام بباطنه أمرٌ ما نفاه ووقف مع قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ولو علم أن الطريق إلىٰ معرفة الله أسهل الأشياء وأوضحها لاستراح من أول قدمٍ وفرَّغ المحلَّ ليكون قابلًا للمواهب والمعارف، وأمَّا أصحاب الفكر فهم الذين شغلوا المحلَّ وصرفوه عن القبول الإلهي بالفكر فيما لا يصحُّ اقتناصُه بالفكر، فتأملْ ذلك. ومَّما يؤيِّد ما ذكرتُ من بطء السالك تارةً في سيره ما ذكره الشيخ الأكبر قُدِّس سره في بعض مخاطباته ما معناه: كان الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالىٰ يقصد قرب الطريق علىٰ المريدين، فينقلهم من هذه الطرق إلىٰ الفتح من غير أن يمرُّوا علىٰ الملكوت؛ لِما فيه من الخطر وتعشُّقِ الأنفُس به، فإذا حصل للعبد الفتحُ تدلَّىٰ إلىٰ العالَم فكشفه بالحق تعالىٰ. ثم سأله السائل وقال له: يا سيدي، فهل للشيخ أثرٌ في ذلك؟ قال: نعم، هو بمنزلة الدليل الذي يقول لك: اسلكْ هذه الجهة فإنها أقرب من هذه، والسلوك عندنا بمنزلة الدائرة، وهي درج يعتضدها السالك إلىٰ أن يرقىٰ جميعَها، فإذا خالف الأمرَ علىٰ الترتيب فيتعب أو يطول سلوكُه، فإذا وقع له العارف اختصر له الطريق، أما سمعتَ إشارة أبي يزيد رحمه الله بقوله: وقفت مع المجاهدين فلم أرَ لي معهم قدمًا، ووقفت مع الصائمين والمصلِّين ... إلىٰ أن عدَّ مقامات كثيرة، في ذلك كلِّه يقول: فلم أرَ لي معهم قدمًا، فقلت: يا رب، كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ. فاختصر له الطريق، وهي ألطف كلمة وأخصرُ ما في الباب، فلمَّا ترك نفسه قام الحق معه[1]. وهذه أقرب الطرق.

ثم قال المصنِّف رحمه الله: (**وكيف يُستبعَد هذا وقد يتكلَّف الإنسان تناوُلَ طعامٍ يستبشعه**) أي يجده بشعًا كريهًا (**أولا**) أي في أول الأمر (**ويكابد أكله ويواظب**

---

(١) نقل المناوي ذلك عنه في ترجمته من كتاب الكواكب الدرية في طبقات الصوفية ١/ ٤٤٤. ولكن فيه: «فإنه إذا ترك حظ نفسه من الدارين قام الحق معه». وذكره القشيري في الرسالة ص ٦٠٨ مختصرا، ونصه: «روي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي عزَّ وجلَّ في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعالَ».

عليه) أي يداوم **(فيصير موافقًا لطبعه)** ممازجًا لمزاجه **(حتىٰ لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحمِّلة لِما تتكلَّف)** أي لِما تحمل تكلُّفًا **(وقد قيل)** فيما مضىٰ: **(هي النفس ما حمَّلتَها تتحمَّل)** وفي بعض النسخ: ما عوَّدتها تتعوَّد، وهو قول المتنبي[1]، ومثله قوله:

لكل امرئ من دهره ما تعوَّدا[2]

(أي ما كلَّفتَها أولاً يصير لها طبعًا آخِرًا) وربما يُفهَم من سياق المصنِّف في قوله «حتىٰ يكابد ويجاهد» أن المراد به الرياضة المعروفة للسادة الصوفية من الصوم والخلوة وإمالة النفس عن الشهوات المألوفة كما هو الشأن عند الأكثرين في مبدأ السلوك العام، وهو صحيح في نفسه، ولكن ينبغي أن تعرف أن الرياضة بلوجه المذكور إنما اشترطها الحكماء لتخلو أفكارُهم للتلقِّي عن الروحانيات؛ فإنَّ الروحانيات لا تعطيهم آثارها إلا بفراغ المحل واستعداده وتوجُّهه إلىٰ أفقهم، وأمَّا العارفون بالله تعالىٰ فإنهم علموا أن الأشياء كلَّها نسبتها إلىٰ الحق نسبة واحدة، فهم يشهدونه سبحانه في كل شيء، ولا يحجبهم عنه شيء، ولهذا جاءت الشرائع بالأمر العام، فأثبت كل أحد علىٰ أصله؛ إذ لكل نوع منهم أصل إلىٰ الحق، فافهم ذلك. وإلىٰ ذلك أشار الشيخ شهاب الدين السهروردي في أجوبة أسئلة وردت له من مشايخ خراسان[3]، هو أن الخلوة معينة علىٰ دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة

---

(١) هذا الشعر ليس للمتنبي، وإنما هو لعلي بن الجهم، وتمام البيت:

هي النفس ما حملتها تتحمل ... وللدهر أيام تجور وتعدل

وهو في ديوانه ص ١٦٢ (ط - وزارة المعارف السعودية) من قصيدة يمدح بها المتوكل العباسي.

(٢) تمام البيت:

لكل امرئ من دهره ما تعودا ... وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

وهو في ديوان المتنبي ص ٣٧٠ من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني ويهنئه بعيد الأضحىٰ سنة ٣٤٢، أنشده إياها في ميدانه بحلب وهما علىٰ فرسيهما.

(٣) انظر: روضة الحبور ومعدن السرور لشمس الدين الأطعاني ص ١٨٨ - ١٨٩ (ط - دار الكرز بالقاهرة).

والنقص، وقد يتربَّىٰ المريد بنفس الشيخ وصحبته من غير أن ينحبس في بيت مظلم، بل يسري إليه من باطن الشيخ ما يستغني به عن الخلوة، لكن الخلوة تصلُح لبعض المريدين، غير أني لا أحب للمريد أن يترك الصلاة في جماعة، بل يحضر الفرض ويرجع إلىٰ خلوته، حتىٰ لا تكون خلوته رهبانية، وأمَّا مَن ترك الجماعة وزعم أنه في الخلوة وإن خرج يتشوَّش عليه خاطرُه وتتفرَّق جمعيته فهذا ضالٌّ مخطئ، نعوذ بالله منه وممَّن يحسِّن له ذلك، فهو عين الضلال واتِّباع المُحال، بل ببركة المتابعة وابتغاء فضل الجماعة يعود عليه من الفتح والنور أجل ممَّا فاته في خلوته.

(**ثم إذا حصل الأنس بذكر الله** عَزَّوَجَلَّ) وألفه ألفةً تامة (**انقطع عن غير ذكر الله تعالىٰ**) وعن نفسه؛ فإنها غير الله تعالىٰ، وهو المعبَّر عنه عندهم بالفناء، وكل مشهد يعتمد الحق فيه بينك وبينه ذكر الأغيار أو ذكر نفسك وتزعم أن ذلك قربٌ فليس ذلك بقرب، لكنك مجاور غير كائن في المقام؛ فإنَّ القرب الإلهي يُذهِب الأكوانَ والأعيان إذا كنتَ فيه كائنًا. وتحقيق هذا المقام: أن البعد بعدانِ: بُعد الحقائق وبعد المسافات، فبعد المسافات يُتصوَّر بعد القرب، وأمَّا بُعد الحقائق فلا يتبدَّل أبدًا، فإذا[1] أقامك الحقُّ في مشهد وأشهدك نفسك [معه] فأنت في عين البعد؛ لأنك كون، وأين الكون من الحق؟ فبينهما البعد البعيد، لكن لك حقيقة المجاوَرة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبينه تعالىٰ أمر زائد، كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيِّز ثالث، ولله المَثَل الأعلىٰ. ولا يكون في هذا المقام إلا المحقِّقون، وأمَّا أرباب الأحوال من الصوفية فلهم الفناء عن أنفسهم، فالمحقق أثبت الرب والبعد وهو المتحقق، فإذا انتفَىٰ البعدُ في حق العارف فذلك بالوقت هو صاحب حال لا صاحب تحقيق، فتأملْ (**وما سوىٰ الله تعالىٰ هو الذي يفارقه عند الموت، فلا يبقىٰ معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية**) علىٰ شيء (**ولا يبقىٰ معه إلا**

(١) من هنا إلىٰ قوله ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ عن كتاب اليواقيت والجواهر لعبد الوهاب الشعراني ص ٢١٧. مع اختلاف في العبارة.

ذكر الله سبحانه) وما والاه، وما ورد في الخبر: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ...» الحديث، فإنَّ المراد عمله الدنيوي وهو من عالَم المُلْك، وأمَّا ذكرُ الله فهو من عالَم الملكوت، فهو كالمستثنىٰ في الأعمال **(فإن كان قد أَنِسَ به تمتَّع به وتلذَّذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه؛ إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصدُّ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يبقىٰ بعد الموت عائقٌ، فكأنه يخلي بينه وبين محبوبه)** الذي ألفه **(فعظُمت غبطتُه وتخلَّص من السجن الذي كان ممنوعًا فيه عمَّا به أُنسه)** قال الشيخ الأكبر قُدِّس سره[١]: مَن عرف شيئًا وتعلَّقت همَّتُه بطلبه كان له إمَّا عاجلاً وإمَّا آجلاً، فإن ظفر به [في حياته] كان ذلك اختصاصًا واعتناءً، وإن لم يظفر به في حياته معجَّلاً كان مدَّخَرًا له بعد المفارقة قد يناله بعد المفارقة ثَمَّ ضرورة لازمة، ومن لم يتحقَّق بمقام في هذا الموطن لم يظفر به ثَم، وإنما سُمِّي يوم القيامة يوم التغابن لهذا؛ إذ ينقطع الترقِّي، وإنما يكون الترقِّي ثَم في نفس المقام الذي حصَّله المكلَّف ههنا.

وقال أيضًا قُدِّس سره[٢]: ينبغي للعبد أن يستعمل همَّتَه في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكمًا علىٰ خياله يصرفه بعقله نومًا كما كان يحكم عليه يقظةً، فإذا تحقَّق للعبد هذا الحضور وصار خُلُقًا له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جدًّا، فليهتم العبد بتحصيل هذا القَدْر فإنه عظيم الفائدة.

(ولذلك قال ﷺ: إن روح القُدُس نفث في روعي: أحبِبْ ما أحببتَ فإنك مفارقه) تقدَّم ذلك في الباب السابع من كتاب العلم بلفظ: أحبِبْ مَن أحببتَ. وتقدَّم أنه رواه الطبراني في الأوسط والأصغر من حديث عليٍّ بسند ضعيف **(أراد به كلَّ ما يتعلَّق بالدنيا)** من الأكوان والألوان **(فإنَّ ذلك يفنَىٰ في حقِّه بالموت)** ولا يبقىٰ

---

(١) ذكره إسماعيل حقي في روح البيان ١٠/ ١١ ونسبه لبعض العارفين.

(٢) طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٠٩ (ط - دار الكتب العلمية). نفح الطيب للمقري التلمساني ٢/ ١٦٥.

(فكل مَن عليها فانٍ) أي هالك ومضمحلٌّ بالكلِّية **(ويبقىٰ وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام)** فمَن تعلَّقت همَّتُه بكون من الأكوان كائنًا ما كان فهي مع غير الله تعالىٰ، فلا بدَّ من دفعِ ذلك عنها وتعليقها به تعالىٰ وحده الذي من صفته البقاء المطلق وأنه ذو الجلال والإكرام **(وإنما تفنَىٰ الدنيا بالموت في حقِّه إلىٰ أن تفنَىٰ)** هي **(في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله)** المحتوم **(وهذا الأنس)** بالمذكور **(يتلذَّذ به العبد بعد موته إلىٰ أن ينزل في جوار الله عَزَّوَجَلَّ ويترقَّىٰ من الذكر إلىٰ اللقاء)** وإنما عبَّر عنه بالترقِّي لأن الذكر حجاب عن المذكور بمنزلة الدليل، والدليل متىٰ أعطاك المدلول سقط عنك لتحقُّقك بالمدلول، وكذلك الذكر، فمتىٰ كنتَ مع المذكور فلا ذِكر، وهذا هو اللقاء[1] **(وذلك بعد أن يُبعثَر ما في القبور ويحصَّل ما في الصدور)** من النيَّات والهِمَم، فالعبد مع نيَّته وهمَّته، فهي تجذبه وترفعه إلىٰ محلِّها منه **(ولا ينكر بقاء ذكر الله عَزَّوَجَلَّ معه بعد الموت فيقول: إنه أُعدم فكيف يبقىٰ معه ذكرُ الله عَزَّوَجَلَّ؟! فإنه لم يُعدم عدمًا يمنع الذكرَ، بل عدمًا من)** عالَم **(الدنيا وعالَم المُلْك و)** عالَم **(الشهادة، لا من عالَم الملكوت)** الذي هو الغيب المختص. وسُئل[2] الشيخ الأكبر قُدِّس سرُّه عن قول المصنِّف رحمه الله تعالىٰ «إذا صار السالك في سماء الدنيا أَمِنَ خاطرَ الشيطان وعُصم منه»، فأجاب: ههنا تحقيق ينبغي أن يُتفطَّن له، وذلك أن القول إنما يثبُت إذا صار الجسد فوق سماء الدنيا إذا مات الإنسان وانتقلت نفسه، وأمَّا إذا كان في عالَم الكشف، وكذا كشف السموات فإنه فيها بروحانيَّته فقط، وخياله متَّصل، وللشيطان موازين يعلم بها أين مقام العبد في ذلك المشهد، فيظهر له من مناسبات المقام ما يدخل عليه به الوهم والشبهة، فإن كان عند السالك ضعفٌ أخذ منه، وتحقَّق بالجهل، ونال الشيطان منه غرضه في ذلك الوقت. وإن كان عارفًا أو علىٰ يد شيخ محقِّق فإن تم سلوكًا يثبت به ما جاء به الشيطان ويستوفيه ثم يأخذ منه

---

(١) هذا كلام ابن عربي، نقله عنه ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ٨/ ٢١٦ (ط - دار الكتب العلمية).

(٢) تقدم ذلك في الفصل الثاني من كتاب الصوم.

فيصير ذلك المشهد الشيطاني مشهدًا مَلَكيًّا ثابتًا لا يقدر الشيطان أن يدفعه فيذهب خاسرًا خاسئًا، ومنهم مَن أخذ من العدوِّ ما أتىٰ به ويقلب عين ذلك الشبه فيرده خالصًا إبريزًا.

(**وإلىٰ ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ: القبر إمَّا حفرة من حُفَر النار أو روضة من رياض الجنة**) قال العراقي[1]: رواه الترمذي[2] من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال: غريب. قال العراقي: قلت: فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي، ضعيف.

قلت: وكذلك رواه الطبراني من حديثه بتقديم وتأخير بسند ضعيف. ورواه أيضًا في معجمه الأوسط[3] في ترجمة مسعود بن محمد الرملي من حديث أبي هريرة، وسنده ضعيف أيضًا.

(**وبقوله ﷺ: أرواح الشهداء في حواصل طير خُضْر**) وفي نسخة: طيور خُضْر تعلُق من ثمر الجنة. رواه الترمذي[4] عن كعب بن مالك رضي الله عنه، ورواه مسلم[5] من قول ابن مسعود، وسيأتي قريبًا.

(**وبقوله ﷺ لقتلىٰ بدر من المشركين**) وقد سُحبوا في قليب بدر: (**يا فلان، يا فلان. وقد سمَّاهم النبيُّ ﷺ**) بأسمائهم وأسماء آبائهم (**هل وجدتم ما وعد ربُّكم حقًّا**)؟ من القتل والخِزي (**فإني وجدتُ ما وعدني ربِّي حقًّا**) من النصر والغلبة (**فسمع عمر**) بن الخطاب (رضي الله عنه **قولَه ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأنَّىٰ يجيبون وقد جيفوا**)؟ أي صاروا جيفة وأنتنوا (**فقال ﷺ: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لكلامي منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا. والحديث في الصحيح**) أي

---

(١) المغني ١/ ٢٥٥.
(٢) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٨.
(٣) المعجم الأوسط ٨/ ٢٧٣.
(٤) سنن الترمذي ٣/ ٢٧٨.
(٥) صحيح مسلم ٢/ ٩١٢.

رواه مسلم في صحيحه[١] من حديث أنس.

(هذا قوله ﷺ في المشركين، وأمَّا المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ: إن أرواحهم في حواصل طير خضر معلَّقة تحت العرش) أمَّا المؤمنون فرواه[٢] ابن ماجه[٣] من حديث كعب بن مالك: «إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلُق بشجر الجنة». ورواه النسائي[٤] بلفظ: «إنما نَسَمة المؤمن طائر». ورواه الترمذي بلفظ: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق بثمر الجنة». وقال: حسن صحيح. وقد تقدَّم للمصنِّف قريبًا.

وأمَّا الشهداء فرواه مسلم من حديث ابن مسعود، ولم يرفعه[٥]، وسيُذكَر قريبًا.

(وهذه الحالة وما أُشيرَ بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ الآية) [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] روى[٦] مسلم عن أبي مسعود البدري[٧] رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآية، فقال: أما إنَّا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خُضر». فلم

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٣١٥.

(٢) المغني للعراقي ١/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) سنن ابن ماجه ٣/ ١٦.

(٤) سنن النسائي ص ٣٣٠. وتمامه: «إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة حتىٰ يبعثه الله عز وجل إلىٰ جسده يوم القيامة».

(٥) في سياق مسلم ما يدل علىٰ أنه مرفوع إلىٰ النبي ﷺ، ولفظه: «عن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: أرواحهم ...» الخ.

(٦) المغني للعراقي ١/ ٢٥٥.

(٧) هذا خطأ، والصواب: عبد الله بن مسعود.

يسمِّ فيه النبي ﷺ. وفي رواية الترمذي[1]: أما إنَّا قد سألنا عن ذلك فأُخبِرنا. وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرَّح برفعه في مسنده.

(ولأجل شرفهم) أي الشهداء (بذكر الله تعالىٰ عظُمت رتبةُ الشهادة) علىٰ غيرها، ففي الصحيح: «فوددت أني أحيا فأُقتَل ثم أحيا فأُقتَل» (لأن المطلوب) الأعظم (الخاتمة) فإن حسُنت قُبِلت الأعمال كلها (ونعني بالخاتمة) هنا (وداع الدنيا) وتركها وما يتعلَّق بها وراء ظهره (والقدوم علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ) بكمال همَّته (والقلب مستغرق بالله تعالىٰ، منقطع العلائق عن غيره) وذلك بمراعاة الأنفاس الصاعدة مع الله تعالىٰ، وهذه أعلىٰ المراتب، ودون ذلك من يراعي ساعاته، وأقلُّ العارفين رتبةً من يراعي يومَه، وذلك أقل الدرجات. فهذا معنىٰ الاستغراق بالله (فإن قدر عبدٌ علىٰ أن يجعل همَّه) كلَّه بعد ضمِّه عن التشتُّت (مستغرقًا بالله تعالىٰ) تاركًا ما سواه، وهذا الاستغراق يحصل بتهيئة المحل لِما يجب عليه للربوبية، وقطعِ العلائق الحسِّية والمعنوية، ومتىٰ حصل له ذلك (فلا يقدر علىٰ أن يموت علىٰ تلك الحالة إلا في صف القتال) مع أعداء الحق (فإنه) قد (قطع) عند ذلك (الطمع عن مُهْجته) أي نفسه (وأهله وماله وولده، بل من الدنيا كلِّها؛ فإنه يريد إماتته في الشرع، وقد هوَّن علىٰ قلبه حياته في حب الله عَزَّوَجَلَّ وطلب مرضاته، ولا تجرُّدَ لله أعظم من ذلك) في الشرع (ولذلك عظُم أمرُ الشهادة) ونُوِّه بشأنها (وورد فيها من الفضائل ما لا يُحصَىٰ، فمن ذلك أنه لمَّا استشهد عبد الله بن عمرو) السُّلَمي (الأنصاري) والد جابر رضي الله عنهما (يوم أُحُد قال رسول الله ﷺ لجابر) ابنه: (ألا أبشِّرك يا جابر؟ قال: بلىٰ، بشَّرك الله بالخير. قال: إن الله عَزَّوَجَلَّ أحيا أباك، وأقعده بين يديه، وليس بينه وبينه سترٌ، فقال الله تعالىٰ: تَمَنَّ عليَّ يا عبدي ما شئتَ أعطيكه. فقال: يا رب، أن تردَّني إلىٰ الدنيا حتىٰ أُقتَل فيك وفي نبيِّك) ﷺ (مرة أخرىٰ. فقال الله عَزَّوَجَلَّ: سبق القضاء مني أنهم إليها لا يرجعون) قال العراقي[2]: رواه

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ١١١.

(٢) المغني ١/ ٢٥٦.

الترمذي[١] وقال: حسن، وابن ماجه[٢]، والحاكم[٣] وصحَّح إسناده، من حديث جابر.

(**ثم إن القتل سبب الخاتمة علىٰ مثل هذه الحالة**) المُرضية (**فإنه لو لم يُقتَل وبقي مدة**) من الزمان (**ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت علىٰ ما استولىٰ علىٰ قلبه من ذكر الله تعالىٰ**) فبعد أن كان مؤهَّلاً للرتبة العليَّة والحضور مال منها وتشاغَلَ بالحظوظ، فذلك دليل الخذلان، نعوذ بالله من ذلك (**ولهذا عظُم خوفُ أهل المعرفة**) بالله تعالىٰ (**من سوء الخاتمة؛ فإنَّ القلب وأن أُلزِم ذِكر الله تعالىٰ فهو متقلِّب**) وإليه الإشارة بقول القائل:

وما سُمِّي الإنسان إلا لأنسه وما القلب إلا أنه يتقلَّب[٤]

فهو إذًا (**لا يخلو عن الالتفات إلىٰ شهوات الدنيا**) ولذَّاتها (**ولا ينفكُّ عن فترة تعتريه**) فلكل[٥] عامل فترة، كما ورد في الخبر، فالفترة تكون في الأعمال، وأمَّا الوقفة فإنها تكون في الأحوال، وسبب الوقفة إهمال حكم الحال والإخلال بشيء من شروط الحال، وموجِب الإخلال والإهمال نقصان علم الحال، ونقصان علم الحال لنقصان علم القيام، وهذا النقصان هو الفتور عن المراقبة (**فإذا تمثَّل في آخر الحال في قلبه أمر الدنيا واستولىٰ عليه وارتحل عن الدنيا علىٰ هذه الحالة فيوشك أن يبقىٰ استيلاؤه عليه، فيحيا بعد الموت علىٰ ذلك، ويتمنَّىٰ الرجوع إلىٰ الدنيا، وذلك لقلة حظِّه في الآخرة؛ إذ يموت المرء علىٰ ما عاش عليه، ويُحشَر علىٰ ما**)

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ١١٠.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١٩٠، ٤/ ٣٣٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ٢٤٣ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بأن فيه فيض بن وثيق، كذاب.

(٤) لم أقف علىٰ قائله.

(٥) روضة الحبور ومعدن السرور ص ١٨٦. وهو إجابة شهاب السهروردي عن أحد الأسئلة التي وردت عليه من خراسان.

مات عليه) وقد روىٰ ابن ماجه[١] والضياء في المختارة عن جابر رفعه: «يُحشَر الناس علىٰ نيَّاتهم».

وقال الشيخ الأكبر قُدِّس سره: والناس إنما يُحشَرون يوم القيامة علىٰ قَدْر معرفتهم بالله الحاصلة في نفوسهم، لا علىٰ قَدْر معرفتهم بطريق المعرفة والعلم.

(وأسلمُ الأحوال من هذا الخطر) العظيم **(خاتمة الشهادة)** في سبيل الله **(إذا لم يكن قصدُ الشهيد نيل مال)** من الغنيمة **(أو أن يقال شجاع، أو غير ذلك)** والحميَّة والعصبية **(كما ورد به الخبر، بل)** محض **(حب الله تعالىٰ وإعلاء كلمته)** روىٰ البخاري[٢] ومسلم[٣] من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليُرَىٰ مكانه، فمَن في سبيل الله؟ قال: «مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». قاله العراقي[٤]. قلت: وكذلك رواه أحمد[٥] وأبو داود[٦] والترمذي[٧] وابن ماجه[٨] والنسائي[٩] **(فهذه الحالة هي التي عُبِّر عنها بـ** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ الآية [التوبة: ١١١] **(ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة)** وفي[١٠] الآية إشارة إلىٰ أن الزكاة في النفوس آكَدُ

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٢٨.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٦١، ٢/ ٣٠٩، ٣٩٥، ٤/ ٣٩٦.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٩١٩.

(٤) المغني ١/ ٢٥٦.

(٥) مسند أحمد ٣٢/ ٢٤٣، ٣١٤، ٣٦٧، ٤٠٤، ٥١٦، ٥١٧.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٢٢١.

(٧) سنن الترمذي ٣/ ٢٨٢.

(٨) سنن ابن ماجه ٤/ ٣٢٨.

(٩) سنن النسائي ص ٤٨٣.

(١٠) الفتوحات المكية ١/ ٥٧٧.

منها في الأموال، ولهذا قدَّمها الله في الشراء، فالعبد ينفق في سبيل الله نفسَه ومالَه **(وحالة الشهيد توافق معنىٰ قولك: لا إله إلا الله؛ فإنه لا مقصود له)** أي للشهيد **(سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ)** أي حبه وإعلاء كلمته، ولا معبود له سواه **(وكل مقصود)** إليه في الحقيقة **(معبود)** أي مستحق لهذا الوصف **(وكل معبود إله)** حق. وقال مشايخنا النقشبندية: معنىٰ «لا إله» نفيُ الإلهية الطبيعية، و«إلا الله» إثبات المعبود بالحق. وقال بعضهم: بل يُتصوَّر في النفي لا معبود، والمتوسط يلاحظ لا مقصود، والمنتهىٰ لا موجود، وما لم ينتهِ السير إلىٰ الله بوضع القدم في السير في الله تكون ملاحظته «لا موجود إلا الله» كفرًا **(فهذا الشهيد قائل بلسان حاله: لا إله إلا الله؛ إذ لا مقصود له سواه، ومن يقول ذلك بلسانه)** أي ينفي المقصوديَّة عن غيره ويثبتها له تعالىٰ **(ولم يساعده حالُه)** لعارض الوقفة **(فأمرُه في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ)** إن شاء آخذه، وإن شاء عفا عنه **(و)** لكن **(لا يؤمَن في حقِّه الخطر)** لمخالفة حاله موطنه **(ولذلك فضَّل رسولُ الله ﷺ قولَ «لا إله إلا الله» علىٰ سائر الأذكار)** قال العراقي[1]: رواه الترمذي[2] وحسَّنه وابن ماجه[3] والنسائي في اليوم والليلة[4] من حديث جابر رفعه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله».

قلت: وتمام الحديث: «وأفضل الدعاء الحمد لله». أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرىٰ جميعًا عن يحيىٰ بن حبيب قال: حدثنا موسىٰ بن إبراهيم المدني، عن طلحة بن خِراش، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره. وأخرجه ابن حبان[5] عن محمد بن علي الأنصاري عن يحيىٰ بن حبيب.

---

(١) المغني ١/ ٢٥٦.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٧.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٠٦.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ١٢٦.

وأخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن إبراهيم، والحاكم[1] من رواية إبراهيم بن المنذر، كِلاهما عن موسىٰ بن إبراهيم. قال الترمذي: حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسىٰ، وقد روىٰ علي بن المديني وغيره هذا الحديثَ عن موسىٰ. قال الحافظ[2]: ولم أقف في موسىٰ علىٰ تجريح ولا تعديل، إلا أن ابن حبَّان ذكره في الثقات[3] وقال: يخطئ. وهذا عجيب منه؛ لأن موسىٰ مقلٌّ، فإذا كان يخطئ مع قلة روايته فكيف يوثَّق ويصحَّح حديثه؟! فلعلَّ مَن صحَّحه أو حسَّنه تسمَّح لكون الحديث من فضائل الأعمال. والله أعلم.

(وذكر ذلك مطلقًا) أي من غير قيد (في مواضع الترغيب) وهي كثيرة، فمن ذلك ما رواه الحاكم[4] عن إسحاق بن [عبد الله بن] أبي طلحة عن أبيه عن جدِّه: «من قال: لا إله إلا الله، [دخل الجنة و] وجبت له الجنة».

ومنه ما رواه أحمد[5] والبزار[6] والطبراني[7] من حديث أبي الدرداء: «من قال: لا إله إلا الله، دخل الجنه». قال أبو الدرداء: وإن زنىٰ وإن سرق؟ قال: «وإن زنىٰ وإن سرق». وفي الثالثة: «علىٰ رغم أنف أبي الدرداء».

ورواه الطبراني في الأوسط[8] عن سلمة بن نُعَيم الأشجعي.

ومنه ما رواه الخطيب[9] عن أنس: «من قال: لا إله إلا الله، طلست ما في

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨١ - ٦٨٢.

(٢) نتائج الأفكار ١/ ٦٤.

(٣) الثقات ٧/ ٤٤٩.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٨٢.

(٥) مسند أحمد ٤٥/ ٤٨٣.

(٦) مسند البزار ١/ ٥٩ بلفظ: «من مات لا يشرك بالله دخل الجنة».

(٧) مسند الشاميين ٣/ ٢١٤.

(٨) المعجم الأوسط ٢/ ٣٢٨.

(٩) تاريخ بغداد ٢/ ٦١٧.

صحيفته من الحسنات [حتىٰ يعود إلىٰ مثلها]».

ومنه ما رواه ابن شاهين عن أبي هريرة: «من قال: لا إله إلا الله، كُتب له عشرون حسنة ...». الحديث[١].

(ثم ذكر ذلك في بعض المواضع) مقيَّدًا **(مع الصدق والإخلاص، فقال مرةً: من قال: لا إله إلا الله، مخلصًا) دخل الجنة.** تقدَّم ذِكرُه قريبًا في فضيلة التهليل **(ومعنىٰ الإخلاص: مساعدة الحال للمقال)** أي بأن يكون حاله مساعدًا لقالِه، وقالُه موافقًا لحاله. وقد جاء في إحدىٰ روايات هذا الحديث زيادة وهي: قيل: وما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن محارم الله تعالىٰ». وفي رواية أخرىٰ: «أطاع بها قلبُه، وذَلَّ بها لسانُه». أخرجها الطبراني في الأوسط[٢] عن سعد بن عُبادة. وفي أخرىٰ: «لا يريد بها إلا وجهه أدخله الله بها جنات النعيم». أخرجها الطبراني[٣] عن ابن عمر. وهو في معنىٰ الإخلاص.

وروىٰ[٤] ابن النجار عن عُقْبة بن عامر عن أبي بكر ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، يصدِّق لسانُه قلبَه دخل من أيِّ أبواب الجنة الثمانية شاء».

(فنسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً) وذوقًا ومشهدًا **(ومقالاً وظاهرًا وباطنًا حتىٰ نودِّع الدنيا)** ونتركها **(غير ملتفتين إليها)** أي إلىٰ زخارفها **(بل متبرِّمين بها ومحبِّين للقاء الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ مَن أحَبَّ لقاء الله سبحانه أحَبَّ اللهُ لقاءه، ومَن كره لقاء الله عَزَّوَجَلَّ كره الله لقاءه)** وهذا قد رواه الطيالسي[٥]

---

(١) كنز العمال ٢/ ٢٣٤.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ٩٥، ٩/ ١١٠.

(٣) المعجم الكبير ١٢/ ٣٤٩.

(٤) كنز العمال ١/ ٣٠٢.

(٥) مسند الطيالسي ١/ ٤٦٨.

وأحمد[(١)] والدارمي[(٢)] والشيخان[(٣)] والترمذي[(٤)] والنسائي[(٥)] وابن حبان[(٦)] عن أنس عن عُبادة بن الصامت. ورواه أحمد[(٧)] والشيخان[(٨)] والترمذي[(٩)] والنسائي[(١٠)] عن عائشة. ورواه الشيخان[(١١)] عن أبي موسىٰ. ورواه مسلم[(١٢)] والنسائي[(١٣)] عن أبي هريرة. ورواه النسائي والطبراني[(١٤)] عن معاوية. زاد أحمد[(١٥)] والنسائي[(١٦)] في حديث أنس: قالوا: يا رسول الله، كلُّنا نكره الموت. قال: «ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حُضِرَ جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله، فأحبَّ اللهُ لقاءه، وإن الفاجر [أو الكافر] إذا حُضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله تعالىٰ فكره اللهُ لقاءه». وقد جاءت هذه الزيادة بنحوها في حديث عائشة عند عبد بن حميد[(١٧)] عن أنس عن

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٣٧٠، ٤٠٨.

(٢) سنن الدارمي ٢/ ٤٠٣.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٩٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٦.

(٤) سنن الترمذي ٢/ ٣٦٦، ٤/ ١٤٣.

(٥) سنن النسائي ص ٢٩٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٧٩.

(٧) مسند أحمد ٤٠/ ٢٠٣، ٣٢٨، ٤٧٧، ٤٣/ ٢٧، ١٣١.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٩٣ تعليقًا. صحيح ٢/ ١٢٣٧.

(٩) سنن الترمذي ٢/ ٣٦٧.

(١٠) سنن النسائي ص ٢٩٦.

(١١) صحيح البخاري ٤/ ١٩٣. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٧.

(١٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٧.

(١٣) سنن النسائي ص ٢٩٦.

(١٤) المعجم الكبير ١٩/ ٣٩١.

(١٥) مسند أحمد ١٩/ ١٠٣.

(١٦) السنن الكبرىٰ ١٠/ ٣٧٦.

(١٧) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٨٨.

عُبادة بن الصامت، وعند ابن ماجه[١] عن عائشة، وعند أحمد[٢] عن رجل من الصحابة.

(**فهذه مَرامز**) ولوامح (**إلىٰ معاني الذكر**) ممَّا يمنحها (**لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة**) وهذه مسانحات من معاني الذكر نختم بها هذا الباب:

الأولىٰ: السالك إذا تعجَّل طلب الشهود في هذا الموطن وعلت همَّته واستجلب الفناء فإنه قد تحصل له منازلات، لكنه في الحقيقة سوء أدب، ويفوته أكثر ممَّا ناله. وتحقيق هذا المقام: أن الله تبارك وتعالىٰ أوجد العبد وجعل له هذه الدار دار تكليف أمره فيها بأوامر، ونهاه عن نَواهٍ، فوظيفته إن كان عبدًا امتثل ما أُمر به، واجتنب ما نُهي عنه، ويستعين العبد بربِّه في طلب التوفيق في الامتثال، وعلىٰ العبد أن يهيِّئ محله بأن لا يجعل في قلبه ربَّانية لغير ربِّه، فهو يجتهد في قطع العلائق التي تؤثِّر في عبوديَّته نقصًا ما، هذا أهم ما عليه، وقطعُه لهذه العلائق هو تهيُّؤ المحل للقيام بحق الربوبية عنده تكملة وصفه العبودية، هذا شأن العبد، وأمَّا نتائج ائتماره وعبوديَّته فلا يليق به طلبها، وذلك راجع إلىٰ ربِّه تعالىٰ، إن شاء عجَّله، وإن شاء أجَّله فإذا[٣] قصد تعجيل النتائج في دار التكليف فقد أساء الأدبَ وعامَلَ الموطنَ بما لا تقتضيه حقيقتُه، فإذا استقام العبد في مقام العبودية وعجَّل له الحق نتيجة ما أو كرامة قَبِلها إن كانت مطهَّرة من شوائب حظِّه، وإن أجَّل اللهُ تعالىٰ له النتائج رَضِيَ سبحانه، واعلم أن الخيرة فيما اختاره الله تعالىٰ. والله أعلم.

الثانية: اعلمْ أن الدنيا موطن العمل وتهيُّؤ المحل، والآخرة موطن النتيجة والثواب، فكما أن الآخرة ليست دار عمل فكذلك هذه الدار ليست دار نتائج، فلا يجب علىٰ المريد سوىٰ تهيُّؤ المحل، وأمَّا النتائج فإنها أمامه في الدار الآخرة، ولا

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٩.

(٢) مسند أحمد ٣٠/ ٢١٦.

(٣) من هنا إلىٰ آخر الفقرة ذكره إسماعيل حقي في روح البيان ٩/ ٢٥٦.

يلزم من كون الإنسان لم يُكشَف له في هذا الموطن أنه ناقص الاستعداد وليس له نصيب في هذا الأمر، بل يقال: إنه عند موته تهيَّأ محلُّه وكمُل استعدادُه، ولا فرق بين من كوشِفَ ذلك الوقت في ذلك الموطن وبين مَن كوشف طول عمره، إنما هو تقديم وتأخير. والله أعلم.

الثالثة: قال بعض العارفين: لا تذكرني بذكرك فتُحجَب عني بك، واذكرني بذكري. وتحقيق هذا: أن ذكرك بك هو أن تذكره للتنزيه أو لمعنىٰ من معاني الذكر، وذكرُك به هو أن تذكره لكونه أمرك بالذكر، ولهذا اختار العارفون الذكرَ المفرد لكونه يعطيك معنىٰ تتفرق بسببه؛ ليكون الذكر تعبُّدًا محضًا، فمتىٰ سبَّحتَه للتنزيه أو هلَّلته لنفي الشريك وقصدت هذه المعاني المعقولة من ذلك فقد ذكرتَه به، فتتحقَّق. والله أعلم.

الرابعة: هذه الأذكار والأوراد التي رتَّبها المشايخ لمريديهم وعاهدوهم بها فيما يأخذون به أنفسهم فاختُلف فيه، فمنهم مَن كره ذلك؛ لأن المريد فيها يبقىٰ بحكم العادة يمر عليها بالطبع والغفلة وقلبه في محل آخر، وإذا لم يتقيَّد بها وذكر الله تعالىٰ متىٰ وجد لذلك سبيلاً في أيِّ وقت كان بحيث يعقل ذلك بحضور وإقبال فإنه يجد أثره بحضور همَّته ووجود عزيمته، خلاف الأول، وأمَّا المعاهدات فلا يأمن متعاطيها وقوعَ الخيانة، والأحسن به أن يأتي ما يأتي بغير معاهدة، ويفعل الله ما يشاء. والله أعلم.

الخامسة: اعلمْ أن الفناء في الوصول أعلىٰ؛ لأن معه يصح التوحيد المجرَّد، ومتىٰ صحبه علمُه بأنه موحده، والبقاء في السلوك أعلىٰ؛ لأنه يفنَىٰ عمَّا سوىٰ المسلوك إليه، وهو في كل قدم يسلكها أعلىٰ ممَّا بعدها، فتحقُّقُه بالفناء من غير قدمه التي هو سالكها، فإذا وُكل إلىٰ الحق سبحانه فني فيه لا عنه. والله أعلم.

السادسة: ينبغي للسالك أن لا يحكم علىٰ الله بشيء ولو بلغ أعلىٰ المراتب

وأكملها وقال له: رضيت عنك رضاي الأكبر، فبعد هذا كلِّه لا يأمنه، بل ينبغي أن يعطي الألوهية حقَّها، ولينظر إلىٰ الخبر الذي ورد عن جبريل وإسرافيل عليهما السلام أنهما كانا يبكيان، فقال لهما الحق وهو أعلمُ: ما الذي يبكيكما؟ فقالا: خوفًا من مكرك. فقال لهما الحق سبحانه: كذلك فكونا. والله أعلم.

السابعة: هل الذاكر يصح له الإقبالُ علىٰ الحاضرين ومكالمتهم ويكون مع ذلك حاضرًا في علم الباطن كحضوره في خلوته؟ فالجواب: لا يصح ذلك لمبتدئ ولا لمنتهٍ، ألا ترىٰ رسول الله ﷺ وهو سيد المرسَلين كان إذا أتاه الوحي اشتدَّ عليه إلىٰ أن ينقضي ذلك ثم يُسرَّىٰ عنه، هذا مع كونه كان في خطاب مَلَكيٍّ، فكيف يكون الاستغراق في خطاب الحق؟! لكن المتمكِّن سريع الأخذ، فمن اشتغلت عنه وتركت إقباله عليك فلا تعلم أين يكون في وقته ذلك، فحينئذٍ يأتيه واردُه. والله أعلم.

الثامنة: ينبغي[1] للذاكر أن لا يشتغل بمعاني الذكر، بل بالذكر، ويجعله تعبُّدًا لا يعقل معناه، ويقول: هذه عبادة أُمِرتُ بها، فأنا ممتثل الأمر. فإذا اعتقد الذاكر ذلك كان الذكر يعمل بخاصِّيته وما تقتضيه حقيقتُه. والله أعلم.

التاسعة: الشوق أول منازل السعادة، ولا يحصل إلا بطريق المواهب، ومتىٰ حصل الشوق جذب إلىٰ الفناء عن الأكوان. والله أعلم.

العاشرة: إذا[2] علم المريد من الأحكام ما لا بدَّ له منه فالأَولىٰ به الانقطاع إلىٰ الله ودوام التبتُّل، إلا أن يكون غير متأبِّد[3] علىٰ الحق الصِّرف، ونفسه لا تجيبه

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٨/ ٢١٦ عن ابن عربي.

(٢) روضة الحبور ومعدن السرور ص ١٨٧. وهو إجابة شهاب الدين السهروردي علىٰ أحد الأسئلة التي وردت عليه من خراسان.

(٣) في روضة الحبور: صابر.

علىٰ الدأب علىٰ العمل والذكر وتنازعه بالفتور وتطالبه بالبطالة، فعند ذلك يجعل سهم البطالة الاشتغال بشيء من العلم من قبيل فروض الكفايات؛ ليكون تبتُّله عزيمة، واشتغاله رخصة. والله اعلم.

الباب الثاني:

في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار وفضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ

فضيلة الدعاء

ولنذكر قبل الشروع في هذا الفصل بيان حقيقة الدعاء لغةً وشرعًا، وقد تقدَّم لنا في الباب الذي قبله أن الدعاء من الألفاظ المشتركة، فذكرت هناك إجمالاً من غير ذكر الشواهد، والآن أذكره مع الشواهد. أمَّا لغةً، فأصل[1] هذه الكلمة مصدرٌ من: دعوتُ الشيء أدعوه دعاءً، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعتُ دعاء، كما تقول: سمعت صوتًا.

ويُطلقَ[2] ويُراد به التوحيد، كما في قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ويطلق ويراد به الاستعانة، ومنه: ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣] أي استعينوا بهم. ويطلق ويُراد به النداء، ومنه قوله: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢] وقوله: ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ﴾ [القصص: ٢٥] ومنع القرافي كونه هنا بمعنىٰ الطلب لاستحالته. قال الزركشي: وليس كما قال؛ لصحة:

(١) شأن الدعاء للخطابي ص ٣ (ط - دار الثقافة العربية).

(٢) الأزهية في أحكام الأدعية للزركشي ص ٢٦ - ٢٨.

يطلبك ليجزيك. ويطلق ويُراد به السؤال والطلب، وهو المراد هنا، ومنه قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وهو في الأصل مصدرٌ. وأمَّا حقيقته اصطلاحًا فـ: معنىٰ قائم بالنفس، وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صِيَغ تخصُّه: في الإيجاب «افعلْ»، وفي النفي «لا تفعل»، وقد اجتمعا في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] وقال الخطابي[١]: حقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه العناية، واستمداده إيَّاه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوة التي له، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية، وفيه معنىٰ الثناء علىٰ الله تعالىٰ، وإضافة الجود والكرم إليه.

وإذا عرفتَ ذلك، فاعلمْ أن في فضل الدعاء وردت آيات وأخبار وآثار دالَّة علىٰ أنه مطلوب شرعًا، والرد علىٰ من قال: لا فائدة فيه مع سبق القَدَر. أمَّا الآيات: (قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ أي[٢] فقل لهم: إني قريب، ففيه إضمار، وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطِّلاعه علىٰ أحوالهم بحال من كان قريبًا مكانه منهم، رُوي أن أعرابيًّا قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أمْ بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية (﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾) تقرير للقرب ووعدٌ للداعي بالإجابة. قرأ[٣] أهل المدينة - غير قالون - وأبو عمرو بإثبات الياء فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصلاً ووقفًا (﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى﴾) إذا دعوتُهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهمَّاتهم ﴿وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال أبو عبد الله الزركشي في كتاب الأزهية[٤]: وفي الآية لطائف:

---

(١) شأن الدعاء ص ٤.

(٢) تفسير البيضاوي ١/ ١٢٥.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٠٥. وانظر: النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣٧.

(٤) الأزهية ص ٢٨.

منها: أنه جرت عادةُ القرآن حيث ورد لفظ السؤال جاء عقبه «قل»، كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٢٢] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ﴾ [الأنفال: ١] وترك في هذا الموضع لفظ «قل» للإشارة إلىٰ رفع الواسطة بين العبد والرب في مقام الدعاء، وفيه إشعار بالاستجابة السريعة.

ثانيها: إضافة العبد بياء التشريف يدل علىٰ أن العبد له، وقوله «قريب» يدل علىٰ أن الرب للعبد.

ثالثها: لم يقل: العبد قريب مني، بل قال: أنا منه قريب؛ لأن العبد ممكن الوجود، فهو من حيث هو هو لا بدَّ وأن يكون مركز العدم وحضيض الفناء، فكيف يكون قريبًا من القريب وهو الحق، فالعبد لا يمكنه القرب من الحق، والحق بفضله وكرمه يقرب إحسانه منه، فلهذا قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ﴾ ومعنىٰ القرب أنه إذا أخلص في الدعاء واستغرق في معرفة الله امتنع أن يبقىٰ بينه وبين الحق واسطة، وذلك هو القرب.

قلت: وقال الشيخ الأكبر قُدِّس سره: الطريق من الحق تعالىٰ إلىٰ الخَلْق هي علىٰ حكمٍ واحدٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٤٧﴾ [سبأ: ٤٧] لكن إنما الشأن أن يكون لطريقك أنت به تتصل؛ لأنك أنت محل الحجاب، فإذا زالت الحُجُب عنك وذهبت الغفلة حينئذٍ تتَّصف بالقرب من هذه المرتبة والمقام الذي هو مقام الصالحين والمقرَّبين، فالقرب إنما هو قرب من مراتب مخصوصة، وكذلك البعد، والذي يتقرَّب إليه إنما هو مقام السعادة الخاصة التي جاءت بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. انتهىٰ.

وقد تقدَّم قريبًا في بيان معاني الذكر الكلامُ علىٰ القرب والبعد له شديد تعلُّق بهذا المقام، فانظرْه.

(**وقال تعالىٰ**: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾)

[الأعراف: ٥٥] والمعنىٰ[١]: ادعوا ربَّكم ذوي تضرُّع وإخفاء؛ فإنَّ الإخفاء أقرب إلىٰ الإخلاص. والمعتدون هم المتجاوزون في الدعاء بالإجهار فيه أو بالإسهاب أو بطلب ما لا يقتضيه حالُه. وسيأتىٰ الكلام عليه قريبًا.

(وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾) [الإسراء: ١١٠] نزلت[٢] حين سمع المشركون رسولَ الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا: إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهًا آخر. والمراد التسوية بين اللفظين؛ فإنهما يُطلَقان علىٰ ذات واحدة وإن اختلف اعتبار إطلاقهما، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود [المطلق]، و«أو» للتخيير، والتنوين في «أيًّا» عوض عن المضاف [إليه]، و«ما» صلة لتأكيد ما في «أيًّا» من الإبهام، وكان أصل الكلام: وأيًّا ما تدعوا فهو حَسن. فوضع موضعه ﴿فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ للمبالغة والدلالة علىٰ ما هو الدليل عليه، وكونها حسنىٰ لدلالتها علىٰ صفات الجلال والإكرام.

(وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾) [غافر: ٦٠] قيل[٣]: معناه: اعبدوني أثبكم؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ الآية. وداخرين: صاغرين. وإن فُسِّر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزَّلاً منزلته للمبالغة، أو المراد بالعبادة: الدعاء[٤].

فإن[٥] قيل: ما وجه قوله تعالىٰ: ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ وقد يُدعَىٰ كثيرًا فلا يجيب؟ قلنا: اختلفوا في

---

(١) تفسير البيضاوي ٣/ ١٦.

(٢) السابق ٣/ ٢٧٠.

(٣) السابق ٥/ ٦١ - ٦٢.

(٤) بعده في تفسير البيضاوي: فإنه من أبوابها.

(٥) معالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

معنىٰ الآية الأولىٰ، قيل: معنىٰ الدعاء: الطاعة، ومعنىٰ الإجابة: الثواب. وقيل: معنىٰ الآيتين خاصٌّ وإن كان لفظهما عامًّا، تقديرهما: أجيب دعوة الداعي إذا شئتُ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١] أو: أجيب دعوة الداعي إن وافق القضاءَ، أو: أجيبه إن كانت الإجابة خيرًا له، أو: أجيبه إن لم يسأل مُحالاً. وروىٰ ابن زنجويه في فوائده عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن زيد، عن أبي إدريس، عن أبي هريرة رفعه قال: «يستجيب الله لأحدكم ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل». قالوا: ما الاستعجال يا رسول الله؟ قال: «يقول: قد دعوتُك يا رب، فلا أراك تستجيب لي، فيستحسر عند ذلك فيَدَع الدعاء». وقيل: هو عامٌّ، ومعنىٰ قوله «أجيب» أي أسمعُ، ويقال: ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة، فأمَّا إعطاء الأمنية فليس بمذكور فيها، وقد يجيب السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطيه سؤله، فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة. وقيل: معنىٰ الآية أنه لا يخيِّب دعاءه، فإن كان قدَّر له ما سأل أعطاه، وإن لم يقدِّره له ادَّخر له الثواب في الآخرة أو كفَّ عنه به سوءًا، والدليل عليه ما رواه ابن زنجويه في فوائده من طريق مكحول عن جُبَير بن نُفَير عن عُبادة بن الصامت رفعه قال: «ما علىٰ الأرض رجل مسلم يدعو [الله بدعوة] إلا آتاه الله إيَّاها أو كفَّ عنه من السوء مثلها ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم». وقيل: إن الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخِّر إعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته، ويعجِّل إعطاء من لا يحبه لأنه يبغض صوته. وقيل: إن للدعاء آدابًا وشرائط، كما سيأتي ذِكرُها، وهي أسباب الإجابة، فمَن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخلَّ بها فهو من أهل الاعتداء [في الدعاء] فلا يستحق الإجابة.

(و) أمَّا الأخبار، فقد (روىٰ النعمان بن بشير) بن سعد الخزرجي، أبو عبد الله، الأمير، رَضِيَ اللهُ عَنهُ، تقدَّم ذِكرُه (عن النبي ﷺ **أنه قال: الدعاء هو العبادة. ثم**

قرأ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ الآية) قال العراقي[١]: رواه أصحاب السنن[٢]، والحاكم[٣] وقال: صحيح الإسناد، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وأخرجه كذلك أحمد[٤] وأبو بكر بن أبي شيبة[٥] والبخاري في الأدب المفرد[٦] وابن حبَّان في صحيحه[٧]. وقال البزار[٨]: لا يُروَىٰ إلا عن النعمان بن بشير مرفوعًا. وقال النووي[٩]: أسانيده كلها صحيحة. ويُروَىٰ: هي العبادة. قال الخطابي[١٠]: أنَّثه علىٰ معنىٰ الدعوة أو المسألة، والمعنىٰ: أنه معظم العبادة أو أفضلها، ومنه: «الحج عرفة»، و«النوم توبة».

ورواه أبو يعلىٰ في مسنده[١١] عن البراء رضي الله عنه.

وقال[١٢] القاضي: لمَّا حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمَّىٰ عبادة من حيث إنه يدل علىٰ أن فاعله مقبل بوجهه إلىٰ الله تعالىٰ، مُعرِض عمَّا سواه، لا يرجو ولا يخاف إلا منه، استدلَّ عليه بالآية؛ فإنها تدل علىٰ أنه أمرٌ مأمور به إذا أتىٰ به المكلَّف قُبِلَ منه لا محالة وترتَّب عليه المقصود ترتُّب الجزاء

(١) المغني ١/ ٢٥٧.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٩. سنن الترمذي ٥/ ٨٠، ٢٩٢، ٣٨٦. السنن الكبرىٰ للنسائي ١٠/ ٢٤٤ - ٢٤٥. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥٤.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٢.

(٤) مسند أحمد ٣٠/ ٢٩٨، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٨٠، ٣٨٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٥.

(٦) الأدب المفرد ص ٢١٤.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٢.

(٨) مسند البزار ٨/ ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٩) الأذكار ص ٣٣٣.

(١٠) شأن الدعاء ص ٥.

(١١) معجم الشيوخ لأبي يعلىٰ ص ٣٤٦.

(١٢) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٥/ ١٧٠٥.

علىٰ الشرط والمسبب علىٰ السبب، وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها. ويمكن حملُ العبادة علىٰ المعنىٰ اللغوي، أي الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلُّل والافتقار والاستكانة.

(**وقال ﷺ: الدعاء مخ العبادة**) أي[1] خالصها، وإنما كان مخًّا لها لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله ممَّا سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص، ولا عبادة فوقهما، أو لِما فيه من إظهار الافتقار والتبرِّي من الحَوْل والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار ذلَّة البشرية.

وقال الزركشي[2]: إنما كان مخًّا لتضمُّنه التوحيد؛ إذ الداعي لا يدعو الله إلا وهو يوحِّده ويعتقد أن لا معطي غيره.

قال العراقي[3]: رواه الترمذي[4] من حديث أنس وقال: غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(**وروىٰ أبو هريرة أنه ﷺ قال: ليس شيء أكرمَ**) بالنصب خبر «ليس» (**علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الدعاء**) لدلالته علىٰ قدرة الله وعجزِ الداعي.

قال العراقي[5]: رواه الترمذي[6] وقال: غريب، وابن ماجه[7]، وابن حبَّان[8]، والحاكم[9] وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) فيض القدير ٣/ ٥٤٠.
(٢) الأزهية ص ٣٠.
(٣) المغني ١/ ٢٥٧.
(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٨٦.
(٥) المغني ١/ ٢٥٧.
(٦) سنن الترمذي ٥/ ٣٨٥.
(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥٤.
(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ١٥٢.
(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧١.

قلت: وكذلك رواه أحمد[١] والبخاري في الأدب[٢] والبيهقي في الشعب[٣]. وأقرَّ الذهبيُّ الحاكمَ علىٰ تصحيحه. وقال ابن القَطَّان[٤]: رواته كلُّهم ثقات، وما موضع في إسناده يُنظَر فيه إلا عمران، وفيه خلاف.

قلت: هو عمران القَطَّان، ضعَّفه النسائي[٥] وأبو داود، ومَشَّاه أحمد[٦].

(وقال ﷺ: إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدىٰ ثلاث: إمَّا ذنب يُغفَر له، وإمَّا خير يعجَّل له، وإمَّا خير يدَّخَر له) وفي نسخة: وإمَّا شر يُعزَل عنه. بدل الجملة الثالثة. قال العراقي[٧]: رواه الديلمي في مسند الفردوس[٨] من حديث أنس، وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عَيَّاش، وكِلاهما ضعيف. ولأحمد[٩] والبخاري في الأدب المفرد[١٠] والحاكم[١١] - وصحَّح إسناده - من حديث أبي سعيد: «إمَّا أن تعجَّل له دعوته، وإمَّا أن تدَّخَر له في الآخرة، وإمَّا أن يُدفَع عنه من السوء مثلها».

قلت: وروىٰ الترمذي[١٢] - وقال: حسن صحيح غريب - وعبد الله بن

---

(١) مسند أحمد ١٤/ ٣٦٠.

(٢) الأدب المفرد ص ٢١٤.

(٣) شعب الإيمان ٢/ ٣٦٤.

(٤) بيان الوهم والإيهام ٣/ ٦١٤، ونصه: «لا موضع في الإسناد للنظر إلا عمران بن داور القطان، وهو رجل ما بحديثه بأس، وأبو محمد (يعني عبد الحق الإشبيلي) يصحح أحاديثه، وربما حسَّنها اتباعًا للترمذي».

(٥) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٩٢.

(٦) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٩٨: «قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سئل أبي عن عمران القطان، فقال: أرجو أن يكون صالح الحديث».

(٧) المغني ١/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٨) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٩٨.

(٩) مسند أحمد ١٧/ ٢١٣.

(١٠) الأدب المفرد ص ٢١٣.

(١١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٥.

(١٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٣٣.

أحمد في زوائد المسند[١] والبيهقي في الشعب[٢] والطبراني في الكبير[٣] والضياء في المختارة[٤] عن عُبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه: «ما علىٰ الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إيَّاها أو صرف عنه من السوء مثلَها ما لم يَدْعُ بمأثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل ...» الحديث.

وروىٰ ابن زنجويه في فوائده[٥] عن محمد بن يوسف، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن جُبَير بن نُفَير، عن عُبادة بن الصامت حدَّثهم أن النبي ﷺ قال: «ما علىٰ الأرض رجل مسلم يدعو [الله بدعوة] إلا آتاه الله عَزَّ وَجَلَّ إيَّاها أو كفَّ عنه من السوء مثلَها ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم».

ورواه أحمد[٦] والترمذي[٧] أيضًا عن جابر بلفظ: «ما من أحد يدعو بدعاء ...»، والباقي كسياق ابن زنجويه.

(وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يكفي من الدعاء مع البِر ما يكفي مع الطعام من الملح) وفي نسخة: ما يكفي الطعامَ من الملح. وهذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية[٨] قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الرحمن بن فضالة، عن بكر بن عبد الله، عن أبي ذر.

---

(١) مسند أحمد ٣٧/ ٤٤٨.

(٢) شعب الإيمان ٢/ ٣٧٩.

(٣) ورواه أيضا في مسند الشاميين ١/ ١١٨، ٤/ ٣٤٨.

(٤) الأحاديث المختارة ٨/ ٢٦١ - ٢٦٢.

(٥) ومن طريقه رواه البغوي في معالم التنزيل ١/ ٢٠٦ والشاشي في مسنده ٣/ ٢٠٧. وقد تقدم قريبا في كلام البغوي.

(٦) مسند أحمد ٢٣/ ١٦٢.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٢.

(٨) حلية الأولياء ١/ ١٦٤.

(**وقال ﷺ: سَلُوا الله من فضله**) أي[١] من زيادة إفضاله عليكم، أي إعطاء الله تعالىٰ ليس بسبب استحقاق العبد، بل إفضال من غير سابقة، ولا يمنعه شيء من السؤال (**فإنه تعالىٰ يحب أن يُسئل**) أي من فضله؛ لأن خزائنه ملأىٰ، ومنه الخبر الآخر: «مَن لم يسأل اللهَ يغضب عليه». ولمَّا حثَّ علىٰ السؤال هذا الحثَّ البليغ وعلم أن بعضهم يمتنع عن الدعاء لاستبطاء الإجابة قال: (**وأفضل العبادة الانتظار بالفرج**) وفي رواية: انتظار الفرج. والمعنىٰ: أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة، فيزيد في خضوعه وتذلُّله وعبادته التي يحبها الله تعالىٰ.

قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] من حديث ابن مسعود وقال: حمَّاد بن واقد ليس بالحافظ. قال العراقي: وضعَّفه ابن معين وغيره[٤].

قلت: رواه في الدعوات، ورمز السيوطي إلىٰ صحته. وحسَّنه الحافظ ابن حجر[٥]. وكذلك رواه ابن عدي في الكامل[٦] والبيهقي في الشعب[٧]. وروىٰ ابن جرير[٨] عن حكيم بن جُبَير عن رجل لم يسمِّه بلفظ: «وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج». وقد روىٰ آخر الحديث وهو قوله «أفضل العبادة انتظار الفرج» البيهقي في الشعب[٩] والقضاعي[١٠] عن أنس.

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٥/ ١٧١١.

(٢) المغني ١/ ٢٥٨.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٣٢.

(٤) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ١٥٠.

(٥) فيض القدير ٤/ ١٠٨.

(٦) الكامل في الضعفاء ٢/ ٦٦٥.

(٧) شعب الإيمان ٢/ ٣٧٢.

(٨) جامع البيان ٦/ ٦٧٠.

(٩) شعب الإيمان ١٢/ ٣٥٧ بلفظ: انتظار الفرج عبادة.

(١٠) مسند الشهاب ٢/ ٢٤٥.

وممَّا ورد في فضل الدعاء: قال الإمام أحمد[١]: حدثنا مروان الفزاري، حدثنا صبيح أبو المليح، سمعت أبا صالح يحدِّث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يَدْعُ الله غضب الله عليه». ورواه الترمذي[٢] والحاكم[٣] بلفظ: «من لم يسأل الله يغضب عليه». وعند[٤] العسكري في الوعظ: «قال الله تعالىٰ: مَن لا يدعوني أغضب عليه».

قال بعض الأئمَّة: وهو يدل علىٰ أن السؤال لله واجب.

وعنه[٥] أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء سلاح المؤمن، وعماد الدين، ونور السموات والأرض». رواه الحاكم وصحَّحه، ورواه أبو يعلىٰ في مسنده[٦] عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مفتاح الرحمة، والوضوء مفتاح الصلاة، والصلاة مفتاح الجنة». رواه الديلمي[٧].

وعن[٨] أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء يردُّ البلاء». رواه أبو الشيخ في الثواب.

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء يردُّ القضاء، وإن البِر يزيد

---

(١) مسند أحمد ١٥/ ٤٤٨، ١٦/ ١٤٦ عن وكيع عن أبي المليح.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٨٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٣.

(٤) كنز العمال ٢/ ٦٣.

(٥) ظاهره أن الضمير يعود علىٰ أبي هريرة، ولكن قد رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٦٧٤ من حديث علي وليس من حديث أبي هريرة.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٣٤٤.

(٧) الفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٢٢٤.

(٨) كنز العمال ٢/ ٦٣.

في الرزق، وإن العبد لَيُحرَم الرزق بالذنب يصيبه». رواه الحاكم[١].

وعنه ﷺ قال: «الدعاء جند من أجناد الله مجنَّد يردُّ القضاء بعد أن يُبرَم». رواه ابن عساكر[٢] عن نُمَير بن أوس مرسَلاً.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن فُتح له باب من الدعاء منكم فُتحت له أبواب الإجابة». رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٣]. ورواه الترمذي[٤] - وقال: غريب - بلفظ: «مَن فُتح له منكم باب الدعاء فُتحت له أبواب الرحمة، وما سُئل الله شيئًا أحبَّ إليه من أن يُسأل العافية، إن الدعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل، فعليكم عبادَ الله بالدعاء».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل». رواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] والحاكم[٧] وصحَّحاه.

ومعنىٰ يوشك: يسرع ويقرب.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وسيأتي ذِكرُ بعضها في سياق المصنِّف.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٥ بلفظ: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه».

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/ ١٥٨، ٦٢/ ٢٣٤.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٥.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥١٥.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٣٦٦.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٥٤.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٦٥.

آداب الدعاء

وقد ذكر فيها ما يصلُح أن يكون شرطًا له، ولم يميِّز المصنِّف بين الأدب والشرط هنا كما فعل الحليمي في المنهاج وغيره، ونحن نشير إلىٰ ذلك **(وهي عشرة)** تسعة منها ظاهرة، والعاشر أدب باطني:

(الأول: أن يترصَّد لدعائه الأوقاتَ الشريفة) أي ينظرها له؛ ليكون أقرب إلىٰ الإجابة ببركة تلك الأوقات **(كيوم عرفة)** وهو التاسع من ذي الحجَّة **(من السنة)** سواءٌ كان في الموقف أو غيره **(ورمضان من الشهور)** أيامه ولياليه **(ويوم الجمعة من الأسبوع)** من لدن طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، وبعض ساعاته آكَدُ من بعض في الإجابة، كما تقدَّمت الإشارة إليه في كتاب الصلاة **(ووقت السَّحَر من ساعات الليل)** وهو قبيل طلوع الصبح، والجمع: أسحار **(قال الله تعالىٰ)** في مدح العابدين: (﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾) [الذاريات: ١٨] فعُلم من ذلك أنه وقتٌ شريف **(ولقوله ﷺ: ينزل الله تعالىٰ كلَّ ليلة إلىٰ سماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل الأخير، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)** رواه مالك[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن نافع بن جُبَير بن مُطعِم عن أبيه رفعه: «ينزل الله في كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب

---

(١) الموطأ ١/ ٢١٤.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٥٦، ٤/ ١٥٧، ٤٠٣. صحيح مسلم ١/ ٣٤٢.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٠٣، ٥/ ٢٤٢.

(٤) سنن الترمذي ١/ ٤٦٤، ٥/ ٤٧٨.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ٤٩١.

فأتوب عليه؟ حتىٰ يطلُع الفجر». رواه أحمد[١] والدارمي[٢] وابن خزيمة[٣] وابن السني والطبراني[٤] والضياء. ورواه الحاكم عن نافع بن جُبَير عن أبي هريرة. قال[٥] حمزة الكِناني الحافظ: لم يقُل فيه أحد «عن نافع عن أبيه» غير حمَّاد ابن سلمة، ورواه ابن عيينة فقال: عن نافع عن رجل من الصحابة، وهو أشبهُ بالصواب.

وروىٰ مسلم[٦] والترمذي[٧] من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل الله تعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا كلَّ ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول، فيقول: أنا الملك، أنا الملك، مَن ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ مَن ذا الذي يسألني فأعطيه؟ مَن ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتىٰ يضيء الفجرُ».

وعند مسلم أيضًا: «ينزل الله تبارك وتعالىٰ في السماء الدنيا [لشطر الليل أو] لثلث الليل الآخِر فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له أو يسألني فأعطيه؟ ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غيرَ عديم ولا ظلوم».

وروىٰ الطبراني في الكبير[٨] عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ينزل الله تبارك وتعالىٰ [كل ليلة] إلىٰ السماء الدنيا حين يبقىٰ ثلث الليل [الأخير] فيقول: ألا عبدٌ من عبادي يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له؟ ألا مقتَّرٌ [عليه] رزقُه؟ ألا مظلوم يدعوني فأنصره؟ ألا عانٍ يدعوني فأفكُّ عانته؟ فيكون كذلك حتىٰ يصبح الصبح، ثم يعلو [ربُّنا] عز وجل علىٰ كرسيِّه».

---

(١) مسند أحمد ٢٧/ ٣١٠، ٣١٢.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٤١٣.

(٣) التوحيد لابن خزيمة ص ٣١٦.

(٤) المعجم الكبير ٢/ ١٣٤.

(٥) تحفة الأشراف للمزي ٢/ ٥٦٠ (ط - دار الغرب الإسلامي).

(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٤٢.

(٧) سنن الترمذي ١/ ٤٦٤.

(٨) ورواه أيضا في المعجم الأوسط ٦/ ١٥٩.

وروىٰ[١] ابن جرير[٢] وابن أبي حاتم والطبراني[٣] وابن مردويه عن أبي أُمامة[٤] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه: «ينزل الله في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل، فينظر الله في الساعة الأولىٰ منهنَّ في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره، فيمحو ما يشاء ويُثبِت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنَّة عدن، وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصِّدِّيقون، وفيها ما لم يَرَه أحد ولا خطر علىٰ قلب بشر، ثم يهبط آخرَ ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داعٍ يدعوني فأستجيب له؟ حتىٰ يطلُع الفجر، وذلك قول الله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده الله وملائكة الليل والنهار».

وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «ينزل الله في كل ليلة إلىٰ السماء [الدنيا] حين يبقىٰ نصف الليل الآخِر أو ثلث الليل الآخِر، فيقول: مَن ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟ حتىٰ ينصدع الفجر وينصرف القارئ من صلاة الفجر».

(**وقيل: إن يعقوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ) وهو الملقَّب بإسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام (**إنما قال لبنيه**) وهم[٥] اثنا عشر، سبعة منهم أمُّهم ابنة خالته ليا، كان تزوجها يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاً وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوىٰ وزبالون ويشخر ودينة، فلمَّا توفيت تزوج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف وثلاثة آخرين[٦]: نفتالي وجاد وأشر، من سُرِّيتين اسمهما زلفة وبلهة (﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ

---

(١) كنز العمال ٢/ ١١٦.

(٢) جامع البيان ١١/ ٥٦٠، ١٣/ ٥٧٠، ١٥/ ٣٤.

(٣) المعجم الأوسط ٨/ ٢٧٩. الدعاء ص ٨٤٣.

(٤) كذا هنا، وهو خطأ، والصواب: عن أبي الدرداء.

(٥) تفسير البيضاوي ٣/ ١٥٦.

(٦) في تفسير البيضاوي: وأربعة آخرون. وزاد معهم: دان.

لَكُمْ رَبِّيٓ﴾) [يوسف: ٩٨] وذلك لأنهم لمَّا ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [يوسف: ٩٧] فمن[1] حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ أي (ليدعو) لهم (في وقت السَّحَر) فأخَّره إلىٰ ذلك الوقت أو إلىٰ صلاة الليل أو إلىٰ ليلة الجمعة تحرِّيًا لوقت الإجابة، أو إلىٰ أن يستحلَّ لهم من يوسف، أو يعلم أنه عفا عنهم؛ فإنَّ عفو المظلوم شرط المغفرة، كما سيأتي (فقيل: إنه قام وقتَ السَّحَر) مستقبل القبلة وهو (يدعو، و) قام (أولاده يؤمِّنون خلفه) وقيل: قام يوسف خلفه يؤمِّن، وقاموا خلفهما أذِلَّة خاشعين (فأوحىٰ الله إليه أني قد) أجبت دعوتك في ولدك و(غفرت لهم وجعلتهم أنبياء) بعدك. قال البيضاوي: وهذا إن صحَّ فدليل علىٰ نبوَّتهم، وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

قلت: هنا أقوال، قيل: أخَّرهم لوقت السَّحَر، وقيل: إلىٰ صلاة الليل، وقيل: إلىٰ ليلة الجمعة. وكل هذه الأقوال مأثورة؛ أمَّا الأول فمرويٌّ عن ابن عباس مرفوعًا وموقوفًا وعن ابن مسعود، أخرج[2] أبو الشيخ وابن مردويه[3] عن ابن عباس أن النبي ﷺ سُئل: لِمَ أخَّر يعقوب بنيه في الاستغفار؟ قال: «أخَّرهم إلىٰ السَّحَر لأن دعاء السَّحَر مستجاب».

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه قال: أخَّرهم إلىٰ السَّحَر، وكان يصلي بالسَّحر.

وأخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور[4] وابن جرير[5] وابن المنذر وابن أبي

---

(١) تفسير البيضاوي ٣/ ١٧٦.

(٢) الدر المنثور ٨/ ٣٣٢ - ٣٣٦.

(٣) وأخرجه أيضا الواحدي في التفسير الوسيط ٢/ ٦٣٤.

(٤) تفسير سعيد بن منصور ٥/ ٤١٠.

(٥) جامع البيان ١٣/ ٣٤٧.

حاتم والطبراني[1] عن ابن مسعود قال: إن يعقوب أخَّر بنيه إلىٰ السَّحَر.

والقول الثاني رُوي عن ابن عباس أيضًا، أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ[2] عنه قال: جاء علي بن أبي طالب إلىٰ النبي ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، تَفَلَّت هذا القرآنُ من صدري ... وفيه: «إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعتَ أن تقوم في ثلث الليل الآخِر؛ فإنها ساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوبُ لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي، يقول: حتىٰ تأتي ليلة الجمعة ...» الحديث.

والقول الثالث رواه ابن جرير[3] وأبو الشيخ عن عمرو بن قيس في تفسير هذه الآية قال: في صلاة الليل.

وأمَّا ما ذكره المصنِّف: فقيل إنه قام ... الخ، رواه ابن جرير[4] عن أنس ابن مالك قال: لمَّا جمع الله ليعقوب شمله ببنيه خلا ولدُه نجيًّا، فقال بعضهم لبعض: ألستم قد علمتم ما صنعتم؟ قالوا: بلىٰ. قالوا: فكيف لكم بربّكم؟ فاستقام أمرُهم أن يأتوا الشيخ، فأتوا فجلسوا بين يديه، ويوسف إلىٰ جنب أبيه قاعدٌ فقال: ما لكم يا بَنِيَّ؟ قالوا: نريد أن تدعو الله، فإذا جاءك من الله بأنه قد عفا عنا اطمأنَّت قلوبنا. فقام الشيخ فاستقبل القِبلة، وقام يوسف خلف أبيه، وقاموا خلفهما أذِلَّة خاشعين، فدعا وأمَّن يوسف، فلم يُجَبْ فيهم عشرين سنة، حتىٰ إذا كان رأس العشرين نزل جبريل علىٰ يعقوب عليهما السلام فقال: إن الله بعثني إليك أبشِّرك بأنه قد أجاب الله دعوتك في ولدك، وأنه قد عفا عمَّا صنعوا، وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك علىٰ النبوَّة.

---

(١) المعجم الكبير ٩/ ١٠٨.

(٢) كذا عزاه الزبيدي لابن جرير وأبي الشيخ، وهو سهو، فقد عزاه السيوطي في الدر للترمذي والحاكم وابن مردويه. والحديث في سنن الترمذي ٥/ ٥٣١ والمستدرك للحاكم ١/ ٤٥٣.

(٣) جامع البيان ١٣/ ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٤) السابق ١٣/ ٣٦٧ - ٣٦٨. وقد اختصر الشارح سياقه.

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: كان[1] الله تبارك وتعالىٰ عوَّدَ يعقوبَ إذا سأله حاجة أن يعطيها إيَّاه في أول يوم أو في الثاني أو في الثالث لا محالة، فلمَّا سأل بنو يعقوب أباهم الدعاءَ قال لهم: إذا كان السَّحَر فأفيضوا[2] عليكم من الماء، ثم البسوا ثيابكم التي تصونونها، ثم هلمُّوا إليَّ. ففعلوا فجاءوا، فقام يعقوب أمامهم، ويوسف خلفه، وهم خلف يوسف إلىٰ أن طلعت الشمس، لم تنزل عليهم التوبة، ثم اليوم الثاني، ثم اليوم الثالث، فلمَّا كانت الليلة الرابعة ناموا، فجاءهم يعقوب فقال: يا بَنِيَّ، نمتم واللهُ عليكم ساخط؟! فقوموا. فقام، وقاموا عشرين سنة يطلبون إلىٰ الله الحاجة، فأوحىٰ الله إلىٰ يعقوب: إني قد تبت عليهم وقَبِلت توبتهم. قال: يا رب، النبوَّة. قال: قد أخذتُ ميثاقهم في النبيِّين.

هذا، ومن الأوقات الشريفة من السنة أيضًا أيام التشريق، ومن الشهور العاشر من المحرَّم وأول يوم منه وآخر يوم من ذي الحجَّة، ومن الأيام يوم الاثنين وعند زوال الشمس، ومن الليالىٰ بين العشاءين وجوف الليل. فقد وردت في كل ذلك آثار عن السلف.

(الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة، قال أبو هريرة ﷺ: إن أبواب السماء تُفتح عند زحف الصفوف) أي حمل صفوفِ المسلمين علىٰ صفوف الكفار **(في سبيل الله تعالىٰ، وعند نزول الغيث)** أي المطر **(وعند إقامة الصلاة المكتوبة، فاغتنِموا الدعاءَ فيها)**[3] وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث عائشة، رواه أبو نعيم في

---

(١) أول الأثر: لما جمع الله ليعقوب بنيه قال ليوسف: يا يوسف، حدثني ما صنع بك إخوتك. فابتدأ يحدثه، فغشي عليه جزعـًا، فقال: يا أبت، إن هذا من أهون ما صنعوا بي. فقال لهم يعقوب: يا بني، أما لكم موقف بين يدي الله تخافون أن يسألكم عما صنعتم؟ قالوا: يا أبانا، قد كان ذاك فاستغفر لنا. وقد كان الله تبارك وتعالىٰ عود يعقوب ... الخ.

(٢) في المطبوعة: فلتصبوا. والمثبت من الدر المنثور.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة ٢/ ٢٩١ - ٢٩٢.

الحلية[١] بلفظ: «ثلاث ساعات للمرء المسلم ما دعا فيهنَّ إلا استُجيب له ما لم يسأل قطيعة رحم أو مأثمًا: حين يؤذِّن المؤذِّن بالصلاة حتىٰ يسكت، وحين يلتقي الصفَّان حتىٰ يحكم الله بينهما، وحين ينزل المطر حتىٰ يسكن». وروىٰ[٢] أيضًا من حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «ثنتان لا تُردَّان: الدعاء عند النداء، وعند الصف في سبيل الله حين يلحم بعضهم بعضًا». وزاد راويه عن سهل - وهو أبو حازم - فقال: وتحت المطر. وهكذا أخرجه أبو داود[٣] والدارمي[٤] وابن خزيمة[٥] وابن الجارود[٦]، ورواه مالك في الموطأ موقوفًا علىٰ أبي حازم[٧]، وأخرجه الدارقطني وابن حبان[٨] بلفظ: «ساعتان تُفتَح فيهما أبواب السماء وقلَّما تُرَدُّ علىٰ داعٍ دعوته: عند النداء، وعند الصف في سبيل الله». وعند الطبراني[٩] من حديث ابن عمر: «تُفتَح أبواب السماء [لخمس]: لقراءة القرآن، وللقاء الزحفين، ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم، وللأذان». وإسناده ضعيف.

(وقال مجاهد: إن الصلاة جُعلت في خير الساعات، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات) يعني بذلك المكتوبات.

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٢٠.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٤٣ بلفظ: «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء فلم ترد فيهما دعوة: حضور الصلاة، وعند الزحف للقتال». ثم رواه من طريق آخر بلفظ: «تحروا الدعاء في الفيافي، وثلاثة لا يرد دعاؤهم: عند النداء، وعند الصف في سبيل الله، وعند نزول القطر».

(٣) سنن أبي داود ٣/ ٢٣٣.

(٤) سنن الدارمي ١/ ٢٩٣.

(٥) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢١٩.

(٦) المنتقىٰ ٣/ ٣٢٣.

(٧) هذا خطأ، والذي في الموطأ ١/ ٧٠ أنه موقوف علىٰ سهل بن سعد.

(٨) صحيح ابن حبان ٥/ ٥ بلفظ: «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء: عند حضور الصلاة، وعند الصف في سبيل الله». ورواه ٥/ ٦٠ بلفظ: «ساعتان لا ترد علىٰ داعٍ دعوته: حين تقام الصلاة، وفي الصف في سبيل الله».

(٩) المعجم الأوسط ٤/ ٦٤. المعجم الصغير ١/ ٢٨٦.

(وقال ﷺ: الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي في اليوم والليلة[٣] والترمذي[٤] وحسَّنه من حديث أنس، وضعَّفه ابن عديٍّ[٥] وابن القَطَّان[٦]، ورواه النسائي في اليوم والليلة بإسناد آخر جيد وابن حبَّان[٧] والحاكم[٨] وصحَّحه.

قلت: قال[٩] الطبراني في الدعاء[١٠]: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن زيد العَمِّي، عن أبي إياس - هو معاوية بن قُرَّة - عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُرَدُّ الدعاء بين الأذان والإقامة». أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن الثوري، وأخرجه الترمذي والنسائي في الكبرىٰ جميعًا عن محمود بن غيلان عن وكيع وأبي أحمد الزبيري وأبي نعيم، زاد الترمذي: وعبد الرزاق، أربعتهم عن الثوري، وسكت عليه أبو داود إمَّا لحُسن رأيه في زيد العَمِّي، وإمَّا لشهرته في الضعف، وإمَّا لكونه في فضائل الأعمال، وضعَّفه النسائي، وأمَّا الترمذي فقال: هذا حديث حسن، وقد رواه أبو إسحاق - يعني السبيعي - عن بُرَيد بن أبي مريم عن أنس. قال ابن القَطَّان: وإنما لم يصحِّحه لضعف زيد العَمِّي، وأمَّا بُرَيد فهو موثَّق، وينبغي أن يصحَّح من طريقه[١١]. وقال المنذري: طريق بُرَيد

(١) المغني ١/ ٢٥٨.
(٢) سنن أبي داود ١/ ٤٠٠.
(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٢.
(٤) سنن الترمذي ١/ ٢٥٣، ٥/ ٥٤٦ - ٥٤٧.
(٥) الكامل في الضعفاء ١/ ٣٩١، ٢/ ٧١٢، ٣/ ١٠٥٦، ١١٥٢.
(٦) بيان الوهم والإيهام ٣/ ٣٤٩.
(٧) صحيح ابن حبان ٤/ ٥٩٤ بلفظ: «الدعاء بين الأذان والإقامة يستجاب، فادعوا».
(٨) لم أقف عليه في المستدرك.
(٩) نتائج الأفكار ١/ ٣٦٣ - ٣٦٥.
(١٠) الدعاء ص ١٠٢١.
(١١) عبارة ابن القطان: «لم يصحح الحديث لأنه من رواية زيد بن الحواري العمي عن أنس، =

أجود من طريق معاوية، وقد رواه قتادة عن أنس موقوفًا، ورواه سليمان التَّيْمي عن أنس مرفوعًا. قال الحافظ: وقد نقل النووي[١] أن الترمذي صحَّحه، ولم أرَ ذلك في شيء من النسخ التي وقفتُ عليها، وكلام ابن القَطَّان والمنذري يعطي ذلك، ويبعُد أن الترمذي يصحِّحه مع تفرُّد زيد العمي به، وقد ضعَّفوه. نعم، طريق بُرَيد صحَّحها ابن خزيمة[٢] وابن حبَّان، ولفظه: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَدُّ، فادعوا». هكذا أخرجه ابن خزيمة بهذه الزيادة عن أحمد بن المقدام العِجْلي، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن بُرَيد بن أبي مريم عن أنس، وأخرجه من طرق أخرىٰ عن أبي إسحاق وعن يونس بن أبي إسحاق بدون تلك الزيادة. وأخرجه النسائي عن إسماعيل بن مسعود عن يزيد بن زُرَيع بمثله. وأخرجه ابن حبان عن أبي يعلىٰ الموصلي عن محمد بن المِنهال عن يزيد بن زُرَيع، ووقع في رواية: مستجاب، بدل: لا يُرَدُّ. والله أعلم.

(**وقال ﷺ أيضًا: الصائم لا تُرَدُّ دعوته**) قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] - وقال: حسن - وابن ماجه[٥] من حديث أبي هريرة بزيادة فيه.

(**وبالحقيقة، يرجع شرف الأوقات إلىٰ شرف الحالات أيضًا؛ إذ وقت السَّحَر وقت**) الفراغ والاختلاء يحصل به تمام (**صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوِّشات**) أي المكدِّرات الظاهرة والباطنة (**ويوم عرفة ويوم الجمعة**) كِلاهما

= وهو عندهم ضعيف، قال فيه أبو زرعة: واهي الحديث. وكان شعبة لا يحمد حفظه. وقال فيه ابن معين: لا شيء. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال فيه ابن حنبل: صالح. فللخلاف في هذا الرجل قيل في الحديث: حسن».

(١) الأذكار ص ٣٢.

(٢) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٢٢.

(٣) المغني ١/ ٢٥٨.

(٤) سنن الترمذي ٤/ ٢٩٣، ٥/ ٥٤٨.

(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ٢٢٨.

(وقت اجتماع الهِمَم وتعاون القلوب) وتساعُدها **(على استدرار رحمة الله تعالى)** واستجلاب رضاه **(فهذه)** أي التي ذكرت في الأوقات الثلاثة **(أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطَّلع البشر عليها)** أي على حقيقتها؛ إذ غالبها من عالَم الملكوت **(وحالة السجود أيضًا جديرة بالإجابة، قال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: أقربُ ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد، فأكثِروا فيه من الدعاء)** رواه مسلم[١] وأبو داود[٢] والنسائي[٣].

(وروى ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: إني نُهيتُ أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأمَّا الركوع فعظِّموا فيه ربَّكم، وأمَّا السجود فاجتهِدوا فيه بالدعاء؛ فإنه قمن أن يُستجاب لكم) رواه مسلم[٤] أيضًا.

(الثالث: أن يدعو مستقبل القِبلة) فقد ورد: «أكرمُ المجالس ما استُقبِل به القبلة». وقد تقدَّم ذلك في كتاب الصلاة **(ويرفع يديه)** وقد اختُلف في كيفيَّته، فقال الحليمي[٥]: يرفعهما حتى يحاذي بهما المنكبين. وغاية رفعِهما حَذْوَ المنكبين. واختار المصنِّف أن يكون رفعُهما **(بحيث يُرَى بياض إبطيه)** وهكذا أورده الطرطوشي في كتاب الدعاء[٦].

وقد استدلَّ المصنِّف على الاستقبال ورفعِ اليدين بأحاديث وآثار، فقال: **(رُوي عن جابر بن عبد الله)** الأنصاري ﷺ **(أن رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة، واستقبل القبلة، ولم يَزَل يدعو حتى غربت الشمس)** فاستدلَّ به على سُنِّية

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٢٢.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٩.
(٣) سنن النسائي ص ١٨٥.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٢١.
(٥) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥٢٣.
(٦) الدعاء المأثور وآدابه لأبي بكر الطرطوشي ص ٢٣ (ط - دار الكتب العلمية).

الاستقبال.

والحديث[١] رواه مسلم في صحيحه[٢] دون قوله «يدعو»، وقال مكانه: واقفًا. وللنسائي[٣] من حديث أسامة بن زيد: كنت رِدفه بعرفات فرفع يديه يدعو. ورجاله ثقات.

وهذا يصلُح أن يكون دليلاً للرفع مطلقًا من غير تقييد. وقد تقدَّم شيء من ذلك في كتاب الحج.

(وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: إن ربَّكم حييٌّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْرًا)** أي خالية. قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] وحسَّنه وابن ماجه[٧] والحاكم[٨] وقال: إسناده صحيح علىٰ شرطهما.

قلت: هذا لفظ أبي داود، إلا أنه قال: إذا رفع يديه إلىٰ السماء[٩]. ولفظ الترمذي: أن يردَّهما [صفرًا] خائبتين.

(وروىٰ أنس) بن مالك رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه حتىٰ يُرَىٰ بياض إبطيه في الدعاء، ولا يشير بأصبعيه)** قال العراقي[١٠]: رواه مسلم دون قوله:

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٢٥٩.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٥٥٨، وهو ضمن حديث جابر الطويل في صفة حج النبي ﷺ.

(٣) سنن النسائي ص ٤٦٦.

(٤) المغني ١/ ٢٥٩.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٢.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٥٢١.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨١.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨١.

(٩) الذي في سنن أبي داود: (إذا رفع يديه إليه) أي إلىٰ الله تعالىٰ.

(١٠) المغني ١/ ٢٥٩.

ولا يشير بأصبعيه. والحديث متفق عليه[١]، لكن مقيَّد بالاستسقاء.

قلت: لفظ مسلم: كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء حتىٰ يُرَىٰ بياض إبطيه.

قال القاضي عياض[٢]: وهذا يدل علىٰ رفعهما فوق الصدر وحَذْو الأذنين؛ لأن رفعهما مع الصدر لا يكشف بياض الإبط.

(وروىٰ أبو هريرة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **(أنه ﷺ مرَّ علىٰ إنسان يدعو وهو يشير بأصبعيه السَّبَّابتينِ، فقال ﷺ: أَحِّدْ أَحِّدْ)** قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] وقال: حسن، وابن ماجه[٥]، والحاكم[٦] وقال: صحيح الإسناد.

وقال المصنِّف: معنىٰ «أحِّدْ» **(أي اقتصِرْ علىٰ الواحدة)** أي أشرْ بأصبع واحدة؛ فإنَّ الذي تدعوه واحد.

قال الزمخشري[٧]: أراد: وحِّدْ، فقُلبت الواو همزة، كما قيل: أَحَد وإحدىٰ وأُحاد، فقد تلعَّب بها القلبُ مضمومة ومكسورة ومفتوحة.

وحديث أبي هريرة هذا لفظه: أن رجلاً كان يدعو بأصبعيه، فقال رسول الله ﷺ: «أحِّد أحِّدْ». وقال الترمذي: حسن غريب. وصحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبي. وقال الهيثمي[٨]: رجاله ثقات.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٢٤، ٢/ ٥١٩، ٤/ ١٦١. صحيح مسلم ١/ ٣٩٦.

(٢) إكمال المعلم ٣/ ٣١٧.

(٣) المغني ١/ ٢٥٩.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٢.

(٥) لم أقف عليه عند ابن ماجه.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٧.

(٧) الفائق في غريب الحديث ١/ ٢٦.

(٨) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٢. وهذا كلامه عن رواية الطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٣٧ بلفظ: =

ويُروَىٰ هذا الحديث أيضًا عن أنس، وفيه التصريح بذكر الرجل المبهم، رواه أحمد[١]، ولفظه: مرَّ النبي ﷺ علىٰ سعد وهو يدعو بإصبعين، فقال له ﷺ: «أحِّدْ يا سعد». قال الهيثمي[٢]: لم يُسَمَّ تابعيه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الحاكم في المستدرك[٣] عن سعد بن أبي وَقَّاص قال: مرَّ النبي ﷺ بي وأنا أدعو بأصبعين، فقال: «أحِّدْ أحِّدْ»، وأشار بالسَّبَّابة.

ثم إن عدم الإشارة في الدعاء بأصبعين عدَّه الحليمي والطرطوشي والزركشي[٤] من شروط الدعاء لا من آدابه، وقالوا: من شرطه أن لا يشير إلا بالسَّبَّابة من يده اليمنىٰ فقط.

وأخرج أبو داود[٥] عن ابن عباس موقوفًا: المسألة أن ترفع يديك حَذْوَ منكبيك أو نحوهما، والاستغفار أن تشير بإصبع واحدة، والابتهال أن تمُدَّ يديك جميعًا.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تُغَلَّ بالأغلال)** رواه الفريابي في الذكر. والأغلال[٦] جمع غُلٍّ بالضم، وهو طوق من حديد يُجعَل في العنق.

= نظر رسول الله ﷺ إلىٰ رجل يشير بأصبعيه فقال: أحد أحد.

(١) مسند أحمد ٢٠/ ٢٥٠.

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٦٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٧.

(٤) لم أقف علىٰ ذلك من كلام الحليمي في المنهاج ولا الطرطوشي في الدعاء، وإنما نقله الزركشي في الأزهية ص ٧٩ عن الخطابي في كتابه شأن الدعاء ص ١٤ قال: «وتكره الإشارة فيه بأصبعين، وإنما يشير بالسبابة من يده اليمنىٰ فقط».

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٢.

(٦) المصباح المنير ٢/ ٦٢.

وممَّا يتعلَّق برفع الأيدي عن عليٍّ رضي الله عنه مرفوعًا قال: «رفعُ الأيدي من الاستكانة التي قال الله عز وجل: ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾» [المؤمنون: ٧٦] رواه الحاكم في المستدرك[١].

وقد[٢] ذمَّ الله قومًا لا يبسطون أيديهم فقال: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] جاء في التفسير: لا يرفعونها إلينا في الدعاء. قال الزركشي في كتاب الأزهية: وأمَّا ما ذكره السهيلي في الروض[٣] عن ابن عمر أنه رأىٰ قومًا يرفعون أيديهم في الدعاء فقال: أوَ قد رفعوها؟ قطعها الله، والله لو كانوا بأعلىٰ شاهق ما ازدادوا بذلك من الله قربًا - فقال الحافظ شمس الدين الذهبي: الصحيح عن ابن عمر خلاف هذا، قال يحيىٰ بن سعيد الأنصاري عن القاسم قال: رأيت ابن عمر رافعًا يديه إلىٰ منكبيه يدعو عند القاصّ. وإسناده كالشمس. ا.هـ. فإن قيل: إذا كان الحق سبحانه ليس في جهة، فما معنىٰ رفعِ الأيدي بالدعاء نحو السماء؟ فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوشي[٤]، أحدهما: أنه محل تعبُّدٍ، كاستقبال الكعبة في الصلاة، وإلصاق الجبهة بالأرض في السجود، مع تنزُّهه سبحانه عن محل البيت ومحل السجود، فكأنَّ السماء قِبلة الدعاء. وثانيهما: أنه لمَّا كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة علىٰ معنىٰ أن المطر ينزل منها إلىٰ الأرض فيخرج نباتها، وهي مسكن الملأ الأعلىٰ، فإذا قضىٰ الله أمرًا ألقاه إليهم، فيلقونه إلىٰ أهل الأرض، وكذلك الأعمال تُرفَع، وفيها غير واحد من الأنبياء، وفيها الجنة التي هي غاية الأماني. فلمَّا كانت معدنًا لهذه الأمور العِظام ومعرفة القضاء والقَدَر انصرفت الهِمَم إليها، وتوفَّرت الدواعي عليها. قال: ولقد أجاب القاضي ابن قُرَيعة لمَّا صلىٰ

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٣٢.

(٢) الأزهية ص ٧٤.

(٣) الروض الأنف ٧/ ٢١٦.

(٤) الدعاء وآدابه ص ٢٣ - ٢٤.

ذات ليلة في دار الوزير المهلَّبي، وأبو إسحاق الصابئ يرمقه، فأحسَّ به القاضي، فلمَّا سلَّم قال له: ما لك ترمقني يا أخا الصابئة؟ أحننت إلىٰ الشريعة الصافية؟ قال: بل أخذتُ عليك شيئًا [ما يؤخذ علىٰ مثلك][1] قال: ما هو؟ قال: رأيتك ترفع يديك نحو السماء، وتخفض بجبهتك علىٰ الأرض، فمطلوبك أين هو؟ فقال: إننا نرفع أيدينا إلىٰ مطالع أرزاقنا، ونخفض جِباهنا علىٰ مصارع أجسادنا، نستدعي بالأول أرزاقنا، ونستدفع بالثاني شرَّ مصارعنا، ألم تسمع قوله تعالىٰ: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥] فقال المهلَّبي: ما أظن أن الله خلق في عصرك مثلك.

تنبيه:

هل[2] يجوز رفعُ اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة؟ قال الروياني في البحر[3] في باب إمامة المرأة: يحتمل أن يقال: يُكرَه من غير حائل، ولا يُكرَه مع الحائل، كتحريم مسِّ المصحف بيده النجسة وهو علىٰ طهارة فيزول لكونها بحائل، وإذا جاز هذا [الفرق] فيما طريقه التحريم جاز أيضًا فيما طريقه الكراهة في الموضعين؛ لأن المقصود رفعُ اليد دونَ الحائل، والتعبُّد بهذا ورد، ويخالف مسَّ المصحفِ؛ لأن اليد فيه في حرمة التعبُّد كالحائل، ولا يجيء القول [فيما نحن] فيه بالتحريم.

تنبيه آخر:

لا[4] يُستثنَىٰ من مسألة رفعِ اليدين في الدعاء إلا مسألة واحدة وهي الدعاء في

---

(١) زيادة من الدعاء للطرطوشي.

(٢) الأزهية ص ٧٢.

(٣) بحر المذهب ٣/ ٢٥ - ٢٦.

(٤) الأزهية ص ٨٠.

الخطبة علىٰ المنبر؛ فإنه يُكرَه للخطيب رفعُ اليدين فيه. ذكره البيهقي في [سننه[١] في] باب صلاة الجمعة، واحتجَّ بحديث في صحيح مسلم صريح في ذلك.

(ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء) أي بعد فراغه من الدعاء **(قال عمر)** بن الخطاب (رضي الله عنه): **كان رسول الله ﷺ إذا مدَّ يديه في الدعاء لم يردَّهما حتىٰ يمسح بهما وجهه)** قال العراقي[٢]: رواه الترمذي[٣] وقال: غريب، والحاكم في المستدرك[٤] وسكت عليه، وهو ضعيف.

قلت: ولفظ المستدرك عن ابن عباس في أثناء حديث: «وامسحوا بهما وجوهكم». ولعلَّ هذا غير ما ذكره العراقي.

---

(١) السنن الكبرىٰ ٣/ ٢٩٧ - ٢٩٨، ونصه: «باب ما يُستدل به علىٰ أنه يدعو في خطبته. أخبرنا محمد ابن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عمرو بن أبي جعفر، أنبأ الحسن بن سفيان، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا عبد الله بن إدريس، عن حصين، عن عمارة بن رويبة أنه رأىٰ بشر بن مروان رافعا يديه، فقال: قبَّح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد علىٰ أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبحة. رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد المقرئ، أنبأ الحسن بن محمد بن إسحاق، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا عمرو بن مرزوق، أنبأ شعبة، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمارة بن رويبة أنه رأىٰ بشر بن مروان يوم الجمعة يرفع يديه في الدعاء وهو علىٰ المنبر، فقال: انظروا إلىٰ هذا - وشتمه - لقد رأيت رسول الله ﷺ وما يزيد علىٰ هذا، وأشار بأصبعه السبابة. ثم ذكر حديثا عن سهل بن سعد لفظه: «ما رأيت رسول الله ﷺ شاهرا يديه قط يدعو علىٰ منبره ولا علىٰ غيره، ولكن رأيته يقول هكذا، وأشار بالسبابة وعقد الوسطىٰ بالإبهام». ثم قال: «والقصد من الحديثين إثبات الدعاء في الخطبة، ثم فيه من السنة أن لا يرفع يديه في حال الدعاء في الخطبة، ويقتصر علىٰ أن يشير بأصبعه». وحديث عمارة بن رويبة في صحيح مسلم ١/ ٣٨٧.

(٢) المغني ١/ ٢٦٠.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٥.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٨. ثم أتبعه بحديث ابن عباس الذي سيشير إليه الشارح، ولفظه: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم». وسكت عليه أيضا.

ومن[١] آداب الدعاء: أن يجعل بطون الكف إلىٰ الوجه، وظهورها إلىٰ الأرض.

(وقال ابن عباس) ﷺ: **(كان رسول الله ﷺ إذا دعا ضمَّ كفَّيْه وجعل بطونهما ممَّا يلي وجهه)** قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الكبير[٣] بسند ضعيف.

قلت: ورواه[٤] الحاكم عن ابن عباس مرفوعًا: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكُفِّكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم». ويُستثنَىٰ من ذلك ما يشتدُّ فيه الأمر، ففي صحيح مسلم[٥] أنه ﷺ لمَّا استسقىٰ أشار بظهر كفَّيْه إلىٰ السماء. وهو المراد بالرَّهَب في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] قالوا: الرَّغَب: بسطُ الأيدي وظهورُها إلىٰ الأرض، والرَّهَب: بسطُها وظهورها إلىٰ السماء. واستحبَّ الخطابيُّ[٦] كشفهما غير ساتر لهما بثوب أو غطاء.

(فهذه هيئات الأيدي) وكيفيَّة رفعِها **(ولا يرفع بصره إلىٰ السماء)** أي في حال الدعاء، واستدلَّ علىٰ ذلك بقوله: **(قال رسول الله ﷺ: لَينتهينَّ أقوام عن رفع أبصارهم إلىٰ السماء عند الدعاء أو لتخطفنَّ أبصارهم)** قال العراقي[٧]: رواه مسلم[٨] من حديث أبي هريرة وقال: عند الدعاء في الصلاة.

قلت: وكذلك رواه النسائي[٩] والطبراني في الكبير. وفي رواية: أو ليخطفنَّ الله

---

(١) الأزهية ص ٧٨.
(٢) المغني ١/ ٢٦٠.
(٣) المعجم الكبير ١١/ ٤٣٥، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا دعا جعل باطن كفه إلىٰ وجهه.
(٤) الأزهية ص ٧٨.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٣٩٦ من حديث أنس.
(٦) شأن الدعاء ص ١٤.
(٧) المغني ١/ ٢٦.
(٨) صحيح مسلم ١/ ٢٠٣.
(٩) سنن النسائي ص ٢٠٧.

أبصارهم.

وروىٰ أحمد[١] ومسلم[٢] وأبو داود[٣] من حديث جابر بن سَمُرة: «لَينتهينَّ أقوام يرفعون أبصارهم إلىٰ السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم».

وقد ظهر بتلك الزيادة أن النهي خاص في الصلاة، فلا يتمُّ به استدلالُ المصنِّف، كما لا يخفَىٰ، علىٰ أنه ورد في صحيح مسلم[٤] من حديث ابن عباس ما يدل علىٰ جواز رفعِ البصر إلىٰ السماء في حال الدعاء، وهو ما رواه عبد بن حُمَيد عن أبي نعيم عن إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل عنه أنه بات في بيت النبي ﷺ، فقام من [آخر] الليل، ثم خرج فنظر في السماء، ثم تلا ... إلىٰ آخر الحديث. وأخرجه البخاري[٥] كذلك.

قال النووي في الأذكار[٦] في باب ما يقول إذا استيقظ من الليل وخرج من بيته: يُستحَبُّ له أن ينظر إلىٰ السماء ويقرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثبت في الصحيحين أنه ﷺ كان يفعله، إلا النظر إلىٰ السماء فهو في صحيح البخاري دون مسلم.

قال الحافظ[٧]: بل ثبت ذلك في مسلم أيضًا، وسبب خفاء ذلك علىٰ الشيخ أن مسلمًا جمع طرق الحديث كعادته فساقها في كتاب الصلاة، وأفرد طريقًا منها في كتاب الطهارة، وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلىٰ السماء، ووقع

---

(١) مسند أحمد ٣٤/ ٤٨٩، ٥٢٦.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٠٣.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٣.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٣٣.

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٢١٣، ٤/ ١٣١.

(٦) الأذكار ص ٢٠.

(٧) نتائج الأفكار ١/ ١٨١.

ذلك أيضًا في طريقين آخَرين ممَّا ساقه في كتاب الصلاة، لكنه اقتصر في كلٍّ منهما علىٰ بعض المتن، فلم يقع عنده فيهما التصريحُ بهذه اللفظة، وهي في نفس الأمر عنده فيهما، وأمَّا البخاري فلم يقع عنده التقييد بكون ذلك عند الخروج من البيت، وليس في شيء من الطرق الثلاثة التي أشرتُ إليها التصريح بالقراءة إلىٰ آخر السورة، وإنما وقع ذلك في طرق أخرىٰ ليس فيها النظر إلىٰ السماء، لكن الحديث في نفس الأمر واحد، فذكر بعض الرواة ما لم يذكر بعضٌ. والله أعلم.

قلت: وروىٰ الطبراني[١] من حديث أم سلمة ﵂ قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي صباحًا إلا رفع بصره إلىٰ السماء وقال ... الحديث. وقد تقدَّم.

(الرابع: خفضُ الصوت بين المخافتة والجهر؛ لِما رُوي أن أبا موسىٰ) عبد الله بن قيس **(الأشعري)** ﵁ **(قال: قَدِمنا مع رسول الله ﷺ، فلمَّا دنونا من المدينة كبَّر، وكبَّر الناس ورفعوا أصواتهم، فقال ﷺ: يا أيُّها الناس، إن الذي تدعون ليس بأصمَّ ولا غائب، إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق رِكابكم)** قال العراقي[٢]: متفق عليه مع اختلاف لفظه، واللفظ الذي ذكره المصنِّف لأبي داود.

قلت: أخرجه الأئمَّة الستة من طرق متعدِّدة إلىٰ أبي عثمان النهدي عن أبي موسىٰ، وقد تقدَّم ذِكرُها قريبًا في فضيلة الحوقلة، ومن ألفاظه: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أيُّها الناس، اربعوا علىٰ أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا، وهو معكم». ومنها: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فرقينا عقبة أو ثنيَّة، فكان الرجل منا إذا علاها قال: لا إله إلا الله والله أكبر ... الحديث.

(وقالت عائشة ﵂ في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾

---

(١) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٢٠.

(٢) المغني ١/ ٢٦٠.

[الإسراء: ١١٠] **أي بدعاتك)** أخرجه البخاري(١) ومسلم(٢).

قال(٣) البخاري في كتاب التفسير: حدثنا طَلْق بن غَنَّام، حدثنا زائدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ الآية، قالت: نزلت في الدعاء.

وقال البخاري أيضًا في كتاب التوحيد: حدثنا عُبَيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف(٤): حدثنا وكيع، كِلاهما عن هشام بن عروة بنحوه. وأمَّا مسلم فأخرجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع وأبي أسامة، وأخرجه من طرق أخرىٰ عن هشام، وهو من أفراده.

وقد جاء عن ابن عباس في نزولها سبب آخر، قال: كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا صلىٰ رفع صوته، فإذا سمع المشركون القرآن سبُّوه ومَن أنزله ومَن جاء به، فنزلت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا تُسمِع أصحابك ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ بين الجهر والمخافتة. أخرجه البخاري(٥) عن يعقوب بن إبراهيم وعن مسدَّد وحجاج بن مِنْهال وعمرو بن زُرارة. وأخرجه مسلم(٦) عن محمد بن الصبَّاح وعمرو الناقد. وأخرجه الترمذي(٧) وابن خزيمة(٨) عن أحمد بن منيع. وأخرجه النسائي(٩) وابن خزيمة أيضًا عن يعقوب ابن إبراهيم،

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ٢٥٣، ٤/ ١٥٨، ٤١١.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٠٨.
(٣) نتائج الأفكار ١/ ٣٣ - ٣٥.
(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٤٢٢.
(٥) صحيح البخاري ٣/ ٢٥٣، ٤/ ٤٠٢، ٤١١، ٤١٥.
(٦) صحيح مسلم ١/ ٢٠٨.
(٧) سنن الترمذي ٥/ ٢١٢.
(٨) صحيح ابن خزيمة ٣/ ٣٩.
(٩) سنن النسائي ص ١٦٦.

سبعتهم عن هُشَيم عن أبي بِشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه الترمذي[١] أيضًا من رواية أبي داود الطيالسي عن هُشَيم وشعبة فرَّقهما كِلاهما عن أبي بِشر، لكن لم يذكر شعبةُ ابنَ عباس في السند بل أرسله. وقد أخرجه النسائي[٢] من رواية الأعمش عن أبي بِشر موصولاً أيضًا. وأخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس، وزاد فيه: فنزلت ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فكان لا يُسمِع أصحابَه، فشقَّ عليهم، فنزلت ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ وقد رجَّح بعضهم السبب الثاني، ويمكن الجمع بأن تكون الآية في الأمرين معًا. والله أعلم.

(وقد أثنىٰ الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نبيِّه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝﴾) [مريم: ٣] قال البيضاوي[٣]: لأن الإخفاء والجهر سيان عند الله تعالىٰ، والإخفاء أشد إخباتًا وأكثر إخلاصًا، أو لئلاَّ يُلام علىٰ طلب الولد في إبان الكِبَر، أو لئلَّا يطَّلع عليه مواليه الذين خافهم، أو لأن ضَعْف الهرم أخفىٰ صوتَه. واختُلف في سنِّه حينئذٍ، فقيل: ستون، وقيل: خمس وستون، وقيل: سبعون، وقيل: خمس وسبعون، وقيل [خمس] ثمانون [وقيل: تسع وتسعون].

(وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾) [الأعراف: ٥٥] أي[٤] ذوي تضرُّع وخفية؛ فإنَّ الإخفاء دليل الإخلاص.

(الخامس: أن لا يتكلَّف السجع في الدعاء) أصل[٥] السجع: الهدير، وقد سَجَعت الحمامةُ، وهو في الكلام مشبَّه بذلك لتقارُب فواصله. وسجع الرجل

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٢١١.
(٢) سنن النسائي ص ١٦٦.
(٣) أنوار التنزيل ٤/ ٥.
(٤) السابق ٣/ ١٦.
(٥) المصباح المنير ١/ ١٦٥.

كلامه، كما يقال نظمه: إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشِّعر ولم يكن موزونًا (**فإنَّ حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرِّع**) متخشِّع (**والتكلُّف لا يناسبه**) لأنه يفضي إلىٰ فوات تلك الحالة (**قال النبي ﷺ: سيكون قوم يعتدون في الدعاء**) قال العراقي[(١)]: وفي رواية: والطهور. رواه أبو داود[(٢)] وابن ماجه[(٣)] وابن حبَّان[(٤)] والحاكم[(٥)] من حديث عبد الله بن مغفَّل.

قلت: وذكر صاحب القوت[(٦)] في كتاب العلم: قال عبد الله بن مغفَّل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام وسمعه يسجع في كلامه: هذا الذي يبغِّضك إليَّ، لا قضيتُ لك حاجة أبدًا. وكان قد جاءه يسأله حاجة له، فقال عن رسول الله ﷺ: «ما أوتي امرؤ شرًّا من طلاقة لسان». وقد قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة حين [سمعه] سجع فوالَىٰ بين ثلاث كلمات فقال: «إيَّاك والسجع يا ابن رواحة». فكأنَّ السجع ما زاد علىٰ كلمتين. وكذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذي أمره بدية الجنين لمَّا قال: كيف أودي مَن لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهلَّ فمثل هذا يُطَلُّ؟! فقال رسول الله ﷺ: «أسجعٌ كسجع الأعراب»؟!

وهذا الكلام قد تقدَّم بتفصيله في كتاب العلم، فراجعْه.

(**وقد قال عَزَّوَجَلَّ**: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾) أي[(٧)] المتجاوزين ما أُمِروا به في الدعاء وغيره (**قيل: معناه التكلُّف للأسجاع**)

---

(١) المغني ١/ ٢٦٠.

(٢) سنن أبي داود ١/ ١٩٣ - ١٩٤.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٠.

(٤) صحيح ابن حبان ١٥/ ١٦٦ - ١٦٧.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٢.

(٦) قوت القلوب ١/ ٤٦٣، وفيه: «وقال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر».

(٧) أنوار التنزيل ٣/ ١٦.

وقيل: هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه. وقيل: هو طلبُ ما لا يليق بالداعي كرتبة الأنبياء والصعود إلىٰ السماء.

(**والأولىٰ أن لا يجاوز الدعوات المأثورةَ**) من السنَّة وعن السلف الصالح (**فإنه**) إذا جاوزها (**ربما اعتدىٰ في دعائه**) وتجاوز عن حدوده (**فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته، فما كل أحد يُحسِن الدعاءَ، ولذلك رُوي عن معاذ**) بن جبل (رضي الله عنه: **إن العلماء يُحتاج إليهم في الجنة؛ إذ يقال لأهل الجنة: تمنُّوا. فلا يدرون كيف يتمنَّون حتىٰ يتعلَّموا من العلماء**) قال الشهاب القليوبي في البدور المنيرة: هو حديث موضوع.

قلت: رواه ابن عساكر في التاريخ[1] من حديث جابر: «إن أهل الجنة لَيحتاجون إلىٰ العلماء في الجنة، وذلك أنهم يزورون الله تعالىٰ في كل جمعة، فيقول لهم: تمنُّوا عليَّ ما شئتم. فيلتفتون إلىٰ العلماء فيقولون: ماذا نتمنىٰ؟ فيقولون: تمنُّوا عليه كذا وكذا. فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا». هكذا أورده في ترجمعة صفوان الثقفي عن جابر. ورواه الديلمي[2] كذلك، وفيه مجاشع راوي كتاب «الأهوال والقيامة» في جزأين، قال الذهبي في الميزان[3]: كله موضوع، وقال البخاري: منكَر مجهول، وقال ابن معين: هو أحد الكذَّابين.

(**وقد قال ﷺ: إيَّاكم والسجع في الدعاء، بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل**) قال العراقي[4]: غريب بهذا السياق، وللبخاري[5] عن ابن عباس:

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٥٠ في ترجمة محمد بن أحمد بن سهل بن نصر الرملي.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٣٠.

(٣) ميزان الاعتدال ٣/ ٤٣٦ - ٤٣٧.

(٤) المغني ١/ ٢٦١.

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٦٠ ضمن وصية ابن عباس لمولاه عكرمة.

وانظر السجع من الدعاء فاجتنبْه؛ فإني عهدتُ رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك [الاجتناب]. ولابن ماجه[١] والحاكم[٢] - واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد - من حديث عائشة: عليكِ بالكوامل. وفيه: وأسألك الجنة ... الخ.

قلت: وسيأتي هذا الدعاء للمصنِّف في الباب الثالث أطول من هذا.

(**وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور**) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن مغفَّل ﷺ، وتقدَّم قريبًا، وتقدَّم أيضًا في كتاب الطهارة.

(**ومرَّ بعض السلف بقاصٍّ**) يقصُّ علىٰ الناس وهو (**يدعو بسجع، فقال له: أعلىٰ الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيبًا العجمي**) أبا محمد (**يدعو وما يزيد علىٰ قوله: اللهم اجعلنا خيِّرينَ**) أي من زُمرة أهل الخير (**اللهم لا تفضحنا يوم القيامة، اللهم وفِّقنا للخير**) وهي ثلاث جُمَل جامعة لمعاني الدعاء (**والناس يدعون من كل ناحية وراءه، وكان يُعرَف بركة دعائه**) وهو من المشهورين، ترجمه أبو نعيم في الحلية[٣]، وأخذ عن الحسن البصري، وهو أحد وسائط الخرقة الصوفية.

(**وقال بعضهم: ادْعُ بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق**) أي فإنَّ الاشتغال بالفصاحة في الدعاء ممَّا يُذهِب الخشوعَ فيه.

(**ويقال: إن العلماء**) بالله تعالىٰ (**والأبدال**): الطائفة المشهورة من الأولياء (**لا يزيد أحدهم في الدعاء علىٰ سبع كلمات فما دونها**) ويرون الإسهاب فيه من جملة الاعتداء.

(**ويشهد لذلك آخر سورة البقرة**) وهو قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ إلىٰ آخر السورة (**فإنَّ الله ﷻ لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر**

---

(١) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٠.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ١٤٩ - ١٥٥، وسماه: حبيب الفارسي.

من ذلك) ولا سيَّما وقد جمعت في أولها صيغتَي الإيجاب والنفي، واستوعبت جميعَ ما يحتاج إليه العبد في دنياه وآخرته.

(واعلمْ أن المراد بالسجع) المنهيّ عنه في الدعاء **(هو المتكلَّف من الكلام)** لا ما أورده الداعي سهلاً عفوًا من غير قصد **(لأن ذلك)** أي التكلُّف **(لا يلائم الضراعةَ)** والافتقار **(والذِّلة)** والمسكنة **(وإلا ففي)** بعض **(الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة)** الفواصل **(لكنها غير متكلَّفة، كقوله ﷺ: أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود مع المقرَّبين الشهود والرُّكَّع السجود، الموفينَ بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد)** ففي كلٍّ من «الخلود» و«الشهود» و«السجود» و«العهود» و«الوَدُود» تقاربٌ.

قال العراقي[1]: رواه الترمذي[2] من حديث ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلةً حين فرغ من صلاته ... فذكر حديثًا طويلاً من جملته هذا، وقال: حديث غريب. قال العراقي: وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، سيئ الحفظ.

قلت: وكذا رواه محمد بن نصر في الصلاة[3] والطبراني في الكبير[4] والبيهقي في الدعوات[5]، وأول الدعاء: اللهم يا ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد ... الخ، وفيه: إنك تفعل ما تريد. وهو دعاء طويل.

(وأمثال ذلك) كقوله: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاء لا يُسمَع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع». وكقوله:

---

(١) المغني ١/ ٢٦١.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤١٩.

(٣) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٤) المعجم الكبير ١٠/ ٣٤٣.

(٥) الدعوات الكبير ١/ ١٣٢ - ١٣٣.

«اللهم إني أسألك الفوز في القضاء، ونُزُل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء». وكقوله: «اللهم اجعلني شكورًا، واجعلني صبورًا، واجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعيُن الناس كبيرًا». ومَن تصفَّح أدعيته المأثورة وجد من ذلك شيئًا كثيرًا (فليقتصر) الداعي (على المأثور من الدعوات) ففيه النجاة (أو يلتمس) وفي نسخة: وليتملَّق (بلسان التضرُّع والخشوع) والرهبة ما ألهم الله له من الكلمات (من غير سجع) في فواصلها (و) لا (تكلُّفٍ) يخرجه عن حدِّ الخشوع (فالتضرُّع) في السؤال (هو المحبوب عند الله تعالىٰ.

السادس: التضرُّع والخشوع) أي التذلُّل والاستكانة والمبالغة في السؤال (والرغبة والرهبة) أمَّا التضرع والخشوع فقد عرفتَ ما فيهما، وأمَّا الرغبة والرهبة فقد (قال الله تعالىٰ) في وصف أنبيائه عليهم السلام: (﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾) أي يتسابقون في تحصيلها (﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾) أي رغبةً إلينا (﴿وَرَهَبًا﴾) أي رهبةً منا ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠] وتقدَّم تفسير الرَّغَب والرَّهَب بمعنًىٰ آخر قريبًا. وقال في آية أخرىٰ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي موحِّدين، مخلصين في العبادة.

(وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾) [الأعراف: ٥٥] أي ذوي تضرُّع وإخفاء. استُدِلَّ بهذه الآية علىٰ أن التضرُّع من جملة آداب الدعاء. وقد تقدَّم الكلام علىٰ هذه الآية.

(وقال ﷺ: إذا أحب اللهُ عبدًا) أي[١] أراد به الخير ووفَّقه (ابتلاه) أي اختبره وامتحنه بنحو مرض أو همٍّ أو ضِيق (حتىٰ يسمع تضرُّعه) قال العراقي[٢]: رواه أبو

---

(١) فيض القدير ١/ ٢٤٥.

(٢) المغني ١/ ٢٦١.

منصور الديلمي في مسند الفردوس[١] من حديث أنس: إذا أحب الله عبدًا صبَّ الله عليه البلاء صبًّا ... الحديث، وفيه: دَعْه فإني أحب [أن أسمع] صوته. وللطبراني[٢] من حديث أبي أمامة: إن الله تعالىٰ يقول للملائكة: انطلِقوا إلىٰ عبدي فصُبُّوا عليه البلاءَ. وفيه: فإني أحب أن أسمع صوته. وسندهما ضعيف.

قلت: ورواه البيهقي[٣] والديلمي[٤] أيضًا من حديث أبي هريرة بلفظ: ليسمع تضرُّعه. وفي بعض ألفاظه: «فإذا دعا قالت الملائكة: صوت معروف، وقال جبريل: ربِّ اقضِ حاجته، فيقول: دعوا عبدي؛ فإني أحب أن أسمع صوته»[٥].

(السابع: أن يجزم بالدعاء، ويوقن بالإجابة، ويصدُق رجاؤه فيه) أي يحسن[٦] ظنه بالله تعالىٰ عند الدعاء، وكون الإجابة أغلبَ علىٰ قلبه من الردِّ؛ إذ الباعث علىٰ الدعاء صِدق الرجاء، وإذا لم تغلب الإجابةُ علىٰ قلبه لم يصدُق رجاؤه **(قال النبي ﷺ: لا يقُل أحدكم إذا دعا: اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئتَ، ليعزم المسألة؛ فإنه لا مُكرِه له)** رواه ابن أبي شيبة[٧] عن أبي هريرة بلفظ: «لا يقُل أحدكم: [اللهم] اغفر لي إن شئتَ، وليعزم في المسألة؛ فإنه لا مُكرِه له». ورواه مالك[٨]

---

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٥١.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ١٩٥.

(٣) شعب الإيمان ١٢/ ٢٣٨ بلفظ: ليسمع صوته.
أما لفظ «ليسمع تضرعه» فهو في الشعب أيضا لكنه موقوف علىٰ كردوس بن عمرو.

(٤) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٥١.

(٥) هذا بقية حديث أنس السابق عند الديلمي: إذا أحب الله عبدا ... الخ. ولكن ليس فيه (قالت الملائكة صوت معروف). وهذه العبارة عند الأصبهاني في الترغيب والترهيب ١/ ٣٣٣، والكلاباذي في بحر الفوائد ص ٣٤.

(٦) الأزهية ص ٦٠.

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٤.

(٨) الموطأ ١/ ٢١٣.

وأحمد[١] والشيخان[٢] وأبو داود[٣] والترمذي[٤] وابن ماجه[٥] بلفظ: «لا يقولنَّ أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئتَ، اللهم ارحمني إن شئتَ، اللهم ارزقني إن شئتَ، وليعزم المسألة؛ فإنه يفعل ما يشاء لا مُكرِه له».

(وقال ﷺ: إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبةَ؛ فإنَّ الله تعالىٰ لا يتعاظمه شيء) قال العراقي[٦]: رواه ابن حبَّان[٧] من حديث أبي هريرة.

(وقال ﷺ: ادعوا الله) أي اسألوه من فضله **(وأنتم موقنون)** أي جازمون **(بالإجابة)** قال الطيبي[٨]: قيَّد الأمر بالدعاء باليقين، والمراد النهي عن التعرُّض لِما هو منافٍ للإيقان من الغفلة واللهو بضدِّهما من إحضار القلب والجد في الطلب [بالعزم في المسألة] فإذا حصلا حصل اليقينُ، ونبَّه علىٰ ذلك بقوله: **(واعلموا أن الله ﷻ لا يستجيب دعاءً من قلب غافل)** لاهٍ، أي[٩] لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن خدمة مولاه[١٠]، مشغول القلب بما أهمَّه من دنياه.

قال العراقي[١١]: رواه الترمذي[١٢] من حديث أبي هريرة وقال: غريب،

---

(١) مسند أحمد ١٢/ ٢٦٥، ١٣/ ٥٣٨، ١٦/ ٤٦، ٢٠٩، ٢٩٦، ٥٠٤.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٦٠، ٣٩٧، ٤٠٠. صحيح مسلم ٢/ ١٢٣٥.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٠.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٧٧.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٧١.

(٦) المغني ١/ ٢٦٢.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧٧.

(٨) الكاشف عن حقائق السنن ٥/ ١٧١٣.

(٩) فيض القدير ١/ ٢٢٨.

(١٠) في الفيض: عن الحضور مع مولاه.

(١١) المغني ١/ ٢٦٢.

(١٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٦٥.

ورواه الحاكم[١] وقال: مستقيم الإسناد، تفرَّد به صالح المري، وهو أحد زُهَّاد البصرة. قال العراقي: لكنه ضعيف في الحديث. انتهىٰ.

وسبقه شيخه الحافظ الذهبي فتعقَّب علىٰ الحاكم بقوله[٢]: صالح متروك، تركه النسائي[٣] وغيره، وقال البخاري[٤]: منكَر الحديث، وقال أحمد[٥]: هو صاحب قصص، لا يعرف الحديث.

وتلاهما الحافظ ابن حجر فقال: صالح، وإن كان ضعيفًا في الحديث، ومن ثَم تركه جمعٌ، ومَن قال بحسنه فضلاً عن صحته فقد وهم.

(وقال سفيان بن عُيَينة) الهلالي رحمه الله تعالىٰ: **(لا يمنعنَّ أحدَكم من الدعاء ما يعلم من نفسه)** أي من القصور وعدم الإخلاص **(فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أجاب دعاءَ شر الخَلْق إبليس إذ قال: رب فأنظِرْني)** أي أمهِلْني **(إلىٰ يوم يُبعثَون، قال: إنك من المنظَرين)**[٦] أي المؤخَّرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم. قال الزركشي[٧]: وإنما سأل اللعينُ النظرةَ إلىٰ يوم البعث طمعًا في الإقامة لئلاَّ يذوق الموتَ.

(الثامن: أن يلحَّ في الدعاء ويكرِّره ثلاثًا، قال ابن مسعود: كان عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دعا دعا ثلاثًا، وإذا سأل سأل ثلاثًا) قال العراقي[٨]: رواه مسلم[٩]، وأصله متفق عليه.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٨٩.

(٣) الضعفاء والمتروكون للنسائي ص ١٣٦.

(٤) التاريخ الكبير ٤/ ٢٧٣.

(٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ٣٩٦.

(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٨٥ بلفظ: «لا تتركوا الدعاء، ولا يمنعنكم منه ما تعلمون من أنفسكم، فقد استجاب الله تعالىٰ لإبليس وهو شر الخلق ...» الخ.

(٧) الأزهية ص ٦٢.

(٨) المغني ١/ ٢٦٢.

(٩) صحيح مسلم ٢/ ٨٦٣.

والإلحاح في الدعاء ممَّا يفتح باب الإجابة، ويدل علىٰ إقبال القلب، ويحصل بتكراره مرتين وثلاثًا وأكثر، لكن الاقتصار علىٰ الثلاث مرَّات أعدل اتِّباعًا للحديث.

(**وينبغي أن لا يستبطئ الإجابةَ**) أي لا[١] يستعجل ولا يضجر من تأخُّر الإجابة كمن له حق علىٰ غيره؛ إذ ليس لأحد علىٰ الله حق. وأيضًا، فقد تكون المصلحة في التأخير. وأيضًا، فالدعاء عبادة واستكانة، والضجر والاستعجال ينافيهما.

ثم إن المصنِّف قد أدرج هذا الأدبَ في خلال الأدب الثامن، وهو يصلُح أن يُعَدَّ مستقلاًّ، كما فعله الحليمي والطرطوشي والزركشي.

ثم استدلَّ المصنِّف علىٰ ما ذكره بقوله: (**لقوله ﷺ: يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: دعوتُ فلم يُستجَب لي**) وقوله «فيقول» هو منصوب علىٰ جواب النفي، أُجريتْ «لم» حيث كان معناها النفي مجراها في قولهم: ما أنت بصاحبي فأنصرك. قاله الزركشي[٢].

قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه أبو داود[٥] والترمذي[٦] وابن ماجه[٧]. وفي رواية لمسلم: قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت وقد دعوتُ فلم أرَ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويَدَع الدعاءَ».

---

(١) الأزهية ص ٦٢.

(٢) السابق ص ٦٢.

(٣) المغني ١/ ٢٦٢.

(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٦١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٥.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٨١.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٦، ٥٥٨.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٧٠.

وذكر[١] مكي[٢] أن المدة بين دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ لطلب الولد والبشارة أربعون سنة. وتقدَّم أن دعاء يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في استغفاره لبنيه أُجيبَ به بعد أربعين سنة. قال الزركشي: ومثل ذلك ما نقله ابن عطية[٣] عن ابن جُرَيج ومحمد بن علي والضحَّاك أن دعوة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة. وقال ابن هُبَيرة في حديث أنس «قنت النبيُّ ﷺ شهرًا يدعو علىٰ رِعْل[٤] وذكوان[٥]»: فيه من الفقه أنه لا يجوز للإنسان أن يستبطئ الإجابةَ ويقول: دعوتُ فما أُجِبتُ، بل يدوم علىٰ الدعاء. وفي الصحيحين: «إن الله تعالىٰ يقول: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني». وفي مسند بقيِّ بن مَخْلَد من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «اطلبوا الخير دهركم كله، وتعرَّضوا لنفحات الله؛ فإنَّ لله نفحات يصيب بها من يشاء من عباده»[٦].

(**فإذا دعوتَ فاسأل الله كثيرًا؛ فإنك تدعو كريمًا**) جوادًا عظيمًا، لا يخيب سائليه، ولا يحرم مستعطيه.

(**وقال بعضهم: إني أسأل الله منذ عشرين سنة حاجةً وما أجابني، وأنا أرجو الإجابة**) طمعًا في فضله (**سألتُ الله أن يوفِّقني لتركِ ما لا يعنيني**) وهذه هي الحاجة التي سألها ربَّه عَزَّوَجَلَّ رواه ابن مسدىٰ في مسلسلاته في آخر الجزء الخامس منها، قال: أخبرنا أبو القاسم بن بقي قال: كتب إليَّ أبو الحسن بن شُرَيح، أنبانا أبو محمد

---

(١) الأزهية ص ٦٣.

(٢) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٠٠٧.

(٣) المحرر الوجيز ص ٩٢٣.

(٤) رعل: قبيلة من سليم بن منصور، من قيس عيلان، من العدنانية، تنتسب إلىٰ رعل بن مالك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور. معجم قبائل العرب ٢/ ٤٣٨.

(٥) ذكوان بن رفاعة: قبيلة من بني سليم بن منصور، من قيس عيلان، من العدنانية. معجم قبائل العرب ١/ ٤٠٤.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة ص ٢٦، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٧٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٤/ ١٢٣.

علىٰ بن أحمد بن سعيد الحافظ، أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد الحبسودي، أخبرنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن إسماعيل السلمي، حدثنا نعيم بن حمَّاد [حدثنا] عبد الله بن المبارك، حدثنا سفيان وغيره عن مورق العجلي قال: سألت ربي عَزَّوَجَلَّ مسألةً عشر سنين فما أعطانيها، وما يئست منها، وما تركتُ الدعاء بها. فسُئل عن ذلك، فقال: سألتُه ترك ما لا يعنيني[١].

وقال[٢] بعض السلف[٣]: لأنا أشد خشية أن أُحرَم الدعاء من أن أُحرَم الإجابة، وذلك لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] فقد أمر بالدعاء ووعد بالإجابة، وهو لا يخلف الميعاد. وكان بعض السلف[٤] يقول: لا تستبطئنَّ الإجابة وقد سددتَ طرقَها بالمعاصي، فكم من مستغفر ممقوت ومن ساكت مرحوم.

(**وقال ﷺ: إذا سأل أحدكم ربَّه مسألة**) مصدر[٥] ميميٌّ، أي طلب منه شيئًا (**فتعرَّف الإجابةَ**) أي تطلَّبَها حتىٰ عرف حصولها بأن ظهرت أماراتها (**فليقل: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات**) أي تكمُل النعمُ الحِسان (**ومن أبطأ عليه في ذلك شيء فليقل: الحمد لله علىٰ كل حال**) فإنَّ أحوال المؤمن كلَّها خير، وقضاء الله له بالسَّرَّاء والضَّرَّاء رحمة ونعمة، ولو انكشف له الغطاء لفرح بالضَّرَّاء أكثر من [فرحه] بالسَّرَّاء، وهو أعلم بمصالح عباده.

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ٤٤٧.

(٢) الأزهية ص ٦٣ - ٦٤.

(٣) هو أبو حازم سلمة بن دينار المديني الأعرج، كما رواه عنه القشيري في الرسالة ص ٤٤٣، ولكن اقتصر علىٰ الجملة الأولىٰ فقط.

(٤) هو يحيىٰ بن معاذ الرازي الواعظ. وهذا الأثر مؤلف من جملتين: الأولىٰ: رواها البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٨٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٥٣. والثانية: رواها الخطيب في الزهد والرقائق ص ٦٩ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٥) فيض القدير ١/ ٣٦٨.

قال العراقي[1]: رواه البيهقي في الدعوات[2] من حديث أبي هريرة، وللحاكم[3] نحوه من حديث عائشة مختصرًا بإسناد ضعيف.

قلت: وروى البيهقي في الأسماء والصفات[4] من حديث حبيب بن أبي ثابت قال: حدثنا شيخ لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال: الحمد لله على كل حال، وإذا جاءه شيء يعجبه قال: الحمد لله المنعم المتفضِّل الذي بنعمته تتم الصالحات.

(**التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله ﷻ، ولا يبدأ بالسؤال**) والمراد أن[5] يبدأ أولاً بما فيه الثناء على الله تعالى ثم يسأل الحاجةَ، كما قال تعالى حاكيًا عن يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] وعن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ إلى ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم: ٣٨ - ٤١] وعنه: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾ [الشعراء: ٧٨] الآيات. وعن شعيب عليه السلام: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ إلى ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾ [الأعراف: ٨٩] وعن موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١] وعن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي﴾ الآية [يوسف: ١٠١] وعن الملائكة عليهم السلام: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [غافر: ٧] وقال: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفي السنن عن أبي هريرة: «كل كلام لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أجذمُ».

---

(١) المغني ١/ ٢٦٣.

(٢) الدعوات الكبير ١/ ٤٨٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٨٣ - ٦٨٤، ولفظه: كان النبي ﷺ إذا أتاه الأمر يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وإذا أتاه الأمر يكرهه قال: الحمد لله على كل حال.

(٤) الأسماء والصفات ١/ ٢١٥.

(٥) الأزهية ص ٨٠ - ٨١.

(قال سَلَمة بن الأكوع) رضي الله عنه: **(ما سمعتُ رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال: سبحان ربي العليِّ الأعلىٰ الوهاب)** قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والحاكم[٣] وقال: صحيح الإسناد. قال العراقي: فيه عمر بن راشد اليماني، ضعَّفه الجمهور.

قلت: أورده صاحب القوت[٤] في الفصل الخامس من الباب الأول بلفظ: كان إذا افتتح دعاءه افتتحه بقوله ... فذكره.

(وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية **(الداراني)** رحمه الله تعالىٰ: **(من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجةً فليبدأ بالصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة عليه؛ فإنَّ الله عز وجل يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يَدَع)** وفي رواية: يرد **(ما بينهما)** أورده الجزولي في أول دلائله[٥] بلفظ: فليكثر، بدل: فليبدأ. وقال الشارح: الباء زائدة أو متعلِّقة بمحذوف، أي فليكثر اللهجَ بالصلاة أو نحو ذلك، أو ضمَّن «يُكثِر» معنىٰ «يلهج» ونحوه.

وقال أيضًا في قوله «من أن يدع»: متعلِّقة بـ«أفعل» لمَّا ضمَّنه من معنىٰ النزاهة، وليست الجارَّة للمفعول، بل هو متروك أبدًا مع «أفعل» هذا لقصد التعميم.

والمعنىٰ[٦] أن الكريم لا يناسبه أن يقبل الطرفين ويردَّ الوسط. قال الزركشي: واستشكل بعض مشايخنا قولَ الداراني بأن قولنا «اللهم صلِّ علىٰ محمد» دعاء، والدعاء متوقِّف علىٰ القبول. وفيه نظرٌ.

---

(١) المغني ١/ ٢٦٣.

(٢) مسند أحمد ٢٧/ ٨١.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٣.

(٤) قوت القلوب ١/ ٢٠.

(٥) مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات لمحمد المهدي بن أحمد الفاسي القصري ص ٣٢.

(٦) الأزهية ص ٩٢.

قلت: ويُروَىٰ عن الداراني أيضًا بلفظ: إذا أردتَ أن تسأل الله حاجةً فصلِّ علىٰ محمد، ثم سَلْ حاجتَك، ثم صلِّ علىٰ النبي ﷺ؛ فإنَّ الصلاة علىٰ النبي ﷺ مقبولة، والله عَزَّوَجَلَّ أكرم من أن يردَّ ما بينهما. أخرجه النُّمَيري بالوجهين. كذا في «القول البديع»[١] للحافظ السخاوي.

(ورُوي في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: إذا سألتم الله حاجةً فابدأوا بالصلاة عليَّ؛ فإنَّ الله أكرم من أن يُسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرىٰ. رواه أبو طالب المكي) في القوت[٢].

وقال العراقي[٣]: لم أجده مرفوعًا، وإنما هو موقوف علىٰ أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قلت: وهو وإن كان موقوفًا فهو شاهد لقول الداراني، وممَّا يؤيِّده أيضًا ما أخرجه أبو داود[٤] عن فَضالة قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجِّد اللهَ ولم يصلِّ علىٰ النبي ﷺ، فقال: «عَجِلَ هذا». ثم دعاه فقال: «إذا صلىٰ أحدكم فليبدأ بتمجيد الله والثناء عليه، ثم يصلي علىٰ النبي ﷺ، ثم يدعو بما شاء». ورواه النسائي[٥] وزاد: وسمع النبي ﷺ رجلاً يصلي، فمجَّد اللهَ وحمده وصلىٰ علىٰ النبي ﷺ، فقال: «ادْعُ تُجَبْ، وسَلْ تُعْطَ».

وممَّا يدل علىٰ إجابة الدعاء بعد التحميد ما رُوي عن أنس قال: جاءت أم سليم فقالت: يا رسول الله، علِّمْني كلمات أدعو بهنَّ. فقال: «تسبِّحين عشرًا، وتحمدين عشرًا، وتكبِّرين عشرًا، ثم تسألين حاجتك؛ فإنه يقول: قد فعلت»[٦].

---

(١) القول البديع ص ٣٣٤.

(٢) قوت القلوب ١/ ١٤.

(٣) المغني ١/ ٢٦٣.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٠.

(٥) سنن النسائي ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٦) رواه أحمد في مسنده ١٩/ ٢٤٠، والنسائي في سننه ص ٢١١، والترمذي في سننه ١/ ٤٩١، =

رواه صاحب التبصرة.

وأخرج الترمذي[١] عن معاذ: سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «قد استُجيب لك فسَلْ».

وفي المستدرك[٢] عن أبي أُمامة رفعه: «إن لله مَلَكًا موكَّلاً بمَن يقول: يا أرحم الراحمين، فمَن قالها ثلاثًا قال له [المَلَك] الموكَّل: إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسَلْ».

والمعنىٰ[٣] فيه أن ذِكر الله بالثناء والتعظيم كالإكسير العظيم للنفس في تصفيتها وإشراقها حتىٰ يكون المطلوب أقرب إليها، فلهذا قُدِّم الثناء علىٰ الدعاء.

(العاشر، وهو الأدب الباطن، وهو الأصل) الأصيل **(في الإجابة)** وهو **(التوبة)** الناصحة **(وردُّ المظالم)** إلىٰ أهلها **(والإقبال علىٰ الله ﷻ بكُنْه الهمَّة)** وخالصها **(فذلك هو السبب القريب في الإجابة)** وقال الزركشي في الأزهية[٤]: في آداب الدعاء، أحدها: تقديم التوبة أمامه، وقد تكون إجابة الله المصرَّ علىٰ ذنبه تعويضًا عاجلاً من ثنائه، ودعاء التائب عبادة وحسنة، وأقل جزائها عشرة أمثالها، فإذا عُجِّلت له الإجابة كان ما وراها مدَّخَرًا له، ولذا جعله الحليمي والغزالي من الآداب.

ثم نقل عن الغزالي عبارته هذه، ثم قال: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة

= وابن خزيمة في صحيحه ٢/ ٣١، وابن حبان في صحيحه ٥/ ٣٥٣. وليس عند ابن حبان قوله «فإنه يقول قد فعلت». وعند النسائي والترمذي وابن خزيمة: (يقول نعم نعم) بدل قوله: فإنه يقول قد فعلت.

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٩٩.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٨.

(٣) الأزهية ص ٨٣.

(٤) السابق ص ٧٠ - ٧١.

مرفوعًا في «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلىٰ السماء: يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنَّىٰ يستجاب لذلك»؟! وقال ﷺ لسعد: «يا سعد، أَطِبْ مَطْعَمك تُستجَب دعوتك». وقيل: الدعاء مفتاح الحاجة، وأكلُ الحلال أسنانه. وقد يؤخذ من هذا الحديث أن هذا شرط لا أدب. وقال الطرطوشي[١]: من آدابه أكلُ الحلال، ولعلَّه من شروطه.

ولنذكر هنا بعض آداب للدعاء وشروط لم يذكرها المصنِّف فمن الآداب[٢]:

* أن يدعو وهو طاهر؛ لأنه عبادة، فكان كقراءة القرآن والأذان. ذكره الحليمي. وفي الصحيحين[٣] عن أبي موسىٰ: قال لي أبو عامر: قل لرسول الله ﷺ يستغفر لي. فدعا رسولُ الله ﷺ بماء فتوضأ ورفع يديه ... الحديث. وعن سعد بن أبي وَقَّاص [أن رسول الله ﷺ] توضأ حين دعا لأهل المدينة. رواه الواحدي في كتاب الدعوات.

وتقدَّم حكمُ رفعِ اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة.

* ومن الآداب: أن يقدِّم عليه صلاةً. ذكره الحليمي، واستدلَّ بأنه ﷺ فعل ذلك حين دعا لأمته بقُباء، وبقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝﴾ [الشرح: ٧ - ٨] أي: إذا فرغتَ من صلاة نفسك فأجهِدْ نفسك بالدعاء. قال الزركشي: ولهذا شُرع في دعاء الاستسقاء تقديم الصلاة والصيام والصدقة.

* ومن الآداب: أن يقدِّم أمامه صدقة. ذكره الحليمي أيضًا. ورُوِىٰ عن عبد الله ابن عمر أنه كان يعجبه إذا أراد الرجل أن يدعو ربه أن يقدِّم صدقة. وذكر خبرًا رواه الفريابي.

---

(١) الدعاء وآدابه ص ٢٤.

(٢) الأزهية للزركشي ص ٧٠ - ٩٨. المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٥٢٢ - ٥٣٥.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٥٦. صحيح مسلم ٢/ ١١٦٧.

* ومن الآداب: أن يقدِّم أمامه الصلاةَ علىٰ النبي ﷺ، وقد ذكره المصنِّف في ضمن الأدب التاسع إدراجًا، وهو أدب مستقل، وقد أخرج الترمذي[١] من حديث النَّضْر بن شُمَيل عن أبي قُرَّة الأسدي عن سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، فما يصعد منه شيءٌ حتىٰ تصلِّي علىٰ نبيِّك ﷺ.

وأخرجه الحسن بن عرفة[٢] في جزئه مرفوعًا فقال: حدثنا الوليد بن بكير، عن سلام الخرَّاز، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحسن[٣]، عن عليٍّ، عن النبي ﷺ قال: «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء والأرض حجاب حتىٰ يصلِّي علىٰ محمد ﷺ، فإذا صلىٰ علىٰ النبي ﷺ انخرق الحجاب واستُجيب الدعاء، وإذا لم يصلِّ علىٰ النبي ﷺ لم يُستجَب الدعاء».

* ومن الآداب: الصلاة علىٰ النبي ﷺ في وسط الدعاء وآخره؛ لأنه الذي علَّمنا الدعاء بأركانه وآدابه، فنقضي بعض حقه عند الدعاء اعتدادًا بالنعمة؛ قاله الحليمي. أمَّا الصلاة عليه آخر الدعاء فقد ذكره المصنِّف ضمنًا في الأدب التاسع من قول الداراني، حيث قال: ثم ليختم بالصلاة عليه ﷺ. والدليل عليه ما أخرجه الطبراني في معجمه[٤] والبزار[٥] عن محمد بن إبراهيم التَّيْمي عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوني كقدح الراكب، إن الراكب يملأ قدحه، فإذا فرغ وعلَّق تعاليقه فإن كان فيه ماء شرب حاجته، أو الوضوء توضأ، وإلا أهراق القدح،

---

(١) سنن الترمذي ١/ ٤٩٦.

(٢) ومن طريقه رواه ابن المستوفي في تاريخ إربيل ١/ ٢٣٩ (ط - دار الرشيد ببغداد).

(٣) في تاريخ إربيل: عن الحارث.

(٤) لم أقف عليه عند الطبراني، وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان ٣/ ١٣٨، وعبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٢١٦، وعبد بن حميد في مسنده ٢/ ١٩١، والقضاعي في مسند الشهاب ٢/ ٨٩.

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٤٥.

فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوله وفي آخره».

قال أصحاب الغريب[1]: معنىٰ قوله «لا تجعلوني كقدح الراكب» أي لا تؤخِّروني في الذِّكر؛ لأن الراكب يعلِّق قدحه في آخرة رحله [عند فراغه من ترحاله] ويجعله خلفه. قال حسان بن ثابت[2] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يهجو أبا سفيان:

ولستَ كعباس ولا كابن أمِّه ... ولكن هجينٌ ليس يورَىٰ له زند

وكنتَ دعيًّا[3] نِيطَ في آل هاشم ... كما نِيطَ خلف الراكب القَدَحُ الفردُ

ولعلَّ المراد به الاقتصار في ذكره علىٰ الآخِر.

واعلمْ أن للصلاة عند الدعاء مراتب ثلاثة:

إحداها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله، ويشهد له حديثُ فضالة السابق.

والثانية: أن يصلي عليه في أول الدعاء وأوسطه وآخره، ويشهد له حديث جابر المذكور آنفًا.

والثالثة: أن يصلي عليه في أوله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما، كما عليه عملُ الناس، وهو يناسب ما نقله الغزالي عن الداراني.

* ومن الآداب: أن يفتتح دعاءه باسم من أسمائه تعالىٰ المناسبة لمطلوبه أو يختم [دعاءه] به، وتأمَّلْ دعاء الأنبياء كذلك، قال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص: ٣٥] وقال الخليل وابنه عليهما السلام: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٢٨﴾ [البقرة:

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ١٩ - ٢٠.

(٢) البيتان في ديوانه ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) في الديوان: وأنت زنيم.

١٢٨] و﴿تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧] وقال أيوب عليه السلام: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣] وعلَّم النبيُّ ﷺ عائشةَ دعاء ليلة القدر: «اللهم إنك عفوٌّ كريم تحب العفو فاعْفُ عني». وعلَّم الصِّدِّيقَ دعاءَ الصلاة: «اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». وأمَّا قول عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقُل: الغفور الرحيم، كما قال الخليل: ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم: ٣٦] لأنه في مقام أن مغفرتك لهم عن عزٍّ وحكمة، فأخرجه مَخرج التسليم، ولأن في ذِكر «الغفور» تعريض السؤال بالمغفرة، فعدل عنه، أو كأنَّه قال: فالمغفرة لا تُنقِص من عزِّك، ولا تُخرِج عن حكمك.

واعلمْ أن للدعاء مراتب:

إحداها: أن تدعو الله بأسمائه وصفاته، والمناسب ذِكر الصفة التي تقتضي المدعوَّ، كما سبق.

الثانية: أن تدعوه لحاجتك وفقرك ونحو ذلك[1]، فتقول: أنا العبد الذليل الفقير البائس المستجير، ونحوه.

الثالثة: أن تسأل حاجتك، ولا تترك واحدة منها.

فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمورَ الثلاثة كان أكمل، وهو عامَّة أدعية النبي ﷺ، وقد جمع الثلاثة تعليمه للصِّدِّيق رضي الله عنه: «قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا» وهذا حال السائل، ثم قال: «وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وهذا حال المسئول، ثم قال «فاغفر لي» فذكر حاجته، وختم الدعاء باسم من أسمائه الحسنىٰ ممَّا يناسب المطلوبَ ويقتضيه.

---

(١) في الأزهية: وفقرك وذُلِّك.

* ومن الآداب: أن يستعمل في كل مقام الدعاءَ المأثور فيه، فهو أفضل من غيره؛ لتنصيص الشارع عليه، وتعليم الشرع خير من اختيار العبد، ولهذا قال أكثر أصحاب الشافعي: إن الدعاء المأثور في الطواف أفضل من الاشتغال بالقراءة، فيستعمل بعد التشهد دعاءه المأثور فيه، وبعد الصلاة كذلك، وفي الاستخارة كذلك [وفي الحاجة دعاءها المأثور فيها] ويستعمل الأدعية الواردة عن الأنبياء الصادرة منهم إذا كان مطلوبه ذلك، قال جعفر الصادق: عجبتُ لمَن بُلِيَ بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣] والله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وعجبتُ لمَن بُلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء: ٨٨] وعجبتُ لمَن خاف شيئًا كيف يذهل عنه أن يقول: حسبي الله ونِعم الوكيل، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبتُ لمَن كويدَ في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤﴾ [غافر: ٤٤] والله تعالىٰ يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ [غافر: ٤٥] وعجبتُ لمَن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩] وهكذا سنَّة الحق سبحانه مع مَن صدق في التجائه إليه أن يمهِّد مقيله في ظلِّ كفايته، فلا البلاء يمسه، ولا العناء يصيبه، وكذلك المواظبة علىٰ أدعية وقعت للأولياء في حالات استُجيب لهم لا بأس بالمواظبة عليها لمَن اتفقت له تلك الحالة تفاؤلاً بأن يناله ما نالهم.

فصل: وقد(١) رأيت أن أسرد أدعية الأنبياء المحكيَّة في القرآن المقرونة بالإجابة، قال تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤] ﴿وَقُل رَّبِّ

(١) الأزهية ص ٩٨ - ١٠١.

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠] ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون: ٩٣ - ٩٤] ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨] وقال عن آدم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨] وقال عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨] ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] الآيات. وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٥] وقال عن موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ - ٢٨] ﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧] ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤] وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ الآية [النمل: ١٩] وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنبياء: ٨٩] ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨] وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]

وعلىٰ هذا النمط في جميع ما أجراه الله تعالىٰ علىٰ مَلَك مقرَّب أو نبي مرسَل أو صِدِّيق، كقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة: ٢٥٠] ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ الآية [آل عمران: ١٦] ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾ الآية [آل عمران: ١٤٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يونس: ٨٥] ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥] الآيات ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الممتحنة: ٥] ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا﴾ الآية [التحريم: ٨] فهذه جملة من الدعوات التي اختارها الله تعالىٰ لخاصة عباده وصفوة أوليائه والمصطفينَ من أنبيائه ورسله، وفيهم أسوة حسنة لمَن كان يرجو الله واليوم الآخِر.

فصل: فهذا الذي قد تقدَّم من ذِكر الآداب قد يُستدرَك به علىٰ المصنِّف. وذكر ابن الجزري في الحصن[1] آدابًا أُخَر، منها: الجثوُّ علىٰ الرُّكَب، والتوسُّل بأنبيائه والصالحين، وأن يبدأ بنفسه أولاً، وأن لا يخصَّ نفسَه إن كان إمامًا، وأن لا يدعو بإثم، ولا قطيعة رحم، ولا بأمر قد فُرِغَ منه، ولا بمستحيل، ولا يتحجَّر واسعًا.

قلت: وبعض ذلك يُعَدُّ شرطًا، كما ستأتي الإشارة إليه.

وأمَّا شروط[2] الدعاء فقد عدَّها الحليميُّ[3] أحد عشر:

الأول: أن لا يكون المسئول بالدعاء ممتنعًا عقلاً ولا عادةً، كإحياء الموتىٰ، ورؤية الله تعالىٰ في الدنيا، وإنزال مائدة من السماء، أو مَلَك يخبره بأخبارها، وغير

---

(١) عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين ص ٣٠ - ٣٢.

(٢) الأزهية ص ٥٧ - ٦٩.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥٢٢ - ٥٣٠.

ذلك من الخوارق التي كانت للأنبياء، إلا أن يكون السائل نبيًّا؛ لأن نقض العادات إنما يكون من الله تعالىٰ لتأييد من يدعو إلىٰ دينه، ولك أن تبني ذلك علىٰ أن ما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لوليٍّ. قال: ويجوز أن يسأل العبد اللهَ سؤالاً مطلقًا أن يكشف عنه ضرورة وقعت له فينقض الله له عادة، كما إذا حدث له في بادية جوعٌ أو عطش أو برد شديد وهو مأذون له في دخولها من جهة الشرع فدعا الله بكشف ما أصابه لا يضر مطلقًا وكان ذلك جائزًا[1]، وإن كان في إجابته إيَّاه نقضُ العادة، وقد يفعل ذلك به من غير مسألته جزاءً له لتوكُّله وقوة إيمانه.

الثاني: أن لا يكون علىٰ السائل حرج فيما سأل، كسؤاله الخمر يشربها أو امرأة يزني بها؛ لِما تضمَّن سؤاله من إباحة الحرام، ولقوله ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم». رواه مسلم. فيدخل في الإثم كلُّ ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومطالبهم. قال الحليمي: ويدخل في هذا أن يدعو بالشر علىٰ مَن لا يستحقُّه أو علىٰ بهيمة، وقد جاء أن رجلاً لعن بعيره في سفر، فقال رسول الله ﷺ: «لا يصحبنا ملعونٌ». فكأنَّه عاقبه علىٰ لعنِه. وقد جاء: «لا تدعوا علىٰ أنفسكم، ولا علىٰ أولادكم، ولا علىٰ أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة عطاء فيُستجاب لكم». أي عقوبةً لكم لا كرامةً.

الثالث: أن لا يكون له فيما سأل غرض فاسد، كسؤال المال والجاه والولد والعافية وطول العمر للتفاخر والتكاثر والاستعانة بها علىٰ قضاء الشهوات.

الرابع: أن لا يكون الدعاء علىٰ وجه الاختبار لربِّه تعالىٰ، بل يكون سؤالاً محضًا؛ إذ العبد ليس له أن يختبر ربَّه.

الخامس: أن لا يشغله الدعاءُ عن فريضة حاضرة فيفوِّتها فيكون عاصيًا.

السادس: أن حاجته إذا عظُمت لم يسألها الله تعالىٰ سؤال مستعظِم لها في

---

(١) في الأزهية: بكشف ما أصابه من الضر كان ذلك جائزا.

ذات الله، بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالاً واحدًا. وهذا قد سبق للمصنِّف في ذِكر الآداب. وروىٰ الترمذي(١) عن أنس مرفوعًا: «ليسأل أحدكم ربَّه حاجته كلَّها حتىٰ يسأل شِسْع نعله إذا انقطعت». وينبغي أن يرىٰ منه الله غلبة في إجابته إلىٰ صغير الحوائج وكبيرها.

السابع: حُسن الظن بالله عند الدعاء، وغلبة الإجابة علىٰ قلبه. وهذا أيضًا قد ذكره المصنف في الآداب.

الثامن: أن لا يستعجل، **ولا** يضجر من تأخُّر الإجابة. وهذا أيضًا قد ذكره المصنف في الآداب.

التاسع: أن لا يقتصر علىٰ دعاء لغيره مع الجهل بمعناه أو انصراف الهمة إلىٰ لفظه؛ إذ الدعاء سؤال، وهذا غير سائل، بل حاكٍ لكلام غيره. قال الحليمي: نعم، إذا كان دعاء حسنًا أو كان صاحب الدعاء ممَّن يُتبرَّك بكلامه فاختاره لذلك وأحضره قلبه ووفَّاه من إخلاص الطلب حقه كان ذلك وإنشاء الدعاء من عنده سواءً حينئذٍ. قال الزركشي: وذكر بعضهم كراهة الدعاء بأمر لم يظهر له معناه، كما ذكر في «الجامع الصغير»(٢) أن أبا حنيفة كان يكره أن يدعو الرجل فيقول: اللهم إني أسالك بمعاقد العز من عرشك، وإن جاء به الحديث؛ لأنه ليس ينكشف معناه لكل أحد. قال الزركشي: وهذا جاء في حديث أخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير»(٣) عن ابن مسعود عن النبي ﷺ في الدعاء في السجود: «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهىٰ الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم [وجدك الأعلىٰ] وكلماتك التامة، ثم سَلْ حاجتك». لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات(٤). وقال ابن

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٦٠ - ٥٦١.

(٢) الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني بشرح عبد الحي اللكنوي ص ٤٨٢ (ط - إدارة القرآن بباكستان).

(٣) الدعوات الكبير ٢/ ١٨.

(٤) الموضوعات ٢/ ١٤٢.

الأثير في النهاية[1]: أي بالخصال التي استحقَّ بها العرشُ العزَّ أو بمواضع انعقادها منه، وحقيقة معناه: بعزِّ عرشك. قال: وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظَ من الدعاء.

وذكر الحكيم الترمذي في مناسكه أن النبي ﷺ نهىٰ العامة[2] [عن الدعاء] عند زيارة البيت بقوله: حَيِّنا ربنا بالسلام. قال: ويحتمل [أن يكون] هذا النهي لمَن لم ينكشف له معناه، فأمَّا مَن كُشف له فهو غير داخل في هذا النهي كما كانت الصحابة يدعون به.

العاشر: أن يُصلِح لسانه إذا دعا، ويحترز عمَّا يُعَدُّ إساءة في المخاطبات؛ لوجوب تعظيم الله تعالىٰ علىٰ عبده في كل حال، وهو في حال السؤال أوجبُ، فإذا أراد غشيان النساء فلا يصرِّح، بل يقول: اللهم متِّعْني بأعضائي وجوارحي. أو طاعة امرأته فليقُل: اللهم أصلِحْ لي زوجتي. وظاهر كلام الحليمي أن تجنُّب اللحن من الشروط، فلا يدعو بالجزم مثلاً فيما الصواب فيه الرفع؛ لانقلاب المعنىٰ، وهو ظاهر كلام الخطَّابي؛ فإنه قال[3]: وممَّا يجب أن يراعَىٰ في الأدعية الإعرابُ الذي هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعنىٰ، وربما انقلب المعنىٰ باللحن، وقد قال المازني لبعض تلامذته: عليك بالنحو؛ فإنَّ بني إسرائيل كفرت بحرف ثقيل خفَّفوه، قال تعالىٰ لعيسىٰ ابن مريم: إني ولَّدتُك. فقالوها بالتخفيف فكفروا. وأنشد بعضهم:

ينادي ربَّه باللحن ليثٌ ... لذاك إذا دعاه لا يجيب

وعدَّ صاحب التبصرة من الآداب: أن يكون الدعاء صحيح اللفظ؛ لأنه

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) في الأزهية: عائشة.

(٣) شأن الدعاء ص ١٩ - ٢٠.

يتضمَّن مواجهة الحق بالخطأ، قال: وقد جاء في الحديث: «لا يقبل الله دعاء ملحونًا».

وقال ابن الصلاح في فتاويه[١]: الدعاء الملحون ممَّن لا يستطيع غيرَه لا يقدح في الدعاء، ويُعذَر فيه.

الحادي عشر: أن يدعو الله بأسمائه الحسنىٰ، ولا يدعوه بما لا يتخلَّص ثناءً وإن كان حقًّا، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي الحديث: «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام». ولا ينبغي أن يقال: يا خالق الحيَّات والعقارب؛ لأنها ضارَّة مؤذية، فالدعاء بها كالدعاء بقوله: يا ضار. وجعل الخطابيُّ[٢] من شروطه: إخلاص النية، وإظهار الفقر والمسكنة، والتواضع[٣] والخشوع، وأن يكون علىٰ طهارة، مستقبل القِبلة، وأن يقدِّم الثناءَ علىٰ الله والصلاة علىٰ النبي ﷺ أمام دعائه، وذكر غير هذه من الآداب، ولكن جعل غيرُه[٤] من الشروط أن يكون عالمًا بأنْ لا قادر علىٰ حاجته إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وأن الوسائط في قبضته ومسخَّرة بتسخيره. والله أعلم.

وإذ قد فرغنا من ذِكر الآداب والشروط فلنَعُدْ إلىٰ شرح كلام المصنِّف ممَّا استدلَّ به من آثار وحكايات تتعلَّق بالأدب العاشر، فقال: (**ويُروَىٰ**) وفي نسخة: فيُروَىٰ (**عن كعب الأحبار**) وهو كعب بن ماتع الحِمْيَري، تقدَّمت ترجمتُه في كتاب العلم (**أنه قال: أصاب الناس قحطٌ شديد علىٰ عهد موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخرج موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببني إسرائيل يستسقي بهم، فلم يُسقَوا حتىٰ خرج بهم ثلاث مرَّات ولم يُسقَوا، فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إني لا أستجيب لك ولا لمَن معك**

(١) فتاوىٰ ابن الصلاح ص ١٩٨.

(٢) شأن الدعاء ص ١٣.

(٣) في الأزهية: التضرع. وفي شأن الدعاء: وعلىٰ حال ضرع.

(٤) هو أبو العباس القرطبي في كتاب المفهم ٧/ ٦٢.

وفيكم نَمَّام) وهو[1] من يتحدَّث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يُكرَه كشفه، سواءٌ كرهه المنقول عنه أو [المنقول] إليه أو الثالث، وهَبْه[2] بإشارة أو عبارة أو غيرهما. وفعلُه النَمُّ، وتلك الوشاية النميمة، وهي من الكبائر، كما سيأتي **(فقال موسىٰ** عليه السلام**: يا رب، ومن هو حتىٰ نخرجه من بيننا؟ فأوحىٰ الله** عز وجل **إليه: يا موسىٰ، أنهاكم عن النميمة وأكون نَمَّامًا؟! فقال موسىٰ** عليه السلام **لبني إسرائيل)** بعدما جمعهم: **(توبوا إلىٰ ربِّكم بأجمعكم من النميمة. فتابوا، فأرسل الله عليهم الغيثَ)** دلَّ ذلك علىٰ أن التوبة من الكبائر ممَّا يوجب الإجابةَ.

(وقال سعيد بن جُبَير) رحمه الله: **(قحط الناسُ في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل، فاستسقوا)** أي خرجوا للاستسقاء **(فقال الملك لبني إسرائيل: ليرسلنَّ الله علينا السماء)** أي المطر **(أو لنؤذينَّه. قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذىً له. فأرسل الله تعالىٰ عليهم السماء)**[3] دلَّ ذلك علىٰ أن الإقبال علىٰ الله بكنه الهمَّة ممَّا يوجب الإجابةَ؛ فإنَّ هؤلاء الخاصة لمَّا سمعوا ذلك أقبلوا علىٰ الله بكلِّيتهم فاستُجيبَ لهم.

(وقال سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالىٰ: **(بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتىٰ أكلوا الميتة من المزابل)** جمع مزبلة، وهي الموضع الذي يُرمَىٰ فيه ما يُكنَس من البيوت **(وأكلوا الأطفال، وكانوا كذلك)** أي علىٰ هذه الحال **(يخرجون إلىٰ الجبال)** والمواضع العالية **(يبكون ويتضرَّعون، فأوحىٰ الله**

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٦٧، وقد أخذه عن الغزالي، كما سيأتي في كتاب آفات اللسان بعبارة أطول.

(٢) في التعريفات: وسواء كان الكشف.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٨٢، ولفظه: «قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل ثلاث سنين، فقال الملك: ليرسلن الله علينا السماء أو لنؤذينه. فقال له جلساؤه: كيف تقدر علىٰ أن تؤذيه أو تغيظه وهو في السماء وأنت في الأرض؟ قال: أقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذىً له. فأرسل الله عليهم السماء». ورواه أحمد في الزهد ص ٣١٤ بنحوه.

عَزَّوَجَلَّ إلىٰ أنبيائهم: لو مشيتم إليَّ بأقدامكم حتىٰ تحفىٰ رُكَبُكم) أي يبلغ الحفا إلىٰ الركب، وهو غاية في الشدة (وتبلغ أيديكم عنان السماء) أي أطرافه بصعودكم علىٰ الجبال (وتكلُّ) أي تعجز (ألسنتكم عن الدعاء) أي لكثرة الجؤار به (فإني لا أجيب لكم داعيًا ولا أرحم منكم باكيًا حتىٰ تردُّوا المظالم إلىٰ أهلها. ففعلوا، فمُطروا من يومهم) دلَّ ذلك علىٰ أن رد المظالم إلىٰ أهلها ممَّا يوجب الإجابة.

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالىٰ: (أصاب الناسَ في بني إسرائيل قحطٌ، فخرجوا مِرارًا) يستسقون، فلم يُسقَوا (فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ إلىٰ نبيِّهم أنْ أخبِرْهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدان نجسة) أي نجاسة معنوية (وترفعون إليَّ أكُفًّا قد سفكتم بها الدماءَ، وملأتم بطونكم من) أكل (الحرام، الآن قد اشتدَّ غضبي عليكم، ولن تزدادوا مني إلا بُعدًا) دلَّ ذلك علىٰ أن الطهارة الحِسِّية ثم المعنوية واتِّقاء الدماء والاجتناب عن أكل الحرام وفي معناه الشرب واللبس ممَّا يوجب الإجابةَ. وأورده أبو نعيم في الحلية[1] في ترجمة مالك بن دينار بلفظ: فقيل لهم: يا بني إسرائيل، تدعوني بألسنتكم وقلوبُكم بعيدة عني، باطل ما تذهبون. رواه من طريق سيَّار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: بلغنا أن بني إسرائيل ... فذكره.

(وقال أبو الصِّدِّيق الناجي) تابعي[2]، روىٰ عن أبي سعيد الخدري وابن عمر، وعنه قتادة وزيد العَمِّي وجماعة (خرج سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ يستسقي، فمرَّ بنملة ملقاة علىٰ ظهرها، رافعة قوائمها إلىٰ السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك، ولا غنىٰ لنا عن) سُقْياك و(رزقك، فلا تهلكنا بذنوب غيرنا. فقال سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ: ارجعوا، فقد سُقيتم بدعوة غيركم) نقله صاحب القوت. وقد رواه أبو نعيم في

---

(١) حلية الأولياء ٢/ ٣٦٢، وأوله: بلغنا أن بني إسرائيل خرجوا إلىٰ مخرج لهم فقيل لهم ... الخ.ورواه بلفظ قريب من لفظ المصنف: البيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٣٨٧، وأبو داود في الزهد ص٣٨.

(٢) اسمه بكر بن عمرو - أو ابن قيس - البصري، ثقة، مات سنة ثمان ومائة. تقريب التهذيب لابن حجر ص ١٧٦.

الحلية[١] قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بِشْر بن موسىٰ، حدثنا خَلاَّد بن يحيىٰ، عن مسعر، حدثنا زيد العَمِّي، عن أبي الصِّدِّيق الناجي قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي ... فساقه، إلا أنه قال: فإمَّا أن تسقينا وترزقنا[٢] وإمَّا أن تهلكنا. والباقي سواء. وقد تقدَّم في كتاب الصلاة.

(وقال) عبد الرحمن بن عمرو (**الأوزاعي: خرج الناس يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد**) القاصُّ[٣]، وكان عابدًا عالمًا واعظًا قارئًا، روىٰ عن أبيه ومعاوية وجابر، وعنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعدَّة [ثقة] توفي في حدود سنة ١٢٠ (**فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: يا معشر مَن حضر، ألستم مقرِّينَ بالإساءة؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم إنَّا قد سمعناك تقول**) أي في كتابك العزيز: (﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١] **وقد أقررنا**) علىٰ أنفسنا (**بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا. فرفع يديه، ورفعوا أيديهم، فسُقوا**)[٤] دلَّ ذلك علىٰ أن الإقرار بالذنوب وصِدق الالتجاء إلىٰ علاَّم الغيوب ممَّا يوجب الإجابةَ.

(**وقيل لمالك بن دينار: ادْعُ لنا ربَّك. فقال: إنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة**) قال أبو نعيم في الحلية[٥]: حدثنا أبو عمرو عثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي، حدثنا هارون بن حميد، حدثنا سيَّار، حدثنا

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ١٠١. ورواه أيضا: أحمد في الزهد ص ٧٣، والطبراني في الدعاء ص ١٢٥٤، وابن حبان في الثقات ٨/ ٤١٤، وأبو الشيخ في العظمة ص ١٧٥٢، وابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥٢٦.

(٢) في المطبوعة: فإما أن تسقينا وإما أن ترزقنا. والمثبت من الحلية.

(٣) الكاشف للذهبي ١/ ٢٧٧.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٢٦ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٠/ ٥٠٤ بنحوه.

(٥) ورواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٠٦ عن عبد الواحد بن زيد قال: شهدت مالك بن دينار وقيل له: يا أبا يحيىٰ، ادع الله عَزَّوَجَلَّ أن يسقينا الغيث. فقال: هم يستبطئون المطر؟ قالوا: نعم. قال: لكني واللهِ أستبطئ الحجارة.

جعفر قال: قلنا لمالك بن دينار: ألا ندعو لك قارئًا يقرأ؟ قال: إن الثكلَىٰ لا تحتاج إلىٰ نائحة. فقلنا له: **ألا** تستسقي؟ فقال: أنتم تستبطئون المطر، لكني أستبطئ الحجارة.

(**ويُروَىٰ أن عيسىٰ ﷺ خرج**) ذات يوم (**يستسقي، فلمَّا أصحروا**) أي دخلوا الصحراء (**قال لهم عيسىٰ ﷺ: مَن أصاب منكم ذنبًا فليرجع. فرجعوا كلُّهم، ولم يبقَ معه في المَفازة إلا رجل واحد، فقال له عيسىٰ ﷺ: أما لك من ذنب؟ فقال: واللهِ ما أعلم من شيء، غير أني كنت ذات يوم أصلي، فمرَّت بي امرأة**) أي جميلة (**فنظرتُ إليها بعيني هذه**) وأشار إلىٰ عينه التي نظر بها (**فلمَّا جاوزتني أدخلتُ أصبعي في عيني فانتزعتُها وأتبعت المرأةَ بها. فقال له عيسىٰ ﷺ: فادْعُ الله تعالىٰ حتىٰ أؤمِّن علىٰ دعائك. فدعا**) وأمَّنَ عيسىٰ ﷺ علىٰ دعائه (**فتجلَّلت السماء**) أي امتلأت (**سحابًا ثم صبَّت فسُقوا**) دلَّذلك علىٰ أن التنصُّل من الذنوب والبراءة عنها ممَّا يوجب الإجابةَ.

(**وقال يحيىٰ**) بن هاشم (**الغَسَّاني**) السمسار: (**أصاب الناس قحطٌ في عهد داود ﷺ، فاختاروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا**) إلىٰ الصحراء (**حتىٰ يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلتَ في توراتك أن نعفو عمَّن ظلمنا، اللهم إنَّا قد ظلمنا أنفُسنا فاعْفُ عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أنْ نعتق أرقَّاءنا**) جمع رقيق (**اللهم إنَّا أرِقَّاؤك فأعتقْنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في التوراة أن لا نردَّ المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنَّا مساكينك وقفنا ببابك، فلا تردنا. فسُقوا**)[1] ودلَّ ذلك علىٰ أن الإقرار بخالص العبوديَّة والوقوف علىٰ باب المولىٰ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة ص ١١٤ (ط - مكتبة القرآن) بسياق آخر عن سعيد بن سنان الحمصي قال: أوحىٰ الله إلىٰ نبي من الأنبياء أن العذاب حائق، فذكر ذلك النبي لقومه، وأمرهم أن يخرجوا أفاضلهم فيتوبوا، فخرجوا، فأمرهم أن يخرجوا بثلاثة من أفاضلهم وفدا إلىٰ الله - أو قال: بوفادتهم إلىٰ الله - فخرجت الثلاثة أمام القوم، فقال أحد الثلاثة: اللهم إنك أمرتنا في =

بالاضطرار ممَّا يوجب الإجابةَ، وأن الزبور إنما نزل بعد التوراة.

(**وقال عطاء السلمي**) كذا في نسخ الكتاب، والصواب: السليمي، وهو من رجال الحلية[١]، روىٰ عن[٢] أنس بن مالك ولم يسند عنه شيئًا، ولقي الحسن وعبد الله بن غالب الحداني وجعفر بن زيد العبدي، وسمع منهم وحكىٰ عنهم، وممَّن روىٰ عنه: بشر بن منصور وحمَّاد بن زيد وصالح المُرِّي وغيرهم، وكان يسكن البصرة (**مُنعنا الغيث**) مرةً (**فخرجنا**) إلىٰ الصحراء (**نستسقي، فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر، فنظر إليَّ وقال: يا عطاء، أهذا يوم النشور أو بُعثر ما في القبور**)؟ كأنَّه لمَّا رأىٰ كثرة الناس وازدحامهم قال ذلك (**فقلت: لا، ولكنا مُنعنا الغيث فخرجنا نستسقي. فقال: يا عطاء**) خرجتم (**بقلوب أرضيَّة**) أي مشتغلة بالحظوظ الدنيوية، متلطِّخة بالآثام الدنيَّة (**أمْ بقلوب سماوية**) أي علوية (**فقلت: بل بقلوب سماوية**) يشير إلىٰ التوبة والإخلاص وصِدق التوجُّه مع الاضطرار (**فقال: هيهات يا عطاء! قلْ للمتبهرجين لا تتبهرجوا؛ فإنَّ الناقد بصير**) لا يقبل إلا طيِّبًا (**ثم رمق**) أي نظر إلىٰ (**السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي ومولاي، لا تهلك بلادَك بذنوب عبادك، ولكن**) أسألك (**بالمكنون من أسمائك**) أي المستور منها عن أبصار الغافلين (**وما وارَت الحُجُبُ من آلائك**) أي نِعَمك (**إلا ما سقيتنا ماءً غَدَقًا**) أي كثيرًا (**فراتًا يحيا به العِباد وتروىٰ به البلاد، يا مَن هو علىٰ كل شيء قدير**) فجمع في دعائه بين المراتب الثلاثة المذكورة آنفًا (**قال عطاء: فما استتمَّ الكلام**

= التوراة التي أنزلت علىٰ عبدك موسىٰ أن لا نرد السؤال إذا قاموا بأبوابنا، وإنا سؤال من سؤالك بباب من أبوابك، فلا ترد من سألك. وقال الثاني: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت علىٰ عبدك موسىٰ أن نعفو عمن ظلمنا، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثالث: اللهم إنك أمرتنا في التوراة التي أنزلت علىٰ عبدك موسىٰ أن نعتق أرقاءنا، وإنا عبيدك وأرقاؤك فأوجب لنا عتقا. فأوحىٰ الله إلىٰ النبي أنه قد قبل منهم وعفا عنهم.

(١) حلية الأولياء ٦/ ٢١٥ - ٢٢٦.

(٢) كذا هنا، والصواب: أدرك أنس بن مالك. كما في الحلية.

حتىٰ أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القِرَب) كناية عن الغزارة والكثرة (فولَّىٰ وهو يقول:

نِعم الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعيُن القريرة فيه)

وفي نسخة: الأعين العليلة. وفي أخرىٰ: الخليَّة حبًّا

(فانقضىٰ ليلُهم وهم ساهرونا)

وفي نسخة: وهم ساجدونا

(شغلتهم عبادةُ الله حتىٰ قيل في الناس إن فيهم جنونا)

يشير بذلك إلىٰ نفسه، حيث كان يُعرَف بالمجنون، وإنما هو الصاحي، والجنون في حب الله هو عين الصحو، ومن هنا قول الشيخ سيدي أحمد الرفاعي قُدِّس سره - ويُنسَب لغيره - في أبيات يقول فيها:

مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز لدىٰ أبوابه يسجد العقل

ووجدت هذه القصة في موضع آخَر من بعض المجامع، وفيه زيادة: وقال:

مَن عامَلَ اللهَ بتقواه وكان في الخلوة يخشاه

سقاه كأسًا من لذيذ الصفاء أغنتْه عن لذَّة دنياه[1]

---

(١) هذان البيتان رواهما أبو نعيم في حلية الأولياء ١٠/ ١٧٥ عن ذي النون المصري في آخر حكاية ذكر فيها أنه خرج حاجا فضل الطريق، فلقي شابا صالحا، فصحبه حتىٰ قدما مكة، ثم أنشأ الشاب يقول:

من عامل الله بتقواه وكان في الخلوة يرعاه

سقاه كأسا من صفا حبه تسلبه لذة دنياه

فما بعد الخلق وأقصاهم وانفرد العبد بمولاه

(وقال) عبد الله (ابن المبارك) رحمه الله تعالىٰ: (قَدِمت المدينةَ في عام شديد القحط، فخرج الناس يستسقون، وخرجت معهم؛ إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش) وهي ثياب من أردأ الكتَّان (قد ائتزر بإحداهما وألقىٰ الأخرىٰ علىٰ عاتقه، فجلس إلىٰ جنبي، فسمعته يقول) في دعائه: (إلهي، أخلقت الوجوهَ عندك) أي أبْلَتْها (كثرةُ الذنوب ومساوئ الأعمال، وقد احتبست عنا غيثَ السماء لتؤدِّب عِبادك بذلك، فأسألك يا حليمًا ذا أَناة، يا مَن لا يعرف عباده منه إلا الجميل، أن تسقيهم الساعة الساعة) أي هذه الساعة (فلم يَزَل يقول الساعة الساعة حتىٰ اكتست السماءُ بالغمام، وأقبل المطر من كل مكان. قال ابن المبارك: فجئت إلىٰ الفُضَيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ (فقال: ما لي أراك كئيبًا) أي محزونًا (فقلت: أمرٌ سبقنا إليه غيرُنا فتولاَّه دوننا، وقصصت عليه القصة، فصاح الفُضَيل وخرَّ مغشيًّا عليه[(١)]).

ويُروَىٰ أن عمر بن الخطاب ﵁ استسقىٰ بالعباس) بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ (فلمَّا فرغ عمر من دعائه) بأن قال: اللهم إنَّا كنا نتوسَّل إليك بنبيِّنا ﷺ فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعم نبيِّنا ﷺ فاسقنا (قال العباس) ﵁: (إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولن يُكشَف إلا بتوبة، وقد توجَّه القوم إليك بي لمكاني من نبيِّك ﷺ) يعني به قرب النسب (وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، وأنت الراعي، لا تهمل الضالَّة، ولا تَدَع الكسير) أي المكسور الظهر (بدار مَضْيَعة) أي ضياع (فقد ضرع الصغيرُ) أي حقر (ورقَّ الكبيرُ، وارتفعت الأصوات بالشكوىٰ، وأنت تعلم السر وأخفَىٰ، اللهم فأغثهم بغيثك) أي المطر (قبل أن يقنطوا فيهلكوا؛ فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال) الراوي: (فما أتمَّ كلامَه حتىٰ أرخت السماء مثل الجبال)[(٢)] قال حسَّان بن ثابت ﵁[(٣)]:

---

(١) هذا الأثر رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٤١٧ - ٤٢٠ بأطول من هذا السياق.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ١٠٣. وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦/ ٣٥٨.

(٣) لم أقف علىٰ هذه الأبيات في ديوان حسان بن ثابت.

سأل الخليفةُ إذ تتابع جدبُه فسُقوا الغمام بدعوة العباس

عم النبي وصِنْو والده الذي ورث الثناء بذاك دون الناس

أحيا المليكُ به البلادَ فأصبحت مخضرة الأجناب بعد الياس

وأصل القصة في البخاري[1] عن أنس بن مالك من غير ذِكر دعاء العباس رضي الله عنه، وقد انفرد البخاري بإخراجها.

(١) صحيح البخاري ١/ ٣١٨، ٣/ ٢٤.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وفضله

(قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾) [الأحزاب: ٥٦] معنىٰ الصلاة: العطف، وهو بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ إمَّا ثناؤه علىٰ العبد عند الملائكة - وهذا هو الأليق في تفسير صلاة الله علىٰ أنبيائه - وإمَّا كمال الرحمة، وبالنسبة إلىٰ غيره تعالىٰ الدعاء بخير، وبكون الصلاة بمعنىٰ العطف اتَّضح كل الاتِّضاح تعديتها بـ «علىٰ»، وإنما أكَّد السلام دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بوقوعها من الله وملائكته لدلالة ذلك علىٰ أنها من الشرف بمكان.

(ورُوي أنه ﷺ جاء ذاتَ يوم) منصوب علىٰ الظرفية لإضافته إلىٰ «يوم»، وهو -أي «ذات» - صلة (والبِشْر يُرَىٰ) وفي بعض النسخ: والبشرىٰ تُرَىٰ (في وجهه) وفي نسخة: علىٰ وجهه (فقال: إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال) لي: (أما ترضىٰ يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمَّتك صلاةً واحدة إلا صلَّيت عليه عشرًا، ولا يسلِّم عليك أحد من أمَّتك إلا سلَّمت عليه عشرًا)؟ قال العراقي[١]: رواه النسائي[٢] وابن حبَّان[٣] من حديث أبي طلحة بإسناد جيد.

(وقال ﷺ: مَن صلىٰ عليَّ صلَّت عليه الملائكة ما صلىٰ عليَّ) وفي بعض نسخ الدلائل: ما دام يصلي عليَّ (فليقلل عبدٌ من ذلك أو ليُكثِر) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ووقع في سائر نسخ الدلائل: عند ذلك أو ليُكثِر. وهو تصحيف،

---

(١) المغني ١/ ٢٦٣.

(٢) سنن النسائي ص ٢٠٨، ٢١١.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١٩٦.

واحتاج الشُّرَّاح إلىٰ تأويله فقالوا: المعنىٰ: عند صلاته، وأن تذكير الضمير باعتبار كونها عملاً[١]، فتأملْ.

قال العراقي[٢]: رواه ابن ماجه[٣] من حديث عامر بن ربيعة بإسناد ضعيف، والطبراني في الأوسط[٤] بإسناد حسن.

قلت: ورواه البيهقي[٥] من حديث عامر بن ربيعة بلفظ: «مَن صلىٰ عليَّ صلاةً صلَّت عليه الملائكة ما صلىٰ عليَّ، فليقلل عبد من ذلك أو ليُكثِر». وفي رواية له: «مَن صلىٰ عليَّ صلاةً صلىٰ الله عليه بها عشرًا، فليُكثِر عليَّ عبدٌ من الصلاة أو ليقلل». وعن أبي طلحة بلفظ: «مَن صلىٰ عليَّ واحدةً صلىٰ الله عليه عشرًا، فليُكثِر عبدٌ من ذلك أو ليقلل».

وروىٰ الطبراني في الكبير[٦] عن عامر بن ربيعة: «مَن صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلىٰ الله عليه[٧]، فأكثِروا أو أقِلُّوا». وهكذا رواه الحاكم في الكنىٰ.

---

(١) في مطالع المسرات بشرح دلائل الخيرات للقصري ص ٢٧: «(ما دام يصلي علي) هكذا في النسخ المعتمدة، وفي بعض النسخ: ما صلىٰ علي. و«ما» ظرفية مصدرية، أي مدة دوام صلاته علي، أو مدة صلاته علي، وذلك ظاهر (فليقلل عند ذلك أو ليكثر) الضمير في «يقلل» و «يكثر» عائد علىٰ «من»، والفعلان بالتضعيف في النسخ المعتمدة، و «عند» هنا ظرف زمان، والإشارة بذلك لمدة صلاة الملائكة علىٰ المصلي ما دام يصلي عليه ﷺ، والإشارة إلىٰ مدة صلاته هو، أي فليقلل عند صلاته منها أو ليكثر. والإشارة بذلك لهذه الأخبار، أي فليقلل عند سماعه لهذا، أي بعد أن سمعه وحصل له علمه، فأشار للقريب بما للبعيد».

(٢) المغني ١/ ٢٦٤.

(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ١٧٢.

(٤) المعجم الأوسط ٢/ ١٨٢.

(٥) شعب الإيمان ٣/ ١٢٦ - ١٢٧.

(٦) لم أقف عليه في كتب الطبراني، ولم يذكره الهيثمي في مجمع الزوائد. وقد رواه بهذا اللفظ: عبد الرزاق في المصنف ٢/ ٢١٥، ومن طريقه أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٨٠.

(٧) زاد أبو نعيم في الحلية: عشرا.

وروىٰ أحمد[١] عن عبد الله بن عمرو: «مَن صلَّىٰ عليَّ صلاةً صلىٰ الله عليه وملائكتُه بها سبعين صلاة، فليقلل عبدٌ من ذلك أو ليُكثِر».

وروىٰ أبو داود الطيالسي[٢] وأحمد[٣] وعبد بن حُمَيد[٤] والطبراني في الكبير[٥] وأبو نعيم في الحلية[٦] والضياء[٧] من حديثه[٨] بلفظ: «ما من عبدٍ يصلي عليَّ إلا صلَّت عليه الملائكة ما دام يصلي عليَّ، فليقلَّ العبدُ من ذلك أو ليُكثِر».

(وقال ﷺ: إن أَولىٰ الناس بي أكثرهم عليَّ صلاةً) هكذا في سائر نسخ الكتاب، وتبعه صاحب الدلائل[٩]، والرواية: إن أَولىٰ الناس بي يوم القيامة. والمعنىٰ[١٠]: أقربهم مني في القيامة وأحقهم بشفاعتي أكثرهم عليَّ صلاةً في الدنيا؛ لأن كثرة الصلاة عليه تدل علىٰ صِدق المحبة وكمال الوصلة، فتكون منازلهم في الآخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك.

قال العراقي[١١]: رواه الترمذي[١٢] من حديث ابن مسعود وقال: حسن غريب، وابن حبان[١٣].

---

(١) مسند أحمد ١١/ ١٧٨.

(٢) مسند الطيالسي ٢/ ٤٦٠.

(٣) مسند أحمد ٢٤/ ٤٥٧.

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٦٣.

(٥) ورواه أيضا في المعجم الأوسط ٢/ ١٨٢.

(٦) حلية الأولياء ١/ ١٨٠.

(٧) الأحاديث المختارة ٨/ ١٩٠.

(٨) يعني عامر بن ربيعة.

(٩) مطالع المسرات ص ٢٤ - ٢٥.

(١٠) التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ١/ ٣١٦.

(١١) المغني ١/ ٢٦٤.

(١٢) سنن الترمذي ١/ ٤٩٥.

(١٣) صحيح ابن حبان ٣/ ١٩٢.

قلت: وكذا رواه البخاري في التاريخ[١]. وقال ابن حبَّان: صحيح، وقال: إن لم يكن المراد بهم تُبَّاع الأثر وحَمَلة السنَّة فلا أدري مَن هم، أي لكثرة اشتغالهم بذكره صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه[٢].

(**وقال ﷺ: بحسب المؤمن من البخل**) الباء[٣] زائدة، أي يكفيه أو كافيه، وهو خبر مقدَّم، وقوله: (**أن أُذكَر عنده**) مبتدأ مؤخَّر (**فلا يصلي عليَّ**) وفي نسخ الدلائل: ولا يصلي، وفي بعض نسخها: ثم لا يصلي، وفي بعضها: فلم يصلِّ. وإنما كان ما ذُكر بخلاً لأن البخل منعُ الفضل والإمساك عن بذلِ ما ينبغي بذلُه شرعًا أو مروءةً، والشرع يقتضي ذلك والمروءةُ.

قال العراقي[٤]: رواه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا، والنسائي[٥] وابن حبان[٦] من حديث أخيه الحسين بن علي: «البخيل من ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ». ورواه الترمذي[٧] من حديث الحسين بن علي عن أبيه وقال: حسن صحيح.

قلت: وحديث الحسين بن علي أخرجه أيضًا أحمد[٨] والحاكم[٩] في الدعاء وقال: صحيح من رواية عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدِّه. وقد[١٠]

---

(١) التاريخ الكبير ٥/ ١٧٧.

(٢) عبارة ابن حبان: «في هذا الخبر دليل على أن أولى الناس برسول الله ﷺ في القيامة يكون أصحاب الحديث؛ إذ ليس من هذه الأمة أكثرة صلاة عليه ﷺ منهم».

(٣) مطالع المسرات ص ٢٦.

(٤) المغني ١/ ٢٦٤.

(٥) السنن الكبرى ٧/ ٢٩١، ٩/ ٢٨.

(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ١٩٠.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٥١٤.

(٨) مسند أحمد ٣/ ٢٥٨.

(٩) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٤٤.

(١٠) فتح الباري ١١/ ١٧٢. فيض القدير ٣/ ٢١٦ - ٢١٧.

أطنب إسماعيل القاضي في تخريج هذا الحديث في تأليف له، ولا ينقص عن درجة الحسن. وفي بعض روايات هذا الحديث: البخيل الذي من ذُكرت عنده. قال الطيبي[١]: الموصول الثاني مزيد مقحَم بين الموصول وصِلَته.

(وقال ﷺ: **أكثِروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة**) قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥] وابن حبان[٦] والحاكم[٧] وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري من حديث أوس بن أوس. وذكره ابن أبي حاتم [في العلل[٨]] وحكىٰ عن أبيه أنه حديث منكَر.

قلت: ورواه ابن ماجه[٩] من حديث أبي الدرداء بزيادة: «فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة». ورواه البيهقي[١٠] من حديث أنس بزيادة: «وليلة الجمعة، فمَن فعل ذلك كنتُ له شهيدًا وشافعًا يوم القيامة».

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن ٣/ ١٠٤٨.

(٢) المغني ١/ ٢٦٤.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٩.

(٤) سنن النسائي ص ٢٢٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ٢٩١، ٣/ ١٤٢.

(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ١٩١.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٠٤. ولفظ الحديث: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي. قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ فقال: إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». وليس عند أبي داود قوله (فيه خلق) إلىٰ قوله (الصعقة). ولا قوله (أن تأكل).

(٨) علل الحديث ١/ ١٥٢، ٢/ ٥٢٩.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ١٤٢، ولفظه: «أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة؛ فإنه مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدا لن يصلي لي إلا عُرضت علي صلاته حتىٰ يفرغ منها. قيل: وبعد الموت؟ قال: وبعد الموت، إن الله حرم علىٰ الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبي الله حي يرزق».

(١٠) شعب الإيمان ٤/ ٤٣٤.

(**وقال ﷺ: من صلىٰ عليَّ صلاةً من أمَّتي كُتبت له عشر حسنات، ومُحيت عنه عشر سيِّئات**) قال العراقي[(١)]: رواه النسائي في اليوم والليلة[(٢)] من حديث عُمَير بن نيار، وزاد فيه: «مخلصًا من قلبه صلىٰ الله عليه بها عشرَ صلوات، ورفعه بها عشر درجات». وله في السير[(٣)] ولابن حبان[(٤)] من حديث أنس نحوه دون قوله «مخلصًا من قلبه»، ودون ذِكر محو السيئات، ولم يذكر ابن حبان أيضًا رفع الدرجات.

قلت: حديث أنس رواه أحمد[(٥)] والبخاري في الأدب[(٦)] وأبو يعلي[(٧)] والحاكم[(٨)] والبيهقي[(٩)] والضياء[(١٠)] بلفظ: «مَن صلىٰ عليَّ [صلاة] واحدة صلىٰ الله عليه عشر صلوات، وحطَّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات». وروىٰ أحمد[(١١)] وابن حبان[(١٢)] من حديث أبي هريرة بلفظ: «مَن صلىٰ عليَّ مرة واحدة كتب الله له بها عشرَ حسنات». وروىٰ أحمد[(١٣)] ومسلم[(١٤)] وأبو داود[(١٥)] والترمذي[(١٦)]

---

(١) المغني ١/ ٢٦٤ - ٢٦٥.
(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣١.
(٣) السابق ٢/ ٧٧، ٩/ ٣٠، ٣١، ١٤٢.
(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٦.
(٥) مسند أحمد ١٩/ ٥٧، ٢١/ ٢٨٨.
(٦) الأدب المفرد ص ١٩٣.
(٧) مسند أبي يعلىٰ ٦/ ٣٥٤، ٧/ ٧٥.
(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤٥.
(٩) شعب الإيمان ٣/ ١٢٥.
(١٠) الأحاديث المختارة ٤/ ٣٩٥ - ٣٩٧.
(١١) مسند أحمد ١٢/ ٥٢٠، ٣/ ٧.
(١٢) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٧، ١٩٥.
(١٣) مسند أحمد ١٤/ ٤٤٤، ٤٦٦، ١٦/ ١٩٨.
(١٤) صحيح مسلم ١/ ١٩٣.
(١٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٩.
(١٦) سنن الترمذي ١/ ٤٩٦.

والنسائي[1] وابن حبان[2] عنه أيضا بلفظ: «مَن صلىٰ عليّ واحدةً صلىٰ الله عليه بها عشرًا». وهكذا رواه الطبراني في الكبير[3] عن ابن عمر وعن عبد الله بن عمرو وعن أبي موسىٰ وعن أنس عن أبي طلحة.

(**وقال ﷺ: من قال حين يسمع الأذان والإقامة: اللهم رب هذه الدعوة التامَّة والصلاة القائمة صلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك وأعطِه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة، حلَّت له شفاعتي**) قال العراقي[4]: رواه البخاري[5] من حديث جابر دون ذِكر الإقامة والشفاعة والصلاة علىٰ النبي ﷺ، وقال: النداء. وللمستغفري في الدعوات: حين يسمع الدعاء للصلاة. وزاد ابن وهب ذِكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف. وزاد الحسن بن علي المعمري في «اليوم والليلة» من حديث أبي الدرداء ذِكر الصلاة فيه، وله وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع: كان رسول الله ﷺ إذا سمع [الأذان] ... فذكر حديثًا فيه: وإذا قال: قد قامت الصلاة، قال: اللهم رب هذه الدعوة التامَّة ... الحديث، وزاد: وتُقبَل شفاعته في أمَّته. ولمسلم[6] من حديث عبد الله بن عمرو: «إذا سمعتم المؤذِّن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، ثم سَلُوا اللهَ لي الوسيلةَ». وفيه: «فمَن سأل لي الوسيلة حلَّت عليه شفاعتي».

قلت: حديث جابر الذي رواه البخاري لفظه: «مَن قال حين يسمع

---

(١) سنن النسائي ص ٢١١.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٧.

(٣) المعجم الكبير ٥/ ٩٩، ١٢/ ٣٣٣، ١٣/ ٦٥٠.

(٤) المغني ١/ ٢٦٥.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٠٨، ٣/ ٢٥٢.

(٦) صحيح مسلم ١/ ١٨٠، وتمام الحديث عنده: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلىٰ علي صلاة صلىٰ الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثْه مقامًا [محمودًا] الذي وعدتَه، حلَّت له شفاعتي يوم القيامة». وهكذا رواه أحمد[١] ومسلم[٢] وأصحاب السنن الأربعة[٣] وابن خزيمة[٤] وابن حبان[٥]. ورواه الدارقطني في الأفراد[٦] من حديثه بلفظ: «من قال إذا سمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة آتِ محمدًا الوسيلة وابعثْه المقعد المقرَّب الذي وعدتَه وجبت له الجنة[٧]». ورواه أحمد[٨] وابن السني[٩] والطبراني في الأوسط[١٠] من حديثه بلفظ: «مَن قال حين ينادي المنادي بالصلاة: اللهم ربَّ هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صلِّ علىٰ محمد، وارضَ عنه رضا لا سخط بعده أبدًا استجاب الله له دعوته».

(وقال ﷺ: مَن صلىٰ عليَّ في كتاب لم تَزَل الملائكة يستغفرون له ما دام اسمي في ذلك الكتاب) قال العراقي[١١]: رواه الطبراني في الأوسط[١٢] وأبو الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

قلت: ورواه أيضًا أبو القاسم التميمي في الترغيب[١٣] والخطيب في «شرف

---

(١) مسند أحمد ٢٣/ ١٢٠.

(٢) لم أقف عليه في صحيح مسلم.

(٣) سنن أبي داود ١/ ٤٠٣. سنن الترمذي ١/ ٢٥٢. سنن النسائي ص ١١٤. سنن ابن ماجه ٢/ ٤٩.

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٢٠.

(٥) صحيح ابن حبان ٤/ ٥٨٦.

(٦) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣١٧. كنز العمال ٧/ ٧٠٥.

(٧) في الكنز: وجبت له شفاعتي.

(٨) مسند أحمد ٢٢/ ٤٦١.

(٩) عمل اليوم والليلة ص ٧٨.

(١٠) المعجم الأوسط ١/ ٦٩.

(١١) المغني ١/ ٢٦٦.

(١٢) المعجم الأوسط ٢/ ٢٣٢.

(١٣) الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٠.

أصحاب الحديث»[١] وابن بشكوال[٢] بسند ضعيف. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات[٣]، وقال ابن كثير[٤]: إنه لا يصح. وفي لفظ لبعضهم: «لم تَزَل الملائكة تستغفر له». وفي آخر: «مَن كتب في كتابه ﷺ لم تَزَل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه»[٥]. وعن أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كتب عني علمًا فكتب معه صلاةً عليَّ لم يَزَل في أجر ما قُرئ ذلك الكتاب». وأخرجه الدارقطني وابن بشكوال[٦] من طريقه وابن عدي[٧]. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلىٰ عليَّ في كتاب لم تَزَل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». أخرجه أبو القاسم التيمي في ترغيبه[٨] ومحمد بن الحسن الهاشمي، وقال ابن كثير: لا يصح. وقال الذهبي: أحسبه موضوعًا. وقال الحافظ السخاوي: رُوي موقوفًا من كلام جعفر الصادق، قال ابن القيم[٩]: وهو الأشبه، يرويه محمد بن حمير عنه قال: مَن صلىٰ علىٰ رسول الله ﷺ في كتاب صلَّت عليه الملائكة غدوةً ورواحًا ما دام اسم رسول الله ﷺ في الكتاب[١٠]. نقله السخاوي في «القول البديع»[١١].

والكتاب أعمُّ من أن يكون كتاب علم يدرس فيه أو صحيفة يرسلها إلىٰ

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٦.

(٢) القربة إلىٰ رب العالمين بالصلاة علىٰ محمد سيد المرسلين لابن بشكوال ص ٥٣ (ط - دار الكتب العلمية).

(٣) الموضوعات ١/ ٢٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٧٧.

(٥) ذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١/ ٢٠٥ وعزاه للخطيب البغدادي.

(٦) القربة ص ٥٢.

(٧) الكامل في الضعفاء ٣/ ١١٠٠.

(٨) الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣١.

(٩) جلاء الأفهام ص ١١٤ (ط - عالم الفوائد).

(١٠) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/ ٣٨٥.

(١١) القول البديع ص ٣٥٥.

أخيه. والصلاة عليه فيه أعَمُّ من أن تكون بالكتابة أو بالنطق أو بالجمع بينهما وهو الأفضل.

وقد ذكر صاحب الدلائل[١] عن بعض الصالحين قال: كان لي جار نسَّاخ، فمات، فرأيته في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقلت: فبِمَ؟ فقال: كنت إذا كتبت اسم محمد ﷺ في كتاب صلَّيت عليه، فأعطاني ربِّي ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر.

قلت: وسيأتي لذلك مزيد بيان قريبًا.

(**وقال ﷺ: إن في الأرض ملائكة سَيَّاحينَ يبلغونني من أمَّتي السلام**) تقدَم الكلام عليه في آخر كتاب الحج.

(**وقال ﷺ: ليس أحد يسلِّم عليَّ إلا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتىٰ أردَّ عليه السلام**) قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] من حديث أبي هريرة بسند جيد.

(**وقيل: يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ فقال ﷺ: قولوا اللهم صلِّ علىٰ محمد عبدك وعلىٰ آل محمد وأزواجه وذرِّيته كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، وبارِكْ علىٰ محمد وأزواجه وذريَّته كما باركتَ علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد**) قال العراقي[٤]: متفق عليه[٥] من حديث أبي حميد الساعدي.

قلت: لفظ الشيخين: «اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ أزواجه وذرِّيته كما صلَّيت علىٰ آل إبراهيم، وبارِكْ علىٰ محمد وأزواجه وذريَّته كما باركتَ علىٰ آل

(١) دلائل الخيرات للجزولي بشرح الشرنوبي ص ٦.
(٢) المغني ١/ ٢٦٦.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ٥٣٩.
(٤) المغني ١/ ٢٦٦.
(٥) صحيح البخاري ٢/ ٤٦٦، ٤/ ١٦٤. صحيح مسلم ١/ ١٩٢.

إبراهيم، إنك حميد مجيد». وهكذا رواه مالك[١] وأحمد[٢] وأبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥]. وقد رُوي مثل ذلك عن كعب بن عجرة، رواه المذكورون خلا مالكًا[٦] بلفظ: «قولوا اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارِكْ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركتَ علىٰ إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ورواه كذلك عبد الرزاق في المصنَّف[٧] وابن حبَّان في الصحيح[٨]. ورواه النسائي[٩] وحده عن طلحة أحد العشرة. ورواه عبد الرزاق[١٠] عن محمد بن عبد الله بن زيد بلفظ: «قولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما صلَّيت علىٰ إبراهيم، وبارِكْ علىٰ محمد كما باركتَ علىٰ إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد. والسلام كما علمتم». وقد رُوي في الباب عن أبي سعيد وغيره.

فصل: اعلمْ[١١] أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ تتضمَّن ثوابًا عظيمًا، منها: أنها توجب الشفاعةَ، أخرج الطبراني في الكبير[١٢] عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال

---

(١) الموطأ ١/ ١٦٥.

(٢) مسند أحمد ٣٩/ ١٣.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٥٥.

(٤) سنن النسائي ص ٢١٠.

(٥) سنن ابن ماجه ٢/ ١٧١.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٤٦٧، ٣/ ٢٨٠، ٤/ ١٦٣. صحيح مسلم ١/ ١٩١. سنن أبي داود ٢/ ٥٤. سنن النسائي ص ٢٠٩. سنن ابن ماجه ٢/ ١٧٠. مسند أحمد ٣٠/ ٣٠، ٣٣، ٥٢، ٥٨.

(٧) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٢١٢.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ١٩٣، ٥/ ٢٨٦، ٢٩٥.

(٩) سنن النسائي ص ٢١٠.

(١٠) مصنف عبد الرزاق ٢/ ٢١٣.

(١١) الأزهية للزركشي ٨٤ - ٨٩.

(١٢) المعجم الكبير ٥/ ٢٦.

رسول الله ﷺ: «من قال: اللهم صلِّ علىٰ محمد وأنزِلْه المقعد المقرَّب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي». وأخرج أيضًا من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلىٰ عليَّ حين يصبح عشرًا وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي [يوم القيامة]»(١). وقد تقدَّم شيء من ذلك قريبًا.

ومنها: أنها توجب الجنةَ، روىٰ ابن الغازي(٢) من حديث الحكم بن عطية عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن صلىٰ عليَّ في يوم ألف مرة لم يمُت حتىٰ يرىٰ مقعده من الجنة». قال الضياء المقدسي في كتاب «الصلاة علىٰ النبي ﷺ»: لا أعرفه إلا من حديث الحكم، وقال الدارقطني: أحاديث الحكم لا يُتابَع عليها(٣). وقال أحمد: لا بأس به(٤). ورُوي عن يحيىٰ بن معين أنه قال: هو ثقة(٥).

ومنها: أنها تكفي الهم وتغفر الذنب، أخرج الترمذي(٦) عن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع(٧) الليل قام فقال: «يا أيها الناس، اذكروا الله [اذكروا الله] جاءت الراجفة تتبعها الرادفةُ، جاء الموت بما فيه، جاء الموت جاء الموت(٨)». قال أبيٌّ: [قلت]: يا رسول الله، إني أُكثِر الصلاةَ عليك، فكم أجعل

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٣ وقال: «رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد، ورجاله وثقوا».

(٢) وكذلك ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال ص ١٤.

(٣) في الأزهية: حدَّث عن ثابت أحاديث لا يتابع عليها. وكلام الدارقطني هذا في كتابه تعليقات علىٰ كتاب المجروحين لابن حبان ص ٧٥.

(٤) بعده في الأزهية: إلا أن أبا داود الطيالسي روىٰ عنه أحاديث منكرة.

(٥) انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٣/ ١٢٥ - ١٢٦.

(٦) سنن الترمذي ٤/ ٢٤٥.

(٧) في سنن الترمذي: ثلثا.

(٨) في سنن الترمذي والأزهية: (جاء الموت بما فيه). بدل قوله: جاء الموت جاء الموت.

لك من صلاتي؟ قال: «ما شئتَ». قلت: الربع؟ قال: «ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خير [لك». قلت: النصف؟ قال: «ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خير لك»] قلت: الثلثين؟ قال: «ما شئتَ، فإن زدتَ فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلَّها؟ قال: «إذًا تُكفَىٰ همك ويُغفَر لك ذنبك». وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في مستدركه[١] وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في معجمه، وفُسِّر الصلاة فيه بالدعاء. وكذلك أوَّله النُّمَيري في كتاب الإعلام، وأورده بلفظ: «أجعل ثلث دعائي لك». وكان[٢] لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبيَّ ﷺ: هل يجعل له منه ربعه صلاةً عليه ﷺ، فقال: «إن زدتَ فهو خيرٌ لك» إلىٰ أن قال: أجعل لك صلاتي كلَّها؟ أي دعائي كله صلاةً عليك؛ لأن من صلىٰ عليه [صلاة] صلىٰ الله تعالىٰ عليه [بها عشرًا] ومن صلىٰ الله تعالىٰ عليه كُفي همه وغُفر ذنبه.

وأخرج ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة[٣] عن أبي منظور عن أبي معاذ عن أبي كاهل قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا كاهل، من صلىٰ عليَّ كل يوم ثلاث مرات [وكل ليلة ثلاث مرات] حبًّا بي وشوقًا إليَّ كان حقًّا علىٰ الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم».

ومنها: أنها تنفي الفقر، روىٰ أبو نعيم[٤] من حديث جابر بن سَمُرة [عن أبيه] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كثرة الذِّكر والصلاة علىٰ النبي ﷺ تنفي الفقرَ».

ومنها: أنها تقضي الحوائج، روىٰ[٥] أبو موسىٰ أحمد بن موسىٰ الحافظ من

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٤٩٦.

(٢) من هنا إلىٰ آخر الفقرة نقله ابن القيم في جلاء الأفهام ص ٧٦ (ط - عالم الفوائد) عن تقي الدين ابن تيمية.

(٣) الصلاة علىٰ النبي ص ٤٩.

(٤) معرفة الصحابة ٣/ ١٤١٣، ولفظه: «كثرة الذكر لي والصلاة عليَّ تنفي الفقر».

(٥) بعده في الأزهية: «قالوا: وكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ الآية، اللهم صل عليه، حتىٰ تعد مائة مرة».

حديث أبي سهل بن مالك عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلىٰ عليَّ مائة صلاة حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم قضىٰ الله له مائة حاجة، عجَّلَ له منها ثلاثين حاجة، وأخَّرَ له سبعين، وفي المغرب مثل ذلك». ورواه ابن منده من طريق أبي بكر الهُذَلي عن محمد بن المنكدر عن جابر نحوه(١)، وهو حديث حسن.

فصل: سُئل(٢) المصنِّف رحمه الله تعالىٰ: ما معنىٰ قوله ﷺ: «من صلىٰ عليَّ واحدة صلىٰ الله عليه عشرًا»؟ وما معنىٰ صلاة الله علىٰ من صلىٰ عليه؟ وما معنىٰ صلواتنا عليه؟ وما معنىٰ استدعائه من أمَّته الصلاةَ عليه؟ أيرتاح لذلك أمْ هو شفقة علىٰ الأمَّة؟

فأجاب: أمَّا صلاة الله علىٰ نبيِّه وعلىٰ المصلِّين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم [عليهم] وأمَّا صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة، ورغبة في إفاضتها عليه، كقول القائل: غفر الله له ورحمه؛ فإنَّ ذلك يختصُّ بالرحمة وطلب العفو بالستر، ولذلك تختصُّ الصلاة به، ودونه قولك: رضي الله عنه. فتختص الصلاة بالأنبياء، وطلب الترضِّي بالصحابة والأولياء والعلماء، وطلب الرحمة والمغفرة للعوامِّ. وأمَّا استدعاؤه الصلاة من أمَّته فلثلاثة أمور:

---

(١) ولفظه: «من صلىٰ عليَّ في كل يوم مائة مرة قضىٰ الله له مائة حاجة، سبعين منها لآخرته، وثلاثين منها لدنياه».

(٢) الأزهية ص ٩٠ - ٩١. الدر المنضود في الصلاة والسلام علىٰ صاحب المقام المحمود لابن حجر الهيتمي ص ٥٠ - ٥٢ (ط - دار المنهاج بجدة). وقد قام محققا كتاب الأزهية بحذف غالبية كلام الغزالي، وعلَّلا ذلك بأن فيه ألفاظا صوفية لها دلالات قبيحة وتعابير علىٰ غير طريقة أهل الحديث، مع انعدام الفائدة فيها. قلت: وهذا يخالف الأمانة العلمية، كما أنه اعتداء علىٰ حق القارئ في الاطلاع علىٰ نصوص العلماء، والواجب علىٰ المحقق أن يقدم نص المؤلف كما هو، لا كما يشتهيه المحقق، فإن كان في كلام المؤلف خلل فليبينه المحقق في حاشية الكتاب، ولو فُتح باب التصرف في نصوص الكتب لترتب عليه مفاسد كثيرة.

أحدهما: أن الأدعية مؤثِّرة في استدرار فضل الله ونعمته ورحمته لا سيَّما في الجمع الكثير كالجمعة وعرفات والجماعات؛ فإنَّ الهِمَم إذا اجتمعت وانصرفت إلىٰ طلب ما في الإمكان وجوده علىٰ قرب كالمطر ورفع الوباء وغيره فاضَ ما في الإمكان من الفيض الحق بوسائط الروحانيات المترشِّحين لتدبير العالَم الأسفل، المقيمين لتفقُّدهم وإنما أثرت الهمم لِما بين الأرواح البشرية والروحانيات العالية من المناسبة الذاتية؛ فإنَّ هذه الأرواح مجانِسة لتلك الجواهر، وإنما يقطع مجانستَها التدنُّس بكدورات الشهوات، ولذلك تكون همَّة القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيرًا، وتكون في حالة التضرُّع والابتهال أنجح؛ لأن حرقة التضرُّع تذيب كدورات الشهوات عن القلب في الحال وتصفِّيه وتكشفه من الظلمة(١)، ولذلك قلَّما يخطئ دعاءُ الجمع، ولا يخلو الجمع من قلوب طاهرة يزيدها التعاون تأثيرًا [دائمًا] وإنما كان يوم الجمعة وقتًا يُستجاب فيه الدعاء منهم لأن الحال الذي يجتمع فيه علىٰ قلوب صافية واحد لا يُدرَىٰ متي هو(٢)، لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه، وهو وقت النفحات التي يُتعرَّض لها، وربما كان اجتماع الهِمَم يوم الجمعة عند الأسباب الجامعة كابتداء الخطبة وابتداء الصلاة، وكأنَّ الصلاة أَولىٰ، لكن الأولىٰ أن لا يجزم القول بتعيين وقته بل يبهم، ولذلك تُتوقَّع تلك النفحات في الأسحار؛ لصفاء القلوب، فإذا كانت الأدعية مؤثِّرة في استجلاب مزايا الفضل وكان ما وُعد به رسول الله ﷺ من الحوض ومرتبة الشفاعة وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود علىٰ وجه لا تُتصوَّر الزيادة فيها، فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات.

الأمر الثاني: ارتياحه به، كما قال ﷺ: «إني أباهي بكم الأمم»، وكما لا يبعُد أن يطَّلع النائم منه علىٰ الغيب من أحوال الموتىٰ مع كوننا في هذا العالَم المظلم،

---

(١) في الدر المنضود: أو تضعفها وتكسر من ظلمتها.

(٢) في الدر المنضود: «وإنما كان في يوم الجمعة وقت مبهم يستجاب فيه الدعاء لأن اجتماع القلوب الصافية فيه في وقت واحد مبهم لا يدري متىٰ يتفق».

فلا يبعُد أن تحصل للأرواح معرفة بمجاري أحوالنا، مع أنهم في عالَم القدس والصفاء ودار الحيوان، ووجه اطِّلاع النائم علىٰ أحوال الموتىٰ واطِّلاع الموتىٰ علىٰ أحوال الناس يطول ذِكرُه(١).

الثالث: الشفقة علىٰ الأمَّة بتحريضهم علىٰ ما هو حسنة في حقِّهم وقُربة لهم، وإنما تضاعف الصلوات لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات؛ إذ فيها تجديد الإيمان بالله أولاً، ثم بالرسول ثانيًا، ثم بتعظيمه ثالثًا، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعًا، ثم بتجديد الإيمان باليوم الآخِر وأنواع كراماته خامسًا، ثم بذكر آله سادسًا، وعند ذِكر الصالحين تنزل الرحمة، ثم بتعظيم آله بنسبتهم إليه سابعًا، ثم بإظهار المودَّة لهم ثامنًا، ولم يسأل ﷺ من أمَّته [أجرًا] إلا المودَّة في القربىٰ، ثم بالابتهال والتضرُّع في الدعاء تاسعًا، والدعاء مخ العبادة، ثم بالاعتراف عاشرًا بأن الأمر كله لله، وأن النبي وإن جلَّ قدرُه فهو [عبد] محتاج إلىٰ رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فهذه عشر حسنات، سوىٰ ما ورد الشرعُ به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها

---

(١) نص الدر المنضود: «الأمر الثاني: ارتياحه به، كما قال ﷺ: إني أباهي بكم الأمم. كما يرتاح العالم في مدة الحياة بكثرة تلامذته وكثرة ثنائهم وثنائهم ودعائهم الدال علىٰ رشدهم وعلىٰ كمال تأثير إرشاده فيهم وعلىٰ كمال محبتهم له بسبب إرشاده إياهم، فكذلك الأنبياء عليهم السلام يرتاحون، ولا يبعد أن يكون لهم جزء في الدعاء والصلاة مع سقوط الحواس الخمس، فليس الإدراك محصورا فيها، بل في القلب باب مفتوح في الباطن إلىٰ الملكوت تغلقه الشواغل والشهوات، وربما يفتحه الندم الدافع لهما حتىٰ يطلعه علىٰ الغيب بل علىٰ أحوال الموتىٰ حتىٰ يعرف ما يفعل الله بهم من عقوبة أو رحمة، فإذا لم يبعد أن تحصل لنا معرفة بأحوالهم مع انغماسنا في هذا العالم المظلم لم يبعد أن تحصل لهم معرفة بمجاري أحوالنا، مع أنهم في عالم القدس والصفاء ودار الحيوان، ولاطلاع النائم علىٰ أحوال الموتىٰ واطلاعهم علىٰ أحوال الناس ما يطول ذكره، ولكن أصله أن في الموجودات الروحانيات موجودا جميع تفاصيل الأمور الجزئية مما كان وسيكون منقوشة فيه، لا نقشا يدرك بالحس الظاهر بل كنقش القرآن في دماغ المقرئ، ويعبر عن ذلك باللوح المحفوظ أو الكتاب، ويستعد قلب النائم بسبب النوم لمطالعة ذلك اللوح، فيتجلىٰ له من الأمور المستقبلة وأحوال الموتىٰ شيء خاص بسبب حصول استعداده ومناسبة لا يوقف عليها بالقوة البشرية».

وأن السيِّئة بمثلها فقط، وسرُّه أن الجوهر الإنساني [بطبعه] حنَّان إلىٰ ذلك العالَم العلوي [لأنه مقتبس منه] وهبوطه إلىٰ العالَم الجسماني غريب عن طبعه، والسيِّئة تبطِّئه عن الترقِّي إلىٰ ذلك العالَم علىٰ خلاف طبعه، والحسنة ترقِّيه إلىٰ موافقة الطبع والقوة التي تحرِّك الحجر إلىٰ فوق [ذراعًا واحدًا] هي نفسها إن استُعملت في تحريكه إلىٰ أسفل تحرَّك عشرة أذرع أو زيادة، فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضِعف. ا.هـ.

ولمَّا فرغ المصنِّف من ذِكر فضيلة الصلاة عليه ﷺ شرع في ذِكر فضله ﷺ. ولنقدِّم قبل ذلك كلامًا مختصرًا يكون كالتتمَّة لِما يذكره المصنِّف، فأقول: من فضائله ﷺ أن الله تعالىٰ أقسم بحياته ولم يقسم بحياة نبيٍّ قبله فقال ﷻ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢] وأيَّده بالملائكة، وقرن اسمه مع اسمه، ورفع ذِكره في التأذين مع ذكره ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] وأعطاه اسمين من أسمائه فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ الآية [النساء: ١٠٥] فجعل الأمر إليه؛ لطهارته عند الله وأمانته علىٰ عباده، ووضع به الأغلال والآصار التي كانت عليهم فقال: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وجعله رحمة للعالمين والأمان من المسخ والقوارع والعذاب، وخاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوَّة والرسالة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ وقال أنس ﵁: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي لشيء صنعتُه لِمَ صنعتَه؟ ولا قال لي لشيء تركتُه لِمَ تركتَه؟ وكان أحسن الناس خُلُقًا، وما مسستُ شيئًا قط ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت ريحًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ويروىٰ[1] عن أبي سعيد الخُدْري ﵁ أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعقل

(١) الرسالة القشيرية ص ٢٦٧.

البعير، ويعلف الناضح، ويقُمُّ البيتَ، ويخصف النعل، ويرقِّع الثوب، ويحلب الشاة، ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا، وكان لا يحمله الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلىٰ أهله، وكان يصافح الغني والفقير، ويسلِّم مبتدئًا، وكان لا يستحي إذا دُعي، ولا يحتقر ما دُعي إليه ولو إلىٰ حشف التمر، وكان هيِّن المؤنة، ليِّن الخُلُق [كريم الطبيعة] جميل المعاشَرة، طلق الوجه، بسَّامًا من غير ضحك [محزونًا من غير عبوسة] متواضعًا من غير مذلَّة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب، دائم الإطراق، رحيمًا بكل مسلم، لم يتجشَّأ قط من شبع، ولا مدَّ يده إلىٰ طمع، ﷺ.

(ويُروَىٰ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه **سُمع بعد موت رسول الله** ﷺ **يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جِذْع)** بالكسر: ساق النخلة **(تخطب الناسَ عليه)** كان ﷺ يضع يده الكريمة عليه عند خطبته **(فلمَّا كثُر الناس اتَّخذتَ منبرًا)** من خشب الغابة بثلاث درج **(لتُسمِعهم)** الخطبة **(فحنَّ الجذع لفراقك)** حنينًا بيِّنًا سمعه مَن حضر. والحنين: صوت المتألِّم المشتاق[1]، واللام تعليلة، ويصح جعلُها وقتيَّة بمعنىٰ «عند» **(حتىٰ جعلتَ يدك عليه)** تسكينًا له **(فسكن)** فهذا الجذع - وهو خشب - وقد حنَّ **(فأمَّتك كانت أَولىٰ بالحنين إليك لمَّا فارقتَهم)** قال العراقي[2]: هو غريب بطوله من حديث عمر، وهو معروف من أوجُه أُخَر، فحديث حنين الجِذع متفق عليه[3] من حديث جابر وابن عمر **(بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن جعل طاعته فقال** عز وجل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وأوعد مَن خالفه بالعذاب **(بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال** عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾**)** [التوبة: ٤٣] وهذا فيه

---

(١) في إرشاد الساري ٢/ ١٨١: «صوت المتألم المشتاق عند الفراق».

(٢) المغني ١/ ٢٦٦ - ٢٦٧.

(٣) صحيح البخاري ١/ ٣٩١، ٢/ ٨٧، ٥٢٥. وحديث حنين الجذع لم يروه مسلم في صحيحه.

تأنيس لخاطره؛ إذ لولا تقدُّم العفو لانشقَّت مرارته؛ فإنَّ الحبيب لا يتحمَّل عتاب الحبيب لولا أن يكون ممزوجًا بما يؤانسه **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء)** وجودًا **(وذكرك في أولهم، فقال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] **الآية)** فذكره معهم في أخذِ المواثيق **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودُّون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها)** ودَرَكاتها **(يعذَّبون)** بأنواع العذاب (﴿يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾﴾) [الأحزاب: ٦٦] إذ كانت نجاتهم من هذا العذاب في طاعته واتِّباعه **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان موسىٰ بن عمران)** عَلَيْهِ السَّلَامُ **(أعطاه الله)** أن ضرب بعصاه **(حجرًا)** فصار **(تتفجَّر منه الأنهار)** وتنبجس منه العيون الغِزار **(فما ذلك بأعجب من أصابعك)** الكريمة **(حين نبع منها الماء)** متفق عليه[1] من حديث أنس وغيره **(صلىٰ الله عليك. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان سليمان بن داود)** عليهما السلام **(أعطاه الله الريح)** أي سخَّرها له **(غدوُّها شهر، ورَواحها شهر)** أي مسيرة شهر **(فما ذلك بأعجب من البُراق)** وهي[2] دابَّة نحو البغل تركبه الرسل عند العروج إلىٰ السماء **(حين سريت عليه)** راكبًا إلىٰ السماء الدنيا ثم **(إلىٰ السماء السابعة)** ثم منها إلىٰ الرفرف الأعلىٰ حيث يسمع صريف الأقلام **(ثم صلَّيت الصبح من ليلتك)** مع أهلك **(بالأبطح)** وهو الموضع المعروف بالمحصَّب. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس[3] دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح **(صلىٰ الله عليك. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان عيسىٰ بن مريم)** عَلَيْهِ السَّلَامُ **(أعطاه الله إحياء الموتىٰ)** معجزةً له **(فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة)** التي سمَّتها يهودية **(حين كلَّمتك)** الشاةُ **(وهي مشوية وقالت**

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٧٦، ٨٥، ٢/ ٥٢١ - ٥٢٣، ٤/ ٢٢. صحيح مسلم ٢/ ١٠٨١.

(٢) المصباح المنير ١/ ٣٠.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٨٥ - ٨٧. وذكر البراق رواه البخاري ٢/ ٤٢٣، ٣/ ٦٣ من حديث أنس عن مالك بن صعصعة.

لك الذراع: لا تأكلني فإني مسمومة) رواه أبو داود[١] من حديث جابر، وفيه انقطاع **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد دعا نوح)** عليه السلام **(على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ﴾)** أي لا تترك (﴿عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾) [نوح: ٢٦] أي ساكن دار **(ولو دعوتَ علينا)** دعوة **(مثلها لهلكنا كلنا، فلقد وُطئ ظهرك)** حين كان يصلي تحت الميزاب، فأتاه عُقْبة بن أبي معيط الشقي بسلىٰ جَزُور ووضعه علىٰ ظهره ورقبته **(وأُدمِيَ وجهك)** بسهم أصابه **(وكُسرت رباعيتك)** وهو علىٰ وزان الثمانية: التي بين الثنية والناب، والجمع: رباعيات، بالتخفيف أيضًا. والإدماء والكسر متفق عليه[٢] من حديث سهل بن سعد في غزوة أُحُد **(فأبيت أن تقول إلا خيرًا فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)** رواه البيهقي في دلائل النبوة[٣]، والحديث في الصحيح[٤] عن ابن مسعود أنه ﷺ حكاه عن نبيٍّ من الأنبياء ضربه قومه **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد اتَّبعك في قلة سِنيك)** يشير إلىٰ المدة؛ فإنها نحو عشر سنوات، كمُل فيها الدينُ وتم نظامُه المتين **(وقِصَر عمرك)** وهو ثلاثة وستون سنة **(ما لم يتَّبع نوحًا في كثرة سِنيه وطول عمره)** وهو ألف سنة إلا خمسين عامًا **(ولقد آمن بك الكثير)** في هذه المدة القليلة نحو مائة ألف وأربعة عشر ألفًا، وهذا القَدْر هو الذي مات عنهم ﷺ، كما قاله أبو زُرعة وغيره، وكأنَّ المراد به مَن حضر، وأمَّا مَن غاب فلا يحصيهم إلا الذي خلقهم **(وما آمن معه)** أي مع نوح عليه السلام **(إلا قليل. بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لو لم تجالس إلا كفؤًا لك)** أي نظيرًا أو مشابهًا **(ما جالستَنا، ولو لم تنكح إلا كفؤًا لك ما نكحت إلينا، ولو لم تؤاكل إلا كفؤًا لك ما واكلتنا، فلقد والله واكلتنا وجالستنا ونكحت إلينا)** أي كل ذلك تفضُّلاً منه ﷺ وكرمًا وحِلمًا؛ أمَّا المجالَسة فهو ﷺ كان يجالس أصحابه ويؤانسهم في أغلب الأوقات،

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ١٣٩. وفي سنده انقطاع؛ لأن ابن شهاب الزهري لم يدرك جابرا.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣٣٣، ٣٣٥، ٣/ ١٠٩. صحيح مسلم ٢/ ٨٦١.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٢١٥.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٤٩٩، ٤/ ٢٨٠. صحيح مسلم ٢/ ٨٦٢.

وأمَّا المؤاكلة فكان يؤاكلهم ويلاطف معهم في الأكل، وأمَّا المناكحة فقد تزوج عائشة بنت الصِّدِّيق وحفصة ابنة عمر ﵄، وكل ذلك مشهور في الكتب **(ولبست الصوف)** رواه أبو داود [الطيالسي][(١)] من حديث سهل بن سعد، وابن عساكر[(٢)] من حديث أبي أيوب **(وركبت الحمار، وأردفتَ خلفك)** متفق عليه[(٣)] من حديث أسامة بن زيد **(ووضعت طعامك على الأرض)** رواه أحمد في الزهد[(٤)] من حديث الحسن مرسَلاً. وللبخاري[(٥)] من حديث أنس: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط. قاله العراقي. قلت: وروى ابن سعد في الطبقات[(٦)] عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك عن سفيان أن الحسن قال: لمَّا بعث الله محمدًا ﷺ قال: هذا نبيِّي، هذا خياري، ائتسوا به ... ثم ذكر الحديث، وفيه: يجلس بالأرض، ويأكل طعامه بالأرض، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف بعده، ويلعق أصابعه، وكان يقول: مَن رغب عن سنَّتي فليس مني. وروى أيضًا من حديث أنس قال: كان ﷺ يقعد على الأرض، ويأكل على الأرض، ولقد رأيتُه يوم خيبر على حمار خطامه من ليف[(٧)]. وروى عنه من وجه آخَر أنه ﷺ كان يركب الحمار، ويردف بعده.

---

(١) مسند الطيالسي ٢/ ٣٠٥، ولفظه: توفي رسول الله ﷺ وله جبة صوف في الحياكة.

(٢) تاريخ دمشق ٤/ ٧٧، ولفظه: «كان رسول الله ﷺ يلبس الصوف، ويخصف النعل، ويركب الحمار، ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني».

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٣٥٥، ٣/ ٢١٢، ٤/ ٢٨، ٨٣، ١٢٩، ١٤١. صحيح مسلم ٢/ ٨٦٥.

(٤) الزهد ص ٩، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام أمر به فألقي على الأرض وقال: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد».

(٥) صحيح البخاري ٣/ ٤٣٣، ٤٣٨، ٤/ ١٨٢.

(٦) الطبقات الكبرى ١/ ٣١٨ - ٣٢٠.

(٧) هذان حديثان أدمجهما الشارح في سياق واحد باختصار: الأول: من طريق مسلم الأعور عن أنس قال: كان النبي ﷺ يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويأتي دعوة المملوك، ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف. الثاني: من طريق حبيب بن أبي ثابت عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقعد على الأرض، ويأكل على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويقول: «لو دعيت إلى ذراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ كراع لقبلت»، وكان يعقل شاته.

وروىٰ عن حمزة بن عبد الله بن عُتْبة: كان ﷺ يركب الحمار عريًّا ليس عليه شيء (ولعقت أصابعك تواضعًا منك. صلىٰ الله عليك وسلم) رواه مسلم[(١)] من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك ﭬ. قاله العراقي. قلت: ورواه ابن سعد من مرسَل الحسن، كما تقدَّم قريبًا.

ولمَّا فرغ المصنِّف رحمه الله تعالىٰ من ذكر فضله ﷺ رجع إلىٰ بيان فضل مَن صلىٰ عليه في كتاب له، فقال: (**وقال بعضهم**[(٢)]: **كنت أكتب الحديث وأصلي علىٰ النبي ﷺ فيه ولا أسلِّم**) أي كان يكتب «صلىٰ الله عليه» فقط (**فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أما تتم الصلاةَ عليَّ في كتابك**)؟ أي فعاتبني علىٰ ترك السلام في الصلاة عليه (**فما كتبتُ بعد ذلك**) اسمه الشريف أو وصفه أو خُلُقًا من أخلاقه (**إلا صلَّيت وسلَّمت عليه**) أي جمعت بينهما في الكتابة، فليحذر الكاتب من ذلك، ومنهم من يشير إلىٰ هذه الجملة بالصاد المقطوعة، وليس بمحمود. ومنهم من يكتب هكذا «صلعم» يشير به إلىٰ الصلاة والسلام، وهو أشد منعًا، وقد رأيت ذلك كثيرًا في كتب العجم، والأفضل فيه ما ذكرتُ، أو يقول: عليه الصلاة والسلام، أو يقتصر علىٰ قوله: عليه السلام. ثم رأيت في «القول البديع»[(٣)] للحافظ السخاوي قال: وأمَّا الصلاة عليه عند كتابة اسمه ﷺ وما فيه من الثواب وذم مَن أغفله، فاعلمْ أنه كما تصلي عليه بلسانك فكذلك خُطَّ الصلاةَ عليه ببنانك مهما كتبتَ اسمه الشريف في كتاب؛ فإنَّ لك به أعظم الثواب، وهذه فضيلة يفوز بها تُبَّاع الآثار ورواة الأخبار وحَمَلة السنَّة، فيا لها من منَّة. وقد استحبَّ العلماء أن يكرِّر الكاتب الصلاة علىٰ النبي ﷺ كلَّما كتبه. قال ابن الصلاح[(٤)]: ينبغي أن يحافظ علىٰ كتابة الصلاة

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩٧٥ - ٩٧٧.

(٢) هو حمزة بن محمد الكناني الحافظ، كما رواه عنه أبو طاهر السلفي في كتاب الوجيز في ذكر المُجاز والمجيز ص ٦٣، ٩٠ (ط - مكتبة دار الإيمان بالمدينة المنورة).

(٣) القول البديع ص ٣٥٣ - ٣٦١.

(٤) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ص ١٨٨ - ١٨٩.

والتسليم علىٰ رسول الله ﷺ عند ذكره، ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكراره؛ فإنَّ ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجَّلها طلبة الحديث وكَتَبته، ومَن أغفل ذلك حُرم حظًّا عظيمًا، وقد روينا لأهل ذلك منامات صالحة، وما يكتبه من ذلك فهو دعاء يثبته لا كلام يرويه، فلذلك لا يتقيَّد فيه بالرواية، ولا يقتصر فيه علىٰ ما في الأصل، وكذا الأمر في الثناء علىٰ الله سبحانه عند ذكر اسمه، نحو «عَزَّوَجَلَّ» و«تبارك وتعالىٰ» وما ضاهَىٰ ذلك. قال: ثم ليتجنَّب في إثباتها نقصين: أن يكتبها منقوصة صورةً رامزًا إليها بحرفين أو نحو ذلك. يعني كما يفعله الكسالىٰ والجهلة وعوامُّ الطلبة، فيكتبون صورة «صلعم» بدلاً عن «ﷺ». والثاني: أن يكتبها منقوصة معنًىٰ بأن لا يكتب فيها «وسلَّم»، وإن وُجد ذلك في خط بعض المتقدِّمين.

ثم قال الحافظ السخاوي: ورُوي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر، فيقول الله لهم: أنتم أصحاب الحديث، طالما كنتم تكتبون الصلاة علىٰ نبيِّي ﷺ، انطلِقوا إلىٰ الجنة». أخرجه الطبراني[١] عن الدبري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس، وأخرجه ابن بشكوال[٢] من طريقه ونقل عن طاهر بن أحمد النيسابوري قال: ما أعلم حدَّث به غير الطبراني.

قال السخاوي: وقد أخرجه الخطيب[٣] من طريق محمد بن يوسف بن

---

(١) لم أقف عليه في كتب الطبراني، وقد رواه من طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٣٣٨. وأورده السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ١٧٩ نقلا عن تاريخ ابن بشكوال عن السكن بن جميع عن محمد بن يوسف بن يعقوب عن الطبراني، وزاد بعد قوله "ومعهم المحابر": وحبرهم خلوق يفوح. ثم قال: «محمد بن يوسف هو أبو بكر الرقي، قال الخطيب: إنه كذاب، وقال شيخنا الذهبي: إنه واضع، وضع علىٰ الطبراني حديثا باطلا. قلت: لعله هذا الحديث».

(٢) القربة إلىٰ رب العالمين ص ٥٥.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٤٨ - ٦٤٩، ولفظه: «إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر، فيأمر الله تعالىٰ جبريل أن يأتيهم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن =

يعقوب الرَّقِّي عن الطبراني بسنده، وقال الخطيب: إنه موضوع، والحمل فيه على الرَّقِّي. وقد رواه أبو المحاسن الروياني في فوائده من طريقه أيضًا عن الطبراني، لكن قال: عن معمر عن قتادة عن أنس. ولم ينفرد به الطبراني، بل هو في مسند الفردوس[١] من غير طريقه، ولفظه: «إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر، فيأمر الله جبريل عليه السلام أن يأتيهم فيسألهم من هم [فيأتيهم فيسألهم] فيقولون: نحن أصحاب الحديث. فيقول الله لهم: ادخلوا الجنة، فقد طالما كنتم تصلُّون على نبيِّ ﷺ». وأخرجه النُّمَيري باللفظ الأول.

وعن سفيان الثوري قال: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب ﷺ. أخرجه الخطيب[٢] وابن بشكوال[٣].

وعند الخطيب[٤] أيضًا ومن طريقه ابن بشكوال[٥] عن سفيان بن عُيَينة قال: حدثنا خلف صاحب الخُلْقان قال: كان لي صديق يطلب معي الحديث، فمات، فرأيته في المنام وعليه ثياب خضر جدد يجول فيها، فقلت له: ألستَ كنت تطلب معي الحديث؟ فما هذا الذي أرى؟ فقال: كنت أكتب معكم الحديث، فلا يمر بي حديث فيه ذِكرُ النبي ﷺ إلا كتبت في أسفله: ﷺ، فكافأني ربي بهذا الذي ترى عليَّ، ﷺ.

وروى النُّمَيري عن سفيان بن عُيَينة أيضًا قال: كان لي أخ مؤاخٍ لي، فمات،

= أصحاب الحديث. فيقول الله تعالى: ادخلوا الجنة على ما كان منكم، طالما كنتم تصلون على نبيي في دار الدنيا».

(١) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٢٥٤.

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٣٦.

(٣) القربة ص ٥٨.

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١١٠.

(٥) القربة ص ٥٧.

فرأيته في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: كنت أكتب الحديث، فإذا جاء ذكرُ النبي ﷺ كتبت «ﷺ» أبتغي بذلك الثواب، فغفر لي بذلك.

وعن أبي الحسن الميموني قال: رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته، وكان علىٰ أصابع يديه شيء مكتوب بلون الذهب أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك فقلت: يا أستاذ، أرىٰ علىٰ أصابعك شيئًا مليحًا مكتوبًا، ما هو؟ قال: يا بنيّ، هذا لكَتْبي «ﷺ» في حديث رسول الله ﷺ. رواه أبو القاسم التميمي في ترغيبه[١].

قلت: وروىٰ الحافظ السلفي في فوائده[٢] بسنده إلىٰ أبي عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري قال: سمعت أبا صالح عبد الله بن صالح الصوفي يقول: رُؤي بعض أصحاب الحديث في المنام، فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. فقيل له: بأيِّ شيء؟ فقال: بصلاتي في كتبي علىٰ رسول الله ﷺ.

(ورُوي عن أبي الحسين الشافعي) رحمه الله تعالىٰ. وفي نسخة: أبي الحسن (**قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، بما جُزِيَ**) محمد بن إدريس (**الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة**[٣]) وهي التي أرسلها إلىٰ عبد الرحمن بن مهدي (**وصلىٰ الله علىٰ محمد كلَّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذِكره الغافلون؟ فقال ﷺ: جُزِيَ عني أنه لا يوقَف للحساب**)[٤] قال ابن مسدي

---

(١) الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٣.

(٢) ورواه أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٤/ ١١٣، وابن بشكوال في القربة ص ٧١ - ٧٢.

(٣) الرسالة ص ١٦، وفيها: وصلىٰ الله علىٰ نبينا كلما ... الخ. قال محققها الشيخ أحمد شاكر: «في النسخ الثلاث المطبوعة: علىٰ نبينا محمد. ولكن الاسم الشريف لم يذكر في أصل الربيع».

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٣٦٨، ٤٣٦، والبيهقي في مناقب الشافعي ٢/ ٣٠٤، وأبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب ٢/ ٣٣٤.

الحافظ في آخر الجزء الثاني من مسلسلاته: سمعت أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي زيد التلمساني وأبا علي الحسن بن الناصر الهروي، يقول كلٌّ منهما: سمعت أبا عبد الله أحمد بن الحسن بن أحمد الهمداني يقول: سمعت أبا بكر هبة الله بن الفرج الشروطي يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي سعد الحافظ يقول: سمعت أبا مسلم غالب بن علي الرازي يقول: سمعت أبا الحسين يحيىٰ بن الحسين المطَّلبي بمدينة النبي ﷺ يقول: سمعت ابن بُنان الأصبهاني يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله، محمد بن إدريس الشافعي ابن عمِّك هل خصصته بشيء [أو هل نفعته بشيء]؟ قال: نعم، سألت الله عَزَّوَجَلَّ أن لا يحاسبه. فقلت: بِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي عليَّ صلاةً لم يصلِّ عليَّ أحد قبله مثلها. قلت: وما هذه الصلاة يا رسول الله؟ قال: كان يقول: اللهم صلِّ علىٰ محمد كلما ذكره الذاكرون، وصلِّ علىٰ محمد كلما غفل عنه الغافلون(١).

قال: وقد رُوي معنىٰ هذه الحكاية عن المُزَني صاحب الشافعي، كما سمعت يوسف بن محمد الصوفي يقول: سمعت أبا الطاهر السِّلَفي الحافظ يقول ... وساق سنده إلىٰ المُزَني قال: رأيت الشافعي في المنام بعد موته، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بصلاة صلَّيتُها علىٰ النبي ﷺ في كتاب «الرسالة»، وهي: اللهم صلِّ علىٰ محمد كلَّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

قال: وتُروَىٰ هذه القصة بهذه الرؤيا لعبد الله بن عبد الحكم، كما أخبرنا أبو الخطاب بن واجب، أخبرنا أبو بكر بن أبي ليلىٰ، أخبرنا أبو علي الصَّدَفي، أخبرنا أبو عبد الله بن أبي نصر الحُمَيدي، أخبرنا أبو القاسم الصيرفي، حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: قال عبد الله بن عبد الحكم: رأيت الشافعي في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي، وزُففت إلىٰ

(١) رواه السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ١/ ١٨٨.

الجنة كما تُزَف العروس، ونُثِرَ عليَّ كما يُنثَر علىٰ العروس. فقلت: بِمَ بلغتَ هذه الحالَ؟ فقال لي قائل: بقولك في كتاب الرسالة: وصلىٰ الله علىٰ محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنه الغافلون. قال: فلَّما أصبحت نظرت في الرسالة، فرأيت الأمر كما رأيته[1].

(١) رواه ابن بشكوال في القربة ص ٧٣. وفي الإسناد عنده: الميمون بن حمزة، بدل: علي بن محمد. وهذه الحكايات الثلاث ذكرها السخاوي في القول البديع ص ٣٥٩.

فضيلة الاستغفار

لمَّا فرغ من بيان فضيلة التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والحوقلة والصلاة علىٰ النبي ﷺ، شرع في فضيلة الاستغفار، فقال: (**قال الله عزوجل**: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] **قال علقمة**) بن قيس، أبو شِبْل، الفقيه (**والأسود**) بن يزيد النَّخَعي، رحمهما الله تعالىٰ: (**قال عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: **في كتاب الله عزوجل آيتان ما أذنب عبدٌ ذنبًا فقرأهما واستغفر الله عزوجل إلا غفر الله له**) الأولىٰ: قوله عزوجل: (﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ **الآية**، و) الثانية: (**قوله** عزوجل: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾﴾[1] [النساء: ١١٠].

وقال عزوجل: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [**آل عمران: ١٧**] **وقال** عزوجل: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾) أي[2] فاثْنِ علىٰ الله بصفات الجلال، حامدًا له علىٰ صفات الإكرام (﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾) هضمًا لنفسك، واستقصارا لعملك، واستدراكًا لما فرط منك[3]، وقيل: استغفرْه لأمَّتك، بدأ بالتسبيح ثم بالتحميد ثم الاستغفار علىٰ طريق التدلِّي من الخالق إلىٰ الخَلْق، كما قيل: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله قبله (﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾﴾) [النصر: ٣] لمن استغفره[4].

(**وكان رسول الله ﷺ يُكثِر أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر**

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره ٣/ ١٠٩١، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٤١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٥٣٧.

(٢) تفسير البيضاوي ٥/ ٣٤٤.

(٣) بعده في تفسير البيضاوي: من الالتفات إلىٰ غيره.

(٤) في تفسير البيضاوي: لمن استغفره منذ خلق المكلفين.

لي، إنك أنت التواب الرحيم) قال العراقي[١]: رواه الحاكم[٢] من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد، إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه. والحديث متفق عليه[٣] من حديث عائشة: أنه كان يُكثِر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده، دون قوله: إنك أنت التواب الرحيم.

(وقال ﷺ: مَن أكثر من الاستغفار جعل الله ﷻ له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضِيق مَخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب) قال العراقي[٤]: رواه أبو داود[٥]، والنسائي في اليوم والليلة[٦]، وابن ماجه[٧]، والحاكم[٨] وقال: صحيح الإسناد، من حديث ابن عباس، وضعَّفه ابن حبان[٩].

قلت: وكذلك رواه أحمد[١٠] وابن السني في اليوم والليلة[١١] والبيهقي في

---

(١) المغني ١/ ٢٦٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٦٣٣، ولفظه: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: سبحانك ربنا وبحمدك. فلما نزلت ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ ﴾ قال: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم».

(٣) صحيح البخاري ١/ ٢٥٧، ٢٦٤، ٣/ ١٥١، ٣٣٢. صحيح مسلم ١/ ٢٢٢.

(٤) المغني ١/ ٢٦٨.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٥.

(٦) السنن الكبرى ٩/ ١٧١.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٧.

(٨) المستدرك على الصحيحين ٤/ ٣٩٥ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بأن الحكم بن مصعب فيه جهالة.

(٩) حيث رواه في كتاب المجروحين ١/ ٣٠٣ في ترجمة الحكم بن مصعب، وقال عنه: «ينفرد بالأشياء التي لا ينكر نفي صحتها من عني بهذا الشأن، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار». ثم أورد له هذا الحديث، ثم قال: «لا أصل له بهذا اللفظ».

(١٠) مسند أحمد ٤/ ١٠٤.

(١١) عمل اليوم والليلة ص ٢٢٢.

السنن[١].

(**وقال ﷺ: إني لأستغفر الله سبحانه وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة**) قال العراقي[٢]: رواه البخاري[٣] من حديث أبي هريرة، إلا أنه قال: أكثر من سبعين مرة. وهو في الدعاء[٤] للطبراني كما ذكره المصنف.

(**وهذا مع أنه ﷺ**) كان قد (**غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر**) فهو من باب الترقِّي، أو الاعتراف بما عسىٰ حصل له من التقصير في رؤية الأعمال والالتفات.

(**وقال ﷺ: إنه لَيُغانُ علىٰ قلبي**) الغين شيء رقيق من الصدأ يغشي القلبَ فيغطيه بعض التغطية، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يحجب الشمس لكنه يمنع [كمال] ضوءها. ذكره الإمام الرازي[٥] (**حتي إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة**) قال العراقي[٦]: رواه مسلم[٧] من حديث الأغر.

قلت: وهو المُزَني، له صحبة، روىٰ عنه معاوية بن قُرَّة وأبو بُرْدة. وقد أورده هكذا أحمد[٨] والنسائي[٩] وابن ماجه[١٠] بلفظ: «وإني لأستغفرُ الله في اليوم».

(**وقال ﷺ: من قال حين يأوي إلىٰ فِراشه**) أي عند النوم (**أستغفر الله العظيم**

---

(١) السنن الكبرىٰ ٣/ ٤٩٠.
(٢) المغني ١/ ٢٦٨.
(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٥٤.
(٤) الدعاء ص ١٦٢٢.
(٥) التفسير الكبير ٣/ ٢٤.
(٦) المغني ١/ ٢٦٨.
(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٣.
(٨) مسند أحمد ٢٩/ ٣٩٠ - ٣٩٤، ٣٠/ ٢٢٤.
(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٧ - ١٦٩.
(١٠) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوم وأتوب إليه، ثلاث مرَّات غفر الله عَزَّوَجَلَّ له ذنوبه وإن كانت مثل زَبَد البحر) وهو ما يعلو عليه عند التموُّج **(أو عدد رمل عالج)** وهو موضع في بلاد بني تميم كثير الرمال **(أو كعدد ورق الشجر، أو كعدد أيام الدنيا)** رواه[١] الترمذي[٢] من حديث أبي سعيد وقال: غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن الوليد الوَصَّافي. قال العراقي: الوصافي وإن كان ضعيفًا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة، وهو ثقة، رواه البخاري في التاريخ[٣] دون قوله «حين يأوي إلىٰ فراشه» وقوله «ثلاث مرات».

قلت: ورواه أحمد[٤] وأبو يعلىٰ[٥]. ولفظ الترمذي: «من قال حين يأوي إلىٰ فراشه: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو ...» فساقه كسياق المصنِّف، إلا أنه قال بعد قوله «زبد البحر»: «وإن كانت عدد [ورق الشجر، وإن كانت عدد] رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا». ورواه ابن عساكر[٦] من حديثه بلفظ: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوم وأتوب إليه، ثلاثًا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغُثاء البحر وعدد نجوم السماء». ورواه ابن السني[٧] والطبراني في الأوسط[٨] وابن عساكر[٩] وابن النجار من حديث أنس بنحوه، إلا أنه قال: صبيحة الجمعة قبل [صلاة] الغداة. وفيه: ولو كانت أكثر من زَبَد البحر. وفي الإسناد

---

(١) المغني للعراقي ١/ ٢٦٩.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٠٣.

(٣) لم أقف عليه في التاريخ الكبير، وقد رواه من طريق عصام بن قدامة: الطبراني في الدعاء ص ١٦٠٢.

(٤) مسند أحمد ١٧/ ١٣٠.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ٤٩٥.

(٦) تاريخ دمشق ٥١/ ٨٦.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ٦٩.

(٨) المعجم الأوسط ٧/ ٣٥٦.

(٩) تاريخ دمشق ١٦/ ٣٨٢.

خُصَيف بن عبد الرحمن الجَزَري، مختلَف فيه.

(وقال ﷺ في حديث آخر: من قال ذلك غُفرت ذنوبه وإن كان فارًّا من الزحف) رواه[١] أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث زيد مولىٰ النبي ﷺ وقال: غريب. قال العراقي: قلت: ورجاله موثَّقون. ورواه الحاكم[٤] من حديث ابن مسعود وقال: صحيح علىٰ شرطهما.

قلت: لفظ الحاكم: «من قال: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاثًا ...» والباقي سواء. ولفظ الترمذي بعد قوله «وأتوب إليه»: غُفر له وإن كان فرَّ من الزحف. ولم يذكر «ثلاثًا». وبلفظ الترمذي رواه ابن سعد في الطبقات[٥] والبغوي[٦] وابن منده والباوَرْدي والطبراني في الكبير[٧] والضياء وابن عساكر[٨]، كلهم عن بلال [بن يسار] بن زيد عن أبيه عن جدِّه. قال البغوي: ولا أعلم له غيره. ورواه ابن عساكر[٩] عن أنس. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة[١٠] عن ابن مسعود ومعاذ موقوفًا عليهما.

(وقال) أبو عبد الله **(حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(كنت ذَرِب اللسان)** أي حديده وسليطه أو فاحشه **(علىٰ أهلي، فقلت: يا رسول الله، لقد خشيت أن يُدخِلني لساني**

---

(١) المغني ١/ ٢٦٩.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٥.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٣٦.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٩، ٢/ ١٤٢.

(٥) الطبقات الكبرىٰ ٥/ ٩٩.

(٦) معجم الصحابة ٢/ ٤٩٢.

(٧) المعجم الكبير ٥/ ٨٩.

(٨) تاريخ دمشق ٤/ ٢٦٥.

(٩) السابق ٥١/ ١٠٨.

(١٠) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٧.

النارَ. فقال النبي ﷺ: فأين أنت من الاستغفار؟ فإني لأستغفرُ الله في اليوم مائة مرة) قال العراقي[١]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٢]، وابن ماجه[٣]، والحاكم[٤] وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين.

قلت: ورواه أبو داود الطيالسي[٥] وهَنَّاد[٦] وأحمد[٧] وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب[٨] وأبو يعلىٰ والروياني[٩] والضياء. وقال أبو نعيم في الحلية[١٠]: حدثنا أحمد بن محمد بن مهران، حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا الحسن بن يونس، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا عمرو بن قيس المُلائي، عن أبي إسحاق، عن عبيد بن المغيرة، عن حذيفة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن لي لسانًا ذَرِبًا علىٰ أهلي قد خشيت أن يُدخِلني النار. قال: «فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفرُ الله في كل يوم مائة مرة». وحدثنا أحمد بن جعفر ابن حمدان البصري، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي، حدثنا مسدَّد، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا أبو إسحاق، عن أبي المغيرة، عن حذيفة قال: شكوت إلىٰ رسول الله ﷺ ذرب لساني، فقال: «أين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفرُ الله كل يوم مائة مرة».

---

(١) المغني ١/ ٢٦٩.
(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٩ - ١٧١.
(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٦.
(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٨، ٢/ ٥٣٨.
(٥) مسند الطيالسي ١/ ٣٤٢.
(٦) الزهد ص ٤٦٠.
(٧) مسند أحمد ٣٨/ ٣٨٤، ٣٨٩.
(٨) شعب الإيمان ٢/ ١٥٠.
(٩) مسند الروياني ١/ ٣١١.
(١٠) حلية الأولياء ١/ ٢٧٦.

(وقالت عائشة ﷺ: قال لي رسول الله ﷺ: إن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإنَّ التوبة من الذنب الندم والاستغفار) قال العراقي[١]: متفق عليه دون قوله: فإنَّ التوبة ... الخ، وزاد: «وتوبي إليه؛ فإنَّ العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه». وللطبراني في الدعاء[٢]: «فإنَّ العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له».

قلت: يشير إلىٰ قصة أهل الإفك، قال لها ما قال حين قال أهل الإفك ما قالوا: «إن كنتِ بريئة فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله ثم توبي؛ فإن العبد ...» الحديث بطوله، وقد رواه الجماعة إلا الترمذي[٣].

(وكان ﷺ يقول في الاستغفار: اللهم اغفر لي خطيئتي) أي[٤] ذنبي **(وجهلي)** أي ما لم أعلمه **(وإسرافي في أمري)** أي مجاوزتي الحدَّ في كل شيء **(وما أنت أعلم به مني)** ممَّا علمتُه وما لم أعلمه **(اللهم اغفر لي جَدِّي وهَزَلي)** وهما متضادَّان **(وخطئي وعَمْدي)** وهما متقابلان **(وكل ذلك عندي)** ممكن أو موجود، أو أنا متَّصف بهذه الأمور فاغفرها لي، قاله تواضعًا، أو أراد ما وقع سهوًا أو ما قبل النبوَّة، أو مجرَّد تعليم للأمَّة **(اللهم اغفر لي ما قدَّمت)** قبل هذا الوقت **(وما أخَّرت)** عنه **(وما أسررت)** أي أخفيت **(وما أعلنت)** أي أظهرت، أو ما حدَّثت به نفسي وما تحرَّك به لساني، قاله تواضعًا وإجلالاً لله تعالىٰ أو تعليمًا لأمَّته. وتعقَّب في الفتح[٥] الأخيرَ بأنه لو كان للتعليم فقط كفىٰ فيه أمرُهم بأن يقولوا، فالأَولىٰ

---

(١) المغني ١/ ٢٦٩.

(٢) الدعاء ص ١٦١٢.

(٣) صحيح البخاري ٢/ ٢٥٦، ٣/ ١٢٥، ٢٦٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٧٧. سنن الترمذي ٥/ ٢٤٢. السنن الكبرىٰ للنسائي ٨/ ١٧١، ١٠/ ١٣٢.

(٤) فيض القدير ٢/ ١٥٤.

(٥) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٧.

أنه للمجموع (وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم) أي بعضَ العِباد إليك بتوفيق للطاعات[١] (وأنت المؤخِّر) بخذلان بعضهم عن التوفيق فتؤخِّره عنك[٢]، أو أنت الرافع والخافض أو المعزُّ والمذلُّ (وأنت علىٰ كل شيء قدير) أي أنت الفَعَّال لكل ما تشاء، ولذا لم يوصَف به غير الباري. ومعنىٰ قدرته علىٰ الممكن الموجود حالَ وجوده: أنه إن شاء أبقاه وإن شاء أعدمه، ومعنىٰ قدرته علىٰ المعدوم حين عدمه: أنه إن شاء إيجاده أوجده وإلا فلا. وفيه أن مقدور العبد مقدور لله تعالىٰ حقيقةً؛ لأنه شيء.

قال العراقي[٣]: متفق عليه[٤] من حديث أبي موسىٰ، واللفظ لمسلم.

قلت: رواه في كتاب الدعوات من الصحيح، ورواه كذلك البيهقي[٥] وغيره.

(وقال علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله عَزَّوَجَلَّ منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدَّثني أحد) وفي رواية: رجل **(من أصحابه استحلفتُه، فإذا حلف)** لي **(صدَّقتُه، وحدثني أبو بكر)** رَضِيَٱللَّهُعَنهُ **(وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من عبد يذنب ذنبًا فيُحسِن الطهورَ ثم يقوم فيصلي ركعتين)** وفي رواية: ثم يقوم فيتطهَّر ثم يصلي. وفي أخرىٰ: يتوضأ فيُحسِن الوضوء ثم يقوم فيصلي **(ثم يستغفر الله عَزَّوَجَلَّ إلا غفر الله له)** وفي رواية: ثم يستغفر الله لذلك الذنب **(ثم تلا قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾)** [آل عمران: ١٣٥] إلىٰ آخر **(الآية)** قال العراقي[٦]: رواه أصحاب السنن[٧]،

---

(١) بعده في الفيض: «أو أنت المقدم لي بالبعث في الآخرة».
(٢) بعده في الفيض: «أو أنت المؤخر لي بالبعث في الدنيا».
(٣) المغني ١/ ٢٧٠.
(٤) صحيح البخاري ٤/ ١٧١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٠.
(٥) الدعوات الكبير ١/ ٢٨٠. الأسماء والصفات ١/ ٢١٠.
(٦) المغني ١/ ٢٧٠.
(٧) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٦. سنن الترمذي ١/ ٤٣١، ٥/ ١٠٧. سنن ابن ماجه ٢/ ٥١٣. السنن =

وحسَّنه الترمذي.

قلت: قال الترمذي: حديث حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة. ورواه أبو داود الطيالسي[١] وأبو بكر بن أبي شيبة[٢] وأحمد[٣] والبزار[٤] وأبو يعلىٰ[٥] وابن حبَّان[٦] وصحَّحه، والدارقطني في الأفراد[٧] وابن السني في عمل يوم وليلة[٨] والبيهقي في الشعب[٩] والضياء[١٠] والحُمَيدي[١١] والعَدَني وعبد بن حميد وابن منيع، كلهم عن علي عن أبي بكر ﵄.

وفي الحديث أن من شرط الدعاء تقديم عمل صالح أمام الدعاء.

(وروىٰ أبو هريرة) ﵁ **(عن النبي ﷺ أنه قال: إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر)** الله ﷿ منه **(صقل قلبُه منها)** أي من تلك النكتة **(فإذا زاد)** الذنبُ **(زادت)** النكتة فلم تَزَل **(حتي تغلِّف قلبَه)** أي تلبسه كلَّه **(فذلك الران الذي ذكره الله ﷿ في كتابه)** وهو قوله ﷿: (﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾) [المطففين: ١٤] قال العراقي[١٢]: رواه

= الكبرىٰ للنسائي ٩/ ١٥٩ - ١٦٠، ١٠/ ٥١.

(١) مسند الطيالسي ١/ ٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٣٤٦.

(٣) مسند أحمد ١/ ١٧٩، ٢١٨، ٢٢٣.

(٤) مسند البزار ١/ ٦١، ١٨٨.

(٥) مسند أبي يعلىٰ ١/ ١١، ٢٣ - ٢٦.

(٦) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٩٠.

(٧) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣٤.

(٨) عمل اليوم والليلة ص ٢١٩.

(٩) شعب الإيمان ٩/ ٢٩٢ - ٢٩٤.

(١٠) الأحاديث المختارة ١/ ٨٢ - ٨٦.

(١١) مسند الحميدي ١/ ١٤٨ (ط - دار السقا بدمشق).

(١٢) المغني ١/ ٢٧٠.

الترمذي[(١)] وصحَّحه والنسائي في اليوم والليلة[(٢)] وابن ماجه[(٣)] وابن حبان[(٤)] والحاكم[(٥)].

قلت: ورواه[(٦)] كذلك أحمد[(٧)] وعبد بن حميد وابن جرير[(٨)] وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب[(٩)] بلفظ: «إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا نُكتت في قلبه نكتة سوداء ...» الخ، وفيه: «فإن عاد زادت». والباقي سواء.

وأخرج ابن المنذر عن إبراهيم التَّيْمي نحو ذلك[(١٠)].

وأخرج هو وابن أبي حاتم وابن جرير[(١١)] عن ابن عباس في قوله ﴿رَانَ﴾: أي طُبع.

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال: الرين: الطبع[(١٢)].

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٣٥٩.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٠، ١٠/ ٣٢٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٣٦.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٢١٠، ٧/ ٢٧.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٣، ٢/ ٦٠٨.

(٦) الدر المنثور ١٥/ ٢٩٦ - ٣٠٠.

(٧) مسند أحمد ١٣/ ٣٣٣.

(٨) جامع البيان ١/ ٢٦٧، ٢٤/ ٢٠٠ - ٢٠١.

(٩) شعب الإيمان ٩/ ٣٧٣.

(١٠) ولفظه: «إذا عمل الرجل الذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء، ثم يعمل الذنب بعد ذلك فتنكت في قلبه نكتة سوداء، ثم كذلك حتىٰ يسود قلبه، فإذا ارتاح العبد قال: ييسر له عمل صالح، فيذهب من السواد بعضه، ثم ييسر له عمل صالح أيضا فيذهب من السواد بعضه، ثم ييسر له أيضاً عمل صالح فيذهب من السواد بعضه، ثم كذلك حتىٰ يذهب السواد كله».

(١١) جامع البيان ٢٤/ ٢٠٣.

(١٢) ورواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٧٦ بلفظ: «كانوا يرون أن الرين هو الطبع».

وأخرج ابن جرير[١] عنه قال: الرين أيسر من الطبع، والطبع أيسرُ من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كله.

(وروىٰ أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: إن الله سبحانه لَيرفعُ الدرجة للعبد في الجنة) أي المنزلة **(فيقول)** العبد: **(يا رب، أنَّىٰ لي هذه)**؟ أي كيف لي هذه الدرجة ولِمَ نلتُها **(فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: باستغفار ولدك لك)** قال العراقي[٢]: رواه أحمد[٣] بإسناد حسن.

قلت: ويؤيِّده ما روىٰ أبو نعيم في الحلية[٤] من طريق قتادة عن أنس رفعه: «سبع يجري أجرُها للعبد بعد موته وهو في قبره: مَن علَّم علمًا، أو أجرىٰ نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنىٰ مسجدًا، أو ورَّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر اللهَ له بعد موته».

(وروت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنه ﷺ قال: اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا) أي[٥] إذا أتوا بعمل حسن قرنوه بالإخلاص فيترتَّب عليه الجزاء فيستحقُّون الجنة فيستبشرون بها **(وإذا أساءوا استغفروا)** أي طلبوا من الله مغفرة ما فرط منهم، وهذا تعليم للأمَّة، أرشدهم إلىٰ أن يأتي الواحد منهم بهذا الدعاء الذي هو عبارة عن أن لا يبتليه بالاستدراج ويرىٰ عمله حسنًا فيهلك. وقوله: من الذين ... الخ، أبلغُ من أن يقول: اجعلني أستبشر إذا أحسنت وأستغفر إذا أسأت، كما تقول: فلان من العلماء، فيكون أبلغ من قولك: فلان عالِم؛ لأنك تشهد له بكونه معدودًا في زمرتهم

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٦٦.

(٢) المغني ١/ ٢٧٠.

(٣) مسند أحمد ١٦/ ٣٥٦ - ٣٥٧.

(٤) حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤.

(٥) فيض القدير ٢/ ١٠٦.

ومعروفة مساهمته لهم في العلم. ذكره الزمخشري[١].

قال العراقي[٢]: رواه ابن ماجه[٣]، وفيه علي بن زيد بن جدعان، مختلَف فيه.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٤] بهذا الإسناد.

(وقال ﷺ: **إذا أذنب العبد ذنبًا فقال: اللهم اغفر لي، يقول الله ﷻ: أذنب عبدي ذنبًا فعلم أن له ربًّا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب، عبدي اعملْ ما شئتَ فقد غفرتُ لك**) قال العراقي[٥]: متفق عليه[٦] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك أخرجه النسائي[٧]، ولفظهم جميعًا: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عبدًا أصاب ذنبًا - وربما قال: أذنب ذنبًا - فقال: ربِّ أذنبت ذنبًا - وربما قال: أصبتُ ذنبًا، فاغفرْه لي. فقال ربُّه: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبًا، فقال: ربِّ أذنبتُ - أو أصبتُ - آخرَ فاغفره. فقال: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله - وربما قال: ثم أصاب ذنبًا، أو أذنب ذنبًا - فقال: ربِّ أذنبتُ - أو أصبت - آخَر، فاغفرْه لي. فيقول: أعلم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي - ثلاثًا - فليعمل ما شاء».

(**وقال ﷺ: ما أصرَّ**) أي[٨] ما أقام على الذنب (**مَن استغفر**) أي مَن تاب توبة

---

(١) الكشاف ٤/ ٤١١.

(٢) المغني ١/ ٢٧٠.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٤٨.

(٤) شعب الإيمان ٩/ ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) المغني ١/ ٢٧١.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ٤٠٤. صحيح مسلم ٢/ ١٢٦٤.

(٧) السنن الكبرى ٩/ ٥٩.

(٨) فيض القدير ٥/ ٤٢٢ - ٤٢٣.

صحيحة؛ لأن التوبة بشروط ترفع الذنوب كلَّها (**وإن عاد في اليوم سبعين مرَّة**) فإنَّ رحمة الله لا نهاية لها ولا غاية.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] من حديث أبي بكر وقال: غريب، وليس إسناده بالقوي.

قلت: قال الزيلعي[٤]: إنما لم يكن قويًّا لجهالة مولىٰ أبي بكر الراوي عنه، لكن جهالته لا تضرُّ؛ إذ تكفيه نسبتُه إلىٰ الصِّدِّيق.

قال المناوي: وفيه أيضًا عثمان بن واقد، ضعَّفه أبو داود نفسه.

قلت: عثمان بن واقد لم أرَ له ذكرًا في كتاب الضعفاء للذهبي ولا في ذيله[٥]، ولعله: عثمان بن فائد، فلْيُنظَر ذلك.

(**وقال ﷺ: إن رجلاً لم يعمل خيرًا قط نظر إلىٰ السماء**) إذ هي قِبلة الدعاء (**فقال: إنَّ لي ربًّا**) فأقرَّ بربوبيَّته، وشهد بوحدانيَّته، ثم قال: (**يا رب، اغفر لي.**

---

(١) المغني ١/ ٢٧١.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٣.

(٤) تخريج أحاديث الكشاف ١/ ٢٢٧ (ط - وزارة الأوقاف السعودية) ونصه: «عثمان بن واقد وثقه أحمد وابن معين، وشيخه أبو نصيرة اسمه مسلم بن عبيد الواسطي، وثقه أحمد وابن حبان. ومولىٰ أبي بكر هو أبو رجاء، وباقي رجاله ثقات مشهورون. وقول الترمذي: ليس إسناده بالقوي. الظاهر أنه لأجل جهالة مولىٰ أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر؛ لأنه تابعي كبير، وتكفيه نسبته إلىٰ أبي بكر الصديق، فالحديث حسن».

(٥) بل ذكره في ديوان الضعفاء ص ٢٧٢. وذكره أيضا في ميزان الاعتدال ٣/ ٥٩ وقال: «عثمان بن واقد بن محمد العمري، عن نافع بن جبير وسعيد مولىٰ المهري ونافع ووكيع وزيد بن الحباب وجماعة. وثقه ابن معين، وضعفه أبو داود؛ لأنه روىٰ حديث "من أتىٰ الجمعة فليغتسل من الرجال والنساء". فتفرد بهذه الزيادة».

فقال الله عَزَّوَجَلَّ: قد غفرت لك) قال العراقي[١]: لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: وجدت بخط ابن الحريري قال: وجدت بخط الشيخ المحدِّث زين الدين الدمشقي الواعظ ما نصه: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن[٢] بسند ضعيف من حديث أبي هريرة.

(وقال ﷺ: مَن أذنب ذنبًا فعلم أن الله قد اطَّلع عليه غفر له وإن لم يستغفر) ليس المراد منه - كما قال المناوي[٣] - الحث علىٰ فعل الذنب أو الترخيص فيه كما توهَّمه بعض أهل الغرَّة؛ فإنَّ الرسل إنما بُعثوا للردع عن غشيان الذنوب، بل ورد مورد البيان لعفو الله عن المذنبين وحُسن التجاوز عنهم ليعظموا الرغبةَ فيما عنده من الخير، والمراد أنه سبحانه كما يحب أن يحسن [إلىٰ المحسن] يحب أن يتجاوز عن المسيء، والقصد بإيراده بهذا اللفظ الرد علىٰ منكِر صدور الذنب من المؤمنين وأنه قادح في إيمانهم.

قال العراقي[٤]: رواه الطبراني في الأوسط[٥] من حديث ابن مسعود بسند ضعيف.

قلت: وكذلك رواه في الصغير[٦] أيضًا، وفي الإسناد إبراهيم بن هراسة، وهو متروك. قاله الهيثمي[٧]. فهذا معنىٰ قول العراقي: بسند ضعيف.

---

(١) المغني ١/ ٢٧١.

(٢) حسن الظن بالله ص ٧٠ (ط - مؤسسة الكتب الثقافية) ولفظه: «بينا رجل مستلقٍ إذ نظر إلىٰ السماء وإلىٰ النجوم فقال: إني أعلم أن لك ربا وخالقا، اللهم اغفر لي. فغفر له».

(٣) فيض القدير ٦/ ٤٨.

(٤) المغني ١/ ٢٧١.

(٥) المعجم الأوسط ٤/ ٣٧٤.

(٦) لم أقف عليه في المعجم الصغير.

(٧) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٣.

وروىٰ الحاكم[١] وأبو نعيم في الحلية[٢] والطبراني[٣] من حديث قتيبة، عن جابر بن مرزوق، عن عبد الله العُمَري، عن أبي طوالة، عن أنس مرفوعًا: «مَن أذنب ذنبًا فعلم أن له ربًّا إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذِّبه عذَّبه كان حقًّا علىٰ الله أن يغفر له». وفي جابر بن مرزوق نكارة.

(**وقال ﷺ: يقول الله عَزَّوَجَلَّ: يا عِبادي**) كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هديتُه، فسَلُوني الهدىٰ أَهْدِكم، وكلُّكم فقير إلا مَن أغنيتُه، فسَلُوني أرزقكم، و(**كلكم مذنب إلا مَن عافيتُه، فاستغفروني أغفر لكم، ومَن علم منكم أني ذو قدرة علىٰ أن أغفر له غفرت له ولا أبالي**) يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجِنكم وحيكم وميِّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا علىٰ أتقىٰ قلب رجل منكم ما زاد ذلك في مُلكي جناح بعوضة ... الحديث بطوله.

قال العراقي[٤]: رواه الترمذي[٥] وابن ماجه[٦] من حديث أبي ذر، وقال الترمذي: حسن. وأصله عند مسلم[٧] بلفظ آخر.

قلت: وكذلك رواه هَنَّاد[٨] وأبو داود [الطيالسي][٩] وروىٰ أحمد[١٠] بعضه. وقد وقع لنا مسلسلاً بالشاميين بلفظ مسلم، وأوله: «يا عبادي، إني حرَّمت الظلم

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٧٢.
(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٦.
(٣) المعجم الأوسط ٢/ ١٨٩.
(٤) المغني ١/ ٢٧١.
(٥) سنن الترمذي ٤/ ٢٧٠.
(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٤٥.
(٧) صحيح مسلم ٢/ ١١٩٨.
(٨) الزهد ص ٤٥٦.
(٩) رواه في مسنده ١/ ٣٧١ مختصرا جدا مقتصرا علىٰ أول الحديث.
(١٠) مسند أحمد ٣٥/ ٢٩٥، ٣٣٢، ٤٢٨.

علىٰ نفسي ...» الحديث بطوله.

وروىٰ الطبراني[١] والحاكم[٢] عن ابن عباس رفعه: «قال الله ﷻ: مَن علم أني ذو قدرة علىٰ مغفرة الذنوب غفرتُ له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئًا».

(وقال ﷺ: من قال: سبحانك، ظلمت نفسي وعملتُ سوءًا فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه وإن كانت كمَدَبِّ النمل) قال العراقي[٣]: رواه البيهقي في الدعوات[٤] من حديث عليٍّ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أعلِّمك كلمات تقولهنَّ لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذَّرِّ ذنوبًا غفرها الله لك ...» فذكره بزيادة «لا إله إلا أنت» في أوله، وفيه ابن لهيعة.

قلت: وروىٰ ابن النجار من حديث ابن عباس: «من قال: لا إله إلا أنت سبحانك عملتُ سوءًا وظلمت نفسي فتُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، غُفرت ذنوبه ولو كان فارًّا من الزحف»[٥]. ورواه الديلمي[٦] من حديثه مثله بلفظ: «فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين، غُفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زَبَد البحر».

(ويُروَىٰ أن أفضل الاستغفار) هو هذا: **(اللهم أنت ربِّي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء علىٰ نفسي بذنبي، فقد ظلمتُ نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي ما قدَّمتُ منها وما أخَّرتُ، إنه لا يغفر الذنوب**

---

(١) المعجم الكبير ١١/ ٢٤١.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٥. وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بأن فيه حفص بن عمر العدني، واهٍ.

(٣) المغني ١/ ٢٧٢.

(٤) الدعوات الكبير ١/ ٣١٠.

(٥) كنز العمال ٢/ ٢٣٤.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٧٥.

جميعًا إلا أنت) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث شدَّاد بن أوس دون قوله «وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي»، ودون قوله «ذنوبي ما قدَّمت منها وما أخَّرت»، ودون قوله «جميعًا».

قلت: ورواه أيضًا أحمد[٣] وأبو بكر بن أبي شيبة[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] وابن حبان[٧] والطبراني[٨].

وقال صاحب «سلاح المؤمن»[٩]: وليس لشدَّاد بن أوس في الصحيحين سوىٰ حديثين، أحدهما هذا، والآخر في مسلم[١٠]: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء».

ولفظ الجماعة: عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنه - أو كان من أهل الجنة - وإذا قال حين يصبح فمات من يومه مثله». وفي رواية للجماعة: «مَن قالها

(١) المغني ١/ ٢٧٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٣، ١٥٨.

(٣) مسند أحمد ٢٨/ ٣٣٤، ٣٥٤.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٤ - ٥١٥.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤٠٠.

(٦) سنن النسائي ص ٨٣٢.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ٢١٢.

(٨) المعجم الكبير ٧/ ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٦.

(٩) سلاح المؤمن في الدعاء والذكر لأبي الفتح ابن الإمام المصري ص ٢٧٠ (ط - دار ابن كثير بدمشق).

(١٠) صحيح مسلم ٢/ ٩٤١، وتمام الحديث: «إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته».

من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

تنبيه: شرح هذا الحديث[١]:

«سيد الاستغفار» أي أفضل أنواع الأذكار التي تُطلَب بها المغفرة هذا الذِّكر الجامع لمعاني التوبة كلِّها، ولذلك لُقِّب بسيد الاستغفار؛ لأن السيد في الأصل: الرئيس الذي يُقصَد في الحوائج ويُرجَع إليه في المهمَّات. وقوله «أن يقول» أي العبد، وثبت في رواية أحمد والنسائي: «إن سيد الاستغفار أن يقول العبد». وفي رواية للنسائي: «تعلَّموا سيد الاستغفار أن يقول العبد»[٢]. وقوله «اللهم أنت ربي» قال الحافظ ابن حجر: في نسخة معتمدة من البخاري تكرير «أنت»، وسقطت الثانية من معظم الروايات. «وأنا عبدك» يجوز أن تكون مؤكِّدة وأن تكون مقدرة، أي وأنا عابد لك، كقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢] قاله الطيبي. والمراد بالعهد والوعد ما عاهده عليه وواعده من الإيمان به وإخلاص الطاعة له. وقيل: العهد ما أخذ عليهم في عالَم الذَّرِّ يومَ «ألستُ بربِّكم»، والوعد ما جاء علىٰ لسان النبي ﷺ أن «مَن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة». «ما استطعت» أي مدة دوام استطاعتي، ومعناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كِنه الواجب من حقِّه تعالىٰ. «أبوء» أي أعترف وألتزم، قال الطيبي: اعترف أولاً بأنه تعالىٰ أنعم عليه، ولم يقيِّده؛ ليشمل كلَّ الإنعام، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يَقُمْ بأداء شكرها، وعَدَّه ذنبًا مبالغةً في التقصير وهضم النفس. وفائدة الإقرار بالذنب أن الاعتراف يمحو الاقتراف. قال الشيخ سيدي عبد الله بن أبي جمرة قُدِّس سره في شرحه علىٰ مختصره من

(١) فيض القدير للمناوي ٤/ ١١٩ - ١٢٠. فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٠٢ - ١٠٣. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٦/ ١٨٤٤.

(٢) لم أقف علىٰ هذه الرواية عند النسائي، ولكن رواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٩/ ١٧٥ من حديث جابر بن عبد الله بلفظ: «تعلموا سيد الاستغفار» وليس فيه (أن يقول العبد).

البخاري[١]: قد جمع في هذا الحديث من بديع المعاني وحُسن الألفاظ ما يحقُّ له أن يسمَّىٰ سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شرِّ ما جنىٰ علىٰ نفسه، وإضافة النعم إلىٰ موجِدها، وإضافة الذنب إلىٰ نفسه ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر علىٰ ذلك إلا هو، وكل ذلك إشارة إلىٰ الجمع بين الحقيقة والشريعة؛ فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان عون من الله تعالىٰ، ويظهر أن اللفظ المذكور لا يكون سيد الاستغفار إلا إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب.

ذِكرُ (الآثار) الواردة في فضل الاستغفار:

(قال خالد بن معدان) الكلاعي[٢]، تابعي جليل وفقيه كبير ثَبْت مهيب مخلص، يقال: كان يسبِّح في اليوم أربعين ألف تسبيحة. روىٰ عن معاوية وابن عمر وابن عمرو وثوبان، وعنه ثور وصفوان بن عمرو وبُجَير. توفي سنة ١٠٤ **(قال الله ﷿: إن أَحَبَّ عبادي إليَّ المتحابُّون بحبِّي)** أي لأجلي **(والمعلَّقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين إذا أردتُ أهلَ الأرض بعقوبة ذكرتهم وتركتهم وصرفت العقوبة عنهم)**[٣] قلت: وهذا قد رُوي مرفوعًا من حديث أنس، رواه البيهقي في الشعب[٤]، ولفظه: «يقول الله ﷿: إني لأهِمُّ بأهل الأرض عذابًا، فإذا نظرتُ إلىٰ عُمَّار بيوتي والمتحابِّينَ فيَّ وإلىٰ المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم».

(وقال) أبو الخطَّاب **(قتادة)** بن دِعامة السدوسي رحمه الله تعالىٰ: **(القرآن**

---

(١) بهجة النفوس شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة ٤/ ١٩٨.

(٢) الكاشف للذهبي ١/ ٣٦٩.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق ص ١٤٨، ومن طريقه رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢١٢.

(٤) شعب الإيمان ٤/ ٣٧٩، ١١/ ٣٤٥.

يدلُّكم علىٰ دائكم ودوائكم، أمَّا داؤكم فالذنوب، وأمَّا دواؤكم فالاستغفار)[1] من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣] في جملة من الآيات.

(وقال علي) بن أبي طالب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: **العَجَب ممَّن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار**) فالمراد من الهلاك هنا أي من داء الذنوب؛ فإنَّ نجاته منها الاستغفار مع عدم الإصرار.

(وكان يقول: **ما ألهم الله سبحانه عبدًا الاستغفارَ وهو يريد أن يعذِّبه**) أي لو أراد عذابه ما ألهمه ذلك. ويُروىٰ عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رفعه: «عَوِّدوا ألسنتكم الاستغفارَ؛ فإنَّ الله تعالىٰ لم يعلِّمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم»[2].

(وقال الفُضَيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (**قول العبد «أستغفر الله» تفسيرها: أَقِلْني**) أي من عثرات ذنوبي.

(وقال بعض العلماء: **العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد**) لله علىٰ نعمته (**والاستغفار**)[3] من الذنب الذي اقترفه.

(وقال الربيع بن خُثَيم) تقدَّمت ترجمتُه (**لا يقولنَّ أحدكم: أستغفر الله وأتوب إليه، فيكون**) قوله ذلك (**ذنبًا وكذبة إن لم يفعل، ولكن ليَقُل: اللهم اغفر لي وتُبْ عليَّ**)[4] ونقل هذا القول الإمام أبو جعفر

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٤٧. ورواه أيضا مرفوعا من حديث أنس بن مالك.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٦/ ٣٠١، وتمام في فوائده ٤/ ٤١١.

(٣) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ٤/ ٦٧٨ عن جعفر بن محمد الصادق بلفظ: «المرء بين ذنب ونعمة، ولا يصلحهما غير استغفار من هذا وشكر علىٰ هذا».

(٤) قال النووي في الأذكار ص ٣٤٩: «أما كراهته أستغفر الله وتسميته كذبا فلا نوافق عليه؛ لأن معنىٰ أستغفر الله: أطلب مغفرته، وليس في هذا كذب، ويكفي في رده حديث ابن مسعود: من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف».

الطحاوي[١] عن شيخه الإمام أبي جعفر بن أبي عمران، ولفظه: يُكرَه أن يقول الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه، ولكن يقول: أستغفر الله وأسأله التوبة، وقال: رأيت أصحابنا يكرهون ذلك ويقولون في التوبة من الذنب: هي تركُه وتركُ العَوْد عليه، وذلك غير موهوم من أحد، فإذا قال: أتوب إليه، فقد وعد الله أن لا يعود إلىٰ ذلك الذنب، فإذا عاد إليه بعد ذلك كان كمَن وعد اللهَ ثم أخلفه، ولكن أحسن ذلك أن يقول: أسأل الله التوبة، أي أسأل الله أن ينزعني عن هذا الذنب ولا يعيدني إليه أبدًا[٢]. وكان من الحُجَّة لهم في ذلك عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنوب أن يتوب الرجل من الذنب ثم لا يعود إليه». فهذه صفة التوبة، وهذا غير مأمون علىٰ أحد غير رسول الله ﷺ فإنه معصوم، فلا ينبغي لغيره ﷺ أن يقول ذلك؛ لأنه غير معصوم من العَوْد فيما تاب منه. قال: وخالفهم في ذلك آخَرون فلم يروا به بأسًا أن يقول الرجل: أتوب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وحُجَّتهم ما رُوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «مَن جلس مجلسًا كثُر فيه لَغَطُه ثم قال قبل أن يقوم: سبحانك ربَّنا، لا إله إلا أنت، أستغفرك ثم أتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك». وعن أنس رفعه قال: «كفَّارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك وأتوب إليك». فهذا رسول الله ﷺ قد رُوي عنه أيضًا ما ذكرنا، وهو أَولىٰ القولين عندنا؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد أمرنا بذلك في كتابه فقال: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾ [البقرة: ٥٤] وقال: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] وأمر رسول الله ﷺ [بذلك] في الآثار التي ذكرنا، فلهذا أبحنا هذا وخالفنا أبا جعفر بن أبي عمران فيما ذهب إليه فيما ذكرناه أولاً. ا.هـ. كلام أبي جعفر الطحاوي بالاختصار.

(وقال الفُضَيل) بن عياض رحمه الله تعالىٰ: (الاستغفار بلا إقلاع) عن

---

(١) شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨٨ - ٢٩٠.

(٢) بعده في شرح المعاني أثر الربيع بن خثيم المتقدم.

المعصية (توبة الكذَّابين)[١] أي فإن[٢] الذي يستغفر وهو معتقد أن يعود إلىٰ ما تاب منه فهو بذلك القول فاسق معاقَب عليه؛ لأنه كذب علىٰ الله فيما قال.

(**وقالت رابعة العدوية**) البصرية رحمها الله تعالىٰ: (**استغفارنا يحتاج إلىٰ استغفار كثير**) وهي تشير إلىٰ ما ذكرناه من أن التلفُّظ باللسان من غير اعتقاد القلب علىٰ ترك العَوْد إلىٰ ما استغفر منه ذنبٌ، وهذا يلزم منه الدَّوْر والتسلسل، ولا يقطع ذلك إلا صِدق القلب علىٰ ترك ما استغفر منه والندم بالجزم علىٰ أن لا يعود إليه أبدًا.

(**وقال بعض الحكماء: مَن قدَّم الاستغفار علىٰ الندم كان مستهزئًا علىٰ الله تعالىٰ وهو لا يعلم**)[٣] أي مَن استغفر ولم يندم علىٰ ما أصاب من ذلك الذنب فكأنَّه استهزأ علىٰ ربِّه عَزَّوَجَلَّ وهو لا يدري؛ فإنَّ الندم توبة، كما ورد ذلك من حديث عبد الله بن مغفَّل، فإذا لم يوجد الندم كان استغفاره كالعَبَث.

(**وسُمع أعرابي وهو متعلِّق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري**) إيَّاك من ذنب (**مع إصراري**) عليه وعدم إقلاعي (**للؤمٌ، وإنَّ تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لَهجرٌ**) أي منكَر (**فكم**) يا مولاي (**تتحبَّب إليَّ بالنعم**) الكثيرة (**مع غناك عني**) مطلقًا (**وكم أتبغَّض إليك بالمعاصي مع فقري إليك**) بالذات (**يا مَن إذا وعد وفىٰ، وإذا توَّعد عفا**) وهكذا شأن الكريم (**أدخِلْ عظيم جُرْمي في عظيم عفوك يا أارحم الراحمين**) وهو من الأدعية الجامعة لشروطها من البداية بالاسم الأعظم الذي هو «اللهم»، ثم الإقرار بالذنب، ثم إثبات سعة العفو والغنىٰ والوفاء بالوعد، ثم السؤال مع التضرُّع، ثم الختم باسمه الأعظم الذي هو «أرحم الراحمين».

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٦٢ والقشيري في الرسالة ص ١٨٤ من قول ذي النون المصري.

(٢) السابق ٤/ ٢٩٠.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٩/ ٣٦٢ من قول أبي حفص النيسابوري.

(وقال أبو عبد الله الوَرَّاق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزَبَد البحر ذنوبًا لمُحيت عنك إذا دعوتَ ربَّك بهذا الدعاء مخلصًا إن شاء الله تعالىٰ) أي بشرط الإخلاص فيما يدعو به، وهو هذا: (اللهم إني أستغفرك من كل ذنب) صدر مني، و(تبت إليك منه) معتقدًا بقلبي عدم العَوْد إليه (ثم عُدْتُ فيه) بشؤم نفسي وجهلي (وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي) من بر وخير. ولفظ القوت[1]: من كل عقد عقدتُه لك (ثم لم أوفِ لك به) لكمال تقصيري واتِّباعي النفس الأمَّارة (وأستغفرك من كل عمل) من أعمال الخير (أردت به وجهك) خالصًا من غير مخالطة السوَىٰ (فخالطه غيرُك) في ذلك العمل. ولفظ القوت: ما ليس لك (وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ) لأستعين بها علىٰ طاعتك (فاستعنتُ بها علىٰ معصيتك، وأستغفرك يا عالِم الغيب والشهادة) أي بالنسبة إلينا، وإلا فالعوالم كلُّها شهادة لديه جل وعز (من كل ذنب أتيتُه في ضياء النهار وسواد الليل، في ملأ أو خلاء وسر وعلانية، يا حليم) ختم بهذا الاسم الكريم لينبِّه علىٰ أنه جل وعز لا يؤاخذ عبده بما جنته يداه (ويقال إنه استغفار الخَضِر عليه السلام) نقله صاحب القوت. وقيل: هو استغفار آدم عليه السلام، كما وُجد في بعض نسخ الكتاب. وقد رتَّبه بعض العلماء ترتيبًا حسنًا، وجعله علىٰ الأيام السبعة، وزاد فيه زيادات حسنة، وعزاه إلىٰ الحسن البصري، وقد وقع إلينا مسندًا.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢٥.

الباب الثالث:

في أدعية مأثورة معزاة إلى أسبابها وأربابها ممَّا يُستحَبُّ أن يدعو بها المريد صباحًا ومساءً وبعقب كل صلاة(١)

(فمنها دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتَي الفجر) أي سنّته (قال ابن عباس ﵄: بعثني العباس إلىٰ رسول الله ﷺ، فأتيته ممسيًا) أي بعد ما أمسىٰ الوقتُ (وهو في بيت خالتي ميمونة) بنت الحارث الهلالية ﵂ زوج النبي ﷺ، أي في نوبتها، فنام عندها لأن أباه إنما أرسله ليرىٰ صلاته ﷺ بالليل ليستنَّ بها (فقام) ﷺ (فصلىٰ من الليل) ما شاء الله له أن يصلي، وصلىٰ معه ابن عباس (فلمَّا صلىٰ الركعتين) اللتين (قبل صلاة الفجر) وهما سنَّتا الفجر (قال) في دعائه: (اللهم إني أسالك) أي(٢) أطلب منك (رحمة من عندك) أي ابتداءً من غير سبب، وقال القاضي: نكَّر الرحمة تعظيمًا لها دلالةً علىٰ أن المطلوب رحمة عظيمة لا يكتنه كنهها ووصفها بقوله «من عندك» مزيدًا لذلك التعظيم؛ لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصفٌ، كقوله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [الكهف: ٦٥] (تهدي) أي ترشد (بها قلبي) إليك وتقرِّبه لديك، وخصَّه لأنه محل العقل ومَناط التجلِّي (وتجمع بها شملي) أي تضمُّه بحيث لا أحتاج إلىٰ أحد غيرك. وفي رواية: أمري، بدل: شملي (وتلم بها شعثي) أي ما تفرَّق من أمري فيصير ملتئمًا غير متفرِّق (وتردُّ بها ألفتي) بضم الهمزة وكسرها، مصدر بمعنىٰ اسم المفعول، أي أليفي أو مألوفي، أي ما كنت آلفه. وفي بعض النسخ: وتردُّ

---

(١) هذه الأدعية نقلها الغزالي عن قوت القلوب ١/ ١٢ - ٣٧.

(٢) فيض القدير ٢/ ١١٢ - ١١٦.

بها الفتن عني. وهو تحريف (**وتُصلِح بها ديني**) ولفظ القوت: وتقضي بها دَيْني (**وتحفظ بها غائبي**) وفي بعض الروايات: وتُصلِح بها غائبي. والمراد بالغائب: ما غاب، أي باطني، وإصلاح الدين وحفظ الغائب بالإيمان والأخلاق المُرْضية والمَلَكات الرضية (**وترفع بها شاهدي**) أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والخلال الجميلة، وفيه حُسن مقابلة بين الغائب والشاهد (**وتزكّي بها عملي**) أي تزيده وتنمّيه وتطهّره من أدناس الرياء والسمعة (**وتبيّض بها وجهي**) هكذا هو في القوت، وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات (**وتلهمني بها رُشدي**) أي تهديني بها إلىٰ ما يرضيك ويقرّبني إليك زُلْفَىٰ. وفي بعض النسخ: وتلقّني، بدل: تلهمني، وهكذا هو في القوت (**وتعصمني**) أي تحفظني وتمنعني (**بها من كل سوء**) أي تصرفني عنه وتصرفه عني (**اللهم أعطني إيمانًا صادقًا**) هكذا هو في القوت، وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات (و) إنما فيها: اللهم أعطني (**يقينًا ليس بعده كفر**) أي جحدٌ لدينك؛ فإنَّ القلب إذا تمكَّن منه نور اليقين انزاحت عنه ظلمات الشكوك واضمحلَّت منه غيوم الرِّيَب (**ورحمة**) أي عظيمة جدًّا (**أنال بها شرف كرامتك**) أي إكرامك (**في الدنيا والآخرة**) هكذا هو في القوت، وفي بعض الروايات: شرف الدنيا والآخرة، أي علو القَدْر فيهما (**اللهم إني أسالك الفوز عند القضاء**) وفي رواية: الصبر عند القضاء. وفي رواية: العفو. وفي أخرىٰ: الفوز في القضاء، أي الفوز باللطف فيه (**ومنازل الشهداء**) وفي رواية: ونُزُل الشهداء (**وعيش السعداء**) وهم الفائزون بالسعادة الأخرويَّة (**والنصر علىٰ الأعداء**) الدينية، أي الظَّفر بهم (**ومرافقة الأنبياء**) وسقطت هذه الجملة من بعض الروايات (**اللهم إني أُنزِل**) بالضم (**بك حاجتي**) أي أسالك قضاء ما أحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة (**وإن ضعُف رأيي**) أي عن إدراك ما هو الأنجح (**وقلَّت حيلتي وقصَّر عملي**) أي عن بلوغ مراتب الكمال. و«قصَّر» بالتشديد بمعنىٰ عجز. وفي رواية: وإن قصَّر رأيي وضعُف عملي (**وافتقرت إلىٰ رحمتك**) هكذا في النسخ بإثبات واو العطف، ومثله في القوت، والرواية بإسقاطها، والمعنىٰ: احتجتُ في بلوغ ذلك إلىٰ

شمولي برحمتك التي وسعت كلَّ شيء (**فأسألك**) أي فبسبب ضعفي وافتقاري أطلب منك (**يا قاضي الأمور**) أي حاكمها ومُحكِمها. وفي بعض النسخ: يا كافي الأمور (**ويا شافي الصدور**) يعني القلوب التي في الصدور من أمراضها التي إن توالت عليها أهلكتها هلاك الأبد (**كما تجير**) أي كما تفصل وتحجز (**بين البحور**) من اختلاط أحدهما بالآخَر مع الاتصال وتكفُّه من البغي عليه مع الالتصاق (**أن تجيرني من عذاب السعير**) بأن تحجزه عني (**ومن دعوة الثبور**) أي النداء بالهلاك (**ومن فتْنة القبور**) بأنْ ترزقني الثبات عند سؤال منكَرٍ ونكير، قال ذلك إظهارًا لكمال العبوديَّة وإخباتًا له وتواضعًا لِما ثبت من الخارج عصمة الأنبياء من كل ما ذُكر (**اللهم ما قصر عنه رأيي**) أي اجتهادي في تدبيري (**وضعُف عنه عملي**) هكذا في القوت، وسقطت من بعض الروايات (**ولم تبلغه نيَّتي**) أي تصحيحها في ذلك الشيء المطلوب (**وأمنيتي**) هكذا في النسخ، ومثله في القوت. وفي رواية: ولم تبلغه مسألتي (**من**) كل (**خير وعدتَه أحدًا من عبادك**) هكذا في رواية البيهقي، ومثله في القوت. وفي بعض الروايات: من خَلْقك، بدل: من عِبادك. والإضافة للتشريف (**أو خير**) معطوف علىٰ ما قبله. وفي رواية: أو خيرًا، بالنصب (**أنت معطيه أحدًا من خَلْقك**) أي من غير سابقة وعدٍ له بخصوصه، فلا يُعَدُّ بما قبله تكرارًا كما قد يُتوهَّم وفي رواية: من عبادك، بدل: من خلقك (**فإني أرغب**) أي أطلب منك بجدٍّ واجتهاد (**إليك فيه**) أي في حصوله منك لي (**وأسألكه**) كذا بإثبات الضمير في القوت وسائر نسخ الكتاب. وفي رواية من غير الضمير، أي وأسألك زيادةً علىٰ ذلك. وفي رواية بعد هذا: من رحمتك (**يا رب العالمين**) ذكره تتميمًا لكمال الاستعطاف والابتهال. وفي بعض الروايات بحذف حرف النداء (**اللهم اجعلنا هادين**) أي دالِّين الخَلْق على ما يوصلهم للحق (**مهتدين**) إلىٰ إصابة الصواب في القول والعمل. وفي نسخة: مهديِّين. وإنما قدَّم الأولىٰ علىٰ الثانية مع أن من لا يكون مهديًّا في نفسه كيف يكون هاديًا لغيره إشارةً إلىٰ أن الهادي نفعه متعدٍّ إلىٰ الغير، فبهذا النظر استحقَّ التقديمَ (**غير ضالِّين**) عن الحق (**ولا مضلِّين**) لأحد من خلقك (**حربًا لأعدائك**)

أي أعداء الدين، أي ذا حرب لهم. وفي رواية: عدوًّا، بدل: حربًا (**وسِلْمًا**) بكسر السين وسكون اللام، أي صلحًا (**لأوليائك**) الذين هم حِزبك المفلحون (**نحب بحبِّك**) أي بسبب حبِّنا لك (**مَن أطاعك من الناس**) وفي بعض النسخ: نحب بحبِّك الناسَ. وهكذا هو في القوت وعند البيهقي (**ونعادي بعداوتك**) أي بسبب عداوتك (**مَن خالفك**) أي خالف أمرك (**من خلقك، اللهم هذا الدعاء**) أي هذا ما أمكننا من الدعاء قد أتينا به ولم نألُ جهدًا (**وعليك الإجابة**) فضلاً منك لا وجوبًا، وقد قلتَ في كتابك العزيز: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] فها نحن قد دعوناك فاستجبْ لنا (**وهذا الجهد**) بضم الجيم وفتحها، أي الوسع والطاقة (**وعليك التُّكلان**) بالضم، أي الاعتماد والتوكل في سائر الأحوال (**وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم**) ومن قوله «اللهم اجعلنا هادين» إلىٰ هنا سقط في بعض الروايات، وفي بعضها تقديم وتأخير (**ذي الحبل الشديد**) هكذا في نسخ الكتاب علىٰ أنه بدل من اسم الله عَزَّوَجَلَّ، وفي القوت: ذا الحبل، علىٰ تقدير: يا ذا الحبل. والرواية المشهورة بعد قوله «رب العالمين»: اللهم يا ذا الحبل الشديد. واختلفوا في ضبط هذا اللفظ، فقال ابن الأثير[1]: يرويه المحدِّثون بموحدة، والمراد القرآن أو الدين أو السبب، ومنه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٣] وصفه بالشدة لأنها من صفات الحبال، والشدة في الدين: الثبات والاستقامة. وصوَّب الأزهري[2] كونه بالياء التحتية وهو القوة، واقتصر عليه الزمخشري[3] جازمًا، حيث قال: الحَيْل هو الحول، أُبدِلَ واوه ياءً، وروىٰ الكسائي: لا حَيْل ولا قوة إلا بالله، والمعنىٰ: ذا الكيد والمكر الشديد، وقيل: ذا القوة؛ لأن أصل الحول: الحركة والاستطاعة (**والأمر الرشيد**) أي السديد الموافق لغاية الصواب (**أسألك الأمن**) من الفزع والأهوال (**يوم الوعيد**) أي يوم القيامة (**والجنة**) أي وأسألك الفوز بها

---

(١) النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٣٢.

(٢) تهذيب اللغة ٥/ ٢٤٤.

(٣) الفائق في غريب الحديث ١/ ٣٤٠.

(يوم الخلود) أي يوم إدخالك عبادك دار الخلود، أي خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار، وذلك بعد فصل القضاء وانتهاء[١] الأمر (مع المقرَّبين) أي إلىٰ الحضرات القُدسية (الشهود) أي المقرَّبين[٢] إلىٰ ربِّهم، المشاهدين لكمال جلاله (الرُّكَّع السجود) أي المكثرين [للصلاة ذات] الركوع والسجود (الموفينَ بالعهود) وفي القوت بزيادة واو العطف، أي بما عاهدوا عليه الحقَّ والخلق (إنك رحيم) أي موصوف بكمال الإحسان بدقائق النعم (ودود) أي شديد الحب لمَن والاك (وأنت تفعل ما تريد) هكذا هو في القوت وعند البيهقي، وعند غيرهما: وإنك تفعل ما تريد. أي فتعطي من تشاء مسئوله وإن عظُم، لا مانع لِما أعطيتَ (سبحان الذي تعطَّف بالعز) وفي رواية للسهيلي في الروض[٣]: لبس العز. ومعنى تعطَّف: أي تردَّي به، قال الزمخشري[٤]: العِطاف والمِعْطَف كالرِّداء والمِرْدىٰ، واعتطفه وتعطَّفه كارتداه وتردَّاه. وسُمِّي[٥] الرداء عِطافًا لوقوعه علىٰ عِطْفَي الرجل، وهما ناحيتا عنقه[٦]. أي اتَّصف بأنه يغلب كلَّ شيء ولا يغالبه شيءٌ؛ لأن العزة هي الغلبة علىٰ كلية الظاهر والباطن[٧]. وهذا من المجاز الحُكْمي، نحو: نهاره صائم. والمراد وصفُ الرجل بالصوم ووصفُ الله بالعز، ومثله قوله:

يجرُّ رياط الحمد في دار قومه[٨]

---

(١) في الفيض: وانقضاء.

(٢) في الفيض: الناظرين.

(٣) الروض الأنف ١/ ١٨٦.

(٤) الفائق في غريب الحديث ٢/ ٤٤٦.

(٥) من هنا إلىٰ قوله (كلية الظاهر والباطن) ليس في الفائق.

(٦) تهذيب اللغة ٢/ ١٨٠.

(٧) هذا تعريف أبي الحسن الحرالي، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٢/ ١٦٢.

(٨) قال ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣/ ١٨٢ - ١٨٣ (ط - دار الكتب العلمية): «قال أبو الهول في أبي المراء عتبة بن عاصم:

إذا فاخرتنا من معد عصابة ... فخرنا عليها بابن عتبة عاصم

أي هو محمود في قومه **(وقال به)** أي غلب به علىٰ كل عزيز وملك عليه أمره، من القَيْل وهو المَلِك الذي ينفذ قولُه فيما يريد. ا.هـ. وفي الروض للسهيلي: قد صرفوا من القَيْل فعلاً فقالوا: قالَ علينا فلانٌ، أي مَلَكَ، والقيالة: الإمارة، ومنه قوله: «سبحان الذي لبس العز وقال به» أي مَلَكَ به وقهر؛ هكذا فسَّره الهَرَوي في الغريبين[1]. ا.هـ. وبه يُعرَف أن مَن فسَّره - كصاحب النهاية[2] وغيره - بمعنىٰ أحبَّه واختصَّ به، غير جيِّد **(سبحان الذي لبس المجد)** أي ارتدىٰ بالعَظَمة والكبرياء والشرف والكمال[3]، وأصل المجد: كرم الفِعال، ولذلك حسُن تعقيبُه بقوله: **(وتكرَّم به)** أي تفضَّل وأنعم به علىٰ عباده **(سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له)** أي لا ينبغي التنزيه المطلق إلا لجلاله **(سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم)** هكذا هو في القوت، وفي رواية: ذي المجد والكرم، وفي أخرىٰ: ذي العز والكرم. وزاد البيهقي بعد هذا: **(سبحان الذي أحصىٰ كلَّ شيء علمُه)** كذا في القوت، ولفظ البيهقي: علمه. وزاد البيهقي بعده: سبحان ذي المَنِّ، سبحان ذي الطَّوْل، سبحان ذي الجلال والإكرام **(اللهم اجعل لي نورًا)** التنوين للتعظيم، أي نورًا عظيمًا **(في قلبي)** وقدَّم القلب لأنه مقر للتفكُّر في آلاء الله ومصنوعاته، والنور: ما يتبيَّن به الشيء **(ونورًا في قبري)** أستضيء به في ظُلمة اللحد **(ونورًا في سمعي)** لأنه محل السماع لآياتك **(ونورًا في بصري)** لأنه محل النظر إلىٰ مصنوعاتك، فبزيادته فيهما تزداد المعارف **(ونورًا في شعري، ونورا في بَشَري)** أي ظاهر جلدي

يجر رياط الحمد في دار قومه ... ويختال في عرض من الذم سالم»

وأبو الهول المذكور اسمه عامر بن عبد الرحمن الحميري، من شعراء الدولة العباسية الأولىٰ، اشتهر بالهجاء المقذع، وله مدائح في المهدي والهادي والرشيد. انظر: تاريخ بغداد ١٤/ ١٥٥.

(١) الغريبين ص ١٥٩٣، ونصه: «سمعت الأزهري يقول: اشتمل بالعز وغلب به، وأصله من القيل وهو الملك ينفذ قوله».

(٢) النهاية في غريب الحديث ٤/ ١٢٣، ونصه: «أي أحبه واختصه لنفسه، كما يقال: فلان يقول بفلان، أي بمحبته واختصاصه. وقيل: معناه: حكم به؛ فإن القول يستعمل في معنىٰ الحكم».

(٣) في الفيض: والكرم.

(ونورًا في لحمي) الظاهر والباطن **(ونورًا في دمي، ونورًا في عظامي، ونورًا بين يديَّ)** أي يسعىٰ أمامي **(ونورًا من خلفي)** أي من ورائي؛ ليتبعني أتباعي ويقتدي به أشياعي **(ونورًا عن يميني، ونورًا عن شِمالي، ونورًا من فوقي، ونورًا من تحتي)** أي اجعل النور يحفُّني من الجهات الست. ونصَّ علىٰ هؤلاء لأن اللعين يأتي الناسَ في هذه الأعضاء من تلك الجهات فيوسوسهم وسوسة مشوبة بظلمة، فدعا بإثبات النور فيها **(اللهم زدني نورًا، وأعطني نورًا، واجعل لي نورًا)** هكذا هو في القوت. وفي رواية: اللهم أعظِمْ لي نورًا وأعطني نورًا واجعل لي نورًا. وفي رواية أخرىٰ بدل الجملة الأخيرة: واجعلني نورًا. وفي قوله «أعطني نورًا» عطفُ عامٍّ علىٰ خاص، أي اجعل لي نورًا شاملاً للأنوار السابقة وغيرها، وهذا دعاء بدوام ذلك؛ لأنه حاصل له، وهو تعليم لأمَّته. قال القاضي: معنىٰ طلب النور للأعضاء أن تتحلَّىٰ بأنوار المعرفة والطاعة، وتعرىٰ عن ظلم الجهالة والمعاصي وطلب الهداية للنهج القويم والصراط المستقيم، وأن يكون جميع ما يعرض له سببًا لمزيد علمه وظهور أمره، وأن يحيط به يوم القيامة فيسعىٰ خلال النور، كما قال تعالىٰ في حق المؤمنين: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨] ثم لمَّا دعا أن يجعل لكل عضو من أعضائه نورًا يهتدي به إلىٰ كماله وأن يحيط به من جميع الجوانب فلا يخفَىٰ عليه شيء ولا ينسدُّ عليه طريق دعا أن يجعل له نورًا يستضيء به الناس ويهتدون إلىٰ سبيل معاشهم ومعادهم في الدنيا والآخرة.

وقال الشيخ الأكبر قُدِّس سره: دعا أن يجعل النور في كل عضو، وكل عضو فله دعوىٰ بما خلقه الله عليه من القوة التي ركَّبها فيه وفطره عليها، ولمَّا علم ﷺ ذلك دعا أن يجعل الله فيه علمًا وهدىً منفرًا لظلمة دعوىٰ كل مدَّعٍ من عالَمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال: اجعلني نورًا، يقول: اجعلني نورًا يهتدي بي كلُّ من رآني في ظلمات بر [ظاهره] وبحر [نفسه وباطنه] فأعطاه القرآن، وأعطانا الفهم فيه، وهذه منحة من أعلىٰ المِنَح في رتبة هي أسنىٰ المراتب.

وقال في كتاب الشريعة[١]: دعا بالنور في كل عضو ثم قال: اجعلني نورًا، يقول: اجعلني هدًىٰ يهتدي بي كل من رآني؛ فإنها من أسنىٰ المراتب، ومعناه: غيِّبني عني وكن أنت بوجودي فأرىٰ كل شيء ببصرك، وأسمع كل شيء بسمعك، وهكذا جميع ما فصَّله ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار حتىٰ يعرف نور اليمين من نور الشِّمال، وهكذا سائر الأنوار، ثم أَقِمْني في عين الجمع، فتتَّحد الأنوار بوحدانيَّة العين، فإن لم أكن هناك فبجعلك إيَّاي نورًا كلِّيًا، وإن كنت هناك فبجعلك لي نورًا أهتدي به في ظلمات كوني.

تنبيه: قال العراقي[٢]: الحديث بطوله رواه الترمذي[٣] وقال: غريب. ولم يذكر في أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه في بيت ميمونة، وهو بهذه الزيادة في الدعاء[٤] للطبراني.

قلت: وأورده بطوله صاحب القوت فقال: رواه ابن أبي ليلىٰ عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس. وبسياق المصنِّف رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة[٥] والبيهقي في كتاب الدعوات[٦]، كلُّهم من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جدِّه. وداود[٧] هذا عم المنصور، ولي المدينةَ والكوفة للسفَّاح، حدَّث عنه الكبار كالثوري والأوزاعي، ووثَّقه ابن حبَّان وغيره، وقال ابن معين: أرجو أنه لا يكذب، إنما يحدِّث بحديث واحد. كذا روىٰ عثمان بن سعيد عنه. وأورده ابن

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ٤٦٩.

(٢) المغني ١/ ٢٧٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٤١٩ - ٤٢١.

(٤) الدعاء ص ١٠١٩ - ١٠٢١.

(٥) مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر ص ٣٣٧.

(٦) الدعوات الكبير ١/ ١٣٢ - ١٣٤.

(٧) ميزان الاعتدال ٢/ ١٣ - ١٤. تهذيب الكمال ٨/ ٤٢١ - ٤٢٥. الثقات لابن حبان ٦/ ٢٨١. الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٥٥ - ٩٥٩.

عدي في الكامل وساق له بضعة عشر حديثًا ثم قال: عندي لا بأس برواياته عن أبيه عن جدِّه. واحتجَّ به مسلم، وخرَّج له الأربعة[(١)].

(دعاء عائشة ﵂) وإنما نسب إليها لكون النبي ﷺ علَّمها إيَّاه (قال رسول الله ﷺ لعائشة ﵂: **عليكِ بالجوامع الكوامل**) أي بالدعاء الجامع لسائر معاني الأدعية (قولي: **اللهم إني**) أسألك الصلاة علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد و(**أسألك من الخير كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله ما علمتُ منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك**) وفي رواية: من خير ما سألك (**به عبدك ورسولك محمد ﷺ**) وفي رواية: عبدك ونبيك (**وأستعيذك ممَّا استعاذك منه**) وفي رواية: وأعوذ بك من شرِّ ما عاذَ به (**عبدك ورسولك محمد ﷺ**) وفي رواية: عبدك ونبيك (**وأسألك ما قضيتَ لي من أمر أن تجعل عاقبته رَشَدًا برحمتك يا أرحم الراحمين**) وفي رواية: وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيتَه لي خيرًا. تبع المصنفُ في سياقه صاحبَ القوت، إلا في الصلاة في أوله فقد ذكره صاحب القوت كما ذكرناه.

قال[(٢)] الحليمي في المنهاج[(٣)]: هذا من جوامع الدعاء التي استحبَّ الشارع الدعاءَ بها؛ لأنه إذا دعا بهذا فقد سأل الله من كل خير وتعوَّذ به من كل شرٍّ، ولو اقتصر الداعي علىٰ طلب حسنة بعينها أو دفع سيئة بعينها كان قد قصَّر في النظر لنفسه. ا.هـ. وقال الراغب[(٤)]: فيه تنبيه علىٰ أن حق العاقل أن يرغب إلىٰ الله تعالىٰ في أن يعطيه من الخيور ما فيه مصلحته [ممَّا لا سبيل بنفسه إلىٰ اكتسابه] وأن

---

(١) لم يحتج به مسلم، ولم يرو له إلا الترمذي.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٢٨.

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٥٣٢ - ٥٣٣.

(٤) الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ٦٣ - ٦٤ باختصار.

يبذل جهده مستعينًا بالله في اكتساب ما له كسبُه [نافعًا عاجلاً وآجلاً ومطلقًا و] في كل حال وفي كل زمان ومكان. قال: والخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله وهو الذي يتشوَّفه كلُّ عاقل.

وقال العراقي[١]: رواه ابن ماجه[٢] والحاكم[٣] وصحَّحه من حديثها.

قلت: وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد[٤] وأحمد في المسند[٥] وابن عساكر في التاريخ[٦].

(دعاء فاطمة ﷺ) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **(قال رسول الله ﷺ: يا فاطمة، ما يمنعكِ أن تسمعي ما أوصيكِ به أن تقولي: يا حي يا قيُّوم، برحمتك أستغيث، لا تَكِلني إلىٰ نفسي طَرْفة عين، وأصلِحْ لي شأني كلَّه)** هكذا ساقه في القوت.

قال العراقي[٧]: رواه النسائي في اليوم الليلة[٨] والحاكم[٩] من حديث أنس وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: ورواه كذلك ابن عدي في الكامل[١٠] والبيهقي في الشعب[١١]. وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا زيد بن

---

(١) المغني ١/ ٢٧٣.

(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٦.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٠.

(٤) الأدب المفرد ص ١٩٢.

(٥) مسند أحمد ٤١/ ٤٧٤، ٤٢/ ٦٧.

(٦) تاريخ دمشق ٥٤/ ١١٢.

(٧) المغني ١/ ٢٧٣.

(٨) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢١٢.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٩.

(١٠) الكامل في الضعفاء ٤/ ١٦٣٦.

(١١) شعب الإيمان ٢/ ٢١٢ - ٢١٣.

الحُباب، أخبرني عثمان بن موهب قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة ﷺ ... فساقه مثله.

(دعاء أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه**: علَّم رسولُ الله ﷺ أبا بكر الصِّدِّيق** رضي الله عنه **أن يقول: اللهم إني أسألك بمحمد نبيِّك، وإبراهيم خليلك، وموسىٰ نَجِيِّك، وعيسىٰ كلمتك وروحك)** وفي بعض النسخ: روحك وكلمتك **(وبتوراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وزَبُور داود، وفرقان محمد ﷺ، وبكل وحي أوحيتَه)** إلىٰ رسلك وأنبيائك **(أو قضاء قضيتَه)** في خَلْقك **(أو سائل أعطيتَه)** ما سأل **(أو غنيٍّ أقنيته)** أي جعلتَه صاحب قنية **(أو فقير أغنيتَه)** من فقره **(أو ضالٍّ هديتَه)** إلىٰ الصراط المستقيم **(وأسألك باسمك الذي أنزلتَه علىٰ موسىٰ** عليه السلام**، وأسألك باسمك الذي بثثت)** ولفظ القوت: قسَّمت **(به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعتَه علىٰ الأرض فاستقرَّت)** عن الاضطراب **(وأسألك باسمك الذي وضعتَه علىٰ السموات فاستقلَّت)** أي حملت **(وأسألك باسمك الذي وضعتَه علىٰ الجبال فأرست)** وفي نسخة: فرَسَتْ **(وأسألك باسمك الذي استقلَّ به عرشُك)** أي حُمل **(وأسألك باسمك الطُّهْر الطاهر)** الأول وصفٌ علىٰ المبالغة **(الأحد الصمد الوِتْر المبارَك المنزَّل في كتابك من لدنك)** أي من عندك **(من النور المبين)** أي الظاهر **(وأسألك باسمك الذي وضعتَه علىٰ النهار فاستنار)** أي أضاء **(وعلىٰ الليل فأظلمَ، وبعَظَمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن)** تصلي علىٰ محمد وآله، وأن **(ترزقني القرآن)** أي جمعه في صدري **(والعلم به)** أي الفهم لمعانيه **(وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدي بحولك وقوَّتك؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين)** هكذا ساقه صاحب القوت بطوله.

وقال العراقي(١): رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة [عن أبيه] أن أبا بكر أتىٰ النبي ﷺ فقال: إني أتعلَّم القرآن ويتفلَّت

---

(١) المغني ١/ ٢٧٤.

مني ... فذكره[١]. وعبد الملك وأبوه ضعيفان، وهو منقطع بين هارون وأبي بكر.

قلت: وقد رُوي في دعاء أبي بكر رضي الله عنه غير ما أورده المصنِّف، فمن ذلك ما رواه الترمذي[٢] - وقال: حسن غريب - من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «يا أبا بكر، قل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا أو أجُرَّه إلىٰ مسلم».

وروىٰ ابن أبي شيبة[٣] وأحمد[٤] والشيخان[٥] والترمذي[٦] والنسائي[٧] وابن ماجه[٨] وابن خزيمة[٩] وأبو عَوانة وابن حبان[١٠] والدارقطني في الأفراد[١١] عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: علِّمْني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني؛ إنك أنت الغفور الرحيم».

وروىٰ أحمد[١٢] وابن منيع والشاشي وأبو يعلىٰ[١٣] وابن السني في اليوم

(١) ورواه الطبراني في الدعاء ص ١٤٢٢ من حديث ابن عباس بنحوه.
(٢) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٠ - ٥٠١.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٩٤.
(٤) مسند أحمد ١/ ١٨٧، ٢٠٧.
(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٦٩، ٤/ ١٥٨، ٣٨١. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٤ - ١٢٤٥.
(٦) سنن الترمذي ٥/ ٥٠٢.
(٧) سنن النسائي ص ٢١٢.
(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٥٨.
(٩) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٩.
(١٠) صحيح ابن حبان ٥/ ٣١٤.
(١١) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٣٨.
(١٢) مسند أحمد ١/ ٢٢١، ٢٢٧، ٢٤٢.
(١٣) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٧٨.

والليلة(١) والضياء(٢) عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالِم الغيب والشهادة، أنت رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمدًا عبدك ورسولك، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف علىٰ نفسي سوءًا أو أجرَّه إلىٰ مسلم».

(دعاء **بُرَيدة**) بن الحُصَيب (**الأسلمي**) رضي الله عنه، شهد خيبر، ونزل مَرْو(٣)، وبها أولاده (رُوي أنه قال له رسول الله ﷺ: **يا بُرَيدة، ألا أعلِّمك كلمات من أراد الله** عز وجل **به خيرًا علَّمهنَّ إيَّاه**) بأن ألهمه إيَّاها، أو سخَّر له مَن يعلِّمه ذلك (**ثم لم ينسه إيَّاهن**) ولفظ القوت: ثم لم يُنسِهنَّ إيَّاه (**أبدًا؟ قال: قلت: بلىٰ يا رسول الله**) صلىٰ الله عليك (**قال: قل: اللهم إني ضعيف**) أي عاجز، يقال: ضعُف عن الشيء: عجز عن احتماله (**فقوِّ في رضاك ضعفي**) وفي رواية: برضاك والمعنىٰ: اجبره به، والضعف بالفتح والضم (**وخذ إلىٰ الخير بناصيتي**) أي جرَّني إليه (**واجعل الإسلام منتهىٰ رضائي**) أي غايته وأقصاه. ووُجد هنا في بعض النسخ زيادة: وبلِّغْني برحمتك الذي أرجو من رحمتك، واجعل لي ودًّا في صدور الذين آمنوا وعهدًا عندك (**اللهم إني ضعيف فقوِّني، وإني ذليل**) أي مستهان عند الناس (**فأعِزَّني، وإني فقير فأغنني**) وفي رواية: فارزقني. وقد اقتصر صاحب القوت علىٰ هذه الجملة الأخيرة، وقال في آخره: برحمتك يا أرحم الراحمين.

وقال العراقي(٤): رواه الحاكم(٥) من حديث بريدة وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٤٣٢.

(٢) الأحاديث المختارة ١/ ١١٣ - ١١٥.

(٣) مرو: مدينة كبيرة تقع جنوب شرق تركمانستان، علىٰ ضفاف نهر المرجاب، وتشتهر بإنتاج الغاز الطبيعي، كما أنها مركز لصناعات القطن والصوف والجلود.

(٤) المغني ١/ ٢٧٤.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٦.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلىٰ، ورواه الطبراني في الكبير[١] من حديث عبد الله بن عمرو، وفي الإسناد أبو داود الأعمىٰ، وهو متروك. ولفظهم: «ألا أعلِّمك كلمات من يُرِد اللهُ به خيرًا يعلِّمهنَّ إيَّاه ثم لا ينسيه أبدًا؟ قل: اللهم إني ضعيف فقَوِّ برضاك ضعفي، وخذ إلىٰ الخير بناصيتي، واجعل الإسلام منتهىٰ رضائي، اللهم إني ضعيف فقوِّني، وإني ذليل فأعِزَّني، وإني فقير فارزقني».

(دعاء قَبِيصة بن المُخارِق) الهلالي[٢] رضي الله عنه، له صحبة، روىٰ عنه أبو قِلابة وأبو عثمان النَّهْدي وعدَّة (إذ قال لرسول الله ﷺ: **علِّمْني كلمات ينفعني الله عز وجل بها**) وأوجِزْ (**فقد كبُرت سِنِّي، وعجزتُ عن أشياء كثيرة كنت أعملها. فقال له رسول الله ﷺ: أمَّا لدنياك فإذا صلَّيتَ الغَداة فقل ثلاث مرَّات: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، فإنك إذا قلتهنَّ أَمِنتَ**) بإذن الله (**من الغم**) كذا في النسخ، وفي رواية: من العمىٰ (**والجُذام والبَرَص والفالِج، وأمَّا لآخرتك فقل: اللهم**) صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آله و(**اهدني من عندك، وأَفِضْ عليَّ من فضلك، وانشرْ عليَّ من رحمتك، وأنزِلْ عليَّ من بركاتك**) وفي رواية: وألبِسْني أثواب عافيتك (**ثم قال ﷺ: أما إنه إذا وافَىٰ بهنَّ عبدٌ يوم القيامة ولم يَدَعهنَّ**) أي لم يتركهنَّ (**فُتح له أربعة أبواب من الجنة**) إذ هي أربع كلمات، يُفتَح له بكل كلمة باب من الجنة. وفي بعض النسخ زيادة: يدخل بها من أيِّها شاء.

قال العراقي[٣]: رواه ابن السني في اليوم والليلة[٤] من حديث ابن عباس، وهو عند أحمد[٥] مختصرًا من حديث قبيصة، وفيه رجل لم يُسَمَّ.

---

(١) المعجم الكبير ١٣/ ٥٨٣.

(٢) الكاشف للذهبي ٢/ ١٣٣.

(٣) المغني ١/ ٢٧٤.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٩٧ - ٩٩.

(٥) مسند أحمد ٣٤/ ٢٠٧.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير[١] وفي كتاب الدعوات[٢] مختصرًا من حديث ابن عباس، والطبراني أيضًا وابن شاهين من حديث قبيصة، ولفظهم: «يا قبيصة، قل ثلاث مرات إذا صلَّيت الغَداة ...»، وفيه: «فإنك إذا قلتَ ذلك أَمِنتَ بإذن الله من العمىٰ والجُذام والبَرَص، وقل: اللهم اهدني من عندك ...» إلىٰ قوله: من بركاتك.

وفي كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا[٣]: حدثنا أحمد بن حاتم، عن زفر بن سليمان، عن بكر بن خُنَيس، عن نافع، عن عطاء، عن ابن عباس أن رجلاً من بني هلال يُدعَىٰ قبيصة أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، كبُرت سنِّي، ودقَّ عظمي، وضعُفت عن عمل كنت أعمله من حج أو جهاد أو صوم، فجئتك لتعلِّمني كلمات ينفعني الله بهنَّ في الدنيا والآخرة. فقال: «ما قلتَ يا قبيصة»؟ فأعاد، قال: «والذي بعثني بالحق، ما حولك من شجر ولا مَدَر إلا وقد بكىٰ لمقالتك، هاتِ حاجتك». قال: جئتك لتعلِّمني كلمات ينفعني الله بهنَّ في الدنيا والآخرة. قال: «أمَّا الدنيا فقل: سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله، يصرف عنك ثلاثًا بلايا عظام من الجنون والجُذام والبَرَص. وأمَّا لآخرتك فقل إذا أصبحت: اللهم اهدنا من عندك، وأَفِضْ علينا من فضلك، وانشرْ علينا رحمتك، وأنزِلْ علينا بركاتك». قال: فقبض علىٰ أصابعه هكذا، فقال أبو بكر: يا رسول الله، قد قبض علىٰ أصابعه. قال: «لئن وافَىٰ بهنَّ يوم القيامة لتفتحنَّ عليه أبواب الجنة يدخل من أيِّها شاء».

(دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه. قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أدرِكْ دارك. وكانت النار قد وقعت في محلَّته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك. ثم أتاه آتٍ فقال له ذلك ثلاثًا، كل ذلك يقول: ما كان الله ليفعل ذلك. ثم أتاه آتٍ فقال له: إن النار لمَّا دَنَتْ من

---

(١) المعجم الكبير ١٨/ ٣٦٨.

(٢) الدعاء ص ١١٣٦ من حديث أنس بن مالك، وليس من حديث ابن عباس.

(٣) ومن طريقه رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب ٢/ ١٤٩.

دارك طفئت. قال: قد علمتُ ذلك. فقيل له: ما ندري أيُّ قوليك أعجبُ. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضرَّه شيء، وقد قلتُهنَّ) اليوم، فأنا علىٰ يقين من عدم إصابة الضرر لي (وهي) هذه: **(اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، عليك توكَّلتُ، وأنت رب العرش العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، ما شاء الله)** عَزَّوَجَلَّ ربِّي **(كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلمُ أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا وأحصىٰ كلَّ شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابَّة أنت آخِذ بناصيتها، إن ربي علىٰ صراط مستقيم)** هكذا أورده صاحب القوت فقال: رُوي عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال: أُتي أبو الدرداء فقيل له: احترقت دارك. فقال: ما كان الله عَزَّوَجَلَّ ليفعل ... فساقه.

وقال العراقي[1]: رواه الطبراني في الدعاء[2] من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف.

قلت: ورواه ابن السني في عمل يوم وليلة[3] من حديثه: «من قال حين يصبح: ربِّي الله [الذي] لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، أشهد أن الله علىٰ كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه من شر كل دابَّة أنت آخذ بناصيتها، إن ربِّي علىٰ صراط مستقيم، لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه».

(دعاء) سيدنا **(إبراهيم الخليل ﷺ)** يُروىٰ أنه **(كان يقول إذا أصبح: اللهم إن هذا خَلْق جديد، فافتحْه عليَّ بطاعتك، واختمْه لي بمغفرتك ورضوانك، وارزقني**

---

(١) المغني ١/ ٢٧٤.

(٢) الدعاء ص ٩٥٣.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٥٥.

فيه حسنة تقبَّلْها مني وزَكِّها) أي أنمِها (وضعِّفْها لي، وما عملتُ فيه من سيِّئة فاغفرها لي، إنك غفور رحيم ودود كريم. قيل: مَن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدَّىٰ شكر يومه) وكذلك إذا أمسىٰ ودعا فقد أدَّىٰ شكر ليلته. نقله صاحب القوت وقال: وروينا في الأخبار أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يقول ... الخ.

(دعاء) سيدنا (عيسىٰ عليه السلام) يُروَىٰ عن معمر عن جعفر بن برقان أن عيسىٰ عليه السلام (كان يقول) في دعائه. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن الفضل بن زياد عن عبَّاد بن عمران عن جرير بن حازم قال: كان عيسىٰ عليه السلام يقول: (اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره) أي لنفسي (ولا أملك نفع ما أرجو) نفعه لنفسي (وأصبح الأمر بيد غيري[1]، وأصبحت مرتهنًا بعملي) أي كهيئة المرتهن (فلا فقير) في الدنيا (أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوِّي) أي لا تفرحه فيَّ (ولا تسوء بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني) أي لا تصبني بما يُنقِص ديني من فترة في عبادة وغيرها (ولا تجعل الدنيا أكبر همِّي[2]) فإنَّ ذلك سببٌ للهلاك (ولا تسلِّط عليَّ مَن لا يرحمني) أي لا تجعل الظالم عليَّ حاكمًا، أو المراد: مَن لا يرحمني من ملائكة العذاب، والقصد بذلك التشريع للأمَّة (يا حي يا قيُّوم)[3] هكذا أورده صاحب القوت. وقد جاء عند الترمذي[4] والحاكم[5] من حديث ابن عمر في آخره: «وانصرنا علىٰ مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر هَمِّنا

---

(١) في القوت: وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك.

(٢) بعده في القوت: ولا مبلغ علمي ولا غاية أملي.

(٣) رواه عبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٧ ومن طريقه البيهقي في شعب الإيمان ١/ ٣٩٩ وأحمد في الزهد ص ٧٩ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٧/ ٤١٢ عن جعفر بن برقان. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥٠١، ١٢/ ٩ عن إسماعيل بن أبي خالد قال: حدثني رجل قبل الجماجم من أهل المساجد قال: أُخبرت أن عيسىٰ عليه السلام كان يقول ... الخ.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٨١ وقال: حسن غريب.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٧ وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري.

ولا مَبْلَغ علمنا، ولا تسلِّط علينا مَن لا يرحمنا». قال ابن عمر: قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يدعو بهذه الدعوات [لأصحابه].

(دعاء الخَضِر ﷺ: يقال) وفي القوت: روينا عن عطاء عن ابن عباس **(أن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم)** أي من مواسم الحج **(لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله، كل نعمة فمن الله، ما شاء الله، الخير كلُّه بيد الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله)** هكذا ساقه في القوت، وهو[1] في فوائد أبي إسحاق المزكِّي تخريج الدارقطني[2] قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خُزَيمة، حدثنا محمد بن أحمد بن زبداء، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس، لا أعلمه إلا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ قال: يلتقي ... فساقه. قال الدارقطني في الأفراد[3]: لم يحدِّث به عن ابن جُرَيج غير الحسن بن رزين. وقال العقيلي[4]: لم يتابَع عليه، وهو مجهول، وحديثه غير محفوظ. وقال أبو الحسين ابن المنادىٰ: وهو واهٍ بالحسن المذكور. قال الحافظ: وقد جاء من غير طريقه، لكن من وجه واهٍ جدًّا أخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمَّار حدثنا محمد بن مهدي [حدثنا مهدي] بن هلال حدثني ابن جُرَيج ... فذكره بلفظ: يجتمع البري والبحري إلياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة. قال ابن عباس: بلغنا أنه يحلق كلٌّ منهما رأس صاحبه، ويقول أحدهما للآخر: قل بسم الله ... الخ.

وأخرجه[5] أبو ذر الهَرَوي في مناسكه عن ابن عباس بلفظ: يلتقي الخضر

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣/ ١٢٠.

(٢) المزكيات ص ٩١ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٣) في أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٤٨٦: «تفرد به عمرو بن عاصم عن الحسن بن زريق عن ابن جريج».

(٤) الضعفاء الكبير ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤.

(٥) القرىٰ لقاصد أم القرىٰ ص ٥٦.

وإلياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هذه الكلمات: بسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله (**فمن قالها ثلاثًا إذا أصبح أَمِن من الحرق والغرق والسرق**) هكذا هو لفظ القوت، ولفظ أبي ذر: «فمن قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرَّات عوفي من السرق والحرق والغرق - قال: وأحسبه: من السلطان والشيطان والحيَّة والعقرب».

وأخرجه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن[1] عن ابن عباس، وقال: لا أعلمه إلا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ قال: يلتقي الخضر وإلياس ... فساقه كسياق أبي ذر، وفيه: قال ابن عباس: من قالهنَّ حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرَّات أمَّنه الله من الحرق والغرق والسرق. قال عطاء: وأحسبه قال: ومن السلطان والشيطان والحية والعقرب.

وأخرج أيضًا عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام، فيقول جبريل: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله. فيردُّ عليه ميكائيل فيقول: ما شاء الله، كل نعمة من الله. فيردُّ عليهما إسرافيل فيقول: ما شاء الله، الخير كلُّه بيد الله. فيردُّ عليهم الخضر فيقول: ما شاء الله، لا يدفع السوء إلا الله. ثم يفترقون، فلا يجتمعون إلىٰ قابل في مثل ذلك اليوم.

وأخرج أيضًا عن داود بن يحيىٰ مولىٰ عون الطفاوي عن رجل كان مرابطًا في بيت المقدس وبعسقلان قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تظلُّه من الشمس، فوقع في قلبي أنه إلياس النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأتيته فسلَّمت عليه، فانفتل من صلاته فردَّ عليَّ السلام، فقلت له: من أنت

---

(١) مثير العزم الساكن ١/ ٢٦٣ - ٢٦٧.

يرحمك الله؟ فلم يردَّ عليَّ شيئًا، فأعدتُ القول مرتين، فقال: أنا إلياس النبي. فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب، فقلت له: إن رأيتَ رحمك الله أن تدعو لي أن يُذهِب الله عني ما أجد حتى أفهم حديثك. فدعا لي بثمان دعوات قال: يا بَر، يا رحيم، يا حي، يا قيُّوم، يا حَنَّان، يا مَنَّان، ياهيا شراهيا[1]. فذهب عني ما كنت أجد، فقلت له: إلى مَن بُعثتَ؟ فقال: إلى أهل بعلبك. قلت: فهل يُوحَى إليك اليوم؟ قال: منذ بُعث محمد ﷺ خاتم النبيين فلا. قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة: أنا والخضر في الأرض، وإدريس وعيسى في السماء. قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم، في كل عام بعرفات، يأخذ من شعري وآخُذ من شعره.

تنبيه: قول المصنف «من الحَرْق» بسكون الراء: أن يُحرَق هو أو متاعه في بَر أو بحر. والغَرَق محرَّكة: أن يغرق هو أو ماله في بَر أو بحر. والسَّرَق محرَّكة: اسم بمعنى السرقة، أن يُسرَق متاعه في بر أو بحر. وفي نسخة: الشَّرَق، بالشين المعجمة، بمعنى الحزن والغُصَّة، والأول هو المشهور.

(دعاء معروف) بن فيروز (الكَرْخي) أبي محفوظ، من رجال الحلية والرسالة (رحمه الله تعالى) قال صاحب القوت: وحدَّثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدَّعَّاء (قال): سمعت (محمد بن حسَّان) بن[2] فيروز البغدادي الأزرق، من رجال ابن ماجه، روى عن ابن عيينة وجماعة، وعنه ابن ماجه والمحاملي وخَلْقٌ، وثَّقوه، مات سنة ٢٥٧ (قال لي معروف الكرخي رحمه الله تعالى: ألا أعلِّمك عشر كلمات، خمس للدنيا وخمس للآخرة، مَن دعا الله عَزَّوَجَلَّ بهنَّ وجد الله تعالى عندهنَّ. قلت: اكتبْها لي. قال: لا، ولكن أردِّدها عليك كما

---

(١) نقل ابن الجوزي عن أبي حاتم السجستاني قال: «أظن أصله بالسريانية، وقد فسره قوم فقالوا: يا حي يا قيوم».

(٢) الكاشف للذهبي ٢/ ١٦٤.

ردَّدها عليَّ بكر بن خُنَيس) الكوفي[1] العابد، من رجال الترمذي وابن ماجه، روىٰ عن ثابت ويزيد الرَّقاشي وجماعة، وعنه آدم وطالوت وعدَّة. و«خُنَيس» بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون التحتية وآخره سين مهملة. ووقع في بعض النسخ هنا: حسين، وهو غلطٌ **(حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لِما أهمَّني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغىٰ عليَّ، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القوي عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكَّلت، وهو رب العرش العظيم)** هكذا في نسخ الكتاب، وفي بعضها موافقًا لِما في القوت بعد قوله «لمَن كادني بسوء»: حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكَّلت، وهو رب العرش العظيم».

قلت: وهذا الدعاء قد رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول[2] من حديث بُرَيدة بن الحُصَيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا: «من قال عشر كلمات عند دُبُر كل صلاة غَداةً وجد الله عندهنَّ مكفيًّا مجزيًّا، خمس للدنيا وخمس للآخرة: حسبي الله لديني [حسبي الله لدنياي] حسبي الله لِما أهمَّني، حسبي الله لمَن بغىٰ عليَّ، حسبي الله لمَن حسدني، حسبي الله لمَن كادني بسوء، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكَّلت وإليه أنيبُ».

(وقد رُوي عن أبي الدرداء أنه قال: من قال في كل يوم سبع مرات ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ

---

(١) السابق ١/ ٢٧٤، وزاد: واهٍ.

(٢) نوادر الأصول ص ٦٨٢.

﴿١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩] **كفاه الله عَزَّوَجَلَّ ما أهمَّه من أمر آخرته، صادقًا كان أو كاذبًا**[١].

دعاء عُتْبة الغلام رحمه الله تعالىٰ) هو أبو عبد الله عتبة بن أبان بن صَمْعة، وإنما لُقِّبَ بالغلام لأنه كان غلام رهان[٢]، ترجمه أبو نعيم في الحلية **(وقد رُؤي في المنام بعد موته فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات)** هكذا في القوت، وقال أبو نعيم في الحلية[٣]: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو زُرْعة، حدثنا هارون، حدثنا سَيَّار قال: حدثني قُدامة بن أيوب العتكي - وكان من أصحاب عتبة الغلام - قال: رأيت عتبة في المنام، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما صنع الله بك؟ قال: يا قُدامة، دخلت الجنة بتلك [الدعوة] المكتوبة في بيتك. قال: فلمَّا أصبحت جئت إلىٰ بيتي، فإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب **(اللهم يا هادي المضلين، ويا راحم المذنبين، ويا مقيل عَثَرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم)** هكذا هو نصُّ القوت، ونص الحلية: ذا الخطر اليسير والذنب العظيم **(والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمتَ عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين)** هكذا ساقه صاحب القوت وصاحب الحلية.

وقوله «يا هادي المضلين» هو بالضاد المعجمة علىٰ المشهور فيه، وذكر شيخ مشايخنا مصطفىٰ بن فتح الله الحَمَوي في تاريخه الذي ذكر فيه علماء القرن الحادي عشر[٤] في ترجمة صدقة بن سليمان بن صدقة الشافعي المُنَيْباري أن من اختياراته أن الصواب في قول الناس في الدعاء «يا هادي المضلين» أن يقال بالصاد المهملة أو يقال بالمعجمة، إلا أنه علىٰ البناء للمفعول، وألَّف في ذلك رسالة.

---

(١) رواه أبو داود في سننه ٥/ ٣٨٩. ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٦٣ مرفوعا. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٦/ ١٤٩، ١٩٣ مرفوعا وموقوفا.

(٢) يعني في العبادة.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٢٣٨.

(٤) فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر ٤/ ٣٤٣ (ط - دار النوادر).

قلت: «أضلَّ» يتعدَّىٰ ولا يتعدَّىٰ، يقال: أضلَّ الرجلُ: إذا صار حائرًا لا يهتدي. ولا يناسب ضبطه علىٰ البناء للمفعول، إلا إذا أُريدَ به المتعدِّي، وهذا ظاهر لا يخفَىٰ.

(دعاء آدم عليه السلام) صفي الدين أبي البشر (**قالت عائشة** رضي الله عنها) فيما رواه أبو طالب المكي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها قالت: (**لمَّا أراد الله عز وجل أن يتوب علىٰ آدم** عليه السلام **طاف بالبيت سبعًا**) أي سبعة أشواط (**وهو**) أي البيت (**يومئذٍ ليس بمبنيٍّ**) بل (**ربوة حمراء**) أي أَكَمة مرتفعة (**ثم قام فصلىٰ ركعتين**) أي بعدما فرغ من الطواف (**ثم قال: اللهم إنك تعلم سرِّي وعلانيتي**) أي ما أخفيه وما أُعلِنُه (**فاقبلْ معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سُؤْلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي**) أي يلابسه؛ فإنَّ الإيمان إذا تعلَّق بظاهر القلب أَحَبَّ الدنيا والآخرة جميعًا، وإذا بطَّن الإيمانُ سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها (**ويقينًا صادقًا حتىٰ أعلم**) أي أجزم (**أنه لن يصيبني إلا ما كتبت عليَّ**) أي قدَّرتَه عليَّ في العلم القديم الأزلىٰ أو في اللوح المحفوظ. وفي القوت: إلا ما كتبت لي (**ورَضِّني بما قسمت لي**) في الأزل فلا أتسخَّطه ولا أستقلُّه؛ فإنَّ مَن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط. زاد صاحب القوت هنا: يا ذا الجلال والإكرام (**فأوحىٰ الله عز وجل إليه: إني قد غفرت لك، ولم يأتِ**) وفي القوت: ولن يأتيني (**أحد من ذرِّيتك فيدعوني بمثل الذي دعوتَني به إلا غفرت له ذنوبه، وكشفت غمومه وهمومه، ونزعت الفقر من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وجاءته الدنيا وهي راغمة**) أي صاغرة (**وإن كان لا يريدها**).

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم الساكن[1] عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لمَّا أهبط الله عز وجل آدم [إلىٰ الأرض] طاف بالبيت سبعًا، وصلىٰ خلف المقام ركعتين، ثم قال: اللهم إنك ...» فساقه إلىٰ آخر الدعاء، ثم

(١) مثير العزم الساكن ٢/ ١٢٤.

قال: «فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ [إليه]: يا آدم [إنك] قد دعوتَني دعاء استجبتُ لك فيه، ولن يدعوني به أحد من ذرِّيتك من بعدك إلا استجبت له، وغفرت له ذنوبه، وفرَّجت همومه، واتجرت له من وراء كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها».

وأخرج أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب اليقين(١) بسنده عن عون بن خالد قال: وجدت في بعض الكتب أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ركع إلىٰ جانب الركن اليماني ركعتين ثم قال: اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ... إلىٰ آخر الدعاء. قال: فأوحىٰ الله عَزَّوَجَلَّ [إليه]: يا آدم، إنه حقٌّ عليَّ أن لا يلزم أحدٌ من ذرِّيتك هذا الدعاءَ إلا أعطيتُه ما يحب، ونجَّيته ممَّا يكره، ونزعت أمل الدنيا والفقر من بين عينيه، وملأت جوفه حكمة.

وروىٰ البزار(٢) بسند فيه أبو مهدي سعيد بن سِنان - وهو ضعيف - من حديث ابن عمر رفعه أنه ﷺ كان يقول هذه الكلمات: «اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي ...» الخ، وليس فيه: ويقينًا صادقًا.

(**دعاء علي بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قد (**رواه عن النبي ﷺ أنه قال له: إن الله عَزَّوَجَلَّ يمجِّد نفسَه**) في (**كل يوم ويقول: إنني أنا الله رب العالمين، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيُّوم، إني أنا الله لا إله إلا أنا العليُّ العظيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا لم أَلِدْ ولم أولد، إني أنا الله لا إله إلا أنا العفوُّ الغفور، إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء وإليَّ يعود، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا مالك يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الجنة والنار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الواحد الأحد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الصمد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الذي لم أتَّخذ صاحبة ولا ولدًا، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الوِتْر، إني أنا الله لا إله إلا أنا**

---

(١) اليقين ص ٣١ - ٣٢.

(٢) مسند البزار ١٢/ ١٩، ٢٠.

عالِم الغيب والشهادة، إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدُّوس، إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الجبَّار المتكبِّر، إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارئ المصوِّر، إني أنا الله لا إله إلا أنا الكبير المتعال، إني أنا الله لا إله إلا أنا المقتدر القهَّار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم الكريم، إني أنا الله لا إله إلا أنا أهل الثناء والمجد، إني أنا الله لا إله إلا أنا أعلمُ السر وأخفَىٰ، إني أنا الله لا إله إلا أنا القادر الرازق، إني أنا الله لا إله إلا أنا فوق الخَلْق والخليقة) هكذا ساقه صاحب القوت بطوله، قال: **(فمَن دعا بهذه الأسماء فليقل: إنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت كذا وكذا، فمَن دعا بها)** أي بتلك الأسماء **(كُتب من الشاكرين المخبتين الذين يجاورون محمدًا ﷺ وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ والنبيِّين عليهم السلام في دار الجلال، وله ثواب العابدين في السموات والأرضين).**

قال العراقي[1]: هذا الدعاء بطوله لم أجد له أصلاً.

قلت: لكن وجدت في الحلية[2] في ترجمة وهب بن منبه ما يقرُب من ذلك: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أحمد بن عمرو البزَّار، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا أسد بن موسىٰ، عن يوسف بن زياد، عن أبي إلياس ابن بنت وهب قال: وذكر وهب أن الله تعالىٰ لمَّا فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله، وذكر عَظَمته وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته ومُلكه وربوبيَّته. فأنصت له كل شيء، وأطرق له كلُّ شيء خلقه، فقال: أنا الملك الذي لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنىٰ، وأنا الله الذي لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأفلاك[3] العُلَىٰ، أنا الله الذي لا إله إلا أنا ذو المَنِّ والطَّوْل والآلاء والكبرياء، أنا الله الذي لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض

(١) المغني ١/ ٢٧٥.

(٢) حلية الأولياء ٤/ ٣٤.

(٣) في المطبوعة: والأمثال. والمثبت من الحلية.

ومن فيهنَّ، ملأتْ كلَّ شيء عَظَمتي، وقهر كلَّ شيء مُلكي، وأحاطت بكل شيء قدرتي، وأحصىٰ كلَّ شيء علمي، ووسعت كل شيء رحمتي، وبلغ كلَّ شيء لطفي ... فساقه بطوله.

(**دعاء أبي المعتمر**) وهو سليمان بن طرخان (**التَّيْمي**) البصري (**وتسبيحاته، رحمه الله تعالىٰ**) ولم[١] يكن أبو المعتمر من بني تَيْم وإنما نزل فيهم. وعن ابنه المعتمر أنه قال: قال لي أبي: إذا كتبت فلا تكتب «التيمي»، ولا تكتب «المُرِّي»؛ فإنَّ أبي كان مكاتبًا لبُجَير بن حُمْران، وإن أمي كانت مولاة لبني سُلَيم، فإن كان أدَّىٰ الكتابة فالولاء لبني مُرَّة، وهو مُرَّة بن عبَّاد بن ضُبَيعة بن قيس، فاكتب «القيسي»، وإن لم يكن أدَّىٰ الكتابة فالولاء لبني سُلَيم، وهم من قيس عَيْلان، فاكتب «القيسي». قال ابن سعد: كان سليمان ثقة، كثير الحديث، ومن العُبَّاد المجتهدين، وكان يصلي الليل كلَّه بوضوء العشاء، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصلِّيان في هذا المسجد تارةً، وفي هذا المسجد مرةً، حتىٰ يصبحا. وقال شعبة: ما رأيت أصدق منه، كان إذا حدَّث عن النبي ﷺ تغيَّر لونُه. وقال محمد بن عبد الأعلىٰ: قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدَّثتُك بذا عن أبي، مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء. وقال معاذ بن معاذ: كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النَّهْدي. توفي بالبصرة سنة ١٤٣ عن سبع وتسعين. روىٰ له الجماعة. وقد (**رُوي**) في فضل تسبيحاته (**أن يونس بن عُبَيد**) بن[٢] دينار العَبْدي البصري، أبا عبد الله، مولىٰ عبد القيس. رأىٰ إبراهيم النَّخَعي وأنس بن مالك وسعيد بن جبير. قال أبو حاتم: ثقة، وهو

---

(١) تهذيب الكمال ١٢/ ٥ - ١٢. التاريخ الكبير للبخاري ٤/ ٢٠ - ٢١. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ٢٥١ - ٢٥٢. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/ ١٢٤ - ١٢٥. حلية الأولياء ٣/ ٢٨، ٣٠.

(٢) تهذيب الكمال ٣٢/ ٥١٧ - ٥٣٣. الجرح والتعديل ٩/ ٢٤٢. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٩/ ٢٥٩. حلية الأولياء ٣/ ١٩.

أكبر من سليمان التيمي، ولا يبلغ التيميُّ منزلته. وقال هشام بن حسان: ما رأيت أحدًا يطلب العلم لوجه الله عَزَّوَجَلَّ إلا يونس. توفي سنة ١٣٩، وحمل سريره سليمان وعبد الله ابنا علي بن عبد الله بن عباس وجعفر ومحمد ابنَي سليمان بن عليٍّ على أعناقهم، فقال عبد الله بن علي: هذا واللهِ الشرفُ (رأى رجلاً في المنام ممَّن قُتل شهيدًا ببلاد الروم، فقال له: ما أفضل ما رأيتَ ثَم) أي هناك (من الأعمال) الصالحة الباقية؟ (قال: رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله عَزَّوَجَلَّ بمكان) هكذا أورده صاحب القوت، وزاد فقال: وقال المعتمر بن سليمان: رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته، فقلت: ما صنعتَ؟ قال: خيرًا. فقلت: ترجو للخاطئ شيئًا؟ قال: يلتمس تسبيحات أبي المعتمر؛ فإنها نِعم الشيء (وهي هذه: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، عددَ ما خلق، وعدد ما هو خالق، وزِنَة ما خلق، وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق، وملء ما هو خالق، وملء سمواته، وملء أَرَضيه) بالتحريك وحذف نون الجمع للإضافة. ويوجد في بعض النسخ بالإفراد (ومثل ذلك، وأضعاف ذلك، وعدد خلقه، وزِنَة عرشه، ورضا نفسه، ومنتهى رحمته، ومداد كلماته، ومَبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي، وعدد ما ذكره به خلقُه في جميع ما مضى، وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشمٍّ ونَفَس من الأنفاس من أبد الآباد) وفي نسخة: من أبد إلى الأبد (أبد الدنيا وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك، لا تنقطع أولاه، ولا تنفد أُخراه) هذا آخر التسبيحات. قلت: وإن زاد المريد بعدها: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد مثل ذلك وأضعاف أضعاف ذلك، كان حسنًا.

(دعاء[1] إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى) تقدَّمت ترجمته في كتاب العلم (روى إبراهيم بن بشَّار) الرمادي (خادمه) قال ابن عدي[2]: هو من أهل الصدق.

---

(١) قوت القلوب ١/ ٢١٥ - ٢١٧.

(٢) الكامل في الضعفاء ١/ ٢٦٥.

وقال ابن معين: ليس بشيء (**أنه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة إذا أصبح وإذا أمسىٰ**) وإنما كان يخصُّ يوم الجمعة به لِما له من الفضل والبركة علىٰ غيره من الأيام. وقال أبو نعيم في الحلية[١]: أخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشَّار قال: كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذا أمسىٰ يقول مثل ذلك (**مرحبًا بيوم المزيد**) وإنما سُمِّي يوم الجمعة بيوم المزيد لِما يُزاد فيه من البركات والفضائل، وقد تقدَّم في كتاب الصلاة (**والصبح الجديد، والكاتب الشهيد، يومنا هذا يوم عيد**) أي لأن الجمعة عيد المسلمين (**اكتب لنا ما نقول فيه، بسم الله الحميد**) أي المحمود ذاتًا وصفات (**المجيد**) أي العظيم قَدْرًا (**الرفيع**) جلالاً (**الودود**) إلىٰ أوليائه (**الفعَّال في خلقه ما يريد، أصبحتُ بالله مؤمنًا، وبلقائه مصدِّقًا، وبحُجَّته معترفًا، ومن ذنبي مستغفرًا، ولربوبيَّة الله عَزَّوَجَلَّ خاضعًا**) فإنه لا رب سواه، ومَن أخلصَ له الربوبيَّةَ خلصت له العبوديةُ (**ولِما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من الآلهة جاحدًا**) ولفظ الحلية: ولِما سوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ جاحدًا (**وإلىٰ الله سبحانه فقيرًا**) أي محتاجًا إليه في كل الشئون (**وعلىٰ الله متوكِّلاً، وإلىٰ الله منيبًا**) أي راجعًا (**أُشهِد اللهَ وأُشهِد ملائكته وأنبياءه ورسله وحَمَلة عرشه**) وذِكرُهم بعد ذِكر الملائكة تخصيص ينبئ عن تشريف (**ومَن خلق ومن هو خالق**) وفي نسخة: ومَن خلقه. وفي أخرىٰ: وما هو خالقه. وفي أخرىٰ: وجميع خلقه (**بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا**) ومن قوله «أُشهِد الله» إلىٰ هنا أخرجه ابن عساكر[٢] عن أنس، وأن «مَن قالها أربعًا غدوةً وأربعًا عشيَّةً ثم مات دخل الجنة» (**وأن الجنة حق، والنار حق، والحوض حق، والشفاعة حق، ومنكرًا ونكيرًا حق، ووعدك حق، ووعيدك حق، ولقاءك حق، والساعة آتية لا ريبَ فيها، وأن الله يبعث**

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٣٨ - ٣٩.

(٢) تاريخ دمشق ٦٦/ ٢٧٩.

مَن في القبور، وعلىٰ ذلك أحيا، وعليه أموت، وعليه أُبعَث إن شاء الله) عَزَّوَجَلَّ (اللهم أنت ربي، لا رب لي إلا أنت) ولفظ الصحيحين من حديث شدَّاد بن أوس: «لا إله إلا أنت» (خلقتَني وأنا عبدُك) أي مقرٌّ لك بالعبودية المحضة علىٰ نفسي كما أقررت لك بالربوبية المطلقة (وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت) أي علىٰ قَدْر الجهد والطاقة (أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شرٍّ) ولفظ الصحيحين: «أعوذ بك من شرِّ ما صنعت» (اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ولفظ الصحيحين: «أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفرْ لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». وقد تقدَّم أنه «مَن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» (واهدني لأحسن الأخلاق؛ فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيِّئها؛ فإنه لا يصرف سيِّئها إلا أنت) وهذه الجملة بتمامها سقطت من الحلية[١]، وقد رواها الطبراني في الكبير[٢] عن أبي أمامة في أثناء حديث (لبَّيك وسعديك، والخير كلُّه بيديك، أنا لك وإليك) وفي بعض النسخ: أنا بك وإليك (أستغفرك وأتوب إليك، آمنت اللهم بما أرسلتَ من رسول) إلىٰ خَلْقك (وآمنت اللهم بما أنزلتَ من كتاب) علىٰ رُسُلك (وصلىٰ الله علىٰ محمد النبي الأمِّيِّ وعلىٰ آله وسلِّم تسليمًا كثيرًا) ولفظ الحلية: وصلىٰ الله [وسلَّم] علىٰ محمد وعلىٰ آله وسلِّم (خاتم كلامي ومفتاحه) وفي الحلية زيادة «هذا» قبل «خاتم» (وعلىٰ أنبيائه ورسله أجمعين، والحمد لله رب العالمين) وفي الحلية زيادة «آمين» قبل «رب العالمين»، وهكذا في بعض نسخ الكتاب أيضًا (اللهم أَوْرِدْنا حوضَه) أي اجعلنا من الواردين عليه (واسقنا بكأسه) الذي يسقيه وارديه (مشربًا) يطلق علىٰ

---

(١) بل هي موجودة بتمامها في الحلية. وكثير من الاختلافات التي يذكرها الشارح ويعزوها إلىٰ الحلية ليست في النسخة المطبوعة منها، ولعله اطلع علىٰ نسخة أخرىٰ غير النسخ التي طُبعت عليها الحلية.

(٢) المعجم الكبير ٨/ ٢٣٦، ٢٧٠، ٣٠٠.

الماء المشروب، وهو المراد هنا (**رويًّا**) فعيل بمعنىٰ مفعل، كـ «أليم» بمعنىٰ: مؤلم (**سائغًا**) أي سهل المَساغ في الحَلْق (هنيئًا) لشاربه (**لا نظمأ بعده أبدًا**) وفي الحلية «بعدها» بتأنيث الضمير، كأنَّه عائد إلىٰ الشربة المفهومة من المَشرب (**واحشرنا في زُمرته**) أي جماعته (**غير خَزايا**) جمع خزيان، وهو حال لازم؛ إذ لا يُحشَر في زُمرته ويُسقَىٰ من كأسه إلا مَن كان علىٰ تلك الحال (**ولا ناكبين**) أي مُعرِضين. وفي بعض [النسخ] بالثاء المثلثة بدل الموحدة، أي: ولا ناكثين عهده، والنكث: النقض (**ولا مرتابين**) أي شاكِّينَ (**ولا مفتونين، ولا مغضوبًا علينا، ولا ضالِّين**) عن الصراط المستقيم (**اللهم اعصمني**) أي احفظني (**من فِتَن الدنيا، ووفِّقْني**) أي استعملني (**لِما تحب وترضىٰ**) من الأعمال الصالحة والأحوال الشريفة (**وأصلِحْ لي شأني كلَّه، وثبِّتْني بالقول الثابت**) وهو قول «لا إله إلا الله» (**في الحياة الدنيا وفي الآخرة**) أي عند الموت (**ولا تضلَّني**) بعد إذ هديتني (**وإن كنتُ ظالمًا**) لنفسي (**سبحانك سبحانك**) مرتين، وهكذا في الحلية (**يا علي، يا عظيم، يا رب، يا بَر، يا رحيم، يا عزيز، يا جبَّار**) وفي بعض النسخ بعد قوله «وفي الآخرة»: ولا تفضحني، يا علي، يا عظيم، يا بارئ، يا رحيم، يا عزيز، يا جبَّار. ولفظ الحلية بعد «يا عظيم»: يا بار، يا حكيم، يا عزيز، يا جبَّار (**سبحان مَن سبَّحت له السموات بأكنافها**) أي أطرافها (**وسبحان مَن سبَّحت له الجبال بأصدائها**) وفي بعض النسخ: بأعرافها (**وسبحان من سبَّحت له البحار بأمواجها، وسبحان مَن سبَّحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبَّحت له النجوم في السماء بأبراقها**) وفي بعض النسخ: بإشراقها. وفي بعضها: بأبراجها (**وسبحان من سبَّحت له الشجر بأصولها**) هكذا في الحلية. وفي بعض نسخ الكتاب زيادة: ونضارتها. وفي بعضها: بأصولها وثمارها (**وسبحان من سبَّحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهنَّ ومن عليهنَّ**) وفي بعض النسخ هنا زيادة: وسبحان مَن سبَّح له كل شيء من مخلوقاته، تباركت وتعاليت. وفي الحلية بعد قوله «ومن عليهنَّ»: (**سبحانك سبحانك، يا حي، يا حليم، سبحانك، لا إله إلا**

أنت وحدك) إلىٰ هنا انتهىٰ الدعاء في الحلية، وزاد المصنِّف بعده: (لا شريك لك، تحيي وتُميت وأنت حيٌّ لا تموت، بيدك الخير، وأنت علىٰ كل شيء قديرٌ) ووُجد في بعض النسخ زيادة: وصلِّ اللهم علىٰ محمد وآله وسلِّم كثيرًا.

الباب الرابع:

في أدعية مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه ﷺ، محذوفة الأسانيد، منتخَبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكّي وابن خُزَيمة وابن المنذر رحمهم الله تعالى

قال صاحب القوت: (يُستحَبُّ للمريد) وهو السالك بإرادته في طريق الآخرة (إذا أصبح أن يكون أحد أوراده الدعاء، كما سيأتي ذِكرُه في كتاب الأوراد، فإن كنتَ من المريدين لحَرْث الآخرة، المقتدينَ برسول الله ﷺ فيما دعا به، فقلْ في مفتتَح دعواتك أعقاب صلواتك) بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ، وهو قوله: (سبحان ربي العليِّ الأعلىٰ الوهاب) كما رواه الحاكم في مستدركه[١]، وتقدَّم قريبًا. ثم قل: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير) فمن قالها عشر مرَّات كُنَّ له كعدل عشر رقاب، كما رواه ابن أبي شيبة[٢] وعبد بن حميد[٣] والطبراني[٤] عن أبي أيوب. وكتب الله له بكل كلمة عشر حسنات، وحطَّ عنه عشر سيِّئات، ورفعه بها عشر درجات، وكُنَّ له مَسْلَحة من أول النهار إلىٰ آخره، كما رواه أحمد[٥] والضياء عنه. وكُنَّ له حِرْزًا من الشيطان،

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٢ من حديث سلمة بن الأكوع.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥١٨، ١٢/ ١٧٨.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٠٤.

(٤) المعجم الكبير ٤/ ١٦٥.

(٥) مسند أحمد ٣٨/ ٥٤٥.

كما رواه ابن صصرىٰ في أماليه(١) عن أبي هريرة. وحِرْزًا من المكروه، ولم يلحقه في يومه ذلك ذنبٌ إلا الشرك بالله، كما رواه ابن السني(٢) عن معاذ. ولم يسبقها عملٌ، ولم تبقَ معها سيئة، كما رواه ابن عساكر(٣) عن أبي أُمامة. وكان قائلها من أفضل الناس عملاً إلا رجلاً يفضُله يقول أفضل ممَّا قال، كما رواه أحمد(٤) عن عبد الرحمن بن غَنْم. وكُتب له بها مائة حسنة، ومُحي عنه بها مائة سيئة، وكانت له كعدل رقبة، كما رواه ابن السني(٥) عن أبي هريرة. وكُنَّ له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل، كما رواه الطبراني(٦) عن أبي أيوب. وأدخله الله بها جنَّات النعيم، كما رواه الطبراني(٧) عن ابن عمر.

(وقل: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، ثلاث مرَّات) فمن قالها حين يصبح ويمسي كان حقًّا علىٰ الله أن يرضيه يوم القيامة، كما رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن سعد والروياني والبغوي والحاكم وأبو نعيم في الحلية(٨)، عن أبي سلام عن رجل خدم النبيَّ ﷺ، وقد تقدَّم ذِكرُه والاختلاف في راويه في الباب الأول من الأذكار.

(وقل: اللهم فاطر السموات والأرض، عالِم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شرِّ نفسي ومن شر الشيطان وشركه) قال

(١) وكذلك ابن ماجه في سننه ٥/ ٣٣٥.
(٢) عمل اليوم والليلة ص ١٠٢.
(٣) تاريخ دمشق ٥٤/ ١٢٣.
(٤) مسند أحمد ٢٩/ ٥١٢.
(٥) عمل اليوم والليلة ص ٦٣.
(٦) المعجم الكبير ٤/ ١٦٤،
(٧) السابق ١٢/ ٣٤٩.
(٨) لم يروه في الحلية، وإنما في معرفة الصحابة، كما تقدم في الباب الأول.

العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وصحَّحه وابن حبان[٤] والحاكم[٥] وصحَّحه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصِّدِّيق قال: يا رسول الله، مُرْني بكلمات أقولهنَّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، قال: قل اللهم ... فذكره الخ.

قلت: وأخرجه الترمذي أيضًا - وقال: حسن غريب - من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر قل ... فساقه. وفي آخره: «وأن أقترف علىٰ نفسي [سوءًا] أو أجرَّه إلىٰ مسلم». وروىٰ أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلىٰ وابن السني في عمل يوم وليلة والضياء عن أبي بكر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: اللهم فاطر السموات والأرض ... الخ. وفيه الزيادة المذكورة، وقد تقدَّم في الباب قبله عند ذكر دعاء أبي بكر رضي الله عنه. ورواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وابن السني من حديث ابن مرة بدون تلك الزيادة.

(**وقل: اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي**) ويندرج[٦] تحته الوقاية من كل مكروه (**وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمِنْ رَوْعاتي**) والمراد بالعورات: العيوب والخلل والتقصير، والروعات: الفزعات. وفيه من أنواع البديع: جِناس القلب (**وأَقِلْ عَثَراتي، واحفظني من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شِمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعَظَمتك أن أُغتال من تحتي**) أي أهلك من حيث لا أحس به ولا أشعر. استوعب الجهات الست؛ لأن ما يلحق الإنسانَ من سوء إنما يصله من أحدها، وتخصيص جهة السفل بقوله «وأعوذ بعَظَمتك»

---

(١) المغني ١/ ٢٧٦.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٨١.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٩.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٤٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠١.

(٦) فيض القدير ٢/ ١٢٥.

إدماج لمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٦] وما أحسن قوله «بعَظَمتك» في هذا المقام.

قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] وابن ماجه[٤] والحاكم[٥] وصحَّح إسناده من حديث ابن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يَدَعُ هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح. دونَ قوله: وأَقِلْ عَثَراتي.

قلت: ورواه البزار في مسنده[٦] عن ابن عباس، ولفظه: «اللهم إني أسألك العفة[٧] في دنياي وديني وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي، وآمِنْ روعتي، واحفظني ...» الخ، وفيه: «وأعوذ بك [اللهم] أن أُغتال من تحتي». وفيه يونس بن خبَّاب، وهو ضعيف.

(اللهم لا تؤمني مكرك، ولا تولني غيرك) أي لا تجعل غيرك يتولّىٰ أمري **(ولا تنزع عني سترك، ولا تُنسِني ذِكرك، ولا تجعلني من الغافلين)** قال العراقي[٨]: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس[٩] من حديث ابن عباس دون قوله «ولا تولني غيرك» بإسناد ضعيف.

قلت: ورواه[١٠] ابن النجار كذلك، ولفظهما: «مَن قال عند منامه: اللهم لا

---

(١) المغني ١/ ٢٧٧.
(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٤.
(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢١٠.
(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٥.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٥.
(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار ٤/ ٦٠. مجمع الزوائد ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨.
(٧) في كشف الأستار ومجمع الزوائد: العفو والعافية.
(٨) المغني ١/ ٢٧٧.
(٩) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٩٥.
(١٠) كنز العمال ١٥/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

تؤمنا مكرك، ولا تُنسِنا ذكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تجعلنا من الغافلين، اللهم ابعثنا في أحب الأوقات إليك حتىٰ نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا، إلا بعث الله إليه مَلَكًا في أحب الساعات فيوقظه ...». الحديث[1].

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا الحارث بن موسىٰ الطائي، حدثنا حبيب أبو محمد قال: إذا أوىٰ العبد إلىٰ فراشه قال: اللهم لا تُنسِني ذِكرك ... فساق الحديث بطوله كسياق الجماعة.

(وقل) سيد الاستغفار: **(اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتَني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** تقدَّم أنه رواه البخاري من حديث شدَّاد بن أوس، ورواه كذلك ابن سعد في الطبقات[2]. ورواه أحمد[3] وأبو داود[4] والنسائي[5] وابن ماجه[6] وأبو يعلىٰ وابن حبان[7] والحاكم[8] والضياء عن عبد الله بن بُرَيدة عن أبيه: «من قال [ذلك] حين يصبح أو حين يمسي فمات

---

(١) تمام الحديث: «فإن قام وإلا صعد الملك فيعبد الله في السماء، ثم يعرج إليه ملك آخر فيوقظه، فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبه، فإن قام بعد ذلك ودعا استجيب له، فإن لم يقم كتب الله له ثواب أولئك الملائكة».

(٢) لم أقف عليه في طبقات ابن سعد.

(٣) مسند أحمد ٣٨/ ١١٩.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٣.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٣، ١٧٥، ٢١٦.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٦.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٩.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٢.

من يومه أو ليلته دخل الجنة». ورواه ابن السني[1] وأبو يعلىٰ عن سليمان بن بُرَيدة عن أبيه: «من قال ذلك في نهاره فمات من يومه ذلك مات شهيدًا، ومَن قالها ليلاً فمات من ليلته تلك مات شهيدًا».

(وقل: **اللهم عافِني في بدني**) من[2] الأسقام والآلام (**وعافِني في سمعي**) أي القوة المودَعة في الجارحة، وإرادة الاستماع بعيدة (**وعافني في بصري**) خصَّهما بالذكر بعد ذِكر البدن لأن العين هي التي تجتلي آيات الله المنبثَّة في الآفاق والسمع يعني الآيات المنزلة، فهما جامعان لدرك الآيات العقلية والنقلية (**لا إله إلا أنت، ثلاث مرَّات**) قال العراقي[3]: رواه أبو داود[4] والنسائي في اليوم والليلة[5] من حديث أبي بكرة، وقال النسائي: جعفر بن ميمون ليس بالقوي.

قلت: ورواه أيضًا الحاكم[6]، وعندهم في الدعاء بعد قوله «في بصري» زيادة: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر».

(وقل: **اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء**) وفي[7] رواية: بالقضاء. أي بما قدَّرتَه لي في الأزَل لأتلقَّاه بانشراح صدر (**وبرد العيش بعد الموت**) أي الفوز بالتجلِّي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكُمَّل دونه، وهو الكمال الحقيقي، وبرفع الروح إلىٰ منازل السعداء ومقامات المقرَّبين، والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد، بل هو محشوٌّ بالغصص والنكد والكدر، ممحوق بالآلام

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٤٦.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٣٥.

(٣) المغني ١/ ٢٧٨.

(٤) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٣.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٤، ٢١٢.

(٦) لم يرو الحاكم منه في المستدرك ١/ ٨٢، ٣٧١ إلا قوله «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر». وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٧) فيض القدير ٢/ ١٤٦.

الباطنة والأسقام الظاهرة (**ولذَّة النظر إلىٰ وجهك الكريم**) في دار النعيم (**و**) أسألك (**الشوق إلىٰ لقائك**) قال ابن القيم[1]: جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلىٰ لقائه وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه، ولمَّا كان كماله موقوفًا علىٰ عدم ما يضرُّ في الدنيا ويفتن في الدين قال: (**من غير ضَرَّاء مضرَّة**) قال الطيبي[2]: معنىٰ «ضَرَّاء مضرَّة»: الذي لا يصبر عليه. وقال القونوي: الضَّرَّاء المضرَّة: حصول الحجاب بعد التجلِّي، والتجلِّي بصفة تستلزم سدل الحُجُب (**ولا فتنة مضلَّة**) أي مُوقِعة في الحيرة، مفضية إلىٰ الهلاك، وقال القونوي: الفتنة المضلَّة: كل فتنة[3] توجب الخللَ أو النقص في العلم أو الشهود (**وأعوذ بك أن أظلم**) أحدًا (**أو أُظلَم**) أي يظلمني أحدٌ (**أو أعتدي**) علىٰ أحد (**أو يُعتدَىٰ عليَّ أو أكتسب خطيئة أو ذنبًا لا تغفره**) قال العراقي[4]: رواه أحمد[5] والحاكم[6] من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث، وقال: صحيح الإسناد.

قلت: وروياه[7] وكذلك ابن ماجه من حديث عمَّار بن ياسر، والحديث طويل، ولفظه: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك علىٰ الخَلْق». وسيأتي للمصنِّف قريبًا.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص ٧٣.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩٣٣، ونصه: «قوله: في غير ضراء مضرة. متعلق الظرف مشكل، ولعله متصل بالقرينة الأخيرة وهي قوله: والشوق إلىٰ لقائك. سأل شوقا إلىٰ الله تعالىٰ في الدنيا بحيث يكون ضراء غير مضرة، أي شوقا لا يؤثر في سيري وسلوكي وإن ضرني مضرة ما. ويجوز أن يتصل بقول: أحيني ما علمت الحياة خيرا لي. ومعنىٰ ضراء مضرة: الضر الذي لم يصبر عليه».

(٣) في الفيض: شبهة.

(٤) المغني ١/ ٢٧٨.

(٥) مسند أحمد ٣٥/ ٥٢٠.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٤ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: فيه أبو بكر بن أبي مريم الغساني، ضعيف، فأين الصحة؟!

(٧) مسند أحمد ٣٠/ ٢٦٥. المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٣. ولم أقف علىٰ الحديث في سنن ابن ماجه.

(اللهم إني أسألك الثبات في الأمر) أي[1] الدوام على الدين [والاستقامة] بدليل قوله ﷺ «ثبِّتْ قلبي على دينك»، أو المراد الثبات عند الاحتضار وعند السؤال في القبر، ولا مانع من إرادة الكل **(والعزيمة على الرشد)** وفي رواية: وأسألك عزيمة الرشد، وهو حُسن التصرُّف في الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبُت ويدوم[2]. وقيل: العزيمة: استجماع قوى الإرادة على الفعل[3]، والمكلَّف قد يعرف الرشد ولا عزم له عليه، فلذلك سأله، وإنما قدَّم الثبات على العزيمة إشارة إلى أنه المقصود بالذات؛ لأن الغايات مقدَّمة في الرتبة وإن كانت مؤخَّرة في الوجود **(وأسألك شكر نعمتك)** أي التوفيق لشكر إنعامك **(وحُسن عبادتك)** أي التوفيق لإيقاع العبادة على الوجه الحَسن المَرْضيّ شرعًا **(وأسألك قلبًا خاشعًا سليمًا)** أي خاليًا عن حب السوى ومن العقائد الفاسدة. وفي رواية: حليمًا، أي غير قلوق عند هيجان نار الغضب **(وخلقًا مستقيمًا)** أي سويًّا **(ولسانًا صادقًا)** أي محفوظًا من الكذب، وإسناد الصدق إلى اللسان مجازيٌّ؛ لأن الصدق من صفة صاحبه، فأُسنِد إلى الآلة مجازًا **(وعملاً متقبَّلاً)** أي زاكيًا مقبولاً **(وأسألك من خير ما تعلم)** أي تعلمه أنت ولا أعلمه **(وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم)** وهذا سؤال جامع للاستعاذة من كل شر وطلب كل خير، ثم ختم الدعاء بالاستغفار الذي عليه المعول والمدار فقال: **(وأستغفرك لِما تعلم)** وفي رواية: ممَّا تعلم، أي ممَّا علمتَه مني من تقصيري وإن لم أُحِطْ به علمًا **(فإنك تعلم ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب)** أي الأشياء الخفيَّة التي لا ينفذ فيها ابتداء إلا علم اللطيف الخبير.

قال العراقي[4]: رواه الترمذي[5] والنسائي[6] ....

(١) فيض القدير ٢/ ١٣٠.

(٢) هذا تعريف أبي الحسن الحرالي للرشد، كما نقله عنه البقاعي في نظم الدرر ٤/ ٤١.

(٣) هذا تعريف ابن القيم في مدارج السالكين ١/ ١٣٣ (ط - دار الكتاب العربي).

(٤) المغني ١/ ٢٧٨.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٤١١.

(٦) سنن النسائي ص ٢١٢.

...... والحاكم[١] وصحَّحه من حديث شدَّاد بن أوس. قال: قلت: بل هو منقطع وضعيف.

قلت: وكذا رواه ابن حبَّان في صحيحه[٢].

وقوله «وخلقًا مستقيمًا» رواه الحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ) من الذنوب **(وما أخَّرت)** منها **(وما أسررت)** بها **(وما أعلنت)** أي أظهرتُ **(وما أنت أعلم به مني، فإنك أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، وأنت علىٰ كل شيء قديرٌ، وعلىٰ كل غيب شهيدٌ)** قال العراقي[٣]: متفق عليه من حديث أبي موسىٰ دون قوله: وعلىٰ كل غيب شهيد. وقد تقدَّم في الباب الثاني من هذا الكتاب.

قلت: وأوله عندهما: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلمُ به مني، اللهم اغفر لي جِدِّي وهَزْلي وخطئي وعَمْدي وكل ذلك عندي، [اللهم] اغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت ...» الحديث.

وروىٰ الحاكم[٤] عن ابن عمر قال: قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يقول: «اللهم اغفر لي ما قدَّمت، وما أخَّرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني». وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري.

(اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتدُّ) أي لا يقبل صفةَ الارتداد والنقص **(ونعيمًا لا ينفد)** أي[٥] لا ينقضي، وذلك ليس إلا نعيم الآخرة **(وقرَّة عين الأبد)** بدوام

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٤.

(٢) صحيح ابن حبان ٣/ ٢١٦، ٥/ ٣١٠.

(٣) المغني ١/ ٢٧٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٧.

(٥) فيض القدير ٢/ ١٤٦.

ذِكره وكمال محبَّته والأُنس به، قال بعضهم: مَن قرَّت عينه بالله تعالىٰ قرَّت به كلُّ عين (**ومرافقة نبيِّك محمد ﷺ في أعلىٰ جنَّة الخُلْد**) قال العراقي[١]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٢] والحاكم[٣] من حديث ابن مسعود دون قوله «وقرَّة عين الأبد» وقال: صحيح الإسناد. وللنسائي[٤] من حديث عمَّار بن ياسر بإسناد جيد: وأسألك نعيمًا لا ينفد وقرَّة عين لا تنقطع.

قلت: هو في أثناء حديث طويل يأتي ذِكرُ بعضه، ومضىٰ ذِكرُ بعضه، رواه أحمد[٥] والحاكم[٦] عن عمَّار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به. وأمَّا حديث ابن مسعود فرواه أيضًا ابن حبَّان في صحيحه[٧]. ولفظ النسائي: عن أبي عُبَيدة - واسمه عامر - عن أبيه عبد الله بن مسعود أنه سُئل: ما الدعاء الذي دعوتَ به ليلة قال لك رسول الله ﷺ «سَلْ تُعْطَه». قال: قلت: اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتدُّ، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيِّنا محمد ﷺ في أعلىٰ درجة الجنة درجة الخُلْد.

(**اللهم إني أسألك الطيِّبات**) من الأفعال والأقوال (**وفعل الخيرات، وترك المنكَرات**) من الأخلاق والأعمال والأهواء (**وحب المساكين، أسألك حبك، وحب مَن أحبَّك، وحب كل عمل يقرِّب إلىٰ حبك، وأن تتوب عليَّ، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ بقوم فتنةً فاقبضني إليك غير مفتون**) قال العراقي[٨]:

---

(١) المغني ١/ ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٢١.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٢، ٧١٥.

(٤) سنن النسائي ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٥) مسند أحمد ٣٠/ ٢٦٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٣.

(٧) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٠٣، ١٥/ ٥٤٣.

(٨) المغني ١/ ٢٧٩.

رواه الترمذي[١] من حديث معاذ: اللهم إني أسألك فعل الخيرات ... الحديث، وقال: حسن صحيح، ولم يذكر «الطيِّبات»، وهي في الدعاء للطبراني[٢] من حديث عبد الرحمن بن عائش، قال أبو حاتم[٣]: ليست له صحبة.

قلت: لفظ الترمذي: عن معاذ قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذاتَ غَداة عن صلاة الصبح حتىٰ كِدْنا نتراءىٰ عينَ الشمس، فخرج سريعًا فثوَّب بالصلاة، فصلىٰ رسول الله ﷺ وتجوَّزَ في صلاته، فلمَّا سلَّم دعا بصوته فقال لنا: «علىٰ مَصافِّكم كما أنتم»، ثم انفتل إلينا ثم قال: «أما إني سأحدِّثكم ما حبسني عنكم الغَداةَ، إني قمت من الليل فتوضأت وصلَّيت ما قُدِّر لي، فنعست في صلاتي حتىٰ استثقلت، فإذا أنا بربِّي تبارك وتعالىٰ في أحسن صورة، فقال: يا محمد، فقلت: لبَّيك ربِّ، قال: فيمَ يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: لا أدري ربِّ. قالها ثلاثًا. قال: فرأيته وضع كفَّه بين كتفيَّ حتىٰ وجدتُ برد أنامله بين ثديَيَّ، فتجلَّىٰ لي كلُّ شيء وعرفتُ، فقال: يا محمد، قلت: لبَّيك ربِّ، قال: فيمَ يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: في الكفَّارات رب. قال: ما هي؟ قلت: مشيُ الأقدام إلىٰ الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكراهات. قال: ثم فيمَ؟ قال: قلت: إطعام الطعام، ولِين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سَلْ. قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكَرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردتَ بقوم فتنةً فتوفَّني غيرَ مفتون، وأسألك حبك، وحب مَن يحبك، وحب عمل يقرِّب إلىٰ حبِّك». قال رسول الله ﷺ: «إنها حقٌّ، فادرسوها ثم تعلَّموها». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وروىٰ الحاكم عنه في المستدرك[٤] فعل

(١) سنن الترمذي ٥/ ٢٨٥.

(٢) الدعاء ص ١٤٦٤.

(٣) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٥/ ٢٦٢: «سمعت أبي يقول: أخطأ من قال له صحبة، هو عندي تابعي».

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٦.

الدعاء من حديث ثوبان، وقال: صحيح على شرط البخاري.

وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يقول: اللهم إني أسألك حبك وحب مَن يحبك والعمل الذي يبلِّغني حبك، اللهم اجعل حبك أحَبَّ إليَّ من نفسي وأهلي ومن الماء البارد». قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يحدِّث عنه قال: «كان أعبدَ البشر». رواه الترمذي[1] واللفظ له وقال: حسن غريب. ورواه الحاكم في المستدرك[2] وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبد الله بن يزيد الخَطْمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبُّه عندك، اللهم ما رزقتَني حبه[3] فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويتَ عني ممَّا أحب فاجعلْه فراغًا لي فيما تحب». رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

(**اللهم بعلمك الغيب**) الباء[4] للاستعطاف [والتذلُّل] أي أنشدك بحقِّ علمك ممَّا خفي على خَلْقك ممَّا استأثرتَ به (**وقدرتك على الخَلْق**) أي جميع المخلوقات من جن وإنس وملك [وغيرها] (**أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني ما كانت**) كذا في النسخ، والرواية: إذا علمتَ (**الوفاة خيرًا لي**) ولذا قال المناوي: عبَّر بما في الحياة لاتِّصافه بالحياة حالاً، وبـ «إذا» الشرطيَّة في الوفاة لانعدامها حال التمنِّي لاتِّصافه بالحياة حالاً[5] (**أسألك**) كذا في النسخ، والرواية: وأسألك. وفي بعضها: اللهم وأسألك (**الخشية**) وهو عطف على

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٧٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٥٠٩ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بأن فيه عبد الله بن يزيد الدمشقي، قال أحمد: أحاديثه موضوعة.

(٣) في سنن الترمذي: رزقتني مما أحب.

(٤) فيض القدير ٢/ ١٤٦.

(٥) في الفيض: «حال التمني، أي إذا آل الحال أن تكون الوفاة بهذا الوصف فتوفني».

محذوف، و«اللهم» - على الرواية الأخيرة - معترضة **(في الغيب والشهادة)** أي في السر والعلانية، أو المشهد والمغيب؛ فإنَّ خشية الله رأس كل خير، والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالىٰ مَن يخافه بالغيب (و) أسألك **(كلمة العدل)** كذا في النسخ، والرواية: كلمة الإخلاص، والمراد منها: النطق بالحق **(في الرضا والغضب)** أي في حالتَي رضا الخلق عني وغضبهم عليَّ فيما أقوله فلا أداهن ولا أنافق، أو في حالتَي رضاي وغضبي بحيث لا تلجئني شدة الغضب إلىٰ النطق بخلاف الحق، ككثير من الناس إذا اشتدَّ غضبُه أخرجه من الحق إلىٰ الباطل (و) أسألك **(القصدَ)** أي التوسُّط **(في الغنىٰ والفقر)** وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقتير؛ فإنَّ الغنَىٰ يبسط اليدَ ويُطغِي النفْسَ، والفقر يكاد أن يكون كفرًا، فالتوسُّط هو المحبوب المطلوب. وبعد هذا عند مخرِّجي الحديث ما نصه: وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقُرَّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت (و) أسألك **(لذَّة النظر إلىٰ وجهك)** قيَّد النظرَ باللذَّة لأن النظر إلىٰ الله إمَّا نظر هيبة وجلال في عَرصات القيامة، أو نظر لطف وجمال في الجنة، إيذانًا بأنَّ المسؤول هذا **(والشوق إلىٰ لقائك)** تقدَّم الكلام عليه قريبًا **(وأعوذ بك من ضَرَّاء مُضِرَّة وفتنة مضلَّة)** تقدَّم تفسيرُهما قريبًا **(اللهم زيِّنا بزينة الإيمان)** وهي زينة الباطن، ولا معول إلا عليها؛ لأن الزينة زينتان: زينة البدن، وزينة القلب وهي أعظمُها قَدْرًا، وإذا حصلت حصلت زينةُ البدن علىٰ أكمل وجه في العُقْبَىٰ. ولمَّا كان كمال العبد في كونه عالمًا بالحق متَّبِعًا له معلِّمًا لغيره قال: **(واجعلنا هُداة مهتدين)** وفي رواية: مهديِّين. وصف الهُداة بالمهتدين لأن الهادي إذا لم يكن مهتديًا في نفسه لم يصلُح كونُه هاديًا لغيره؛ لأنه يوقع الخلقَ في الضلال من حيث لا يشعر. وهذا الحديث قد أُفرِد بالشرح.

قال العراقي[١]: رواه النسائي[٢] والحاكم[٣] - وقال: صحيح الإسناد - من حديث عمَّار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به.

قلت: ورواه كذلك أحمد[٤] وابن حبان في صحيحه[٥]، وهذا السياق للنسائي. ورواه الحاكم في المستدرك من حديث عطاء بن السائب عن أبيه وقال: صحيح الإسناد.

(اللهم اقسمْ لنا من خشيتك) أي[٦] اجعل لنا منها نصيبًا وقسمًا. والخشية: خوف مقترن بتعظيم **(ما يحول)** أي يحجب ويمنع **(به بيننا وبين معصيتك)** وفي رواية: معاصيك. لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعُها عن ارتكاب المعاصي، وبقَدْر قلة الخوف يكون الهجوم علىٰ المعاصي، فإذا قلَّ الخوفُ واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، ومن ثَم قالوا: المعاصي بريد الكفر، كما أن القُبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت. وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المُضِرَّة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ **(ومن طاعتك ما تبلِّغني به جنَّتك)** وفي نسخة: رحمتك. أي مع شمولنا برحمتك، وليست الطاعة وحدها مفيدة[٧]، كما ورد في الخبر: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله برحمته **(ومن اليقين)** بك وبأنه لا رادَّ لقضائك وقَدَرِك **(ما تهوِّن به)** أي تسهِّل **(علينا مصائب الدنيا)** بأن نعلم أن ما قدَّرتَه لا يخلو عن حكمة ومصلحة واستجلاب مثوبة، وأنك

---

(١) المغني ١/ ٢٧٩.

(٢) سنن النسائي ص ٢١٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٣.

(٤) مسند أحمد ٣٠/ ٢٦٥.

(٥) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٠٥.

(٦) فيض القدير ٢/ ١٣٢ - ١٣٣.

(٧) في الفيض: مبلغة.

لا تفعل بالعبد شيئًا إلا وفيه صلاحه.

قال العراقي[(١)]: رواه الترمذي[(٢)] وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة[(٣)]، والحاكم[(٤)] وقال: صحيح على شرط البخاري، من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بذلك.

قلت: رواه الترمذي في الدعوات عن علي بن حُجْر عن ابن المبارك عن يحيىٰ بن أيوب عن عُبَيد الله بن زَحْر عن خالد بن أبي عمران عن ابن عمر، وقال حسن، وأقرَّه النووي[(٥)]. وفيه: قال ابن عمر: قلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتىٰ يدعو بهذه الدعوات [لأصحابه]. ورواه عنه أيضًا النسائي عن سُوَيد بن نصر عن ابن المبارك. وعبيد الله بن زَحْر ضعَّفوه، قال صاحب المنار: فالحديث لأجله حسن لا صحيح. ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن داود بن عمرو الضَّبِّي عن ابن المبارك. ولكن عند الجماعة زيادة بعد قوله «مصائب الدنيا»: «ومتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا علىٰ مَن ظلمنا، وانصرنا علىٰ مَن عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همِّنا، ولا مَبلغ علمنا، ولا تسلِّط علينا مَن لا يرحمنا».

وقد تقدَّم شيء من ذلك في آخر دعاء سيدنا عيسىٰ عليه السلام.

(اللهم املأ وجوهنا منك حياء، وقلوبنا منك خوفًا) وفي نسخة: فَرَقًا **(وأسكِنْ في نفوسنا من عَظَمتك)** أي جلالك وهيبتك **(ما تذلّل به جوارحنا لخدمتك)** وطاعتك **(واجعل حبَّك أحَبَّ إلينا ممَّا سواك، واجعلنا أخشىٰ لك ممَّا سواك)** قال

---

(١) المغني ١/ ٢٧٩.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٨١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٥٤ - ١٥٥.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٧.

(٥) الأذكار ص ٢٥٥. رياض الصالحين ص ٢٦١.

العراقي[١]: هذا الدعاء لم أقف له على أصل.

قلت: ولكن يشهد له ما رواه أبو نعيم في الحلية[٢] عن الهيثم بن مالك الطائي رضي الله عنه: «اللهم اجعل حبَّك أحَبَّ الأشياء إليَّ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررتَ أعيُنَ أهل الدنيا من دنياهم فأقِرَّ عيني من عبادتك». وما رواه الطبراني في الأوسط[٣] عن أبي هريرة: «اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك».

(اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحًا) أي لأحوالنا **(وأوسطه فلاحًا)** أي ظَفرًا بالمطلوب دنيا وأخرى **(وآخره نجاحًا)** أي فوزًا بالسعادة الكاملة **(اللهم اجعل أوله رحمة، وأوسطه نعمة، وآخره تكرمة ومغفرة)** قال العراقي[٤]: رواه عبد بن حُمَيد في المنتخب[٥] والطبراني[٦] من حديث ابن أبي أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله «نجاحًا»، وإسناده ضعيف.

قلت: والشطر الأول رواه أيضًا أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن ابن أخي ابن وهب، عن عمِّه، عن الليث بن سعد وعُقْبة بن نافع، عن إسحاق بن أسيد عن أنس بن مالك قال: كلمات لا يدري أحد ما فيهنَّ من الخير: من قال حين يصبح: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا رسول الله ﷺ، اللهم اجعل أول يومي هذا نجاحًا، وأوسطه رباحًا، وآخره فلاحًا.

(الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعَظَمته، وذلَّ كل شيء لعزَّته، وخضع

---

(١) المغني ١/ ٢٨٠.

(٢) حلية الأولياء ٨/ ٢٨٢.

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ١٢١.

(٤) المغني ١/ ٢٨٠.

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤٢١.

(٦) الدعاء ص ٩٢٨.

كل شيء لمُلكه، واستسلم كل شيء لقدرته، والحمد لله الذي سكن كلُّ شيء لهيبته، وأظهر كلَّ شيء بحكمته، وتصاغَرَ كلُّ شيء لكبريائه) قال العراقي[١]: رواه الطبراني[٢] من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله: والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته ... الخ. وكذلك رواه في الدعاء[٣] من حديث أم سَلَمة، وسنده ضعيف أيضًا.

قلت: حديث أم سلمة في المعجم الكبير[٤] للطبراني بلفظ: «من قال حين يصبح: الحمد لله الذي تواضع كلُّ شيء لعَظَمته كُتبت له عشر حسنات». وحديث ابن عمر هو أيضًا في المعجم الكبير، ورواه ابن عساكر في التاريخ[٥] بلفظ: «مَن قال: الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعَظَمته، والحمد لله الذي ذَلَّ كلُّ شيء لعزَّته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لمُلكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته، فقالها يطلب بها ما عنده كتب الله له بها ألف ألف حسنة، ورفع له بها ألف ألف درجة، ووكَّل به سبعين ألف مَلَك يستغفرون له إلىٰ يوم القيامة». وفيه أيوب بن نَهِيك، منكر الحديث، وقال الذهبي في الديوان[٦]: روىٰ عن مجاهد، تركوه.

(اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آله وأزواجه وذرِّيته، وبارِكْ علىٰ محمد وآله وأزواجه وذرِّيته، كما باركتَ علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد) هكذا أورده القاضي عياض في الشفاء[٧]، وهي أول صيغة ساقها في

---

(١) المغني ١/ ٢٨٠.

(٢) المعجم الكبير ١٢/ ٤٢٤.

(٣) الدعاء ص ٩٤٤.

(٤) المعجم الكبير ٢٣/ ٣٧٠.

(٥) تاريخ دمشق ٥/ ٢٠٣.

(٦) ديوان الضعفاء ص ٤٣.

(٧) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ٢/ ٦٩.

الدلائل[١] بدون قوله «وعلىٰ آله»، وتقدَّم في الباب الثاني.

(اللهم صلِّ علىٰ محمد عبدك ونبيِّك ورسولك النبي الأمِّي ورسولك الأمين، وأعْطِهِ المقام المحمود الذي وعدتَه يوم الدين) قال العراقي[٢]: لم أجده [بهذا اللفظ] مجموعا. وللبخاري[٣] من حديث أبي سعيد: «اللهم صلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك». ولابن حبان[٤] والدارقطني[٥] والحاكم[٦] والبيهقي[٧] من حديث أبي مسعود: «اللهم صلِّ علىٰ محمد النبي الأمِّي». قال الدارقطني: إسناده حسن. وقال الحاكم: صحيح. وقال البيهقي في المعرفة[٨]: إسناده صحيح. وللنسائي[٩] من حديث جابر: «وابعثْه المقام المحمود الذي وعدتَه». وهو عند البخاري[١٠] «وابعثْه مقامًا محمودًا» بهذا اللفظ.

(اللهم اجعلنا من أوليائك المتَّقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين، واستعمِلْنا بما يرضيك عنا، ووفِّقْنا لمَحابِّك منا، وصرِّفْنا بحُسن اختيارك لنا) قال العراقي[١١]: لم أقف له علىٰ أصل.

قلت: وروىٰ الحكيم الترمذي[١٢] عن أبي هريرة وأبو نعيم في

---

(١) دلائل الخيرات للجزولي بشرح الشرنوبي ص ١٥، وفيها (وعلىٰ آله).
(٢) المغني ١/ ٢٨١.
(٣) صحيح البخاري ٣/ ٢٨٠، ٤/ ١٦٤.
(٤) صحيح ابن حبان ٥/ ٢٨٩.
(٥) سنن الدارقطني ٢/ ١٦٩.
(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٩١.
(٧) السنن الكبرىٰ ٢/ ٢١٠، ٥٢٩.
(٨) معرفة السنن والآثار ٣/ ٦٧.
(٩) سنن النسائي ص ١١٤.
(١٠) صحيح البخاري ١/ ٢٠٨، ٣/ ٢٥٢.
(١١) المغني ١/ ٢٨١.
(١٢) نوادر الأصول ص ٢٦١ - ٢٦٢.

الحلية[1] عن الأوزاعي مرسَلاً: «اللهم إني أسألك التوفيق لمَحابِّك من الأعمال ...» الحديث.

(نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه، ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه) قال العراقي[2]: رواه الطبراني[3] من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات [فذكر منها]: اللهم إني أسألك فواتح الخير [وخواتمه وجوامعه] وأوله وآخِره، وظاهره وباطنه، والدرجات العُلَىٰ من الجنة». فيه عاصم بن أبي عُبَيد، لا أعلم روىٰ عنه إلا موسىٰ بن عُقْبة.

قلت: وروىٰ الحاكم في المستدرك[4] عن أم سلمة عن النبي ﷺ: «هذا ما سأل محمد ربَّه: اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ...» فساقه، وفي آخره: آمين. وقال: صحيح الإسناد.

(اللهم بقدرتك عليَّ تُبْ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، وبحِلمك عني اعْفُ عني إنك أنت الغفَّار الحليم، وبعلمك بي ارفقْ بي إنك أنت أرحم الراحمين، وبمِلكك لي ملِّكْني نفسي ولا تسلِّطْها عليَّ إنك أنت الملك الجبَّار) قال العراقي[5]: لم أقف له علىٰ أصل.

(سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، عملتُ سوءًا وظلمتُ نفسي، فاغفر لي ذنبي، إنك أنت ربِّي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال العراقي[6]: رواه البيهقي في الدعوات من حديث عليٍّ دون قوله «ذنبي إنك أنت ربِّي»، وقد تقدَّم في

---

(١) حلية الأولياء ٨/ ٢٢٤. وتمام الحديث: «وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك».

(٢) المغني ١/ ٢٨١.

(٣) المعجم الكبير ٢٣/ ٣١٧.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٨ - ٧٠٩.

(٥) المغني ١/ ٢٨٢.

(٦) السابق ١/ ٢٨٢.

الباب الثاني.

قلت: وروىٰ جعفر الفِرْيابي في الذِّكر عن أبي سعيد الخدري: «من قال في مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ختمت بخاتم فلم يكسر إلي يوم القيامة»(١).

وروىٰ النسائي(٢) والطبراني(٣) وأبو نعيم(٤) والحاكم(٥) والضياء عن نافع بن جُبَير بن مُطعِم عن أبيه: «من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فإن قالها في مجلس ذِكرٍ كانت له كالطابع يُطبَع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كانت كفَّارة له».

(**اللهم ألهِمْني رُشدي، وقِني شرَّ نفسي**) قال العراقي(٦): رواه الترمذي(٧) من حديث عمران بن حُصَين أن النبي ﷺ علَّمه لحُصَين، وقال: حسن غريب. ورواه النسائي في اليوم والليلة(٨)، والحاكم(٩) من حديث حصين أبي عمران وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

---

(١) كنز العمال ٩/ ١٥٠. ورواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٧ والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ١٢٣ وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٣٧ وقوام السنة في الترغيب والترهيب ٣/ ٥٩، ولكن أوله عندهم: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال عند فراغه من وضوئه: سبحانك اللهم وبحمدك ...» الخ.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٢.

(٣) المعجم الكبير ٢/ ١٣٩.

(٤) معرفة الصحابة ٢/ ٥٢١.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٩.

(٦) المغني ١/ ٢٨٢.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٤٦٨.

(٨) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٦٤ - ٣٦٦.

(٩) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٧. وعند النسائي والحاكم: «اللهم قني شر نفسي، واعزم لي علىٰ رشد أمري».

قلت: وفي الإصابة[١] للحافظ ابن حجر في ترجمة والد عمران: هو حُصَين ابن عُبَيد بن خَلَف الخُزاعي. رَوىٰ النسائي عن رِبْعي عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتىٰ النبيَّ ﷺ قبل أن يسلم فقال: يا رسول الله، فما أقول الآن وأنا مسلم؟ قال: «قل: اللهم [قني شر نفسي، واعزم لي علىٰ رشد أمري، اللهم] اغفر لي ما أسررت، وما أعلنت، وما أخطأت، وما عمدت، وما علمت، وما جهلت». وسنده صحيح.

(اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه، وقَنِّعْني بما رزقتَني، واستعمِلْني به صالحًا تقبله مني) قال العراقي[٢]: رواه الحاكم[٣] من حديث ابن عباس: كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم قَنِّعني بما رزقتَني، وبارِكْ لي فيه، واخلُفْ لي علىٰ كل غائبة بخير» وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قلت: رواه الحاكم من طريق سعيد بن جُبَير عن ابن عباس مرفوعًا كما ذكر، وله وابن أبي شيبة في المصنَّف[٤] وسعيد بن منصور في السنن والأزرقي في تاريخ مكة[٥] عن ابن جُبَير قال: كان من دعاء ابن عباس الذي لا يَدَعُ بين الركن والمقام أن يقول: رب قَنِّعْني بما رزقتَني، وبارِكْ لي فيه، واخلُفْ علىٰ كل غائبة لي بخير. ولفظ سعيد والأزرقي: واحفظني في كل غائبة لي بخير، إنك علىٰ كل شيء قدير.

(أسألك العفو والعافية وحُسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة) قال العراقي[٦]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٧] وابن ماجه[٨] بإسناد حسن من حديث

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ٢/ ٢٥٧.

(٢) المغني ١/ ٢٨٢.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٢٧، ٦٩٧، ٢/ ٤٢٢.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٦٤.

(٥) تاريخ مكة ص ٤٧٤. وليس فيه ذكر سعيد بن جبير.

(٦) المغني ١/ ٢٨٣.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٢٤ - ٣٢٧.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٨.

أبي بكر الصِّدِّيق بلفظ: «سَلُوا الله المعافاة؛ فإنه لم يؤتَ أحدٌ بعد اليقين خيرًا من المعافاة». وفي رواية للبيهقي في الدعوات[1]: «سَلُوا الله العفو والعافية واليقين في الأولىٰ والآخرة؛ فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيرًا من العافية». وفي رواية لأحمد[2]: «أسأل الله العفو والعافية».

قلت: وروىٰ أحمد والحُمَيدي[3] والعَدَني والترمذي[4] - وقال: حسن غريب - والضياء[5] عن أبي بكر: «سَلُوا الله العفو والعافية؛ فإنَّ أحدكم لم يُعْطَ بعد اليقين خيرًا من العافية».

وما رواه البيهقي في الدعوات فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة[6] وأحمد والحاكم[7]. وعند البيهقي[8] أيضًا من حديث أبي بكر: «سَلُوا الله اليقين والعافية».

(يا مَن لا تضرُّه الذنوب ولا تنقّصه المغفرة هَبْ لي ما لا يضرُّك، وأعطني ما لا ينقصك) قال العراقي[9]: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس[10] من حديث عليٍّ بسند ضعيف.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء[11] عن عيسىٰ بن أبي حرب

---

(١) الدعوات الكبير ١/ ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٢) مسند أحمد ١/ ١٨٤، ١٩٨، ٢١٠، ٢١٧.
(٣) مسند الحميدي ١/ ١٥١.
(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٣.
(٥) الأحاديث المختارة ١/ ١٥٦، ١٥٧، ١٦٤.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٩ مختصرا بلفظ: «سلوا الله العافية واليقين في الآخرة والأولىٰ».
(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧١٩.
(٨) شعب الإيمان ٣/ ٤٠.
(٩) المغني ١/ ٢٨٣.
(١٠) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٧٠، ولفظه: «هب لي ما لا ينقصك، واغفر لي ما لا يضرك».
(١١) وكذلك في كتاب الفرج بعد الشدة ص ٥١ - ٥٢.

والمغيرة ابن محمد، عن عبد الأعلىٰ بن حمَّاد، عن الحسن بن الفضل بن الربيع، عن عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن الفضل بن الربيع [عن أبيه] عن جعفر بن محمد الصادق في حديث طويل ذكر فيه هذه الجملة. ورواه عن عبد الله عن جدِّه. وقد وقع لي مسلسلاً بقول كل راوٍ «كتبتُه دعاءً هو في جيبي»، ذكرناه في المسلسلات(١).

ثم شرع المصنِّف في أدعية القرآن فقال: (﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾ [الأعراف: ١٢٦] ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: ١٠١] ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥ * وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٥٥ - ١٥٦] ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥﴾ [الممتحنة: ٤ - ٥] ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾ [آل عمران: ١٤٧] ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ١٠﴾ [الكهف: ١٠] ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران: ١٩٣ - ١٩٤] ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا

(١) ورواه مسلسلا أيضا ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٨٧ - ٨٨، ولكن فيه: «وكتبته عن فلان وها هو ذا في رقعة في جيبي».

لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلىٰ هنا ذِكرُ أدعية القرآن علىٰ ما أورده صاحب القوت وتبعه الشهاب السهروردي في العوارف[١]، وهي من أحسن ما يدعو به الداعي في حال توجُّهاته، وتقدَّم ذِكرُ بعضها ممَّا حكىٰ الله تعالىٰ علىٰ لسان أنبيائه الكرام عليهم السلام في فصل مستقلٍّ في آخر فصل الدعاء.

(رب اغفر لي ولوالديَّ، وارحمهما كما ربَّياني صغيرًا، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات) قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] وابن ماجه[٤] بإسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي: قال رجل من بني سلمة: هل بقي عليَّ من بِرِّ أبويَّ شيءٌ؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما ...» الحديث. ولأبي الشيخ في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أنس: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ردَّ الله عليه عن كل مؤمن مضىٰ من أول الدهر أو هو كائن إلىٰ يوم القيامة»[٥]. وسنده ضعيف. وفي صحيح ابن حبَّان[٦] من حديث أبي سعيد: «أيُّما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقلْ في دعائه: اللهم صلِّ علىٰ محمد عبدك ورسولك، وصلِّ علىٰ المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات؛ فإنها زكاة».

---

(١) عوارف المعارف ص ٢٧١.

(٢) المغني ١/ ٢٨٣.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٤١١.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٥٣.

(٥) ورواه عبد الرزاق في المصنف ٢/ ٢١٧ بلفظ: «ما من عبد يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا رد الله عليه عن كل مؤمن ومؤمنة مضىٰ أو هو كائن إلىٰ يوم القيامة بمثل ما دعا به». ورواه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٥٥٨ والبخاري في التاريخ الكبير ٤/ ٢١٩ بلفظ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه من آدم فمن دونه».

(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ١٨٥.

قلت: وروى الطبراني في الكبير[1] عن عُبادة بن الصامت مرفوعًا: «مَن استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنةً».

وروى أيضًا عن أبي الدرداء مرفوعًا[2]: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعًا وعشرين مرة أو خمسًا وعشرين مرة كان من الذين يُستجاب لهم ويُرزَق بهم أهل الدين[3]».

(رب اغفر وارحمْ، وتجاوزْ عمَّا تعلم، وأنت الأعزُّ الأكرم، وأنت خير الراحمين، وأنت خير الغافرين) قال العراقي[4]: رواه أحمد[5] من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول: «رب اغفر وارحم، واهدني السبيل الأقوم». وفيه علي بن زيد بن جدعان، مختلَف فيه. وللطبراني في الدعاء[6] من حديث ابن مسعود أنه ﷺ كان يقول إذا سعىٰ في بطن المسيل: «اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم»، وفيه ليث بن أبي سليم، مختلَف فيه، ورواه موقوفًا عليه بسند صحيح.

قلت: وروى أبو حفص الملا في سيرته عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سعيه: «رب اغفر [وارحم] واهدني السبيل الأقوم».

وروى أيضًا عن امرأة من بني نوفل أن النبي ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعزُّ الأكرم».

---

(١) ورواه أيضا في مسند الشاميين ٣/ ٢٣٤.

(٢) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٢ وقال: «فيه عثمان بن أبي عاتكة وقال فيه: حُدثت عن أم الدرداء. وعثمان هذا وثقه غير واحد، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات».

(٣) في مجمع الزوائد: أهل الأرض.
وكذا هو في كنز العمال ١/ ٤٧٦.

(٤) المغني ١/ ٢٨٤.

(٥) مسند أحمد ٤٤/ ٢١٣، ٢٨٢.

(٦) الدعاء ص ١٢٠٣.

وأخرج سعيد بن منصور في السنن عن مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود أنه اعتمر، فلمَّا خرج إلىٰ الصفا ... فذكر الحديث، وفيه: فسعىٰ وسعيتُ معه حتىٰ جاوز الوادي وهو يقول: رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم.

وأخرج أيضًا عن شقيق قال: كان عبد الله إذا سعىٰ في بطن الوادي قال: رب اغفر وارحم، إنك أنت الأعز الأكرم.

وقد تقدَّم ذلك في كتاب الحج.

(وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، وحسبُنا الله ونِعم الوكيل) هكذا ختم بهذه الجمل صاحبُ القوت الأدعيةَ المتقدِّمة بعد أن أدخل خلالها جملاً من الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ وعلىٰ سائر الأنبياء والملائكة، ثم قال: هذا جامع ما جاء من فضائل ما يقال من الدعاء عن الرسول المصطفىٰ ﷺ وعن الصحابة وعن أئمَّة الهدىٰ، وقدَّمنا ذِكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات إيجازًا. والله أعلم.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله ﷺ

منها: **(اللهم انئ أعوذ بك)** استعاذ[١] ممَّا عُصم منه ليلتزم خوف الله وإعظامه والافتقار إليه وليُقتدَىٰ به وليبيِّن صفة الدعاء، والباء للإلصاق المعنوي والتخصيص، كأنَّه خصَّ الرب تعالىٰ بالاستعاذة، وقد جاء في الكتاب والسنَّة: أعوذ بالله، ولم يُسمَع: بالله أعوذ؛ لأن تقديم المعمول تفنُّنٌ وانبساط، والاستعاذة حال خوف وقبض، بخلاف «الحمد لله» و«لله الحمد»؛ لأنه حال شكر وتذكُّر إحسان ونِعَم **(من البخل)** بضمٍّ فسكون اسم، وبالتحريك المصدر. وهو[٢] لغةً: إمساك المقتنيات عمَّا لا يحلُّ حبسُها عنه، وهو علىٰ قسمين: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره وهو أكثرُهما ذمًّا. وشرعًا: منعُ الواجب **(وأعوذ بك من الجُبْن)** بضمٍّ فسكون: هيئة[٣] حاصلة للقوة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي [وما لا ينبغي] **(وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر)** والأرذل[٤] من كل شيء: الرديء منه، والمراد بأرذل العمر: حال الهرم والخرف والعجز والضعف وذهاب العقل. قال الطيبي[٥]: المطلوب عند المحقِّقين من العمر التفكُّر في آلاء الله ونعمائه من خلق الموجودات فيقوموا بواجب الشكر بالقلب والجوارح، والخرف الفاقد لهما فهو كالشيء الرديء الذي لا يُنتفَع به، فينبغي أن يُستعاذ منه **(وأعوذ بك من فتنة الدنيا)** من[٦] الابتلاء مع عدم الصبر والرضا، والوقوع في الآفات، والإصرار علىٰ الفساد،

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٠٧.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٣٨.

(٣) التعريفات للجرجاني ص ٧٧.

(٤) فيض القدير ٢/ ١٢٤.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٣/ ١٠٥٨.

(٦) فيض القدير ٢/ ١٥٢.

وترك متابعة طريقة الهدىٰ (وأعوذ بك من عذاب القبر) أي[١] عقوبته، ومصدره التعذيب، فهو مضاف للفاعل مجازًا، أو هو من إضافة المظروف لظروفه، أي ومن عذاب في القبر، أضيفَ للقبر لأنه الغالب، وهو نوعان: دائم ومنقطع.

قال العراقي[٢]: رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص.

قلت: قال البخاري في صحيحه[٣]: حدثني إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا الحسين، عن زائدة، عن عبد الملك، عن مصعب، عن أبيه قال: تعوَّذوا بكلمات كان النبي ﷺ يتعوَّذ بهنَّ: «اللهم إني أعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

(**اللهم إني أعوذ بك من طَمَع**) وهو[٤] بالتحريك: نزوع النفس إلىٰ الشيء شهوةً له[٥] (**يهدي إلىٰ طَبَع**) محرَّكة، وهو الدَّنَس. ولمَّا كان أكثر الطمع من جهة الطبع[٦] قيل: الطمع طبعٌ، والطمع يدنِّس الإهاب. وأكثر ما يُستعمَل الطمع فيما يقرُب حصولُه (و) أعوذ بك (**من طمع فى غير مَطْمَع** و) أعوذ بك (**من طمع حيث لا مَطْمَع**) إنما قيل ذلك لأن الطمع قد يُستعمَل بمعنىٰ الأمل، ومنه قولهم: [طمع] في غير مطمع: إذا أمَّلَ ما يبعُد حصولُه؛ لأنه قد يقع كل واحد موقع الآخر لتقارُب المعنىٰ؛ ذكره الراغب[٧]. وقال الحرالي[٨]: الطمع: تعلُّق البال بالشيء من

---

(١) السابق ٢/ ١٢٤.

(٢) المغني ١/ ٢٨٤.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ١٦٧.

(٤) التوقيف للمناوي ص ٢٢٨.

(٥) هذا تعريف الراغب في المفردات ص ٣٠٧. ومن قوله (ولما كان) حتىٰ قوله (يدنس الإهاب) من كلام الراغب أيضا.

(٦) في المفردات: من أجل الهوىٰ.

(٧) هذا ليس كلام الراغب، وإنما هو كلام الفيومي في المصباح المنير ٢/ ١٦.

(٨) نظم الدرر للبقاعي ١/ ٤٨٥، ١٤/ ٥٣ - ٥٤.

غير تقدُّمِ سببٍ له. وقال العَضُد: الطمع: ذلٌّ ينشأ من الحرص والبطالة والجهل بحكمة الباري تقدَّس.

قال العراقي[١]: رواه أحمد[٢] والحاكم[٣] من حديث معاذ وقال: مستقيم الإسناد.

(**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**) صاحبَه، وهو[٤] ما لم يؤذَن في تعلُّمه، أو ما لا يصحبه عملٌ، أو ما لا يهذِّب الأخلاق الباطنة فيسري منها إلىٰ الأخلاق[٥] الظاهرة ويفوز بها إلىٰ الثواب الآجِل، وأنشدوا في هذا:

يا مَن تَقاعَدَ عن مكارم خُلُقِه ليس التفاخر بالعلوم الزاخره
من لم يهذِّب علمُه أخلاقَه لم ينتفع بعلومه في الآخره[٦]

(و) من (**قلب لا يخشع**) أي لا يسكن لطاعة الله، ولا يذل لهيبة جلال الله (و) من (**دعاء لا يُسمَع**) أي لا يقبله الله ولا يعتدُّ به، فكأنَّه غير مسموع (**ونفس لا تشبع**) لغلبة حرصها في جمع المال أشرًا وبَطَرًا، أو لا تشبع من كثرة الأكل الجالبة لكثرة الأبخرة الموجِبة للنوم، وكثرة الوساوس والخَطَرات النفسانية المؤدِّية إلىٰ مَضارِّ الدنيا والآخرة (**ومن الجوع**): الألم[٧] الذي ينال الحيوانَ من خلوِّ المعدة [من الطعام] (**فإنه بئس الضجيع**) أي المُضاجِع[٨]؛ لأنه يمنع استراحة البدن، ويحلِّل

(١) المغني ١/ ٢٨٤.
(٢) مسند أحمد ٣٦/ ٣٥١، ٤٤٤.
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٤.
(٤) فيض القدير ٢/ ١٠٢، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٤.
(٥) في الفيض: الأفعال.
(٦) لم أقف علىٰ قائل هذين البيتين.
(٧) المفردات ص ١٠٣.
(٨) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩١٧ حتىٰ قوله (بالطاعة).

المواد المحمودة بلا بدل، ويشوِّش الدماغَ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة، ويُضعِف البدنَ عن القيام بالطاعة. والمراد الجوع الصادق، وعلامته أن تكتفي [نفسه] بالخبز بلا إدام (**ومن الخيانة**) هي[1] مخالفة الحق بنقض العهد في السر (**فإنها بئست البطانة**) أي بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ويجعله بطانة، وهي من بطانة الثوب فاستُعيرت لِما يستبطن الرجل من أمره فيجعله بطانة حاله. وقال الطيبي[2]: خصَّ الضجيع بالجوع لينبِّه علىٰ أن المراد الجوع الذي يلازمه ليلاً ونهارًا ومن ثَم حُرم الوصال، ومثله يُضعِف الإنسانَ عن القيام بوظائف العبادات. والبطانة بالخيانة لأنها ليست كالجوع الذي يتضرَّر به صاحبه فحسب بل هي سارية إلىٰ الغير، فهي وإن كانت بطانة لحاله لكن يجري سريانها إلىٰ الغير مجرىٰ الظِّهارة (**ومن الكَسَل**) بالتحريك: التغافل عمَّا لا ينبغي التشاغل عنه[3] (**والبخل والجُبن**) تقدَّم ذِكرُهما (**ومن الهَرَم**) محرَّكة: وهو علوُّ السن والكِبَر بضعف البدن (**ومن أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر**) تقدَّم معناه (**ومن فتنة الدَّجَّال**) أي من محنته، وأصل الفتنة: الامتحان والاختبار، استُعيرت لكشف ما يُكرَه. والدَّجَّال فَعَّال بالتشديد من الدَّجَل: التغطية، سُمِّي به لأنه يغطي الحقَّ بباطله (**وعذاب القبر**) تقدَّم الكلام عليه قريبًا (**ومن فتنة المَحْيا**): ما يَعْرِض للمرء مدةَ حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها والجهالات، أو هي الابتلاء مع زوال الصبر (**والمَمات**) أي ما يُفتَن به عند الموت، أضيفت له لقربها منه، أو المراد فتنة القبر، أي سؤال المَلَكين، والمراد: من شرِّ ذلك. والجمع بين فتنة الدَّجَّال وعذاب القبر وبين فتنة المَحْيا والمَمات من باب ذِكر العامِّ بعد الخاص (**اللهم إنَّا نسألك قلوبًا أوَّاهة**) أي متضرِّعة، أو كثيرة الدعاء، أو كثيرة البكاء (**مخبتة**) أي خاشعة، مطيعة، متواضعة (**منيبة**) راجعة إليك بالتوبة،

---

(١) المفردات ص ١٦٣.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩١٧ - ١٩١٨.

(٣) في التوقيف للمناوي: التغافل عما لا ينبغي التغافل عنه. وفي المفردات للراغب ص ٤٣١: التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه.

مقبلة عليك (في سبيلك) أي الطريق إليك (اللهم إنَّا نسألك عزائم مغفرتك) حتىٰ يستوي المذنب التائب والذي لم يذنب قط في مَنال الرحمة (وموجِبات رحمتك) وفي رواية بدله: ومنجيات أمرك (والسلامة من كل إثم) أي معصية (والغنيمة من كل بِرٍّ) بالكسر، أي خير وطاعة (والفوز بالجنة) أي بنعيمها (والنجاة من النار) أي من عذابها، وسبق أن هذا مَسُوق للتشريع. وفيه[١] دليل علىٰ ندب الاستعاذة من الفتن ولو علم المرءُ أنه يتمسَّك فيها بالحق؛ لأنها قد تفضي إلىٰ وقوع ما لا يرىٰ وقوعه، وفيه ردٌّ لِما اشتهر علىٰ الألسنة: لا تكرهوا الفتن[٢] فإنَّ فيها حصاد المنافقين[٣]. قال الحافظ ابن حجر: وقد سُئل عنه قديمًا ابن وهب فقال: إنه باطل[٤].

والحديث المذكور قال العراقي[٥]: رواه الحاكم[٦] من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد. وليس كما قال، إلا أنه ورد مفرَّقًا في أحاديث جيدة الأسانيد، ففي صحيح مسلم[٧]: «التعوُّذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يُستجاب لها» من حديث زيد بن أرقم، وسيأتي.

قلت: وفي صحيح البخاري[٨] «التعوُّذ من الكسل، والهَرَم، ومن عذاب النار [وفتنة النار] وفتنة القبر وعذاب القبر، وشر فتنة المسيح الدَّجَّال» من حديث عائشة.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١/ ٦٤٦ - ٦٤٧.

(٢) في الفيض والفتح: لا تستعيذوا بالله من الفتن.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/ ٩٩، ١٠/ ٤٣.

(٤) قال ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ٤٥٥: «قال الساجي: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت ابن وهب وقيل له: إن فلانا حدث عنك عن النبي ﷺ قال: لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين. فقال ابن وهب: أعماه الله إن كان كاذبا. فعمي الرجل».

(٥) المغني ١/ ٢٨٥.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٤.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٠.

(٨) صحيح البخاري ٤/ ١٦٦، ١٦٧.

وروىٰ الترمذي[١] والنسائي[٢] عن ابن عمرو، وأبو داود[٣] والنسائي[٤] وابن ماجه[٥] والحاكم[٦] عن أبي هريرة، والنسائي[٧] عن أنس «التعوُّذ من قلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمَع، ونفس لا تشبع، وعلمٍ لا ينفع».

وروىٰ أبو داود[٨] والنسائي[٩] وابن ماجه[١٠] عن أبي هريرة: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البِطانة».

(**اللهم إني أعوذ بك من التردِّي**) أي[١١] السقوط من عالٍ كالوقوع من شاهق جبل أو في بئر، وهو تفعُّلٌ من الردَىٰ وهو الهلاك (**وأعوذ بك من الغم**) وأصله الستر، وإنما سُمِّي الحزن غمًّا لأنه يغطي السرورَ (**والهَدْم**) بفتح فسكون، وهو وقوع البناء وسقوطه، ويُروَىٰ بالتحريك، وهو اسم ما انهدم منه (**والغَرَق**) بالتحريك: الموت غرقًا في الماء (**وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرًا**) عن الحق، أو مولِّيًا عن قتال الكفار حيث حُرِّم الفرار، وهذا تعليم للأمَّة (**وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا**) قال العراقي[١٢]: رواه أبو داود[١٣]

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٦٧.
(٢) سنن النسائي ص ٨٢٠.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٦.
(٤) سنن النسائي ص ٨٢٤، ٨٣٤.
(٥) سنن ابن ماجه ١/ ٢٣٣، ٥/ ٣٦٠.
(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ١٧٤، ٧٢٥.
(٧) سنن النسائي ص ٨٢٤.
(٨) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٦.
(٩) سنن النسائي ص ٨٢٤.
(١٠) سنن ابن ماجه ٥/ ٦٥.
(١١) فيض القدير ٢/ ١٤٨.
(١٢) المغني ١/ ٢٨٥.
(١٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٨.

والنسائي[١] والحاكم[٢] وصحَّح إسناده من حديث أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله «وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا»، وتقدم عن البخاري الاستعاذة من فتنة الدنيا.

قلت: ولفظهم سوى أبي داود: «اللهم إني أعوذ بك من التردِّي والهدم والغرق والحرق، وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا».

وراويه أبو اليَسَر بياء تحتية وسين مهملة محرَّكة، من مسلمة الفتح، وقُتل يوم اليمامة[٣].

ولفظ أبي داود: كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردِّي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم ...» والباقي سواء. وفي رواية للحاكم ولأبي داود «والغم»، كما في سياق المصنِّف.

(اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما علمتُ، ومن شرِّ ما لم أعلم) هكذا في نسخ الكتاب، وكذلك في القوت، وتبعه صاحب العوارف[٤]، وقال العراقي[٥]: هكذا هو في غير نسخة «علمت» و«أعلم»، وإنما هو «عملت» و«أعمل»، كذا رواه مسلم[٦] من حديث عائشة. ولأبي بكر ابن الضَّحَّاك في الشمائل في حديث مرسَل في الاستعاذة، وفيه: وشر ما أعمل وشر ما لم أعمل.

---

(١) سنن النسائي ص ٨٣٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٢٢.

(٣) هذا خطأ من الشارح، فأبو اليسر أنصاري سلمي، شهد بيعة العقبة، وشارك في غزوة بدر وأسر العباس بن عبد المطلب، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، ومات بالمدينة سنة ٥٥.
الاستيعاب لابن عبد البر ٢/ ٤٧٩.

(٤) عوارف المعارف ص ٢٦٨.

(٥) المغني ١/ ٢٨٥.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٩.

[قلت]: وكذلك رواه أبو داود[١] والنسائي[٢] وابن ماجه[٣]، ولفظهم: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت، ومن شرِّ ما لم أعمل».

وما ذكره المصنِّف من تقديم اللام على الميم هو هكذا في رواية للنسائي «من شر ما علمت و[من شر ما] لم أعلم»؛ كذا ذكره ابن الإمام في «سلاح المؤمن»[٤]، فلا حاجة إلى الاستدلال بخبر مرسل مع وجود هذه الرواية في إحدى الستة.

وروى أبو داود الطيالسي[٥] من حديث جابر بن سَمُرة: «اللهم إني أسألك من الخير كلِّه ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كلِّه ما علمت منه وما لم أعلم».

وهذا أيضًا شاهد جيد لرواية النسائي، فنسبة الشيخ المناوي المصنفَ إلى المخالفة فيه نظرٌ لا يخفى[٦].

(اللهم جنِّبني منكَرات الأخلاق) كحقد[٧] وبخل وحسد وجبن ونحوها **(والأعمال)** من نحو زنا وقتل وشرب خمر وسرقة ونحوها **(والأدواء)** جمع داء، من نحو جُذام وبَرَص وسُلٍّ واستسقاء وذات جَنْب ونحوها **(والأهواء)** جمع هوى، مقصور، هوى النفس. والإضافة في القرينتين الأوليين من إضافة الصفة

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٧.

(٢) سنن النسائي ص ٢١٣.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦١.

(٤) سلاح المؤمن ص ٥١٣.

(٥) مسند الطيالسي ٢/ ١٣٦.

(٦) نص المناوي في الفيض ٢/ ١٠٧: «وتقديم الميم على اللام فيهما هو ما في مسلم وغيره وعكسه، والواقع لحجة الإسلام في الإحياء متعقب بالرد. نعم، جاء في خبر مرسل».

(٧) فيض القدير ٢/ ١١٠ - ١١١.

إلىٰ الموصوف؛ قاله الطيبي[١]. وعطفُ الأعمال علىٰ الأخلاق وعطفُ ما بعد الأعمال عليها من باب الترقِّي في الدعاء إلىٰ ما يعم نفعُه. وهذه المنكَرات منها ما لا ينفكُّ عنه غير المعصوم في منقلبه، ومنها ما يعظُم الخَطْبُ فيه حتىٰ يصير منكَرًا يُشار إليه بالأصابع[٢]، وذِكرُ هذا مع عصمة الأنبياء تعليمٌ للأمَّة.

قال العراقي[٣]: رواه الترمذي[٤] وحسَّنه والحاكم[٥] وصحَّحه - واللفظ له - من حديث قُطْبة بن مالك.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير[٦] وابن حبان في الصحيح[٧]، ولفظهم جميعًا: عن زياد بن علاقة عن عمِّه قُطْبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكَرات الأخلاق والأعمال والأهواء». ورواه الحاكم وزاد في آخره «والأدواء» وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وليس لقُطْبة في الكتب الستة سوىٰ حديثين، أحدهما هذا[٨].

(اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء) أي شدة الابتلاء مع عدم الصبر. والجهد[٩] بالضم وبالفتح، وهي الحالة التي يُمتحَن بها الإنسان أو بحيث يتمنَّىٰ الموت ويختاره عليها، أو قلة المال وكثرة العيال، أو غير ذلك. وقد تقدَّم لهذا

---

(١) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩١٨.

(٢) انظر: نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٣) المغني ١/ ٢٨٥.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٤.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٢.

(٦) المعجم الكبير ١٩/ ١٩.

(٧) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٤٠.

(٨) والآخر: «صليت وصلىٰ بنا رسول الله ﷺ الصبح، فقرأ ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝ ﴾ حتىٰ قرأ ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ فجعلت أرددها ولا أدري ما قال». رواه مسلم في صحيحه ١/ ٢١٣.

(٩) فيض القدير ٣/ ٢٥٦ - ٢٥٧. فتح الباري لابن حجر ١١/ ١٥٢ - ١٥٣.

بحثٌ في كتاب الزكاة (**ودرك الشقاء**) بفتح الراء وسكونها: اسم من الإدراك لما يلحق الإنسانَ من تبعة. والشقاء هو الهلاك، ويطلق علىٰ السبب المؤدِّي إلىٰ الهلاك. وقيل: هو واحد دَرَكات جهنم، والمعنىٰ: من موضع أهل الشقاوة وهي جهنم، أو من موضع يحصل لنا فيه شقاوة، أو هو مصدر إمَّا مضاف إلىٰ المفعول أو إلىٰ الفاعل، أي من درك الشقاء إيَّانا، أو من دركنا الشقاء (**وسوء القضاء**) أي المقضيِّ؛ لأن قضاء الله كلَّه حسن لا سوء فيه، وهذا عامٌّ في أمر الدارين (**وشماتة الأعداء**) أي فرحهم ببلية تنزل بعدوِّهم وسرورهم بما حلَّ بهم من الرزايا والبلايا، وهذه الخصلة الأخيرة تدخل في عموم كل واحدة من الثلاثة قبلها، وكل واحدة من الثلاثة مستقلَّة؛ فإنَّ كل أمر يُكرَه يلاحَظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو درك الشقاء وجهة المعاش وهو جهد البلاء، وشماتة الأعداء تقع لكلٍّ منها.

قال العراقي[(١)]: متفق عليه[(٢)] من حديث أبي هريرة.

قلت: وكذلك رواه النسائي[(٣)]، فالبخاري رواه في كتاب القَدَر وغيره، ومسلم في الدعوات، كلُّهم بلفظ: «تعوَّذوا بالله» بدل: اللهم إني أعوذ بك[(٤)].

(**اللهم إني أعوذ بك من الكفر**) بسائر أنواعه جحدًا أو عنادًا (**والدَّين**) حيث لا وفاء سيَّما مع الطلب (**والفقر**) هو فقر المال أو فقر النفس (**وأعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من فتنة الدَّجَّال**) قال العراقي[(٥)]: رواه النسائي[(٦)]

(١) المغني ١/ ٢٨٦.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٦٢، ٢١٢. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٦.

(٣) سنن النسائي ص ٨٢٧.

(٤) عند مسلم والنسائي وفي إحدىٰ روايتي البخاري: كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من جهد البلاء ... الخ.

(٥) المغني ١/ ٢٨٦.

(٦) سنن النسائي ص ٨٢٥.

والحاكم[١] - وقال: صحيح الإسناد - من حديث أبي سعيد الخُدْري عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «أعوذ بالله من الكفر والدَّين». وفي رواية للنسائي[٢]: «من الكفر والفقر». ولمسلم[٣] من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يتعوَّذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدَّجَّال. وللشيخين[٤] من حديث عائشة [في حديث] قال فيه: «ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال.

قلت: والتعوُّذ من الفقر والفاقة[٥] والذلة جاء في حديث أبي هريرة عند أبي داود[٦] والنسائي[٧] وابن ماجه[٨] والحاكم[٩].

وعند[١٠] الطبراني في السنَّة من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر: «اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر».

وعند الحاكم[١١] من حديث أبي بكرة في حديث: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت».

وللجماعة من حديث عائشة: «وشر فتنة الفقر، وشر فتنة المسيح الدَّجَّال».

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٢٢.

(٢) سنن النسائي ص ٨٢٦.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٢٦٦.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٦٩، ٤/ ١٦٦، ٣٢٦. صحيح مسلم ١/ ٢٦٥.

(٥) في مصادر التخريج التي سيذكرها الشارح: والقلة.

(٦) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٥.

(٧) سنن النسائي ص ٨٢٣.

(٨) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٣.

(٩) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٢٢، ٧٣٣.

(١٠) كنز العمال ٢/ ١٨٨، ٢٠٥.

(١١) المستدرك على الصحيحين ١/ ٨٢، ٣٧١. وليس فيه (لا إله إلا أنت).

وعند الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه من حديثها[١]: «وأعوذ بك من الفقر والكفر».

وعند البخاري[٢] والترمذي[٣] والنسائي[٤] من حديث مصعب بن سعد عن أبيه: «وأعوذ بك من فتنة الدنيا - يعني فتنة الدجال - وأعوذ بك من عذاب القبر».

وحديث أبي سعيد الذي عند النسائي فيما أشار إليه العراقي لفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعوذ بالله من الكفر والدَّين». فقال رجل: يا رسول الله، أتعدل الدَّين بالكفر؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم». هذا لفظ النسائي، ورواه الحاكم وابن حبان[٥] في صحيحهما، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(اللهم إني أعوذ بك من شرِّ سمعي وبصري ومن شر لساني) أي[٦] نطقي؛ فإنَّ أكثر الخطايا منه، وهو الذي يورد المرءَ المهالك، وخصَّ هذه الجوارح لأنها مَناط الشهوة ومَثار اللذَّة (و) من شرِّ (قلبي) يعني نفسي، والنفس مَجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا، والرهبة من الخَلْق، وخوف فوت الرزق، والأمراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلبِ رفعة، وغير ذلك (و) من (شرِّ منيِّي) يعني من شر شدة الغُلمة وسطوة الشهوة إلىٰ الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا أو مقدِّماته لا محالة، فهو حقيق بالاستعاذة من شرِّه. وخصَّ هذه الأشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه.

---

(١) ظاهره عود الضمير إلىٰ عائشة، ولكن قد رواه الحاكم ١/ ٧٢٠ وابن حبان ٣/ ٣٠٠ من حديث أنس، وليس من حديث عائشة.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٣١٢، ٤/ ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٩.

(٤) سنن النسائي ص ٨٢١، ٨٢٦.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٢.

(٦) فيض القدير ٢/ ١٣٥.

قال العراقي[(١)]: رواه أبو داود[(٢)] والترمذي[(٣)] وحسَّنه والنسائي[(٤)] والحاكم[(٥)] وصحَّح إسناده من حديث شكل بن حميد العَبَسي.

قلت: لفظ الترمذي: قال شكل بن حُمَيد: قلت: يا رسول الله: علِّمْني تعوُّذًا أتعوَّذ به. قال: فأخذ بكفِّي فقال: «قل: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيِّي» يعني فرجه. وقال: حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال بن يحيىٰ. ا.هـ. كلام الترمذي.

وشَكَل - بالتحريك - له صحبة، ولم يروِ عنه إلا ابنه شُتَير[(٦)]. قال صاحب سلاح المؤمن[(٧)]: وليس لشكل في الكتب الستة إلا هذا الحديث.

(اللهم إني أعوذ بك من جار السوء) أي[(٨)] من شرِّه **(في دار المقامة)** فإنه هو الشر الدائم والأذىٰ الملازم **(فإنَّ جار البادية يتحوَّل)** لِقِصَر مدَّته، فلا يعظُم الضررُ فيها. وفي رواية للطبراني[(٩)]: «جار السوء في دار الإقامة قاصمة الظهر».

قال العراقي[(١٠)]: رواه النسائي[(١١)] والحاكم[(١٢)] من حديث أبي هريرة، وقال:

(١) المغني ١/ ٢٨٦.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٧.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٤٧٤.

(٤) سنن النسائي ص ٨٢٠، ٨٢٢.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٣.

(٦) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/ ٤٢٧. الإصابة في تمييز الصحابة ٥/ ٨١.

(٧) سلاح المؤمن ص ٥١٤.

(٨) فيض القدير ٢/ ١٠٦.

(٩) المعجم الأوسط ٦/ ١٩٩ من حديث ابن عباس.

(١٠) المغني ١/ ٢٨٦.

(١١) سنن النسائي ص ٨٢٩.

(١٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٣.

صحيح على شرط مسلم.

قلت: واللفظ للحاكم، وفيه أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه ... فساقه. ورواه ابن حبان أيضًا في صحيحه[1].

(اللهم إني أعوذ بك من القسوة) أي[2] غِلَظ القلب وصلابته **(والغفلة)** أي ذهول القلب عن ذكر الله تعالىٰ إهمالاً وإعراضًا **(والعيلة)** أي الاحتياج وقلة ذات اليد **(والذِّلة)** بالكسر: الهوان علىٰ الناس ونظرهم إلىٰ الإنسان بعين الاحتقار والاستخفاف به **(والمسكنة)**: قلة المال وسوء الحال **(وأعوذ بك من الفقر)** فقر النفس، لا ما هو المتبادر من معناه من إطلاقه علىٰ الحاجة الضرورية؛ فإنَّ ذلك يعم كلَّ موجود ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] **(والكفر)** عنادًا أو جحدًا أو تدينًا[3]، وأورده عقب الفقر لأنه قد يفضي إليه **(والفسوق)**: الخروجُ عن الاستقامةِ والجورُ **(والشقاق)**: مخالفة الحق بأن يصير كلٌّ من المتنازعين في شق، أي ناحية، كأنَّ كل فريق يحرص علىٰ ما يشق علىٰ الآخَر **(والنفاق)** الحقيقي أو المجازي **(وسوء الأخلاق، وضيق الأرزاق، والسُّمعة)** بالضم: التنويه بالعمل ليسمعه الناس **(والرِّياء)** بالكسر: إظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه، فالسمعة أن يعمل لله خفيةً ثم يتحدَّث به تنويهًا، والرياء أن يعمل لغير الله. وذكر هذه الخصال لكونها أقبح خصال الناس، فاستعاذته منها إبانة عن قبحها، وزجرٌ للناس عنها بألطف وجه، وأمرٌ بتجنُّبها بالالتجاء إلىٰ الله **(وأعوذ بك من الصَّمَم)**: بطلان السمع أو ضعفُه **(والبَكَم)** أي الخَرَس، أو هو أن يولد لا ينطق ولا يسمع، والخَرَس أن يُخلَق بلا نطق **(والعمىٰ، والجنون)**: زوال العقل **(والجُذام)** علَّة تُسقِط الشعرَ وتفتِّت اللحم وتُجرِي الصديدَ منه **(والبَرَص)** محرَّكة: علَّة تُحدِث

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٧.

(٢) فيض القدير ٢/ ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) في الفيض: أو نفاقا.

في الأعضاء بياضًا رديئًا (وسيِّئ الأسقام) أي الأمراض الرديئة كالاستسقاء والسُّل والمرض المزمن، أي الأسقام السيِّئة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. قال التوربشتي[1]: ولم يستعِذْ من سائر الأسقام لأن منها ما إذا تحامل الإنسان فيه علىٰ نفسه بالتصبُّر خفَّت مؤنته [وعظُمت مثوبتُه] كحمىٰ وصداع ورَمَد، فلذلك استعاذ من السقم المزمن الذي ينتهي صاحبه إلىٰ حال يفرُّ منه الحميم، ويقلُّ دونه المؤانِسُ والمداوي، مع ما يورث من الشَّيْن.

قال العراقي[2]: رواه أبو داود[3] والنسائي[4] مقتصرينِ علىٰ الأربعة الأخيرة، والحاكم[5] بتمامه من حديث أنس، وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: أصل الحديث عند البخاري[6] ومسلم[7] وأبي داود[8] والنسائي[9] بلفظ: كان نبي الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهَرَم [والبخل] وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المَحْيا والمَمات». وزاد الحاكم وابن حبان[10] فيه: «والقسوة، والغفلة، والعيلة، والذلة، والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق [والنفاق] والسمعة، والرياء، وأعوذ بك من الصَّمَم، والبَكَم، والجنون، والجُذام [والبَرَص] وسيِّئ الأسقام».

(١) الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٦/ ١٩١٨.

(٢) المغني ١/ ٢٨٧.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٨.

(٤) سنن النسائي ص ٨٢٨.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٠.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ٣١٢، ٣/ ٢٤٩، ٤/ ١٦٥، ١٦٦.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٥.

(٨) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٣.

(٩) سنن النسائي ص ٨٢١ - ٨٢٣.

(١٠) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٠.

هذا لفظ الحاكم، وبمثله رواه البيهقي في كتاب الدعوات[١].

وروىٰ أبو داود[٢] والنسائي[٣] من حديث أبي هريرة: «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق».

وروىٰ أحمد[٤] وأبو داود والنسائي من حديث أنس: «اللهم إني أعوذ بك من البَرَص والجنون والجُذام ومن سيِّئ الأسقام».

(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك) أي[٥] ذهابها، مفرد في معنىٰ الجمع يعمُّ النعمَ الظاهرة والباطنة. والنعمة: كل ملائم تُحمَد عاقبته، ومن ثَم قالوا: لا نعمة لله علىٰ كافر، بل ملاذُّه استدراج. والاستعاذة من زوال النعم تتضمَّن الحفظَ عن الوقوع في المعاصي؛ لأنها تزيلها **(ومن تحوُّل عافيتك)** أي تبدُّلها، ويفارق الزوالُ التحولَ بأنَّ الزوال يقال في كل شيء ثبت لشيء ثم فارقه، والتحويل تغيير الشيء وانفصاله عن غيره، فكأنَّه سأل دوام العافية وهي السلامة من الآلام والأسقام **(ومن فُجاءة)** بالضم والمد: بغتة **(نِقْمتك)** بكسر فسكون: غضبك وعقوبتك **(ومن جميع سَخَطك)** أي سائر الأسباب الموجِبة لذلك، فإذا انتفت أسبابُها حصلت أضدادُها. ولا مانع من إرادة السبب والمسبَّب معًا؛ لأن المسبَّب قد يحصل فيُعفَىٰ عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وهذا مقول علىٰ منهج التعليم لغيره.

قال العراقي[٦]: رواه مسلم[٧] من حديث ابن عمر.

---

(١) الدعوات الكبير ١/ ٤٥٩.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٦.

(٣) سنن النسائي ص ٨٢٤.

(٤) مسند أحمد ٢٠/ ٣٠٩.

(٥) فيض القدير ٢/ ١١٠.

(٦) المغني ١/ ٢٨٧.

(٧) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٦.

قلت: وكذلك رواه أبو داود(١) والنسائي(٢)، ولفظهم سواء، إلا عند أبي داود: وتحويل عافيتك.

(**اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار**) أي(٣) إحراقها بعد فتنتها (**وفتنة النار**) سؤال خَزَنتِها وتوبيخهم (**وعذاب القبر**) استعاذ منه لأنه أول منزل من منازل الآخرة، فسأل الله تعالىٰ أن لا يتلقَّاه في أول قدم يضعه في الآخرة في قبره عذابُ ربِّه (**وفتنة القبر**) التحيُّر في جواب المَلَكين، وهو من عطف العام علىٰ الخاص، فعذابه قد تنشأ عنه فتنته بأنْ يتحيَّر فيعذَّب لذلك، وقد يكون لغيرها كأنْ يجيب بالحق ولا يتحيَّر ثم يعذَّب علىٰ تفريطه في بعض المأمورات أو المنهيَّات. وقال الطيبي(٤): قوله «وفتنة النار» أي فتنة تؤدي إلىٰ عذاب النار وإلىٰ عذاب القبر؛ لئلاَّ يتكرَّر إذا فسَّرنا بالعذاب (**وشر فتنة الغنىٰ**) أي البَطَر والطغيان [والتفاخر به] وصرف المال في المعاصي (**وشر فتنة الفقر**) حسد الأغنياء، والطمع في مالهم، والتذلُّل لهم بما يدنِّس العِرض ويثلم الدين ويوجب عدم الرضا بما قُسم (**وشر فتنة المسيح الدَّجَّال**) سُمِّي الدجال مسيحًا لكون إحدىٰ عينيه ممسوحة، أو لمسح الخير منه، فعيل بمعنىٰ مفعول، أو لمسحه الأرض، أي قطعها في أمد قليل، فهو بمعنىٰ فاعل. وفي ذِكر «الدجال» احتراز عن عيسىٰ عليه السلام. وإنما استعاذ منه مع كونه لا يدركه نشرًا لخبره بين أمَّته جيلاً بعد جيل؛ لئلاَّ يلتبس كفُره علىٰ مدركه (**وأعوذ بك من المَغْرَم**) أي مغرم الذنوب والمعاصي، أو هو الدَّين فيما لا يحلُّ، أو فيما يحل لكن يعجز عن وفائه، أمَّا دَين احتاجه وهو يقدر علىٰ أدائه فلا استعاذة منه، أو المراد الاستعاذة من الاحتياج إليه (**والمأثم**) أي مَّا يأثم به الإنسان، أو ما فيه إثم، أو ما يوجب الإثم، أو الإثم نفسه وضعًا للمصدر موضع الاسم.

(١) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٥.
(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٢٣٣.
(٣) فيض القدير ٢/ ١٢٧، ١٣٢.
(٤) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩١٢.

قال العراقي[1]: متفق عليه[2] من حديث عائشة.

قلت: وكذلك رواه الترمذي[3] بتقديم وتأخير، والنسائي[4] وابن ماجه[5] مختصرًا[6]، والحاكم[7] بزيادة. ولفظ الجماعة: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار [وفتنة النار] وفتنة القبر، وعذاب القبر، وشر فتنة الغنىٰ، وشر فتنة الفقر، ومن شر فتنة المسيح الدَّجَّال ...» الحديث. وفي الصحيح: فقال له قائل[8]: ما أكثر ما تستعيذ من المَغْرَم يا رسول الله. قال: «إن الرجل إذا غَرِمَ حدَّث فكذب ووعد فأخلف».

(اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع، وقلب لا يخشع) تقدَّم الكلام عليهما قريبًا **(وصلاة لا تنفع)** أي صاحبها لقلة الخشوع فيها، فتُلَف كما يُلَف الثوب ويُرمَىٰ بها علىٰ وجه صاحبها. أو المراد بالصلاة الدعاء، ومعنىٰ لا تنفع: لا تُسمَع **(ودعوة لا تُستجاب)** أي لا يُستجاب لها **(وأعوذ بك من شر الغِمْر)** بكسر الغين العجمة: الحقد. كذا ضُبط، أو هو بضم العين المهملة، كما سيأتي. وفي بعضها: من شر الغم **(ومن ضيق الصدر)** هو عدم انفساحه لقبول الإيمان.

---

(١) المغني ١/ ٢٨٧.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٢٦٨، ٢/ ١٧٤، ٤/ ١٦٦، ١٦٧. صحيح مسلم ١/ ٢٦٥.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٤٧٦.

(٤) سنن النسائي ص ٢١٣، ٨٢٤، ٨٢٥.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦١.

(٦) بل مطولا كالجماعة.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٤.

(٨) هي عائشة ﵂، كما رواه النسائي في سننه ص ٨٢٢ عنها قالت: كان رسول الله ﷺ أكثر ما يتعوذ من المغرم والمأثم، فقلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تتعوذ من المغرم. فقال: «إنه من غرم حدث فكذب ووعد فأخلف».

قال العراقي[(١)]: رواه مسلم[(٢)] من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث: «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعمل لا يُرفَع، ودعوة لا يُستجاب لها». ولأبي داود[(٣)] من حديث أنس: اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع». و شك أبو المعتمر في سماعه من أنس. وله[(٤)] وللنسائي[(٥)] بإسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث: «وأعوذ بك من سوء العمر، وأعوذ بك من فتنة الصدر».

قلت: وحديث زيد بن أرقم المشار إليه رواه أيضًا الترمذي[(٦)] والنسائي[(٧)]، ولفظه: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهَرَم وعذاب القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خير مَن زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها».

ورواه كذلك أحمد[(٨)] وعبد بن حميد[(٩)].

وتقدَّم مثل هذه الجمل الأخيرة من حديث ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء

---

(١) المغني ١/ ٢٨٧.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٠، وليس فيه (وعمل لا يرفع)، ولكن فيه (وعلم لا ينفع) كما سيورده الشارح.

(٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٧.

(٤) السابق ٢/ ٣٠٣.

(٥) سنن النسائي ص ٨٢٦.

(٦) رواه ٥/ ٥٣٣ مختصرا جدا، ونصه: «حدثنا أحمد بن منيع قال: حدثنا أبو معاوية قال: حدثنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن زيد بن أرقم قال: كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من الكسل والعجز والبخل. وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه كان يتعوذ من الهرم وعذاب القبر».

(٧) سنن النسائي ص ٨٢٢، ٨٣٤.

(٨) مسند أحمد ٣٢/ ٦١.

(٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٢٢٦.

لا يُسمَع، ونفس لا تشبع». وفيه زيادة تقدَّم ذِكرُها.

وروىٰ الترمذي[١] والبيهقي[٢] من حديث عليٍّ: كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشيَّة عرفة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر». قال الترمذي: وليس إسناده بالقوي.

وحديث عمر بن الخطاب الذي أشار إليه العراقي قد رواه أيضًا ابن ماجه[٣] وابن حبان في الصحيح[٤]. ولفظ أبي داود: كان النبي ﷺ يتعوَّذ من خمس: من الجبن، والبخل، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر.

(**اللهم إني أعوذ بك من غَلَبة الدَّين**) ثقله[٥] وشدَّته، وذلك حيث لا وفاء سيَّما مع الطلب، وفي بعض الآثار: ما دخل همُّ الدَّين قلبًا إلا أذهبَ من العقل ما لا يعود (**وغَلَبة العدوِّ**) أي تسلُّطه، والعدو من يفرح بمصيبته ويحزن بمسرَّته، وقد يكون من الجانبين أو من أحدهما (**وشماتة الأعداء**) أي فرحهم بمصيبته. وختم بهذه الكلمة البديعة لكونها جامعة متضمِّنة لسؤال الحفظ من جميع المعاصي. قال بعض العارفين: إنما حسُن الدعاءُ بدفع شماتة الأعداء لأن مَن له صيت عند الناس وتأمُّل وجد نفسَه بينهم كبهلوان يمشي علىٰ حبل عالٍ بقبقاب وجميع الأقران والحُسَّاد واقفون ينتظرون متىٰ يزلق [فيشمتون به] ثم من أشق ما علىٰ الزالق أن يغلُب عليه رعايةُ مقامه عند الخَلْق فإنه يذوب قهرًا، بخلاف من يراعي الحقَّ فإنَّ الأذىٰ يخف عليه ولو أظهروا كلُّهم الشماتة، فلذلك خفَّ علىٰ العارف أمرُ شماتة الأعداء وثقُل علىٰ المحجوب، وإنما قال ﷺ ذلك خوفًا علىٰ أتباعه من التفرقة

(١) سنن الترمذي ٥/ ٤٩٤.

(٢) شعب الإيمان ٥/ ٣٦٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٦٥، وفيه (وأرذل العمر).

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠١.

(٥) فيض القدير ٢/ ١٤٧.

وقلة انتفاع المؤلفة إذا قلَّ تعظيمه، لا لكونه يتأثَّر مراعاةً لحظٍّ نفسه؛ لعصمته من ذلك. والله أعلم.

قال العراقي[١]: رواه النسائي[٢] والحاكم[٣] من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

قلت: ولفظه: أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين، وغلبة العدو، وشماتة الأعداء». وكذا رواه أحمد[٤] والطبراني[٥]، ورواه ابن حبان في صحيحه[٦] ولفظه: وغلبة العباد.

---

(١) المغني ١/ ٢٨٨.

(٢) سنن النسائي ص ٨٢٥، ٨٢٧.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢١.

(٤) مسند أحمد ١١/ ١٨٩.

(٥) المعجم الكبير ١٤/ ٧٥.

(٦) صحيح ابن حبان ٣/ ٣٠٣.

الباب الخامس:

في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

(إذا أصبحتَ وسمعت الأذان فيُستحب لك جواب المؤذِّن) فتقول مثل ما يقول **(وقد ذكرناه، وذكرنا أدعية دخول)** بيت **(الخلاء و)** أدعية **(الخروج منه و)** كذا **(أدعية الوضوء)** كلُّ ذلك **(في كتاب)** أسرار **(الطهارة)** على وجه التفصيل؛ لأن المقام اقتضىٰ ذكرها هنالك، والذي يناسب ذكره هنا أدعية الخروج من المنزل إلىٰ المسجد لقصد الصلاة، فأشار إليه بقوله: **(فإذا خرجت)** من منزلك **(إلىٰ المسجد فقل: اللهم اجعل في قلبي نورًا)** أي[1] عظيمًا، كما يفيده التنكيرُ **(وفي لساني نورًا)** يعني في نطقي، استعارة للعلم والهداية، فهو علىٰ وزن ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] **(وفي سمعي نورًا)** ليصير مُظهِرًا لكل مسموع، ومدركًا لكل كمال، لا مقطوع ولا ممنوع **(واجعل في بصري نورًا)** ليتحلَّىٰ بأنوار المعارف، وتتجلَّىٰ له صنوف الحقائق، فهو راجع إلىٰ البيان والهداية ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] وخصَّ هؤلاء الثلاثة بـ «في» الظرفية لأن القلب مقرُّ الفكر في آلاء الله ونعمائه ومكانها منه ومعدنها، والأسماع مراسي أنوار[2] وحي الله تعالىٰ ومَحَطُّ آياته المنزَّلة علىٰ عباده[3]، والبصر مسارح آيات الله المنصوبة المبثوثة في الآفاق والأنفس ومحلها **(و)** اجعل من **(أمامي نورًا و)** من **(خلفي نورًا و)** اجعل من **(فوقي نورا)** لأكون محفوفًا بالنور من سائر

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٣٦ - ١٣٧.

(٢) في الفيض: ألواح.

(٣) في الفيض: أوليائه.

الجهات، فكأنَّه سأل أن يزجَّ به في النور زجًّا تتلاشىٰ عنده الظلمات، وتنكشف له المعلومات، ويشاهد بكل جارحة منه سائر المبصَرات (**اللهم أعطني نورًا**) عظيمًا لا يكتنه كنهه؛ لأكون دائم السير والترقِّي في درجات المعارف[١]، فالقصد طلبُ مزيد النور؛ ليدوم له الترقِّي في السير[٢]، وأراد بالنور العظيم الجامع للأنوار كلِّها [التي ذكرها] وغيرها كأنوار الأسماء الإلهية وأنوار الأرواح. وقال الطيبي[٣]: معنىٰ طلب النور للأعضاء عضوًا عضوًا أن تتحلَّىٰ بأنوار المعرفة والطاعة، وتتعرَّىٰ عن ظلمة الجهالة والمعصية؛ لأن الإنسان ذو سهو وطغيان، أي رأىٰ أنه قد أحاطت به ظلمات الجبلَّة معتورة عليه من فرقه إلىٰ قدمه، والأدخنة الثائرة من نيران الشهوات من جوانبه، ورأىٰ الشيطان يأتيه من جميع جهاته بوساوسه وشبهاته، ظلمات بعضها فوق بعض، لم يَرَ للتخلُّص منها مَساغًا إلا بأنوار سادَّة لتلك الجهات، فسأل الله أن يمدَّه بها ليستأصل شأفة تلك الظلمات إرشادًا للأمَّة وتعليمًا لهم، وهذه الأنوار كلُّها راجعة إلىٰ هداية وبيان [وضياء للحق] وإلىٰ مطالع هذه الأنوار يشير قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] وإلىٰ أودية تلك الظلمات يلمح قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ [النور: ٤٠] وقال الأكمل: النور الذي فوقه تنزُّل روحيٌّ إلهيٌّ بعلم غريب لم يسبقه خبر ولا يعطيه نظرٌ، والذي خلقه الذي يسعىٰ بين يديه أتباعُه[٤].

---

(١) بعده في الفيض: «فالمستنير بنور المعارف لا ينقطع مسيره، ولا يضل سبيله».

(٢) في الفيض: ليدوم السير ويتضاعف الترقي.

(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١١٨٣ - ١١٨٤.

(٤) تتمة كلام الأكمل كما في الفيض: «والنور الذي عن يمينه هو المريد له، والذي عن يساره نور الوقاية». وفيه بعد قوله «يعطيه نظر»: «وهو الذي يعطي من العلم بالله ما لا ترده الأدلة العقلية إذا لم يكن لها إيمان نوراني». وهذا الكلام أورده القسطلاني في إرشاد الساري ٩/ ١٨٤ بعبارة أطول.

قال العراقي[١]: الحديث متفق عليه[٢] من حديث ابن عباس.

قلت: قال أبو نعيم في المستخرج[٣]: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد ابن يحيىٰ - يعني ابن منده - حدثنا أبو كريب، حدثنا محمد بن فضيل، عن حصين - هو ابن عبد الرحمن - عن حبيب بن أبي ثابت، عن محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن ابن عباس ﷺ قال: رقدت عند النبي ﷺ ... فذكر الحديث في صلاة النبي ﷺ بالليل وقراءته الآيات من آخر سورة آل عمران، وفيه: ثم أتاه المؤذِّن، فخرج وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي لساني نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، ومن أمامي نورًا، ومن خلفي نورًا، وأعظِمْ لي نورًا». هذا حديث صحيح، أخرجه مسلم عن واصل بن عبد الأعلىٰ، وأبو داود[٤] عن عثمان بن أبي شيبة، وابن خزيمة[٥] عن هارون بن إسحاق، ثلاثتهم عن محمد بن فُضَيل. ووقع في رواية مسلم «من فوقي ومن تحتي» بدل «عن يميني وعن يساري» كما هو عند المصنف، ووقع عنده أيضًا «وأعطني» بدل «وأعظِمْ لي» كما هو عند المصنف، وكذا رواه أبو داود من رواية هُشَيم عن حُصَين ، لكن قال : وأعظِمْ لي نورًا. واختلف الرواة علىٰ علي بن عبد الله وعلىٰ سعيد بن جُبَير وغيرهما عن ابن عباس في محل هذا الدعاء هل هو عند الخروج إلىٰ الصلاة أو قبل الدخول فيها أو في أثنائها أو عقب الفراغ منها، ويُجمَع بإعادته. وقد أوضحه الحافظ في فتح الباري[٦].

---

(١) المغني ١/ ٢٨٩.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٦. صحيح مسلم ١/ ٣٤٥ - ٣٤٧.

(٣) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٣٦٢، وليس فيه محمد بن يحيىٰ بن منده.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٢١٨.

(٥) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٢٩.

(٦) فتح الباري ١١/ ١٢٠ - ١٢١، وفيه: «وقع في رواية شعبة عن سلمة: فكان يقول في صلاته وسجوده. ووقع عند مسلم في رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أنه قال هذا الدعاء =

(وقل أيضًا: **اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**) وهم المتضرِّعون إلىٰ الله تعالىٰ بخالص طويَّاتهم (**وبحق مَمْشاي هذا إليك**) المَمْشَىٰ مصدر ميميٌّ بمعنىٰ المشي وهو[1] الانتقال من مكان إلىٰ مكان بإرادة. والمراد بالحق في الموضعين: الجاه والحرمة، كما تقدَّمت الإشارة إليه في آخر كتاب العقائد؛ إذ لا حق لمخلوق علىٰ الخالق. وقوله «إليك» أي إلىٰ بيتك (**فإني لم أخرج**) من منزلي (**أَشَرًا**) محرَّكة: كفر النعمة (**ولا بَطَرًا**) محرَّكة بمعناه، وقيل[2]: الأَشَر: شدة البَطَر، فهو أبلغ منه، والبطر أبلغُ من الفرح؛ إذ الفرح وإن كان مذمومًا غالبًا فقد يُحمَد علىٰ قَدْر ما يجب وفي الموضع الذي يجب ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] وذلك لأن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل، والأَشَر لا يكون إلا فرحًا بحسب قضية الهوىٰ (**ولا رياء ولا سُمعة**) قد تقدَّم تفسيرهما قريبًا (**خرجت اتِّقاء**) أي حذر (**سَخَطك**) وهو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، والمراد هنا إنزال العذاب (**وابتغاء**) أي طلب (**مرضاتك**) أي رضاك (**فأسألك أن تنقذني**) أي تخلِّصني (**من النار**) أي من عذابها (**وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**) قال العراقي[3]: رواه ابن ماجه[4] من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد حسن.

قلت: رواه ابن ماجه عن محمد بن [سعيد بن] يزيد بن إبراهيم [عن الفضل بن الموفق] عن فُضَيل بن مرزوق، عن عطية - هو العوفي - عن أبي سعيد

= وهو ذاهب إلىٰ صلاة الصبح. وفي رواية الترمذي أنه ﷺ قال ذلك حين فرغ من صلاته. ووقع عند البخاري في الأدب المفرد من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلي فقضىٰ صلاته يثني علىٰ الله بما هو أهله ثم يكون آخر كلامه: اللهم اجعل في قلبي نورا ... الحديث. ويُجمَع بأنه كان يقول ذلك عند القرب من فراغه».

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٤٦٩.

(٢) السابق ص ١٨.

(٣) المغني ١/ ٢٨٩.

(٤) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٦.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن خرج من بيته إلىٰ الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا، فإني لم أخرج أشَرًا ...» وساقه كسياق المصنف ثم قال: «وكَّل الله به سبعين ألف مَلَك يستغفرون له، وأقبل الله عليه بوجهه حتىٰ يقضي صلاته»[(١)]. وأخرجه أحمد[(٢)] عن يزيد بن هارون عن فُضَيل بن مرزوق، وهو في كتاب الدعاء[(٣)] للطبراني عن بِشْر بن موسىٰ عن عبد الله بن صالح العِجْلي عن فضيل بن مرزوق، ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد[(٤)] من رواية محمد بن فضيل بن غزوان ومن رواية أبي خالد الأحمر، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي، كلهم عن فضيل بن مرزوق. وعطية العوفي صدوق في نفسه، حسَّن له الترمذيُّ عدَّة أحاديث، بعضها من أفراده، وإنما ضُعِّف من قِبَل التشيُّع ومن قِبَل التدليس.

وقد رُوي نحو هذا عن بلال رضي الله عنه، قال أبو بكر ابن السني[(٥)]: حدثنا محمد بن عبد الله البغوي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجَزَري، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن بلال رضي الله عنه مؤذِّن النبي ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا خرج إلىٰ الصلاة قال: «بسم الله، آمنت بالله، توكَّلت علىٰ الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا، فإني لم أخرجه أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رياء ولا سمعة، خرجت ابتغاءَ مرضاتك واتِّقاء سَخَطك، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة».

---

(١) الذي في سنن ابن ماجه: «أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك».

(٢) مسند أحمد ١٧/ ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) الدعاء ص ٩٩٠.

(٤) لم أقف عليه في كتاب التوحيد.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٦٩، ولكنه رواه عن أحمد بن منيع، وليس عن البغوي.

وأخرجه الدارقطني في الأفراد[١] من هذا الوجه وقال: تفرَّد به الوازع. وقد قال أبو حاتم[٢] وغيره: إنه متروك، وقال ابن عدي[٣]: أحاديثه كلُّها غير محفوظة.

(**وإن خرجت من المنزل لحاجة فقل: بسم الله، رب أعوذ بك أن أظلِم**) أحدًا من الناس (**أو أُظلَم**) أي يظلمني أحدٌ (**أو أجهل**) أي[٤] أمور الدين (**أو يُجهَل عليَّ**) بضم الياء التحتية، أي ما يفعل الناس بي من إيصال الضرر إليَّ. قال الطيبي[٥]: مَن خرج من منزله لا بدَّ أن يعاشر الناس ويزاول الأمور فيخاف العدل عن الصراط المستقيم[٦]، ففي أمور الدنيا إمَّا بسبب التعامل معهم بأن يظلِم أو يُظلَم وإمَّا لحق بسبب الخلطة والصحبة فإمَّا أن يَجهل أو يُجهَل عليه، فاستعاذ من ذلك كلِّه بلفظ وجيز ومتن رشيق مراعيًا للمطابقة المعنوية والمشاكلة اللفظية. ا.هـ. وقيل: معنىٰ «أجهل أو يُجهَل عليَّ»: أفعلُ بالناس فعل الجُهَّال من الإيذاء والإضلال، أو المراد الحال التي كانت العرب عليها قبل الإسلام من الجهل بالشرائع والتفاخر بالأنساب والتعاظُم بالأحساب والكِبر والبغي ونحوها.

قال العراقي[٧]: رواه أصحاب السنن[٨] من حديث أم سلمة، قال الترمذي: حسن صحيح.

---

(١) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ٢٦٣.

(٢) في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٩/ ٣٩: «سألت أبي عن الوازع فقال: ضعيف الحديث. وقال مرة أخرىٰ: ذاهب الحديث».

(٣) الكامل ٧/ ٢٥٥٩.

(٤) فيض القدير ٥/ ١٢٣.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩٠٤ بتصرف.

(٦) بعده في الفيض والكاشف: «فإما أن يكون في أمر الدين فلا يخلو من أن يضل أو يُضَل».

(٧) المغني ١/ ٢٨٩.

(٨) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٥. سنن الترمذي ٥/ ٤٢٧. سنن النسائي ص ٨٢٦، ٨٣٤. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٩٤.

قلت: ورواه كذلك أحمد[١] والحاكم[٢] وصحَّحه وابن عساكر في التاريخ[٣]، إلا أنه زاد: «أو أبغي أو يُبغَىٰ عليَّ». وفي بعض رواياتهم زيادة «أن أزِلَّ أو أضِلَّ» قبل قوله «أن أظلم».

وفي رواية للنسائي[٤]: كان إذا خرج من بيته قال: «بسم الله [توكَّلت علىٰ الله] اللهم إنَّا نعوذ بك من أن نزِلَّ أو نضِلَّ أو نَظلِم أو نُظلَم أو نجهل أو يُجهَل علينا».

(**بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم**) أي[٥] لا حيلة ولا قوة إلا بتيسيره [وإقداره] ومشيئته (**بسم الله، التُّكلان**) بالضم، أي الاعتماد (**علىٰ الله**) قال العراقي[٦]: رواه ابن ماجه[٧] من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: بسم الله ... فذكره، إلا أنه لم يقل «الرحمن الرحيم»، وفيه ضعفٌ.

قلت: وكذلك أخرجه الحاكم[٨] وابن السني[٩].

وروىٰ الطبراني في الكبير[١٠] من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه رفعه: كان إذا

---

(١) مسند أحمد ٤٤/ ٢٣٠، ٢٩٩، ٣١٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٧.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/ ٤٠٨.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩.

(٥) فيض القدير ٥/ ١٢٢.

(٦) المغني ١/ ٢٨٩.

(٧) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٩٥.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٧.

(٩) عمل اليوم والليلة ص ١١٨.

(١٠) كذا عزاه إليه في كنز العمال ٧/ ١٤٤، ولم أقف عليه في المعجم الكبير، ولا ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد.

خرج من بيته قال: «بسم الله، توكَّلت علىٰ الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أضِل أو أُضَل، أو أزِل أو أُزَل، أو أظلِم أو أُظلَم، أو أَجهل أو يُجهل عليَّ، أو أبغي أو يُبغَىٰ عليَّ».

وقد تقدَّم ذِكرُ أدعية الخروج في كتاب الحج، وبسطتُ عليه الكلامَ هناك.

(فإذا انتهيت إلىٰ المسجد تريد دخوله فقل: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد وسلِّم، اللهم اغفر لي جميع ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك) قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وابن ماجه[٣] من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال الترمذي: حسن، وليس إسناده بمتَّصل. ولمسلم[٤] من حديث أبي حميد أو أبي أسيد: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك». وزاد أبو داود[٥] في أوله «فليسلِّم علىٰ النبي ﷺ».

قلت: أمَّا[٦] حديث فاطمة ﵂ فقال الطبراني في الدعاء[٧]: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن قيس بن الربيع، عن عبد الله بن الحسن، عن أمِّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرىٰ ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «اللهم صلِّ علىٰ محمد وسلِّم، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال مثلها، لكنه يقول: «أبواب فضلك».

وقد رُوي من وجه آخَر فيه الحمد والتسمية والصلاة والتسليم، قال أبو

---

(١) المغني ١/ ٢٩٠.
(٢) سنن الترمذي ١/ ٣٤٧ - ٣٤٨.
(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ٨١.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٢٣.
(٥) سنن أبي داود ١/ ٣٧٤.
(٦) نتائج الأفكار لابن حجر ١/ ٢٧٠ - ٢٨٤.
(٧) الدعاء ص ٩٩١. وليس فيه (اللهم صلِّ علىٰ محمد وسلم).

بِشْر الدولابي[١]: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا موسىٰ بن داود، حدثنا عبد العزيز ابن محمد الدراوَرْدي، عن عبد الله بن الحسن، عن أمِّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «بسم الله، والحمد لله، وصلىٰ الله علىٰ النبي وسلَّم، اللهم اغفر لي ...» فذكر مثل الذي قبله، لكن قال «سَهِّلْ» بدل «افتح» في الموضعين، ورواة هذا الإسناد ثقات، إلا أن فيه الانقطاع الذي يأتي ذِكرُه. وقد شذَّ صالح بن موسىٰ الطلحي فرواه عن عبد الله بن الحسن عن أمِّه عن أبيها الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب، أخرجه أبو يعلىٰ[٢] من طريقه، وصالح ضعيف.

وقد رُوي هذا الحديث من وجه آخَر، قال الطبراني[٣]: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن يوسف الصيرفي، أنبأنا سُعَير بن الخِمْس، عن عبد الله بن الحسن، عن أمِّه، عن جدَّتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد حمد الله وسمَّىٰ وقال: «اللهم اغفر [لي ذنوبي] وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال مثل ذلك وقال: «أبواب فضلك»[٤]. وأخرجه ابن السني[٥] عن موسىٰ بن الحسن الكوفي عن إبراهيم بن يوسف، ووقع في روايته «عن جدَّته»، وفيه تجوُّزٌ؛ لأنها جدته العليا، وهو عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ففاطمة ﷺ جدة أبيه وجدة أمه أيضًا؛ لأن أمه هي فاطمة بنت الحسين بن علي. ورجال هذا السند أيضًا ثقات، لكن فيه انقطاع يأتي بيانه.

---

(١) الذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص ١٠٦ (ط - الدار السلفية بالكويت).

(٢) مسند أبي يعلىٰ ١/ ٣٧٨.

(٣) المعجم الأوسط ٦/ ٢١. وليس فيه (حمد الله وسمىٰ).

(٤) بعده في نتائج الأفكار: هذا حديث حسن.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٧١.

ورُوي من وجه آخَر بزيادة الصلاة فيه، قال الإمام أحمد[١]: حدثنا إسماعيل ابن إبراهيم - هو ابن عُلَيَّة - حدثنا ليث - هو ابن أبي سليم - عن عبد الله بن الحسن، عن أمِّه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلَّم ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج صلىٰ علىٰ محمد وسلَّم ثم قال: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك». قال إسماعيل: فلقيت عبد الله بن الحسن، فسألته عن هذا الحديث، فقال: كان إذا دخل قال: «رب افتح لي أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال: «ربِّ افتح لي أبواب فضلك». وهكذا أخرجه الترمذي عن علي بن حُجْر عن إسماعيل ابن عُلَيَّة، وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن إسماعيل وأبي معاوية كِلاهما عن ليث، ولم يذكر قول إسماعيل «فلقيت عبد الله بن الحسن». وقول الترمذي «ليس إسناده بمتَّصل» بيَّنه بقوله: فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدَّتها فاطمة الكبرىٰ؛ لأنها عاشت بعد النبي ﷺ أشهُرًا. قال الحافظ: وكان عمر الحسين عند موت أمِّه ﷺ دون ثماني سنين. والله أعلم.

وأمَّا حديث أبي حميد أو أبي أسيد فرواه مسلم عن حامد بن عمر عن بِشر بن المفضَّل عن عمارة بن غزية عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الملك بن سعيد الأنصاري عن أبي حميد أو أبي أسيد، ورواه مسلم أيضًا عن يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري عن سليمان بن بلال عن ربيعة. وأخرجه أبو داود عن محمد بن عثمان الدمشقي عن عبد العزيز الدراوَرْدي عن ربيعة. وأخرجه الدارمي[٢] عن القعنبي عن سليمان بن بلال، وأخرجه أيضًا عن يحيىٰ بن حسَّان عن الدراوَرْدي. وأخرجه المخلِّص في فوائده[٣] عن يحيىٰ بن محمد بن صاعد عن سوار بن عبد الله العنبري

(١) مسند أحمد ٤٤/ ١٣.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٣٧٧، ٢/ ٣٧٩.

(٣) المخلصيات ١/ ٢٣٦ - ٢٣٧، ٢/ ٣٩١.

عن بِشر بن المفضَّل، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج[١] عن فاروق بن عبد الكبير عن أبي مسلم عن مسدَّد عن بشر بن المفضل، وأخرجه أيضًا عن جعفر بن محمد بن عمرو عن أبي حُصَين الوادعي عن يحيىٰ بن عبد الحميد الحِمَّاني عن سليمان بن بلال. قال مسلم: سمعت يحيىٰ بن يحيىٰ يقول: كتبته من كتاب سليمان بن بلال. قال: وبلغني أن يحيىٰ الحِمَّاني يقول - يعني عن سليمان بسنده المذكور -: عن أبي حميد وأبي أسيد. ا.هـ. يعني أن الحِمَّاني رواه بواو العطف، وأن يحيىٰ بن يحيىٰ رواه بـ «أو» التي للتردُّد، ولم ينفرد الحِمَّاني بذلك، فقد أخرجه أحمد[٢] عن أبي عامر العقدي عن سليمان بواو العطف أيضًا، وكذلك أخرجه النسائي[٣] وأبو يعلىٰ وابن حبان[٤] من رواية سليمان، ولم ينفرد به سليمان أيضًا، بل جاء من رواية عمارة ابن غزية أيضًا كما عند الطبراني في الدعاء[٥] وأبي عَوانة في الصحيح[٦]، وأخرجه ابن ماجه[٧] من رواية إسماعيل بن عَيَّاش عن عمارة بن غزية، لكن قال: عن أبي حميد، ولم يذكر أبا أسيد. وهكذا أخرجه أبو عَوانة أيضًا من رواية عبد العزيز الأويسي عن الدراوَرْدي. والله أعلم.

تنبيه: وفي الباب عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك ﷺ، أمَّا حديث أبي هريرة فأخرجه النسائي في اليوم والليلة[٨] وابن ماجه[٩] وابن خزيمة[١٠]

---

(١) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٣٠٨.
(٢) مسند أحمد ٣٩/ ٢١.
(٣) سنن النسائي ص ١٢٢.
(٤) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٩٨.
(٥) الدعاء ص ٩٩٣.
(٦) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ١/ ٣٤٥.
(٧) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٢.
(٨) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٠.
(٩) سنن ابن ماجه ٢/ ٨٣.
(١٠) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٣١.

وابن حبان[١] والطبراني[٢] جميعًا من طريق بُندار - وهو محمد بن بشَّار - قال: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحَّاك بن عثمان، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلِّم علىٰ النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج من المسجد فليسلِّم علىٰ النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم». وأخرجه ابن السني[٣] عن النسائي، وأخرجه أيضًا من رواية عمرو بن علي الفَلاَّس عن أبي بكر الحنفي، وأخرجه يوسف القاضي في كتاب الدعاء من رواية حميد بن الأسود عن الضحَّاك، وأخرجه الحاكم[٤] من طريق أبي بكر الحنفي وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. ووقع في رواية النسائي: باعِذْني، وفي نسخة: أعِذْني. وهي رواية ابن ماجه وابن السني، وفي رواية ابن خزيمة وابن حبان: أجِرْني. ورجال هذا الحديث من رجال الصحيح، لكن أعلَّه النسائي فأخرجه من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب الأحبار أنه قال له: أوصيك باثنتين ... فذكر هذا الحديث بنحوه، ومن طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة عن كعب كذلك. قال النسائي: ابن أبي ذئب أثبتُ عندنا من الضحَّاك بن عثمان ومن محمد بن عجلان، وحديثه أَولىٰ بالصواب. قال الحافظ: ورواية ابن عجلان أخرجها عبد الرزاق[٥] وابن أبي شيبة[٦] في مصنَّفيهما كذلك، وأخرجه عبد الرزاق عن أبي معشر عن سعيد المقبري أن كعبًا قال لأبي هريرة ... فذكره. فهؤلاء ثلاثة خالفوا الضحَّاك في رفعه، وزاد ابن أبي ذئب في

(١) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٩٩.

(٢) الدعاء ص ٩٩٤.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٧٠.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣١٢.

(٥) مصنف عبد الرزاق ١/ ٤٢٧ - ٤٢٨.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٩٣، وفيه: كعب بن عجرة، بدل: كعب الأحبار.

السند راويًا، وخفيت هذه العلَّة علىٰ مَن صحَّح الحديث من طريق الضحاك. وفي الجملة هو حسن لشواهده. والله أعلم.

وأمَّا حديث عبد الله بن عمرو، فقال أبو داود في السنن[1]: حدثنا إسماعيل ابن بشر بن منصور، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بن المبارك، عن حيوة بن شُرَيح قال: لقيتُ عُقْبة بن مسلم، فقلت له: بلغني أنك حدَّثت عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا دخل المسجد: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم». قال: أقط؟ قلت: نعم. قال: «فإذا قال ذلك قال الشيطان: حُفظ مني سائرَ اليوم»[2]. ومعنىٰ قوله «أقط»: أما بلغك إلا هذا خاصةً؟ والهمزة للاستفهام، والمشهور في طاء «قط» التخفيف.

وأمَّا حديث أنس، فأخرجه ابن السني[3] عن الحسين بن موسىٰ الرقي، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن البختري - شيخ صالح بغدادي - حدثنا عيسىٰ بن يونس، عن معمر، عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: بسم الله، اللهم صلِّ علىٰ محمد. وإذا خرج قال: بسم الله، اللهم صلِّ علىٰ محمد[4].

(وقدِّم رِجلك اليمنىٰ في الدخول.

فإذا رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع) أي يشتري (فقل: لا أربح الله

---

(١) سنن أبي داود ١/ ٣٧٤.

(٢) بعده في نتائج الأفكار: «هذا حديث حسن غريب، ورجاله موثقون، وهم من رجال الصحيح إلا إسماعيل وعقبة».

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٧٢.

(٤) بعده في نتائج الأفكار: «رواته من عيسىٰ فصاعدا من رجال الصحيح، ولكن لا يعرف عن واحد منهم، والحسين لينه الحاكم أبو أحمد، وشيخه صدوق تكلم فيه بعضهم، وشيخه ما عرفته ولا وجدته في تاريخ الخطيب ولا ذيوله».

تجارتَك. وإذا رأيت من ينشد) أي يطلب **(ضالَّة في المسجد فقل: لا ردَّ الله عليك. أمر بذلك رسول الله ﷺ)** قال العراقي[١]: حديث «لا أربح الله» رواه الترمذي[٢] - وقال: حسن غريب - والنسائي في اليوم والليلة[٣] من حديث أبي هريرة. وحديث «لا ردَّ الله عليك» رواه مسلم[٤] من حديث أبي هريرة.

قلت: حديث[٥] الضالة رواه مسلم عن زهير بن حرب، ورواه أبو داود[٦] عن عبيد الله القواريري كِلاهما عن عبد الله بن يزيد المقري عن حيوة بن شُرَيح قال: سمعت أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقول: أخبرني أبو عبد الله مولىٰ شدَّاد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن سمع رجلاً ينشد ضالَّة في المسجد فليقلْ: لا ردَّها الله عليك؛ فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا». وأخرجه الفاكهي في تاريخ مكة[٧] عن ابن أبي مسرَّة عن المقري. وأخرجه مسلم أيضًا وابن حبَّان[٨] من رواية عبد الله بن وهب عن حيوة.

وفي الباب عن بُرَيدة الأسلمي وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وسعد بن أبي وَقَّاص وعصمة وابن مسعود رضي الله عنهم. أمَّا حديث بريدة فأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة[٩] عن وكيع، عن أبي أسامة، عن علقمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيدة، عن أبيه أن رجلاً قام في المسجد فقال: مَن دعا إلىٰ الجمل الأحمر؟ فقال النبي ﷺ:

---

(١) المغني ١/ ٢٩٠.

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٥٨٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٧.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٥٤.

(٥) نتائج الأفكار ١/ ٢٨٦ - ٢٩٧.

(٦) سنن أبي داود ١/ ٣٧٦.

(٧) تاريخ مكة ٢/ ١١٩ من طريق عمر بن حفص الشيباني عن عبد الله بن وهب عن حيوة بن شريح.

(٨) صحيح ابن حبان ٤/ ٥٢٩ من طريق أبي خيثمة عن المقري.

(٩) مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٣٩٢، وفيه: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ فقال رجل من دعا ... الخ.

«لا وجدتَ، فإنما بُنيت المساجد لِما بُنيتْ له». والمعنىٰ: من يعرف الجمل فدعا صاحبه. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وقد رواه سفيان الثوري عن علقمة بن مَرْثَد بلفظ: من يعرف الجمل الأحمر؟ أخرجه مسلم عن حجاج ابن الشاعر عن عبد الرزاق عن الثوري(١).

وأمَّا حديث أنس فأخرجه النسائي(٢) عن إسحاق بن إبراهيم - هو ابن راهويه - قال: قلت لأبي قُرَّة، أذكرَ موسىٰ بن عُقْبة عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ينشد ضالَّة، فقال له النبي ﷺ: «لا وجدتَ»؟ فأقرَّ به أبو قُرَّة وقال: نعم.

وهو في مسند إسحاق بن راهويه هكذا، وأخرجه البزار(٣) من وجه آخَر عن عمرو بن أبي عمرو.

وأمَّا حديث جابر فأخرجه النسائي(٤) عن محمد بن وهب بن أبي كريمة عن محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن أبي الزبير عن جابر قال: سمع رسول الله ﷺ

رجلاً ينشد ضالَّة له في المسجد فقال: «لا وجدتَ».

وأمَّا حديث سعد فأخرجه البزار(٥)، وهو بنحو حديث أنس.

وأمَّا حديث عصمة فأخرجه الطبراني(٦)، ولفظه: «قولوا: لا ردَّها الله عليك».

---

(١) لفظ رواية الثوري عن علقمة عند مسلم: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر؟ أما رواية (من يعرف الجمل الأحمر) فأخرجها أبو نعيم في المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ١٦٤.

(٢) لم أقف علىٰ هذا الحديث عند النسائي لا في السنن الصغرىٰ ولا الكبرىٰ.

(٣) مسند البزار ١٢/ ٣٤٧.

(٤) سنن النسائي ص ١٢٠، وأوله: جاء رجل ينشد ضالة في المسجد ... الخ.

(٥) مسند البزار ٣/ ٣٦٧.

(٦) المعجم الكبير ١٧/ ١٨١.

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه أبو العباس السَّرَّاج، عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالَّة في المسجد، فغضب وسبَّه، فقال له الرجل[١]: ما كنتَ فاحشًا. فقال: بهذا أُمِرنا.

وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح[٢] من طريق محمد بن فضيل بهذا السند.

وأخرجه البزار[٣] من وجه آخَر عن عاصم الأحول، وقال في آخره: بهذا أُمِرنا إذا وجدنا مَن ينشد ضالَّة في المسجد أن نقول له: لا وجدتَ.

وفي الباب أيضًا عن عبد الله بن عمرو وثوبان جد محمد بن عبد الرحمن، وسنذكره قريبًا.

وأما حديث «لا أربح اللهُ» فقال الدارمي[٤]: حدثنا الحسن بن أبي يزيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا يزيد بن خصيفة، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح اللهُ تجارتَك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالَّةً فقولوا: لا أدَّاها الله لك». أخرجه الترمذي[٥] عن الحسن بن علي الخَلاَّل عن عارم، وأخرجه النسائي[٦] عن إبراهيم بن يعقوب عن علي بن المديني، وأخرجه ابن خزيمة[٧] عن [محمد بن يحيىٰ الذُّهَلي عن أبي جعفر عبد الله بن محمد النُّفَيلي، وأخرجه

(١) في نتائج الأفكار وصحيح ابن خزيمة: (فقال له رجل) وهو يقتضي أنه غير الرجل منشد الضالة.
(٢) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٣.
(٣) مسند البزار ٥/ ٢٦٨ - ٢٦٩.
(٤) سنن الدارمي ١/ ٣٧٩.
(٥) سنن الترمذي ٢/ ٥٨٦.
(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٧.
(٧) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٤.

ابن السني[١] عن] أبي خليفة عن عبد الله بن عبد الوهاب الحَجَبي، أربعتهم عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوَرْدي. وأخرجه ابن حبان[٢] عن ابن خزيمة، والحاكم[٣] من رواية عارم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. ورواه ابن السني[٤] والطبراني[٥] فقالا: عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن أبيه عن جدِّه أن رسول الله ﷺ قال: «من رأيتموه ينشد شعرًا في المسجد فقولوا: فضَّ الله فاك، ثلاث مرَّات [ومن رأيتموه ينشد ضالَّة في المسجد فقولوا: لا وجدتَها، ثلاث مرات] ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح اللهُ تجارتَك، ثلاث مرات» . هذا الحديث غريب ، تفرَّد بوصله محمد بن حمير عن عَبَّاد ابن كثير عن يزيد بن خصيفة. وقد رواه أبو خيثمة الجُعْفي عن عَبَّاد بن كثير، لكن لم يقل: عن جدِّه، والآفة فيه من عَبَّاد، وهو ضعيف جدًّا، وقد خالف فيه الدراوَرْديَّ، وهو ثقة، وسنده هو المعروف.

وأخرج ابن خزيمة في الصحيح[٦] عن بُنْدار ويعقوب بن إبراهيم، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه[٧] قالوا: حدثنا يحيىٰ بن سعيد، حدثنا محمد ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه قال: نهىٰ رسولُ الله ﷺ عن البيع والشراء في المسجد، وأن تُنشَد فيه الأشعار، وأن تُنشَد فيه الضالَّة. وأخرجه أصحاب السنن[٨] من طرق عن محمد بن عجلان.

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١٠٨.
(٢) صحيح ابن حبان ٤/ ٥٢٨.
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٧٢.
(٤) عمل اليوم والليلة ص ١٠٨ متقتصرا علىٰ الجملة الأول من الحديث.
(٥) المعجم الكبير ٢/ ١٠٣ - ١٠٤.
(٦) صحيح ابن خزيمة ٢/ ٢٧٤.
(٧) مسند أحمد ١١/ ٢٥٧.
(٨) سنن أبي داود ٢/ ٩٨. سنن الترمذي ١/ ٣٥٣. سنن النسائي ص ١٢٠. سنن ابن ماجه ٢/ ٦٦.

وثوبان المذكور أولاً ليس هو المشهور [مولىٰ رسول الله ﷺ] بل هو آخَر لا يُعرَف إلا في هذا الإسناد، ولا روىٰ عن عبد الرحمن بن ثوبان إلا ابنه محمد، فهو في عداد المجهولين. والله أعلم.

(فإذا صلَّيت ركعتَي الصبح فقل: بسم الله، اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي ... الدعاء إلىٰ آخره كما أوردناه عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ) رواه الترمذي، وقد تقدَّم تقريبًا **(فإذا ركعتَ)** في صلاتك **(فقل في ركوعك)** هذا الدعاء: **(اللهم لك ركعتُ، ولك خشعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، وعليك توكَّلت، أنت ربي، خشع سمعي وبصري ومخِّي وعظمي وعصبي وما استقلَّت به)** أي حملت **(قدمي لله رب العالمين)** قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث عليٍّ.

قلت: هذا السياق للطبراني في الدعاء[٣]، رواه من طريق جُنادة بن سلم عن عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن الفضل عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا ركع. إلا أنه لم يقل: ولك خشعت. وقال: عظامي، بدل: عظمي. ورواه الطبراني أيضًا من طريق عبد العزيز الماجشون عن عمِّه[٤] [عن الأعرج] عن عبيد الله بن أبي رافع عن عليٍّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، ولك أسلمت، وبك آمنت، خشع لك سمعي وبصري ومخِّي وعظامي وعصبي». ورواه أحمد[٥] عن حُجَين ابن المثنَّىٰ عن عبد العزيز الماجشون. وأخرجه مسلم من وجه آخَر عن عبد العزيز في الحديث الطويل الذي فيه دعاء الافتتاح «وجَّهتُ وجهي».

---

(١) المغني ١/ ٢٩٠.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠.
(٣) الدعاء ص ١٠٤٣ - ١٠٤٤.
(٤) اسمه الماجشون بن أبي سلمة.
(٥) مسند أحمد ٢/ ١٨٥.

(وإن أحببتَ فقل: سبحان ربِّي العظيم، ثلاث مرَّات) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] وابن ماجه[٣] والترمذي[٤] من حديث ابن مسعود، وفيه انقطاع.

قلت: رواه[٥] الطيالسي[٦] عن ابن أبي ذئب عن إسحاق بن يزيد الهُذَلي عن عون بن عبد الله بن عُتْبة عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في ركوعه: سبحان ربِّي العظيم، ثلاث مرَّات فقد تمَّ ركوعُه، وذلك أدناه». أخرجه أبو داود عن عبد الملك بن مروان الأهوازي عن الطيالسي، وأخرجه الترمذي من طريق عيسىٰ بن يونس، وابن ماجه من طريق وكيع، كِلاهما عن ابن أبي ذئب. قال الترمذي: ليس إسناده بمتَّصل، عون لم يلقَ عبد الله بن مسعود. وكذا قال البيهقي[٧]، لكنه عبَّر بقوله «لم يدرك»، وساق له شاهدًا من حديث أبي جعفر محمد بن علي عن النبي ﷺ قال: «سبِّحوا ثلاث تسبيحات ركوعًا، وثلاث تسبيحات سجودًا». وهذا مرسَل أو معضَل؛ لأن أبا جعفر من صغار التابعين، وجلُّ روايته عن التابعين. وقال الطبراني: والزيادة التي في حديث ابن مسعود وهي قوله «وذلك أدناه» لا تُروَىٰ إلا في هذا الحديث، تفرَّد بها ابن أبي ذئب. قال الحافظ: ووقع في رواية الشافعي في المرسَل الذي ساقه البيهقي شاهدًا لحديث ابن مسعود ما يُشعِر بهذه الزيادة، قال[٨]: أخبرنا ابن أبي يحيىٰ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جاءت الحَطَّابة إلىٰ رسول الله ﷺ فقالوا: إنَّا لا نزال سفرًا، فكيف نصنع

(١) المغني ١/ ٢٩١.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ١٢.
(٣) سنن ابن ماجه ٢/ ١٥٨.
(٤) سنن الترمذي ١/ ٣٠٠.
(٥) نتائج الأفكار ٢/ ٦٢ - ٦٥.
(٦) مسند الطيالسي ١/ ٢٧٣.
(٧) السنن الكبرىٰ ٢/ ١٢٣.
(٨) مسند الشافعي ص ١٦.

بالصلاة؟ فقال: «سبِّحوا ثلاث تسبيحات ركوعًا، وثلاث تسبيحات سجودًا».

وقد ورد التثليث فيه في عدَّة أخبار بدون تلك الزيادة، أخرج الطبراني في الدعاء[1]: حدثنا معاذ بن المثنَّىٰ وبكر بن سهل ومحمد بن الفضل السَّقَطي وعبيد بن غَنَّام، قال الأول: حدثنا مسدَّد، والثاني: حدثنا نُعَيم بن حمَّاد، والثالث: حدثنا سعيد بن سليمان، والرابع: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. قالوا: حدثنا حفص بن غياث، عن ابن أبي ليلىٰ - هو محمد بن عبد الرحمن - عن الشعبي، عن صلة بن زُفَر، عن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه «سبحان ربي العظيم» ثلاثًا، وفي سجوده «سبحان ربي الأعلىٰ» ثلاثًا[2]. وهو حديث حسن. وأخرجه ابن خزيمة[3] عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي وسلم ابن جُنادة، وأخرجه المعمري في اليوم والليلة عن عثمان بن أبي شيبة، وأخرجه الدارقطني[4] عن البَغَوي عن عبد الله بن عمر بن أبان ، كلُّهم عن حفص بن غياث، وزاد الدارقطني في روايته «وبحمده» في الموضعين. وابن أبي ليلىٰ ضعيف من قِبَل حفظِه، وقد خالفه السري بن إسماعيل - وهو مثله أو دونه - فرواه عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود قال: من السنَّة ... فذكر مثله، لكن لم يقل «ثلاثًا». وأخرج البزار[5] من حديث أبي بكرة كاللفظ الأول، ذكر فيه «ثلاثًا»، ولم يقل «وبحمده». وأخرج الدارقطني[6] مثله من حديث جُبَير بن مُطعِم ومن حديث عبد الله بن أقرم، وفي سند كلٍّ منهما ضعفٌ.

---

(١) الدعاء ص ١٠٥٠.

(٢) الذي في كتاب الدعاء ذكر الركوع فقط، ولم يذكر السجود. وفيه (سبحان ربي العظيم وبحمده).

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٠٥.

(٤) سنن الدارقطني ٢/ ١٤٢ - ١٤٣.

(٥) مسند البزار ٩/ ١٣٣.

(٦) سنن الدارقطني ٢/ ١٤٤ - ١٤٥.

(أو: سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث عائشة.

قلت: قال[٣] أحمد[٤]: حدثنا عمرو بن الهيثم، حدثنا هشام - هو الدستوائي - عن قتادة، عن مطرِّف بن عبد الله عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوح قُدُّوس ربُّ الملائكة والروح». أخرجه مسلم وأبو داود[٥] من رواية هشام، ورواه شعبة عن قتادة مقتصرًا علىٰ الركوع، وأشار إلىٰ رواية هشام بزيادة السجود. ورواه معمر عن قتادة بالشك. وقد تابع هشامًا علىٰ الجمع بينهما سعيدُ بن أبي عَرُوبة.

(فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد) رواه[٦] البخاري[٧] عن يحيىٰ بن بُكَير، عن الليث بن سعد، عن عقيل، عن الزهري قال: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنه سمع أبا هريرة ﵁ يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلىٰ الصلاة يكبِّر حين يقوم، ثم يكبِّر حين يركع، ثم يقول «سمع الله لمَن حمده» حين يرفع صُلْبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: «ربنا لك الحمدُ». وأخرجه مسلم[٨] من رواية عبد الرزاق عن ابن جُرَيج عن الزهري، ومن رواية حُجَين بن المثنَّىٰ عن الليث عن عقيل عن الزهري، إلا أنه قال «ربنا ولك» بإثبات الواو، وهذه الرواية علَّقها البخاري لعبد الله بن صالح

---

(١) المغني ١/ ٢٩١.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٢٤.
(٣) نتائج الأفكار ٢/ ٧٢ - ٧٣.
(٤) مسند أحمد ٤٠/ ٧٣.
(٥) سنن أبي داود ٢/ ٧.
(٦) نتائج الأفكار ٢/ ٨٠ - ٨٩.
(٧) صحيح البخاري ١/ ٢٥٦.
(٨) صحيح مسلم ١/ ١٨٣.

عن الليث عقب رواية يحيىٰ بن بُكَير، ووصلها[١] من طريق شعيب ابن أبي حمزة عن الزهري. وأخرجها النسائي[٢] من رواية يونس بن يزيد عن الزهري، وهي عند أحمد[٣] من رواية معمر عن الزهري. ووقع بالواو أيضًا في حديث رفاعة بن رافع عند البخاري كما سبق للمصنِّف في الباب الأول من هذا الكتاب، لكنه ليس من لفظ النبي ﷺ، ووقع من غير واو في حديث أبي سعيد وعليٍّ وابن أبي أوفَىٰ وابن عباس، وكلها في مسلم. واختُلف في تخريج الواو، فقيل: هي عاطفة علىٰ شيء محذوف، وعلىٰ ذلك اقتصر ابن دقيق العيد[٤]. وقيل: هي حاليَّة، وبذلك جزم ابن الأثير في النهاية. وقيل: هي زائدة. وقد تقدَّم الكلام علىٰ ذلك مفصَّلاً في كتاب الصلاة، فراجعْه إن شئتَ.

وقال عبد بن حميد[٥]: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن عبيد بن الحسن، عن عبد الله بن أبي أوفَىٰ ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمَن حمده، ربَّنا لك الحمد (**ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعدُ**) رواه مسلم[٦] وأبو داود[٧] من طريق أبي معاوية ووكيع كِلاهما عن الأعمش، ورواه أحمد[٨] عن وكيع، ورواه أبو داود أيضًا عن محمد بن

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٢٥٩.

(٢) سنن النسائي ص ١٦٧.

(٣) مسند أحمد ١٣/ ٩٦.

(٤) إحكام الأحكام ١/ ١٩٧، ونصه: «اختلفوا في إثبات الواو وإسقاطها من قوله (ولك الحمد) بحسب اختلاف الروايات، وهذا اختلاف في الاختيار لا في الجواز، ويرجح إثباتها بأنه يدل علىٰ زيادة معنىٰ؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب لنا - أو ما قارب ذلك - ولك الحمد. فيكون الكلام مشتملا علىٰ معنىٰ الدعاء ومعنىٰ الخبر. وإذا قيل بإسقاط الواو دل علىٰ أحد هذين».

(٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤١٧.

(٦) صحيح مسلم ١/ ٢١٩.

(٧) سنن أبي داود ١/ ٥٣٣.

(٨) مسند أحمد ٣١/ ٤٥١.

عيسىٰ عن محمد بن عبيد، وقال أبو داود بعد تخريجه: رواه شعبة وسفيان الثوري عن عبيد بن الحسن لم يذكرا فيه «بعد الركوع». قال الحافظ: والأعمش حافظ، فزيادته معتمدة.

وقال أبو داود الطيالسي[1]: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا عمّي، عن الأعرج، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال ... فساقه بمثل الحديث السابق، إلا أن فيه زيادة بعد قوله «وملء الأرض»: وملء ما بينهما. رواه مسلم[2] والنسائي[3] من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ومسلم أيضًا من طريق أبي النضر، وأبو داود[4] من طريق معاذ بن معاذ، والترمذي[5] من طريق سليمان بن داود، أربعتهم عن عبد العزيز، وأخرجه الترمذي أيضًا عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي، وأخرجه الدارمي[6] عن يحيىٰ بن حسَّان عن عبد العزيز. وقال الدارمي أيضًا: أخبرنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثنا عطية بن قيس، عن قزعة بن يحيىٰ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع ... فذكر مثل حديث ابن أبي أوفَىٰ، وزاد بعد قوله «من شيء بعدُ»: (**أهل الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد وكلُّنا لك عبدٌ لا مانع لِما أعطيتَ، ولا معطي لِما منعتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ**) وهو حديث صحيح، أخرجه مسلم[7]

---

(١) مسند الطيالسي ١/ ١٢٩.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠.

(٣) أخرجه النسائي في سننه ص ١٤٨، ولكن ليس فيه موضع الشاهد.

(٤) سنن أبي داود ١/ ٤٩٧.

(٥) سنن الترمذي ١/ ٣٠٤، ٥/ ٤٢٣.

(٦) سنن الدارمي ١/ ٣٤٤.

(٧) صحيح مسلم ١/ ٢٢٠.

عن الدارمي، وأخرجه أحمد[1] عن الحكم بن نافع، وأبو داود[2] وابن خزيمة[3] من رواية أبي مسهر وعبد الله بن يوسف، وأبو داود أيضًا من رواية بِشْر بن بكر، والنسائي[4] من رواية مَخْلَد بن يزيد، خمستهم عن سعيد بن عبد العزيز. ووقع في رواية بعضهم «اللهم ربنا»، وذكر أبو داود أن في رواية عبد الله بن يوسف «ربنا ولك الحمد» بزيادة واو.

قال الطبراني في الدعاء[5]: حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف التنِّيسي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قيس، عن قزعة، عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع: سمع الله لمَن حمده اللهم ربَّنا ولك الحمد ... فذكر الحديث مثله، لكنه قال: «لا نازع لِما أعطيتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ». أخرجه أبو داود عن محمد بن محمد بن مصعب، وابن خزيمة عن زكريا بن يحيىٰ بن أبان، والطحاوي[6] عن مالك بن عبد الله بن سيف، والبيهقي[7] من طريق المقدام بن داود، أربعتهم عن عبد الله ابن يوسف.

وقد جاء هذا الدعاء مختصرًا من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: «اللهم ربَّنا لك الحمدُ ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيء بعدُ، اللهم لا مانع لِما أعطيتَ، ولا معطي لِما

---

(١) مسند أحمد ١٨/ ٣٤٤.

(٢) سنن أبي داود ١/ ٥٣٤.

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣١٠.

(٤) سنن النسائي ص ١٧٤.

(٥) الدعاء ص ١٠٥٦ - ١٠٥٧. وليس فيه عبارة (إذا رفع رأسه من الركوع) ولا كلمة (اللهم).

(٦) شرح معاني الآثار ١/ ٢٣٩.

(٧) السنن الكبرىٰ ٢/ ١٣٦.

منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ». أخرجه أحمد[١] ومسلم[٢] والنسائي[٣] والحسن بن سفيان وأبو نعيم[٤]، كلُّهم من طريق هشام بن حسَّان عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(**وإذا سجدتَ فقل**) قال[٥] مسلم في صحيحه[٦]: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدَّمي، حدثنا يوسف بن يعقوب بن الماجشون، حدثنا أبي، عن الأعرج، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: (**اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوَّره**) فأحسنَ صُوَره (**وشقَّ سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين**) لفظ مسلم «تبارك الله» من غير فاء، وبالفاء رواية الحاكم من حديث عائشة، على ما سيأتي ذِكرُه. ورواه أبو نعيم في المستخرج[٧] عن حبيب بن الحسن حدثنا يوسف القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر المقدَّمي.

ورواه الطبراني في الدعاء[٨] عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غَسَّان مالك ابن إسماعيل وحجاج بن المِنْهال قالا: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا الماجشون.

وقال العدني في مسنده: حدثنا عبد الوهاب الثقفي، عن خالد الحَذَّاء، عن أبي العالية، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجود القرآن بالليل: «سجد

---

(١) مسند أحمد ٤/ ٢٩٩، ٥/ ٤٥٠.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٢٠.
(٣) سنن النسائي ص ١٧٤.
(٤) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٩٢.
(٥) نتائج الأفكار ٢/ ٩٤ - ١١٨.
(٦) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠.
(٧) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٢/ ٣٦٧.
(٨) الدعاء ص ١٠٦٣.

وجهي للذي خلقه وشقَّ سمعه وبصره بحوله وقوته». ورواه أحمد[١] عن هُشَيم عن خالد الحَذَّاء نحوه. وأخرجه الترمذي[٢] والنسائي[٣] وابن ماجه[٤] وابن خزيمة[٥]، كلُّهم عن بُنْدار عن عبد الوهاب الثَّقَفي، وأخرجه ابن خزيمة والحاكم[٦] من رواية وُهَيب بن خالد وخالد بن عبد الله الواسطي كِلاهما عن خالد الحَذَّاء. قال ابن خزيمة: وخالد الحذَّاء لم يسمعه من أبي العالية، بل بينهما رجل. قال الحافظ: كأنَّه يشير إلىٰ ما رواه إسماعيل ابن عُلَيَّة فقال: عن خالد الحذاء عن رجل عن أبي العالية عن عائشة. وخفيت علَّتُه علىٰ الترمذي فصحَّحه، واغترَّ ابن حبان بظاهره فأخرجه في صحيحه[٧] عن ابن خزيمة، وتبعه الحاكم في تصحيحه، وكأنَّهما لم يستحضرا كلام إمامهما فيه. وذكر الدارقطني[٨] الاختلاف فيه وقال: الصواب رواية إسماعيل. وأخرجه الحاكم من طريق محمد ابن المثنَّىٰ عن عبد الوهاب الثقفي فذكر الحديث بتمامه سندًا ومتنًا، وقال بعد قوله «بحوله وقوَّته»: فتبارك الله أحسن الخالقين. وأخرجه البيهقي[٩] من طريق أخرىٰ عن محمد بن المثنَّىٰ بدون هذه الزيادة.

(**اللهم سجد لك سوادي**) أي شخصي (**وخيالي**) وفي رواية تقديم «خيالي» علىٰ «سوادي» (**وبك آمن فؤادي**) وفي رواية: وآمن بك فؤادي (**أبوء بنعمتك عليَّ**

---

(١) مسند أحمد ٤٠/ ٢٣.

(٢) سنن الترمذي ١/ ٥٧٨، ٥/ ٤٢٦.

(٣) سنن النسائي ص ١٨٣.

(٤) لم أقف عليه في سنن ابن ماجه.

(٥) صحيح ابن خزيمة ١/ ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٢٩.

(٧) لم أقف عليه في صحيح ابن حبان.

(٨) العلل ١٤/ ٣٩٥.

(٩) السنن الكبرىٰ ٢/ ٤٦٠ - ٤٦١ من طريق الحاكم عن محمد بن المثنىٰ، وفيه الزيادة المذكورة، ورواه من غير طريق الحاكم عن ابن المثنىٰ بدون هذه الزيادة.

وأبوء بذنبي) وفي رواية الاقتصار علىٰ قوله «أبوء بنعمتك عليَّ» **(هذا ما جنيتُ علىٰ نفسي)** وفي رواية: هذه يدي وما جنيتُ علىٰ نفسي **(فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** قال العراقي[1]: رواه الحاكم[2] من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد. وليس كما قال، بل هو ضعيف.

قلت: لفظ الحاكم في المستدرك كما ساقه المصنِّف، إلا أنه لم يذكر «وأبوء بذنبي»، وبعده عنده: «وهذا ما جنيتُ علىٰ نفسي، يا عظيم، يا عظيم، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم».

وأخرجه البزار[3] من حديثه أن النبي ﷺ قال في سجوده ... فذكره.

وله شاهد من حديث عائشة، أخرجه أبو يعلىٰ من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عنها قالت: فقدت رسولَ الله ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمستُه فوقعت يدي علىٰ بطن قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ...» فساقه، وزاده في آخره: «سجد لك سوادي، وآمن بك فؤادي»[4]. وسنده ضعيف، وعطاء هو الخُراساني، لم يدرك عائشة.

---

(١) المغني ١/ ٢٩١.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٤.

(٣) مسند البزار ٥/ ٤٠٣ حتىٰ قوله (جنيت علىٰ نفسي).

(٤) هذا الحديث رواه أبو يعلىٰ ٨/ ٤٨، ١٢١ من طريقين: الأول: طريق الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت النبي ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمسته بيدي، فوقعت يدي علىٰ قدميه وهما منصوبتان، وهو ساجد وهو يقول: «اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك». الثاني: طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عائشة قالت: كانت ليلتي من رسول الله ﷺ، فانسل، فظننت أنما انسل إلىٰ بعض نسائه، فخرجت غيرَىٰ، فإذا أنا به ساجد كالثوب الطريح، فسمعته يقول: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك فؤادي، رب هذه يدي وما جنيت علىٰ نفسي، يا عظيم ترجىٰ لكل عظيم، فاغفر الذنب العظيم». فرفع رأسه فقال: «ما أخرجك؟» قلت: ظن ظننته. قال: «إن بعض الظن إثم، واستغفري الله، إن جبريل أتاني فأمرني أن أقول هذه الكلمات التي سمعتِ، فقوليها في سجودك؛ فإنه من قالها لم يرفع رأسه حتىٰ يغفر له».

(أو تقول: سبحان ربِّي الاعلىٰ ثلاث مرات) قال العراقي[١]: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود، وهو منقطع.

قلت: سبق في أذكار الركوع أن الترمذي بعدما أورده قال: ليس إسناده بمتَّصل، عون لم يلقَ ابنَ مسعود. وكذا قال البيهقي، إلا أنه عبَّر بقوله «لم يدرك». وتقدم أيضًا حديث الشعبي عن صلة بن زُفَر عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه «سبحان ربِّي العظيم» ثلاثًا، وفي سجوده «سبحان ربي الأعلىٰ» ثلاثًا.

وعند أبي داود[٢] من حديث عُقْبة بن عامر: كان ﷺ إذا سجد قال «سبحان ربِّي الأعلىٰ وبحمده» ثلاثًا.

وعنده[٣] أيضًا من طريق سعيد الجُرَيري عن السعدي عن أبيه أو عمِّه قال: رمقتُ صلاةَ رسول الله ﷺ، فكان يمكث في ركوعه وسجوده بقَدْر ما يقول «سبحان الله وبحمده» ثلاثًا.

تنبيه: في ذكر بعض أدعية الركوع والسجود ممَّا لم يذكره المصنف:

فمنها: حديث عائشة ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأوَّل القرآن. وفي رواية: كان يُكثِر أن يقول. رواه البخاري[٤] ومسلم[٥] وأبو داود[٦] والنسائي[٧]. وفي رواية عنها: ما

---

(١) المغني ١/ ٢٩١.
(٢) سنن أبي داود ٢/ ٦.
(٣) السابق ٢/ ١٢.
(٤) صحيح البخاري ١/ ٢٥٧، ٢٦٤، ٣/ ١٥١، ٣٣٢.
(٥) صحيح مسلم ١/ ٢٢٢ - ٢٢٣.
(٦) سنن أبي داود ٢/ ٩.
(٧) سنن النسائي ص ١٨٢.

صلىٰ رسول الله ﷺ صلاة منذ أُنزِل عليه «إذا جاء نصر الله والفتح» إلا دعا فيها: «سبحانك ربِّي وبحمدك، اللهم اغفر لي». رواه هكذا مسلم. وفي رواية عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِر قبل موته من قول «سبحان ربِّي وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه». رواه مسلم أيضًا. وفيه دلالة علىٰ عدم التخصيص بحال الصلاة. وفي حديثها أيضًا أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوح قُدُّوس رب الملائكة والروح». رواه مسلم وأبو داود.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعَظَمة»، ويقول في سجوده مثل ذلك. رواه أبو داود(١) والنسائي(٢) في سننهما والترمذي في الشمائل(٣) والطبراني في الدعاء(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افتقدتُ النبيَّ ﷺ [ذات ليلة] فظننت أنه ذهب إلىٰ بعض نسائه، فتحسَّست ثم رجعت فإذا هو [راكع أو] ساجد يقول: «سبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت». فقلت: بأبي [أنت] وأمي، إنك لفي شأن وإني لفي آخَر. رواه مسلم(٥).

وعن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدتُ رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش، فالتمستُه، فوقعت يدي علىٰ بطن قدمَيْه، وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك».

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٨.

(٢) سنن النسائي ص ١٨٤.

(٣) الشمائل المحمدية ص ١٤٧.

(٤) الدعاء ص ١٠٥١، مقتصرا علىٰ حالة الركوع.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٢٢٣.

رواه مسلم[١] أيضًا. وقد تقدَّم هذا الحديث للمصنِّف في آخر كتاب تلاوة القرآن، وسيأتي له كذلك في هذا الباب.

ورواه صالح بن سعيد عن عائشة ﷺ أنها فقدت رسولَ الله ﷺ من مضجعه، فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول: «ربِّ آتِ نفسي تقواها، وزَكِّها أنت خيرُ مَن زَكَّاها، أنت وليُّها ومولاها». رواه أحمد[٢].

ورواه هلال بن يساف عنها قالت: فقدتُ النبيَّ ﷺ من مضجعه، فجعلت ألتمسه، وظننت أنه أتىٰ بعضَ جواريه، فوقعت يدي عليه وهو ساجد وهو يقول: «اللهم اغفر لي ما أسررتُ وما أعلنت». رواه النسائي[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كلَّه، دِقَّه وجِلَّه، أوله وآخره، سره وعلانيته». رواه مسلم[٤] وأبو داود[٥] والنسائي[٦] والطبراني[٧].

وعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من أحب الكلام إلىٰ الله أن يقول العبد في سجوده: رب ظلمتُ نفسي، فاغفر لي. رواه الطبراني في الدعاء[٨]. وهو في حكم المرفوع وإن لم يصرِّح برفعه.

فصل: ولم يذكر المصنِّف ما يُدعَىٰ به بين السجدتين هنا، وأورده في كتاب

---

(١) السابق ١/ ٢٢٣.
(٢) مسند أحمد ٤٢/ ٤٩٢.
(٣) سنن النسائي ص ١٨٢.
(٤) صحيح مسلم ١/ ٢٢٢.
(٥) سنن أبي داود ٢/ ١٠.
(٦) لم أقف عليه عند النسائي.
(٧) الدعاء ص ١٠٧٢.
(٨) السابق ص ١٠٧٢.

الصلاة، وذكر هناك عشر كلمات مجموعة من روايات مختلفة، وقد قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار(١): إن النووي ذكر في شرح المهذَّب(٢) تبعًا للرافعي(٣) وغيره بلفظ «ربِّ اغفر لي واجبُرني وعافِني وارزقني واهدني»، ثم قال: والأحبُّ أن يضم إليها «وارحمني وارفعني»، فقد ورد ذلك. وذكره في الروضة(٤) بلفظ «اغفر لي وارحمني واجبرني(٥) واهدني وارزقني»، وهو موافق لرواية الترمذي(٦)، ورواية أبي داود(٧) مثلها، لكن قال «عافني» بدل «اجبرني»، ورواية ابن ماجه(٨) مثل الترمذي، لكن قال «وارفعني» بدل «اجبرني»، فينتظم من رواية الثلاثة ما ذكره في شرح المهذَّب، وجمعها ابن عدي(٩) إلا «ارفعني»، ومثله ابن حبان(١٠)، لكن عنده «انصرني» بدل «اهدني»، واتفقت روايات الجميع على إثبات «اغفر لي وارحمني».

(فإذا فرغتَ من الصلاة فقل: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا

---

(١) نتائج الأفكار ٢/ ١٢٤.

(٢) المجموع شرح المهذب ٣/ ٤٣٦ - ٤٣٧، ونصه: «لفظ أبي داود: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني. ولفظ الترمذي مثله، لكنه ذكر: وأجرني وعافني. وفي رواية ابن ماجه: وارفعني، بدل: واهدني. وفي رواية البيهقي: رب اغفر لي وارحمني وأجرني وارفعني وارزقني واهدني. فالاحتياط والاختيار أن يجمع بين الروايات ويأتي بجميع ألفاظها، وهي سبعة: اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وأجرني، وارفعني، واهدني، وارزقني».

(٣) فتح العزيز ١/ ٥٢٥ - ٥٢٦.

(٤) روضة الطالبين ١/ ٢٦٠.

(٥) بعده في الروضة: وعافني.

(٦) سنن الترمذي ١/ ٣١٧ من حديث ابن عباس.

(٧) سنن أبي داود ١/ ٥٣٥.

(٨) سنن ابن ماجه ٢/ ١٦٣، وعنده: رب اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني وارفعني.

(٩) رواه في ثلاث مواضع من الكامل: الأول ٣/ ١٠٦٦ بلفظ: «رب اغفر لي وارحمني وارفعني واجبرني». الثاني ٦/ ٢١٠٢ بلفظ: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وعافني وارزقني واهدني». الثالث ٧/ ٢٥٢٠ بلفظ: «اللهم اغفر لي وارحمني وارفعني واجبرني واهدني وعافني».

(١٠) المجروحون من المحدثين ٢/ ٢٣١.

الجلال والإكرام) قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث ثوبان.

قلت: ورواه أبو داود[٣] والترمذي[٤] والنسائي[٥] وابن ماجه[٦]، ولفظهم جميعًا: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام». قال الوليد: فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفرُ الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

(وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها) وبسائر الأذكار المذكورة من التهليل والتسبيح والتكبير والاستغفار والتعوُّذ ممَّا ورد التصريح به أنه في دُبر الصلوات، فمن الأذكار: التسبيح والتحميد والتكبير «ثلاثًا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وكمال المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو علىٰ كل شيء قدير. فمن قال ذلك غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زَبَد البحر». رواه مسلم[٧] وأبو داود[٨] والنسائي[٩].

وعن عبد الله بن الزبير ﷺ أنه كان يقول في دُبُر كل صلاة حين يسلِّم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قديرٌ، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إيَّاه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. وقال: كان

---

(١) المغني ١/ ٢٩٢.
(٢) صحيح مسلم ١/ ٢٦٦.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٣، ولم يسق لفظه بتمامه.
(٤) سنن الترمذي ١/ ٣٣١.
(٥) سنن النسائي ص ٢١٨.
(٦) سنن ابن ماجه ٢/ ١٨٥.
(٧) صحيح مسلم ١/ ٢٧٠ من حديث أبي هريرة.
(٨) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٨.
(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ٦٢ - ٦٣.

رسول الله ﷺ يهلِّل بهنَّ دُبُرَ كل صلاة. رواه مسلم[(١)] وأبو داود[(٢)] والنسائي[(٣)].

وعن عُقْبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوِّذات دُبُر كل صلاة. رواه أبو داود[(٤)] والترمذي[(٥)] والنسائي[(٦)] وابن حبان[(٧)] والحاكم[(٨)] في صحيحيهما، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم. واللفظ لأبي داود والنسائي، ولفظ الترمذي: أن أقرأ بالمعوِّذتين في دُبُر كل صلاة.

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قرأ آية الكرسي في دُبُر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». رواه النسائي[(٩)] عن الحسين بن بِشْر عن محمد بن حِمْيَر عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي أُمامة رضي الله عنه.

وأمَّا الأدعية فمنها ما تقدَّم للمصنِّف ما وقع التصريح فيه بأنه يُقال في دُبُر الصلوات، كقوله: «أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلىٰ أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر». رواه البخاري[(١٠)] والترمذي[(١١)] والنسائي[(١٢)] عن عمرو بن ميمون الأودي أن سعد بن

---

(١) صحيح مسلم ١/ ٢٦٨.

(٢) سنن أبي داود ٢/ ٢٨٩.

(٣) سنن النسائي ص ٢١٨.

(٤) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٧.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٢٧.

(٦) سنن النسائي ص ٢١٨.

(٧) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٤٥.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٧٢.

(٩) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٤.

(١٠) صحيح البخاري ٢/ ٣١٢، ٤/ ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩.

(١١) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٨.

(١٢) سنن النسائي ص ٨٢١، ٨٢٦.

أبي وَقَّاص كان يعلِّم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلِّم المعلِّمُ الغلمان.

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدَّمت، وما أخَّرت، وما أسررت، وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدِّم، وأنت المؤخِّر، لا إله إلا أنت». رواه أبو داود[١] والترمذي[٢] وابن حبان في صحيحه[٣]، واللفظ لأبي داود، وقال الترمذي: حسن صحيح. وأخرجه مسلم[٤] مختصرًا.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يومًا ثم قال: «يا معاذ، واللهِ إني لأحبك». فقال له معاذ: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا واللهِ أحبُّك. قال: «أوصيك يا معاذ، لا تَدَعَنَّ في دُبُر كل صلاة أن تقول: اللهم أعِنِّي على ذِكرك وشكرك وحُسن عبادتك». وأوصى بذلك معاذٌ الصُّنابحيَّ، وأوصى به الصُّنابحيُّ أبا عبد الرحمن، وأوصى به أبو عبد الرحمن عُقْبَةَ بن مسلم. رواه أبو داود[٥] والنسائي[٦] - واللفظ له - والحاكم[٧] وابن حبان[٨] في صحيحيهما، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دُبُر الصلاة [يقول]: «اللهم ربَّنا وربَّ كل شيء أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمدًا ﷺ عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل

---

(١) سنن أبي داود ١/ ٤٩٧ - ٤٩٨، ٢/ ٢٩٠.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٢٢ - ٤٢٥.

(٣) صحيح ابن حبان ٥/ ٢٩٧، ٣٧٢.

(٤) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠ مطولا.

(٥) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٦.

(٦) السنن الكبرى ٩/ ٤٧.

(٧) المستدرك على الصحيحين ١/ ٣٩٧، ٣/ ٣٣٢.

(٨) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٦٤ - ٣٦٦.

شيء أنا شهيد أن العِباد كلّهم إخوة، اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصًا لك [وأهلي] في كل ساعة في الدنيا والآخرة، ذا الجلال والإكرام اسمع واستجبْ، الله الأكبر الأكبر، الله نور السموات والأرض، الله الأكبر الأكبر، حسبي الله ونِعم الوكيل، الله الأكبر الأكبر». رواه أبو داود(١) والنسائي(٢) وهذا لفظه.

وعن مسلم بن أبي بكرة قال: كان أبي يقول في دُبُر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر. فكنت أقولهنَّ، فقال أبي: عمَّن أخذتَ هذا؟ فقلت: عنك. فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقولهنَّ في دُبُر كل صلاة. رواه النسائي(٣) واللفظ له، والحاكم(٤) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

وعن عطاء بن أبي مروان عن أبيه أن كعبًا حلف له بالله الذي فلق البحر لموسىٰ: إنَّا لَنجدُ في التوراة أن داود نبي الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال: اللهم أصلِحْ لي ديني الذي جعلتَه لي عصمة، وأصلِحْ لي دنياي التي جعلتَ فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سَخَطك، وأعوذ بعفوك من نقمتك، وأعوذ بك منك، لا مانعَ لِما أعطيتَ، ولا معطي لِما منعتَ، ولا ينفع ذا الجد منك الجدُّ. وحدثني كعب أن صُهَيبًا حدَّثه أن محمدًا ﷺ كان يقولهنَّ عند انصرافه من صلاته. رواه النسائي(٥) واللفظ له، وابن حِبَّان في صحيحه(٦) بمعناه. وأبو مروان الأسلمي

---

(١) سنن أبي داود ٢/ ٢٩٠.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٤٤.

(٣) سنن النسائي ص ٢٢٠.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٤، ولفظه: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أعوذ بك من الهم والكسل وعذاب القبر. فقال: يا بني، ممن سمعت هذا؟ قلت: سمعتك تقولهن. فقال: الزمهن؛ فإني سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولهن. ورواه أيضا مختصرا ١/ ٨٢، ٣٧١.

(٥) سنن النسائي ص ٢٢٠.

(٦) صحيح ابن حبان ٥/ ٣٧٣.

مختلَف في صحبته[١].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: ما صلَّيتُ وراء نبيِّكم ﷺ إلا سمعتُه حين ينصرف من صلاته يقول: «اللهم اغفر لي خطاياي وذنوبي كلَّها، اللهم أنعشني [وأحيني] وارزقني، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق، إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف عن سيِّئها إلا أنت». رواه الحاكم في المستدرك[٢].

وعن الربيع بن عميلة الفزاري قال: كان عمر رضي الله عنه إذا انصرف من صلاته قال: اللهم أستغفرك لذنبي، وأستهديك لمَراشِد أمري، وأتوب إليك، فتُبْ عليَّ، اللهم أنت ربِّي، فاجعل رغبتي إليك، واجعل غناي في صدري، وبارِكْ لي فيما رزقتَني، وتقبَّلْ مني إنك أنت ربِّي. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنَّف[٣].

(فإذا قمتَ من مجلس وأردتَ دعاءً يكفِّر لَغْوَ المجلس فقلْ: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءًا وظلمت نفسي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) قال العراقي[٤]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٥] من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن.

قلت: ورواه كذلك الحاكم في المستدرك[٦]. ولفظ النسائي: كان رسول الله ﷺ بأَخَرة إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال ... فذكره. قال: قلنا: يا

(١) واختلف في اسمه أيضا، فقيل: معتب بن عمرو، وقيل: سعد بن عمرو، وقيل: عبد الرحمن بن مصعب. روىٰ عن عمر وعلي وأبي ذر وكعب الأحبار وغيرهم. الإصابة في تمييز الصحابة ٩/ ٢٥٠، ١٢/ ١٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٥٦٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٦٩، ٥٣٣.

(٤) المغني ١/ ٢٩٢.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٦٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٠.

رسول الله، إن هذه كلمات أحدثتَهنَّ؟ قال: «أجل، أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، هنَّ كفَّارات المجلس».

وقوله «بأَخَرة» أي في آخر الأمر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن جلس في مجلس فكثُر فيه لغطُه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم ... إلىٰ قوله: وأتوب إليك، إلا غُفر له ما كان في مجلسه ذلك». رواه أبو داود[1] والترمذي[2] والنسائي[3] والحاكم[4] وابن حبان[5]، وقال الترمذي، واللفظ له: حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(وإذا دخلتَ السوق فقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير، وهو علىٰ كل شيء قدير) قال العراقي[6]: رواه الترمذي[7] من حديث عمر وقال: غريب، والحاكم[8] من حديثه ومن حديث ابن عمر وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين.

قلت: لفظ الترمذي: «مَن قال حين يدخل السوق: لا إله إلا الله ... إلىٰ قوله: قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحىٰ عنه ألف ألف سيِّئة». وهكذا رواه ابن ماجه[9]، وزاد في رواية أخرىٰ: «وبنىٰ له بيتًا في الجنة». ورواه كذلك الحكيم

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٢٩٦، ولم يسق لفظه.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٣٢.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٥٣.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٢٨.

(٥) صحيح ابن حبان ٢/ ٣٥٤.

(٦) المغني ١/ ٢٩٢.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٤٢٨.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٠ - ٧٣١.

(٩) سنن ابن ماجه ٣/ ٥٧١.

الترمذي[١]، كلُّهم من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جدِّه، وزاد الحكيم: «ورُفعت له ألف ألف درجة». ورواه إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في «الأربعين» له عن ابن عمر بدون هذه الزيادة. ورواه الحاكم في مستدركه من عدَّة طرق، وفي بعضها أن محمد بن واسع أحد رُواته قال: فأتيت قُتَيبة بن مسلم فقلت له: أتيتك بهدية، فحدَّثتُه بالحديث، فكان قتيبة بن مسلم يركب في موكبه حتىٰ يأتيٰ باب السوق فيقولها ثم ينصرف.

(**بسم الله، اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من شرِّها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من أن أصيب فيها يمينًا فاجرة**) أي كاذبة (**أو صفقة خاسرة**) قال العراقي[٢]: رواه الحاكم[٣] من حديث بُرَيدة وقال: أقربُها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة. قال العراقي: فيه أبو عمرو جارٌ لشعيب بن حرب، ولعله حفص بن سليمان الأسدي، مختلَف فيه.

قلت: لفظ الحاكم: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال ... فساقه.

ووجدت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: قد رواه الطبراني في الدعاء[٤] من حديث محمد بن أبان الجُعْفي متابعًا له عن علقمة بن مرثد، وابن أبان ضعيف.

(**فإن كان عليك دَينٌ**) عجزتَ عن أدائه (**فقل: اللهم اكْفِني بحلالك عن حرامك، وأغنني**) بقطع الهمزة (**بفضلك عمَّن سواك**) قال العراقي[٥]: رواه

---

(١) نوادر الأصول ص ٥٦٧.

(٢) المغني ١/ ٢٩٢.

(٣) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٣١ - ٧٣٢. قال الذهبي في التلخيص: أبو عمرو لا يعرف، ومحمد بن عيسىٰ المدائني متروك.

(٤) الدعاء ص ١١٦٨.

(٥) المغني ١/ ٢٩٣.

الترمذي[١] وقال: حسن غريب، والحاكم[٢] وقال: صحيح الإسناد، من حديث علي بن أبي طالب.

قلت: أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن يحيىٰ بن حسان، عن أبي معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن سيَّار بن الحكم، عن شقيق أبي وائل قال: أتىٰ عليًّا ﵁ رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أنا عجزت عن مكاتبتي، فأعِنِّي. فقال: ألا أعلِّمك كلمات علَّمنيهنَّ رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل صبير دَينًا لأدَّاه الله عنك، قال: «قل: اللهم اكفني ... فساقه.

وأخرجه الحاكم من رواية يحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري عن أبي معاوية.

وأخرجه الطبراني في الدعاء[٣] فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أبو معاوية.

وقوله «صَبِير» كأمير: جبل. هكذا هو في نسخ الترمذي، وفي «العُباب» للصاغاني: صِير، بكسر الصاد وسكون التحتية: جبل بالساحل بين سيراف وعمان. قلت: وصَبِر، ككتف: جبل عظيم باليمن يطل علىٰ تعز.

ولنسُقْ هنا أدعية تناسب الباب:

عن عائشة ﵂ قالت: دخل عليَّ أبو بكر ﵁ فقال: سمعتُ من رسول الله ﷺ دعاء علَّمنيه. قلت: ما هو؟ قال: كان عيسىٰ بن مريم يعلِّمه أصحابه، قال: لو كان علىٰ أحدكم جبل ذهب دَينًا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: اللهم فارج الهم، وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرِّين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمني، فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة مَن سواك. قال أبو بكر الصِّدِّيق

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٦.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٠.

(٣) الدعاء ص ١٢٨٣.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: وكانت عليَّ بقيَّة من الدَّين، وكنت للدَّين كارهًا، فكنت أدعو بذلك، فأتاني الله بفائدة فقضىٰ الله عني. قالت عائشة: وكان لأسماء بنت عُمَيس عليَّ دينارٌ وثلاثة دراهم، فكانت تدخل عليَّ، فأستحي أن أنظر في وجهها؛ لأني لا أجد ما أقضيها، فكنت أدعو بذلك، فما لبثت إلا يسيرًا حتىٰ رزقني الله رزقًا ما هو بصدقة تُصُدِّق بها عليَّ ولا ميراث ورثتُه، فقضاه الله عني، وقسمت في أهلي قسمًا حسنًا، وحلَّيت ابنة عبد الرحمن بثلاثة أواقٍ من وَرِق، وفضل لنا فضلٌ حسن. رواه الحاكم في المستدرك[1] وقال: صحيح.

وأخرجه أبو بكر ابن أبي الدنيا في الدعاء فقال: حدثنا أبو موسىٰ محمد بن المثنَّىٰ البصري، حدثنا الحجاج بن المِنْهال، حدثنا عبد الله بن عمر النُّمَيري، عن يونس بن يزيد الأَيْلي، حدثني الحكم بن عبد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ... فساقه سواء، إلا أنه قال: رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

قال: وحدثنا عبد المتعال بن طالب، حدثنا عبد الله بن وهب، عن سعيد بن زيد، عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد رجلاً من الحواريين، فقال: ما لي لم أرَك. فقال: الهم والدَّين يا روح الله. قال: إذا قلتَ كلمات لو كان عليك طمام البحر لأذهبه الله. قال: ما هي؟ قال: تقول: اللهم يا فارج الهم، وكاشف الغم، مجيب دعوة المضطرِّين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة مَن سواك.

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أُمامة، فقال: «يا أبا أُمامة، ما لي أراك جالسًا في المسجد في غير وقت صلاة». قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال:

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٣. قال الذهبي في التلخيص: الحكم بن عبد الله الأيلي ليس بثقة.

«أفلا أعلِّمك كلامًا إذا قلتَه أذهب الله همَّك وقضىٰ عنك دَينك»؟ قال: قلت: بلىٰ يا رسول الله. قال: «قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهر الرجال». قال: فقلت ذلك فأذهب الله همِّي وقضىٰ عني دَيني. رواه أبو داود[1].

وقال ابن أبي الدنيا في الدعاء[2]: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلىٰ النبي ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ألا أدلُّكِ علىٰ ما هو خير لكِ من خادم؟ تسبِّحين الله ثلاثًا وثلاثين تسبيحة، وتكبِّرين أربعًا وثلاثين تكبيرة، وتحمدين ثلاثًا وثلاثين تحميدة، وتقولين: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، مُنزِل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخِذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ عني الدَّين وأغنني من الفقر».

قال: وحدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما دعا عبدٌ قط بهذه الدعوات إلا أوسع الله عليه في معيشته، من قال: يا ذا المَن ولا يُمَنُّ عليك، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّوْل، لا إله إلا أنت، ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، ومأمن الخائفين، إن كنت كتبتَني عندك في أم الكتاب شقيًّا فامْحُ عني اسم الشقاء، وأثبِتْني عندك سعيدًا، وإن كنت كتبتَني عندك في أم الكتاب محرومًا مقترًا عليَّ رزقي فامْحُ حرماني، ويَسِّرْ رزقي، وأثبِتْني عندك سعيدًا موفَّقًا للخير،

(١) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٩.

(٢) ومن طريقه رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ١٢٢.

فإنك تقول في كتابك الذي أنزلتَ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[1] [الرعد: ٣٩].

قلت: وهذا الدعاء يستعمله الناس في ليلة النصف من شعبان.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن رشيد، عن لهيعة بن الوليد، عن هاشم ابن مسلمة، عن يزيد، عن مكحول، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان عليه دَينٌ فقال: اللهم مُنزِل التوراة والإنجيل والزَّبُور والفرقان العظيم، ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل، ورب الظلمات والنور، ورب الظل والحَرُور، أسألك أن تفتح لي باب الرحمة، وأن تحلَّ عقدتي من دَيني، وتؤدِّي عني أمانتي إليك وإلىٰ خلقك، إلا قضىٰ الله عنه دَينه.

قال: وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن إدريس، عن يزيد بن زُرَيع الرملي، عن عطاء الخُراساني قال: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: شكوت إلىٰ النبي ﷺ دَينًا كان عليّ، فقال: «يا معاذ، تحب أن يُقضَىٰ دَينك»؟ قال: قلت: نعم. قال: «قل: اللهم مالك المُلك، تؤتي المُلْكَ من تشاء، وتنزع المُلك ممَّن تشاء، وتعز من تشاء، وتذلُّ من تشاء، بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قديرٌ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي منهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، اقضِ عنىٰ دَيني. فلو كان عليك ملء الأرض ذهبًا أدَّاه عنك»[2].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥٣٩، والبيهقي في القضاء والقدر ص ٤٨٨ (ط - مكتبة الرشد). ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤/ ٣٨٥ من طريق الوليد بن عبد الله المزني عن الحسن البصري أن ابن مسعود قال: كان إدريس النبي عليه السلام يدعو بدعوة كان يأمر ألا يعلموها السفهاء فيدعون بها، فكان يقول: يا ذا الجلال والإكرام ... فساقه، إلا أنه لم يذكر الآية.

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين ٣/ ٣٢٠ وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٠٤، وأوله: علمني رسول الله ﷺ آيات من القرآن وكلمات ما في الأرض مسلم يدعو بهن وهو مكروب أو أسير أو غارم أو ذو دين إلا قضىٰ الله عنه وفرج عنه، احتبست عن رسول الله ﷺ يوما عن صلاة الجمعة، فقال: «يا معاذ ما منعك من صلاة الجمعة»؟ قلت: يا رسول الله، كان ليوحنا بن ماريا اليهودي =

قال: وحدثني سويد بن سعيد، عن خالد بن عبد الله الرومي قال: استُودِع محمد بن المنكدر وديعة، فاحتاج إليها فأنفقها، ثم جاء صاحبها يطلبها، فقام يصلي ويدعو، فكان من دعائه: يا سادَّ السماء بالهواء، ويا كابس الأرض علىٰ الماء، ويا واحد قبل كل أحد كان، ويا واحد بعد كل أحد يكون، أسألك أن تؤدِّي عني أمانتي. فإذا هاتف يقول: خذ هذه فأدِّها عن أمانتك، وأقصر الخطبة فإنك لن تراني[1].

(**فإذا لبستَ ثوبًا جديدًا فقل: اللهم كسوتَني هذا الثوب**) ويشير إليه (**فلك الحمد، أسألك من خيره وخير ما صُنع له**) وهو استعماله في الطاعة (**وأعوذ بك من شرِّه وشر ما صُنع له**) وهو استعماله في المعصية، وظاهر سياق المصنِّف ندبُ الذِّكر المذكور لكل مَن لبس ثوبًا جديدًا، والظاهر ولو لبس غير جديد، بدليل رواية ابن السني في اليوم والليلة «إذا لبستَ ثوبًا». فتأملْ.

قال العراقي[2]: رواه أبو داود[3]، والترمذي[4] وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة[5]، من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه ابن السني[6] بلفظ المصنِّف.

قلت: لفظ أبي سعيد عند الجماعة: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه عمامةً أو قميصًا أو رداء، ثم يقول: «اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه،

= عليَّ أوقية من تبر، وكان علىٰ بابي يرصدني، فأشفقت أن يحبسني دونك ويشغلني عن ضيعتي. فقال: أتحب يا معاذ أن يقضي الله دينك ... فذكر بقية الحديث.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/ ٥٩ من طريق ابن أبي الدنيا، ثم قال: «كذا قال: الرومي، وإنما هو اليماني».

(٢) المغني ١/ ٢٩٣.

(٣) سنن أبي داود ٤/ ٣٨٧.

(٤) سنن الترمذي ٣/ ٣٦٧.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٢٣.

(٦) عمل اليوم والليلة ص ٢٥، ١٧٤.

أسألك خيره وخير ما صُنع له [وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»] وقد رواه كذلك الحاكم[١] وابن حبان[٢] في صحيحيهما، وقال الترمذي، واللفظ له: حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم. وأقرَّه النووي[٣]. زاد أبو داود: وقال أبو نضرة: وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبًا جديدًا قيل: تُبلِي ويخلف اللهُ. ورواه كذلك أحمد[٤] وابن السني في اليوم والليلة.

وفي الباب عن أبي أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: لبس عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي. ثم عمد إلىٰ الثوب الذي أخلق فتصدَّق به [ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَن لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمَّل به في حياتي ثم عمد إلىٰ الثوب الذي أخلق فتصدَّق به] كان في كَنَف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حيًّا وميتًا». رواه الترمذي[٥] - واللفظ له - وابن ماجه[٦] والحاكم في المستدرك[٧].

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١١.

(٢) صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٣٩ - ٢٤١.

(٣) رياض الصالحين ص ٢٥٥.

(٤) مسند أحمد ١٧/ ٣٤٨، ١٨/ ٤٨.

(٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٢٤ وقال: حديث غريب.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ١٩١.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣١٢، ولفظه: دعا عمر بن الخطاب بقميص له جديد فلبسه، فلا أحسب بلغ تراقيه، حتىٰ قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي. ثم قال: أتدرون لِمَ قلت هذا؟ رأيت رسول الله ﷺ دعا بثياب جدد فلبسها فلا أحسبها بلغت تراقيه حتىٰ قال مثل ما قلت، ثم قال: «والذي نفسي بيده، ما من عبد مسلم لبس ثوبا جديدا ثم يقول مثل ما قلت ثم يعمد إلىٰ سمل من أخلاقه الذي وضع فيكسوه إنسانا مسكينا مسلما فقيرا لا يكسوه إلا لله عَزَّ وَجَلَّ إلا كان في جوار الله وفي ضمان الله ما دام عليه منها سلك واحد حيا وميتا». قال الحاكم: هذا حديث لم يحتج الشيخان بإسناده، ولم أذكر أيضا في هذا الكتاب مثل هذا، علىٰ أنه حديث تفرد به إمام خراسان عبد الله بن المبارك عن أئمة أهل الشام فآثرت إخراجه ليرغب المسلمون في استعماله.

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أكل طعامًا ...» الحديث، وفيه: «ومَن لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حَوْل مني ولا قوة، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر». رواه أبو داود[١] واللفظ له، والترمذي[٢]، وابن ماجه[٣]، والحاكم في المستدرك[٤] وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري، وقال الترمذي: حسن غريب.

(وإذا رأيتَ شيئًا من **الطِّيَرة**) بكسر ففتحٍ (تكرهه) وهو اسم من التطيُّر، وأصله التفاؤل بالطير [وهو] من أعمال الجاهلية (فقل: **اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيِّئات إلا أنت، لا حول ولا قوة إلا بالله**) قال العراقي[٥]: رواه ابن أبي شيبة[٦] وأبو نعيم في اليوم والليلة والبيهقي في الدعوات[٧] من حديث عروة بن عامر مرسَلاً، ورجاله ثقات، وفي اليوم والليلة[٨] لابن السني عن عقبة ابن عامر، فجعله مسندًا. ا.هـ.

وأمَّا ما اشتهر علىٰ الألسنة عند نعيق الغراب «خير خير» فلا أصل له في السنَّة، وورد: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». وذكر

---

(١) سنن أبي داود ٤/ ٣٨٨.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٥٢،.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٦. واقتصر الترمذي وابن ماجه علىٰ الذكر عند الأكل فقط، ولم يذكرا الذكر عند لبس الثوب الجديد.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٤، ٤/ ٣١٢.

(٥) المغني ١/ ٢٩٣.

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٨/ ٥٦٩.

(٧) الدعوات الكبير ٢/ ٢٠٥.

(٨) عمل اليوم والليلة ص ١٨٤ عن عروة بن عامر أيضا كما عند الباقين. وأول الحديث: ذُكرت الطيرة عند النبي ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل: اللهم ...» الخ.

الحافظ السخاوي في المقاصد[١] عن عكرمة قال: كنا عند ابن عمر، وعنده ابن عباس، فمرَّ غراب يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال ابن عباس: لا خير ولا شر[٢].

وروىٰ ابن ماجه[٣] وابن حبان[٤] من حديث أبي هريرة مرفوعًا: كان يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطِّيَرة.

(وإذا رأيت الهلال) وهو[٥] القمر في حال مخصوصة، قال الأزهري[٦]: ويسمَّىٰ القمر لليلتين[٧] من أول الشهر هلالاً، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضًا هلالاً، وما بين ذلك يسمَّىٰ قمرًا. وقال الفارابي، وتبعه الجوهري[٨]: الهلال لثلاث ليالٍ من أول الشهر، ثم هو قمر بعد ذلك. وقيل: الهلال هو الشهر بعينه، والجمع: أهلَّة **(فقل: اللهم أهِلَّه علينا)** يُروَىٰ[٩] بالإدغام وبالفك، وأصل الإهلال: رفعُ الصوت، ثم نُقل إلىٰ رؤية الهلال، ثم نُقل إلىٰ طلوعه، وهو المراد هنا، والمعنىٰ: أطلِعْه علينا وأرِنا إيَّاه مقترنًا **(بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام)**

---

(١) المقاصد الحسنة ص ٢٠٦.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٢٩٧.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١٧٨.

(٤) صحيح ابن حبان ١٣/ ٤٩٠.

(٥) المصباح المنير ٢/ ١٨٢.

(٦) تهذيب اللغة ٥/ ٣٦٥ - ٣٦٦، وفيه: «قال الليث: الهلال: غرة القمر حين يهله الناس في أول الشهر. وقال ابن الأعرابي: الشهر الهلال بعينه. وقال ثعلب: سمي الهلال هلالًا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه، وأهل الرجل واستهل: إذا رفع صوته. وقال أبو الهيثم: يسمىٰ القمر لليلتين من أول الشهر هلالًا، وليلتين من آخر الشهر ليلة ست وسبع وعشرين هلالًا، ويسمىٰ ما بين ذلك قمرًا».

(٧) في المطبوعة: للثلاثة. والمثبت من المصباح والتهذيب.

(٨) الصحاح ٥/ ١٨٥١، وعبارته: «الهلال: أول ليلة والثانية والثالثة، ثم هو قمر».

(٩) فيض القدير ٥/ ١٣٥ - ١٣٦. الكاشف عن حقائق السنن للطيبي ٦/ ١٨٩٧ - ١٨٩٨.

بين كلٍّ من القرينتين حُسن الاشتقاق. والمراد الأمن من سائر المخاوف. والإيمان: الطمأنينة بالله، كأنَّه سأله دوامها. والسلامة والإسلام أن يدوم له الإسلام ويَسلم له شهره؛ فإنَّ لله في كل شهر حكمًا وقضاء[1] **(والتوفيق لِما تحب وترضىٰ، والحفظ عمَّا تسخط، ربي وربُّك الله)** هذا تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء، وفيه ردٌّ للأقاويل الداحضة في الآثار العلوية بألطف إشارة، وفي قوله «ربي وربك الله» التفات اقتداءً بسيدنا الخليل عليه السلام حيث قال: لا أحب الأفلين، بعد قوله: هذا ربي.

قال العراقي[2]: رواه الترمذي[3] وحسَّنه من حديث طلحة بن عبيد الله.

قلت: لفظه: أن النبي ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال قال: «اللهم أهِلَّه علينا باليُمْن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله». وقال: حسن غريب. رواه من طريق سليمان بن سفيان عن بلالٰ بن يحيىٰ بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جدِّه. ورواه ابن حبان في صحيحه[4]، وزاد بعد قوله «والإسلام»: والتوفيق لِما تحب وترضىٰ. وبمثل رواية ابن حبان رواه الطبراني في الكبير[5] من حديث ابن عمر، إلا أن في سنده عثمان بن إبراهيم الحاطِبي، وهو ضعيف. ورواه الدارمي في مسنده[6] عن ابن عمر، إلا أنه زاد في أوله: الله أكبر.

وروىٰ ابن السني في اليوم والليلة[7] عن جزء بن أنس السُّلَمي رضي الله عنه أن النبي

(١) نوادر الأصول للحكيم الترمذي ص ٧٥٤.

(٢) المغني ١/ ٢٩٣.

(٣) سنن الترمذي ٥/ ٤٤٧.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ١٧١ من حديث ابن عمر.

(٥) المعجم الكبير ١٢/ ٣٥٦.

(٦) سنن الدارمي ٢/ ٧.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ٣٩١.

ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال قال: «اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والسكينة والعافية والرزق الحسن». إلا أن الذهبي قال[(١)]: إن جزءًا لا صُحبة له.

(**وتقول: هلال رُشد وهلال خير، آمنت بخالقك**) قال العراقي[(٢)]: رواه أبو داود[(٣)] مرسَلاً من حديث قتادة [أنه بلغه] أن النبي ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال قال: «هلال خير ورُشد» ثلاثًا «آمنتُ بالذي خلقك» ثلاثًا. وأسنده الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط[(٤)] من حديث أنس. وقال أبو داود: وليس في هذا عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح.

قلت: ولفظ أبي داود: عن قتادة قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأىٰ الهلال: «هذا هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقك» ثلاثًا، ثم يقول: «الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا».

ورواه أيضًا ابن السني[(٥)] عن أبي سعيد الخدري. قال ابن القيم[(٦)]: إسناده ليِّن.

وروىٰ الطبراني في الكبير[(٧)] عن رافع بن خديج بإسناد حسن أن النبي ﷺ كان إذا رأىٰ الهلال قال: «هلال خير ورُشد، اللهم إني أسألك من خير هذا» ثلاثًا.

(**اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القَدَر**) محرَّكة (**وأعوذ بك من شر يوم الحَشْر**) بفتح فسكون بمعنىٰ المحشور، أي المجموع فيه الناس. وفي بعض

---

(١) تجريد أسماء الصحابة ١/ ٨٣.

(٢) المغني ١/ ٢٩٤.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٤) المعجم الأوسط ١/ ١٠١. وفيه: بالذي خلقك فعدلك.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ٣٩٠.

(٦) زاد المعاد ٢/ ٣٦١.

(٧) المعجم الكبير ٤/ ٢٧٦.

النسخ: يوم المحشر، أي موضع الحشر.

قال العراقي[١]: رواه ابن أبي شيبة[٢] وأحمد[٣] في مسنديهما من حديث عُبادة بن الصامت، وفيه مَن لم يُسَمَّ، بل قال الراوي عنه: حدَّثني من لا أتهم.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر: غريب، ورجاله موثَّقون إلا مَن لم يُسَمَّ. ورواه أيضًا عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني في الكبير بلفظ: كان ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك ...» فساقاه.

وروى الطبراني أيضًا في الكبير عن رافع بن خديج بلفظ: «اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر وخير القَدَر، وأعوذ بك من شرِّه» ثلاث مرَّات.

ومن أحاديث الباب ما رواه ابن السني[٤] عن عبد الله بن مطرف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «هلال خير، الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا، أسألك من خير هذا الشهر ونوره وبركته وهُداه وظهوره ومعافاته».

وعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول إذا رأى الهلال: اللهم ارزقنا نصره وخيره وبركته وفتحه ونوره، ونعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما بعده. رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٥].

وعن الحسين بن عليٍّ قال: سألت هشام بن حسان: أيُّ شيء كان الحسن

---

(١) المغني ١/ ٢٩٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ١٤٨، ٩/ ٥٨٨.

(٣) مسند أحمد ٣٧/ ٤٥٣.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٣٩٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ١٤٩، ٩/ ٥٨٨ - ٥٨٩.

يقول إذا رأىٰ الهلال؟ قال: كان يقول: اللهم اجعله شهر بركة ونور وأجر ومعافاة، اللهم إنك قاسم فيه بين عبادك خيرًا فاقسم لي فيه من خير ما تقسم بين عبادك الصالحين. رواه أيضًا ابن أبي شيبة في المصنَّف[١].

(**وتكبِّر قبل الدعاء أولاً ثلاثًا**) أي تقول «الله أكبر» قبل الدعاء ثلاث مرات، رواه البيهقي في الدعوات[٢] من حديث قتادة مرسَلاً: كان النبي ﷺ إذا رأىٰ الهلال كبَّر ثلاثًا. ورواه الدارمي من حديث ابن عمر، إلا أنه أطلق التكبيرَ ولم يقل «ثلاثًا». وتقدَّم قريبًا من حديث عُبادة بن الصامت عند عبد الله بن أحمد والطبراني: «الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله».

(**وإذا هبَّت الريح**) أي هبوبًا شديدًا (**فقل: اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُرسلتْ به**) قال الطيبي[٣]: يحتمل الفتح علىٰ الخطاب، ويحتمل بناؤه للمفعول. وفي رواية بدل «أرسلت»: جُبلت عليه؛ ذكره ابن الأثير[٤] (**ونعوذ بالله من شرِّها وشرِّ ما فيها وشر ما أُرسلتْ به**) قال العراقي[٥]: رواه الترمذي[٦] - وقال: حسن صحيح - والنسائي في اليوم والليلة[٧] من حديث أبيٍّ بن كعب.

قلت: لفظ الترمذي: «لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنَّا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أُمرتْ به، ونعوذ بك من شرها

(١) السابق ٤/ ١٤٩، ٩/ ٥٨٩.
(٢) الدعوات الكبير ٢/ ١٢٠.
(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١٣٢٥.
(٤) النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٣٦ وفسره بقوله: أي خلقت وطبعت عليه.
(٥) المغني ١/ ٢٩٤.
(٦) سنن الترمذي ٤/ ١٠٣.
(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٤٢ - ٣٤٣.

وشر ما فيها وشر ما أُمرتْ به. ورواه أيضًا ابن السني في اليوم والليلة[١]، ورواه عبد الله بن أحمد[٢] والروياني والدارقطني في الأفراد[٣] والحاكم[٤] وأبو الشيخ في العظمة[٥] وابن أبي شيبة[٦] عن أبيّ بن كعب رفعه بلفظ: «لا تسبُّوا الريح فإنها من روح الله تعالىٰ، وسَلُوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرسلتْ به، وتعوَّذوا بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أُرسلتْ به». ورواه ابن أبي شيبة أيضًا والبيهقي في الشعب[٧] عنه موقوفًا.

وعند عبد بن حميد[٨] من حديثه أن ريحًا هاجت علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فسبَّها رجلٌ، فقال: «لا تسُبَّها؛ فإنها مأمورة، ولكن قل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُمرتْ به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أُمرتْ به».

وعن عائشة ﵂ قالت: كان ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أُرسلتْ به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أُرسلتْ به». مختصر، رواه أحمد[٩] ومسلم[١٠] والترمذي[١١] والنسائي[١٢].

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ١٨٥.

(٢) مسند أحمد ٣٥/ ٧٦.

(٣) أطراف الغرائب والأفراد ١/ ١٥٠.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ٣٢٦ وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وأقره الذهبي.

(٥) العظمة ٤/ ١٣١٢ مقتصرا علىٰ قوله: «لا تسبوا الريح فإنها من روح الله ﷿».

(٦) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٥٧ موقوفا.

(٧) شعب الإيمان ٧/ ١٩٠.

(٨) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ١٧٨.

(٩) لم أقف عليه في مسند أحمد.

(١٠) صحيح مسلم ١/ ٣٩٨.

(١١) سنن الترمذي ٥/ ٤٤٦.

(١٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٤٤.

وأخرجه الطبراني في الدعاء[١] من حديث ابن عباس، وزاد في آخره: «اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا».

وروىٰ ابن أبي شيبة[٢] وأحمد[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفعه قال: «لا تسُبُّوا الريح؛ فإنها من روح الله، تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوَّذوا بالله من شرِّها». ورواه أبو داود[٥] والنسائي[٦] وابن ماجه والحاكم[٧] نحوه.

وروىٰ الشافعي[٨] والبيهقي في المعرفة[٩] عن صفوان بن سليم مرسَلاً: «لا تسُبُّوا الريح، وعوذوا بالله من شرِّها».

وفي الباب عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجُحْفة والأبواء إذ غشيتنا ريحٌ وظُلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوَّذ بـ «أعوذ برب الفلق» و«أعوذ برب الناس» ويقول: «يا عقبة، تعوَّذْ بهما، فما تعوَّذَ متعوِّذٌ بمثلهما». رواه أبو داود[١٠].

وعن سَلَمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرفعه إلىٰ النبي ﷺ قال: كان إذا اشتدَّت الريح

---

(١) الدعاء ص ١٢٥٨. وأوله: كان رسول الله ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها وجثا علىٰ ركبتيه وقال اللهم ... الخ.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٥٦.

(٣) مسند أحمد ١٢/ ٣٧٥، ١٣/ ٦٩، ١٥/ ٣٩٦، ١٦/ ٤١٧.

(٤) سنن ابن ماجه ٥/ ٢٩٤.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٦.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٤٠ - ٣٤١.

(٧) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٢٣.

(٨) مسند الشافعي ص ٢٩.

(٩) معرفة السنن والآثار ٥/ ١٩٠.

(١٠) سنن أبي داود ٢/ ٢٧٣.

يقول: «اللهم لَقْحًا لا عقيمًا». رواه ابن حبان في صحيحه(١).

(وإذا بلغك وفاة أحد) من المسلمين **(فقل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وإنَّا إلىٰ ربِّنا لَمنقلبون، اللهم اكتبه من المحسنين، واجعل كتابه في عِلِّيِّين، واخلفه علىٰ عَقِبِه في الغابرين)** أي الباقين **(اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنَّا بعده)** وفي بعض النسخ زيادة: **(واغفر لنا وله)** قال العراقي(٢): رواه ابن السني في اليوم والليلة(٣) من حديث ابن عباس دون قوله «واغفر لنا وله». ولأبي داود(٤) والنسائي في اليوم والليلة(٥) وابن حبان(٦) من حديث أم سلمة: «إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل: إنَّا لله وإنا إليه راجعون». ولمسلم(٧) من حديثها: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديِّين، واخلُفْه في عَقِبِه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه».

قلت: ولفظ حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ علىٰ أبي سلمة وقد شقَّ بصرُه، فأغمضه ثم قال: «إن الروح إذا قُبض تبعه البصرُ». فضجَّ ناسٌ من أهله، فقال: «لا تَدْعُوا علىٰ أنفسكم إلا بخير فإنَّ الملائكة يؤمِّنون علىٰ ما تقولون». ثم قال: «اللهم اغفر لأبي سلمة ...» الحديث. رواه مسلم وأبو داود(٨) والنسائي(٩)

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٨٨.

(٢) المغني ١/ ٢٩٥.

(٣) عمل اليوم والليلة ص ٣٣٨.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٢٠.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٩٣.

(٦) صحيح ابن حبان ٧/ ٢١٢. وتمام الحديث: «اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني بها خيرا منها».

(٧) صحيح مسلم ١/ ٤٠٩.

(٨) سنن أبي داود ٤/ ٢٠.

(٩) السنن الكبرىٰ ٧/ ٣٦٣.

وابن ماجه(١).

وعنها ﷺ قالت: لمَّا مات أبو سلمة أتيت النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسول الله، إن أبا سلمة قد مات. قال: «قولي: اللهم اغفر لي وله، وأعقِبْني منه عُقْبَىٰ حسنة». قالت: فقلت فأعقبني الله مَن هو خير لي منه، محمدًا ﷺ. رواه الجماعة إلا البخاري(٢).

وعنها ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلفَ له خيرًا منها». قالت: فلمَّا توفي أبو سلمة قلت ما أمرني رسولُ الله ﷺ فأخلف الله لي خيرًا منه رسولَ الله ﷺ. انفرد به مسلم(٣).

(وإذا تصدَّقتَ بصدقة فقل: ربَّنا تقبَّلْ منا، إنك أنت السميع العليم) نقله صاحب القوت.

(وتقول عند الخسران) في البيع والشراء **(عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنَّا إلىٰ ربنا راغبون)** نقله صاحب القوت.

(وتقول عند ابتداء الأمور) أي عند الشروع في أول الأمر: **(ربنا آتِنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رَشَدًا)** وتقول بعد ذلك: **(رب اشرح لي صدري، ويسِّرْ لي أمري)** وإن كان ممَّن يُستمَع إلىٰ قوله فلا بأس أن يزيد: واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي.

(وتقول عند النظر إلىٰ السماء) بقصد الاعتبار: **(ربنا ما خلقتَ هذا باطلاً، سبحانك، فقِنا عذابَ النار)** وتقول بعده: **(تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل**

---

(١) سنن ابن ماجه ٣/ ١٩.

(٢) صحيح مسلم ١/ ٤٠٩. سنن أبي داود ٤/ ١٩. سنن الترمذي ٢/ ٢٩٨. سنن النسائي ص ٢٩٥. سنن ابن ماجه ٣/ ١٤.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٤٠٩.

فيها سراجًا وقمرًا منيرًا) المراد بالبروج: منازل الشمس الاثنا عشر. وسراجًا: أي شمسًا.

(**وإذا سمعتَ صوت الرعد فقل: سبحان من يسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته**) قال العراقي[1]: رواه مالك في الموطأ[2] عن عبد الله بن الزبير موقوفًا، ولم أجده مرفوعًا.

قلت: ولفظه: كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال: سبحان الذي يسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

ووجدت بخط مَن نقل عن خط الشيخ زين الدين الدمشقىٰ الواعظ ما نصه: هو مرفوع في تفسير ابن جرير[3] من حديث أبي هريرة بالشطر الأول، لكن الراوي له عن أبي هريرة مبهم لم يُسَمَّ؛ فإنه قال: عن رجل عنه.

(**فإذا رأيت الصواعق**) جمع صاعقة، وهي قصفة رعد تنقضُّ معها قطعةٌ من نار (**فقل: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافِنا قبل ذلك**) خصَّ[4] القتل بالغضب والإهلاك بالعذاب لأن نسبة الغضب إلىٰ الله تعالىٰ استعارة، والمشبَّه به الحالة التي تَعْرِض للملك عند انفعاله وغليان دم القلب ثم الانتقام من المغضوب عليه، وأكثر ما ينتقم به القتل، فرشَّح الاستعارةَ به عُرفًا. والإهلاك والعذاب جاريان علىٰ الحقيقة في حق الحق، ولمَّا لم يكن تحصيل المطلوب إلا بمعافاة الله قال: وعافِنا قبل ذلك.

---

(١) المغني ١/ ٢٩٥.

(٢) الموطأ ٢/ ٩٩٢ وزاد في آخره: «ثم يقول: إن هذا لوعيد لأهل الأرض شديد».

(٣) جامع البيان ١٣/ ٤٧٧.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١٣٣٠.

قال العراقي[١]: رواه الترمذي[٢] وقال: غريب، والنسائي في اليوم والليلة[٣]، من حديث ابن عمر، وابن السني[٤] بإسناد حسن.

قلت: وكذلك رواه أحمد[٥]، وسنده جيد، والحاكم في المستدرك[٦] وقال: صحيح، وأقرَّه الذهبي، ولفظهم واحد: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال ... فذكروه.

قال[٧] الصدر المناوي: وقد عزاه النووي في خلاصته[٨] لرواية البيهقي[٩] وقال: فيه الحجاج بن أرطاة. وهو قصور؛ فإنَّ الحديث في الترمذي من غير طريق الحجاج. وذكر في الأذكار[١٠] بعد عزوه للترمذي: إسناده ضعيف. وكأنَّه نظر إلىٰ ما ذكرناه. قال الحافظ: هو حديث غريب، أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد[١١]، والحجاج صدوق لكنه مدلِّس، وقد صرَّح بالتحديث، فكيف يطلق الضعف علىٰ هذا وهو متماسك؟! والله أعلم.

(فإذا أمطرت السماء فقل: اللهم سيبًا هنيًّا وصيبًا نافعًا) قال العراقي[١٢]:

---

(١) المغني ١/ ٢٩٥.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٤٤٦.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٤٠.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ١٨٨.

(٥) مسند أحمد ١/ ٤٧.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٤٢٤.

(٧) فيض القدير ٥/ ١٤٤.

(٨) خلاصة الأحكام ٢/ ٨٨٩.

(٩) السنن الكبرىٰ ٣/ ٥٠٥.

(١٠) الأذكار ص ١٥٤.

(١١) الأدب المفرد ص ٢١٦.

(١٢) المغني ١/ ٢٩٥.

رواه البخاري[١] من حديث عائشة: كان إذا رأىٰ المطر قال: «اللهم اجعله صيبًا نافعًا». ولابن ماجه[٢] «سَيْبًا» بالسين أوله، وللنسائي في اليوم والليلة[٣]: «اللهم اجعله صيبًا هنيئًا»، وإسنادهما صحيح.

قلت: قوله[٤] «نافعًا» تتميم في غاية الحُسن؛ لأن لفظة «صيبًا» مَظَنَّة للضرر والفساد. قال الزمخشري[٥]: الصيِّب: المطر الذي يصوب، أي ينزل ويقع، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير دلَّ علىٰ أنه نوع من المطر شديد هائل، فتمَّمه بقوله «نافعًا» صيانةً عن الإضرار والفساد، ونحوه قوله[٦]:

فسقىٰ ديارَك غير مفسدها   صوبُ الربيع وديمة تَهْمي

لكن «نافعًا» في الحديث أوقعُ وأحسن من «مفسدها».

قال ابن سيده في المحكم[٧]: صابَ المطرُ صَوْبًا وانصاب كِلاهما: انصبَّ، ومطر صَوْبٌ وصَيِّب وصَيُّوب، وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] الصيِّب هنا المطر.

والسَّيْب بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتية هو العطاء.

ورُوي عن عائشة أيضًا أن رسول الله ﷺ كان إذا رأىٰ سحابًا مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه وإن كان في صلاة حتىٰ يستقبله فيقول: «اللهم إنَّا نعوذ

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٢٤.
(٢) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٩٧.
(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٣٦ - ٣٣٧.
(٤) فيض القدير ٥/ ١٣٤.
(٥) الكشاف ١/ ٢٠٢ - ٢٠٣ حتىٰ قوله (هائل) بتصرف.
(٦) البيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٧٩ (ط - دار الكتب العلمية). ورواية البيت فيه:
فسقىٰ بلادك غير مفسدها   صوب الغمام وديمة تهمىٰ
(٧) المحكم ٨/ ٢٥٥.

بك من شر ما أُرسِل به»، فإن أمطر قال: «اللهم سَيْبًا نافعًا، اللهم سَيْبًا نافعًا»، وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله علىٰ ذلك. رواه أبو داود[١] والنسائي[٢] وابن ماجه[٣]، واللفظ للترمذي[٤].

(اللهم اجعله سَيْب رحمة ولا تجعله سَيْب عذاب) قال العراقي[٥]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٦] من حديث سعيد بن المسيَّب مرسَلاً.

(فإذا غضبتَ) علىٰ أحد **(فقل: اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهِبْ غيظ قلبي، وأجِرْني من الشيطان الرجيم)** قال العراقي[٧]: رواه ابن السني في اليوم والليلة[٨] من حديث عائشة بإسناد ضعيف.

قلت: ولفظ ابن السني: كان إذا غضبت عائشة عرك بأنفها وقال: «يا عُوَيْش، قولي: اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي، وأذهِبْ غيظ قلبي، وأجِرْني من مُضِلاَّت الفتن».

ورأيت بخط الحافظ السخاوي ما نصُّه: هو في مسند أحمد[٩] من حديث أم

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٧، ولفظه: كان النبي ﷺ إذا رأىٰ ناشئا في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة، ثم يقول: «اللهم إني أعوذ بك من شرها». فإن مطر قال: «اللهم صيبا هنيئا».

(٢) السنن الكبرىٰ ٢/ ٣٢٤، ٩/ ٣٣٥.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٩٧.

(٤) لم أقف عليه عند الترمذي، واللفظ المذكور هو لفظ النسائي وابن ماجه.

(٥) المغني ١/ ٢٩٦.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٣٦.

(٧) المغني ١/ ٢٩٦.

(٨) عمل اليوم والليلة ص ٢٧٣. ورواه ص ٣٧٨ بلفظ: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا غضبىٰ، فأخذ بطرف المفصل من أنفي فعركه ثم قال: «يا عويش، قولي: اللهم اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من الشيطان».

(٩) مسند أحمد ٤٤/ ٢٠٠ - ٢٠١، وفي آخره: وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا.

سلمة في حديث طويل، وسنده حسن.

(**فإذا خِفْتَ قومًا**) أي شرَّهم (**فقل: اللهم إنَّا نجعلك في نحورهم**) أي[١] في إزاء صدورهم، تقول: جعلتُ فلانًا في نَحْر العدو: إذا جعلتَه قُبالته وتُرْسًا يقاتل عنك ويحول بينك وبينه (**ونعوذ بك من شرورهم**) خصَّ النحر لأنه أسرع وأقوىٰ في الدفع والتمكُّن من المدفوع، والعدو إنما يستقبل بنحره عند المناهضة في القتال، أو للتفاؤل بنحرهم، أي قتلِهم.

قال العراقي[٢]: رواه أبو داود[٣] والنسائي في اليوم والليلة[٤] من حديث أبي موسىٰ بسند صحيح.

قلت: وكذلك رواه الحاكم[٥] وابن حبان[٦] في صحيحيهما، ولفظ الأربعة سواءٌ: أن النبي ﷺ كان إذا خاف قومًا قال: اللهم ... فذكروه، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين. وأقرَّه الذهبي. وفي لفظ لابن حبان: كان إذا أصاب قومًا. ورواه أيضًا أحمد[٧] والبيهقي[٨]. قال النووي في الأذكار[٩] والرياض[١٠]: أسانيده صحيحة.

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٢١. الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩٠٤.
(٢) المغني ١/ ٢٩٦.
(٣) سنن أبي داود ٢/ ٣٠٢.
(٤) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٩، ٩/ ٢٢٣.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢/ ١٦٩.
(٦) صحيح ابن حبان ١١/ ٨٣.
(٧) مسند أحمد ٣٢/ ٤٩٣ - ٤٩٤.
(٨) السنن الكبرىٰ ٥/ ٤١٥، ٩/ ٢٥٧.
(٩) الأذكار ص ١٠٤، ١٧٩، ١٩٣.
(١٠) رياض الصالحين ص ٢٩٤، ٣٧٠.

(وإذا غزوتَ) الكفَّار (فقل: اللهم أنت عَضُدي) أي[١] معتمدي. قال الطيبي[٢]: هو كناية عمَّا يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات وغيرها من القوة (و) إنك (نصيري) أي ناصري ومُعيني (وبك أقاتل) أي عدوَّك وعدوِّي.

قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] والترمذي[٥] والنسائي[٦] من حديث أنس، قال الترمذي: حسن غريب.

قلت: لفظ أبي داود: كان إذا غزا قال: «اللهم أنت عَضُدىٰ ونصيري، وبك أحول، وبك أصول، وبك أقاتل». ورواه أحمد[٧] وابن ماجه والحاكم[٨] وابن حبان[٩] والضياء في المختارة[١٠]، وفي رواية للنسائي[١١] من حديث صهيب: «رب بك أقاتل، وبك أصاوِل، ولا حول ولا قوة إلا بك». فأمَّا أبو داود والترمذي وكذا أبو يعلىٰ[١٢] فرووه عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه عن المثنَّىٰ بن سعيد عن قتادة عن أنس. ورواه أبو يعلىٰ أيضًا عن موسىٰ بن محمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن المثنَّىٰ بن سعيد. ورواه ابن حبان عن الحسن بن سفيان والطبراني في الدعاء[١٣] عن عبد الله بن

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٥٠.
(٢) الكاشف عن حقائق السنن ٦/ ١٩٠٣.
(٣) المغني ١/ ٢٩٦.
(٤) سنن أبي داود ٣/ ٢٦٩.
(٥) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٠.
(٦) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٩، ٩/ ٢٢٣.
(٧) مسند أحمد ٢٠/ ٢٥٥.
(٨) لم أقف عليه عند ابن ماجه ولا عند الحاكم.
(٩) صحيح ابن حبان ١١/ ٧٦.
(١٠) الأحاديث المختارة ٦/ ٣٣٩ - ٣٤٠.
(١١) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٢٨.
(١٢) مسند أبي يعلىٰ ٥/ ٢٨٣، ٣٢٧، ٤٣٦.
(١٣) الدعاء ص ١٣٠١ - ١٣٠٢.

أحمد، كِلاهما عن نصر بن علي. وأخرجه النسائي من طريق أزهر بن القاسم وأبو عوانة في صحيحه[١] من طريق مسلم بن قتيبة، كلاهما عن المثنىٰ. والزيادة المذكورة في رواية أبي داود لم تقع عند غيره، وقد أخرجه أبو عوانة عن أبي داود بالزيادة، وهو في مسند الحارث[٢] من طريق أبي مجلز عن أنس بدون تلك الزيادة.

(وإذا طنَّت أذنُك فصلِّ علىٰ محمد ﷺ، وقل: ذكر اللهُ بخير مَن ذكرني) قال العراقي[٣]: رواه الطبراني وابن عدي[٤] وابن السني في اليوم والليلة[٥] من حديث أبي رافع بسند ضعيف.

قلت: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة[٦] وكذا العقيلي[٧] والخرائطي في مكارم الأخلاق[٨] وآخَرون، كلُّهم بلفظ: «إذا طنَّت أذنُ أحدكم فليذكرني وليصلِّ عليَّ وليقل: ذكر اللهُ بخير مَن ذكرني بخير». والسند ضعيف، بل قال العقيلي: إنه ليس له أصل. كذا في المقاصد[٩] للسخاوي، لكن قال الهيثمي[١٠]: إسناد الطبراني في الكبير حسن. وهذا يُبطِل [قول] مَن زعم ضعفه فضلاً عن وضعه كابن الجوزي[١١] والعقيلي. ونقل المناوي في شرحه علىٰ الجامع[١٢] أنه رواه ابن خزيمة

(١) المستخرج علىٰ صحيح مسلم ٤/ ٢١٧.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ٢/ ٦٨٤ ولكنه منقطع، ليس فيه ذكر أنس.

(٣) المغني ١/ ٢٩٦.

(٤) الكامل ٦/ ٢١٢٦، ٢٤٤٣.

(٥) عمل اليوم والليلة ص ١١٤.

(٦) المعجم الكبير ١/ ٣٢٢. المعجم الأوسط ٩/ ٩٢. المعجم الصغير ٢/ ٢٤٦.

(٧) الضعفاء الكبير ٤/ ١٢٦٣، ١٣٩٩.

(٨) مكارم الأخلاق ص ٣٢٢.

(٩) المقاصد الحسنة ص ٤١.

(١٠) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠١.

(١١) الموضوعات ٣/ ٧٦.

(١٢) فيض القدير ١/ ٣٩٩.

في صحيحه[١] باللفظ المذكور عن أبي رافع، وهو ممَّن التزم تخريج الصحيح، فاعرفْ ذلك.

(وإذا رأيت) أمارات (**استجابة دعائك فقل: الحمد لله الذي بعزَّته وجلاله تتمُّ الصالحاتُ.**

وإذا أبطأتَ فقل: الحمد لله علىٰ كل حال) رواه الحاكم في المستدرك[٢] من حديث عائشة بلفظ: كان رسول الله ﷺ يقول: «ما يمنع أحدَكم إذا عرف الإجابة من نفسه فشفي من مرض أو قدم من سفر يقول: الحمد لله الذي بعزَّته وجلاله تتمُّ الصالحاتُ». ورواه ابن ماجه[٣] واللفظ له والحاكم[٤] - وقال: صحيح الإسناد - بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا رأىٰ ما يحب قال: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات». وإذا رأىٰ ما يكره قال: «الحمد لله علىٰ كل حال». وقد تقدَّم هذا الحديث في الدعاء.

(**وإذا سمعتَ أذان المغرب فقل: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دُعاتك**) جمع داعٍ وهم المؤذِّنون (**وحضور صلواتك، أسألك أن تغفر لي**) قال العراقي[٥]: رواه أبو داود[٦] والترمذي[٧] - وقال: غريب - والحاكم[٨] من حديث أم سلمة دون قوله «وحضور صلواتك» فإنها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق[٩]

---

(١) لم أقف عليه في صحيح ابن خزيمة، ولعله في الجزء المفقود منه.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٣٩.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ٣٣٨.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٨٤.

(٥) المغني ١/ ٢٩٧.

(٦) سنن أبي داود ١/ ٤٠٣.

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٥٤٣.

(٨) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٣٠١.

(٩) مكارم الأخلاق ص ٢٨٥.

والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة.

(فإذا أصابك همٌّ فقل: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أَمَتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، نافذ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسك وأنزلتَه في كتابك أو أعطيتَه أحدًا من خَلْقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء غمِّي، وذهاب حزني وهمِّي. قال رسول الله ﷺ: **ما أصاب أحدًا حزنٌ فقال هذا إلا أذهب الله عز وجل همَّه وأبدله مكانه فرحًا. فقيل: يا رسول الله، أفلا نتعلَّمها؟ فقال ﷺ: بلىٰ، ينبغي لمَن سمعها أن يتعلَّمَها)** قال العراقي[1]: رواه أحمد[2] وابن ماجه[3] وابن حبان[4] والحاكم[5] من حديث ابن مسعود وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه؛ فإنه مختلَف في سماعه من أبيه.

قلت: رواه[6] أحمد عن يزيد بن هارون، أخبرنا فُضَيل بن مرزوق، أخبرنا أبو سلمة الجُهَني، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جدِّه عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلمًا قط همٌّ أو حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك ...» فساقه، إلا أنه قال «عدل» بدل «نافذ»، و«أو أنزلتَه» بـ«أو» بدل الواو، و«أو علَّمته» بدل «أعطيته»، و«جلاء حزني وذهاب همِّي»، وقال في آخره «وأبدله مكان حزنه فرحًا»، وقال «أفلا نتعلَّمهن؟ قال: بلىٰ، ينبغي لمَن سمعهنَّ أن يتعلَّمهنَّ». وأخرجه الحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن سعيد بن سليمان أخبرنا فُضَيل بن مرزوق. ووقع في رواية سعيد عند الحاكم

(١) المغني ١/ ٢٩٧.

(٢) مسند أحمد ٦/ ٢٤٦، ٧/ ٣٤١.

(٣) لم أقف عليه عند ابن ماجه.

(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٥٣.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩٦.

(٦) نتائج الأفكار ٤/ ٩٧ - ١٠١.

فقط «القرآن العظيم»[١]. وقول الحاكم: إن سلم من إرسال عبد الرحمن ... الخ، تعقَّبه الذهبيُّ في مختصره فقال: في السند أبو سلمة الجُهَني، ما روىٰ عنه إلا فضيل بن مرزوق، ولا يُعرَف اسمه ولا حاله[٢]. قال الحافظ ابن حجر: ولكنه لم ينفرد به، وذكره - مع ذلك - ابنُ حبان في الثقات[٣]. ثم ساق الحافظ سنده إلىٰ علي بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «إذا أصاب أحدَكم همٌّ أو حزنٌ فليقل ...» فذكره مثل حديث أبي سلمة، وزاد بعد قوله "وابن أَمَتك": وفي قبضتك. وقال في آخره: فما قالها عبدٌ قط إلا أذهبَ اللهُ همَّه. وقال فيه: ينبغي لكل مسلم. والباقي سواء، أخرجه أبو يعلىٰ عن محمد بن منهال عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن ابن إسحاق. وأخرجه ابن السني[٤] عن أبي يعلىٰ. وعبد الرحمن بن إسحاق واسطي صدوق. وحديث أبي سلمة الجُهَني رواه أيضًا الطبراني في الدعاء[٥] عن عمر بن حفص السدوسي عن عاصم بن علي عن فُضَيل بن مرزوق. وأخرجه ابن شاذان في الفوائد عن أبي بكر العَبَّاداني عن محمد بن عبد الملك الدقيقي عن يزيد بن هارون. وأخرجه أبو يعلىٰ[٦] عن أبي خيثمة، وأخرجه ابن أبي عاصم عن رزق الله بن موسىٰ، كِلاهما عن يزيد بن هارون.

وقد رُوي هذا الحديث أيضًا عن أبي موسىٰ رضي الله عنه، قال الطبراني في الدعاء[٧]:

---

(١) كلمة (العظيم) ليست في المستدرك.

(٢) عبارة الذهبي: «أبو سلمة لا يدرىٰ من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».

(٣) الثقات ٧/ ٦٥٩.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٢٠٩.

(٥) الدعاء ص ١٢٧٩.

(٦) مسند أبي يعلىٰ ٩/ ١٩٨ - ١٩٩.

(٧) لم أقف عليه في الدعاء، وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٧ وقال: رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه.

حدثنا أحمد بن علي الجارودي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجَزَري، عن جعفر بن برقان، عن فياض الكوفي، عن عبد الله بن زيد، عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أصابه همٌّ أو حزن فليَدْعُ بهؤلاء الكلمات، يقول: اللهم إني عبدك وابن عبدك ...» فذكر مثل حديث ابن مسعود، وفي آخره بعد قوله «وذهاب همِّي»: قال قائل: يا رسول الله، إن المغبون لمَن غبن هؤلاء الكلمات. قال: «أجل، فقولوهنَّ وعلِّموهنَّ؛ فإنه من قالهنَّ وعلَّمهنَّ [التماسَ ما فيهنَّ] أذهب اللهُ حزنه وأطال فرحه». وأخرجه ابن السني[1] في اليوم والليلة من رواية مخلد بن يزيد الحَرَّاني عن جعفر بن بُرْقان.

(فإذا وجدتَ قُرْحة في جسدك أو جسد غيرك فارْقَ برُقْية رسول الله ﷺ، كان ﷺ إذا اشتكىٰ إنسان قُرْحة أو جرحًا وضع سبَّابته علىٰ الأرض ثم رفعها) وبلَّها بريقه **(وقال: بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفىٰ سقيمنا بإذن ربِّنا)** رواه البخاري[2] ومسلم[3] من حديث عائشة، وكذلك رواه أبو داود[4] والنسائي[5] وابن ماجه[6] بلفظ: كان يقول للمريض: «بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفىٰ سقيمنا [بإذن ربِّنا]». ولفظ مسلم: كان إذا اشتكىٰ الإنسان الشيءَ منه أو كانت به قُرْحة أو جرح قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا - ووضع سفيان سَبَّابته بالأرض ثم رفعها: «بسم الله، تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفىٰ سقيمنا بإذن ربِّنا». قال ابن أبي شيبة: يشفىٰ، وقال زهير: ليشفىٰ.

والأكمل إكمال البسملة.

---

(١) عمل اليوم والليلة ص ٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٤.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٦.

(٤) سنن أبي داود ٤/ ٣٣٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ٧/ ٧٨، ٩/ ٣٧٦.

(٦) سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٨.

وقال الشرجي في كتاب الفوائد[١]: من أصابته جراح في جسده فليقل: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد النبي الأمِّيِّ وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم. ثم يأخذ ترابًا طاهرًا ويطرح منه علىٰ الجرح قليلاً قليلاً وهو يقول: أصاب النبيَّ ﷺ في بعض غزواته جراح فما ضرب ولا أقاح، وكذلك تكون أيُّها الجرح، بسم الله ربنا، تربة أرضنا، بريق بعضنا، يشفىٰ سقيمنا بإذن ربِّنا. يقول ذلك ثلاث مرات، كل مرة يتفل وينفخ في الجرح يبرأ بإذن الله تعالىٰ.

(**وإذا وجدت وجعًا في جسدك فضع يدك**) واليمين أولىٰ. قال[٢] القرطبي[٣]: وهذا الأمر علىٰ جهة التعليم والإرشاد إلىٰ ما ينبغي من وضع يد الراقي علىٰ المريض ومسحه بها، ولا ينبغي له العدولُ عنه إلىٰ المسح بنحو حديد وملح وغير ذلك؛ فإنه لا أصل له في السنَّة (**علىٰ الذي يألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثًا**) والأكمل إكمال البسملة (**وقل سبع مرات: أعوذ بالله**) وفي رواية: بعزَّة الله (**وقدرته من شر ما أجد وأُحاذِر**) وهذا العلاج من الطب الإلهي؛ لِما فيه من ذِكر الله والتفويض إليه والاستعاذة بعزَّته، وتكراره يكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصِّية لا توجد في غيرها.

قال العراقي[٤]: رواه مسلم[٥] من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي.

---

(١) الفوائد في الصلات والعوائد لشهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي ص ٣٥ (ط- المطبعة الأميرية).

(٢) فيض القدير ٤/ ٢٥٦.

(٣) المفهم لشرح صحيح مسلم ٥/ ٥٨٩ - ٥٩٠، وعبارته: «هذا الأمر علىٰ جهة التعليم والإرشاد إلىٰ ما ينبغي من وضع يد الراقي علىٰ المريض ومسحه به، وأن ذلك لم يكن مخصوصا بالنبي ﷺ، بل ينبغي أن يفعل ذلك كل راقٍ، وقد تأكد أمر ذلك بفعل النبي ﷺ وأصحابه ذلك بأنفسهم وبغيرهم، فلا ينبغي للراقي أن يعدل عنه إلىٰ المسح بحديد ولا بغيره؛ فإن ذلك لم يفعله أحد ممن سبق ذكره، ففعله تمويه لا أصل له».

(٤) المغني ١/ ٢٩٨.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٩.

قلت: وكذلك رواه أحمد[١] والنسائي في اليوم والليلة[٢] وابن ماجه[٣] وابن حبان[٤]، وكلُّهم في الطب إلا النسائي، ولفظهم: شكوت إلىٰ رسول الله ﷺ وجعًا أجده في جسدي منذ أسلمت، فقال: ضع يدك ... الحديث. وفي رواية: «ضع يمينك علىٰ المكان الذي تشتكي فامسح بها سبع مرات وقل: أعوذ بعزَّة الله وقدرته من شرِّ ما أجد، في كل مسحة». وهكذا رواه ابن حبان والطبراني[٥] والحاكم[٦] في الجنائز وابن السني في اليوم والليلة[٧].

(**وإذا أصابك كربٌ فقل: لا إله إلا الله العلي الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم**) قال العراقي[٨]: متفق عليه[٩] من حديث ابن عباس.

قلت: رواه مسلم والترمذي[١٠] وأبو بكر ابن خزيمة عن محمد بن بشَّار، حدثنا معاذ بن هشام - هو الدستوائي - حدثنا أبي، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم». ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام، لكن لم يسقْه

---

(١) مسند أحمد ٢٦/ ١٩٦، ٢٠٣، ٢٩/ ٤٣٥.

(٢) السنن الكبرىٰ ٧/ ٧٦، ١٥٠، ٩/ ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٨.

(٤) صحيح ابن حبان ٧/ ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣.

(٥) المعجم الكبير ٩/ ٣٤ - ٣٦.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٤٨٧.

(٧) عمل اليوم والليلة ص ٣٢٨، ٣٤٨.

(٨) المغني ١/ ٢٩٨.

(٩) صحيح البخاري ٤/ ١٦١، ١٦٢، ٣٨٨، ٣٨٩. صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٣.

(١٠) سنن الترمذي ٥/ ٤٣٤.

بتمامه، وأخرجه تامًّا عن مسدَّد عن يحيىٰ القطَّان عن هشام. ورواه مسلم عن عبد بن حُمَيد، حدثنا محمد بن بِشر، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة أن أبا العالية الرياحي حدَّثهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهنَّ، أو كان يقولهنَّ عند الكرب ... فذكر مثله، لكنه قال: رب السموات السبع[١]. وأخرجه البخاري من رواية يزيد بن زُرَيع عن سعيد. ورواه عبد بن حميد[٢] أيضًا عن يزيد بن هارون، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله هو رب السموات السبع ورب العرش الكريم». وأخرجه ابن خزيمة عن الحسن بن محمد الزعفراني عن يزيد بن هارون. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء[٣] عن أبي خيثمة عن يزيد بن هارون، إلا أنه قدَّم الجملةَ الثانية علىٰ الأولىٰ. وأخرجه الطبراني في الدعاء[٤] عن بِشر بن موسىٰ عن الحسن بن موسىٰ، وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم عن بَهْز بن أسد، كِلاهما عن حمَّاد بن سلمة عن يوسف بن عبد الله بن الحارث عن أبي العالية عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ قال: لا إله إلا الله الحليم العظيم ... فذكر الحديث، وزاد في آخره[٥]: ثم يدعو. وأخرجه أبو عوانة والنسائي[٦] جميعًا عن محمد بن إسحاق الصاغاني عن الحسن بن موسىٰ.

وقد رُوي هذا الحديث بزيادة أخرىٰ، قال البخاري في كتاب الأدب المفرد[٧]:

---

(١) في صحيح مسلم: رب السموات والأرض.

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ١/ ٤٩٥.

(٣) وأخرجه أيضا في كتاب الفرج بعد الشدة ص ٣٦ - ٣٧.

(٤) الدعاء ص ١٢٧٤.

(٥) هذه الزيادة عند الطبراني، وليست عند مسلم.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٤٢.

(٧) الأدب المفرد ص ٢١٠.

حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا عبد الملك بن الخَطَّاب، حدثني راشد أبو محمد، عن عبد الله بن الحارث، سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب ... فذكر مثل رواية هشام التي تقدَّم ذِكرُها أولاً، وزاد في آخره: اللهم اصرف عني شرَّه.

وقد رُوي هذا الحديث أيضًا من غير طريق ابن عباس، قال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء[1]: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني سعيد بن منصور، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن [شداد بن] الهاد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقَّنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات إن نزل بي شدة أو كربٌ أن أقولهنَّ: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه وتعالىٰ، تبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين». فكان عبد الله بن جعفر يلقِّنها الميتَ، وينفث بها علىٰ الموعوك[2]، ويعلِّمها المعتزبة من بناته.

قال[3]: وحدثنا محمد بن [عَبَّاد بن] موسىٰ العكلي، حدثنا روح بن عبادة، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القُرَظي، عن عبد الله بن شداد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علَّمني رسول الله ﷺ إذا نزل

---

(١) ومن طريقه رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب ٢/ ١٢٥. ورواه بهذا السياق أيضا ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢١٠. وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٦٩٥ من طريق سعيد بن منصور عن يعقوب، ولكن ليس فيه (ويعلمها المعتزبة من بناته). وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه ٣/ ١٤٧ وأحمد في مسنده ٣/ ١٣٠ من طريق الليث عن ابن عجلان حتىٰ قوله (والحمد لله رب العالمين) بدون قصة جعفر. وأخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ ٧/ ١٢٩، ٩/ ٢٣٤ - ٢٣٧ من عدة طرق.

(٢) في المطبوعة: المذعور. والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) وأخرجه أيضا في كتاب الفرج بعد الشدة ص ٣٧ - ٣٨.

ورواه أيضا: أحمد في مسنده ٢/ ١٠٩، والحاكم في المستدرك ١/ ٦٩٥.

بي كربٌ أن أقول: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين».

قال: وحدثنى الحسين بن علي العِجْلي، ثنا محمد بن فضيل، عن مسعر، عن أبي بكر بن حفص، عن حسن بن حسن قال: زوَّج عبدُ الله بن جعفر ابنته، فخلا بها. قال الحسن: فلقيتُها فقلت: ما قال لكِ؟ قالت: قال لي: يا بنيَّة، إذا نزل بكِ الموت أو أمرٌ تفظعين به فقولي: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين. قال الحسن: فأتيت الحجاج فقلتهنَّ، فقال: لقد جئتَني وأنا أريد أن أضرب عنقك، فما من أحد أحب إليَّ منك، فسلني ما شئتَ[1].

(وإن أردتَ النوم فتوضأْ أولاً) وإن كان متوضِّئًا كفاه ذلك **(ثم توسَّدْ علىٰ يمينك)** أي ضع رأسك علىٰ الوسادة علىٰ جهة يمينك، فهو السنَّة؛ لأن القلب جهة اليسار، فإذا نام علىٰ اليمين تعلَّق قلبُه، فهو أسرعُ لانتباهه من نومه، وهذه الهيئة نومة الأنبياء[2].

---

(١) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٢٨٦ من طريق ابن أبي الدنيا، ولكن بسياق مغاير، ورواه النسائي في السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٣٨ بسياقين مختلفين، فقال:«أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحيىٰ بن سعيد قال: حدثنا مسعر قال: حدثني أبو بكر بن حفص قال: حدثني حسن بن حسن أن عبد الله بن جعفر تزوج امرأة، فدخل بها، فلما خرج قلت لها: ما قال لك؟ قالت: قال: إذا نزل بكِ أمر فظيع أو عظيم فقولي: لا إله إلا الله الحليم الحكيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، سبحان الله رب العالمين. فدعاني الحجاج فقلتها، فقال: لقد دعوتك وأنا أريد أن أضرب عنقك، وما في أهلك اليوم أحد أحب إليَّ منك، أو أعز عليَّ منك. أخبرنا إسحاق بن منصور وأحمد بن سليمان، عن يزيد قال: أخبرنا مسعر، عن أبي بكر بن حفص، عن الحسن بن الحسن قال: زوج عبد الله بن جعفر ابنته من الحجاج، فقال لها: إن نزل بكِ الموت أو أمر من أمور الدنيا فاستقبليه بأن تقولي: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين. قال: فأتيت الحجاج فقلتها، فقال: لقد جئتني وأنا أريد قتلك، فأنت اليوم أحب إلي من كذا وكذا. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٧/ ٢٠٠ باللفظ الذي أورده الشارح.

(٢) انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض ٨/ ٢٠٨.

وعند مسلم[١] من حديث أبي هريرة: «فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع علىٰ شِقِّه الأيمن». وعند الستة[٢] من حديث البراء: «إذا أتيتَ مَضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجِعْ علىٰ شِقِّك الأيمن». وفي رواية للبخاري: كان إذا أوىٰ إلىٰ فِراشه نام علىٰ شِقِّه الأيمن. وفي رواية لأبي داود: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أويتَ إلىٰ فراشك وأنت طاهر فتوسَّدْ يمينَك» (مستقبِل القِبلة) إن استطاع ذلك؛ فإنَّ أكرم المجالس ما استُقبِل به القبلة (**ثم كبِّر اللهَ أربعًا وثلاثين**) تكبيرة (**وسبِّحْه ثلاثًا وثلاثين**) تسبيحة (**واحمدْه ثلاثًا وثلاثين**) تحميدة، فتلك المائة.

قال العراقي[٣]: متفق عليه من حديث عليٍّ.

قلت: لفظ هذا الحديث: عن علي أن فاطمة ﵂ أتت النبيَّ ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ألا أخبركِ ما هو خير لكِ منه؟ تسبِّحين الله عند منامك ثلاثًا وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّرين الله أربعًا وثلاثين». ثم قال سفيان: إحداهنَّ أربع وثلاثون. فما تركتُها بعدُ. قيل: ولا ليلة صِفِّين؟ قال: لا، ولا ليلة صِفِّين. رواه البخاري[٤] ومسلم[٥] وأبو داود[٦] والنسائي[٧]. وفي رواية للبخاري: أن فاطمة ﵂ شكت ما تلقىٰ في يدها من الرَّحَىٰ، فأتت النبيَّ ﷺ تسأله خادمًا، فلم تجده، فذكرت ذلك لعائشة ﵂، فلمَّا جاء ﷺ أخبرتْه. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبت

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٨.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩٩، ٤/ ١٥٥، ١٥٦. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧. سنن أبي داود ٥/ ٣٧٠ - ٣٧١. سنن الترمذي ٥/ ٥٣٤. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٩. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ٢٨٧.

(٣) المغني ١/ ٢٩٨.

(٤) صحيح البخاري ٢/ ٣٩٢، ٣/ ٢٣، ٤٢٧، ٤/ ١٥٦.

(٥) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٢.

(٦) سنن أبي داود ٣/ ٤٦٢، ٥/ ٣٧٨.

(٧) السنن الكبرىٰ ٨/ ٢٦٦، ٩/ ٣٠٠.

أقوم فقال: «مكانك». فجلس بيننا حتىٰ وجدت برد قدميه علىٰ صدري، فقال: «ألا أدلُّكما علىٰ ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلىٰ فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبِّرا أربعًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهذا خيرٌ لكما من خادم». وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال: التسبيح أربع وثلاثون. وفي بعض طرق النسائي التحميد أربع وثلاثون، وهو الموافق لِما أورده المصنف هنا. زاد أبو داود في بعض طرقه: قالت: رضيتُ عن الله عَزَّوَجَلَّ وعن رسول الله ﷺ.

(ثم قل: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناءً عليك ولو حرصتُ ولكن أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك) قال العراقي[١]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٢] من حديث عليٍّ، وفيه انقطاع.

قلت: تقدَّم هذا الدعاء في آخر تلاوة القرآن، وذكرت هناك ما يتعلَّق بمعناه، وهو من أذكار السجود، مرويٌّ عن عائشة ﵂، رواه مسلم[٣] من طريق الأعرج عن أبي هريرة عنها، وفيه بعد قوله «منك»: لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك. وله طرق أخرىٰ، منها عند ابن خزيمة[٤] من رواية أبي النضر عن عروة عنها نحو حديث أبي هريرة عنها، لكن قال في آخره: أثني عليك ولا أبلغ كلَّ ما فيك». وسنده صحيح. ومنها في الخلعيات من طريق علىٰ بن الحسين وقال في آخره: لا أحصي أسماءك ولا ثناءً عليك»[٥]. وسنده ضعيف.

---

(١) المغني ١/ ٢٩٨.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٣٢٨.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٢٢٣.

(٤) صحيح ابن خزيمة ١/ ٣٢٨.

(٥) رواه ابن عدي في الكامل ٧/ ٢٧١٩.

(اللهم باسمك أحيا وأموت) قال العراقي[١]: رواه البخاري[٢] من حديث حذيفة، ومسلم[٣] من حديث البراء.

قلت: ورواه أيضًا أحمد[٤] وأبو داود[٥] والترمذي[٦] والنسائي[٧] عن حذيفة قال: كان النبي ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «[اللهم] باسمك أموت وأحيا». وإذا نام[٨] قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور». ورواه أحمد[٩] والترمذي[١٠] عن البراء. ورواه أيضًا أحمد[١١] والشيخان[١٢] عن أبي ذر: كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خدِّه ثم يقول: باسمك أحيا وباسمك أموت ... والباقي كسياق حذيفة.

(اللهم رب السموات، ورب الأرض، ورب كل شيء ومليكه، فالق الحب والنوىٰ، ومُنزِل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل ذي شر، ومن شر كل دابَّة أنت آخِذٌ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخِر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقضِ

(١) المغني ١/ ٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ١٥٥، ٣٨٣.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٧.

(٤) مسند أحمد ٣٨/ ٣٠٥، ٣٢٣، ٣٨٨، ٤٠٢.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٧١.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤١٧.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٧٥ - ٢٧٦، ٣١٦ - ٣١٧.

(٨) كذا هنا، والصواب (إذا أصبح) كما في صحيح البخاري وغيره.

(٩) مسند أحمد ٣٠/ ٥٦٦، ٦٢١.

(١٠) لم أقف عليه عند الترمذي.

(١١) مسند أحمد ٣٥/ ٢٩٤.

(١٢) هو في صحيح البخاري ٤/ ١٥٨، ٣٨٣. وليس في صحيح مسلم. وليس عند أحمد والبخاري (وضع يده تحت خده). وهذه الزيادة في حديث حذيفة.

عني الدَّين وأغنني من الفقر) قال العراقي[١]: رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

قلت: ولفظه: عن سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شِقِّه الأيمن ثم يقول: اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوىٰ، ومُنزِل التوراة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخِذٌ بناصيته، اللهم أنت الأول ... فساقه الخ، إلا أنه قال في آخره: اقضِ عنا الدَّين وأغننا من الفقر. رواه الجماعة إلا البخاري[٢].

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي ﷺ تسأله خادمًا، فقال: «ألا أدلُّكِ علىٰ ما هو خير لكِ من خادم ...» فساق الحديث، وفيه ذِكرُ هذا الدعاء بمثل سياق الجماعة، وقد قدَّمتُ ذِكرَه قريبًا عند دعاء الدَّين.

(اللهم إنك خلقتَ نفسي وأنت تتوفَّاها) هكذا[٣] بتاءين، وفي بعض الروايات بحذف إحداها تخفيفًا **(لك مَماتها ومَحْياها)** أي أنت المالك لإحيائها ولإماتتها أيّ وقتٍ شئتَ، لا مالك لهما غيرك **(اللهم إن أَمَتَّها فاغفر لها)** أي ذنوبَها **(وإن أحييتَها فاحفظها)** من التورُّط فيما لا يرضيك **(اللهم إني أسألك)** أي أطلب منك **(العافية في الدنيا والآخرة)** أي السلامة في الدين من الافتتان وكيد الشيطان، والدنيا من الآلام والأسقام.

---

(١) المغني ١/ ٢٩٨.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٧. سنن أبي داود ٥/ ٣٧٢. سنن الترمذي ٥/ ٤٠٦. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٦. السنن الكبرىٰ للنسائي ٧/ ١٢٦، ١٤٧، ٩/ ٢٩١.

(٣) فيض القدير ٢/ ١٥٥.

قال العراقي[١]: رواه مسلم[٢] من حديث ابن عمر.

قلت: وكذلك رواه النسائي[٣] من طريق خالد، سمعت عبد الله بن الحارث يحدِّث عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: اللهم خلقتَ نفسي، وأنت تتوفَّاها، لك مَماتها ومَحْياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتَّها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية. فقال له رجل: سمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ.

(**باسمك ربي وضعتُ جنبي، فاغفر لي ذنبي**) قال العراقي[٤]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٥] من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن. وللشيخين من حديث أبي هريرة: «باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكتَ نفسي فاغفر لها - وقال البخاري: فارحمها - وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

قلت: ولفظ حديث أبي هريرة: «إذا جاء أحدكم إلىٰ فراشه فلينفضه بصِنْفة ثوبه ثلاث مرات وليقل: باسمك ربي ...» الحديث. رواه الجماعة[٦]، ولفظ مسلم: «فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليسمِّ الله؛ فإنه لا يعلم ما خلفه بعده علىٰ فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع علىٰ شِقِّه الأيمن، وليقل: سبحانك [اللهم] ربي، بك وضعتُ جنبي» وباقيه مثله. وفي رواية للبخاري: فارحمها، بدل

---

(١) المغني ١/ ٢٩٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٧.

(٣) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٩٣.

(٤) المغني ١/ ٢٩٩.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٨٢.

(٦) صحيح البخاري ٤/ ١٥٧، ٣٨٢. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٨. سنن أبي داود ٥/ ٣٧٢. سنن الترمذي ٥/ ٤٠٦. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٧. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ٢٩١.

فاغفر لها، كما ذكره الشيخ.

وروى أبو داود[١] من حديث أبي الأزهر الأنماري ﵁ أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعتُ جنبي، اللهم اغفر لي ذنبي، وأخسئ شيطاني، وفُكَّ رهاني، واجعلنى في النَّدِيِّ الأعلى». ورواه الحاكم في المستدرك[٢] وقال فيه: «وثقِّلْ ميزاني، واجعلني في الملأ الأعلى».

(اللهم قِني عذابك يوم تجمع عبادك) أي يوم النشور. قال العراقي[٣]: رواه الترمذي في الشمائل[٤] من حديث ابن مسعود، وهو عند أبي داود[٥] من حديث حفصة بلفظ «تبعث»، وكذا رواه الترمذي[٦] من حديث حذيفة وصحَّحه، ومن حديث البراء وحسَّنه.

قلت: ولفظ حديث حفصة ﵂ قالت: كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خدِّه ثم يقول: «اللهم قِني عذابك يوم تبعث عبادك» ثلاث مرات. هذا لفظ أبي داود، وكذا رواه النسائي[٧]. ورواه الترمذي من حديث البراء بمعناه وقال: حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من طريق قتادة عن أنس[٨] بمثل حديث حفصة.

(اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجَّهت وجهي إليك، وفوَّضت أمري إليك،

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٧٣.

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٧٣٣، ٧٤٣.

(٣) المغني ١/ ٢٩٩.

(٤) الشمائل المحمدية ص ١٢٧.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٧٠.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤٠٤ - ٤٠٥.

(٧) السنن الكبرى ٩/ ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٨) ورواه أيضا من حديث أنس: البزار في مسنده ١٣/ ٤٧٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤٤، والطبراني في مسند الشاميين ٤/ ١٣.

وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك) أي خوفًا منك ورغبةً إليك **(لا ملجأ ولا مَنْجىٰ منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلتَ، وبنبيِّك الذي أرسلت. ويكون هذا آخر دعائك، فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك)** قال العراقي[1]: متفق عليه من حديث البراء.

قلت: لفظ حديث البراء قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع علىٰ شِقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك ...» فساقه إلىٰ قوله «أرسلت»، ثم قال بعده: «فإن مت من ليلتك فأنت علىٰ الفطرة، واجعلهنَّ آخر ما تتكلم به». قال: فردَّدتُها علىٰ النبي ﷺ، فلمَّا بلغتُ «آمنت بكتابك الذي أنزلت» قلت: ورسولك، قال: «لا، ونبيك الذي أرسلت». رواه الجماعة[2]. وفي رواية للبخاري أيضًا: «فإنك إن مت من ليلتك مُتَّ علىٰ الفِطرة، وإن أصبحت أصبت خيرًا». وفي رواية للبخاري أيضًا: كان رسول الله ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه نام علىٰ شِقِّه الأيمن ثم قال: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجَّهت وجهي إليك ...» فذكر مثله، غير أنه قال «وبنبيِّك» كما هو في سياق المصنِّف. وفي رواية لأبي داود: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا أويت إلىٰ فراشك وأنت طاهر فتوسَّدْ يمينَك ...» ثم ذكر نحوه. وفي رواية للنسائي: كان النبي ﷺ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه توسَّد يمينه ثم قال: بسم الله ... فذكره بمعناه.

(وليقل قبل ذلك) أي قبل قراءته لهذا الدعاء: **(اللهم أيقِظْني في أحب الساعات إليك، واستعمِلْني بأحب الأعمال لديك تقرِّبني إليك زُلْفَىٰ، وتبعدني من سخطك بعدًا، أسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، وأدعوك فتستجيب لي)** قال

---

(١) المغني ١/ ٢٩٩.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩٩، ٤/ ١٥٥، ١٥٦، ٤٠٢. صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٦ - ١٢٤٧. سنن أبي داود ٥/ ٣٧٠ - ٣٧١. سنن الترمذي ٥/ ٤٠١، ٥٣٤. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٩. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ٢٨٣ - ٢٨٩.

العراقي[١]: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس[٢] من حديث ابن عباس: «اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتىٰ نذكرك فتذكرنا، ونسألك فتعطينا، وندعوك فتستجيب لنا [ونستغفرك فتغفر لنا]» وإسناده ضعيف، وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن أبي الدنيا.

قلت: هكذا هو لفظ العراقي، والصواب: من قول حبيب أبي محمد، أي المعروف بالعجمي، قال أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا الحارث بن موسىٰ الطائي، حدثنا حبيب أبو محمد قال: إذا أوىٰ العبد إلىٰ فراشه فقال: اللهم لا تنسني ذِكرك، ولا تؤمِّني مكرك، ولا تجعلني من الغافلين، ونبِّهني لأحب الساعات إليك، أذكرك فتذكرني، وأدعوك فتستجيب لي، وأسألك فتعطيني، وأستغفرك فتغفر لي، بعث الله إليه مَلَكًا فنبَّهه، فإن هو قام فتوضأ فسأل ذلك وإلا صعد ذلك المَلَك فصلىٰ، ثم يُبعَث إليه مَلَك آخر فيفعل مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه مَلَكًا آخر فيفعل مثل ذلك، وكانت صلاة الأملاك له حتىٰ يصبح. قال أحمد بن إبراهيم: وحدثني أخي أن معتمر بن سليمان حدَّثهم بهذا الحديث عن أبيه عن الحارث بن موسىٰ، قال: وأثنىٰ عليه خيرًا.

ورواه[٣] ابن النجار عن ابن عباس بنحو سياق الديلمي، ولفظه: «من قال عند منامه: اللهم لا تؤمنا مكرك ...» فساقه إلىٰ قوله: الغافلين، ثم قال: «اللهم ابعثنا في أحب الساعات[٤] إليك». وفيه: «إلا بعث الله إليه مَلَكًا في أحب الساعات إليه فيوقظه، فإن قام وإلا صعد المَلَك فيعبد الله في السماء، ثم يعرج إليه مَلَك آخر فيوقظه، فإن قام وإلا صعد المَلَك فقام مع صاحبه، ويعرج إليه مَلَك آخر فيوقظه،

---

(١) المغني ١/ ٣٠٠.

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٩٥.

(٣) كنز العمال ١٥/ ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٤) في الكنز: الأوقات.

فإن قام وإلا صعد المَلَك فقام مع صاحبيه، فإن قام بعد ذلك ودعا استُجيب له، فإن لم يقُمْ كتب الله له ثواب أولئك الملائكة».

وقد تقدَّم الكلام علىٰ أول هذا الحديث مختصرًا في أول هذا الكتاب.

(**فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**) هو من بقية الحديث الذي رواه البخاريّ وأبو داود والترمذي والنسائي عن حذيفة، ومسلم عن البراء، وقد تقدَّم قريبًا.

(**أصبحنا وأصبح المُلك لله والعظمة والسلطان لله والقوة والقدرة لله**) قال العراقي[١]: رواه الطبراني في الأوسط[٢] من حديث عائشة: «أصبحنا وأصبح المُلك لله والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان في السموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين». وله في الدعاء[٣] من حديث ابن أبي أوفَىٰ: «أصبحتُ وأصبح المُلك والكبرياء والعظمة والخَلْق والليل والنهار وما سكن فيهما لله». وإسنادهما ضعيف. ولمسلم[٤] من حديث ابن مسعود: «أصبحنا وأصبح المُلك لله».

قلت: حديث ابن مسعود هذا رواه أيضًا أبو داود[٥] والترمذي[٦] والنسائي[٧]: كان نبي الله ﷺ إذا أمسىٰ قال: «أمسينا وأمسىٰ المُلك لله»، وإذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح المُلك لله».

(**أصبحنا علىٰ فِطرة الإسلام**) أي دينه الحق (**وكلمة الإخلاص**) وهي كلمة

---

(١) المغني ١/ ٣٠٠.

(٢) المعجم الأوسط ١/ ٢٨٦.

(٣) الدعاء ص ٩٢٨.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥٠ - ١٢٥١.

(٥) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٣ - ٣٨٤.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٨.

(٧) السنن الكبرىٰ ٩/ ١٥.

الشهادة **(وعلىٰ دين نبيِّنا محمد ﷺ)** وهو تعليم للأمَّة وإرشاد لهم **(وملَّة أبينا إبراهيم عليه السلام حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين)** قال العراقي[١]: رواه النسائي في اليوم والليلة[٢] من حديث عبد الرحمن بن أبزي بسند صحيح، ورواه أحمد[٣] من حديث ابن أبزي عن أبيٍّ بن كعب مرفوعًا.

قلت: ورواه أيضًا الطبراني في الكبير[٤]. ولفظ النسائي: كان النبي ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا علىٰ فِطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلىٰ دين نبيِّنا محمد ﷺ، وعلىٰ ملَّة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين». رواه من طرق، ورجال إسناده رجال الصحيح.

والحنيف الصحيح هو المائل إلىٰ الإسلام، الثابت عليه. قاله الهروي[٥]. وفي المحكم[٦] لابن سيده: الحنيف: هو المسلم الذي يتحنَّف عن الأديان، أي يميل إلىٰ الحق، وقيل: هو المخلص.

وكلمة الإخلاص هي قول: لا إله إلا الله.

(اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور)

---

(١) المغني ١/ ٣٠١.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٥، ٦، ١٣٦.

(٣) مسند أحمد ٣٥/ ٨١.

(٤) لم أقف عليه في المعجم الكبير، وهو في كتاب الدعاء ص ٩٢٦ - ٩٢٧ عن أبي بن كعب وعبد الرحمن بن أبزىٰ.

(٥) الغريبين ص ٥٠٢ - ٥٠٣، ونصه: «قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ قال ابن عرفة: قيل: الحنف: الاستقامة. وقال الأزهري: معنىٰ الحنيفية في الإسلام: الميل إليه والإقامة علىٰ عقده، والحنف: إقبال إحدىٰ القدمين علىٰ الأخرىٰ، فالحنيف الصحيح المائل إلىٰ الإسلام الثابت عليه. وقال أبو عبيد: الحنيف عند العرب: من كان علىٰ دين إبراهيم عليه السلام».

(٦) المحكم ٣/ ٢٩١، وفيه قولان آخران: ١ - من أسلم في أمر الله فلم يلتوِ في شيء. ٢ - الذي يستقبل قبلة البيت علىٰ ملة إبراهيم.

قال العراقي[(١)]: رواه أصحاب السنن الأربعة[(٢)] وابن حبان[(٣)]، وحسَّنه الترمذي، إلا أنهم قالوا: وإليك النشور. ولابن السني[(٤)]: وإليك المصير.

قلت: لم يذكر صحابيه، وقد أخرجه الأربعة من حديث أبي هريرة، وكذا ابن حبان في صحيحه وأبو عوانة في مسنده الصحيح، وهذا لفظه: أن النبي ﷺ كان إذا أصبح يقول: «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور». وإذا أمسىٰ قال: «اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير».

(اللهم إنَّا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم علىٰ كل خير، ونعوذ بك أن نجترح فيه) أي نكتسب **(سوءًا أو نجرَّه إلىٰ مسلم؛ فإنك قلت وقولك الحق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾)** [الأنعام: ٦٠] قال العراقي[(٥)]: لم أجد أوله، وللترمذي من حديث أبي بكر في حديث له: «أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وأن نقترف علىٰ أنفسنا سوءًا أو نجرَّه إلىٰ مسلم»[(٦)]. رواه أبو داود[(٧)] عن أبي مالك الأشعري بإسناد جيد.

قلت: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصِّدِّيق ﷺ قال: يا

---

(١) المغني ١/ ٣٠١.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٢. سنن الترمذي ٥/ ٣٩٨. سنن ابن ماجه ٥/ ٣٨٣. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ٨، ٢٠٩.

(٣) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٤) عمل اليوم والليلة ص ٤١، وفيه (وإليك النشور).

(٥) المغني ١/ ٣٠١.

(٦) هذا لفظ حديث عبد الله بن عمرو عند الترمذي ٥/ ٥٠٠ - ٥٠١، وليس في حديث أبي هريرة عنده ٥/ ٣٩٩: وأن نقترف ... الخ.

(٧) سنن أبي داود ٥/ ٣٩٠.

رسول الله، مُرْني بكلمات أقولهنَّ[١] إذا أصبحتُ وإذا أمسيت ... فساقه. وقد انفرد الترمذي بهذه الزيادة، وقد رواه أبو داود[٢] والنسائي[٣] والحاكم[٤] وابن حبان[٥] بدون هذه الزيادة. وقد تقدَّم ذِكرُه في دعاء أبي بكر رضي الله عنه.

وأمَّا قول العراقي «رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري» فإنَّ لفظه عند أبي داود: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أصبح أحدُكم فليقل: أصبحنا وأصبح المُلك لله رب العالمين، اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهُداه، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده. فإذا أمسىٰ فليقل مثل ذلك».

ورویٰ أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس[٦] من حديث أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: («**اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا والشمس والقمر حُسْبانًا**) اقضِ عني الدَّين، وأغنني من الفقر، وقوِّني علىٰ الجهاد في سبيلك». وسنده ضعيف؛ قاله العراقي[٧].

قلت: ووجدت بخط الشمس الداودي ما نصه: أخرجه ابن أبي شيبة[٨] من حديث مسلم بن يسار مرسَلاً، ومالك في الموطأ[٩] عن يحيىٰ بن سعيد مرسَلاً أيضًا. اللهم إنَّا (**نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، ونعوذ بك من شرِّه وشرِّ ما فيه**)

---

(١) في سنن الترمذي: مرني بشيء أقوله.

(٢) سنن أبي داود ٥/ ٣٨١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٣٧، ١٤٠، ١٤٧، ٩/ ١٠، ٢١٠، ٢٩٢.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠١.

(٥) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٤٢.

(٦) الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ٤٨٧.

(٧) المغني ١/ ٣٠٢.

(٨) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٥١.

(٩) الموطأ ١/ ٢١٢ - ٢١٣.

وللدارقطني في الأفراد[١] من حديث البراء: «أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشرِّ ما بعده».

وفي حديث أبي مالك الأشعري الذي تقدَّم قريبًا: «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم»، وفي آخره: «وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده».

وفي اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري [من حديث ابن مسعود]: «اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده».

والحديث عند مسلم[٢] في المساء «خير ما في هذه الليلة ...» الحديث، ثم قال: وإذا أصبح قال ذلك أيضًا.

(بسم الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، كل نعمة فمن الله، ما شاء الله، الخير كلُّه بيد الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله) قال العراقي[٣]: رواه ابن عدي في الكامل[٤] من حديث ابن عباس، ولا أعلمه إلا مرفوعًا إلىٰ النبي ﷺ قال: «يلتقي الخَضِر وإلياس عليهما السلام كلَّ عام بالموسم بمنىٰ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، ويفترقان عن هذه الكلمات ...» فذكره، ولم يقل «الخير كلُّه بيد الله» [قال موضعها: لا يسوق الخير إلا الله] قال ابن عباس: من قالهنَّ حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من الغرق والحرق [والسرق] وأحسبه قال: ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب. أورده في ترجمة الحسن بن رزين وقال: ليس بالمعروف، وهو بهذا الإسناد منكَر.

---

(١) وكذلك أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٨، والطبراني في المعجم الكبير ٢/ ٢٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٤٣، والصيداوي في معجم الشيوخ ص ١٨٩.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٥١.

(٣) المغني ١/ ٣٠٢.

(٤) الكامل ٢/ ٧٤٠.

قلت: وقد تقدَّم الكلام علىٰ هذا مفصَّلاً عند ذكر دعاء الخَضِر عليه السلام.

و«من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات: (**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا**) كان حقًّا علىٰ الله أن يرضيه يوم القيامة». رواه أبو داود[1] والنسائي[2] والحاكم[3] من حديث أبي سلام ممطور الحبشي، ورواه الترمذي[4] من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ثوبان، وقال: حسن غريب. وقد وقع في إسناد هذا الحديث اختلاف كثير تقدَّم بعضه في الباب الأول.

وروىٰ ابن أبي شيبة[5] عن عطاء بن يسار مرسَلاً: «من قال حين يمسي: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً، فقد أصاب حقيقةَ الإيمان».

(**ربنا عليك توكَّلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير**) ختم مجموع الأدعية بهذه الآية تبرُّكًا.

(**وإذا أمسىٰ قال ذلك**) أي ما ذُكر من الأدعية المجموعة، ولا بأس إن قدَّم دعاء علىٰ دعاء أو زاد أو اختصر (**إلا أنه يقول: أمسينا**) بدل: أصبحنا. أو: أمسيت، بدل: أصبحت (**ويقول مع ذلك**) في أدعية الصباح والمساء: (**أعوذ بكلمات الله التامَّات وأسمائه كلِّها من شر ما ذرأ وبرأ، ومن شر كل ذي شر، ومن شر كل دابَّة ربي آخِذ بناصيتها، إن ربي علىٰ صراط مستقيم**) قال العراقي[6]: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف: «من قال حين يصبح: أعوذ بكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ،

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٣٨٤.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٦، ٢٠٩.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٠٦.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٣٩٧.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٧٤.

(٦) المغني ١/ ٣٠٣.

أعتصمُ من شر الثَّقَلين ...» الحديث، وفيه: «وإن قالهنَّ حين يمسي كُنَّ له كذلك حتىٰ يصبح». وفيه ابن لهيعة. ولأحمد(١) من حديث عبد الرحمن بن خنبش في حديث: أن جبريل قال: يا محمد، قل: أعوذ بكلمات الله التامَّة من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ...» الحديث، وإسناده جيد. ولمسلم(٢) من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم: «أعوذ بك من شر كل دابَّة أنت آخِذ بناصيتها». وللطبراني في الدعاء(٣) من حديث أبي الدرداء: «اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابَّة ...» إلىٰ آخر الحديث، وقد تقدَّم في الباب الثالث.

قلت: وبقية حديث عبد الرحمن بن عوف عند أبي الشيخ بعد قوله "الثقلين": «الجن والإنس، وإن لُدغ لم يضرَّه شيءٌ حتىٰ يمسي»(٤).

وروىٰ ابن عدي في الكامل(٥) والسجزي في الإبانة من حديث أبي هريرة: «من قال [حين يصبح]: أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق، ثلاث مرات لم تضرَّه عقرب حتىٰ يمسي، ومن قالها حين يمسي لم تضرَّه حتىٰ يصبح».

ورواه الجماعة إلا البخاري(٦) من حديثه بلفظ: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ

---

(١) مسند أحمد ٢٤/ ٢٠٠ - ٢٠٢.

(٢) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٧ - ١٢٤٨.

(٣) الدعاء ص ٩٥٤.

(٤) كنز العمال ٢/ ١٦٥.

(٥) الكامل ٧/ ٢٦٩٨، وفيه: «عن سهيل بن أبي صالح يذكر عن سعيد بن المسيب قال: قال سعد: شكا رجل إلىٰ رسول الله ﷺ لدغته عقرب، فقال النبي ﷺ: أما إنك لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك. قال: فقلت هذه الكلمات ليلة من الليالي فلدغتني فلم تضرني. وهذا الحديث روي عن الثوري وشعبة وعبيد الله بن عمرو وجماعة معهم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة». وقد رواه باللفظ الذي أورده الشارح: أبو نعيم في مسند أبي حنيفة ص ٢٥٧. ولكن ليس فيه (ثلاث مرات).

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٢٤٦. سنن أبي داود ٤/ ٣٣٧. سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٦. السنن الكبرىٰ للنسائي ٩/ ٢١٨ - ٢٢٢.

فقال: يا رسول الله، ما لقيتُ من عقرب لدغتني البارحة. قال: «أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق لم يضرَّك شيء». وفي رواية الترمذي[١]: «من قالها ثلاث مرات حين يمسي لم تضرَّه حُمَةٌ تلك الليلة». قال سهيل: فكان أهلنا تعلَّموها، فكانوا يقولونها في كل ليلة، فلُدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعًا. وهذا حديث حسن.

والكلمات، قال الهروي[٢] وغيره: هي القرآن. وقال أبو داود في سننه[٣]: باب في القرآن. وذكر فيه حديث تعويذ النبي ﷺ الحسن والحسين بكلمات الله التامَّة. والتامَّات قيل: هي الكاملات، ومعنىٰ[٤] كمالها أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يُتعوَّذ منه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الدعاء عن أبي هريرة: حدثنا كعب قال: إنَّا نجد مكتوبًا في التوراة غير المبدلة أن الشيطان لا يطيف بعبد من لدن يمسي حتىٰ يصبح يقول هذه الكلمات: اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامَّة من شر الشامة والهامة، وأعوذ باسمك وكلماتك التامَّة من عذابك وشر عِبادك، اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامَّة من الشيطان الرجيم، اللهم إني أسألك باسمك وكلماتك التامة من خير ما تُسأل وخير ما تعطي وخير ما تبدي وخير ما تخفي، اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر ما تجلَّىٰ به النهار». وإن كان الليل قال: «من

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٥٥.

(٢) الغريبين ص ١٦٥١.

(٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٤٢ - ٢٤٣. ونص الحديث: عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة». ثم يقول: «كان أبوكم إبراهيم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق».

(٤) حياة الحيوان للدميري ٢/ ١٩٢.

شر ما دجا به الليل»[1].

وأخرج أيضًا من طريق إبراهيم بن أبي بكر قال: سمعت كعبًا يقول: لولا كلمات أقولهنَّ حين أُصبِح وأُمسِي لجعلتني اليهود من الحمر الناهقة والكلاب النابحة والذئاب العاوية: أعوذ بوجه الله الجليل وبكلماته التامة، الذي لا يُخفَر جاره، الذي يمسك السموات ومن فيهنَّ أن تقع علىٰ الأرض إلا بإذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ[2].

وأخرج أيضًا من طريق عمرو بن مُرة قال: قلت لسعيد بن المسيب: أخبِرْني بشيء أقوله إذا أصبحتُ. قال: قل: أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السامة والهامة، ومن شر ما خلقتَ أي رب، ومن شر كل دابَّة أنت آخِذ بناصيتها، وشر هذا اليوم إن كان نهارًا، أو شر هذه الليله إن كان مساءً وشر ما بعدها، وشر الدنيا وشواغلها[3].

(وإذا نظرتَ وجهَك في المِرآة) بكسر الميم والمد، معروفة (فقلْ) ندبًا: (الحمد لله الذي سوَّىٰ خَلْقي) بفتح فسكون (فعدَّله) بالتشديد، والتعديل أخصُّ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٤٧٧ بنحوه.

(٢) رواه بألفاظ مختلفة: مالك في الموطأ ٢/ ٩٥١، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٦، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٧٧، والدينوري في المجالسة ٤/ ٤٥٨، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١١٣.

(٣) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١١٢، ولفظه: «قلت لسعيد بن المسيب: علمني كلمات أقولهن عند المساء. قال: قل: أعوذ بوجهك الكريم، وباسمك العظيم، وبكلماتك التامة من شر السامة والهامة، ومن شر ما خلقت أي رب، ومن شر ما أنت آخذ بناصيته، ومن شر هذه الليلة، ومن شر ما بعدها، وشر الدنيا وأهلها». ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٩/ ٤٧٥ بلفظ: «قلت لسعيد بن المسيب: ما تقولون إذا أصبحتم وأمسيتم مما تدعون به؟ قال: نقول: أعوذ بوجه الله الكريم واسم الله العظيم وكلمة الله التامة من شر السامة واللامة، ومن شر ما خلقت أي رب، وشر ما أنت آخذ بناصيته، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده، وشر الدنيا والآخرة».

من التسوية (**وكرَّم صورة وجهي وحسَّنها**) من التكريم والتحسين (**وجعلني من المسلمين**) وإنما[١] نُدب النظر إليها ليقوم بواجب الحمد علىٰ حُسن الخَلْق والخُلُق؛ لأنهما نعمتان يجب الشكر عليهما.

قال العراقي[٢]: رواه الطبراني في الأوسط[٣] وابن السني في اليوم والليلة[٤] من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب[٥]، وسنده أيضًا ضعيف، ولفظه: كان إذا نظر إلىٰ وجهه في المرآة قال: الحمد لله ... الخ.

وروىٰ أبو يعلىٰ[٦] والطبراني في الكبير[٧] من حديث ابن عباس: كان إذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي حسَّن خَلْقي وخُلُقي، وزانَ مني ما شانَ من غيري» ... الحديث.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أنت حسَّنتَ خَلْقي [فحسِّنْ خُلُقي]». رواه ابن حبان في صحيحه[٨].

ورواه البيهقي في كتاب الدعوات[٩] من حديث عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلىٰ وجهه في المرآة قال ... فذكره.

---

(١) فيض القدير ٥/ ١٦٤.
(٢) المغني ١/ ٣٠٤.
(٣) المعجم الأوسط ١/ ٢٤٠.
(٤) عمل اليوم والليلة ص ١١٣.
(٥) شعب الإيمان ٦/ ٢٦٢.
(٦) مسند أبي يعلىٰ ٤/ ٤٧٨.
(٧) المعجم الكبير ١٠/ ٣٨٢.
(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٣٩.
(٩) الدعوات الكبير ٢/ ٨٢.

وأخرج[١] أبو بكر ابن مردويه في كتاب الأدعية من حديث أبي هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر في المرآة قال: «اللهم كما أحسنتَ خَلْقي فأحسِنْ خُلُقي وحرِّمْ وجهي على النار».

(وإذا اشتريتَ خادمًا) هو من يخدم في مهنة البيت، أعمُّ من أن يكون ذكرًا أو أنثى، والآن في العُرف صار لفظ «الخادم» خاصًّا بالجارية (أو غلامًا) وهو الطارُّ الشاب، ويطلق[٢] على الرجل مجازًا باسم ما كان عليه، كما يقال للصغير شيخ مجازًا باسم ما يؤول إليه (أو دابَّة فخذ بناصيتها وقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جُبل عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما جُبل عليه) قال العراقي[٣]: رواه أبو داود[٤] وابن ماجه[٥] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه بسند جيد.

قلت: ولفظه: «إذا اشترى أحدكم الجارية أو الغلام أو الدابَّة فليأخذ بناصيته وليقل: اللهم إني أسألك خيره ...» الحديث، وفي آخره: «وإذا اشترى بعيرًا فليأخذ بذروة سَنامه وليقل مثل ذلك». رواه كذلك النسائي[٦]، وهذا لفظه، والحاكم في المستدرك[٧] وقال: صحيح على ما ذكرناه من رواية الأئمَّة الثقات عن عمرو بن شعيب. وفي روايته ورواية لأبي داود: وليَدْعُ بالبركة.

(وإذا هنَّأت) أحدًا (بالنكاح فقل: بارك الله فيك، وبارك عليك، وجمع بينكما

(١) سلاح المؤمن ص ٤٦٦ - ٤٦٧.
(٢) المصباح المنير ٢/ ٦٣.
(٣) المغني ١/ ٣٠٤.
(٤) سنن أبي داود ٣/ ٥٤.
(٥) سنن ابن ماجه ٣/ ٣٥٤، ٥٨١.
(٦) السنن الكبرى ٩/ ١٠٠، ١٠٨.
(٧) المستدرك على الصحيحين ٢/ ٢٢١.

في خير) قال العراقي[١]: رواه أبو داود[٢] والترمذي[٣] وابن ماجه[٤] من حديث أبي هريرة، قال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وكذلك أخرجه الطبراني في الدعاء[٥].

وأخرج الترمذي[٦] عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة، فقيل له: بالرفاء والبنين، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تزوج أحدكم فقولوا له: بارك الله فيك وبارك عليك». كذا أورده الحافظ ابن حجر في جزء التهنئة[٧].

(وإذا قضيتَ الدَّين فقل للمقضيِّ له: بارك الله لك في أهلك ومالك؛ إذ قال رسول الله ﷺ: إنما جزاء السلف) أي[٨] القرض **(الحمد)** أي حمدُ المقترض للمُقرِض والثناء عليه **(والأداء)** أي أداء حقِّه له. وما اقتضاه وضعٌ إنما من ثبوت الحكم للمذكور ونفيه عمَّا عداه من أن الزيادة علىٰ الدَّين غير جائزة غير مراد، وإنما هو علىٰ سبيل الوجوب؛ لأن شكر المنعم وأداء حقه واجبان، والزيادة فضلٌ؛ ذكره الطيبي[٩].

قال العراقي[١٠]: رواه النسائي[١١] من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال:

---

(١) المغني ١/ ٣٠٤.

(٢) سنن أبي داود ٣/ ٤٠.

(٣) سنن الترمذي ٢/ ٣٨٥.

(٤) سنن ابن ماجه ٣/ ٣٤٥.

(٥) الدعاء ص ١٢٤٠، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا رفأ قوما قال: «بارك الله لكم وبارك عليكم».

(٦) لم أقف عليه عند الترمذي، وإنما أشار إليه عقب حديث أبي هريرة. وقد رواه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٩٣ والدعاء ص ١٢٣٨. وأخرجه أيضا: النسائي في سننه ص ٥٢١، وابن ماجه في سننه ٣/ ٣٤٦، وأحمد في مسنده ٣/ ٢٦٠ - ٢٦١.

(٧) جزء في التهنئة في الأعياد وغيرها لابن حجر العسقلاني ص ٤٨ (ط - دار البشائر الإسلامية).

(٨) فيض القدير ٢/ ٥٧٣.

(٩) الكاشف عن حقائق السنن ٧/ ٢١٨٢.

(١٠) المغني ١/ ٣٠٥.

(١١) سنن النسائي ص ٧١٣.

استقرض مني النبي ﷺ أربعين ألفًا، فجاءه مالٌ فدفعه إليَّ فقال ... فذكره، وإسناده حسن.

قلت: وقد رواه أيضًا أحمد[١] وابن ماجه[٢]، كلُّهم من روايه إبراهيم بن إسماعيل بن عبد الله أو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أبيه عن جدِّه بلفظ: والوفاء، بدل: والأداء.

وهذا الاستقراض كان في غزوة حُنَين. وعبد الله بن أبي ربيعة هذا مخزومي. وأبو ربيعه اسمه عمرو بن المغيرة، ولأَّه[٣] النبي ﷺ الجَنَد[٤]، فبقي عليها إلىٰ أواخر أيام سيدنا عثمان رضي الله عنه، ومات بقرب مكة[٥].

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل علىٰ النبي ﷺ [جمل] سنٌّ من الإبل، فجاءه يتقاضاه، فقال: «أعطوه». فطلبوا سنه فلم يجدوا إلا سنًّا فوقها، فقال: «أعطوه». فقال: أوفيتَني أوفَىٰ الله بك. قال النبي ﷺ: «إن خياركم أحسنُكم قضاءً». رواه الجماعة إلا أبا داود[٦]. وفي رواية للبخاري أيضًا: أوفيتني وفىٰ الله بك. وفي أخرىٰ له: أوفاك اللهُ.

(فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها، وما سوىٰ ذلك من أدعية السفر

---

(١) مسند أحمد ٢٦/ ٣٣٦.

(٢) سنن ابن ماجه ٤/ ٧٨.

(٣) يعني عبد الله بن أبي ربيعة.

(٤) الجند هو أحد أقاليم اليمن، ويقع في الجنوب الغربي علىٰ ساحل البحر الأحمر، وتبلغ مساحته حوالي ١٥٠٠٠ كم مربع، ويضم ولايتين وهما تعز وإب.

(٥) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٥٣٥. الإصابة لابن حجر ٦/ ٧٤. أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٢٣٢.

(٦) صحيح البخاري ٢/ ١٤٧، ١٧٢، ١٧٣، ٢٣٨، ٢٣٩. صحيح مسلم ٢/ ٧٥٢ - ٧٥٣. سنن الترمذي ٢/ ٥٨٣ - ٥٨٤. سنن النسائي ص ٧٠٤. ورواه ابن ماجه ٤/ ٧٨، لكنه اقتصر علىٰ قوله «إن من خيركم أحاسنكم قضاء» ولم يذكر قصة الرجل صاحب الجمل.

والصلاة والوضوء ذكرناه كلّه في كتاب الحج والصلاة والطهارة) وقد بقي علىٰ المصنِّف بعض ما يُبتلَىٰ به المريد من الضروريات، فمن ذلك: إذا أصابته الحمَّىٰ فليقل: «بسم الله الكبير، نعوذ بالله العظيم من شر عِرق نَعَّار ومن شر حر النار». رواه الحاكم في المستدرك[١] عن ابن عباس.

وإن أصابه رمدٌ فليقل: «اللهم متِّعني ببصري، واجعله الوارث مني، وأرِني في العدوِّ ثأري، وانصرني علىٰ مَن ظلمني». رواه الحاكم[٢] عن أنس.

وإذا عاد مريضًا فليقل ماسحًا بيده اليمنىٰ: «اللهم رب الناس، أذهِب الباس [واشفِه] وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقمًا». رواه البخاري[٣] ومسلم[٤] والنسائي[٥] عن عائشة. ولهم في رواية أخرىٰ: «امسح الباس ربَّ الناس، بيدك الشفاء، لا كاشف له إلا أنت».

أو يقول: «بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك». رواه مسلم[٦] والترمذي[٧] والنسائي[٨] وابن ماجه[٩] عن ابن عباس.

أو يقول: «شفىٰ الله سقمك، وغفر ذنبك، وعافاك في دينك وجسمك إلىٰ مدة أجلك». رواه الحاكم في المستدرك[١٠] عن سلمان.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٥٧٥.

(٢) السابق ٤/ ٥٧٥. قال الذهبي في التلخيص: فيه ضعيفان.

(٣) صحيح البخاري ٤/ ٣١، ٤٤، ٤٥.

(٤) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٥.

(٥) السنن الكبرىٰ ٧/ ٥٩، ٦٠، ٧٦، ٩/ ٣٧١ - ٣٧٣.

(٦) صحيح مسلم ٢/ ١٠٤٣.

(٧) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٨) السنن الكبرىٰ ٧/ ١٢٣، ٩/ ٣٧٠.

(٩) سنن ابن ماجه ٥/ ١٦٩. وكلهم رووه من حديث أبي سعيد الخدري، وليس من حديث ابن عباس.

(١٠) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٤٤.

وإذا عزَّىٰ أحدًا في مصيبة فليقل: «إن في الله عزاءً من كل مصيبة، وعوضًا من كل فائت، وخلفًا من كل هالك، فإلىٰ الله أنيبوا، وإليه فارغبوا، فإنما المُصاب من لم يُجبَر». رواه الحاكم[١] عن أنس.

وإذا أهمَّه أمرٌ فليقل: «حسبي الله ونِعم الوكيل». رواه البخاري[٢] عن ابن عباس.

وعند الكرب يقول: «الله ربي، لا أشرك به شيئًا» ثلاث مرات. رواه الطبراني في الدعاء[٣] عن أسماء بنت عُمَيس.

أو «لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين». رواه الترمذي[٤] والنسائي[٥] والحاكم[٦] عن سعد بن أبي وَقَّاص.

أو «توكَّلتُ علىٰ الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في المُلك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، وكبِّرْه تكبيرًا». رواه الحاكم[٧] عن أبي هريرة.

أو «اللهم رحمتَك أرجو، فلا تَكِلني إلىٰ نفسي طَرْفة عين، وأصلِحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت». رواه ابن حبان في صحيحه[٨] عن أبي بكرة رضي الله عنه.

---

(١) السابق ٣/ ٦٤.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٢١١، ولفظه: «حسبي الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل».

(٣) الدعاء ص ١٢٧٥ – ١٢٧٧.

(٤) سنن الترمذي ٥/ ٤٨٤.

(٥) السنن الكبرىٰ ٩/ ٢٤٣.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٩١، ٢/ ٤٥١، ٦٨٧.

(٧) السابق ١/ ٦٩٦.

(٨) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٥٠.

وإن أصابه حزنٌ فليُكثِر من الاستغفار». رواه النسائي[١] عن ابن عباس.

أو «يا حي يا قيُّوم، برحمتك أستغيث». رواه الحاكم[٢] عن ابن مسعود.

وإذا خاف سلطانًا أو نحوه فليقل: «الله أكبر، الله أعزُّ من خَلْقه جميعًا، الله أعز ممَّا أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كُنْ لي جارًا من شرهم، جلَّ ثناؤك، وعزَّ جارُك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك» ثلاث مرات. رواه ابن أبي شيبة في المصنَّف[٣] عن ابن عباس.

أو «اللهم إله جبريل وميكائيل وإسرافيل وإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، عافِني، ولا تسلِّط عليَّ أحدًا من خَلْقك بشيء لا طاقة لي به». رواه ابن أبي شيبة[٤] عن الشعبي عن علقمة بن مرثد.

وإذا خاف شيطانًا أو غيره فليقل: «أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامَّات التي لا يجاوزهنَّ برٌّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير، يا رحمن». رواه الطبراني في الدعاء[٥] عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود.

---

(١) السنن الكبرى ٩/ ١٧١، ولفظه: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب».

(٢) المستدرك على الصحيحين ١/ ٦٩٥.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٤٤٧.

(٤) السابق ٩/ ٤٤٨ عن مسعر عن علقمة بن مرثد قال: كان الرجل إذا كان من خاصة الشعبي أخبره بهذا الدعاء: اللهم إله جبريل ... الخ.

(٥) الدعاء ص ١٢٩٣، وأول الحديث: «كنت مع النبي ﷺ ليلة صرف إليه النفر من الجن، فأتى رجل من الجن بشعلة من نار إلى رسول الله ﷺ، فقال جبريل ﷺ: يا محمد، ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن طفئت شعلته وانكب لمنخره، قل: أعوذ بوجه الله الكريم ...» الخ.

وإذا استصعب عليه أمرٌ قال: «اللهم لا سهل إلا ما جعلتَه سهلاً، وأنت تجعل الحَزْن سهلاً إذا شئتَ». رواه ابن حبان[١] عن أنس.

وإذا نظر إلىٰ القمر فليستعذْ بالله من شره؛ فإنه الغاسق إذا وقب. رواه الترمذي[٢] عن عائشة.

وإذا عطس فليقل: الحمد لله علىٰ كل حال. وليقل الذي يردُّ عليه: يرحمك الله. وليقل هو: يهديكم الله ويُصلِح بالَكم. رواه الترمذي[٣] والنسائي[٤] والحاكم[٥] عن أبي أيوب.

أو «يغفر الله لنا ولكم». رواه النسائي[٦] عن ابن مسعود.

وإذا رأىٰ من نفسه أو ماله أو أخيه شيئًا يعجبه فليَدْعُ بالبركة؛ فإنَّ العين حق. رواه النسائي[٧] عن عامر بن ربيعة.

وإذا رأىٰ أخاه يضحك يقول له: أضحك الله سنَّك. متفق عليه[٨] عن سعد بن

---

(١) صحيح ابن حبان ٣/ ٢٥٥.

(٢) سنن الترمذي ٥/ ٣٨١ وقال: حسن صحيح.

(٣) السابق ٤/ ٤٥٧.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٠.

(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤/ ٣٩٩.

(٦) السنن الكبرىٰ ٩/ ٩٤، وفيه: «وإذا قيل له يرحمكم الله، فليقل: يغفر الله لكم». قال النسائي: هذا حديث منكر، ولا أرىٰ جعفر بن سليمان إلا سمعه من عطاء بن السائب بعد الاختلاط.
وقد رواه النسائي ٩/ ٩٠ من حديث علي بن أبي طالب بلفظ (يغفر الله لنا ولكم).

(٧) السنن الكبرىٰ ٧/ ٦٠، ٩/ ٣٨٠.

(٨) صحيح البخاري ٢/ ٤٤٢، ٣/ ١٥، ٤/ ١٠٧. صحيح مسلم ٢/ ١١٢٤. ولفظ الحديث: «استأذن عمر بن الخطاب علىٰ رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن علىٰ صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، فأذن له النبي ﷺ فدخل، والنبي ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله ...» وذكر بقية الحديث.

أبي وقَّاص.

وإذا أعلمه إنسان أنه يحبه فليقل: أحبَّك الله الذي أحببتني له. رواه أبو داود[١] والنسائي[٢] عن أنس.

ومَن صنع إليه معروفًا فليقل له: جزاك الله خيرًا. رواه الترمذي[٣] والنسائي[٤] عن أنس.

وإذا رأىٰ باكورة من الثمر فليقل: اللهم بارك لنا في ثمرنا. رواه مسلم[٥] عن أبي هريرة.

وإذا رأىٰ مبتلىٰ فليقل: الحمد لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به وفضَّلني علىٰ كثير ممَّن خلق تفضيلاً. رواه الترمذي[٦] عن أبي هريرة.

وإذا أضلَّ شيئًا فليقل بعد أن يصلي ركعتين: بسم الله، يا هادي الضال ورادَّ الضالة اردُدْ عليَّ ضالَّتي بعزَّتك وسلطانك؛ فإنها من عطاياك وفضلك. رواه ابن أبي شيبة[٧] عن ابن عمر.

وإذا عرضته وسوسة في صدره فليقل: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢) السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٩.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٥٧ وقال: حسن جيد غريب.

(٤) السنن الكبرىٰ ٩/ ٧٨. أخرجاه من حديث أسامة بن زيد، وليس من حديث أنس.

(٥) صحيح مسلم ١/ ٦٢٠، وأول الحديث: كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلىٰ النبي ﷺ، فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدنا ...» وذكر بقية الحديث.

(٦) سنن الترمذي ٥/ ٤٣١ وقال: «هذا حديث حسن غريب». ونقل عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال: «إذا رأىٰ صاحب بلاء يتعوذ ويقول ذلك في نفسه ولا يُسمِع صاحب البلاء».

(٧) مصنف ابن أبي شيبة ٩/ ٥٨١.

وهو بكل شيء عليم». رواه أبو داود[1] عن ابن عباس.

فهذه الأدعية وأمثالها لا يستغني عنها المريد أيضًا.

(**فإن قلتَ: فما فائدة الدعاءِ والقضاءُ لا مَرَدَّ له**)؟ تقرير هذا السؤال: أولاً[2]: أن المدعوَّ به إمَّا أن يكون قد قضىٰ الله بوقوعه أمْ لا، فإن كان الأول فهو حاصل وإن لم يَدْعُ، وإن كان الثاني فالدعاء لا يردُّ القضاء؛ إذ القضاء لا مَرَدَّ له، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف. وثانيًا: فهو سبحانه وتعالىٰ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأيُّ حاجة للدعاء؟ وثالثًا: فالمطلوب بالدعاء إن كان من مصالح الداعي فالحق لا يتركه، وإن لم يكن لم يجُزْ قطعًا. ورابعًا: ففي الحديث: «جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ»، وقال: «أربع فُرِغ منها: العمر، والرزق، والخَلْق، والخُلُق»، وحينئذٍ فأيُّ فائدة للدعاء؟ وخامسًا: فأجَلُّ مقامات الصِّدِّيقين الرضا بقضاء الله، والدعاء ينافي ذلك. فهذه خمسة أسئلة أوردها المنكِرون، اقتصر المصنف علىٰ واحد منها، وقد أجاب العلماء عنها بأجوبة أشار المصنف إلىٰ بعضها وقال: (**فاعلمْ أن من القضاء ردُّ البلاء بالدعاء**) بمعنىٰ أن الله تعالىٰ قدَّر علىٰ مَن يوقع البلاءَ به عدم الدعاء، وقدَّر علىٰ من لم يوقع عليه البلاء وجود الدعاء، ويشهد لذلك ما أخرجه الترمذي[3] عن ابن أبي خُزامة عن أبيه أن رجلاً أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت رُقًىٰ نسترقي بها ودواء نتداوىٰ به وتُقاة نتَّقيها هل تردُّ من قَدَر الله شيئًا؟ قال: «هي من قَدَر الله». قال الحافظ عبد الغني في دُرَر الأثر: حديث حسن، ولا يُعرَف لابن أبي خُزامة سواه. وقال الدارقطني في العلل[4]: رواه الزهري عن أبي خُزامة بن

---

(١) سنن أبي داود ٥/ ٤٠١.

(٢) الأزهية للزركشي ص ٣٤ - ٥٢.

(٣) سنن الترمذي ٣/ ٥٨١، ٤/ ٢٥.

(٤) العلل ٢/ ٢٥١، ونصه: «رواه أبو أحمد الزبيري عن الثوري عن معمر عن الزهري عن عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله. ووهم في ذكر عمر، وإنما روىٰ هذا الحديث الزهري عن أبي خزامة ابن يعمر عن أبيه عن النبي ﷺ، وهو الصواب. وقال ابن عيينة: عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه. ولم يتابع عليه».

يعمر عن أبيه عن النبي ﷺ، وهو الصواب. وقال البدر الزركشي في كتاب الأزهية في الأدعية: وأخرجة الحاكم في المستدرك[١] من جهة مَعمر عن الزهري عن عروة عن حكيم بن حزام قال: قلت: يا رسول الله، رُقًىٰ نسترقي بها وأدوية كنا نتداوىٰ بها هل تردُّ من قَدَر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله». ثم قال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وقال مسلم في تصنيفه فيما أخطأ معمر بالبصرة: إن معمرًا حدَّث به مرتين، فقال مرةً: عن الزهري عن ابن أبي خُزامة عن أبيه. قال الحاكم: وعندي أن هذا لا يعلِّله، فقد تابع صالحُ بن أبي الأخضر معمرَ بن راشد في حديثه عن الزهري عن عروة، وصالح وإن كان في الطبقة الثالثة من أصحاب الزهري فقد استُشهد بمثله. ثم ساقه.

ونحو من هذا الجواب ما ورد من أن صلة الرحم زيادة في العمر من أن الزيادة مشروطة في الأزل بالصلة، وعدمها بعدمها.

وأشار المصنف إلىٰ الجواب الثاني بقوله: (**والدعاء سبب لردِّ البلاء واستجلاب الرحمة**) يعني أنَّا لا نسلِّم أن الدعاء لا يردُّ البلاء، بل هو سبب في ردِّه (**كما أن التُّرْس**) بالضم، معروف، من آلة الحرب، والجمع[٢] تِرَسة كعنبة وتُروس وتِراس كفلوس وسهام، وربما قيل: أتراس، فإن كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب سُمِّي جحفة ودرقة (**سببٌ لردِّ السهم**) عن حامله (و) كما أن الماء (**سبب لخروج النبات من الأرض، وكما أن التُّرس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان**) روىٰ الحاكم[٣] من حديث عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يغني حذرٌ من قَدَر، والدعاء ينفع ممَّا نزل وممَّا لم ينزل، وإن البلاء لَينزلُ فيلقاه

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٧٧.

(٢) المصباح المنير ١/ ٤٨.

(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٤ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: زكريا بن منظور مجمع علىٰ ضعفه.

الدعاء فيتعالجان إلىٰ يوم القيامة». وعن سلمان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القضاءَ إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البِر». رواه الترمذي[١] وقال: حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه[٢] والحاكم[٣] وابن حبان[٤] من حديث ثوبان أيضًا، وصحَّح الحاكم إسناده. ولمَّا أخرجه أبو موسىٰ المديني في الترغيب قال: قال أستاذنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل[٥] فيما قرأته عليه: إن الله تبارك وتعالىٰ إذا أراد أن يخلق النَّسَمة قال: إن كان منها الدعاء رُدَّ عنها كذا وكذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا، وكذلك أجلُها إن برَّت والديها، ويكون ذلك فيما يُكتَب في الصحيفة.

وقال الزركشي بعد أن أورد حديث عائشة الذي أخرجه الحاكم ما نصه: وهذا لا ينافي الحديثَ السابق في الجواب الأول؛ لأن معنىٰ الذي قبله أن الرُّقَىٰ والدواء لا تستقلُّ بردِّ القضاء، لكن الله تعالىٰ إذا أراد ردَّ قضاءه بحسب سابق علمِه قدَّر التسبُّبَ إلىٰ استعمال الرقىٰ والأدوية، فكان هو في الحقيقة القاضي الرادُّ، وقد صحَّت السنَّة بمشروعية التداوي والاسترقاء، ومعنىٰ الثاني نفيُ استقلال الدواء، كما سبق، وكذلك الدعاء والبِر في الحقيقة لا يستقلاَّن بشيء، بل هما من قَدَر الله. وقد روىٰ الفريابي في كتاب الذِّكر عن علي ﵁ قال: الدعاء يدفع الأمر المبرَم.

(١) سنن الترمذي ٤/ ١٨.
(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١١١، ٥/ ٤٩٢.
(٣) المستدرك علىٰ الصحيحين ١/ ٦٧٥.
(٤) صحيح ابن حبان ٣/ ١٥٣.
(٥) الترغيب والترهيب لأبي القاسم الأصبهاني ١/ ٢٧٥، ونصه: «إن الله إذا أراد أن يخلق النسمة جعل أجلها إن برت والديها كذا وكذا، وإن لم تبر والديها كذا وكذا دون ذلك. وإن عملت كذا حرمت كذا، وإن لم تعمله رُزقت كذا، ويكون ذلك مما يكتب في الصحيفة التي لا يزاد علىٰ ما فيها ولا ينقص، ومثل ذلك: لا يرد القضاء إلا الدعاء، يقال: إن أراد الله أن يخلق النسمة قال: إن كان منها الدعاء رُد عنها كذا وكذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا».

وعن ابن عباس: الدعاء يدفع القدر[(١)]. وقال: إن الأمر ليُقضَىٰ فيردُّه الدعاءُ بعدما قُضي. ثم قرأ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ الآية[(٢)] [يونس: ٩٨] وهو مؤوَّل علىٰ ما سبق.

(**وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالىٰ**) وقَدَرِه (**أن**) يطرح النظر إلىٰ الأسباب بأن (**لا يحمل السلاح**) والجنن الواقية (**وقد قال** عز وجل: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾) [النساء: ٧١] وهو بكسر فسكون اسم من حذر حذرًا: إذا تأهَّب واستعدَّ (**وأن لا تُسقَىٰ الأرض**) بالمياه (**بعد بثِّ البذر**) فيها (**فيقال: إن سبق القضاءُ بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت، بل**) لا بدَّ من ملاحظة الأسباب؛ إذ (**ربط الأسباب بالمسبَّبات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر**) في كمال السرعة (**أو هو أقرب، وترتُّب تفصيل المسبَّبات علىٰ تفاصيل الأسباب**) هو (**علىٰ التدريج، والتقدير هو القدر، والذي قدَّر الخير قدَّره بسبب، والذي قدَّر الشر قدَّر لدفعِه سببًا**) وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه بربط الأسباب بمسبَّباتها (**فلا تناقُض بين هذه الأمور**) وفي نسخة: بين هذين الأمرين (**عند من انفتحت بصيرته**) واكتحل بصره بنور التوفيق، وساعده الفهمُ السليم.

وأشار إلىٰ الجواب الثالث بقوله: (**ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذِّكر**) في الباب الأول، ثم أشار إلىٰ بعض ما لم يسبق ذِكرُه بقوله: (**فإنه**) أي الدعاء (**يستدعي حضورَ القلب**) أي قلب الداعي (**مع الله** عز وجل) وجذبه إليه حضورًا كلِّيًّا لا يكون معه للسوىٰ سبيل بالتضرع والاستكانة، وإظهار العبودية، والإقرار بالفقر

---

(١) رواه الفريابي في كتاب القدر ص ١٩٢ (ط - أضواء السلف) ومن طريقه الآجري في الشريعة ٢/ ٨٧١ بلفظ: «الحذر لا يغني من القدر، ولكن الدعاء يدفع القدر».

ورواه البيهقي في القضاء والقدر ٢/ ٤٨٣ وزاد في آخره: «وهو إذا دفع القدر فهو من القدر».

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٧/ ٧٠٨: «أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن الدعاء ليرد القضاء وقد نزل من السماء، اقرءوا إن شئتم: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ فدعوا فصُرف عنهم العذاب».

والحاجة، والاعتراف بالربوبية **(و)** ذلك **(هو منتهىٰ العبادات)** ونتيجتها وخُلاصتها **(ولذلك قال ﷺ: الدعاء مخ العبادة)** ومخ كل شيء: خالصه. وقد تقدَّم الكلام عليه في الباب الأول[1]. ثم هو قد يكون شرطًا لوجود المصلحة. ومن فوائد الدعاء: أن الله تعالىٰ يثيب علىٰ الدعاء وإن لم تقع الإجابة؛ لأنه عبادة؛ لقوله: «الدعاء مخ العبادة» **(والغالب علىٰ الخَلْق أنه لا تنصرف قلوبهم إلىٰ ذكر الله)** واللجأ إليه بالدعاء **(إلا عند إلمام حاجة)** مهمة **(وإرهاق)** نائبة **(ملمَّة، والإنسان إذا مسَّه الضرُّ فذو دعاء عريض)** كما جاء ذلك في الكتاب العزيز[2] **(فالحاجة)** المهمة **(تُحوِج إلىٰ)** التفرغ إلىٰ **(الدعاء، والدعاء يردُّ القلب)** ويجذبه **(إلىٰ الله تعالىٰ بالتضرع والاستكانة)** وإظهار العبودية، والإقرار بالفقر والحاجة، والاعتراف بالربوبية **(فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات)** وأجَلُّها **(ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء)** رحمهم الله تعالىٰ **(ثم الأمثل فالأمثل)** كما جاء ذلك في بعض الأخبار لكن بمعناه، روىٰ الترمذي[3] والنسائي في الكبرىٰ[4] وابن ماجه[5] والدارمي[6] وابن منيع وأبو يعلىٰ[7] وابن أبي عمر في مسانيدهم من طريق عاصم ابن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ...» الحديث. وللطبراني[8] من حديث فاطمة مرفوعًا: «أشدُّ الناس [بلاء] الأنبياء ثم الصالحون ...» الحديث **(لأنه يردُّ**

---

(١) بل في أول الباب الثاني.

(٢) يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ۝٥١﴾ [فصلت: ٥١].

(٣) سنن الترمذي ٤/ ٢٠٣.

(٤) السنن الكبرىٰ ٧/ ٤٦.

(٥) سنن ابن ماجه ٥/ ٤٩٣.

(٦) سنن الدارمي ٢/ ٤١٢.

(٧) مسند أبي يعلىٰ ٢/ ١٤٣.

(٨) المعجم الكبير ٢٤/ ٢٤٦.

القلب بالافتقار والتضرُّع) والعبودية المحضة **(إلىٰ الله تعالىٰ ويمنع من نسيانه، وأمَّا الغنىٰ)** بكثرة الأموال والأملاك **(فسبب للبَطَر)** والترفُّع علىٰ الأقران **(في غالب الأمور)** والشئون (فـ ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦﴾) أي يتجاوز عن حدِّه بطغيانه (﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾) [العلق: ٦ - ٧] أي صار غنيًّا.

ومن فوائد الدعاء: أنه اشتغال بذكر الحق، وذلك يوجب مقامَ الهيبة في القلوب والإنابة في الطاعة والانقلاع عن المعاصي، ولزوم الباب يستدعي الإذنَ في الدخول، ولهذا قيل: مَن أدمن قرع الباب ولج[1]. وكان يقال: الإذن في الدعاء خير من العطاء. وقيل لبعضهم: ادْعُ الله لي، فقال: كفاك الله من الأجنبية أن يجعل[2] بينك وبينه واسطة. وتأمَّلْ شقاوة أهل النار في النار حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٩﴾ [غافر: ٤٩] فالحجاب ملازم لهم، ثم لمَّا لم يغنهم ذلك ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] ومنها: أن ملازمة الدعاء دافعة للبلاء والشقاء، كما قال تعالىٰ حاكيًا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨﴾ [مريم: ٤٨] وعن زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ۝٤﴾ [مريم: ٤].

(فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات) وما يتعلَّق بها من الفضائل **(والله الموفِّق للخير)** لا خير إلا خيره، ولا رب غيره **(وأمَّا بقية الدعوات)** التي تُذكَر **(في الأكل والسفر وعيادة المرضىٰ وغيرها فستأتي في مواضعها إن شاء الله**

(١) روىٰ أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب عيوب النفس ص ٦ (ط - دار الصحابة بطنطا) أن رابعة العدوية مرت بمجلس صالح المري، فقال صالح: من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له. فقالت رابعة: الباب مفتوح وأنت تفر منه، كيف تصل إلىٰ مقصد أخطأت الطريق منه في أول قدم.

وانظر الكلام عن الدعاء أيضا في الرسالة القشيرية ص ٤٤٢ - ٤٥٠.

(٢) كذا هنا وفي الأزهية والرسالة القشيرية. وفي الدعاء للطرطوشي ص ٧٤: كفاك من الخيبة أن تجعل.

تعالىٰ) ولنختم هذا الكتاب بفائدتين:

الأولىٰ: قال الزركشي: اختار الخَطَّابي في كتاب الدعاء(١) أن الدعاء لا يُستجاب منه إلا ما وافق القدرَ، وقال: إنه المذهب الصحيح، وهو قول أهل السنَّة والجماعة. ونقله عنه كذلك الطرطوشي في كتاب الأدعية، وفائدته حينئذٍ كون المعاملة فيه علىٰ معنىٰ الترجِّي والتعلُّق بالطمع الباعثينِ علىٰ الطلب دون اليقين الذي تقع به الطمأنينة فيفضي بصاحبه إلىٰ ترك العمل والإخلاد إلىٰ دعة العطلة، وقد قالت الصحابة: أرأيتَ أعمالنا هذه شيء قد فُرغ منه أمْ أمرٌ نستأنفه؟ فقال ﷺ: «بل هو أمرٌ قد فُرغ منه». فقالوا: ففيمَ العمل إذًا؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسَّر لِما خُلق له». فعلَّمهم ﷺ الأمرين(٢) ثم ألزمهم العمل الذي هو مَدْرَجة التعبُّد؛ لتكون تلك الأفعال يسرًا، يريد أنه يُيسَّر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القَدَرُ به قبل وجوده. قال: وهكذا القول في الرزق مع التسبُّب إليه بالتكسُّب، وفي العمر والأجل والتسبُّب إليه بالطب والعلاج، وفي هذا لطفٌ عظيم بالعباد؛ فإنه سبحانه تملَّك طباعهم البشرية فوضع(٣) هذه الأسباب ليأنسوا بها فيخفِّف عنهم ثقل الامتحان الذي تعبَّدهم به، وليتصرَّفوا بذلك بين الخوف والرجاء، وليستخرج منهم وظيفتَي الشكر والصبر.

الثانية: اختلفوا هل الأفضل الدعاء أو السكوت والرضا، فقالت طائفة: السكوت أفضل، والجمود تحت جريان الحكم أتم. وسُئل الواسطي أن يدعو فقال: أخشىٰ إن دعوتُ أن يقال لي: إن سألتَنا ما لك عندنا فقد اتَّهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأتَ إلينا، وإن رضيتَ أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك

(١) شأن الدعاء ص ٨ – ١٢ باختصار.

(٢) في شأن الدعاء: ألا تراه كيف علقهم بين الأمرين فرهنهم بسابق القدر المفروغ منه ثم ألزمهم ... الخ.

(٣) كذا هنا وفي الأزهية. وفي شأن الدعاء: علل طباعهم البشرية بوضع.

في الدهور. وحكىٰ الطرطوشي[1] عن عبد الله بن المبارك أنه قال: ما دعوتُ الله منذ خمسين سنة، ولا أريد أن يدعو لي أحدٌ. واحتجَّ القائلون بهذا المذهب بأن امرأة بها لَمَمٌ سألت رسول الله ﷺ أن يدعو لها اللهَ عَزَّوَجَلَّ، فقال: «أو تصبرين ولا حساب عليكِ». وسأله الأنصار أن يدعو الله سبحانه أن يكشف الحمَّىٰ عنهم فقال: «أو تصبرون فتكون لكم طُهرًا». وقال حكايةً عن الله تعالىٰ: «مَن شغله ذِكري عن مسألتي أعطيتُه أفضل ما أعطي السائلين». وقالت طائفة: يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه؛ ليأتي بالأمرين جميعًا. وقيل: لا يدعو إلا بطاعة ينالها أو خوف سخط، فإن دعا بسوىٰ ذلك فقد خرج عن حدِّ الرضا. وقال القشيري: الأَولىٰ أن يقال: إذا وجد في قلبه إشارةً إلىٰ الدعاء فالدعاء أَولىٰ له، وإذا وجد في قلبه إشارة إلىٰ السكوت فالسكوت أتمُّ. قال: ويصح أن يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله تعالىٰ فيه حقٌّ فالدعاء أَولىٰ، وإن كان لنفسك فيه حظٌّ فالسكوت أتَمُّ. والصواب أن الدعاء أَولىٰ مطلقًا، وعليه الجمهور؛ فإنه نفسه عبادة، والإتيان بالعبادة أَولىٰ من تركها، وقد دعا ﷺ بكشف البلايا والشدائد وإن كان فيها فضل كبير، وقال ﷺ لعائشة ﵂: «إن وافقتِ ليلةَ القدر فسلي الله العفو والعافية». وعلَّمها لعمِّه العباس ﵁، ولمَّا كانت ليلة الإسراء وانتهىٰ إلىٰ مقام قاب قوسين عظم سؤاله في ليلته، فلولا أن السؤال من أجل العبادات ما تلبَّسَ به ولَما أمر أمَّته به، فكيف يسوغ لأحد أن يقول: اللهم أغنني بك عن السؤال منك. نعم، يمكن أن يريد أن يغنيه الله باختياره عن اختياره لنفسه؛ فإنَّ اختيار الله للعبد كامل، واختيار العبد لنفسه معلول بوجود علَّة الأدناس، فما خرج عن السؤال. وأمَّا قوله ﷺ للأنصار «أو تصبرون»؟ فهو سؤال كشفٍ وتعليم، فأوحىٰ الله إليه أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوقت وأخَّر الدعاء، ويحتمل أنه رأىٰ بهم جزعًا وقلة صبرٍ فأمرهم به.

خاتمة الفائدتين: اعلمْ أن الذِّكر إمَّا أن يكون باللسان أو بالقلب أو

---

(١) الدعاء ص ٧٥.

بالجوارح، فالذكر باللسان هو الألفاظ الدالَّة علىٰ التحميد والتمجيد والتسبيح، والذكر بالقلب التفكُّر في دلائل الذات والصفات ودلائل التكاليف وأسرار مخلوقات الله تعالىٰ، والذكر بالجوارح أن تصير الجوارح مستغرقة في الطاعات، قال تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وحسبك بهذا الجزاء.

وبهذا تم شرحُ كتاب الأذكار والدعوات، حامدًا لله الذي بعزَّته وجلاله تتم الصالحات، مصليًا علىٰ نبيِّه أكملِ البريَّات، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه الكرام الهُداة. وأنا متوسِّل بمؤلفه رضي الله عنه إلىٰ الله ورسوله أن يشفي مريضي، ويُحسِن عواقبي، ويختم لي ولإخواني المسلمين بخير وعافية.

جرىٰ ذلك في ضحوة سبت النور تاسع عشر جمادىٰ الأولىٰ سنة ١١٩٥ بمنزلي بسويقة لالا. قاله وكتبه أبو الفيض محمد مرتضىٰ الحسيني، غفر الله له بمَنِّه وكرمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهرس موضوعات كتاب الأذكار والدعوات

١٠ - كتاب الأذكار والدعوات